

مَجَلَّةُ الْأَنْهَرِ

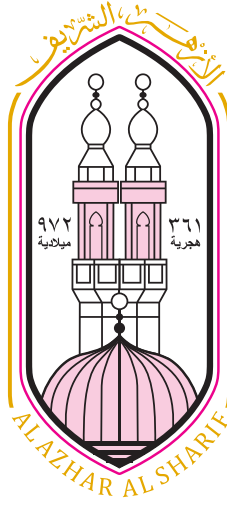
مَجَلَّةُ شَرْيَةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْهَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِي



المجلد السابع

السنة ١٣٥٥ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م



SAQIFAT AL-SAFATRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الهجرة النبوية

لفضيلة الاستاذ الأ كبر الشيخ محمد مصطفى المراغى

لما هل أول المحرم كان العدد الأول من هذه المجلة قد نجز طبعه .
فلما خطب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأ كبر الشيخ محمد مصطفى المراغى
خطبته في مناسبة الهجرة النبوية وعيد حضرة صاحب الجلالة الملك ، رأينا
حقا علينا أن ننشر هاتين الخطبتين تسجيلا لهذا الكلام الحكيم في صفحات
هذه المجلة . وقد ملأنا ملزمة فقرناها ببقية الملازم راجين أن يضعها القارئ
في الترتيب عند التجليد حيث أراد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلام على إمام الأنبياء ، وشيخ المرسلين ، وسيد المصلحين ، وقدوة المتقين .
سلام على سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه .
سلام عليه يوم ولد ويوم بعث ، ويوم هاجر ويوم قبض الى الرفيق الأعلى ، ويوم
يبعث حيا .
وسلام على المؤمنين في جميع البلدان والأقطار أحييهم به من هذا المكان المعمور
في مستهل هذا العام الهجرى .
أبرها السادة :

لم تكن العرب تؤرخ على أمر معروف يعمل به عامتهم ، وكان التأريخ منهم يؤرخ
بسنة مجدية في ناحية من نواحي بلادهم وشدة أصابهم ، أو بالعامل كان يكون عليهم ،
أو بالأمر الحادث ينتشر خبره عندهم . يدل على ذلك اختلاف شعرائهم في تأريخاتهم ،
ولو كان لهم تاريخ على أمر معروف وأصل معمول عليه لم يختلف ذلك منهم . حكاه الطبرى
في تاريخه .

والمشهور أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو أول من جمع المسلمين المشورة في أمر التاريخ، وأنهم عرضوا عليه أمورا: التاريخ لمولد الرسول الأكرم صلوات الله عليه، والتاريخ لمبعثه، والتاريخ لوفاته، والتاريخ لهجرتة، فاختار من بينها التاريخ للهجرة وقال: إنها فرقت بين الحق والباطل.

اختار عمر هذا ورضيه الصحابة. فمن الحق أن يحتفل المسلمون بهذا الحادث، وأن يذكروا مافيه من عبر وعظات، وما كان له من الأثر البعيد في حياة الاسلام والمسلمين. وإن هذا الحادث كيدٌ كَرِّبما كان من الصراع الخفيف المروع بين الحق والباطل، وبما كان من انتصار الحق انتصاراً لم يكن ليتم لولا قوة الايمان، وثبات العقيدة، والصبر على احتمال المسكاره، والاستهانة بالنفس والمال والأهل والوطن في سبيل الحق، وفي سبيل حرية الرأي والعزة الانسانية والكرامة.

لم يكن محمد صلوات الله عليه وسلامه مطالباً بملك ولا طالباً جاهاً، ولم يكن محباً للمال يبغي توفير لذاته وشهواته. فقد كان زاهداً في الدنيا قائماً باليسير منها. ولم تكن شمائله وأخلاقه بحيث تنفر منه أهله ومعاصريه، بل كان أفضل قومه مروءة، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حملاً، وأصدقهم حديثاً، وأكثرهم برّاً، وأطهرهم قلباً ونفساً وذليلاً وردناً، وأعدلهم حكماً، وأدومهم شكراً، وأشدّهم حياءً وأناة، يستجيب لدعوة الضعيف، وينصر المظلوم، ويفيض حناناً وعطفاً على البائسين.

ومع هذه الشمائل فقد أخرج قومه من منبته، فهاجر فراراً بدينه، والتماساً للنجاح في مهاجره، وأحيط بالعداوة من كل جانب، وتربص له الشر في كل ثنية ومطلع. كمن له الشنآن في كل قلب، وضاق عليه وجه الفضا، والتمس كل وسيلة للبقاء مع الحرية، فلم يجد الوسيلة. ولم يكن لهذا كله من سبب إلا أنه يريد حماية الانسانية، ويريد لها عزبة، ويأبى التقليد والغرور، والاعتزاز بما عليه الآباء، إلا أن تكون ذليلة معذبة. ومن شأن التقليد والغرور الحرمان من نعمة التمييز بين الخير والشر والضار والنافع. إنهما يطمسان نور العقل، ويردان الفطرة الى أسفل السافلين.

حرية الرأي، وحرية الجهر به، وحق الانسان في الضرب في الأرض، يلقى عقيدته وتعاليمه ويبدع الحجة والبرهان، وينشر مبادئ الفضيلة، ويدعم أصول الأخلاق، هذه الحرية أثمن شيء لدى الانسان، وأعز ما يبتغيه العاقل ويحافظ عليه. هي حياة النفس الانسانية، تعدل حياة الجسم أو ترجح عليها، والاعتداء عليها عدل الاعتداء على الحياة الجسمية. لذلك أجاز العقلاء وأجاز الدين الاسلامي القتال لحمايتها، وعد الدفاع عنها دفاعا عن النفس، ودفاعا عن الشرف الانساني، وعن الكرامة التي اختص الله بها هذا النوع من بين سائر الأنواع.

كان من الطبيعي أن تتلمس الوسائل لردع أولئك السفهاء وشق طريق للحرية وللحق حتى يصلوا الى ما من يقيهما هذه الشرور الجالحة، ويبعدهما عن نيران هذه البشرية البهيمية الخبيثة، ليؤدي الرسول الأمين رسالته عن ربه، وينجلي ليل الوثنية وعبادة المادة، وينبجج نور الوحي الإلهي بملأ القلوب طمانينة، وبوasi الضعفاء، ويأخذ بيد البائسين، وينزل الجبابة من مكانهم العلي الى مستوى العباد، ويصيح بالناس جميعهم: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكروا أنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إنا أكرمكم عند الله أتقاكم». وقد سمى الله تعالى في كتابه الصبر على الذل والرضا بالضميم ظلما للنفس، وأتّب من يقيم عليها ويقعد عن الهجرة: «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم، قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا».

فظلم النفس هو ترك الجهر بالحق، وترك العمل به خوف الأذى، والصبر على هذا الذل، وعدم الهم بالخروج عنه والهجرة الى حيث تجد الانسانية حريتها وكرامتها. فالواجب الانساني والديني يحتم في هذه الحالة الهجرة، ويجعلها هجرة في سبيل الله يعطى أجرها: «ومن يهاجر في سبيل الله يجذ في الأرض مرانما كثيرا وسعة، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله»

بدأت للرسول الأكرم صلوات الله عليه بارقة الأمل ، وفتحت له سبل الهجرة ، بعد أن عرف أن اليهود يثرب يقولون لأهالها : إن نبيا مبعوثا قد أطل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . وبعد أن قال له نفر من الخزرج : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم ، بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، وأن يجمعهم عليك فلا رجل أعز منك . وبعد أن ترامت إليه الأخبار بأن هذا النفر وجد بعد رجوعه قلوبا متفتحة للإيمان ، متلهفة على دين ، وأنه لم يبق دار من دورهم إلا فيه ذكر محمد .

بدأت له هذه البارقة فلم يتردد في الهجرة ، ثم أشار على أصحابه بها ، وتحين الوقت المقدر لها ، فهاجر هو وصاحبه أبو بكر وكان الله نصيره ومؤيده : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم » .

كانت الهجرة وتمت ، ولا يستها أحوال وأهوال ، واستهدفت لأخطار وقي الله النبي صلى الله عليه وسلم شرها ، تضمنتها بطون السير وكتب التاريخ . وليس لي من غرض في ذكر التاريخ إلا بمقدار ما تنتزع العبرة وتستفاد العظة .

وكان من نتائجها أن انسأب الدين الاسلامي في أودية بلاد العرب وطلع على أنجادها ، وأن أعز الله دينه بالانصار والمهاجرين ومن نفذ الاسلام الى قلوبهم واهتدت بصائرهم بنوره ، فانتقم للانسانية ، وضرب يافوخ الشرك ، ودق عنقه ، وعاد الى البلد الذي أخرجه منه أهله فاتحا وهاديا .

وبعد أن تم له الظفر طاف بالكعبة على راحلته ثم قال لقريش : « ما ترون أني فاعل ؟ » فقالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : « فاذهبوا فأنتم الطلقاء » .

قال هذا لمن لم يدخر وسعا في إيذائه ، ولم تفهم حيلة في سبيل إذلاله وفتنته عن دينه وعقيدته ، ولمن فتنوا بعض أصحابه ، ولمن قاتلوه في بدر وأحد ، وحاصروه في غزوة الخندق ،

ولم يلبوا عليه العرب . فعل ذلك لأنه لم يكن يعمل لأرضاء نفسه ، ولم يقاتل الملك ، وإنما قاتل وهاجر وجاهد لله وفي سبيل الله ، وقاتل للحق ، فلما رضى الحق رضى هو ، ولما اطمان الحق اطمانت نفسه . فهو ما ولد إلا للحق ، وما عاش إلا للحق . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

كان من نتائج الهجرة أن دخل الناس في دين الله أفواجا ، وعزّت كلمة الله ، وبدأ التشريع للمجتمع الانساني تنفجر ينابيعه ، وتضى مصابيحها ، وأن استبحرت المدنية الاسلامية ، وقامت دولها في الشرق والغرب تعز ما أعزت كلمة الله وتوحدت نواياها ، وتذل وتزول ما استهانت بالحق وتفرقت .

أبهر السادة :

لو أنى أبحث لنفسى أن أطيل عليكم في بيان مزايا الدين الاسلامى ، وما عاد على الانسانية من خير ببركة رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لوجدت للقول ميدانا فسيحا ، وللفخر مضطربا واسعا ، ولسكنى أكتفى بكلمات :

إنه دين رفع مقام الانسانية الى أن جعل الانسان خليفة الله في الأرض ، وقدس الحرية حتى أباح القتال في سبيل حماية العقيدة ، وأعز منزلة العقل الانساني ثم طالبه بالتدبر والتفكير ، ورفع قدر العلم والعلماء ، وسوى بين الطبقات ، ولم يجعل بين الله وعبيده وسيطا ، وجعل شعاره في العبادة التذكير بأن الله أكبر من كل شئ ، وأنه المعبود وحده والمستعان وحده ، وجعل الصدقة والبر فرضا ، وأكد طلب الرحمة والرفق ، وحث على الاتحاد والتعاون والصبر ، وهون أمر الحياة الدنيا ، ورفع شأن الحياة الآخرة ، وجعلها المطلب الوحيد الذى يجب أن يتوجه اليه القصد ، وأبان أصول الأخلاق جميعها ، ووضع قواعد العدل وأمر به ، وقرر أن رحمة الله وسعت كل شئ ، وأنها تكتب للمتقين الذين يؤمنون بالآخرة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

من الحق أن نعتبر بمجاثم الهجرة ، وأن تكون أعمال الرسول الأكرم هي القدوة ،
وأن تلهينا المدنية وزخرف الحياة عما في الأخلاق والدين من جمال ، وأن ننبه الضمائر
إلى ما في السمو الروحي من لذة ، وأن نعتقد أن الإباحية التي طغت على العالم وأشعلت
فيه نيران الشهوات مدنسة للإنسانية مهينة لكرامتها .

ومن الحق أن يعتقد المسلمون أن عزتهم من قبل لم تقم إلا على الدين ، وأن ذلهم
لم ينجي ، إلا بعد الإعراض عنه .

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله ، إن الله
شديد العقاب » . « والله العزة ولسوله وللمؤمنين » . « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
العصايات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن
كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

وأسأل الله أن يوفق قادة الإسلام وحماة لإعلاء شأن دينه ، وأن يديم حضرة
صاحب الجلالة مولانا الملك فؤاد نصيرا للعلم والدين ، ممتعا بالصحة والسعادة والهناء .
والسلام عليكم ورحمة الله .

خطبة فضيلة الاستاذ الاكبر

الشيخ محمد مصطفى المراغى

فى احتفال الازهر بعيد جلالة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبرها السادة :

يحتفل الازهر الليلة بعيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فؤاد الأول أطال الله بقاءه . وجلالته من الآثار الخالدة والأعمال الصالحة النافعة ما سيكون مفخرة التاريخ ، وما سيزيده توالى الأيام وتعاقب الأجيال إجلالا وإكبارا . ولا أريد الليلة أن أتحدث عن جلالته من نواحيه المتعددة ، فهذا يطول أمره . ولكنى أتحدث عنه من حيث هو عالم ، ومن حيث إنه نصير للعلم والدين فى الشرق ، محافظ على التقاليد الدينية والتقاليد القومية الصالحة .

عرف كل من أسعدهم الحظ بالتشرف بقاء جلالته أنه واسع الاطلاع على القديم والحديث ، يتتبع باهتمام كل الحركات الفكرية فى الشرق والغرب ، ويتتبع النهضة الأدبية فى البلدان المختلفة . وقد أسعده الله بذاكرة قوية لا يند عنها شئ ، مما يرتسم فيها ، وأسعده بعقل جبار يحص به المسائل ، ويدرك ما فيها من دقائق ، وما يتبعها من آثار ، ويرد الزائف ويبقى على النافع الصحيح ، وكثيرا ما أدهش العلماء المتخصصين فى فروع من العلم بأسئلة كان يلقيها عليهم فى نواح مختلفة مما يتحدثون فيه لم تكن خطرت على بالهم من قبل . فهو عالم حقا ، له رأى ناضج دقيق ، وهذه الدقة خلق من أخلاقه فى جميع ما يتناوله من الشئون . وكثيرا ما رأيت مريدى التشرف بقاءه حذرين خائفين مما يلقي عليهم من أسئلة لم يعدوا أنفسهم لها .

من هذا تعلمون سبب حبه للعلم وحده على العلماء ، وتعلمون سر هذه النهضة العلمية المباركة التي وجدت في عهده الزاهر ، وسر إنشاء هذه الدور الضخمة للعلم ، وهذه المعاهد التي ترونها منبثة في كل ناحية من نواحي القطر لفروع مختلفة من العلم .

كان البرنس أحمد فؤاد رئيس الجامعة المصرية الأهلية يُعنى بأمرها كما يعنى كل عالم محب للعلم بدار للتعليم العالى ، ويمدها بالرأى النافع ، وبحوطها بالرعاية ، لتصل الى البقاء والاستقرار . فلما أصبح البرنس فؤاد جلالة الملك فؤاد الأول ، أنشأ الجامعة المصرية وأقام لها الصروح الشاخنة التي ترونها في الجانب الغربى للنيل ، تلقى دروس العبرة على الأهرام بما فيها من حياة وعلم . ولولا حب جلالته للعلم ومضاء عزيمته لما رأيت تلك الصروح وهذه الحياة التي تدب في كلياتها المختلفة ، والتي ستصير إن شاء الله حياة قوية صالحة تتباهى بها البلاد ، وتزيد العلم ، وتدنى ثماره للناس في لغة العرب ، لغة القرآن الكريم . هذا أمر الجامعة .

أما المعاهد الدينية فقد عني بإصلاحها منذ جلس على العرش ، وعنى بإسعادها . ورأى جلالته في إصلاح المعاهد والتعليم الدينى قائم على أساسين صحيحين : العقيدة الدينية ، والعلم .

جلالة الملك فؤاد مؤمن قوى بالإيمان ، مخلص الإخلاص كله لمبادئ الدين السامية ، يعتقد أن الخير كله في المحافظة على الدين والعمل به ، وعالم خبير بنظريات الفلاسفة وآراء الناس في الخير والشر ، وبالمذاهب الاجتماعية التي وجدت في العالم ، وهذا يدفعه بلا شبهة الى محاولة التوفيق بين الدين والعلم ابتغاء ضم العلماء والفلاسفة الى الدين ، ليزيد بهم قوة ، ويجد محتجا له ، مدافعا عنه بسلاح العلم والفلسفة ، ويتبعد عن شرور عداوة العلم والعلماء . وهذا هو الذى قصد من إصلاح التعليم الدينى ، ليجد علماء الدين ييدم سلاح العلم ، وليبتعدوا عن وصمة الجهل بما لا يجوز جهله في هذا العصر .

وقد أدركت هذا حق الإدراك من أحاديث جلالته المتمعة ، فصارت النظم

والقوانين للأزهر تساير هذا الرأي النافع ، ابتغاء رضوان الله ، وابتغاء خدمة الدين وعلومه ، واللغة العربية وآدابها .

وسيكون عصر جلالة الملك فؤاد من ناحية إصلاح التعليم الدينى عصر ايباهى به الشرق وتغفر به مصر ، وسيعيد هذا البلد المبارك إن شاء الله مجد الاسلام ونفخه بعلومه وعلمائه . وقد وضعت الأسس النافعة الصالحة ، وبقى على العلماء القليل بما هو مفروض عليهم من الإخلاص والجهد ، وعلى طلبة العلم صرف أوقاتهم فى التحصيل والدرس والمذاكرة والفهم . وقد رأوا أنى ، ونحن نحتفل بملك عظيم ، لم أجد أفضل من الثناء عليه بالعلم ، وسعة الاطلاع ، والدقة فيه .

وآثار جلالة الملك المادية على التعليم الدينى وعلى العلماء ظاهرة بحسبها كل واحد فى نفسه وفى بيته وفى أهله وولده . وهو الذى أنشأ لكم هذه الصروح لتكون دورا للعلم ومأوى لطلابه . أمامكم معهد أسيوط ومعهد الزقازيق ، وهذه المهارات الشاهقة بجوار الأزهر . وسترون إن شاء الله صرحا للمكتبة الأزهرية ، ودورا لكليات الأزهر وللمعهد الأزهرى ، وقاعة للمحاضرات العامة . وسترون بعد تمام هذه المنشآت أن الأزهر اتسع مدلوله وتضخم معناه ، وبعد أن كان مسجدا أصبح حيا من أحياء القاهرة . وسترون أن ما بنى المعز لدين الله أصبح شيئا صغيرا بجوار ما بنى الناصر لدين الله جلالة الملك فؤاد الأول .

ولقد حافظ جلالة الملك على التقاليد الدينية والتقاليد القومية الصالحة . وأنا واثق أنهم الثقة من أنه لو لا هذا الحرص الذى يبدو منه دائما على هذه التقاليد لتقطعت صلة الناس برسوم كثيرة ، ولطفت تقاليد العصر الجديد على مقومات حياتنا الاجتماعية أكثر مما لطفت .

ويجب أن أنتهز هذه الفرصة المباركة لأناذى بأنه أصبح حتما مفروضا أن توضع لهذا البلد النظم التى تحمى ولدانه وفتيانها ، وتحبى هذا للنشء الذى سيكون عمدة الجيل المقبل ،

ومربي الأجيال التي بعده ، فقد تحللت الأخلاق ، وكادت تنقطع الصلات بالدين ، وكادت تزول الروح القومية . وإنى لأخشى أن يكون الآباء الذين لم يشقّهم العلم خيرا من الآباء الذين تعلموا وضلوا بالفلسفة .

ولا خير للأمة في حياة مترهلة هائلة وادعة لم يعود أفرادها خشونة العيش ، فهي حياة تجلب الذل ، وتوقع تحت الدين ، وتجري الإفلاس . ولا خير في حياة مادية لا يتذوق أهلها طعم الحياة الروحية . ونحن الآن في حياة مسرفة أشد الإسراف ، مادية ، بعيدة عن السمو الروحي .

فإلى مولانا جلالة الملك ، وإلى الحكومة ، وإلى الزعماء : أوجه رجائي طالباً أن يفكروا جدياً في الحياة الاجتماعية ، وأن توضع النظم الصالحة لخير هذا البلد الأمين ، إبقاء على دينه وقوميته .

وإن أُملي في طلبة العلم والدين وطلبة الجامعة المصرية كبير . فهذا الشباب المثقف المستنير يجب أن ينصبه إلى الخير برفق ، وتقع مسئولية هذا على المربين والأساتذة . ومتى تنبه هذا الشباب واعتقد الخير ، قام بالدعوة واضطلع بها ، واستطاع أن يجعل الحياة روحية ، وأن يملأها سعادة معنوية .

وإنى أيها السادة أرفع باسم العلم والعلماء ، وباسم الأزهر ، إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك خالص الولاء وأصدق التهنية بعيد ميلاده السعيد ، وأصدق الشكر على ما تفضل به من إصدار قانون الأزهر الجديد .

ولهذه المناسبة أقدم شكر الأزهر لحضرة صاحب الدولة على ماهر باشا وأصحاب المعالي زملائه الوزراء ، على النظر في قانون الأزهر ، الذي كان الأزهريون يشعرون بشدة الحاجة إلى إصداره .

أسأل الله أن يديم للعلم ولهذا البلد الطيب حياة حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول مشمولاً بعون الله ، مؤيداً بنصره ، ممتعاً بالعافية السابغة ، قدير العين بحضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد وإلى العهد المحبوب : والسلام عليكم ورحمة الله

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مَجَلَّةٌ دِينِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ خَلْقِيَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ حِكْمِيَّةٌ

تَصَدَّرُهَا مَشِيخَةُ الْأَزْهَرِ

فِي كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِي

المجلد السابع

المحرم سنة ١٣٥٥

الجزء الأول

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

مُحَمَّدُ فَرْزَانَ وَجَّارِي

الاستراك

الإدارة

داخل القطر المصري	٣٠
خارج القطر المصري	٤٠
للمعلمين غير المدرسين وأئمة المساجد	
والمسؤولين ومعلمي المدارس	
الاولية والطلاب ومصالح الحكومة	
ومجالس المديريات	...
لطلاب وأئمة المساجد	...
خارج القطر	٣٠

شارع محمد مظلوم باشا رقم ١

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

ثمان الجزء الواحد ٣ قروش صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية

١٩٣٦ - ١٣٥٥ هـ

فاتحة السنة السابعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما أسدى إلينا من معونة ، وأمدنا به من تأييد ، وأفاض علينا من فضل . والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد ، وعلى إخوانه الذين اصطفاهم الله لهداية خلقه ، وأيدم بروح من عنده ، وعلى آله وأتباعه الذين آمنوا به ونصروه ، وترسموا طريقته المثلى ، فأقاموا صرح هذا الدين على أرسخ القواعد وأقوى الدعائم ، وكانوا لمن جاء بعدهم أعلام رشاد ، ومنار هدى .

وبعد : فإن مجلة الأزهر تستقبل بهذا العدد سنتها السابعة ، راجية أن تتابع خطواتها في النماء والارتقاء ، فتبلغ الى ما يتناسب وخطورة الغرض الذى ترمى اليه من خدمة الاسلام بالدلالة على أصالة أصوله ، وسمو مبادئه ، وصلاحية تعاليمه لكل زمان ومكان ، وعلى أنه يؤدى الى وجود إنسانى كريم ، ومدنية فاضلة خالصة من شوائب الرعونات النفسية ، والنزغات الشيطانية ، عاملة على مكافحة البدع التى تسربت الى بعض الضعفاء ، ومحقق كل ما يتنافى والدين الخالص .

هذه كلها من المهام التى يعنى بها الأزهر عناية خاصة ، ويعمل على إيصالها الى أسمى وأبعد ما يمكن أن تصل اليه بوساطة مجلته هذه .

لقد علم القراء أن هذه المجلة قد استبدلت اسم (مجلة الأزهر) باسم (مجلة نور الاسلام) منذ عدة أشهر ، وهو عمل قد اعتبروه حسنا من كل وجه ، لأنه أبين لغزوتها ، وأدل على صيغتها .

ومما يجدر بنا أن نبشر به أنصار هذا الدين أن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأبرار الشيخ محمد مصطفى المراغي واضع أساس هذه المجلة، رأى أن ينشر إلى جانبها ملحق لها باللغة الانجليزية، عملاً على تعميم الفائدة الدينية من جهة، واستكمالاً لأدوات الدعوة الإسلامية من جهة أخرى، فإنه توجد شعوب إسلامية كثيرة لا يفهمون العربية، ويحذقون الانجليزية، وهؤلاء يطالبون الأزهر أن يمدح في تلك اللغة بما يستعينون به على فهم حقائق الإسلام، ويشاركون به الذين يعرفون العربية في الاستفادة من بحوث أعلامه.

وكما تنفع مجلة الأزهر الانجليزية غلة هؤلاء، يكون لها أثر كبير في وقف الذين يبحثون في الإسلام من الأجانب على طريقته المثلى، وعلى أدلته القاطعة، وفي نفي الشبه التي يثيرها أعداؤه عليه بعزوم إليه أصولاً لا تمت إليه بصلة، وليست منه في شيء.

وقد كان جهدنا إلى اليوم أن نرد على تخرصات المتخربين باللغة العربية، وليس هنالك من يفهمها، فتسرى أقوالهم حرة مطلقة في العالم الغربي، وتروج فيه دون أن تجد مفنداً لها بلغة يفهمها الذين قرءوها، فترسخ في أذهانهم وتصبح عقائد لهم، يتناقضونها فيما يكتبونه عن الإسلام والمسلمين. ولكن بوجود هذه المجلة يمكن دحض هذه الشبهات بلغة أوربية كثيرة الانتشار لا تعد من يفهمها في كل بقعة من بقاع الأرض، فلا تلبث هذه الشبهات أن تضمحل وأن تزول، فيقف أولو العلم على حقيقة هذا الدين ومراميها العالية، ويكون من أثر ذلك أن يتناولها بعض الباحثين الإخصائيين ويكتبوا عنها كتابات تخدم في إعلاء كلمة الله هنالك خدمة عظيمة الخطر، بعيدة الأثر، جليلة العائدة.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نفوّه بفضل حضرة صاحب الجلالة الملك «فؤاد الأول»،
 فقد أغدق على الأزهر من فيض سخائه ما أقدره على تحقيق جميع رغباته السامية،
 وحباه من رعايته بما وجهه هذه الوجهة المنتجة لأعظم الثمرات وأدومها. وسيتابع بفضل
 إمداده المتواصل إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه رقياً ونفعاً. أبقاه الله ذخراً للعلم
 وأهله، وأقر عينه بولي عهده المحبوب حضرة صاحب السمو الملكي «الأمير فاروق»
 أمير الصعيد بن الله وكرمه

مدير مجلة الأزهر
 محمد فريد وعبدى



العام الهجرى الجديد

إن حلول كل عام هجرى جديد يثير فى أنفسنا ذكريات كريمة لحوادث عظام كان لها كبر الآثار ، ليس فى العالم الاسلامى وحده ، ولكن فى العالم الانسانى كله .

كان الناس فيما سلف من الزمان يعتقدون أن الله يرسل رسلا منهم الى الناس يؤيدهم بالمعجزات ، ويعززهم بخوارق العادات . فلما بلغ العلم أشده افتتن الناس بتعليل حوادث التاريخ تعليلًا حسيًا ، منطبقًا على قوانين الاجتماع ومنطق الحوادث ، فإن قصر هذا الأسلوب فى تعليل بعض الحوادث ، أصغروا من شأنها واتهموا الأمم فى تقديرها واستفادوا من غموض تاريخها فى التكذيب بها . كل ذلك ليرغموها على أن تقبل التعليلات التى يسوغها العلم المادى ولا يعول إلا عليها . وهذه النزعة من العلم كانت مبنية على أصل مقرر عنده ، وهو أن جميع ما فى الوجود تابع لنواميس محدودة لا تتخلف ، وأن هذه النواميس مليئة بتعليل كل ما يحدث فيه ، سواء أ كانت ظواهر مادية أم شئون اجتماعية .

وكان الباحثون الاسلاميون يسايرون هذه الطريقة العلمية ثقة منهم بأن الشئون الاسلامية لا تستعصى على أى أسلوب من أساليب البحث ، وأن جلالها تظهر متلاثلة على أى وجه قلبت عليه عند الدرس .

ولكن العلم فى العهد الأخير قد شك فى السلطان المطلق للنواميس ، ولمح من وراءها قدرة علوية تصرفها فيما تريد . قال الأستاذ وليم كروكس الانجليزى فى خطبة له فى مجمع العلوم البريطانى وكان رئيسا له :

« أكثر الذين يدرسون الطبيعة يستحيل أمرهم عاجلا أو آجلا الى إهالهم الكلى لجانب عظيم من رأس ما لهم العلمى لأنهم يرون أنه وهى محض

« إننا متى امتنعنا من قرب بعض النتائج العادية للظواهر الطبيعية ندرك الى أى حد هذه النتائج أو النواميس كما نسميها محصورة في دائرة نواميس أخرى ليس لنا بها أقل علم »

« إننا لنستطيع أن نكتشف جميع النواميس الطبيعية للحركة ، ولكننا مع ذلك لا نكون أقرب مما كنا عليه الى حل أهم مسألة وهي : أى ضرب من ضروب الإرادة والفكر يمكن أن يوجد خلف هذه الحركات المادية مجبرا إياها على اتباع طريق رسمه لها من قبل ؟ وما هي العلة العاملة خلف هذه الظواهر ؟ وأى ازدواج من الإرادة والفكر يقود الحركة الآلية الصرفة للعادة خارجا عن نواميسنا الطبيعية بحيث يحملها على تكوين هذا العالم المادى الذى نعيش فيه ؟ »

ثم قال :

« اسمحوا لى أن أستنتج من هذا الفهم أنه يستحيل علينا أن نتخيل مقدما الأسرار التى يكتونها الوجود والعوامل الدائبة على العمل فيما حولنا » (راجع مجموعة خطب الأستاذ ولیم كروكس) .

وقال الفيلسوف (أدوار لوروا) Edouard Leroy كما نقله عنه الرياضى الكبير (هنرى بوانكاريه) Henri Poincaré فى كتابه قيمة العلم : La valeur de la Science « العلم لم يتألف إلا من تواضع العلماء على أصوله ، وهو لكونه على هذه الحالة يظهر لنا بمظهره المبهود من الثبوت والاستقرار ، فالقواعد الطبيعية بل النواميس ليست إلا من مخترعات العلماء أنفسهم . فالعلم لا يستطيع وهذه حالته أن يكشف لنا عن وجه الحقيقة المطلقة ، وكل ما ينتظر منه أن يخدمنا كقاعدة للعمل »

من هنا يرى القارئ أن العلم قد بدأ يتحول عن المنهاج المادى الذى اتبعه فى مدى قرون ثلاثة ، وأخذ يلوح وراء الحوادث قدرة عالية ترسم لكل كائن الحد الذى ينتهى اليه ، وتدفع العوامل لتحقيق مرادها منه .

وعليه فقد جاء العهد الذي يستطيع فيه الباحث في الأديان عامة وفي الاسلام خاصة أن يشير الى النواحي المخارقة للعادة منها ، أى التي لا تكفى النواميس المعروفة أن تأتى بتعميل يثابح عليه الصدر عنها . ولما كنا اليوم بسبيل الكلام عن الهجرة المحمدية لمناسبة حلول السنة الجديدة ، فلنا أن نستغل هذا الموقف العلمى لتنور عناية الله التى حفت بالنبي صلى الله عليه وسلم فى هذه الهجرة :

مما ثبت ثبوتاً قاطعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث يدعو قريشا الى الاسلام سرا وعلنا نحو ثلاث عشرة سنة ، فلم يرفعوا بدعوته رأساً إلا عددا قليلا منهم اضطروا أن يهاجروا الى الحبشة مرتين من شدة ما لحقهم من اضطهاد المشركين لهم ، وقد قاطع هؤلاء المشركون من بقى منهم فى مكة سنين حتى اضطروهم لسكنى أحد الشعاب الجبلية يعانون فيه عنت الحصار والمقاطعة . فلما رأى المشركون أن هذا الإرهاق لم يجد لهم نفعاً ، عادوا الى معاملتهم فى كثير من المشارة والمعاكسة .

فلما يئس النبي صلى الله عليه وسلم منهم أخذ يعرض نفسه على القبائل إبان الموسم داعياً إياها الى الاسلام ، وراغباً اليها أن تنتدب لحماية الدعوة ، فكان منها من يرده بالمعروف ومنها من يهزأ به . وذ هب يدعو أهل الطائف فرجوه بالحجارة ! فاتفق أن قابل بضعة رجال من أهل يثرب (المدينة) ففاتحهم بما فاتح به غيرهم ، فصادفت دعوته هوى من قلوبهم ، فآمنوا به ووعدوه بأن يخبروا بأمره قومهم ، وضرخوا له موعداً للموسم المقبل .

فلما كان ذلك الموسم أقبل من أهل يثرب اثنا عشر رجلاً ، فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة وأسلموا . وكان منهم عشرة من بنى الخزرج واثنان من بنى الأوس ، وهما القبيلتان اللتان يتألف منهما أهل يثرب .

فلما رجع هذا الوفد أخذ الأوسيان اللذان أسلما يدعوان الناس الى الاسلام ، فقال سعد بن معاذ سيد قبيلتهما لابن عمه أسيد بن خضير : ألا تذهب الى هذين الرجلين

اللذين أتيا يسفهان ضعفاء، فتنزجروا؟ فقام لهما أسيد وقال لهما: ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلا إن كان لكما بنفسيكما حاجة .

فقال له أحدهما واسمه مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره؟

فقرأ عليه مصعب ما تيسر من القرآن، فأسلم. ورجع الى سعد فقال له: والله ما رأيت بالرجلين بأسا .

فغضب سعد وذهب بنفسه، ففعل معه مصعب مثل ما فعله مع أسيد، وانتهى الأمر بإسلامه. فرجع لرجال من بنى عبد الأشهل وهم بطن من الأوس فقال لهم: ما تعدوننى فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا. قال: كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تسلموا .

فلم يبق بيت فيهم إلا أجابه، وانتشر أمر الاسلام فى المدينة، فلم يبق لهم كلام فى غيره .

ولما كان العام الذى بعده وفد على مكة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ليقابلا النبي صلى الله عليه وسلم، فتواعدوا أن يتلاقوا فى بعض الشعاب بعد مضى الثلث الأول من الليل لى لا تشعر بهم قريش، فلما جاء الموعد تسللوا وحدانا الى مكان الاجتماع. فلما تم عددهم افتتح العباس الكلام فقال لهم: إن محمدا فى منعة من عشيرته لم يمكنوا منه أحدا مع ما رأوه فى ذلك من الشدة، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتهموه اليه وما نموه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإلا فدعوه بين عشيرته فإنه لمكان عظيم .

فقال كبير الوفد البراء بن معرور: والله لو كان لنا فى أنفسنا غير ما نتطق به لقلنا، ولكننا نريد الوفاء والصدق .

وبعد هذا قال الوفد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فقال : أشرت لربى أن تعبدوه وحده ولا تشرکوا به شيئا ، ولنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم .
فسألوه : وماذا لنا على ذلك ؟ قال : الجنة . قالوا قبلنا ، وأخذوا يباليهم حتى انتهوا .
وتسمى هذه بيعة العقبة الثانية .

ثم تقدم الوفد الى النبي صلى الله عليه وسلم راجيا منه أن يهاجر اليهم ، فقبل دعوتهم داعيا لهم بخير . ثم تخير منهم اثني عشر نقيبا لكل عشيرة منهم واحد ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

فلما بلغ قريشا أن الاسلام انتشر في يثرب ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد أهلها على أن يحموا دعوته بما يملكون من قوة ، وأنه أزمع أن يهاجر اليهم ، هالهم هذا الأمر ، فاجتمعوا في دار ندوتهم وتبادلوا الآراء فيما يعملونه لا لقاء هذا الخطر المتوقع ، فانفقوا على قتله بطريقة مبتكرة ، وهى أن ينتدب شاب من كل عشيرة منهم فيحاصروه في داره ثم يقتحموها عليه ويضربه كل منهم ضربة بسيفه ، فيتفرق دمه في جميع عشار قريش ، فيتعذر الثأر من قاتله ، فترضى عشيرته بالدية ، وبذلك ينتهى أمره ولا تقوم لمن اتبعه قائمة .

فأوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ما أضمره ، فأمر عاليا أن ينام على فراشه ، واستصحب هو أبابكر وخرجا من مكة سرا في الليل الدامس ، وجدا في السير حتى بلغا غار ثور فأويا اليه .

أما شبان قريش الذين كلفوا بقتله ليلا فقد اقتحموا داره لتنفيذ ما نؤدبوا له ، فلم يجدوا فيها إلا عليا ، فأجمعوه ضربا ، وعلمت قريش أنه خرج ليلا مع صاحبه فأرسلت خلفهما شرذمة لتتبعهما ومعهم القافة ، فما زالوا يتتبعون أثرهما حتى انتهوا الى غار ثور . هنالك قرر القافة أنهما أويا الى الغار لانقطاع الأثر فيما بعده ، ولم يبق إلا اقتحامه عليهما لا خراجهما منه . فيقال إن المشركين استبعدوا أن يكونا لجأ اليه لما كان عليه من

الظلمة والوحشة وثواء الهوام فيه ، ولم يجسر أحد منهم أن يرتأده ليمحققوا من خلوه من غريبتهم ، فتركوه وعادوا أدرأجهم .

لبث النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه بالغار ثلاث ليال ، وكان يبيت معهما فيه ولد لأبي بكر اسمه عبد الله ، يبكر فيحضر أندية قریش نهاراً ثم يوافيهما ليلاً فيخبرهما بما تقوله قریش وما تعززه ضدّهما ، ويحمل اليهما ما يتبلغان به من الطعام والماء .

فلما أئنا الطلب من قریش جاءهما الدليل الذى كانا قد أعداه من قبل لهذه الغاية ومعه راحلتان ، فامتطياهما وجدّا فى السير قاصدين المدينة ، وما زالا جادين حتى وصلا اليها سالمين . وهنالك أصبح للإسلام دولة ، وأضحى له جيش وصوله ، والقراء يعرفون ما جدّ بعد ذلك من الأحداث .

هنا نرى أن لا بد لنا من وقفة لنلمح آثار الآيات الإلهية من خلال هذه الحوادث . فإنه إذا كان معنى الآيات أنها الحوادث التى تقع ولا يمكن تعليلها بالنواميس المعروفة ، ولا تنطبق على المنطق الذى تواضع عليه البشر ، فإن هذا المعنى يصح على ما نحن بصدد الانّ مما يتعلق بالمجرة النبوية .

ذلك أنه ليس ينطبق على أى ناموس معروف ، بل يشذ عن كل قاعدة منطقية ، ويخالف كل ما عرف من التقاليد العربية ، أن ترفض جميع القبائل الدخول فى الاسلام والاضطلاع بأعباء حماية الدعوة اليه ، وتقبله قبيلتان لم تكونا أئنه قبائل العرب ، ولا أكثرها عدداً ، ولا أوفرها مالا ، على ما تقتضيه هذه الحماية من حرب وكفاح ، وخسائر فادحة فى الأموال والأرواح .

وما كان ليعقل قبولهما له لو كان النبي صلى الله عليه وسلم متأهما بالسيادة على بلاد العرب ، أو بالإغارة على الأمم المجاورة والاستيلاء على مالدتها من أموال ونعم ، لأن تلك السيادة كانت مما لا يعقل فى بلاد العرب ، إذ لم تكن لها سابقة هنالك يقاس عليها ، ولا تنقسمها الى قبائل رحالة دائمة الحركة ، إن أصابتها مخافة فى ناحية رحلت الى ناحية أخرى ، غير آسية على زراعة تركها أو مساكن تهجرها ، ألا ترى أنه لما تهدم سد

مأرب وأصاب اليمن سيل العرم ، هاجرت قبائلها الى كل وجه ، حتى وصل بعضها الى شمال بلاد العرب ، ومنها بنو غسان التي نزلت بحدود سورية ، ووقعت تحت سلطان الرومانيين ونزل غيرهم في بقاع أخرى ؟

أما التمنية بالإغارة على الأمم المجاورة لبلاد العرب فكان مما لا يعقل أيضا ، لأن القبائل العربية التي كانت أرفع مكانا وأعز نفرا قد وقعت تحت أسر الدول التي جاورتها شمالا وشرقا وجنوبا ، فكيف كان يطمع بنو الأوس والخزرج أن يتخطوا جميع هذه الحوائل القبيلية ويغزوا الفرس والرومانيين ؟

ولم هذه الافتراضات كلها وقد نص في التعاقد بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الأوس والخزرج على أن لهم الجنة ؟

هنا لا بد لنا من وقفة ثانية نتساءل فيها هل مما ينطبق على مجرى الحوادث العادية أن ترضى قبيلتان عريبتان لا عهد لهما بدين سماوى ولا كتاب ، بمثل هذا الجزاء الغيبي على تجردهما لنشر دين عودى صاحبه من قومه بسببه الى حد أنه أصبح لا يطبق البقاء بين ظهرانيهم ؟

لا أنكر أن الجنة تصلح أن تكون جزاء لأعظم ضروب التضحية ، ولكن عند من ؟ عند الذين يكونون قد وصلوا من الإيمان الى أقصى مداه ، لا عند قوم لم يقابلوا النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاث مرات ، ولم يقرأ عليهم من القرآن إلا آيات ؟

حقا إن هذه لآية ، ومن أكبر الآيات شأنا ، وإنها لتساوى في نظر المفكر تفجير

الماء من الصخور ، وإحياء الموتى من القبور .

لننظر الآن في مسألة الغار :

لا مشاحة في أن القرشيين كانوا حريصين على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، اتقاء لخطر يهددهم من اجتماع الجوع حوله خارج مكة ، ثم العود اليها بهم فاتحا أو معاكسا . فلما تبين لهم أنه خرج مهاجرا مع صاحبه تعقبوها ومعهم القافة حتى انتهوا الى

غار ثور ، فتوافرت الأدلة على نزولهما فيه ، فهل يعقل وقد انتهى أثرهما إليه أن يتركوه دون أن ينزلوا إليه ؟

يقال إنهم تهيبوا الدخول فيه . كيف يعقل ذلك ولم يتهيبه الطفل عبد الله بن أبى بكر ، وكان يتردد عليه كل مساء ليبيت فيه ؟

هب أن قريشا على كثرة شجعانها لم يجرؤ واحد منهم على اقتحامه ، فهل يعقل وقد تحققت أن الأثر انتهى إليه أن لا تدع عنده جماعة لمحاصرته ؟

وهل كانت تعجز أن ترم على فوهته الأحجار فتسده ، أو تلقى فيه قشا وحطبا وتلهب فيه النار لا يجبار من فيه على التسليم إليهم ؟

وإن كان لا هذا ولا ذاك ، فهل كانت تعجز أن ترسل خلفهما فى طريق المدينة رجالا يصلون الليل بالنهار ليقطعا الطريق عليهما ؟

اللهم إن هذه آية ثانية لا تقل عن سابقتها شأنا .

فإذا كان الأدب الذى حصله العلم لأهله فى هذا العصر يسمح بأن ينظر الانسان فى الحوادث على مدى أوسع مما كان ينظر فيه اليها ، فإن النظر الى هذين الأمرين خارجا عن المجال الضيق للنواميس المعروفة يؤدينا الى تنور آيات من العناية الإلهية بخاتم رسله تزد المؤمنين إيمانا ، وتنير بصائر الذين لا يزالون يرون فى النبوات أمورا عادية ، أو كما يقولون ظواهر اجتماعية .

هذا ومن يعن بدراسة كل ما أحاط بالنبي صلى الله عليه وسلم من شئون ، وما تأدى اليه من فلاح ، فى بيئته لم تنجب رجلا اجتماعيا قبله ، بل رجلا عالميا ، على هذا القسطاس من زنة الحوادث ، وهذا الأسلوب من تقدير الأمور ، يرأى العين أن الحق سبحانه وتعالى قد أيد خاتم رسله من الآيات الكبر ، ليس بما لم يركله مثيل فى تاريخ البشرية لكنه خُفِى ، ولكن بما يجعل العلم نفسه أداة فى الكشف عن أسرارهِ ، والتنويه بمجلائل آثارهِ : « سنبرهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد » .

الروح الإسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

- ١ -

لم تصدق نظرية الفيلسوف الفرنسي الكبير جان جاك روسو في العقد الاجتماعي على أمة غير الأمة الإسلامية^(١) فهي الأمة الوحيدة التي قامت على مبدأ التعاقد بين آحادها على احترام أصول إلهية مقررّة ، والعمل بدستور سماوي مدوّن . فكانت هذه الأمة لهذه العلة بنجوة عن كل ما تلتاث به الجماعات في أول تكونها : من رعونات النفوس ، وجمحات الغرائز ، وسطوات الأهواء التي تصحب دائماً دور النشوء للجماعات البشرية ، فذشأت فاضلة ، وشبت فاضلة ، واكتهلت فاضلة ، ولم تزل روحها فتيمة فاضلة ، على الرغم مما لحق بالجماعات الممثلة لها من الضعف بسبب انحرافهم عن صراطها لعلل عارضة ليس هذا محل بيانها .

نعم إن نظرية روسو لم تصدق إلا على الجماعة الإسلامية ، وبيان ذلك أن الجماعات العربية على عهد البعثة المحمدية كانت مستقرة على الحالة القبيلية القائمة لديهم منذ أول نشوئهم في جزيرة العرب ؛ وكانت هذه القبائل تنعادي وتتناحر ، ثم تتصالح وتتصافى على نحو ما كانت عليه الأمم المتخالفة أجناساً ولغات وديانات .

وقد شوهد أن عدة قبائل كانت تعقد بينها حلفاً ضد مجموعة أخرى من القبائل ،

(١) كان من رأى الفيلسوف جان جاك روسو أن الجماعات البشرية لم تتكون إلا عقب تفاهم حدث بين آحادها على التآلف بينهم والحياة حياة مشتركة ، تحت قيادة حكومة معترف بها من الكافة . وقد راجت هذه النظرية في القرن الثامن عشر ، ولكنها لم تلبث أن سقطت لما ثبت من أن الجماعات تتألف مغفوزة بموامل قاهرة من البيئة وضرورات الحياة ، ويكون تألفها في أوله ساذجاً ثم يترقى بترقى مدارك آحادها ، واقتضاء سلامتها العامة لزيادة الترابط ، واكتتمال التعاون بين جميع عناصرها .

ولكن مع حفظ كل منها لاستقلاله الذاتي، وتقاليده الموروثة، كما كان يحصل بين الأمم المختلفة لدفع عدو مشترك، أو للإغارة على جماعات مجاورة، يتطلب التغلب عليها قوى متضافرة. ثم قد تنقلب الحال فيصبح أعضاء الحلف الواحد، أعضاء في حلف آخر ضد حلفائهم الأقدمين، كما كان يحصل ولا يزال يحصل بين الأمم المتباينة الأصول والمصالح.

وكانت وحدة البيثة لا تأثير لها في إيجاد الوحدة الاجتماعية بينهم. ومن يطلع على تاريخ حروب العرب يجد من ذلك عشرات من الأمثلة، من أشهرها ما كان بين عبس وذبيان وبين الأوس والخزرج، وكانت الحروب تدوم بينهم عشرات من السنين. وكانت الحالة القبلية متأصلة فيهم الى حد أن خصوبة اللبن وخفض العيش فيها لم يلطف من هذه الحالة فيهم، فإنه لما تهدم سد مأرب باليمن واجتاح أرضها، واضطر كثير من أهلها أن يهاجروا منها، فعلوا ذلك وهم قبائل متميزة كالأزد وقضاعة وجرم والأوس والخزرج وغسان وتنوخ الخ.

ومن أقوى الأدلة على أن حالتهم الاجتماعية لم تكن ماسة الى الوحدة، أنه لم يظهر فيهم في كل أدوار تاريخهم الطويل داع يهيب بهم اليها، كما يكون ذلك بين يدي كل انقلاب يطرأ على بني الأمم.

دام الحال على هذا السمعت حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالدين الحق يدعو الأمم عامة لا العرب خاصة للدخول فيه، فكان هو ومن أسرع للإيمان بما جاء به أول نواة لمجتمع يتألف على غير مثال سابق، مجتمع يقوم على الأصول الانسانية الخالدة، والمبادئ الخلقية القيمة، والسمو الروحاني المطلق، غير معتمد بالجنسيات والقوميات، ولا باختلاف البيئات واللغات، راميا الى توحيد الانسانية جمعاء في دائرة الحق المحض، والسكال البعث، والمدنية الفاضلة.

هذا أول حادث من نوعه في تاريخ البشر ، فلم يطف بخيال فياسوف أو مصباح في أى عهد من العهود أن يدعو العالم كافة للدخول في وحدة عامة ، وبخاصة إن لم يكن قومه قد وصلوا من سلم الاجتماع الى درجة أمة ، حتى يعقل أن يحدث واحد من آحادها نفسه أن يجمع البشرية جملة ، وكان بحسبه أن يوحد الأمة التي هو فرد منها ، فيخلد اسمه في سجل أكبر المصلحين في العالم كله .

فهذا النزوع من محمد صلى الله عليه وسلم الى الوحدة الانسانية العامة ، وهو في أعرق بيئة في الفرقة ، دليل قاطع على أنه كان يردد صوت الوحي السماوى ، ويستمد من معدن الحكمة الإلهية .

هذه الدعوة مجردة كان مما لا يستحيل تعليلها لولا أنها اصطحبت بتعاليم ذات صبغة عالمية لم تدر بخلد أقطاب الفلاسفة والمصلحين ، ولم يتسنّ لأشهر العباقرة أن يتخيّلوها تخيلاً ، بله أن يأتوا بها بالبيان التفصيلي الذي جاءت به على لسان خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، وقد سردناها تباعاً في بحث مهمة الدين الاسلامي في هذه المجلة .

إن الباحث في جوهر الاسلام يشعر أنه حيال خِصَمٍ متعَجَّر متلاطم الأمواج إن وقف على ساحله تهيبه ، وإن خوّض فيه بعلم وحكمة لم يصل الى ساحله ، فيحار في أى ضروب المعارف يلتقط ، وإن جمع طائفة منها حار في ترتيبها ، لأنها تستعصى على الترتيب ، ولكن لبعد أغراضها ، ولطف مسالكها . فلذلك كان لابد للمعنى بها أن يقسم الكلام فيها الى بحوث متعددة بقدر ما يرى فيها من الوجوه الممكنة .

إن ما نشرناه في هذه المجلة تحت عنوان (مهمة الدين الاسلامي في العالم) وإن كان قد استوعب كثيراً من أصول الاسلام ، إلا أنه لا يمكن أن يصور جميع وجوه تلك التعاليم ، ويستوعب كل مواطن تأثيرها ، في العقول والقلوب ، ويكشف عن مكنون أسرارها ، فلا مناص لنا من اللجأ الى ما قررناه من وجوب أفراد بحث خاص لكل وجه من وجوه تلك التعاليم القيمة . وها نحن نشرع في ذلك جاعلين هدفنا في هذه

المرة دراسة عناصر الروح الاسلامية ومدى تأثيرها في النفس البشرية ، في أدوار الانقلابات الاجتماعية ، فنقول :

نحن من قيام المجتمع الاسلامي وظهوره على سائر المجتمعات التي كانت معاصرة له حيال حادث جليل لم يجر على السنن المعروفة للعلم ، لا في أدوار وجوده ، ولا في عناصر كيانه ، فهو بالأمر المخارق للعادات أشبه . ونحن نبسط المسألة أولاً ثم نشرع في معالجة تفهمها وحلها ، توسلاً الى دراسة ما نحن بصدد من عناصر الروح الاسلامية :

كانت الحالة الاجتماعية في جزيرة العرب في العهد الذي بُعث النبي صلى الله عليه وسلم فيه مستقرة على ما كانت عليه منذ قرون كثيرة . فأطرافها من الشمال والغرب والجنوب كانت مملوكة للرومانيين والفرس ، والجزء الباقي منها ، وهو المحصور بين هذه الحدود الثلاثة والبحر الأحمر ، كان موزعين مئآت من القبائل على حالة من الحياة البدوية مَرَنُوا عليها من لدن نشوئهم فيها . ولم يكن في مجموعة من هذه المجموعات البشرية قلق ينم عن شعور بوجود استبدال نظام اجتماعي جديد بهذا النظام الساذج العتيق . يدل على ذلك دلالة قاطعة عدم قيام دعوة صريحة الى إصلاح ديني أو اجتماعي من أي ضرب كان ، ولا الى بث مبدأ سياسي يقصد به إلقاء نير السيادة الأجنبية عن الحدود الثلاثة لجزيرة العرب . فبينما كان السكون تاماً في ذلك الركن من العالم إذا بصيحة تنبعت من صميمه : « يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض ، لا إله إلا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . فلم يأبه بهذه الصيحة خارج البلاد العربية أحد لعلهم أن هذه البقعة من الأرض ليست مثار خطر على أية دولة من دول العالم ، وبخاصة على الدولتين اللتين كانتا قد توزعتا ممالكهما وانفردتا بالسلطان فيه . وزادها اطمئناناً أن هذه الصيحة بعيدة عن البقاع التي دانت لحكمها من جزيرة العرب .

ومن الذى كان يعقل أن تتخطى هذه الصيحة مئات القبائل التى تحول بين مكة وتلك البقاع وتنتشر منها اليهما وتصبح مثار خطر على كيانهما ؟

قابل الناس هذه الصيحة بالإعراض ، وقابل الملوك الكتب التى وصلتهم من صاحبها بالإهمال ؛ ومنهم من رأى فى دعوته للإيمان غضا من كرامته فزق الكتاب كل ممزق وذراه فى الهواء .

فما مضت بعد ذلك سنون تعد على الأصابع حتى شهد الناس أمرا لم يكن يخطر ببال ، ولا يطوف بخيال ، رأوا العرب ينصلتون من بلادهم شمالا وشرقا ، وهم على حالة من الوحدة والترابط ونكران الذات لم تؤثر عن غيرهم ، منتدين لإحداث أكبر الانقلابات العالمية التى لم تسجل فى تاريخ البشرية من لدن وجودها الى ذلك العهد ، فانتزعوا من الرومانيين سورية ومصر وجزر البحر الأبيض المتوسط ، وضربوا الجزية على عاصمة عواصمهم القسطنطينية ، وقضوا على دولة الفرس ، وأوغلوا شرقا حتى وصلوا الى أسوار الصين ، ولم يدعوها حتى فرضوا عليها إتاوة سنوية ، ونزلوا الى شبه جزيرة ايبيريا فى غرب أوروبا فامتلكوا الأندلس بعد أن دان لهم شمال القارة الأفريقية ، وما عادوا من جوتهم هذه حتى كان لهم ملك لا تغرب عنه الشمس ، ولم ينبغ لامة كانت قبلهم أو جاءت بعدهم الى يومنا هذا .

كل هذا كان فى نحو خمسين سنة ، وهى طفرة لم تشاهد فى أية حركة اجتماعية ولا لأشهر الأمم الفاتحة للأرض ، وهى الأمة الرومانية ، فإنها لم تبلغ غاية توسعها إلا فى ثمانمائة سنة ، ولم تصل الى مثل ما وصل اليه المسلمون فى تلك المدة .

والعجب العاجب فى هذا الأمر أن المسلمين استطاعوا بفضل العدل الذى عاملوا به مقهوريههم ، والمطف الذى أظروه نحوهم ، والنظام الذى أداروا به ممتلكاتهم ، أن يحفظوا وحدة هذه الأمبراطورية التى لم تشهد الأرض مثلها ، فلم تشق عصا الطاعة

عليهم ، ولم تحاول التغلّت من سلاطنتهم ، فكانت الطريقة المثلى التى عاملوا بها الأمم التى خضعت لهم أحفظ لها من جنودهم ومعداتهم .

ومما يجب لفت الأنظار اليه أن هذه الجماعة الاسلاميه لم يبطرها ما نالته من تبسط فى الأرض ، فأخذت تستغل هذه الأقطار لتعيش عالة عليها فى ترف وخفض وبذخ ، كما فعلت جميع الأمم الفاتحة قبلهم ، ولكنها شرعت تنظم وجودها ، وتضع أحكم القوانين لإراحة مقهوريهها ، وأخذ آحادها يبحثون عن حقائق العلوم من أغزر مناهلها ، وعن أسرار الصناعات والفنون من أخفى مظانها ، فلم يمض عليهم قرنان حتى جمعوا بين أطرافها ، ومزجوا بين عناصرها ، فأصبحوا تحفظه كنوزها ، وكشفت رموزها ، وصاروا للعالم كله أئمة فيها ، فنشروها حيث وطئت أقدامهم ، فكانت بسبيهم نهضة عالميه تولدت منها العلوم والفنون التى ابتنى عليها صرح المدينة الحاضرة .

هذه كلها حقائق معترف بها لا يختلف فيها مؤرخان فى الأرض ، حتى من الذين يتوردون على الاسلام ويحاولون الغض منه . فنحن والحالة هذه إزاء حادث عالمي خطير قامت به أمة تألفت على غير السنن المعروفة فى قيام الجماعات البشرية . وكما كان لكل مجتمع روح تقويمه وتهيمن عليه ، وتمده بما يحتاج اليه من العوامل والبواعث ، وتهيئه للدخول فى الأطوار التى يقتضيها وجوده ككائن حي نام ، كان لابد للباحث فى حقيقة الاسلام من أن يحلل الروح الاسلاميه التى ألفت عناصر هذا المجتمع وتولته حتى قام بما قدر له أن يقوم به من الحوادث العالميه .

هذا هو موضوع بحثنا الجديد فى هذه المجلة سنقوم ، إن شاء الله ، بنشره فى مقالات متتابعة ، كما نشرنا البحث الذى تقدمه ، مستمد من الله التوفيق ، وهو يتولى المؤمنين م

محمد فريد وجدي

التفسير

سورة الرعد

- ١٠ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ . اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ . وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا بَ) .

سبق لنا القول بأنه بعد أن سبقت تلك الآيات البيئة تجلو تلك الحجج البالغة والبراهين الدامغة ، دالة على قدرة الحق جل جلاله ، وجالية للبيان الصدق الذي لا يعرض له شك ولا ريب ، ثم ضرب له المثل الموضح للفرق بين الحق والباطل وتجلي الأمر تماماً ، ولم يبق إلا أن توجد عين تبصر وأذن تسمع وقلب يعي ، جاء قوله تعالى : « أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى » ، فكان بيننا تمام البيان أنه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

وكذلك سبق لنا القول بأن ما تلاه الله علينا من هاتين المجموعتين التاليتين من الآيات الكريمة تفصيل وتصريح وتوضيح لما تضمنه الحكم السابق من عدم الاستواء.. فالمجموعة الأولى موضحة لحال من علم أن ما أنزل اليه صلى الله عليه وسلم من ربه هو الحق، وهو قوله تعالى: «الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق» الى قوله: «سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار». والمجموعة الثانية موضحة لحال من هو أعمى لم يبصر الحق، وقد وضع وضوح الشمس، وهو هذه الآيات، أى قوله تعالى: «والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه» الخ، فتكون هذه المجموعة من الآيات مقابلة للمجموعة السابقة، وهما معا موضحتان لعظم الفرق بين من يعلم أن ما أنزل اليه صلى الله عليه وسلم من ربه هو الحق، وبين من هو أعمى.

والنقض فى البناء والحبل والغزل والعهد ونحوها: إبطال ما هو محكم منها. وعهد الله ما ألزمه عباده وكلفهم إياه ووصاهم به، فمن المفسرين من حمله على عموم التكاليف، ومنهم من أرجعه الى ما أشير إليه فى قوله تعالى: «ألست بربكم». وبين المعنيين تقارب، فقد أشير فى «ألست بربكم» الى ما ركب فى نفس الانسان من آيات دالة على عبوديته ووجوب خضوعه لربه، إذ كان لا وجود له من نفسه، ولا يملك لها نفعا ولا ضرا، وهو فى كل حالة فى شدة الحاجة الى من يمنعه الوجود، ويمده بالنعم التى لا يفقه من أين جاءت ولا كيف ركبت إلا بما وهبه موجد الأسمى. فهو متقلب فى نعمه، خاضع لحكمه، مقهور بقدرته. فأدلة ربوبية الله له متجلية فى كل شأن من شئونه، وقد وهبه قوة الإدراك التى متى استعملها ووجه نظره معها الى تعرف حالته، نطق واعترف بربوبيته. فإذا سئل: ألست بربكم، لم يسهه إلا أن يجيب ببلى. فإذا سئل: أليس من الواجب عليك أن تمتثل أمر ربك وتبتغى مرضاته وتشكر نعمته وترجو رحمته وتخاف عذابه؟ لم يسهه إلا أن يجيب ببلى، فإذا سئل: هل يسمعك أن تصمى أمره وتخالف عهده وتخالف عبدا اصطفاه لهدايتك وإرشادك؟ لم يسهه إلا أن

يقول كلا . فإذا قيل له : فهؤلاء الأنبياء عبيدى وصفوتى أرسلتهم إليك يعلمونك ما يجب عليك أن تفعله وما يجب عليك أن تجتنبه لتجوز مرزقاى، فهل أنت على استعداد لتلقى رحمتى عن طريقهم باختيارك كما وهبتك رحمتى ونعمى من قبل تتوالى عليك بدون شعور منك ولا توسط اختيارك، أفأنت مستعد لطاعتهم وقبول شريعتهم؟ لم يسعه إلا أن يقول إى وربى !

هذا هو عهد الله الذى لا تجد نفس مهما كبر غناها وصعب قيادها مخلصا للتملص منه . فهو عهد « ألت بربكم » بالأصالة ، وهو عهد الايمان بالرسل الذين أيدم الله بالمعجزات شاهدة بصدقهم فى التبليغ عن ربهم ، وهو عهد ركب فى الفطرة ، وهو عهد أعطى بالاختيار بالايمان بالرسل ومبايعة المؤمنين لهم ، والذين يبايعون الأنبياء إنما يبايعون الله . أفنل هذا العهد كان يصح أن يتطرق اليه نقض أو نقص؟ عهد ركب فى الفطرة ، ووثق بالاعتراف للأنبياء ، بل وثق قبل ذلك باعتراف النفوس قاطبة بمقتضاه ، إذ لا تكاد تجد نفسا مهما عنت وتكبرت إلا وهى تشعر فى قرارتها بأن فوقها قوة مهيمنة عليها ، مالمكة أمرها ، وهبتها هذا الوجود وهذه القوى ، وهى برصد أن تستردها منها . ولئن خفى هذا الاعتراف حيننا من الدهر حين توافر النعم فلا بد أن يتحرك حين زوال بعضها . ومن لم تمنطفه النعمة ردعته النعمة « وإذا مسّ الانسان الضرّ دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما » هكذا شأن الانسان كافرا كان أو مؤمنا . هذا عهد الله أشربته النفوس ، واعترفت به فوقته باعترافها . وهذا عهد الله أبلغه للناس على لسان الرسل فوثقوه بالايمان بهم .

والخلاصة أن عهد الله وصاياه وتكاليفه لعباده ، وميثاقه قبوله والاعتراف به . وهذا متحقق فى كل طائفة من طوائف الناس مؤمنا كان أو كافرا ، عاصيا كان أو طائعا ، وهو واضح لدى كل امرئ متى نظر فى نفسه لا يخفيه عنه إلا أن يصاب بعمى فى بصيرته ، فيتردى فى الهاوية ، ويكون مأواه جهنم وبئس المهاد : « أفن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى » ؟

وأصل الميثاق من وثيق به إذا أمن جانبه ، يقال على الاعتراف والإقرار ، لأن من أقر بشيء فشأنه يكون قد أمن إنكاره وخروجه عما اعترف به .

وظاهر أن هذا من الآية الكريمة مقابل لما سبق في صفة المؤمنين من قوله تعالى : « الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » . وواضح أن في إضافة العهد الى لفظ الجلالة من التنويه به وتفخيم أمره مافيه ، فالحمد أيا كان يجب الوفاء به ، فما بالك بعهد بين الله وبين عباده ، وما بالك به وقد وثقوه بقبوله والاعتراف به ؟ فكيف يكون للوفاء به من عظيم المنزلة ، ولم يكون لنقضه من فظاعة وشناعة !

وقوله : « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل » مقابل لقوله جل شأنه : « والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل » . وهو إشارة الى الأعمال نفسها التي كلفوها ، بعد ما أشير اليها من حيث مصدرها الذي أوحى بها وعهد بها اليهم . فهذا نعى عليهم في مخالفة الأعمال نفسها ، والأول نعى عليهم من جهة مخالفة من عهد بها . ويصح أن يكون الأول إشارة الى اقتلاع نفس الإيمان ، وهذا إشارة الى العصيان بالأعمال . وقد استوفينا في تفسير الآية السابقة بيان ما أمر الله به أن يوصل ، فعساك ترجع اليه وهو قريب فتتعرف به ما هنا .

وقوله : « ويفسدون في الأرض » تشنيع ثالث عليهم في نقضهم العهد ، ولكن باعتبار الآثار السيئة المترتبة على تلك المخالفة ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل . وهذا يتضمن الإشارة الى أن ما أمر الله به أن يوصل ما كان إلا ما هو صلاح في الأرض ، واستقامة لعمارة الكون : من تهذيب النفوس ، وردعها عن غواياتها ، وتوجيهها الى مافيه مصلحتها . فكل مخالفة تقع فهي نقيض لما قصد من الثمرات بذلك الأمر الرباني . فإذاً يكون هذا فسادا في الأرض . والفساد في الأرض لا بد أن يكون له الأثر السيء يس الجميع عن قرب أو عن بعد . فهم بهذا القطع أعداء أنفسهم ، إذ هم يحجرون اليها الفساد وهم لا يشعرون ، فاجزاء من كانوا على هذا النمط السيء ؟ هذا هو ما أفيد في قوله تعالى : « أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

لقد يقول قائل : قد ذكر في صفة المؤمنين تسع صفات ، وذكر في صفة هؤلاء ثلاث ، وقد قبول الوفاء بالعهد وصلة ما أمر الله به أن يوصل بما يقابلهما ، واقتصر بعد ذلك في المقابل على الإفساد في الأرض ، فهلا ذكر مقابل البواقي كما ذكر مقابل الأولين ؟

والجواب أن الوفاء بالعهد وصلة ما أمر الله به أن يوصل هما الأساسان الشاملان للذات ينبنى عليهما باقي التفاصيل ، ولهما ولما يقابلهما المقام الأول في استحقاق الثناء أو الذم . وأما ما ذكر بعدهما في الصنف الأول فهو مما لا سبيل إلى حصوله إلا بعد تحققهما . وانظر إلى خشية الله ، والخوف من سوء الحساب ، والصبر ابتغاء وجه الله ، وإقامة الصلاة ، والإيفاء سرا وعلانية ، ودرء السيئة بالحسنة ، تجدها كلها لا تكاد تجرى إلا من اتصف بتينك الصفتين السابقتين : وفاء العهد ، وصلة ما أمر الله به أن يوصل ، وهو الإيمان بأنبيائه ورسله . وعلى فرض أن يجري شيء منها ممن لم يتصف بهاتين الصفتين فلا اعتداد به ، فيكون اقتلاع الصفتين الأولين ، وهما وفاء العهد والصلة ، بمثابة الاقتلاع لهذه البقية ، حتى لو حصلت فلا اعتداد بها ، فهي أولاً كمالات إنما تنتظر من اتصف بالأساس ، وثانياً أنها لو فرض حصولها بدونهما فهو من البنيان على غير أساس . ولقد جرى بدلهما في بيان حال ذلك الصنف الأعمى بما هو أشد وأنكى ، وهو شرح الآثار المترتبة على ترك ذينك الأساسين ، ألا وهو الفساد في الأرض ، وكفى به تشنيعاً عليهم ونمياً على مصيرهم وآثارهم . ومن ناحية أخرى ترى بعض ما ذكر في الصنف الأول من باب الترقى في الكمال ، وهذا لا تكون مخالفته سبباً في العقاب ، فإن كون المرء يستوفي حقه إذا أسىء ولا يدرأ السيئة بالحسنة قد أباحه الله ، فلا يحسن ذكره في باب موجبات العقوبة . وكذلك ليس ترك الإيفاء سرا وعلانية مما يوجب اللعنة ، ولكن الإيفاء ودرء السيئة بالحسنة والصبر ابتغاء وجه الله مما يستحق به صاحبه عقبي الدار : جنات عدن ، فحسن ذكره في الأول ، ولم يكن له محل في الثاني .

بقي أن يقال : قد ذكر الموصول مكررا في الأول ومرة واحدة في الثاني . ولعل السر في ذلك إبراز تلك الصفات الجليلة على وجه يجعل كل صفة منها محل قصد بالتنويه ، وأنها حيث وجدت استحق صاحبها بها ما يستحق ، ويبان أن الصفات في الثاني مما يجر بعضها الى بعض ، فتى ابتلى أحد بإحداها ارتكس في سائرها ، فمن نقض عهد الله فهو البتة قاطع لما أمر الله به أن يوصل ، وهو لا بد أن يكون من المفسدين في الأرض ، فهم وإن تعددت قبائحهم فهي مرتبطة يجر بعضها الى بعض ، فليحذر من أيها السكى لا يقع في باقيها .

أما قوله تعالى : « أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » فقد قلنا في مثلهما إن الإتيان باسم الإشارة راجعا الى موصوف بصفات متعددة ، يفيد استحضار ما رجع اليه بكل صفاته ليبين أنه استحق الجزاء بسبب ما قام به من تلك الصفات ، فكأنه قيل هنا إنهم بسبب ما ذكرنا في شأنهم قد استحقوا اللعنة أى الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، ولهم سوء الدار . والدار هي جهنم ، وسوءها عذابها ، أو الدنيا ، والمعنى سوء عاقبة الدار . ولم يصرح بلفظ عاقبة لأن عاقبة السوء لا تستحق أن تسمى عاقبة . كيف وقد قال تعالى : « والعاقبة للمتقين » . فكأنها عاقبة ياليتها لم تكن عاقبة . أو المراد الدنيا ، وسوءها ما استحقوه فيها من سخط وتعرض لغضب الله ومقته ، فهم ما أفادوا من دنياهم إلا ما أوجب صب الغضب واللعنة عليهم ، وكفى بهذا سوءا من هذه الدار . والتعبير بكلمة لهم دون عليهم وهي مقتضى الظاهر ، للإشارة الى أن هذا قد أصابهم استحقاقا بما كسبوا لا أنه أمر فرض عليهم فرضا بدون استحقاق .

لقد كانوا يعزون بما أوتوا في الدنيا من بسطة في الرزق ويجعلونه كالبرهان على أنهم هم السعداء المستحقون للكرامة ، قائلين من ذا الذى يستحق التكريم ويضمن له الفوز بكل خير إلا أهل الثراء ، وهم من أول أهل الثراء ؟ ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار !! لا جرم رد الله عليهم زعمهم الباطل ، وبين الحقيقة الصحيحة

والحق الصريح ، وهو أن أمر الرزق أمر منوط بمشيئة الله يدبره بحكمته ، ويخضعه لنظام سنّه في هذه الحياة ، وذلك لا شأن له بأحكام الآخرة وإحراز سعادتها ، فلا ينبغي الاغترار بما أوتوا من سعة رزق في الحياة الدنيا ، فيفهموا منه أنهم هم المقربون عند الله في الآخرة ، لا لا « الله يبسط الرزق لمن يشاء ، ويقدر ، وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع » .

لعلك لمحت وجه اتصال هذه الآية بسابقاتها ، وأنها بسبب منها ، تنمى على الذين كفروا سوء تقديرهم وفاسد أوهامهم ، وتسد عليهم طرق تعللهم ، فتحكى ما يجيش بصدورهم من فرح وأشر وبطر ، وتطوح في الأحكام والتقدير ، وزعمهم أنهم الخاصة المقربة المحبوبة التي وقف عليها وحدها سعادة الدارين ، مغترين بما أوتوا من بسطة في الرزق ، قائلين - وقد تسمعها جهارا من بعضهم : أفيظفر ذلك الصعلوك بالسعادة ويحرم منها هذا العظيم الجليل القدر ، كيف هذا وكيف يفهم ؟ والجواب أن ما أنتم فيه من رغد وبسط عيش هو فعل الرب القادر المختار الحكيم فيما يفعل ، وقد بسط لكم في الرزق ، والله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لمن يشاء ، وما فرحكم بما أوتيتم إلا فرح بمتاع زائل وظل حائل ، وما أمر الآخرة وسعادتها إلا منوط بتقوى الله واتباع هدايه ، وليس بين هذا المتاع الدنيوى وبين سعادة الآخرة ارتباط ، إلا من شكر الله على نعمته وقام بحق العبودية « إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وإن تشكروا يرضه لكم » . أما أن نعمة الرزق في الدنيا هي السبيل في الآخرة للسعادة ، وأن تقديره في الدنيا قاطع عن سعادة الآخرة ، فلا سبيل إليه ، فلتفرحوا بدنيا كم فدونكموها فاقنعوا بها إن شئتم ، فقد ضيعتم على أنفسكم الحياة الحقيقية ، وإنّ الدار الآخرة لهى الحيوان . وإذا فتحت أبصاركم ، وجعلتم الحياة الدنيا متاعا موصلا للآخرة ، فذلك ما ينبغي أن يشره العقل الصحيح ، وهو الأثبه بمن يزعم لنفسه الرأى والتفكير . فيكون قوله : « وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع » يحتمل

أن « في » بمعنى للمقايسة، أى ما هي في جانبها وبالمقاياس إليها إلا متاع حقير لا يؤبه له .
 ووجه هذا الاستعمال أن من يقيس شيئاً بشيء يجعله غالباً في جانبه ، فهى كقولها :
 « ذنوب العبد في رحمة الله كقطرة في بحر » أى إذا قيس هذا بهذا الخ . ويحتمل على
 بُعد أن يكون معنى متاع أنها متاع للأخرة مقصودة على أن تكون وسيلة لها ،
 لا أنها هي محط القصد الذاتي حتى يقصروا فرحهم عليها ويعرضوا عن النعيم المقيم
 والثواب العظيم . وهذا وكون معنى (يقدر) يضيق ، مأخوذ من قولهم : جعل كذا
 قدر كذا ، أى لم يزد عليه . فالعنى جعل رزقه كفافاً على قدر حاجته لم يعطه سعة من
 العيش ، بل أعطاه على قدر ما يستطيع أن يعيش به وكفى .

قال تعالى : « ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل إن الله يضل
 من يشاء ويهدي إليه من أناب » .

لقد رأيت الآيات البينة تترى في هذه السورة من أولها ، وكلما انتهت آية تلتها آية ،
 وكلها حجج بالغة وبراهين قاطعة دالة على ما سيقت له أوضح دلالة ، وشاهدة بصدق
 ما ادعاه صلى الله عليه وسلم من قدرة ربه وسعة علمه وباهر حكمته ، الى غير ذلك
 مما سبق . ثم لم يكفهم هذا كله فيجئ منهم ذو الوجه الجامد من الكافرين ويقول :
 « لولا أنزل عليه آية » كأن هذه الآيات كلها ليس فيها آية « ولو فتحنا عليهم باباً من
 السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن مسحورون »
 « إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب
 الأليم » لا لا ، ليست المسألة إنزال آية ، فقد أنزلت الآيات والنذر ، وأيد صلى الله عليه
 وسلم من ربه بما فيه مقنع لمن ألقى السمع وهو شهيد ، ولم يبق إلا أن يرى مبصر ويسمع
 واعى فليس الأمر أمر آية ، وإنما هو ما أمر به نبيه أن يقوله لهم بقوله عز من قائل :
 « قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب » فمن يضل الله فلا هادى له ومن يهد الله
 فلا مضل له . وكيف يطلبون إنزال آية وهذا القرآن يتلى عليهم وكل جزء منه آية ؟ !

ولقد تنوعت وجوه الإعجاز فيه حتى لم يبق عذر لمعتذر ولا علة لمعتل . لقد جاء فيه الإعجاز البلاغي مع تحدى القوم البلغاء الذين أفنوا عمرهم في تحيّر الأساليب البلاغية حتى بزوا فيها العالمين وبلغ من عنايتهم بها أن دونوا ما شهدوا له بالبلاغة في أقدس الأمكنة مكتوباً بأعلى مداد ، فالذين جعلوا البلاغة ديدنهم قد تحداهم القرآن فما جراً واحداً منهم أن يتصدى لمعارضته ، وما كان أقدرهم - لو أن الأمر عادى - على أن يقول بليغهم ما يقول ويشهد له بقيتهم بما يريد من الترجيح ، ولكن القوم كانوا أعقل من أن يتصدوا للافتضاح ، فرضوا بمقارعة السيوف ، تأكلهم الهزيمة ، ويفنهم السيف ، ويجلّون عن ديارهم ، ولم تحدّثهم أنفسهم أن يتصدوا لمعارضته ، اللهم إلا ما فؤنا فضح نفسه بنفسه ، فكان الأضحوكة والسخرية . ومن قهر مثل هؤلاء فهو لغيرهم أقهر .

وغير البلاغة تجسد فيه من وجوه الإعجاز شتى الأنواع . فن البراعة في التشريع الإلهي والاجتماعي والخلقي ، الى الاخبار بالمغيبات الماضية أو المستقبلية .

ولو لم يكن فيه من الأخبار المستقبلية سوى التحديث عن كانوا ينازعونه من أهل الكتاب أنهم لن يحصل من أحدهم تمنى الموت فلم يحصل ، لكفى ، ذلك قوله تعالى : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصةً من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنّوه أبداً » . أفترى لو كان الأمر عادياً كان يجوز أن يتورط عاقل فيقول : إن آية صدق أنه لا يقول أحد منكم ليتنى أموت ؟ أفيأمن أن يجيئ مكابر ويقول هذه الكلمة الخفيفة ، فيقيم بها الدليل على أن ذلك المتحدى لم يتحر الحقيقة ؟ وهل لو قالها كان يستطيع المدعى أن يقول أنت تقولها بلسانك ؟ إذاً يقال له : فن أين لك هذا ، لقد أخبرت أنا لن تمنى الموت ، وها أنذا أتمناه . وكما كان يكون لها من صدق ولا سيما عند قوم كانوا يتلمسون له هفوة يتمسكون بها ، حتى إنهم حينما قال قائلهم عند نزول قوله تعالى : « إنكم وما تعبدون من دون الله حصَبُ جهنم » قال : أليس عيسى قد عبد ؟ أليست الملائكة قد عبدوا ؟ فقاموا يحيصون فرحين بحجة أوتوها حتى

قال صلى الله عليه وسلم : « ما أجهلك بلغة قومك : ما لما لا يعقل ! » فهت و بهتوا .
 فقوم كان حرصهم على تلمس أوهى الحجة بهذا المقدار هل كانوا يفوتون على أنفسهم
 هذه الفرصة تعطى لهم من قبل خصمهم ، يقول لهم : إني أحدث عن ربي أنكم لن تستطيع
 أحد منكم أن يقول ليئني أموت ، فينظرون إليه واجبين ولا يلفظ فم أحدهم هذه الكلمة
 الخفيفة وفيها نجاتهم من سبي نسايتهم وقتل رجالهم ! اللهم إن الأمر أبين من أن
 يتوقف على آية ، ولكن الله يضل من يشاء ويهتدي إليه من أناب .

ولا تظن أن الآيات التي أيد بها المصطفى صلى الله عليه وسلم مقصورة على القرآن ،
 وإن كان هو أعظمها شأنًا ، وهو الباقي من بينها مسيرا للشريعة الباقية بقاء الدهر حتى
 لا يدخل فيها أحد على غير بينة ويقول : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم
 مقتدون » لا لقد أيد صلى الله عليه وسلم بآيات حسية من نبع الماء من بين أصابعه
 وحنين الجذع ، ورد عين قتادة ، وشق القمر ، وكشف بيت المقدس له وهو في مكة حتى
 وصفه لهم وصف من يشاهد ، ورؤية العير قادمة من الشام والتحديث عنها بأنها ستصل
 وقت كذا ، وغير ذلك مما بلغ مجموعه حد التواتر حتى لو كان بعض تلك الآيات قد روى
 آحادا فلا شك أن المجموع متواتر ، وهذا ما يسمى بالتواتر المعنوي كجود حاتم ،
 وشجاعة على . فالوقائع الجزئية فيهما تروى آحادا ولكن المعنى المشترك بينهما متواتر
 لا يقبل الشك ولا التشكيك .

هذا وكلمة «أناب» معناها رجع ، كأنها من النوبة ، أى رجع الى نوبة الخير وارتداد
 الحق والصواب . والتعبير في جانب الهداية بقوله : «إليه» أى الى دينه وشريعته والتقرب
 منه ، وترك ذلك في جانب الإضلال لبيان أن الهداية لها وجهة معينة يتجه اليها المهتدي
 وهى الزنى الى ربه ، بخلاف الضلال فإنه سير على غير هدى وكدح فى غير غاية ، فهو
 متخبط متردد متحير ، فلا وجهة له ولا غاية يرمى اليها . واختيار صيغة المضارع فى يشاء
 لبيان أن ذلك يتجدد بتجدد مشيئة الله حسبما يليق بكل شخص شاء إضلاله . واختيار

الماضى فى جانب الاهتداء ليبحث من نذت منه نفسه وشرده عقله على أن يكبح جماحه
ويكفكف من غربه ، ويرجع نفسه الى تلقى الهدى من ربه ، فإنه متى استعد لقبول
هداه أسعفه مولاه ، فكان الاستعداد لقبول سابق على منح السؤل .

نسأل المولى القدير أن يهبنا هدايته ، ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه
حتى نكون من المنيبين اليه ، فتفيض علينا الهداية من لديه ، فهو نعم المولى ونعم النصير !
ابراهيم الجبالى

احتمال المشاق فى سبيل الرغائب

قال امرؤ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤئل وقد يدرك المجد المؤئل أمثالى

وقال أبو تمام الطائي :

أعاذلتى ما أخشن الليل مركبا وأخشن منه فى الملمات راكبه
ذرى وأهوال الزمان أقاسها فأهوالها العظمى تليها رغائبه

وقال كعب بن زهير :

وليس لمن لم يركب الهول بغية وليس لرحل خطه الله حامل
إذا أنت لم تعرض عن الجمل والحنأ أصبت حليما أو أصابك جاهل

وقال بليغ :

من لم يركب الا هوال لم ينل الرغائب ، ومن طلب العظامم خاطر بعظيمه .

وقال حكيم :

لا ينبغي للعاقل أن يكون إلا فى إحدى منزلتين : إما فى الغاية من طلب الدنيا ، وإما فى
الغاية من تركها . ولا ينبغي له أن يرى إلا فى مكانين : إما مع الملوك مكرما ، وإما مع العباد
متبتلا . ولا يعد الغرم غرما إذا ما ساق غنما ، ولا الغنم غنما إذا ساق غرما .

وقال عمر بن عبد العزيز لذكين : إن لى نفسا تواقه ، وإن نفسى تافت الى أشرف منازل الدنيا
فلما بلغته وجدتها تنوق الى أشرف منازل الآخرة .

ولا يخفى أن عمر بن عبد العزيز هذا تولى الخلافة فكان أعذل خلفاء بنى أمية .

تشریح المیت

رد علی رد

کتبتنا فی العدد السابع والثامن من السنة الماضية من هذه المجلة كلمة عن تشریح المیت . وقد رأينا للشيخ العربي (بوعیاد الطنجی) ردا علينا ببعض المجلات ، نفك اليوم علی أم ما جاء فيه ، ثم نعلق علیه بما یحق الحق ویبطل الباطل إن شاء الله ، فنقول : إن فتوانا فی تشریح المیت بمجلة كثيرا ، فإننا لم نعرض فیها لجزئية خاصة ولا لحادثة معينة ، ولم نطلق فیهِ الجواز إطلاقا بل قیدناه بالضرورة ، وجعلناها علة الحكم الذى یدور معها وجودا وعدما . وقد حذرنا فی آخر کلماتنا الأطباء وأولى الأمر من التوسع فی ذلك الموضوع ، وأمرنا أن یقتصروا علی قدر الضرورة ، وقلنا لهم : « إن الناقد بصیر والمیمن قدير » . وهذا صریح فی أننا نطالبهم بالاعتصار علی مقدار الضرورة ولا نبیح لهم أن یتجاوزوها بحال من الأحوال ، خصوصا فی کلماتنا الثانية التى بالعدد الثامن . ومن المعلوم الذى لا شک فیهِ أن هناك من الضرورات ما یمجب أن نحکم معه بجواز تشریح المیت ، كما إذا توقفت تبرئة ساحة متهم ظلما علی تشریح المیت الذى یتظهر منه أنه غیر مجنى علیه مثلا . ویقول صاحب الرد :

« معلوم أن شهادة هؤلاء المشرحين غیر معتبرة شرعا ولا مقبولة فی مذهب من مذاهب الاسلام حتى تثبت عدالتهم »

ونقول له أولا : إن هذا حکم قاس جدا ، فإن كثيرا من الأطباء لا یشک فی صدقهم وعدالتهم . علی أن ذلك من باب الأخذ بالقرائن التى یتبرها الشرع ، كما ینه ابن القيم فی السياسة الشرعية ، وصاحب معین الحکام وغیرهما من المحققین ، وستسمع شیئا عن القرافى المالکى فی ذلك .

والدين لا يهمل الحقيقة متى ظهرت، ولا يعدو الحق متى تبين. وهكذا يجب أن نفهم الدين وننزل الوقائع عليه. ونحن في زمان قلما نصل فيه الى الاثبات الشرعى من طريق واحد، فلا يجوز أن نهمل بقية الطرق التى تؤيدنا اليها، بل قد تجعلها لمس اليد ورأى العين. وقد طبق العلماء كثيرا من تلك الجزئيات على ما جاء فى الشريعة من قواعدها العامة وكلياتها التى تسع ذلك كله على ما تستمع، علما منهم أن الشريعة الاسلامية يمكن تطبيق أصولها الكلية وروحها التى لا تعرف إلا الحق ولا تريد إلا جلب المصاحبة ودرء المفسدة على كل ما يعرض للناس من أحوال وأقضية بمقتضى نظرهما السامى وحكمتها البالغة.

فروحها الذى هو تنزيل من حكيم حميد يبعث فى أحكامها العادلة كل معانى الحيوية والنمو والصلاحية لكل ما يرقى العمران، ويعود بالخير على بنى الانسان فى كل زمان ومكان. فإذا أمكن أن نخلص مسلما من المسلمين يتهم ظلما بما هو برىء منه بأى طريق من الطرق دون أن نحتم على أنفسنا سلوك طريقة واحدة قد لا تصل بنا الى الغاية المنشودة من إحقاق الحق وإقراره فى نصابه، وجب ذلك وتحتم علينا أن نخلص المسلم ونحقق دمه ما أمكن، وأن نحافظ على حقوقه ما وجدنا الى ذلك سبيلا. وارتكاب أخف الضررين واجب بالاتفاق. وهى قاعدة من القواعد التى اتفق عليها العقل والنقل. وأرأى مسوقا لأن أنقل لك عبارة القرافى المالكى بطولها فى كتاب الذخيرة لما لها من المناسبة التامة لهذا المقام، وما فيها من الفوائد الجملة التى تناسب حكمة الشريعة ونظرها البعيد، قال رحمه الله :

واعلم أن التوسعة على الأحكام فى الأحكام السياسية ليس مخالفا للشرع بل تشهد له الأدلة المتقدمة، وتشهد له أيضا القواعد الشرعية من وجوه :
(أحدها) أن الفساد قد كثر وانتشر بخلاف العصر الأول، ومقتضى ذلك اختلاف الأحكام بحيث لا تخرج عن الشرع بالكلى، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر

ولا ضرار . و ترك التوسعة التي تقتضيها السياسة الشرعية مؤد الى الضرر لا محالة .
ويؤكد ذلك جميع النصوص الواردة بنفي الحرج .

و (ثانيها) أن المصلحة المرسله قال بها جمع من العلماء - خصوصا المالكية - وهي المصلحة التي لم يشهد الشرع باعتبارها ولا بإلغائها . ويؤكد العمل بالمصالح المرسله أن الصحابة رضی الله عنهم عملوا أمورا كثيرة لمطلق المصلحة لا لتقدم شاهد بالاعتبار ، نحو كتابة المصحف ، ولم يتقدم فيه أمر ولا نظير . وكذلك ترك الخلافه شوری بين ستة ، وتدوين الدواوين ، وعمل السكة للمسلمين ، واتخاذ السجن ، وغير ذلك مما فعله عمر وغيره من الصحابة رضی الله عنهم ، كهدم الأبنية التي بإزاء المسجد ، أعنى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، والتوسعة بها في المسجد عند ضيقه ، و حرق المصاحف وجمعهم على مصحف واحد ، وتجديد أذان الجمعة بالسوق مما فعله عثمان رضی الله عنه ، وغير ذلك كثير جدا فعل لمطلق المصلحة .

و (ثالثها) أن الشرع شدد في الشهادة أكثر من الرواية لتوهم العداوة ، فاشتراط العدد والحرية ، ووسّع في كثير من العقود للضرورة ، كالعرايا والمساقاة والقراض وغيرها من العقود المستثناة ، وضيّق في الشهادة في الزنا ، فلم يقبل فيه إلا أربعة يشهدون بالزنا كالرود في المكحلة ، وقبل في القتل اثنين ، والدماء أعظم ، لكن المقصود الستر ، ولم يحوج الزوج الملاحن إلى بينة غير أيمانه ، ولم يوجه عليه حد القذف بخلاف سائر القذفة لشدة الحاجة للذب عن الأنساب ، وصون العيال والفرش عن أسباب الارتياح . وهذه المباینات والاختلافات كثيرة في الشرع لاختلاف الأحوال ، فلذلك ينبغي أن يراعى اختلاف الأحوال والأزمان ، فتكون المناسبة الواقعة في هذه القوانين السياسية مما شهدت لها القواعد بالاعتبار ، فلا تكون من المصالح المرسله ، بل أعلى رتبة ، فتلحق بالقواعد الأصلية .

و(رابعها) أن كل حكم في هذه القوانين ورد دليل يخصه أو أصل يقاس عليه . الى أن قال : وإن لم نجد في جهة إلا غير العدول أقمنا أصلهم وأقلمهم فجورا للشهادة عليهم . ويلزم مثل ذلك في القضاة وغيرهم لثلاث تضييع المصالح وتمتعطل الحقوق والأحكام (وما أظن أن أحدا يخالفه في هذا ، فإن التكليف مشروط بالامكان) . وإذا جاز نصب الشهود فسقة لأجل عموم الفساد ، جاز التوسع في الأحكام السياسية لأجل كثرة فساد الزمان وأهله . وقد قال عمر بن عبد العزيز : سيحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور . قال القرافي : ولا نشك أن كثيرا من قضاة زماننا وشهودهم وولاتهم وأمنائهم لو كانوا في العصر الأول ما ولوا ولا عرج عليهم ، وولاية هؤلاء في مثل ذلك العصر فسوق ، فقد حسن ما كان قبيحا ، واتسع ما كان ضيقا ، واختلفت الأحكام باختلاف الأزمان . الى أن قال :

ولذلك قال الشافعي رضى الله عنه : ما ضاق شيء إلا اتسع . يشير الى هذا المواطن . فكذلك إذا ضاق علينا الحال في درء المفاسد اتسع كما اتسع في تلك المواطن . (خامسها) وهو مما يستأنس به — أن أول بدء الانسان من زمن آدم عليه السلام كان الحال ضيقا فأبيحت الأخت لأخيها ، وكذلك أشياء كثيرة وسع الله تعالى فيها . فلما تغير الحال وكثرت الذرية حرم ذلك في بني إسرائيل ، وحرم السبت والشحوم والإبل وأمور كثيرة ، وجعل توبة أحدهم بالقتل لنفسه ، وإزالة النجاسة بقطعها . الى غير ذلك من التشديدات .

ثم جاء آخر الزمان وضعف الجسد وقيل الجسد ، فلطف الله بعباده ، فأحلت تلك المحرمات وقبلة التوبات . فظهر بذلك أن الأحكام والشرائع قد راعى فيها الله تعالى ، وهو الحكيم العليم ، اختلاف الزمان ، وذلك من لطف الله عز وجل وسنته الجارية في خلقه ، وظهر أن هذه القرائن لا تخرج عن أصول القواعد ، وليست بدعا عما جاء به الشرع المكرم . الى أن قال :

ومن الناس من توهوا أن السياسة الشرعية قاصرة عن سياسة الخلق ومصلحة الأمة ، فتعدوا حدود الله ، وخرجوا عن الشرع الى أنواع من الظلم والبدع في السياسة على وجه لا يجوز ، وسبب ذلك الجهل بالشريعة . وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من تمسك بالكتاب والسنة لن يضل . انتهى كلام القرافي ، وهو نفيس جدا ، إلا أننا نحذر الناظر فيه من توسع الجهلاء ومراعاة الأهواء ، ونحتم أن يكون ذلك من أهله العارفين بروح الشريعة المحتاطين فيما يقولون ويكتبون .
ولنرجع الى موضوعنا الأصلي فنقول :

إن من الواضح جدا قياس التشريع لا تقاذ حياة مسلم مثلا على المال الذي قال كثير من الفقهاء : إن المیت يشق بطنه لا إخراج ذلك المال الذي ابتلعه قبل موته . وقد قال الشيخ العربي في قياس تشريع المیت على شق بطنه لا إخراج مال ابتلعه على ما قرره الفقهاء : « إن هذا الفرع باطل في نفسه ، فكيف يالحق به ما هو أبطل منه » ؟

ونقول أولا : إن هذا ليس ردا علينا فقط ، بل هو أيضا في معنى الرد على جميع الفقهاء الذين قرروا هذا الفرع الباطل في زعمه . ولم يقتصر الشيخ العربي على إبطال هذا الفرع الذي قرره الفقهاء وهو شق بطن المیت لا إخراج مال ابتلعه ، بل أنكر أن يكون مرويا عن الأئمة والعلماء ، حيث يقول : « إذ معاذ الله أن يصدر من الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين الموصوفين بالخشية والخوف من الله تعالى وتعميم حرمانه القول بإباحة هتك حرمة المیت المسلم التي أمر الشارع بحفظها ، وجواز بقر بطنه من أجل مال مقدر بنصاب السرقة لا يسمن ولا يغني من جوع الخ » .

فأنت ترى أن الشيخ العربي يتوصل لإبطال القياس بأن ما قرره الفقهاء من جواز شق بطن المیت إذا ابتلع مالا باطلا في نفسه ، وأن الأئمة المجتهدين الموصوفين بالخشية والخوف من الله تعالى لم يصدر عنهم القول بهذا الفرع .

وسیمربك من النصوص، ورواية هذا الفرع عن أئمة المذاهب الأربعة، ما تحكم معه على الشيخ العربي بأنه يرى أن أولئك الأئمة القائلين بهذا الفرع غير موصوفين بالخشية والخوف من الله تعالى . وهذا الحكم عظيم صدوره من أمثال الشيخ العربي . ولا أدري كيف ينكره هذا الإنكار القاطع مع أنه منصوص في كتب الفقه، ونابت عن الأئمة الأربعة، وإن اختلفت فيه الأنظار وتنوعت فيه العبارات ؟ على أنه اعترف به بعد ذلك كما يعلم من مراجعة كلامه .

ولا أدري كيف لم يلتفت الى هذا التناقض الواضح مما يدل على أنه كان يكتب بالعاطفة لا بالتحرى . (ولهذا أوصانا بالغرباء كأننا لم نكتب ما كتبناه إلا بقصد الإضرار بهم) .

هذا ومسألة المال الذي ابتلعه وشق بطنه من أجله ، تكلم فيها العلماء الفطاحل في كل المذاهب كما قلنا .

ولنسق للقارئ الكريم بعض تلك الأقوال ، ولنبدأ منها بكلام المالكية في أشهر كتبهم التي بين أيدينا فضلا عن غيرها ، وسقضى العجب العجيب عند ما ترى تلك النصوص التي جهلها الشيخ العربي وهو من أفاضل علماء المالكية ، والنصوص في أقرب الكتب وأشهرها . فسبحان من يتصرف فيمن يشاء كما يشاء . وهذه هي النصوص :

قال خليل « وبقر عن مال كثر ولو بشاهد ويمين » :

قال الخرشي في شرحه : « البقر عبارة عن شق جوف المیت ، یعنی أن من ابتلع مالا له أو لغيره ثم مات فإنه يشق جوفه فيخرج منه إن كان له قدر وبال بأن يكون نصابا ، وهل نصاب الزكاة أو السرقة ؟ قولان . وقال ابن حبيب بعدم البقر . قال في التوضيح قال شيخنا : ينبغي أن يكون الخلاف إذا ابتلعه لقصد صحيح نخوف عليه أو لمداواة ، وأما إن قصد قصدا مذموما كحرمان وارثه فلا ينبغي أن يختلف

في وجوب البقر لأنه كالغاصب . وقيده ابن بشير بما إذا كان للميت مال يؤدي منه ، وإلا فلا ينبغي أن يختلف في استخراج . ولا فرق بين أن يثبت الابتلاع بينة أو بشاهد ، ويحلف المدعى لذلك معه . واليه أشار بقوله : « ولو بشاهد ويمين » .

وقال في الشرح الكبير للدردير على عبارة خليل السابقة (وبقر) : أي شق بطن ميت (عن مال) له أو لغيره ابتلعه حيا (كثير) بأن كان نصابا (ولو) ثبت (بشاهد ويمين) . ومحل التقييد بالكثير إذا ابتلعه خوف عليه أو لمداواة ، أما لقصد حرمان لوارث فيبقر ولو قل اهـ

وقال الأمير في المجموع وشرحه : (وشق بطنه) أي الميت (عن كثير) نصاب زكاة (ولو بشاهد ويمين) .

وقال الشيخ حجازي في حاشيته عليه عند قوله (نصاب الزكاة) : ظاهره أنه لا يبقّر عن الأقل ولو كدينار مثلا ، مع أن له بالا . ولو قيل يبقّر عماله بال كان أولى . واستظهر الشيخ الأمير في حاشيته إحالة ذلك على العرف وأنه يختلف باختلاف الأحوال .

ولو شئنا لنقلنا لك كثيرا من نصوص المالكية . فلنقتصر على هذا . ولننقل لك نصوص المذاهب الأخرى حتى تعلم أن المسألة معروفة مشهورة لدى أبواب المذاهب الأربعة ، فنقول :

قال ابن قدامة الحنبلي المتوفى سنة ٦٢٠ في شرح المغني عند شق بطن الأم الميتة لإخراج الجنين منها : « ويحتمل أن يشق بطن الأم إن غلب على الظن أن الجنين يحيا ، وهو مذهب الشافعي ، لأنه إتلاف جزء من الميت لا بقاء حى ، فجاز ، كما لو خرج بعضه حيا ولم يمكن خروج بقيته إلا بشق ، ولأنه يشق لإخراج المال منه فلا بقاء الحى أولى » . فأنت ترى أنه في التعليل فاس مسألة الشق لإخراج الجنين على مسألة الشق لإخراج المال قياسا أولويا كما قلنا . الى أن قال ابن قدامة في مسألة المال :

« يحتمل أنه إن كان يسيرا ترك ، وإن كثرت قيمته شق بطنه وأخرج ، لأن فيه

حفظ المال عن الضیاع ونفع الورثة الذین تعلق حقهم بما له بمرضه . ومن جملة ما ذکره احتمالاً أنه یشق إن کان کثیراً للغير ، لأن فیہ دفع الضرر عن المالك برد ماله الیه ، وعن المیت بإبراء ذمته ، وعن الورثة بحفظ التركة لهم .

ولنتقل لك عبارته فی فصل عقده فی بیان ما إذا كان المیت فی بئر فیہ بخار خائق بأن انعدم الاكسوجین الذی هو عنصر الهواء الصالح للتنفس (ج ۲ ص ۴۰۷) لما فیها من زیادة الفائدة و بیان أنظار العلماء فی أمثال تلك المسائل :

« وإذا شك فی زوال بخاره (یرید البئر) أنزل الیه سراج أو نحوه ، فإن انطفأ فالبخار باق ، وإن لم ينطفئ فقد زال ، فإن النار لا تبقى إلا فيما یعیش فیہ الحيوان ، وإن لم یمكن إخراجہ إلا بمثلة ولم یكن الى البئر حاجة ، طمت علیه فكانت قبره ، وإن كان طمها یضر بالمارة أخرج بالكلالیب ، سواء أفضی الى المثلة أو لم یفص ، لأن فیہ جمعاً من حقوق كثيرة : نفع المارة ، وغسل المیت . وربما كانت المثلة فی بقائه أعظم لأنه یتقطع وینتن ؛ فإن نزل علی البئر قوم فاحتاجوا الى الماء وخافوا علی أنفسهم فلم یخرجوها واحداً وإن حصلت مثله ، لأن ذلك أسهل من تلف نفوس الأحياء . ولهذا لو لم یجد من السترة إلا كفن المیت واضطر الحی الیه ، قدم الحی ؛ ولأن حرمة الحی وحفظ نفسه أولى من حفظ المیت عن المثلة ، لأن زوال الدنيا أهون علی الله من قتل مسلم ، ولأن المیت لو بلغ مال غیره شق بطنه لحفظ مال الحی ، وحفظ النفس أولى من حفظ المال اهـ .

هذا كلام ابن قدامة ، وفيه من الفقه والعلم ما تفهم معه أن الفقهاء راعوا حرمة المیت عملاً بالنصوص ما لم تتعارض مع مصالح حقيقية للحی كالإبقاء علی نفسه أو ماله ، ولم یقفوا جامدين عند ظاهر النصوص التي تأمر بإكرام المیت وعدم إهانتہ دون أن ینظروا الى ما یعارضها من أدلة الشرع الأخری .

وقال فی المذهب ، وهو من أعظم كتب الشافعية : « وإن ابتلع المیت جوهرة لغيره وطالب بها صاحبها ، شق جوفه وردت الیه ، وإن كانت الجوهرة له ففيه وجهان :

أحدهما يشق لأنها صارت للورثة فهي كجوهرة الأجنبي . الثاني لا يجب لأنه استهلكها في حياته فلم يتعلق بها حق الورثة . قال شارحه النووي في المجموع : « أما إذا بلع جوهرة لغيره أو غيرها ففيه طريقان ، الصحيح منهما ، وبه قطع المصنف والأصحاب في معظم الطرق ، أنه إذا كان طلبها صاحبها شق جوفه وردت الى صاحبها . والطريق الثاني فيه وجهان من حكاة المتولى والبغوى والشائى أصحابهما هذا . والمشهور للأصحاب إطلاق الشق من غير تفصيل . أما إذا بلع جوهرة لنفسه فوجهان مشهوران ، ذكر المصنف دليلهما قلَّ من يَبين الأصح منهما مع شهرتهما ، فصصح الجرجاني في الشافى والعبدري في الكفاية الشق . »

وقال أبو حنيفة وسحنون المالكي : يشق مطلقا . الى غير ذلك وهو كثير .

فسأله كهذه كثر فيها الخلاف لكونها محل اجتهاد لا ينبغي التنازع فيها ولا كثرة الجدل . ولكل رأيه ووجهة نظره ، مع تأكدنا حسن النية من فضيلة الأستاذ الشيخ العربي .

أما قوله : إن هذا قياس في محل النص مستندا إلى الأحاديث التي تنهى عن إيذاء الميت ، فهو عجيب ، لأن ذلك لو خالف النص لم يكن لهذا الفرع وجود في كتب الفقهاء ، فإنَّ شق البطن إهانة للميت ، وهو مصادم لهذه النصوص على فهم الشيخ العربي . والحقيقة أن الأحاديث التي نهت عن إهانة الميت ليست نصا فيما يريد ، ولا هي واردة في محل النزاع ، فإنَّ موردها فعل ذلك استهانة بالميت كما يفيد سبب ورود الحديث ، وهو أن حفارا أخرج عظاما (ساق أو عضد) فذهب ليكسره فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تكسرها فإنَّ كسرك إياه ميتا ككسرك إياه حيا ولكن دسه في جانب القبر » .

أما محل النزاع فهو ما تتعارض فيه المصاحبة والمفسدة ، ثم تكون المصاحبة فيه أرجح من المفسدة . وقد عرف العلماء ذلك فقالوا ما قالوا في مسألة الجنين الذي في بطن الميت ،

ومسألة المال الذى ابتلعه الميت ، ولم يروا فى ذلك مخالفة لهذه الأحاديث التى ظنّها حضرته
نصوصا فى الموضوع وما هى منه فى قليل ولا كثير .

أما تقدم علم الطب بالتشريح فلم نجعلها أساسا لذلك ، ولكن ذكرناها على سبيل
العلاوة والتكميل كما يعرف من مراجعة كلامنا .

هذا ودعوى أن تشريح الحيوان مثل تشريح الانسان ، كما قال بعض الكاتبين ،
دعوى لا يقرها العلم كما هو معروف . وأبطل منها دعوى أن علم التشريح قد وصل
الى غايته حتى أصبح وليس فيه زيادة لمستزيد . دعوى يضحك منها الباحثون
والمكتشفون . وناهيك ما يقررونه الآن فى الغدد وآثارها العجيبة مما لم يحلم به
الأولون .

ولنذكر لك ما جاء فى بعض أعداد مجلة الهلال إجابة لطلب بعض قراء المجلة
الذين ألحوا علينا أن نتوسع فى ذلك الموضوع الذى بهمهم كثيرا (ولعل الشيخ العربى
يقول إن صاحب الهلال مسيحى ينقل عن المسيحيين ثم يقوم فيرد علينا بذلك) .

ولندع هذا وما يشبه هذا وننقل لك ما جاء فى تلك المجلة ، قال ما خلاصته :

« إن فى الانسان ما يشبه الأضرار الكهربائية إذا ضغطت أثرت فى جسمه نموا
وسمنا وقصرا وطولا وانتقالا من طور الى طور وهلم جرا ، وهذه الأضرار هى الغدد
المنقطعة أى التى تفرز سوائها بدون قنوات . فالسائل يخرج مباشرة الى الدم لانه لا تحمله
الى الأعضاء قنوات خاصة . فالكبد مثلا غدة كبيرة بل هى أكبر غدة فى جسم
الانسان ولكنها ليست منقطعة ، إذ هى تفرز الصفراء فى الأمعاء بواسطة المرارة .
فالمرارة قناة تحمل الصفراء من الكبد الى الأمعاء ، ولكن الغدة الدرقية التى تقع
فى أسفل الحنجرة تفرز سائلها فى الدم مباشرة . فهى لذلك غدة منقطعة » الى أن قال :
« إننا نرى فى الانسان بعد أن يمدو طور الجنين أن تشبيه الغدد بالأضرار الكهربائية
ليس من المبالغات . فبعض الأطفال مثلا تمرض فيهم الغدة الدرقية فيبقون أطفالا

من حيث الذهن ونمو الجسم مدى حياتهم ، ولا يمكن أن يبلغوا سن الرجولة العقلية والجسمية ما لم يغذ دمههم بالغدة الدرقية المستخرجة من الفرس . الى أن قال :

« فنحن الآن في البيولوجية كما كنا في الكيمياء قبل مائتي سنة . فإذا دخلنا في دور التجارب فإننا سنرى العجائب من الغدد . الى أن قال :

« ولسنا ندري الآن على وجه التحقيق ما هي تلك الغدد التي تجعل الأوربي حديد المزاج قوى الطبع في حين أن الصيني خامل الذهن عديم النشاط » ؟ الى أن قال :

« والخلاصة أنه انفتح للغدد ميدان ، وهو كنز واسع لا يزال يعد بكرة أو كالبكر في أيدينا مفاتيحه ، ولكننا لم نتمرن بعد على فتح مغاليقه بها .

ومن ذا يستطيع أن يقول إن العلم له غاية ؟ ويعجبني قول بعضهم : إن الغاية اسم بلا مسمى ، وما يترأى من وجودها فإنما هو بحسب العقل البشرى والخيال الانساني . وهكذا يجب أن تكون سعة الربوبية وتصرفاتها ، وآثار قدرتها التي لا نهاية لها ، والتي يرينا العلم كل يوم من آياتها العجائب والغرائب ، خصوصا في الانسان الذي لا تنتهي عجائبه : « في أى صورة ما شاء ركبك » « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » « ذلك تقدير العزيز العليم . » وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .

فكيف يدعى مدع بعد ذلك كله أن تركيب الانسان مثل تركيب الحيوان ، أو أن علم التشريح بلغ غايته ، والغاية مفقودة المسمى في هذا العالم ؟

أسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم ، وأن يمنحنا الإفراط والتفريط في القول والعمل بمنه وكرمه .

يوسف الدهوى
من هيئة كبار العلماء

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْوَى

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما خلاصته :

في الميراث

رجل توفي عن بنتين ، وابن ابن ، وأولاد أخ شقيق ، فهل يُحرّم أحد من هؤلاء الميراث ، أو يرثون جميعا ؟ وإذا ورثوا جميعا ، فما نصيب كلٍّ ؟ على عيد محمد

الجواب :

الميراث لابنتي المتوفى ، وابن ابنه ، وليس لأولاد الأخ الشقيق شيء ، فإن أولاد الأخ الشقيق إن كانوا ذكورا ، فهم محجوبون بابن الابن ، وإن كن إناثا ، فهن من ذوات الأرحام .

أما البنتان فلهما الثلثان فرضا ، وأما ابن الابن ، فله الثلث تمصيبا ، والله أعلم .

امرأة توفيت عن زوج ، وعن أم ، وعن أخت من أبيها ، وأخت وأخ من أمها ، وعن أولاد أخيها ذكورا من أبيها ، وعن أولاد عمها ذكورا وإناثا ، فن يرث ، ومن لا يرث ؟ محمد جمعه

الجواب :

الميراث للزوج والأم والأخت من الأب ، والأخ والأخت من الأم ، ولا شيء لأولاد الأخ من الأب الذكور ، وأولاد العم الذكور والإناث ، لاستغراق الفروض التركة .

أما الزوج ، ففرضه النصف ، وأما الأم ، ففرضها السدس ، وأما الأخت من

الأب ، ففرضها النصف ، وأما الأخ والأخت من الأم ، ففرضهما الثلث ، لكل منهما السدس .

فبعد أن كانت التركة تقسم الى ستة أقسام ، قسمت الى تسعة ، وصار النصف ثلثا ، والسدس تسعا ، والثلث تسعين ، للزوج نصف عائل ، هو ثلاثة من تسعة ، وللأخت من الأب نصف عائل ، هو ثلاثة من تسعة أيضا ، وللأم سدس عائل ، هو واحد من تسعة ، وللأخ والأخت من الأم ، ثلث عائل ، هو اثنان من تسعة ، لكل منهما واحد ، والله أعلم .

* *

امرأة توفيت عن أختها فقط ، فأنصيب الأخت إذا انفردت ، ولن يكون الباقي ؟
فارسكور — ابراهيم أحمد الدسوقي

الجواب :

هذه الأخت ترث التركة كلها : ترث نصفها فرضا ، ونصفها الآخر ردًا ، والله أعلم .

الحلف بالمصحف

رجل حلف على المصحف ألا يشرب « العرقسوس » ثم شرب ، فهل هذه يمين شرعية يلزمه أن يكفر عنها ؟
حنفي محمد أحمد

الجواب :

اتفق المالكية والشافعية والحنابلة على أن الحلف بالمصحف يمين شرعية إذا أراد الحالف كلام الله القديم ، أو أطلق .

ومذهب الحنفية أن الحلف بالمصحف ليس يمينًا شرعية . وقال العيني من الحنفية : « وعندى لو حلف بالمصحف ، أو وضع يده عليه ، وقال : وحق هذا ، فهو يمين ،

ولا سيما في هذا الزمان الذى كثرت فيه الأيمان الفاجرة ، ورغبت العوام في الحلف بالمصحف » وأقره على ذلك صاحب النهر .
فعلى أن الحلف بالمصحف يمين ، يلزم الحائث أن يكفر ، وعلى أنه غير يمين لا يلزمه ذلك ، والله أعلم .

الطلاق

رجل حلف بالطلاق ثلاثاً : « كلما تحل زوجته تحرم : ما يزوج ابنته بفلان » والبنت بالغ تريد الزوج به ، فهل هناك مخلص من وقوع الطلاق ؟
عطية عبد العال

الجواب :

إذا تزوجت هذه البنت فلاناً المذكور في السؤال بغير ولاية أبيها أو وكالته ، فلا يقع الطلاق ، والله أعلم .

الرضاع

بنت رضعت ثلاث مصاصات ، فهل يحل لأبناء المرضعة الزواج بها ؟
حسين محمد دربال

الجواب :

إذا كان الرضاع في مدته الشرعية ، فلا يحل لأبناء المرضعة الزواج بهذه البنت عند الحنفية والمالكية ؛ لأن قليل الرضاع وكثيره سواء في التحريم عندم .
ويحل لهم الزواج بها عند الشافعية والحنابلة ، لأنه لا يجرم عندم إلا خمس رضعات متفرقات ، والله أعلم .

القنوت بعد الركوع

ما الحكم في صلاة مالكي يؤم الناس في صلاة الصبح ، وقد اعتاد أن يقرأ القنوت بعد الرفع من الركوع الأخير ، ومن المأمومين من يتابعه في ذلك ، ومنهم من يخّر ساجدا ؟
أحمد حنفى الحادى

الجواب :

صلاة هذا الامام صحيحة عند المالكية ، إلا أن فيها مخالفة للأفضل ، وهو أن القنوت قبل الركوع الأخير على المشهور .
وأما المأمومون ، فمن تابع الإمام منهم فأمره واضح ، ومن خر ساجدا وتركه ، فإنه يجب عليه أن يرجع الى الإمام ليخفض بخفضه ، ويسجد بسجوده . فإن لم يرجع واستمر ساجدا حتى أدركه الإمام ، وأخذ فرضه معه ، صحت صلاته . وإن رفع من السجود قبل أن يأخذ فرضه مع الإمام عامدا أو جاهلا ، بطلت صلاته ، والله أعلم .

كتابة القرآن الكريم

بالحروف اللاتينية

ما قول ساداتنا العلماء - أيدم الله - في كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة ؟
عن الهيئة المركزية للرابطة العلوية

وكيل الكاتب الأول

الرئيس الثانى

السيد عبدالله بن أبى بكر بن سالم الحبشى العلوى

السيد أبو بكر بن محمد الحبشى العلوى

الجواب :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

أما بعد : فلا شك أن « الحروف اللاتينية المعروفة » خالية من عدة حروف توافق العربية ، فلا تؤدى جميع ما تؤديه الحروف العربية .

فلو كتب القرآن الكريم بها على طريقة النظم العربى — كما يفهم من الاستفتاء — لوقع الإخلال والتحريف فى لفظه ، وتبعهما تغير المعنى وفساده .

وقد قضت نصوص الشريعة بأن يسان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل أو التحريف . وأجمع علماء الاسلام سلفا وخلفا على أن كل تصرف فى القرآن الكريم يؤدى الى تحريف فى لفظه أو تغيير فى معناه ، ممنوع منعاً باتاً ، ومحرم تحريماً قاطعاً . وقد التزم الصحابة رضى الله عنهم ، ومن بعدهم الى يومنا هذا ، كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية .

ومن هذا يتبين أن « كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة » لا تجوز ، والله أعلم .

مسبب والى
رئيس لجنة الفتوى

فضيلة الصمت

قال أبو الدرداء : أنصف أذنك من فيك ، فأنما جعل لك أذنان اثنتان وفم واحد لتسمع أكثر مما تقول .

وقال المهلب بن أبي صفرة : لا نأرى لعقل الرجل فضلاً على لسانه ، أحب الى من أن أرى لسانه فضلاً على عقله .

وقال سالم بن عبد الملك : فضل العقل على اللسان مروءة ، وفضل اللسان على العقل هجنة .

وقال سالم بن حيان : صاحب الكلام بين منزلتين ، إن قصر فيه خصم ، وإن أفرق فيه أثم .

وقال أكرم بن صبيح : مقتل الرجل بين فكيه .

وقال شاعر :

الحلم زين والسكوت سلامة فإذا نطقت فلا تكن مكشاداً

ما إن ندمت على سكوتي مرة إلا ندمت على الكلام مراراً

وقال بعض الحكماء :

حظي من الصمت لى وتقمعه مقصور على ، وحظي من الكلام لغيرى ووباله راجع على .

الاسلام والطب الحديث

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » :
 هذه الآية تفسر ما قلناه سابقا في حمل السيدة مريم ، وهو أن الملك والنفخ الخ
 إنما هي ملطفات لوقع المعجزة فقط ، وأما الحقيقة فإنه ما دامت السنن الإلهية قد بدلت
 فلا ضرورة لطريقة مخصوصة ، فإن عقولنا لا تفهم إلا أن الله تعالى يقول : « كن فيكون » .
 وهنا وجه الشبه بين ولادة عيسى وخلق آدم ، وكلاهما من صنع الله مباشرة ، وعلى غير
 طريقة السنن الاعتيادية التي يبحث عنها الانسان ويجدها دائما لا تتبدل إذا تساوت
 ظروف التجربة ويمكن أن يكررها الانسان بنفسه مرارا ، وأما خلق عيسى وآدم فلا
 يمكن أن نفهم طريقته .



« إذ تقول المؤمنين ألن يكفِيَكُم أن يُدَّكُم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة
 منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يُمددكم ربكم بخمسة آلاف من
 الملائكة مسؤمين » :

قد سبق تفسير هذه الآيات ، والله تعالى يخاطب الانسان بالطريقة التي يفهمها .
 والحقيقة أن الله ما دام قدر لهم النصر فلا ضرورة لأي عدد مخصوص يأتي لمساعدتهم .
 وكأن الله تعالى يخاطبهم حسب عقولهم ويقول لهم : إن صبرتم فإن النصر يكون أكل
 وإن خمسة آلاف تقايل معكم بدل ثلاثة آلاف .



« قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال الى مضاجعهم » :
 هذه الآية تذكر الانسان بضعفه ، وأن موته ليس بيده ، وأنه لا يتحكم في مستقبله

كما أنه لا يتحكم في ولادته . ورب قائل يقول : ما دام الانسان في بيته ولا يخرج منه فكيف يبرز منه ليقتل ؟ والحقيقة هي أن عقل الانسان الذى يحكم به على الأشياء في حالاته الاعتيادية ، ويستعمله ليفر من الموت ، يجعله عرضة لتأثيرات عنيفة من الانفعالات العصبية التى تصيره في حالة جنون وقتى قد يؤدى به الى الموت الذى كان يفر منه .

وأضرب لذلك مثلا شاهدته بنفسى ، وهو أن شيخا يبلغ من العمر فوق الستين يجب حياته ويخشى الموت ، ولا يأتمن أحدا على أن يعطيه الدواء حتى أقرب الناس اليه ، وكان يأخذ بنفسه حبة الدواء عند الحاجة الى النوم حتى يتأكد أنه لم يتعاطأ أكثر مما يجب . وقد حصل له في ذات يوم انفعالات عصبية مع أرق اضطر معها الى أن يزيد كمية الحبوب المنومة ، ولكنه بدل أن يأخذ اثنتين أخذ أكثر من ذلك ، بل تناول كل ما كان في الأنبوبة ، وكان سبب وفاته نفسه التى كان يفر بها من الموت .

وهذا معنى قوله تعالى « لبرز الذين كتب عليهم القتل » . أى أن الشخص الذى لا يخرج من منزله خوفا من الموت قتلا لا بد أن يموت قتيلا ، لو كتب عليه القتل : « قل إن الموت الذى تقرّون منه فإنه ملاقيمكم » .

وفى هذا إظهار لضعف الانسان ولجهله ، فإن عدم المعرفة الكاملة يعرضه لأن يقع فيما كان يريد أن يتحاشاه . وهذا معنى المثل القائل : « نصف المعرفة أضرم من عدم المعرفة » . فهذا الشيخ الذى يجب حياته ويحتاط لها ، عرف بالتجارب أن يأتمن نفسه على حياته أكثر مما يأتمن الذين حوله ، ولكنه كان جاهلا بعلم النفس ، ولم يعرف أن عقله ليس شيئا ثابتا ، وأنه يتقلب كثيرا بالتأثرات ، وقد يكون أشد ضررا على نفسه ممن حوله ، وهو لو عرف ذلك أيضا فإنه يجمل أشياء أخرى . وهكذا يبقى الانسان طفلا أمام الحوادث ولا يصيبه إلا ما كتب له .

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها :
تفسير هذه الآية ظاهر بعد ما قيل فى السنن الطبيعية والمعجزات . فأول المخلوقات
سيدنا آدم ، ومنه زوجه . وقد خلق الاثنان بطريقة لا نعرفها . وأما باقى المخلوقات فإنها
خلقت من هذه النفس الواحدة بطريقة التناسل ، وهى من السنن الطبيعية التى لا تتبدل
إلا حيث يريد الخالق كما قلنا فى المعجزات . وهذا معنى الآية الكريمة « وهو الذى
يبدأ الخلق » .

فهناك فرق بين خلق سيدنا آدم وبين خلق أى إنسان : فالأول خلق كاملا ، خلقه الله
الذى يستحيل عليه النقص ، وأما باقى المخلوقات البشرية فقد خلقت بالسنن الإلهية ،
وهذه السنن تتأثر بسنن إلهية أخرى ، ولذلك كان هناك تفاوت كبير فى كمالها بالنسبة
للجسم والعقل .

وسأضرب لذلك مثلا : شخص يصاب بمرض الزهري فيكون أولاده مرضى
بدرجات مختلفة ، وقد يكون فى جسمهم جراثيم الزهري ، وقد يكون منهم الأعمى والأصم
والأبكم الخ ، أى أنهم يكونون غير كاملي الخلقة ، وقد يولد الطفل ميتا أو يعيش مدة
قصيرة . وتفسير هذا النقص فى الخلقة هو أن خلق الانسان كما أنه نتيجة سنن طبيعية
لا تتبدل ، كذلك حياة الجراثيم وحياة كل شئ ، إنما هى نتيجة سنن طبيعية أخرى . وقد
اقتضت إرادة الله أن تعيش هذه الجراثيم على جسم الانسان ، فهى مضرّة بالانسان ،
ومضرّة بنسله الذى هو جزء منه ، ولكنها لا تعيش إلا على جسم الانسان ، وتموت بعد
مدة قصيرة إن بقيت بعيدة عنه . فالنقص الذى يظهر فى النسل مثل النقص الذى
يحدث فى الجسم نتيجة حادثة طبيعية ، لأن الاثنين نتيجة سنن طبيعية .

وإذا سأل سائل : ألم يكن الله قادرا على أن يخلق كل فرد كاملا ؟ فالجواب : نعم ،
إلا أن فى ذلك فائدة للنوع الانسانى ، وسنشرحها فى مقال آخر . والنقص الظاهر الفردى
هو من كمال السنن الإلهية وكمال النوع الانسانى . فالشخص الذى يسقط من مكان عال

ويفقد درجته مثلاً لا يقال إن خلقته ناقصة من أول تكوينه ، لأن ما طرأ عليه هو شئ ، نفهمه من القواعد الطبيعية . وكذلك الشخص الذى يعرض نفسه للجراثيم ويعرض وتنتقل الجراثيم الى نسله ، لا يكون نسله ناقصاً من أول تكوينه ، ولكن المرض طرأ عليه حسب الناموس الطبيعى (الالهى) . وهذه الأمراض التى يتعرض لها الانسان لا تخلو من فوائد جمة سأتكلم عنها فى تفسير آيات أخرى .

* *

« إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ، إن الله كان عزيزاً حكماً » :

هذه الآية الكريمة تقول : إن النار كلما أكلت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها . والسبب فى ذلك أن أعصاب الألم هى فى الطبقة الجلدية ، وأما الأنسجة والمضلات والأعضاء الداخلية فالأحساس فيها ضعيف ، ولذلك يعلم الطبيب أن الحرق البسيط الذى لا يتجاوز الجلد يحدث ألماً شديداً ، بخلاف الحرق الشديد الذى يتجاوز الجلد الى الأنسجة ، لأنه مع شدته وخطره لا يحدث ألماً كثيراً . فالله تعالى يقول لنا : إن النار كلما أكلت الجلد الذى فيه الأعصاب نجدده كي يستمر الألم بلا انقطاع ، ويزوقوا العذاب الأليم . وهنا تظهر حكمة الله قبل أن يعرفها الانسان ، وكان الله عزيزاً حكماً .

دكتور عبد العزيز اسماعيل

علامات الاذن بالانصراف

قال أصحاب معاوية له : إناربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك ، فأنت تكره أن تستخف بنا فتامرنا بالقيام ، ونحن نكره أن نثقل عليك بطول الجلوس ، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها ذلك !

فقال : علامة ذلك أن أقول : إذا شئتم .
وقيل مثل ذلك ليزيد بن معاوية . فقال : إذا قلت ، على بركة الله .
وقيل مثل ذلك لعبد الملك ، فقال : إذا وضعت الخيزرانة .

الاسلام والفلسفة

— ٤ —

أشرنا في الفصول السابقة الى رحوبة صدر الدين الاسلامي وتقبله التفكير الحر بشفر باسم ومحياطلق ، بل أثبتنا أن مصدره الأساسى ، وهو القرآن الكريم ، قد أمر بالنظر والتأمل أمرا صريحا لاسبيل الى الشك فيه ، وأوجهما على معتنقى الاسلام من غير استثناء ، وقلنا إن هذا الأمر بالتأمل ميزة فى الاسلام قد اختص بها وفاق فيها جميع الديانات الموجودة الآن بين أيدينا ، وأنحنينا باللائمة القاسية على أولئك المقلدين من المصريين الذين اندفعوا وراء علماء أوروبا فى إثباتهم العداء بين الدين والفلسفة ، وقلنا لهم : إن كلمة الدين فى كتب الغربيين — لو تعلمون — معناها المسيحية .

ذكرنا كل هذا ثم أزمعنا أن نحلل بقدر المستطاع أشهر مشاهير فلاسفة الاسلام ، وأن نرد عليهم فيما أخطؤا فيه الصواب فى رأينا ، منتهجين نهج الاسلام نفسه فى التسامح ورحوبة الصدر ما استطعنا الى ذلك سبيلا . وقد بدأنا فى الكلمة الماضية بالكندى ، واليوم نحدث القارئ الكريم عن ثانى مشاهير فلاسفة الشرق وهو أبو نصر الفارابى أشهر شعبة الفلاسفة المنطقيين الذين سلكوا فى الاستدلال على وجود الله سبيل النظر والفكر . وإليك هذه الشخصية البارزة :

الفارابى — نسبة — مولده :

هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابى نسبة الى فاراب الداخلية ، وهى إحدى مقاطعات فارس .

ولد الفارابى من أب كان قائد جيش . ولا يعرف أحد تاريخ مولده بالضبط ، وإنما يظن أنه ولد حوالى سنة ستين ومائتين للهجرة . وقد استنتج هذا من أنه توفى فى رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان عمره ثمانين عاما .

مبدأ :

لا يعرف المؤرخون شيئاً عن طفولة الفارابي ، وهم يختلفون كذلك في شبابه ، فتارة يروون لنا أنه كان ناطورا في أحد بساتين دمشق ، وكان فقيرا معدما الى حد أنه كان لا يجد في منزله مصباحا يقرأ على نوره ، فكان يخرج الى الحراس ليستضيء بمصابيحهم أثناء مطالعته بالليل . وتارة أخرى يحدثوننا أنه كان قاضيا ثم مال الى المعرفة ، فتمنحى عن القضاء وانغمس في بحار الفلسفة والتصوف العملى . ويذكر هؤلاء المؤرخون أن السبب في ميله الى الحكمة هو أن رجلا أودع عنده بعض كتب « أرسطو » فقرأها فقال اليها وشغف بها ولم يستطع أن يقاوم هذا الشغف ، فعكف على دراسة الفلسفة . وسواء أضحيت الرواية الأولى أم الثانية ، فإن الفارابي بعد هذا الشباب المجهول كان أشهر من السكوكب اللامع في سماء الدولة العربية ، متنقلا بين بغداد والقاهرة ودمشق وحلب ، وكان من المحبوبين المقربين لدى سيف الدولة ، حتى أنه كان يجرى عليه نعا كثيرة لا يتناول الفارابي منها إلا أربعة دراهم في اليوم . وكان يعيش عيشة التقشف والزهد ، ويتغذى بماء قلوب الحملان ويشرب الخمر الرخياني . ولما مات صلى عليه سيف الدولة في نفر من خاصته ، ودفن بظاهر دمشق .

دراسة :

انتقل الفارابي من مسقط رأسه وتعددت أسفاره من بلد الى بلد حتى ألقى عصا التسيار في بغداد التي وجد فيها ما ينقع غلته ويروى ظمأه الى العلم والمعرفة . وكان حين نزل « بدار السلام » يعرف العربية والفارسية والتركية ، وقيل : إنه كان يعرف كذلك اليونانية والسريانية . وكان بهذه المدينة إذ ذاك عالم جليل قد علا كعبه وذاع صيته في المنطق والفلسفة وهو : « أبو بشر متى بن يونس » الذي انفرد من بين علماء بغداد بحسن العبارة ورقة الأسلوب ووضوح الفكرة والخلوص من تلك الالتواءات التي تؤدي الى غموض المعنى وتقلل الفائدة من المؤلفات ، فال فارابي الى الأخذ عنه

والتلمذ عليه ، وتأثر في كتابته فيما بعد بأسلوبه الساحر حتى جاءت كل مؤلفاته غاية في البسط والوضوح . ولا أحسب أن هناك سببا حمل القاضي صاعدا على مهاجمة الكندي - إذا لم يكن مغرضا أو متأثرا بأعدائه - إلا مقارنة كتبه المعقدة بكتب الفارابي الواضحة التي دفعت أحد علماء عصره الى أن يقول ما نصه : « ما أرى أبا نصر الفارابي أخذ طريق تفهيم المعاني الجزأة بالألفاظ السهلة إلا من أبي بشر » . وكان من أساتذته في بغداد أيضا « يوحنا بن حيلان » الذي تلقى عنه المنطق وبرع فيه حتى فاق جميع أهل عصره .

مؤلفاته :

كتب الفارابي نحو مائة وثمانية وعشرين كتابا ، في المنطق ، وما وراء الطبيعة ، وفي السياسة والاجتماع ، وفي شرح أغراض « أرسطو » وبيان مقاصده من كتبه والتوفيق بينه وبين « أفلاطون » وفي الرد على من هاجموا المعلم الأول . وقد ذكر القفطي وابن أبي أصيبعة هذه الكتب بأسمائها ، ونخص منها هنا بالذكر كتابيه الجليلين اللذين كتب أحدهما في إحصاء العلوم والثاني في بيان فلسفة « أفلاطون » و « أرسطو » . وسنورد لك هنا ما أشار به ابن أبي أصيبعة الى هذين الكتابين حيث قال في جزء ٢ صفحة ١٣٦ نقلا عن القاضي صاعد ما نصه في وصف الكتاب الأول : « ثم له بعد هذا كتاب شريف في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق إليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه ، لا يستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به وتقديم النظر فيه » . ويعلق أحد المعاصرين على وصف ابن أبي أصيبعة لهذا الكتاب بما يأتي :

« ولكن هذا الوصف مبالغ فيه ، لأن ما جاء في الكتاب لا ينطبق على ما يقصد في وقتنا هذا من دائرة المعارف ، أو المعلمة كوضع أحمد تيمور باشا » .

ولو أن لدينا الآن نسخة من هذا الكتاب لاستطعنا أن نحكم على هذين الرأيين المختلفين ، ولكن أين منا هذا والكتاب قد فقد وليس له إلا ملخص بسيط

في مكتبة « الأسكوريال » بمدريد ؟ إلا أننا مع ذلك نستطيع أن نجزم بأن ذلك الكتاب الأول ضروري لمن أراد أن تكون عنده ثقافة عامة ، بل لعل هذا الكتاب كان أساس وضع دوائر المعارف الأوربية ، خصوصا إذا علمنا أن الفرنجة لم يبتدئوا في وضع دوائر المعارف إلا بعد اطلاعهم على الكتب الشرقية . أما الكتاب الثاني ، فلا بد منه لمن أراد دراسة فلسفة هذين الحكيمين : « أفلاطون » و « أرسطو » ، لأنه لا بد أن يكون قد أبان فيه مشريهما وغايتيهما وطريقتيهما في التأليف ، وهذا نور لا يستغنى عنه طالب الفلسفة ، ولكن مع الأسف الشديد أن هذا الكتاب قد اندثر ولم يبق منه إلا وصف يحلب الحسرة والألم دونه لنا ابن أبي أصيبعة يفيد أن هذا الكتاب كان يحوى بيانا كافيا للعلوم التي يجب أن يبدأ بها طالب الفلسفة كمعدات في حياته الفكرية . وبعد ذلك البيان كان يحذف فيه الطالب بسطا مسهبا لفلسفتي « أفلاطون » و « أرسطو » حتى لا يتخبط في فهم مذهبيهما ، ولا يضل السبيل في الحكم عليهما . واليك هذا الوصف :

« وله كتاب في أغراض فلسفة « أفلاطون » و « أرسطوطاليس » يشهد له بالبراعة في صناعة الفلسفة والتحقق بفنون الحكمة ، وهو أكبر عون على تعلم طريق النظر وتعرف وجه الطلب ، اطلع فيه على أسرار العلوم وثمارها علما علما ، وبين كيف التدرج من بعضها الى بعض شيئا فشيئا ، ثم بدأ بفلسفة « أفلاطون » فعرف بها وسمى تأليفه فيها ، ثم أتبع ذلك بفلسفة « أرسطوطاليس » فقدم له مقدمة جليلة عرّف فيها بتدرجه الى فلسفته ، ثم بدأ بوصف أغراضه في تأليفه المنطقية والطبيعية كتابا كتابا حتى انتهى به القول في النسخة الواصلة إلينا الى أول العلم الإلهي في الاستدلال بالعلم الطبيعي عليه . ولا أعلم كتابا أجدى على طالب الفلسفة منه ، فإنه يُعرّف بالمعاني المشتركة لجميع العلوم والمعاني المختصة بعلم منها . ولا سبيل الى فهم معاني « قاطيغوريوس » « المقولات » وكيف هي الأوائل الموضوعات لجميع العلوم إلا منه » .

ما بقى من كتب :

وضع أحد المؤلفين العصريين إحصاء للكتب الباقية من مؤلفات الفارابى ، وهى تبلغ نحو أربعة وأربعين كتابا ، منها :

- ١ - التوفيق بين رأيي الحكيمين : أفلاطون وأرسطو (مطبوع فى مصر مع غيره) .
 - ٢ - فيما ينبئ الاطلاع عليه قبل قراءة أرسطو (مطبوع أيضا) .
 - ٣ - فصوص المسائل (مطبوع) .
 - ٤ - رسالة فى المنطق (خطية) بأوربا .
 - ٥ - رسالة فى القياس ، وهى خمسة فصول يحتاج إليها فى المنطق (خطية) .
 - ٦ - رسالة فى ماهية الروح (خطية) .
- والكتب الباقية غير هذه الستة اثنا عشر كتابا فى المنطق متفرقة فى مكاتب أوربا .
وثمانية مؤلفات فى السياسة والأدب ، منها :

- ١ - مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة (طبع ليدن سنة ١٨٩٥) .
- ٢ - إحصاء العلوم (خطية فى الأسكوريال) ولها ترجمة لاتينية ، وأخرى عبرية .
- ٣ - السياسة المدنية (طبع بيروت سنة ١٩٠٢) وتسعة كتب أخرى فى مواضيع مختلفة .

فلسفته :

من المعروف أنه لم يكد ينتهى القرن التاسع المسيحى حتى كانت الفلسفة العربية قد انقسمت فى وجهة نظرها وفى طريق استدلالها على وجود الله واكتشافها أسرار الكون العام الى شطرين : طبيعى ومنطقى . فأما القسم الأول ، فقد اعتمد فى براهينه على مظاهر الطبيعة وما تشتمل عليه من خفايا وأسرار . وأما القسم الثانى ، فقد سلك فى تفلسفه سبيل المنطق . ولما كان الفارابى من هذا القسم الأخير ، فقد وجب علينا أن نبين طريقته فى الوصول الى إثبات وجود الله . وهالك سلسلة براهينه :

إن كل المعلومات الحاصلة في الذهن مكونة من تصورات محضة، وتصورات مع نسب، وتسمى: تصديقات. فأما التصورات فهي بديهية بسيطة لا يحتاج في فهمها الى تفكير كتصور النور والظلام والوجود والعدم وهلم جرا. وأما التصديقات فهي معقدة بعض الشيء، حتى بسائطها وأوليائها، لأنها تستلزم النظر في أكثر من مرتبة. وعلى أي الأحوال، فإن العلم الانساني لا يخرج عن ذلك، إذ كل معلوم سواء أكان موجودا أم معدوما لا يحصل في الذهن إلا على سبيل التصور أو سبيل التصديق. ولما كان كل ما يتناوله التصديق إما واجبا أو ممكنا، فالوجود بعضه واجب الوجود وبعضه ممكنه، والمعدوم بعضه واجب العدم وبعضه ممكنه، ولا يخرج شيء من المعقولات التصديقية عن هذه الأقسام الأربعة. ولما كان بدء البحث في الإله يحتم علينا أن نفرضه في القسم الوجودي فقد لزم أن نستخدم النظر العقلي، لئلا نرى من أي قسم هو من أقسام الموجودات، ولا يتيسر ذلك إلا إذا عرفنا ماهية كل من الممكن والواجب على حدة. فالممكن الوجود هو الذي لا يلزم من عدمه محال ما دام هذا العدم يستوى مع الوجود في الإمكان. وأما الواجب الوجود فهو الذي يلزم المحال من عدمه بالضرورة، لأن المحال والواجب نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان. ولا يمكن أن يكون الباري من القسم الأول، لأن وجوده حين ذاك يكون قد رجح على العدم المساوي له في الرتبة، والترجيح لا يكون بدون مرجح، وإذا أنزلنا هذا الراجح منزلة الأول المرجوح واعتبرناه ممكن الوجود، لزم أن يكون وجوده الفعلي قد ترجح على عدمه بمرجح، والمرجح يحتاج بدوره الى مرجح، وهكذا نهوى في حضيض التسلسل الذي لا يتناهي وهو باطل.

وإذا كان إمكان الوجود قد انتفى عن الباري، فإن وجوب هذا الوجود يكون قد ثبت، وهذا الوجوب إما أن يكون بالذات أو بالغير. وإذا كان الثاني محالا، لأنه يقودنا إما الى كائن واجب الوجود لذاته، وحينئذ يكون هو الباري المقصود؛ وإما الى

واجبات الوجود لغيرها بلانهاية، وهو باطل كما أسلفنا؛ فلم يبق إلا أن نجزم بأن الله تعالى واجب الوجود لذاته، وواجب الوجود لذاته لا يمكن أن يكون معلولا لغيره ولا ناشئا عنه، بل يجب أن يكون هو الموجود الأول. وإذا ثبت هذا تحتم أن يكون منزها عن كل شوائب النقص والافتقار التي لا يبرأ منها الممكن المعلوم لغيره كالتغير والعجز والصورة وأمثالها.

وإذا ثبت هذا لزم ضرورة أن يكون كل ما عدا الله فيضا عنه ومخلوقا له. هذا، وسنعالج بقية النواحي الأخرى من فلسفة الفارابي في المقال الآتي، ولا سيما نظرية العقول العشرة التي كانت منشأ شهرته في محيط الفلسفة العربية، فإلى الملتقى مع

الركنور محمد غريب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

أدب الاعتناق

روى أبو بكر بن محمد قال حدثنا سعيد بن اسحاق قال: كنت جالسا عند مالك فاذا سفيان ابن عيينة يستأذن بالباب. فقال مالك: رجل صالح صاحب سنة أدخلوه. فدخل، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. سلام خاص وعام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله. فقال مالك: وعليك السلام يا أبا محمد ورحمة الله. فصاحه مالك قائلا: يا أبا محمد لولا أنها بدعة لعانقناك.

فقال سفيان: قد عانق من هو خير منا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال مالك: عانق جعفر؟ قال سفيان نعم. فقال مالك ذاك حديث خاص يا أبا محمد ليس بعام. فقال سفيان ماعم جعفر؟ نعمنا، وما خصه يخصصنا إذا كنا صالحين. أفأناذني أن أحدث في مجلسك؟ قال مالك نعم يا أبا محمد. فقال سفيان: حدثني عبد الله بن طائوس عن أبيه عن عبد الله بن عباس أنه لما قدم جعفر من أرض الحبشة اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم، وقبل بين عينيه، وقال: جعفر أشبه الناس بي خلقا وخلقاً.

الاسلام والمباحث النفسية الحديثة

جدّت حركة سريعة في الاتجاه العلمى ، ونشأت من جرائها مذاهب شتى ، بعضها يمس الدين مساً عنيفاً زلزل أقدام مداره الدين وحماته في أوروبا ، وبعضها يعضد الدين ويؤيده ، ويفسر بعض نظرياته تفسيراً علمياً . وقد طرب الماديون عبّاد الطوائع الى المذاهب الإلحادية وجبوها بعظفهم وعنايتهم ، وارتاح المتدينون - بعد تردد كاد ينقلب الى معركة بين العلم والدين - الى المذاهب المؤيدة للدين ، وإن سلكت في البحث مسلكاً يختلف مع مسلك الدين ، لأن الدين وحى من الله تعالى الى صفوة من خلقه اختارهم ليكونوا سفراء لتبليغ شرائعه ، وتلك المذاهب تقوم على الوقائع المحسنة والشواهد الملموسة ، والدلائل النظامية على حسب ما تواضع عليه أصحاب المذهب .

أما موقف الاسلام من هذه المباحث باعتباره ديناً سماوياً وشريعة إلهية ختم الله به الأديان فهو موقف الرقيب الناقد ، فاذا رأى حقاً أسرع الى احتضانه بين طيات نصوصه وقواعده ، وإذا رأى باطلاً تجافى عنه وردّه بالحجة الصادقة والبرهان القويم . وإذا كانت النظريات لا تزال في طريق البحث فدأب الاسلام ألا يهجم الى تصديقها أو تكذيبها . والقانون العام للاسلام في هذا تأييد سنن الله الكونية ، وكثير منها لم يصل اليه الانسان . وقد أشعرنا القرآن الكريم بهذا العجز فقال : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » وقال : « ويخلق ما لا تعلمون » وقد أيد العلم هذه الحقيقة التي جاء بها القرآن ، فكان ذلك آية من آيات الله في تصديق القرآن الحكيم ، وبيانا لعظمته العلمية .

اتسعت دائرة البحث الروحي ، وتدرجت مدارج مختلفة حتى أصبح الشغل الشاغل لكثير من الجمعيات التي تضم بين جنباتها أساطين العلم وغطارفة العلماء في القارتين الأوروبية والأمريكية ، وذعر الماديون من شبح هذه البحوث لأنها ستقضى على ما في أيديهم من مزاعم كاذبة ، وآمن كثير منهم بأن وراء عالم المادة عالماً آخر ، ووقف

بعضهم في سفح الحيرة والتردد رغم مشاهداتهم لتجارب العلماء الواقعية، وقد قام بها فريق كانوا يدينون بالمادية، ولهم مقام ممتاز في المعارف، ودفعهم الى البحث في هذه الفنون إنكارهم الشديد على المشتغلين بها، وتصريحهم بأن كل ما وصل اليه الروحيون نتيجة غش أو وهم أو تأثير عصبي، ولكنهم رأوا صوت الروحيين مرفوعاً فأفزع ذلك الفيزيولوجيين وتأهبوا لبحث هذا الموضوع بحثاً دقيقاً. وحسبنا أن نعلم أنه قد تألفت في لندره جمعية كبيرة ^(١) سنة ١٨٦٩ لفحص ما يذيعه الروحيون، وقد كان أعضاء هذه الجمعية من مشهورى الطبيعيين أمثال الفيلسوف جون لوك الانكليزي والفريد رسل ولاس مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعي قبل « داروين »، وقد استمرت في بحثها عاما ونصف عام، وكتبت تقريرا أثبتت فيه صحة هذه المشاهدات الخارقة للعادة، واقنعوا بها تمام الاقتناع.

فهل تقبل روح الاسلام هذه المباحث إذا قامت الحجة على صدقها عند المسلم المفكر؟ اتفقت كلمة الأنبياء عليهم السلام، والحكماء، إلا شذمة الماديين، على وجود الروح الانساني، غير أن حقيقة الروح ظلت لغزا عسر على الفكر حله، ومن ثمّ اختلفت أقوال الفلاسفة والعلماء فيها حتى نيفت على المائة قول، وترجع في جملتها الى قولين: (الأول) تجردها عن المادة، واتصالها بالبدن اتصال تدير وتصرف لا اتصال حلول واتحاد، وهو قول « أرسطو » من القدماء، وحجة الاسلام الغزالي، والإمام نخر الدين الرازي، والراغب الأصفهاني، وجمهور الصوفية من الاسلاميين. (الثاني) عدم تجردها عن المادة، وهؤلاء اختلفت كلمتهم في تحديدها، فقال « سقراط » : إنها جسم حال في هذا الهيكل حلول الدهن في السمسّم وماء الورد في الورد. وقال تلميذه « أفلاطون » : هي حياة غير قابلة للفناء محصورة في سجنٍ فإن هو الجسد. وبقول سقراط قال إمام الحرمين وجمهور المتكلمين من المسلمين.

والقرآن الكريم ردد ذكر الروح كثيرا، وأصرح نص ورد فيه عن الروح الانساني قول الله تعالى: «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي». قال الغزالي: وفي الآية جواب مقنع كاف لمن علم «الأمر» على ما هو عليه، وذلك حيث جعل الروح من عالم «الأمر». وقال في آية أخرى: «ألا له الخلق والأمر» فجعل الخلق غير الأمر، والخلق هو التقدير، ويكون في الأشباح الظاهرة التي تقع عليها المساحة والتقدير، وهي الأجسام وعوارضها. وعالم الأمر هو عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والجهة والمكان والتحيز، وهو ما لا يدخل تحت المساحة والتقدير، لانتفاء الكمية عنه. الروح الانساني على أى معنى فهمته له آثار ظاهرة وخواص عجيبة، فهو مرآة لجميع المعارف السكينة بذاته والجزئية بواسطة الحواس، وله في الأشياء تأثير يجعلها تفعل أمامه، سواء كان المتأثر به من جنسه أو من غير جنسه كالأجسام، ويختلف التأثير قوة وضعفا تبعا لجوهر الروح في أصل وجودها، فإذا كانت الروح قوية كان لها تأثير ظاهر في الأرواح التي هي أضعف منها، وهذا التأثير قد يكون بمساعدة بعض الحواس وأقربها الى الروح «البصر» لأنه أطف الحواس، ونتيجة هذا الأثر لها مظاهر متعددة، منها ما سماه الشرع «العين» ومنها ما سماه «الحسد» وقد يكون منها ما يسمى علميا «التنويم». وقد يكون التأثير بلا مساعدة شيء من الحواس، ولا مقابلة لبعض الأجسام بل بتوجه الروح مباشرة الى روح أخرى. وقد أشير الى النوع الأول في القرآن الكريم بقوله تعالى: «وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم» ولكنهم فقد شرط المنفعل، لأن المخاطب في الآية الروح الأعظم صلى الله عليه وسلم، ولو اجتمع الانس والجن على أن يؤثروا في روحه الكريمة ما قدرُوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. وبذ كر بعض المفسرين أن بنى أسد اشتهروا بالعين، فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام، فلا يمر به شيء فيقول فيه: لم أركاليوم مثله إلا عانه. وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » . قال القسطلاني : وقد أجرى الله المادة بوجود كثير من القوى والخواص في الأجسام والأرواح كما يحدث لمن ينظر اليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك ، وكذا الاصفرار عند رؤية من يخافه ، وكثير من الناس من يسقم بمجرد النظر اليه ، وتضعف قواه ، وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الأرواح من التأثيرات ، ولشدة ارتباطها بالعين ، وليست هي المؤثرة ، وإنما التأثير للروح ، والأرواح مختلفة في طبائعها وكميافياتها وخواصها ، فمنها ما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال ، ومنها ما يكون بتوجه الروح .

وقد روى الامام احمد والنسائي : أن عامر بن ربيعة نظر الى سهل بن حنيف فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة ، فلبط سهل ، أى صرع وسقط على الأرض . وفي قوله تعالى : « ومن شر حاسد إذا حسد » تلميح الى النوع الثانى ، لأن الحاسد إنما يؤثر في المحسود بتوجه روحه الى المحسود دون مقابلة واتصال ، وكلما كانت الروح قوية كان تأثيرها أشد كما قدمنا ، وربما وصل الى جذب بعض النفوس للمفارقة . قال الامام خنفر الدين الرازى : « النفوس إذا فارقت الأبدان قد يكون فيها ما يكون شديد المشابهة لهذه النفوس المرتاضة في قوتها وتأثيراتها ، فإذا صارت هذه النفوس صافية انجذب اليها ما يشابهها من النفوس المفارقة ، ويحصل لتلك النفوس نوع ما من التعالق بهذا البدن ، والنفوس الناطقة إذا صارت صافية عن الكدورات البدنية صارت قابلة من الأرواح السماوية والنفوس الفلكية ، فتقوى بأنوار تلك الأرواح على أمور خارقة غريبة » . وقال أيضا : « النفس إذا كانت مستعيلة على البدن كانت قوية التأثير في مواد هذا العالم ، فإذا أراد إنسان إلحاء النفس الضعيفة بحيث يتعدى تأثيرها من بدنها الى بدن آخر ألزمها الرياضة فتقوى التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية » .

إذا تأمل الباحث في النصوص المتقدمة كلها أخذ العجب كل مأخذ ، لأنها

تكشف الغطاء عن آثار الروح وجلالها، وتظهر مرونة الاسلام، وعناية علماء الاسلام بالبحث في أعوص مسألة شغلت فلاسفة العالم ودخلت في طور جديد . وقد اتسمت عقول المسلمين لا أكثر من هذا مما يدخل في غور الفلسفة الروحية ، فقد روى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال في بعض أحواله : « انسلخت من جسدی فرأيت من أنا » . فلو أن جماعة من رجال العلم في معاهد الاسلام وأمصاره أقدموا على درس المباحث النفسية الحديثة والتنويم من الوجهة العلمية لوجدوا من دينهم وسيرة سلفهم نصيرا ؛ ولأدركوا فائدة جليلة لهذه الدراسة . قال أحد الباحثين من علماء الغرب : « التنويم المغناطيسى يثبت وجود الروح وخلودها ، ويبرهن على إمكان اختلاط أرواح متجردة بأخرى مكتسية بالمادة » . وقال : العلامة باركس الجيولوجى الانجليزى : « إنا لندرس الآن من استحضار الأرواح ما كان قبل ألفى عام الشغل الشاغل للفلاسفة » .

« إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »

صادق إبراهيم عربونه

فضل الفصاحة

حكى الله تعالى عن رسوله موسى عليه السلام استيحاظه لعدم الفصاحة إذ قال : « وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فارسله معى ردأ يصدقنى »
أما العيوب التى تنافى الفصاحة فهى ما أحصاه محمد بن يزيد النحوى بقوله : التمتعة فى المنطق التردد فى التاء ، والفأفة التردد فى الفاء ، والعقلة هى التواء اللسان عند إرادة الكلام ، والحبسة تعذر الكلام عند إرادته ، واللفف إدخال حرف فى حرف ، والطمطنة أن يكون الكلام مشبها لكلام العجم ، والسكنة أن تعترض عند الكلام اللغة الأعجمية ، واللشغة أن يعدل بحرف الى حرف . والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم ، والخنة أشد منها ، والترخيم حذف الكلام .

والرثة قد تكون غريزية ، ويقال إنها تكثر فى أشرف الناس .

فلسفة الاخلاق

أسلفنا شطرا من الكلام عن المرتبة القصوى للانسان فى الكمال ، وكيف أن النفوس الخيرة إذا طبعت بطابع من الحكمة سمت بذلك الى أعلى الأجناس من الكمالات ، ثم تطلعت الى المستوى القدسى الذى تصبو اليه النفوس الشيقة الى المعرفة . والآن نحاول أن نعرض لبسط آراء جمهرة من الفلاسفة الذين عاجلوا قضايا علم النفس فى مختلف مناحيها وما يعرض لها من تفاعل وما يلابسها من غاشيات الطبيعة ثم اشتغلوا بعد ذلك بالدعوة الواضحة الى تركيز الخلق وإنشاء صروحه فى النفوس .

قسم الفلاسفة علم النفس الى شطرين : أولهما نظرى ، وثانيهما عملى ، فإذا كمل الانسان بهما كما لا يرفعه الى مرتبة النبوغ الأخلاقى ، استأهل لأعلى الأجناس من السعادة وهو الظفر بالحياتين . ولكمال الأول لا بد هو محتاج بادى ذى بدء الى قوتين متقابلتين ، إحداهما العاملة ، والأخرى العاملة . فالقوة العاملة هى التى يشتاق بواسطتها الى العلوم والمعارف ، فإذا حصلها كان فى أمن من الغلط فى الحس والخطأ فى النظر ، فيصدق نظره وتصح رويته وتستقيم بصيرته ، ثم ينتهى فى العلم بحقائق الموجودات مرتبة ترتيبا نظريا الى العلوم الإلهية التى هى آخر مراتب العلوم ، فيثيق بهذا الحد الذى بلغه ، ويسكن اليه قلبه وتطمئن اليه عزيمته .

فإذا كمل الانسان هذا الكمال المرموق فتممه بفعله المنظم له ورتب القوى والملكات الكامنة فيه ترتيبا علميا ، كان خليقا أن يسمى عالما صغيرا ، ضرورة أن صور الموجودات كلها قد كمننت فى ذاته فصار ممثلا لها على نحو من الأنحاء . ومن العجب العاجب أن يذهب فريق من الناس الى أن كمال الانسان وغايته هما فى الذات الحسية ، وأنها هى الخير المرجو والسعادة العليا . ثم ظنوا أن جميع قواه الأخر إنما ركبت فيه لتكون موصلة الى هذه الذات ، وأن النفس الناطقة إنما وهبت له ليرتب بها الأفعال ويميزها على نحو خاص

ثم يوجهها نحو هذه الذات لتكون تلك اللذائذ بالقياس الى الاستمتاع بها هي غاية الغايات ، ثم تدرجوا من ذلك الى القول بأن قوى النفس الناطقة ، وهي الذكر والحفظ والروية ، إنما تراد لتلك الغاية ، وعللوا تلك النظرية بأن الانسان حين يتذكر الذات ويتجه اليها بتلك القوى الثلاث بواسطة ما يحصل فيه من الماء كل والمشارب وما إليها ، اشتاق إليها وأحب معاودتها ، وإذا تكون منفعة الحفظ والذكر هي الذات وتحصيلها ليس غير . ولأجل هذه الظنون جعلوا النفس الخيرة كالعبد المهيمن ، وكالآجير المستعمل في خدمة النفس الشهوية لتخدمها تحت سلطان الماء كل والمشارب وما إليها .

وبدهي أن اللذات كلها إنما تحصل لمن قامت به بعد آلام تلحقه ، لأن اللذة هي راحة من ألم ، وأن كل لذة حسية إنما هي خلاص من ألم أو أذى ، وإذا يكون كل من قنع بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غاية راضيا بأخص أنواع العبودية لأخص الموالى ، لأنه حينئذ يصير نفسه السكرية التي يضارع بها الملائكة عبدا للنفس الدنيئة التي يحاكى بها الحشرات والهوام المشاركة له في هذا القدر من الإسفاف . وقد عجب غاية العجب جالينوس من هذا الرأي الفطير ، وكثر تبرمه بأصحابه . غير أنه حكى بشأن هؤلاء أن سيرتهم في الورى أسوأ السير وأخطأها ، فكلما وجدوا إنسانا هذا رأيه نصره ونوهوا بشأنه واشتغلوا بالدعوة اليه ليوهوا الناس بأنهم غير متفردين بهذه الطريقة ، وهؤلاء الذين يفسدون الأحداث وأغرار الناس بإيهامهم أن الفضيلة هي ما تدعوهم اليه طبيعة البدن من الملاذ ، إذا قامت عليهم الحجة الدامغة بأن تلك الفضائل الملكية إما أن تكون باطلة ليست بشئ ، البتة وإما أن تكون غير ممكنة لأحد من الناس ، والناس مأخوذون بالطبع الجسماني بالميل الى الشهوات ، فتكثر أتباعهم وتقل النبلاء فيهم ، وأن هذه اللذات إنما هي لضرورة الجسد ، وأن بدنه مركب من الطبائع المتضادة أعنى الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة ، وأنه إنما يعالج بالماء كل والمشراب أمراضا تحدث به عند الانحلال لحفظ تركيبه على حالة واحدة أبدا وأن علاج المرض

ليس بسعادة تامة ، والراحة من الألم ليست بغاية مطلوبة ولا خير محض ، وأن السعيد التام هو من لا يعرض له مرض نفساني البتة . وقد عرف مع ذلك أيضا أن الملائكة الأبرار لا تلحقهم هذه الآلام فلا يحتاجون الى مداواتها بالأكل والشرب - عارضوه بأن بعض خواص البشر أشرف من الملائكة ، وأن الله تعالى أجل من أن يذكر مع الخلق ، وشاغبوه وسفهوا رأيه وأوقعوا له شباها باطلة حتى يشك في صحة ما تنبهه لا إدراكه وهداه عقله اليه .

والعجب الذي لا ينقضى هو أنهم مع رأيهم هذا إذا وجدوا واحدا من الناس قد اجتوى طريقتهم التي يميلون اليها ، واستهان باللذة والتمتع وصام وطوى واقتصر على ما أنبت الأرض ، عظموه وأهلوه المراتب العلية ، ثم يذلون له غاية الذل ويعدون أنفسهم أشقياء بالإضافة اليه . والسبب في ذلك هو أنهم وإن كانوا من أفن الرأي وسفاهته على ما ترى فإن فيهم من كرائم القوى الشريفة المميزة وإن كانت ضعيفة ما يريهم فضيلة ذوى الفضائل فيضطرون الى إكرامهم وتعظيمهم ، وهذا موضع الحيرة في تفهم آرائهم المتناقضة . ثم إن النفس من حيث هي كذلك تعرض لها قوى ثلاث : القوة البهيمية وهي أدناها ، والقوة السبعية وهي أوسطها ، والقوة الملكية وهي النفس الناطقة التي ليس وراءها مطلب . والانسان إنما استحال إنسانا بأفضل هذه القوى وهي النفس الناطقة . فأنبيل الناس من كان حظه من هذه القوة أوفر . وإن أخس الناس لهو من كان قليل العقل قريبا من البهيمية كالذين يقيمون في بعض أقاصى المعمورة ، وكسكان البوادي الذين ظلوا في جهالة عمياء لا يمتازون عن القرود إلا بصورهم ، وبهذا القدر الضئيل يستحقون أن يخلع عليهم لقب الانسانية ، فإذا أمسكوا بأسباب الانسانية المهدبة واختلطوا بالناس فشموا منهم عبير الثقافات المختلفة استطاعوا أن يوجدوا فيهم العالم المستنير والذكي المهذب ثم هم بعد يتفاضلون بتفاضل بدائهم حتى يبلغوا غاية ما يبلغه أولو النبل والفضل ، وليس ثمة حالة للانسان أعلى من تلك الحالة ما دام إنسانا .

دحض شبهات عن الاسلام

يذكر قراؤنا الكرام أننا أتينا في السنة الماضية على ماخص مقالة المسيو أندريه هرفيه الفرنسي، نشرها في فرنسا وأتى فيها على شبهات ضد الاسلام، فرددنا في أعداد تلك السنة على ثلاث شبهات منها، ورأينا اليوم أن نتابع ردودنا على ما بقي منها .

الشبهة الرابعة : قال المسيو أندريه هرفيه : « إن العلم العربي لا يعدو ما ترجمه السوريون للعرب ترجمة مشوهة ، انخدع بها المؤرخون ونسبوها للعرب زورا » .

نقول : إننا أول ما وقع بصرنا على هذه الشبهة كدنا لا نصدق صدورها عن كاتب في القرن العشرين ، ليس لأنها تغمط المسلمين حقهم في حفظ العلم فحسب ، ولكن لأنها تنسب لجمهرة المؤرخين الانخداع في أمر لا يمكن فيه الخدع والانخداع البتة .

ذلك لأن العرب لما اندفعوا في تحصيل العلم بحافز من الاسلام لم يكن أمامهم من سبيل اليه إلا سبيل الترجمة ، فاستعانوا عليها بالنساطرة واليعاقبة واليهود ممن يحذقون اللغات اليونانية والسريانية والكلدانية وغيرها ، فكانوا كلما تمت ترجمة كتاب كتبوا عليه اسم مؤلفه ومترجمه ، وأخذوا في تدارسه وتفهمه ، فاجتمع لديهم من هذه الكتب المترجمة عدد كبير ، فلم يرو عن أحد من العرب أنه نسب الى نفسه كتابا من هذه الكتب ، ولا أخطأ مؤرخ عربي أو أجنبي فعزا واحدا منها الى غير واضعه .

فماذا يعني إذن المسيو أندريه بقوله : إن المؤرخين انخدعوا بهذه العلوم المترجمة فنسبوها للعرب ؟

ليسمع لي أن أقول : إنها لا تعني شيئا ، وإنها لا تستحق الرد لهذا السبب .

ولكن العرب بعد أن أحسنوا العلم بها وضعوا تعليقات وشروحا عليها ، وتفنيدات لبعض مزاعمها ، وتصحيحات لكثير من أخطائها . وهذه الثمرات الفكرية لا يمكن الخطأ في نسبتها ، لأن أصول تلك الكتب التي ترجمها العرب لا تزال محفوظة في مكتبات

أوروبا بلغاتها الأصلية ، وهي خالية من تلك التعليقات والشروح والتعديلات العربية الباحثة . وفي الأوربيين ، وليس المسيو أندريه منهم ، فلاسفة وقفوا حياتهم على النظر في تلك الأصول فلم يعثر واحد منهم على شيء انتحله العرب لأنفسهم . فالتفرقة بين ما كان للأمم المنقول عنها ، وبين ما هو من صميم العقول الاسلامية ، ميسورة في كل وقت ، ولا يمكن الانخداع في أمر يتعلق بها .

هنا يسوغ لنا أن نسأل : هل زاد المسلمون على المعارف القديمة علوما جديدة ؟ وهل أكسبوا ما كان موجودا منها تحسينا لم يكن فيها ؟

الجواب على هذين السؤالين ليس بصعب ، فما علينا إلا نقل ما أجمع عليه المؤرخون ، وما أجمعوا عليه لا يمكن أن يقابل بالاستخفاف من فرد يرسل القول إرسالا ولا يأتي على ما يقول بسلطان بين .

فاليك ما قاله تاريخ العلم على لسان الأستاذ الكبير (دريبر) المدرس بجامعة نيويورك في كتابه (المنازعة بين العلم والدين) ^(١) :

« إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة (٦٣٨) ميلادية أى بعد موت محمد بست سنين . ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية اليونانية وقدروها قدرها الصحيح » . الى أن قال :

« ولما ولى الخلافة أبو جعفر المنصور من سنة (٧٥٣ الى ٧٧٥) ميلادية ، نقل عاصمة الملك الى بغداد وجعلها عاصمة نخمة ، فلم يأل جهدا في نشر العلوم الفلكية ، وتأسيس مدارس الطب والشريعة .

« ولما تولى حفيده هارون الرشيد سنة (٧٨٦) م اتبع أثر جده في هذه الفتوحات العلمية ، وأمر بإضافة مدرسة الى كل مسجد في جميع أرجاء ملكه .

« ولكن عصر العلم ازاهر في القارة الآسيوية لم يشرق إلا في خلافة المأمون

الذى تولى الخلافة من سنة (٨١٣ الى ٨٣٢) م ، فإنه جعل بغداد العاصمة العلمية العظمى ، وجمع اليها كتبها لا تحصى ، وقرب اليه العلماء وبالنسبة في الحفاوة بهم .

هذه المكانة التى اكتسبها العرب ، وهذا الذوق السليم فى العلم ، استمر لديهم حتى بعد أن انقسمت مملكتهم الى ثلاثة أقسام ، فإن العباسيين فى آسيا ، والفاطميين فى مصر ، والأمويين فى اسبانيا ، لم يكونوا متناظرين متنافسين على الحكومة فقط ، ولكن كانوا كذلك فى الآداب والعلوم أيضا .

« ذاق العرب فى الفنون الأدبية كل ما من شأنه أن يحد القريحة ويصقل الذهن ، وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما أنجبت الأمم كلها مجتمعة .

« أما فى العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئا من الأسلوب الذى توخوه فى المباحث ، وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الأوربيين ، فإنهم قد تحققوا أن الأسلوب العقلى النظرى لا يودى الى التقدم ، وأن الأمل فى وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقودا بمشاهدة الحوادث ذاتها ، ومن هنا كان شعارهم فى أنجائهم الأسلوب التجريبي والدستور العملى الحسى .

« وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم الرياضية أدوات ومعدات لعلم المنطق . وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة على الميكانيكا والايديوستاتيكا (علم توازن السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) ونظريات الضوء والإبصار أنهم قد اهتموا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات .

« هذا (تأمل) هو الذى قاد العرب الى أن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء ، والمستكشفين لعدة آلات للتقطير والتصعيد والإسالة (إسالة الجوامد والتصفية الخ) .

« وهذا بعينه هو الذى جعلهم يستعملون فى بحوثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة والاسطرلابات (هى آلات لقياس أبعاد الكواكب) .

« وهو أيضا الذى بعثهم لاستخدام الميزان فى العلوم الكيماوية ، وقد كانوا على ثقة

تامة من نظريته .

« وهو الذى هدام عمل الجداول عن الأوزان النوعية للأجسام والأزياج الفلكية (هى جداول تعرف بها حركات الكواكب) مثل التى كانت فى بغداد وقرطبة وسمرقند وهو الذى أوجد لهم هذا الترقى الباهر فى الهندسة وحساب المثلثات .

« وهو أيضا الذى هم بهم لا اكتشاف علم الجبر ، ودعاهم لاستعمال الأرقام الهندية .

« هذا هو ثمرة تفضيلهم أسلوب أرسطو الاستدلالي على مقالات أفلاطون الاستنتاجية » الى أن قال :

« لقد كتب العرب فى كل فن وفى كل علم ، كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الخيول والأبل ، وكل هذه المؤلفات كانت تنشر بدون رقابة ولا حجر ، وما يعلم من المراقبة على الكتب اللاهوتية ، فقد حدث فيما بعد هذا التاريخ . وقد كانت الكتب الزاخرة بالمعلومات التى تصلح لأن تتخذ مادة ، كثيرة جدا فى الجغرافيا والإحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغة ، وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد أبو عبد الله » الى أن قال :

« كان الملك الاسلامى يغص بالمدارس والمكتبات ، وكانت بلاد المغول والتتار وصررا كش والأندلس حاصلة على عدد عديد منها » الى أن قال :

« ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى ، لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فإنهم (تأمل) قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا ، وأوجدوا (تأمل أيضا) علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم » الى أن قال :

« وإننا لندهش حين نرى فى مؤلفات العرب من الآراء العلمية ما كنا نظنه من ثمرات العلم فى هذا العصر ، من ذلك أن مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهبا حديثا ، كان يدرس فى مدارسهم ، وقد كانوا ذهبوا منه الى مدى أبعد مما وصلنا اليه ، وذلك بتطبيقه على الجامدات والمعادن أيضا .

وقال المؤرخ الانجليزى الكبير (جيبون) :

« كان من أثر تنشيط الأمراء المسلمين للعلم أن انتشر الذوق العلمي في المسافة الشاسعة التي بين سمرقند وبخارى الى فارس وقرطبة » .

نقول بعد هذا أين تذهب شبهة المسيو أندريه هرفيه في وسط هذه الأُسنة المشرعة اليها من تأكيدات مؤرخي العلوم الانسانية ونقبائها المعروفين ببعد النظر وشدة التحصيل ؟ فهل كان بينهم وبين العرب رابطة جنسية أو دينية أو لغوية حتى يعزوا اليهم ما ليس لهم ، ويحيطوا اسمهم بهذه الفتوحات العلمية التي لم تسجل لأمة قبلهم في الأرض ؟

إن كل ما عمله المسيو أندريه بشبهته أن أنار من جديد تاريخا حافلا بالعظائم لأمة لم يوجهها هذا التوجيه المدني الخطير إلا الدين الذي يصمه بما ليس فيه ليلفت اليه نظرات الإعجاب به من جديد ، وإن كان يريد هو عكس ذلك : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون » . محمد فريبر ومجربى

التفضيل بين المنطق والصمت

قال الذين يذهبون الى تفضيل المنطق : إنما بعثت الأنبياء متكلمين ، ولم يبعثوا صامتين . وبالكلام وصف فضل الصمت ، ولم يوصف القول بالصمت . وبالكلام يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر . والبيان من الكلام هو الذي من الله به على عباده ، فقال : خلق الانسان علمه البيان . والعلم كله لا يؤديه الى أوعية القساوب إلا اللسان ، فنفع المنطق عام لقائله وسامعه ، ونفع الصمت خاص لفاعله .

قالوا . وأعدل شيء قيل في الصمت والمنطق قولهم : الكلام في الخير كله أفضل من الصمت ، والصمت في الشر كله أفضل من الكلام .

قال عبد الله بن المبارك يرثي الامام مالك بن أنس .

صموت إذا ما الصمت زين أهله وفتاق أبكار الكلام الختم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة ونيط له الآداب بالاحم والدم

وقال عمر بن الخطاب : ترك الحركة غفلة . وقال بكر بن عبد الله المزني : الصمت خرسة .

وقالوا : الصمت نوم والكلام يقظة . وقالوا : ما شيء نبي إلا قصر ، إلا الكلام فإنه كلما نبي طال .

اسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

الفرائض

عنى الدين الاسلامي بأمر الأسرة أيما عناية ، وأعطاهما من نظره السامى وتشريعه الحكيم أوفر قسط وأوفى نصيب ، فجاءها في كل نواحي حياتها بما يكفل سعادتها ويمتعها بوجود كريم . وإن من خير ما جاء به الدين الاسلامي خاصا بالأسرة نظام المواريث ، فقد شرعه الله تعالى لتآلف الأسر وتناصرها ، ولذلك فصل الكتاب العزيز أحكامه ، وبين سهامه ، على نحو لا يحتاج الى تعمق في الحساب ولا التماس علل وأسباب ، فعبّر بالنصف والثلث ، والرابع والسادس ، ونحو ذلك ، تيسيرا على جمهور المكلفين ، ومراعاة لسواد المخاطبين . كل ذلك قطعاً للنزاع بين الأسر ، وصونا لعلاقات أفرادها أن تهن أو يتسرب اليها الانحلال .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العلم ثلاثة وما سواها فهو فضل : آية محكمة ، وسنة قائمة ، وفريضة عادلة » يريد بها العدل في القسمة بحيث تكون على السهام والأنصبا المذكورة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فنظام التوريث في الاسلام من أدق النظم وأصرحها ، وأكفلها بالنصفه وتحقيق العدالة . وهو موافق للجيلة الانسانية التي مظهرها العطف والحنو بين الأقرباء وذوى الرحم . شهد بذلك كله المسترعون في القديم والحديث ، وعدّوه من مبارّ الدين الاسلامي وسمو حكيمته . وحسبك أن تقارن بينه وبين ما كانت عليه الأمم قبل الاسلام ، وما عليه الامم الأخرى الآن ، لتدرك الى أى حد بلغ نظام التوريث في الاسلام من الدقة والإحكام وإذا نظرنا الى أسباب التوارث التي ورد بها الشرع وجدناها قائمة على ما ذكرنا .

فالسبب الأول وهو الرحم قد بنى على المنصرة الجبلية ، وهي لا تكاد تفارق ذوبها في كل ما ينوب ، لذلك كان أصحاب هذا السبب أقوى الوارثين ، وكانت مرتبتهم

أول المراتب . والأصل فيه قوله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » وقوله تعالى : « يوصيكم الله في أولادكم » الآية .

أما السبب الثاني وهو النكاح فبناه المصاحبة المطيعة ، واعتبارات أخرى بعضها خاص بالزوج ، وبعضها خاص بالزوجة ، وبعضها مشترك بينهما . فأما الخاص بالزوج فقيامه عليها بالنفقة وتمكينه إياها من ماله ، وذلك يؤديه الى اعتقاد أن متركته الزوجة بعض ماله ، فتتطلع نفسه اليه ، وتسهل عليه الخصومة من أجله ، فإذا لم يجعل له فيه حظ ، حزنّت نفسه ، واشتد غضبه . وأما الخاص بالزوجة فهو أنها مكلفة بالمسكن في منزله مدة العدة ، والنفقة عليها حينئذ من ماله ، وبما أن تعيين قدر خاص لذلك غير ممكن ، لعدم التحقق من قدر التركة ودرجة الزوجة ، وجب أن يكون ذلك جزءاً شائعاً . وأيضاً ربما جاءت بمن ينسب اليه ويكون من قومه وعشيرته لا محالة . ولما كان اتصال الابن بالأم لا ينجزم ، كانت الأم داخلة قطعاً في تضاعيف آل الزوج . وأما المشترك بينهما فتوكيد التعاون في تدبير سياسة المنزل ، وشعور كل منهما بأن نفع الآخر وضرره راجع اليه . والأصل في قوله تعالى : « ولكم نصف ما ترك أزواجكم »

ونظرة واحدة في كيفية تقسيم التركات ، ومراعاة درجات الورثة ، ترينا مقدار بعد نظر الدين الاسلامي وحرصه على تحقيق العدالة في أكمل أحوالها ، ذلك أن درجات الورثة تتحد باتحاد المراتب كالبنوة والذكورة والأنوثة ، وتختلف باختلافها . فإذا كان الوارثون ذكورا أو إناثا في درجة واحدة تساوا ، لعدم الترجيح ، وإن كانوا ذكورا وإناثا في درجة واحدة فضل الذكر على الأنثى . فإذا تعددت المراتب حجب الأقرب الأبعد حجب حرمان تارة ونقصان تارة أخرى ، لأن الأقرب مظنة النفع والموازرة القوية .

هذا والكلام في الميراث وأسراره طويل الذبول ، فلنكتف الآن بهذا مرجئين الكلام عن أسرار هذه الشرعة الحكيمة الى الأعداد المقبلة . عباس طه

تصحيح خطأ

وقع نظرى على ما نشرته مجلة الأزهر فى الجزء الثامن من المجلد السادس فى نعى المغفور له الشيخ محمد بنحيت وأنه امتحن سنة ١٢٩٣ هـ وقد سبقها الأهرام فذكرت أنه امتحن سنة ١٢٩٢ هـ

والحقيقة أنه امتحن ونال شهادة العالمية من الدرجة الأولى سنة ١٢٩٤ هـ وكان أحد ستة، منهم الإمام الشيخ محمد عبده، وقد توفوا جميعاً، وكان فقيدنا الأخير أطولهم عمراً. وقد امتاز رحمه الله من بنى أثره بكثرة الاطلاع والبحث، وقد ورث عنه هذه النحلة حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر، فانه حفظه الله من يوم أن غادر مجلس الامتحان فى ١٢ ربيع الثانى سنة ١٣٢٢ هـ وهو عاكف فى أوقات فراغه على البحث والاطلاع، فإثر لفصيلته فى داره لا يصادفه بغير كتاب فى يده يقرؤه. زاده الله نعمة على نعمة؛ هذا ما أردت تسطيره تبياناً للحقيقة مـ محمد على القاضى الطماوى

الحياة الادبية عند العرب

يذكر قراؤنا أن فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون كتب بحثاً تحت هذا العنوان فى العدد العاشر فعقبنا عليه بما يخالف ما ذهب اليه، فأرسل إلينا بمقالة ثانية فى الموضوع نفسه يؤيد بها وجهة نظره فى المقالة الأولى، فرأينا أن ننقل نشره لأن الموضوع قد وفى حقه على كلا المذهبين، وقد نشرنا لحضرته مقالة فى موضوع آخر يجدها القراء فى هذا العدد.

لجنة الفتوى بالأزهر

ورئيسها الراحل

كان مقررا أن تنعقد لجنة الفتوى بالأزهر في الساعة الرابعة من مساء يوم السبت ٦ من ذى الحجة سنة ١٣٥٤ الموافق ٢٩ من فبراير سنة ١٩٣٦ برئاسة فضيلة رئيسها المغفور له الشيخ حسين والى ، وما كادت تبزغ شمس ذلك اليوم حتى فوجئ أعضاءها كما فوجئ الناس عامة بنعي رئيسها العظيم ، وما كادت تحين الساعة المحدودة لانعقاد اللجنة ، حتى كان شيخها الجليل يعبر الطريق من منزله الى الأزهر الشريف محمولا فوق الأعناق ، مشيعا بقلوب مكلوثة ، وزفرات حارة ، ودموع منهمة .

وإن أعضاء لجنة الفتوى الذين خبروا الفقيد عن كسب ، فعرفوا فيه العلم الغزير ، والخلق الكريم ، والعقل الراجح ، والفكر الثاقب ، والجلد على البحث ، والشغف بالاطلاع ، والدقة في تلخيص الحق ، ليبثون حزنهم العميق على هذا المصاب الجلل .

وهم جميعا يتقدمون الى الأمم الاسلامية كافة والى رجال العلم والأدب فى أقطار الأرض ، والى أسرة الفقيد ، بإصداق العزاء ، ويسألون الله الكريم أن يأجرهم على مصابهم ، وأن يتغمده بالرحمة والرضوان .

واللجنة تتقدم بخالص الدعاء وجزيل الشكر الى حضرة صاحب الجلالة الملك على ما غمر به أسرة العلم والدين فى شخص فقيدها الكبير من عطف ورعاية ، كما تشكر جميع الذين تفضلوا بمواساة الأزهر فى مصابه ، ضارعة اليه سبحانه أن يحجزهم عن عواطفهم نحو الدين ورجاله أحسن الجزاء !

لجنة الفتوى

سكرتير لجنة الفتوى : فكرى يس

إن أسرة مجلة الأزهر تشاطر لجنة الفتوى أساها الجلل على فقد رئيسها الكريم ، وتصرح بأنها فقدت فى شخصه ركنا من أقوى أركانها ، ومرجعا من أوثق مراجعها . وإن القراء عامة والمسلمين كافة ليشاركونا فى الشعور بهذه الخسارة الفادحة ، فقد كان الفقيد رحمه الله متحليا بجميع سمات الاقطاب من أهل العلم : سعة اطلاع فى تواضع ، وعزة نفس فى بشر ، ووقوف مع الحق فى مقاربة ، وقوة عارضة فى أدب . وإن الذين اشتغلوا معه سواء فى مجلس الشيوخ أو فى هيئة كبار العلماء ، أو فى المجمع اللغوى ، يشعرون أنهم فقدوا بفقد شخصية ممتازة ، وقوة فعالة ، وبصيرة نافذة ، وعقلية متلاثة .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأنزله منزلة الصالحين الطيبين عنده !

نفسية الرسول العربي

السور من الأول العالمى

إن الذين يقرءون سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتأملون في خلاله وشمائله ، ويدركون جلاله الأعمال التي قام بها بتأييد من الله له ، يشعرون أنهم أمام شخصية عالية يريدون أن يقولوا فيها فيعجزهم البيان ، ويرجون أن يوفوها حقها من الوصف فتضيق لديهم العبارات ، فهؤلاء يجدون في كتاب الأستاذ الجليل لييب النشاشيبي المسمى (نفسية الرسول العربي) متنفسا لهم ، فيقرءون فيه ما كان يخالج صدورهم ولا يستطيعون التعبير عنه من عبارات الإكبار والإعجاب ، فهو شعر منشور ولكن ليس معتمده الخيال بل الواقع ، ومن الواقع ما هو أبعد أثرا في ذهن من الخيال ، وأشد وقعا في النفس منه .

وقد قرظله حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر بكلمات بليغة حكيمة ، وضعها المؤلف في أولى صفحاته . وإنا لنسجل منه هذه العبارة القليلة الألفاظ الجلييلة المعاني ، قال فضيلته :

« إن إخلاصك للحق والعلم ، وتجردك من كل موروث من العقائد والتقاليد ، هو الذى جعلك تخلص الإخلاص كله للنبي العربي صلوات الله عليه ، وتلك فضيلة العلماء ، وخاصة الحكماء ، ولو أن الناس حافظوا عليها ، وجروا في البحث على منجها لقل النزاع وضائق دائرة الخلاف . »

وإنا لنكتفي بهذا القدر اليوم واعدن أن نعود الى هذا الكتاب في فرص نرجو أن تكون قريبة لتوفيه حقه ، وننقل للقراء بعض ما أورد من آيات البيان ، في أسلوبه الساحر الفتان .

لباب الاداب

للأثير أسامة بن منقذ كتاب في الأدب موسوم بلباب الآداب . وهو من صميم الأدب العربي ، جدير بأن يكون في كل مكتبة يعنى صاحبها باللغة العربية والفصاحة . ومما زاد في قيمته أن فضيلة الأستاذ الشيخ احمد شاكر القاضي بالحاكم الشرعية قد عني به ، فضبط كلماته بالشكل ، ووضع عليه تعليقات قيمة . وقام بطبعه لويس افندي سر كيس طبعا متقنا ، فجاء الكتاب من أحسن الكتب الأدبية .

جمعية رعاية اليتيم

تأسست في سنة ١٣٥٢ جمعية في مصر الجديدة باسم جمعية رعاية اليتيم ، وقد أرسل إلينا قانونها فاطلعنا عليه ، وعلمنا منه أن غرضها كما يدل عليه اسمها « مساعدة اليتيم وتربيته ، ومساعدة الفقراء والمعوزين والأرامل من المسلمين بمصر الجديدة وضواحيها » الخ . وبلى ذلك تفصيل لوجوه تلك المساعدة .
فنشكر لحضرات القائمين بها عملهم البار ، ونرجو الله أن يثبت أقدامهم ، وأن يثيبهم ثواب الصالحين .

شرح البردة وتشطيرها

للأستاذ البوصيري رحمه الله قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ، اشتهرت شهرة لم تشاركها فيها قصيدة غيرها ، وهي حربة بهذه الشهرة . وقد قام بشرحها وتشطيرها أخيرا حضرة محمد افندي رضوان احمد وأهدانا بنسخة منها . فنشكره ونثنى عليه .

CHAPTER 21.

Animal dung must not be used

for Abstersion.

We are informed by **Abu Nu'aim**, who had it from **Zuhair**, through **Abu Ishâq**, who stated that it had not been related by **Abu 'Ubaidah** but by **Abdu-r-Rahmân b. Al-Aswad**(1) through his father, who heard **'Abdul-lâh** say :

“ The Prophet (Allâh bless him and give him peace) once went out to the open to relieve his necessity, and ordered me to bring him three stones. I found two stones, and looked for a third but could not find it. So I picked up a lump of dry dung and brought them all to him. He then took the two stones and threw away the lump of dung saying : ‘ This is unclean. ’ ” (2)

باب : لَا يُسْتَنْجَى بِرَوْث :

حدثنا أبو نعيم قال حدثنا زهير

عن أبي اسحق قال ليس أبو عبيدة

ذكره ولكن عبد الرحمن بن الأسود

عن أبيه أنه سمع عبد الله يقول :

أَيُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الغَائِطَ فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِثَلَاثَةِ

أَحْجَارٍ، فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ وَالتَّمَسْتُ

الثَّلَاثَ فَلَمْ أَجِدْهُ فَأَخَذْتُ رَوْثَةً

فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَأَخَذَ الْحَجَرَيْنِ وَأَلْقَى الرِّثْوَةَ

وَقَالَ : هَذَا رِثْسٌ »

1. The narrator prefers the authority of **Abdu-r-Rahmân** to that of **Abu 'Ubaidah**, as the former supplies an unbroken *isnâd*. (Al-*Aini*).

2. In other versions any doubt suggested against **Abu Ishâq**'s veracity is dispelled by tracing the hadith through **Yûsuf**, a fellow-witness of **Zubair**, and by using the formal « حدثني » instead of the casual « ذكره » thus he says :

« وقال إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحق حدثني عبد الرحمن »

“ When any of you micturateth, let him on no account take his member in his right hand, nor use his right hand for abstersion, nor breathe into his drinking-vessel ”

CHAPTER 20.

On Abstersion with stones.

We are informed by Ahmad b. Muhammad Al-Makki, who had it from ‘Amr b. Yahyâ b. Sa‘îd b. ‘Amr Al-Makki, through his grandfather, through Abu Hurairah, who said :

“ I once followed the Prophet (Allâh bless him and give him peace) when he went out to relieve his necessity. He went on without looking round. ⁽¹⁾ When I approached him he said : ‘Fetch me some stones for my abstersion (or some word to that effect) but do not bring me any bones or animal dung.’⁽²⁾ I therefore brought him some stones in the fold of my gown and placing them beside him, I left him. When he had finished he made use of the stones. ”

« إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ يَمِينَهُ وَلَا يَسْتَنْجِ يَمِينَهُ وَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ : »

باب الاستنجاء بالحجارة :

حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا

عمر بن يحيى بن سعيد بن عمرو المكي عن جده عن أبي هريرة قال :

« أَتَبِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَرَجَ لِحَاجَتِهِ ، فَكَانَ لَا يَلْتَفِتُ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَالَ : أَبْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضُ بِهَا (أَوْ نَحْوَهُ) وَلَا تَأْتِنِي بَعْظِيمٌ وَلَا رَوْتٌ ، فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ بِطَرَفِ ثِيَابِي فَوَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ فَلَمَّا قَضَى أَتْبَعَهُ بِهِنَّ »

1. As was his habit .

2.— of horses, mules or asses, which the Arabs may have used when dry and which the Prophet hereby condemns as unclean.

CHAPTER 18.

On the prohibition of Abstersion with the right hand.

We are informed by Mu'adh b. Fadâlah who had it from Hishâm (Ad-Dastawâ'i), through Yahyâ b. Abu Kathîr, through 'Abdullâh b. Abu Qatâdah, through his father, who stated that the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

“ When any of you drinketh, let him not breathe in the vessel, and when he relieveth his necessities, let him not touch his member with his right hand, nor use his right hand for abstersion. ”

CHAPTER 19.

The member must not be held in the right hand in micturating.

We are informed by Muhammad b. Yûsuf, who had it from Al-Auzâ'i, through Yahyâ b. Abu Kathîr, through 'Abdullâh b. Abu Qatâdah, through his father, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) who said :

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الاسْتِنْجَاءِ بِالْيَمِينِ:

حدثنا معاذ بن فضالة قال حدثنا

هشام هو الدستوائي عن يحيى بن أبي

كثير ، عن عبد الله بن أبي قتادة عن

عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم :

« إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا

يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ، وَإِذَا أَتَى الْخَلَاءَ

فَلَا يَمَسُّ ذَكَرَهُ يَمِينِهِ وَلَا يَتَمَسَّحُ

بِیَمِينِهِ »

بَابُ لَا يُمْسِكُ ذَكَرَهُ يَمِينِهِ

إِذَا بَالَ :

حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا

الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن

عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال :

CHAPTER 17.

On carrying the iron-tipped staff ⁽¹⁾ together with the water for purposes of abstersion.

We are informed by Muhammad b. Bashshâr, who had it from Muhammad b. Ja'far, who received it from Shu'bah, through 'Atâ b. Abu Maimûnah, who heard Anas b. Mâlik say :

“ When the Messenger of Allâh went out to relieve his necessities, I and a lad used to carry a small skin of water and an iron-tipped staff. The water was intended for abstersion .”

(Likewise An-Nadr and Shâdhân as fellow-witnesses with Muhammad b. Ja'far confirm this narration through Shu'bah.)

In Kuraimah's version the explanation of عِزَّة is given as an iron-tipped staff ”.

بَابُ مُحْمِلِ الْعِزَّةِ مَعَ الْمَاءِ

فِي الْإِسْتِنْجَاءِ :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ

ابْنُ جَعْفَرٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ

أَبِي مَيْمُونَةَ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ :

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَدْخُلُ الْخِلَاءَ فَأَتَحِمِلُ أَنَا وَغُلَامٌ إِدَاوَةَ

مِنْ مَاءٍ وَعِزَّةٍ - يَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ » .

(تَابِعَهُ النَّضْرُ وَشَاذَانُ عَنْ شُعْبَةَ)

الْعِزَّةُ عَصَا عَلَيْهِ زُجْ .

1. It is related that this staff was presented to the Prophet by the Negus, and may have been used partly to drive away wild beasts, partly to loosen the soil for sanitary reasons, partly to stick in the ground during prayer in open country to warn anyone from passing in front, and partly to lean upon. It was handed down to the four Orthodox Califs and preserved by Ibn-uz-Zubair until his death.

“ Whenever the Prophet (Allâh bless him and give him peace) went out to relieve his necessities, I and a lad came to him carrying a small skin of water. ”

Abu-l-Walîd adds that Anas meant that the water was for the Prophet to perform his abstinence. (1)

CHAPTER 16.

On one in whose company water is carried for his use in purification; and on the words of Abu-d-Dardâ : “ Is there not amongst you one who was the bearer of the Prophet’s sandals, purification-water, and cushion ? ” (2)

We are informed by Sulaimân b. Harb, who was told it by Shu’bah, through Abu Mu’âdh namely ‘Atâ b. Abu Maimûnah, who heard Anas say:

“ Whenever the Messenger of Allâh went out to relieve his necessities, I and a lad of our people (3) followed him carrying a small skin of water.”

« كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَجَىءَ أَنَا وَغُلَامٌ مَعَنَا إِدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ » - يَعْنِي يَسْتَنْجِي بِهِ .

بَابُ مَنْ يُحْمِلُ مَعَهُ الْمَاءَ لِطَهْوَرِهِ ،

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : أَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ وَالطَّهْوَرِ وَالْوِسَادِ ؟

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا

شُعْبَةُ عَنْ أَبِي مُعَاذٍ ، هُوَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي مَيْمُونَةَ ، قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ :

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ تَبِعْتُهُ أَنَا وَغُلَامٌ مِنَّا مَعَنَا إِدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ » .

1. Al-Bukhârî’s purpose in citing this hadîth was to give an answer to those who maintained that the Prophet did not use water for this purpose, but stones.

2. Abu-d-Dardâ was a prominent Sahâbi and a judge in Damascus during the Califate of ‘Uthmân. When he was asked by the people of Irâq for decision he used to reply : “Why ask a man like me, when you have among you ‘Abdullâh b. Mas’ûd who bore the Prophet’s sandals etc.”

3. Namely ‘Abdullâh b. Mas’ûd. (Al-Qastallânî)

when I saw the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) relieving his necessities with his back to the qiblah and his face to Syria.”⁽¹⁾

2. We are informed by Ya‘qûb b. Ibrâhîm, who had it from Yazîd b. Hârûn, who received it from Yahyâ, through Muhammad b. Yahyâ b. Habbân that he was told by his paternal uncle Wâsi‘ b. Habbân that ‘Abdullâh b. ‘Umar informed him saying :

“ I remember clearly that I went up one day on to the roof of our house, when I saw the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) squatting on two mud-bricks⁽²⁾ with his face towards Jerusalem. ”

CHAPTER 15.

On Abstersion by means of water.

We are informed by Abu-l-Walîd. Hishâm b. ‘Abdul-Malik, who had it from Shu‘bah, through Abu Mu‘âdh named ‘Atâ‘ b. Abu Maimûnah, who heard Anas b. Mâlik say :

لِبَعْضِ حَاجَتِي فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي حَاجَتَهُ مُسْتَذْبِرَ الْقِبْلَةِ مُسْتَقْبِلَ الشَّامِ .

حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال :
حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا يحيى عن
محمد بن يحيى بن حبان أن عمه واسع بن
حبان أخبره أن عبد الله بن عمر أخبره
قال :

« لَقَدْ ظَهَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى ظَهْرِ
بَيْتِنَا فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَاعِدًا عَلَى كِبَيْتَيْنِ مُسْتَقْبِلَ بَيْتِ
الْمَقْدِسِ . »

بَابُ الاسْتِنْجَاءِ بِالْمَاءِ :

حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك
قال حدثنا شعبة عن أبي معاذ واسمه عطاء
ابن أبي ميمونة قال سمعت أنس بن
مالك يقول :

1. Presumably the Prophet was in the courtyard in an open privy. The purpose of this hadith is to show that after the introduction of privies into houses, it was no longer necessary for women to go out for sanitary reasons.

2.—to relieve his necessity .

the veil verses. (1)

2. We are informed by Zakariyyâ, who had it from Abu Usâmah, through Hishâm b. 'Urwah, through his father, through 'A'ishah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) who said *to his wives* :

"It hath verily been permitted unto you to go out⁽²⁾ for your needs."

(Hishâm explained that by "needs" is meant "natural necessities.")

CHAPTER 14.

On relieving necessities in houses.

1. We are informed by Ibrâhîm b. Al-Mundhir, who had it from Anas b. 'Iyâd, through 'Ubaidullâh, through Muhammad b. Yahyâ b. Habbân, through Wâsi' b. Habbân, through 'Abdullâh b. 'Umar, who said :

"I went up on to the roof of Hafsah's house for a personal reason,

الْحُجَابُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْحُجَابِ .

حدثنا زكرياء قال حدثنا أبو أسامة

عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« قَدْ أُذِنَ أَنْ تَخْرُجْنَ فِي حَاجَتِكُنَّ »

قال هشام : يَعْنِي الْبَرَازَ .

بَابُ التَّبَرُّزِ فِي الْبَيْتِ :

حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا

أنس بن عياض عن عبيد الله عن محمد

ابن يحيى بن حبان عن واسع بن حبان

عن عبد الله بن عمر قال :

« أَرْتَقَيْتُ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ حَفْصَةَ »

1. There are three possible renderings of حجاب :

a. Covering the face (Surah 33, v. 59) ; b. Speaking to men from behind a screen (Surah 33, v. 53) ; c. Confinement to the house except in the case of legal necessity, in which case the whole person must be veiled (Surah 24, v. 31). This is one of the eleven cases where the revelations in the Qur'ân confirmed 'Umar's views. (See Al-Qastallâni).

2. 'Umar was in favour of complete seclusion of the Prophet's wives, and even after the first revelation of covering the face, he was not satisfied. On another occasion when Saudah had gone out veiled, 'Umar recognised her by her height and shouted out « يا سودة ! أما والله ما تخفين علينا » " O Saudah, ay ! by Allâh thou canst never disguise thyself from us. " When she returned and told the Prophet about it, the revelation here referred to was sent down . (Al-Qastallâni).

CHAPTER 13.

On women going out to relieve their necessities.

1. We are informed by Yahyâ b. Bukair, who received it from Al-Laith, who had it from 'Uqail, through Ibn Shihâb, through 'Urwah, through 'A'ishah that :

The wives of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to go out at night when they relieved their necessities, to Al-Manâsir which is an elevated open space. 'Umar had told the Prophet (Allâh bless him and give him peace) to keep his wives indoors, but the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) did not do so. Saudah bint Zam'rah, a wife of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) went out one evening in the dusk. She was a tall woman, and so 'Umar called out to her : " Ho there ! Saudah, we have recognised thee." He did this because he was eager for a revelation enjoining the seclusion of women ; and in fact Allâh did subsequently send down

بَابُ خُرُوجِ النِّسَاءِ إِلَى الْبَرَازِ :

حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا

الليث قال حدثني عقيل عن ابن شهاب
عن عروة عن عائشة :

أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا
تَبَرَّزْنَ إِلَى الْمَنَاصِعِ ، وَهُوَ صَعِيدٌ
أَفِيحٌ ، فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : احْجُبْ نِسَاءَكَ ، فَلَمْ
يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَفْعَلُ .

فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ
زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً
مِنَ اللَّيْلِ عِشَاءً وَكَانَتْ امْرَأَةً طَوِيلَةً ،
فَنَادَاهَا عُمَرُ « أَلَا قَدْ عَرَفْنَاكَ
يَا سَوْدَةُ » حَرِصًا عَلَى أَنْ يُنْزَلَ

“ Some people⁽¹⁾ say that if thou relievest thy necessities squatting, face not the qiblah, nor Jerusalem ; well, (added ‘Abdullâh b. ‘Umar) I once went up on to the roof of a house of ours, and I did see the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) squatting on two mud-bricks to relieve his necessity whilst facing Jerusalem.”

Ibn ‘Umar then said to Wâsi‘ : “ Perchance thou art one of those that perform their prayers *resting* on their thighs ! ” Wâsi‘ replied : “ By Allâh, I am not conscious of it. ” ⁽²⁾

Expounding

« من الذين يصلون على أوراكم »

Mâlik said : “ It meant one that performeth his prayers without raising himself from the ground — making his prostrations *with the limbs touching the ground.*”

إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ : إِذَا قَعَدْتَ
عَلَى حَاجَتِكَ فَلَا تَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا
بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ :
لَقَدْ أَرَأَيْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ بَيْتِ لَنَا
فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى لَبَدَتَيْنِ مُسْتَقْبِلًا بَيْتَ الْمَقْدِسِ
لِحَاجَتِهِ ،
وَقَالَ : لَعَلَّكَ مِنَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ
عَلَى أَوْرَاكِهِمْ ، فَقُلْتُ : لَا أَذْرى وَاللَّهِ
قَالَ مَا لِكَ : يَعْنِي الَّذِي يُصَلِّي
وَلَا يَرْتَفِعُ عَنِ الْأَرْضِ - يَسْجُدُ
وَهُوَ لَا صِقٌّ بِالْأَرْضِ .

1. Such as Abu Hurairah and Abu Ayyûb Al-Ansâri who hold the principle of general prohibition.

2. According to Muslim, Ibn ‘Umar saw Wâsi‘ praying in the Mosque, and thought he was making his prostrations incorrectly. He appeared to be allowing his abdomen to touch his thighs and his forearms to lie along the ground—instead of keeping his trunk and arms clear from the ground, his elbows spread outwards and knees apart. The sunnah prescribes that only the hands, forehead, nose, knees and toes must be in contact with the ground.

It would appear that Ibn ‘Umar was under the impression that Wâsi‘ had adopted that attitude in prostration in order to prevent the pudenda from obtruding in the direction of the qiblah,—thinking that just as it was prohibited to face the qiblah while relieving necessities, so it would be to obtrude the parts in prostration. Hence Ibn ‘Umar’s remark, which was intended to convey to Wâsi‘ the principle that just as walls and buildings were an effective screen from the qiblah in the case of relieving necessities, so were clothes in the case of prostration in prayer. [See Ibn Hajar Vol. I p. 175, Cairo, 1319 A. H.]

‘Atâ b. Yazîd Al-Laithi, through Abu Ayyûb Al-Ansâri, who stated that the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

“ When any of you goeth to the draught, let him not face the qiblah, nor turn his back to it ; turn ye ⁽¹⁾ to the east or to the west. ”

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا آتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطَ فَلَا

يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا يُوَلِّسُهَا ظَهْرَهُ ،

شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا . »

CHAPTER 12.

On him who when defecating *is seated resting* on his haunches upon two mud-bricks.

We are informed by ‘Abdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Yahyâ b. Sa‘îd, through Muhammad b. Yahyâ b. Habbân, through his uncle Wâsi‘ b. Habbân, through ‘Abdullâh b. ‘Umar that he used to state that :

بَابُ مَنْ تَبَرَّزَ عَلَى لَبْنَتَيْنِ :

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا

مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن

يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان

عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول :

1. Here the Prophet changes from the third person to the second as he is directing the last remark to the Madinites,—which is naturally valid for all worshippers in the same longitude. The exception mentioned in the heading was not accepted by Abu Ayyûb the narrator of this hadîth who takes the prohibition to be general. In the “ Talw’h ” we find that Abu Ayyûb says :

« فقد منا الشام فوجدنا مراحيض قد بنيت نحو الكعبة فكنا نتحرف عنها ونستغفر الله »

“ We came to Syria where we found the privies built facing Makkah, so we turned aside from them and asked forgiveness of Allâh.” This is confirmed by Mâlik’s hadîth as well as by ‘Atâ’s. Abu Hanifah adopts this view, while Ash-Shâfi‘i and the others consider that it is mainly intended for the desert or open spaces. This principle has influenced the architectural disposition of mosques and houses in Muslim countries.

CHAPTER 10.

On placing water by the privy.

We are informed by ‘Abdullâh b. Muhammad who had it from Hâshim b. Al-Qâsim, who received it from Warqâ‘, through ‘Ubaidullâh b. Abu Yazid, through Ibn Abbâs that:

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) once entered the privy and I placed water *by it* for his wudû‘. When he asked who had put it there and was told who it was, he said : “ O Allâh, grant him ⁽¹⁾ a deep knowledge of the Faith.”

CHAPTER 11

The Qiblah⁽²⁾ must not be faced in defecating or micturating, unless there be an *intervening* building—a wall or the like. ⁽³⁾

We are informed by Adam, who had it from Ibn Abu Dhi‘b, who received it from Az-Zuhri, through

باب وَضْعِ الْمَاءِ عِنْدَ الْخَلَاءِ :

حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا

هاشم بن القاسم قال حدثنا ورقاء عن

عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس :

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ

الْخَلَاءَ فَوَضَعَتْ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ : مَنْ

وَضَعَ هَذَا؟ فَأُخْبِرَ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ

فَقِّهِهُ فِي الدِّينِ » .

باب : لَا تَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ
أَوْ بَوْلٍ إِلَّا عِنْدَ الْبِنَاءِ جِدَارٍ أَوْ نَحْوِهِ :

حدثنا آدم قال حدثنا ابن أبي ذئب

قال حدثنا الزهري عن عطاء بن

يزيد الليثي عن أبي أيوب الأنصاري

1. Ibn ‘Abbâs was only a boy at the time, and the Prophet felt that his evident intelligence and consideration deserved that he should have the deepest instruction in the Faith. The prayer was answered as Ibn ‘Abbâs afterwards became one of the greatest faqîhs of Islâm.

2. Any side of the Ka‘bah which worshippers face all over the world.

3. Such as rocks, hills and mountains.

which thou mayest bestow upon us', and if it is foreordained that a child be born to them, Satan cannot harm it . ”

وَجَنَّبَ الشَّيْطَانُ مَا رَزَقْتَنَا - فَقَضَىٰ
بَيْنَهُمَا وَلَدَمْ لَا كُمِ يَضُرُّهُ ،

CHAPTER 9.

بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ الْخَلَاءِ :

On what a person should say when about to enter the privy.

We are informed by Adam, who had it from Shuḥbah, through ʿAbdul-ʿAzīz b. Suhaib, who heard Anas say:

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) on entering the privy used to say: “ O Allāh, I take refuge in thee from demons male and female.” ⁽¹⁾

(Likewise Ibn ʿArʿarah as fellow-witness with Adam confirms this narration through Shuḥbah; and while Ghundar reports through Shuḥbah: “on reaching the privy,” Mūsā reports through Hammād : “ on entering ”, and Saʿd b. Zaid states that he was informed by ʿAbdul-ʿAzīz : “ when about to enter.”)

حدثنا آدم قال حدثنا شعبة عن
عبد العزيز بن صهيب قال سمعت أنساً
يقول :

« كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ »
تَابِعَهُ ابْنُ عَرَبَةَ عَنْ شُعْبَةَ ، وَقَالَ
غُنْدَرُ عَنْ شُعْبَةَ « إِذَا أَتَى الْخَلَاءَ »
وَقَالَ مُوسَى عَنْ حَمَادٍ « إِذَا دَخَلَ »
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ
« إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ » .

1. If the masdar خُبْث is read for خُبْث plural of خُبْث the translation of the phrase will be “ abomination and iniquities. ”

took another scoop of water and poured it out slowly over his right foot *up to the ankle*, until he had washed it; he did likewise for the other foot, that is, his left foot.

When he had done this he said :
 " Thus have I seen the Messenger of Allâh perform his wudû'."

CHAPTER 8.

On uttering the basmalah (1) in all conditions,(2) even during copulation. (3)

We are informed by 'Ali b. 'Abdullâh, who had it from Jarîr, through Mansûr, through Sâlim b. Abul-Ja'd, through Kuraib, through Ibn 'Abbâs who traces(4) to the Prophet (Allâh bless him and give him peace) the following saying :

" If each of you, when he hath intercourse with his wife saith : ' In the Name of Allâh, O Lord, keep Satan away from us, and from that

الْيُمْنَى حَتَّى غَسَلَهَا ، ثُمَّ أَخَذَ غُرْفَةً
 أُخْرَى فَعَسَلَ بِهَا رِجْلَهُ ، يَعْنِي
 الْيُسْرَى .

ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ .

بَابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ
 وَعِنْدَ الْوَفَاقِ :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ
 عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ
 عَنْ كُرَيْبٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

« لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ
 قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَبِّنَا الشَّيْطَانَ

1. i.e. the formula [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ] " In the Name of Allâh the All-Loving the Most Merciful."

2.i.e. whether in conditions of ritual purity, impurity or defilement by sexual intercourse.

3. A condition which would naturally be expected to be most remote from religious feeling, and which according to Muhammadan Tradition should be associated with silence.

4. Kuraib here is not certain whether Ibn 'Abbâs had the hadith directly from the Prophet, or from a contemporary Companion who received it from the Prophet.

CHAPTER 7.

On washing the face with both hands, *taking the water at one scoop.*

We are informed by Muhammad b. 'Abdu-r-Rahîm, who had it from Abu Salamah Al-Khuzâ'i Mansûr b. Salamah, who received it from Ibn Bilâl—to wit Sulaimân—through Zaid b. Aslam, through 'Atâ b. Yasâr, through Ibn 'Abbâs that the last-named performed his wudû' as follows :—

He *first* washed his face taking the water at one scoop with which he rinsed his mouth and cleansed his nostrils ; again taking up a scoop of water with one hand he acted thus : he joined it to the other hand and washed his *whole* face with both. He then took another scoop of water with which he washed his right hand *up to the elbow* ; then taking up another scoop of water he did likewise with his left hand; he then stroked part of his head⁽¹⁾. After that he

بَابُ غَسْلِ الْوَجْهِ بِالْيَدَيْنِ مِنْ

غُرْفَةٍ وَاحِدَةٍ :

حدثنا محمد بن عبيد الرحيم قال
أخبرنا أبو سلمة الخزازي منصور بن
سلمة قال أخبرنا ابن بلال يعني سليمان
عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن
عباس : أَنَّهُ قَوَّضًا فَغَسَلَ وَجْهَهُ ، أَخَذَ
غُرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَمَضَمَضَ بِهَا وَاسْتَنْشَقَ ،
ثُمَّ أَخَذَ غُرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَجَعَلَ بِهَا
كَذَا : أَضَافَهَا إِلَى يَدِهِ الْأُخْرَى
فَغَسَلَ بِهِنَّ وَجْهَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ غُرْفَةً
مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ بِهَا يَدَهُ الْيُمْنَى ، ثُمَّ
أَخَذَ غُرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ بِهَا يَدَهُ
الْيُسْرَى ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ، ثُمَّ
أَخَذَ غُرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَرَشَّ عَلَى رِجْلِهِ

1. Abu Dâwûd in his version of the same hadith adds : « بعد أن قبض قبضة من الماء ثم نفخ يده »
“ After taking up a fresh scoop of water and shaking it off his hand.” He also mentions the moistening of the ears.

The Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) was returning from ʿArafah, and when he reached Ash-Shiʿb⁽¹⁾ he alighted, micturated and then performed his wudūʿ, but without doing it thoroughly. " Shall we pray, O Apostle of Allāh? " asked I. " Prayer will be made further on ",⁽²⁾ replied he. He then remounted, and when he came to Al-Muzdalifah,⁽³⁾ he alighted and performed a thorough wudūʿ. The prayer was then called⁽⁴⁾ and he performed the sunset prayer, after which each man made his camel kneel at the spot where he alighted. Then the iqāmah was called for the evening prayer, which the Prophet performed, making no other prayer between these two. ⁽⁵⁾

دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنْ عَرَفَةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشَّعْبِ
نَزَلَ فَبَالَ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَلَمْ يُسَبِّحْ
الْوُضُوءَ ، فَقُلْتُ : « الصَّلَاةُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ » فَقَالَ : « الصَّلَاةُ
أَمَامَكَ » فَرَكِبَ فَلَمَّا جَاءَ الْمُزْدَلِفَةَ
نَزَلَ فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ
أَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ ، ثُمَّ
أَنَاحَ كُلُّ إِنْسَانٍ بِعَبِيرِهِ فِي مَنْزِلِهِ ،
ثُمَّ أَقِيمَتِ الْعِشَاءُ فَصَلَّى وَلَمْ يُصَلِّ
بَيْنَهُمَا .

(1) A mountain-track familiar to the pilgrims.

(2) This incident has formed the precedent for the pilgrims returning from ʿArafah making no prayers until they reach Al-Muzdalifah.

(3) A place between ʿArafāt and Minā.

4. إِقَامَةٌ (iqāmah) the call to "rise" to prayer from the sitting posture in the mosque, as distinct from the أَذَان (adhān) which is the first general call made by the muezzin from the minaret, or an elevated place within the mosque.

5. It is to be noted that here the sunset and the evening prayers were combined owing to the exigencies of travel ; and in order that the proper sequence should be maintained, no supererogatory prayers were made in the interval. It is also evident that an "Iqāmah" was required for each prayer, while a single "adhān" sufficed for both. As regards making the camels kneel in the interval, which was done to eliminate their noise, the continuity of the prayers was not held to be broken as the men did this in silence.

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمتہ جامع صحیح البخاری

للمستاذ ابراهيم مسعد المومني

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

BY

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION
(Continued)

CHAPTER 6.

On the thorough performance of
the wudû;

And on the words of Ibn ʿUmar:
“ The thorough performance of the
wudû consisteth in perfect cleansing.

We are informed by ʿAbdullâh
b. Maslamah, through Mâlik, through
Mûsa b. ʿUqbah, through Kuraib, the
freedman of Ibn ʿAbbâs, through
Usâmah b. Zaid that he heard the
last-named say :

كتاب الوضوء (تابع ما قبله)

بَابُ اسْتِبَاغِ الْوُضُوءِ ،

وقال ابنُ عمرَ « استبأغُ

الوضوء إلا نقاءً » :

حدثنا عبد الله بن مسامة عن مالك

عن موسى بن عقبة عن كريب مولى

ابن عباس عن أسامة بن زيد أنه

سمعه يقول :

كل نفس زائقة الموت

لو كان لنفس بشرية أن تخلد في هذا العالم بقوة إرادتها، ومضاء عزيمتها، وعزة سلطانها، لكان الملك فؤاد واحدا من أفراد خالدين. ولكن الله خلق هذا العالم الأَرْضِي وجعله ممرا إلى عالم أمرع جنابا، وأوسع رحابا، وأقرب إلى حظائر القدس أسبابا، وأكرم لأهل السكالات مستقرا ومآبا، وما مات من خلف وراءه دويا يملأ الجواء، وذكرا تمطر به الأرجاء، ونورا تستهدي به الأحياء، وسيرة ترسم خطواتها القادة والأعالياء، وشبلا يحكي آثاره ويزيدها لآلاء.

فلم يمت الملك فؤاد، ولكنه ارتقى من عالم الفناء، إلى عالم البقاء، ومن مواطن العمل إلى مواطن الثواب والجزاء: « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ».

إن للملك الراحل، جعل الله الرفيق الأعلى مثواه، من المآثر أميرا ومليكا، ما لا يستقصيه إحصاء، ولا يستوعبه تعداد، فإذا شيعته اليوم مصر إلى حيث من تقدمه من الملوك الأخيار، والعيال الأبرار، فإنما تشيع نفسا بعثت الحياة إلى نفوسها، وإرادة نفثت روح القوة في إرادتها، وعظمة أشعرتها بأسر عظمتها، فهي ليست مدينة له بما أحدث فيها من ضروب الإصلاح ما لا عهد لها به من قبل فحسب، لكنها مدينة له أيضا بما هو أرفع من ذلك: بالشعور بوجودها، وبكرامتها، وبحقها في الحياة العزيزة القوية. ولقد تأثرت كل طائفة من مصر بحظ من هذا الشعور، وهو قوام وجودها، وباعت ارتقاؤها، ولعل الأزهر من أكثرها حظا منه، فقد استوى الملك

الراحل على أريكة الملك وهذه الجامعة مفككة الأوصال ، منحلة الأخي ،
تسير تارة الخيزلي ، وترتد تارات القهقري ، وقد أعيا دواؤها نطس الأساة واستعصى
قيادها على الهداة ، فأمدها من عنايته بنصيب موفور ، وما زال يواليها الرعاية حتى
تمثلت من علتها ، ولكن العلل المزمنة ، تخلف ضغفا لا يحصى من تركه للزمن ينفيه
يسيرا يسيرا ، فلما آنس منها القوة على الوثوب الى غاياتها ، أسند رعايتها لإمام المجددين
في هذا العصر الشيخ محمد مصطفى الراعي ، وما كاد الملك يدعى الى جوار ربه حتى رأى
بمعينه هذه الجامعة تحت القيادة الحكيمة التي منحها إياها تتبوأ مكانها من حظيرة
الجامعات الكبرى ، لا نقول بالغة الغاية من رقيها ، ولكننا نقول سائرة الى تلك الغاية
بخطى سريعة لا نقول متزنة .



وبعد فلو أردنا أن نحصى ما للملك الراحل العظيم من الأثر البالغ في جميع مرافق
الحياة الأدبية والمادية في مصر لما استطعنا الى ذلك سبيلا .
وقد ختم ، أكرم الله وفادته ، ورفع مكانته ، أعماله الجليلة البارة بما وفق اليه
من إهداء الأمة بوارث خلاله العظيمة وسجاياه الكريمة ، صاحب الجلالة الملك
« فاروق الأول » جعل الله عهده مقرونا باليمن والإقبال ، وأيامه حافلة بجلال الأعمال ،
وأمد في عمره حتى يرى أمته في مصاف الأمم الكبرى ، تحقيقا لغرض آبائه العظام
من قبل ! وإن هذه الأمة التي أخلصت لهم الولاء ، لتعاهد الله على أن تخلص لجلالته ،
وتسترشد بهدايته ، وتتمين بطاعته .

نبذة من تاريخ المملك الى احل

ولد صاحب الجلالة أحمد فؤاد الأول في ٢٦ مارس سنة (١٨٦٨) فهو تاسع من تولى الأريكة المصرية من سلالة موجد مصر محمد علي الكبير . وهو ابن اسماعيل خديو مصر العظيم ، عني بتربيته وتثقيف عقليته ، فألحقه بمعهد توديكوم بجنيف فنال منه حظا من الثقافة استعداد به أن يلحق بالمعهد العلمى الدولى بتورينو من إيطاليا . وفي سنة ١٨٨٥ أى لما بلغ الثامنة عشرة أدخله والده الى السككية الحربية فى تلك المدينة ، وتلقى بعد ذلك دروسا فى مدرسة المدفعية . ولما تخرج عين ملازما فى حامية روما . وفى سنة ١٨٩٠ نذبه سلطان تركيا ليكون ملحقا عسكريا فى السفارة العثمانية فى فيينا .

ولما حضر الى مصر ، ونمت عليه ثقافته العالية ، أخذ العاملون على النهضة الحديثة يسندون اليه رعاية المشروعات العلمية ، والمؤسسات الخيرية ، فأسند اليه القائمون بأمر الجامعة المصرية رعايتها ، فكان روحها المدبر ، وعقلها المفكر ، حتى أزهرت وأثمرت وضمت الى وزارة المعارف . وعهدت اليه رئاسة اللجنة المصرية التى ألفت لإسعاف منكوبى صقلية سنة ١٩٠٩ فكان عند ظن الناس به . وفى سنة ١٩١٠ أقيمت مقاليد جمعية الإسعاف اليه ، فكان لها مصدر يمن وإقبال . وفى سنة ١٩١٦ رجاه الجنرال مكسويل أن يأخذ جمعية الهلال الأحمر تحت رعايته ، فكان أثره فيها أكبر الآثار . ومن أعماله الكثيرة لإصلاح المجتمع المصرى وهو لا يزال أميرا ، إنشاءؤه مشغل الصناعات اليدوية فى اسكندرية لتعليم بنات الطبقات الفقيرة صناعات يستعين بها على كسب القوت ، فالبت هذا المشغل أن نما وامتد حتى ضم المئين من البنات .

أما أعماله فى الدولة المصرية وهو ملك فلا يكنى فيها أقل من مجلد ضخم ، فإن كل

مايتجلى في مصر اليوم من تجديدات إدارية واقتصادية وعلمية وقضائية ودستورية تمت في عهده في وسط صعوبات من ضروب شتى كان يزيلها بسداد رأيه وحسن تديره .
وكان إسلامه روحه الكريمة يوم الثلاثاء السابع من صفر سنة ١٣٥٥ الثامن والعشرين من شهر أبريل سنة ١٩٣٦ واحتفل يوم الخميس بدفن جثمانه الطاهر في مقابر الأسرة المالكة بجوار مسجد الرفاعي . جعل الله مثواه في عليين ، وأطال الله بقاء نجله العظيم صاحب الجلالة « فاروق الأول » وأمتع بوجوده شعبه الأمين .

محمد فريد ومهرى

مَحْشَفٌ فِي تَرْجُمَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَرَحْمَتِهَا

في مناسبة شروع مشيخة الأزهر بالاشتراك مع وزارة المعارف في ترجمة معاني القرآن الكريم الى أشهر اللغات الأوربية حفظا لتلك المعاني السامية من تشويه الترجمات لجلالها ، رأينا أن ننشر بحثنا مستفيضا جامعا نشره حضرة صاحب الفضيلة الامام الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر في سنة (١٩٣٢) فانه حفظه الله وفي هذا المقام حقه من الابانة والتدليل على مذهب أبي حنيفة ، فكان موردا رعدا لطلاب الحقيقة من هذا الموضوع . قال أيده الله . روح من عنده :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونستعينه ، ونلجأ اليه ، ونطلب منه التوفيق في الرأي والعمل ، ونصلي على خاتم أنبيائه ورسله .

وبعد : فهذه فصول في ترجمة القرآن الكريم وأحكام قراءتها في الصلاة وغيرها ، أثبت فيها النصوص ، ووازن بعضها ببعض ، وبينت مداركها ، وأرجو أن أكون مؤيدا فيها بالتوفيق .

امطالع ترجمته القرآن :

أثبت في صدر هذا البحث نصا لأبي إسحاق الشاطبي من كتاب الموافقات ، وسترى أن ما قاله معروف لكل من درس علوم البلاغة ، وعرف وظائفها وتحديد الفروق بينها وبين غيرها من علوم العربية . ولكن الناس كثيرا ما يذهب عنهم المعروف إذا عرض لهم شيء يختص بأمر ديني ، وبخاصة إذا كان ذلك متعلقا بكتاب الله سبحانه ، وبالعبادات . قال الشاطبي :

« لغة العرب من حيث هي ألفاظ دالة على معان نظران : أحدهما من جهة كونها ألفاظا وعبارات مطلقة دالة على معان مطلقة ، وهي الدلالة الأصلية . والثاني من جهة كونها ألفاظا وعبارات مقيدة دالة على معان خادمة ، وهي الدلالة التابعة . فالجهة الأولى يشترك فيها جميع الألسنة ، وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين ، ولا تختص بأمة دون أخرى ، فإنه إذا حصل في الوجود فعل لزيد مثلاً كالقيام ثم أراد كل صاحب لسان الإخبار عن زيد بالقيام ، تأنى له ما أراد من غير كلفة . ومن هذه الجهة يمكن في لسان العرب الإخبار عن أقوال الأولين ممن ليسوا من أهل اللغة العربية وحكاية كلامهم ، ويتأنى في لسان العجم حكاية أقوال العرب والإخبار عنها ، وهذا لا إشكال فيه .

وأما الجهة الثانية فهي التي يختص بها لسان العرب في تلك الحكاية وذلك الإخبار ، فإن كل خبر يقتضى في هذه الجهة أمورا خادمة لذلك الإخبار ، بحسب الخبر والخبر عنه والخبر به ، ونفس الإخبار في الحال والمساق ، ونوع الأسلوب من الإيضاح والإخفاء والإيجاز والإطناب ، وغير ذلك . فأنت تقول في ابتداء الإخبار : قام زيد ، إن لم تكن لك عناية بالخبر عنه بل بالخبر ، فإن كانت العناية بالخبر عنه قلت : زيد قائم ، وفي جواب السؤال أو ما هو بمنزلة السؤال : إن زيدا قام ، وفي جواب المنكر لقيامه : والله إن زيدا قام ، وفي إخبار من يتوقع قيامه والإخبار بقيامه : قد قام زيد أو زيد قد قام ، وفي التنكير على من ينكر : إنما قام زيد . ثم يتنوع أيضا بحسب تعظيمه وتحقيره ، أعنى الخبر عنه ، وبحسب السكينة عنه والتصريح به ، وبحسب ما يقصد في مساق الإخبار وما يعطيه مقتضى الحال ، إلى غير ذلك من الأمور التي لا يمكن حصرها ، وجميع ذلك دأثر حول الإخبار عن زيد بالقيام . فمثل هذه التصرفات التي يختلف معنى الكلام الواحد بحسبها ليست هي المقصود الأصلي ولكنها من مكملاته ومتمماته . وبهذا النوع اختلفت العبارات وكثير من أقاصيص القراء ، لأنه يأتي مساق القصة في بعض السور على وجه ، وفي بعضها على وجه آخر ، وفي ثالثة على وجه ثالث ، وهكذا مما تكرر فيه

من الأخبار لا بحسب النوع الأول ، إلا إذا سككت عن بعض التفاصيل في بعض ونص عليه في بعض ، وذلك يكون أيضا لوجه اقتضاه الحال والوقت ، وما كان ربك نسياً . وإذا ثبت هذا فلا يمكن لمن اعتبر هذا الوجه الأخير أن يترجم كلاما من العربي بكلام المعجم على أى حال ، فضلا عن أن يترجم القراءان وينقله الى لسان غير عربي إلا إذا فرض استواء اللسانين في اعتبار المترجم ، كما إذا استوى اللسانان في استعمال ما تقدم تمثيله .

فإذا ثبت ذلك في اللسان المنقول اليه مع لسان العرب ، أمكن أن يترجم أحدهما الى الآخر ، وإثبات هذا بوجه بين أمر عسير جدا ، وربما أشار الى ذلك أهل المنطق من القدماء ومن هذا حدوهم من المتأخرين ، ولكنه غير كاف ولا مغن في هذا المقام .

وقد نفى ابن قتيبة إمكان الترجمة في القراءان ، يعنى على هذا الوجه الثانى . فأما على الوجه الأول فهو ممكن ، ومن جهته صح تفسير القراءان وبيان معناه للعامة ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل معانيه ، وذلك جائز باتفاق أهل الاسلام ، فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلى .

أثبت الشاطبي في هذا الفصل جواز الترجمة وإمكانها ، وسأعقد فصلا خاصا لجواز الترجمة على مذهب فقهاء الحنفية ، ولكن الشاطبي أتى بما يرد كل شبهة في ترجمة القراءان ، حيث قال : إن أهل الاسلام أجمعوا على جواز تفسيره للعامة ، وهذا إجماع منهم على جواز ترجمته .

وبيان هذا أن التفسير قد يطول وقد يقصر ، وهو تعبير بألفاظ تبين معانى القراءان وأغراضه ، وليست هى ألفاظ القراءان ، وقد يكون المفسر مخطئا في بيان معانى المفردات ، وقد يكون مخطئا في بيان المعانى التى يدل عليها التركيب ، ولا يمكن أن تدعى العصمة لمفسر أيا كان ، ومع هذا فقد احتمل جواز هذا الخطأ ، فيجب

أن يحتمل جواز الخطأ في الترجمة كما احتتمل في التفسير ، إذ لا فرق بين المفسر والمترجم إلا أن هذا يضع في بيان معنى اللفظ لفظا عربيا ، وذلك يضع لفظا أعجميا . وإذا وجد المترجم نفسه أمام لفظ مشترك يدل على معان مختلفة ، أو أمام لفظ متضاد يدل على معان متضادة كلفظ (القراء) الذي يدل على الحيض والطهر ، أو وجد نفسه أمام جملة يختلف معناها باختلاف ارتباط الظروف ، أو باختلاف أوجه الإعراب وجب عليه أن يختار معنى واحدا من معاني الأسماء المشتركة والمتضادة ومعنى من معاني التركيب ، ثم ينقل المعنى بعد فهم الآيات الى اللغة التي يترجم بها ، وربما كان المعنى الذي اختاره هو المراد لله تعالى ، وربما كان غيره .

ولكن هذا لا يمنع جواز الترجمة ، فإنه قد أجاز للمفسر أن يختار معنى من معاني الأسماء المشتركة ، وأن يختار معنى مما يحتمله التركيب ، فوجب أن يجاز هذا للمترجم . وقد يزعم أحد أنه بناء على هذا نيجز الترجمة فيما يمكن أن يوضع فيه لفظ بدل آخر يؤدي في لغته ما يؤديه اللفظ العربي ، أما ما يحتاج الى التفسير أولاً واختيار رأى فلا يجوز أن ينقل الى اللغات الأخرى ، فنقول له : إن علماء الحنفية — كما سيأتى — لم يفرقوا بين آية وأخرى في جواز الترجمة ، ولكنهم أوجدوا هذا الفرق في الصلاة فقالوا : إنما يصلى بما يعلم أن معانيه هي معاني القراءان ، ولم يقولوا إنه لا يجوز الترجمة فيما يحتاج الى التفسير . وستطلع على البحث بعد .

أما إمكان الترجمة فهو أمر يتن يدركه من لا يعرف إلا اللغة العربية على الطريقة التي يتن الشاطبي ، ويدركه عن خبر من عرف لغات متعددة ، وقد تستطيع اللغة المنقول اليها أن تؤدي بعض الخصائص في اللغة العربية وتهض لأداء الدلالات التابعة . يعرف هذا من عانى نقل العلوم والفنون من لغة الى أخرى ، ومن يدرك فقه اللغات وخواص استعمالها . ويتفاوت الناس في هذا كما يتفاوتون في التعبير عن أغراضهم بلغة واحدة ، ولكن من المحال أن تهض لغة من اللغات لأداء كل ما في اللغة العربية

من خصائص ، فقد يكون المفرد في لغة العرب له فوق دلالاته الوضعية دلالة على حادثة خاصة ، وقد يكون المثل أو الاستعارة في لغة العرب لا نظير لها في لغة أخرى ، لأن تأثير المثل أو تأثير الاستعارة جاء من ناحية خاصة بالعرب وأحوالهم ، وليس لتلك الحالة شبيهه في أمة أخرى . كذلك لغة العرب لا تنهض لأداء الدلالات التابعة كلها في أية لغة من اللغات الراقية .

وكما كانت القطعة العربية التي يراد نقلها أكثر في حمل الدلالات التابعة من غيرها كان نقل تلك الدلالات أكثر تمسرا ، وهكذا يزيد الأمر صعوبة حتى يصل الى الاستحالة المطلقة في نقل الآيات المعجزة من القراءات الكريم . فإن نقل الخصائص التي بها كان الإعجاز ، يقتضى أن الترجمة تحمل خصائص الإعجاز أيضا في اللغة المنقول اليها ، والإعجاز في أى لغة من اللغات ليس في استطاعة البشر .

وإذا كان الأمر هكذا كان ادعاء أن القراءات الكريم كله لا يمكن ترجمته لأنه معجز ، ادعاء خاطئا ، بل الحق أن يقال إنه يمكن ترجمته كله من ناحية الدلالات الأصلية ، ويستحيل ترجمته من ناحية الدلالات التابعة .

سبب الناس في الترجمة :

ومما قاله المانعون لترجمة القراءات الكريم :

(١) أنه معجز فلا يمكن أن يترجم ؛ وأن فيه كلمات لا مقابل لها في اللغات الأخرى ، وذلك يضطر المترجم الى أن يدل على معانيها بكلمات توجد شيئا من التغيير ، فإذا نقلت هذه الترجمة الى لغة أخرى قد يحدث فيها تغيير آخر ، وهكذا ، فينفتح على القراءات الكريم باب التحريف ؛ وأن كلمات الكتب السماوية تستخرج منها إشارات وأحكام بطريق الحساب ، ويستخرج منها أهل التصوف معارف ولطائف ، ويستخرج منها العلماء علوما طبيعية وعلوما رياضية ، والترجمة تضع على الناس هذا كله .

(٢) أن ترجمة القراءات ترجمة حرفية غير ميسورة ، فيضطر المترجم الى نقل المعاني

التي يفهمها أو يفهمها غيره من العلماء ، وهذا لا يسمى قرءانا ، ولا يمكن أن يسمى نصا شرعيا تستخرج منه الأحكام ، والذين يعتمدون على هذه التراجم لا يسلم لهم شيء من أصول الاسلام ، وهم يقلدون المترجمين في فهم المعنى ، والذين نهى عن التقليد ، وبهذا يُجرّمون نعمة استعمال العقل والفهم في كتاب الله تعالى ، ونعمة الأجر على الاجتهاد واستعمال العقل والفهم ، ذلك لأن مسلما لا يقول بأن التراجم مما يصح فيه الاجتهاد والاستنباط .

(٣) أن للنظم العربي من الروعة والطلاوة واللذة والتأثير في النفوس ما لا يمكن أن يوجد في التراجم ، فالاعتماد على التراجم يحرم من يقرأها من ذلك كله ، كما يحرمه من النبيوع الصافي المعارف الإلهية .

(٤) أن بعض الألفاظ العربية يجب أن يسلم عليها التأويل امتثالاً لدليل العقل ، وهذا لا يمكن في التراجم .

وقبل أن أعرض للرد على هذا وأشباهه ، أفسح للامام الشاطبي أن يتولى الرد على كثير منه ، قال رحمه الله :

« ما تقرر من أن الشريعة أممية ، وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب ، ينبني عليه قواعد ، منها أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوة على القرآن ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق ، وعلم الحروف ، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها ؛ وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح . وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم أعرف بالقرآن وعلومه وما أودع فيه ، ولم يبلغنا أن تكلم منهم أحد في شيء من هذا المدعى سوى ما ثبت فيه من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة وما بلى ذلك ، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدل على أصل المسألة ، إلا أن ذلك لم يكن ، فدل على أنه غير موجود عندهم ، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد منه تقرير شيء مما زعموا . نعم

تضمن علومها من جنس علوم العرب وما يبني على معهودها ، مما يتعجب منه أولو الألباب ، ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة دون الاهتداء بأعلامه ، والاستنارة بنوره . أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا .

وقد عقد الشاطبي فصلاً آخر قال فيه : إن العلماء اتفقوا على أن الأحكام تستفاد من جهة المعاني الأصلية ، واختلفوا في استفادتها من جهة المعاني التابعة لخدمة ؛ ففريق منهم ذهب إلى أن الأحكام تستفاد أيضاً من جهة المعاني التابعة كما تستفاد من جهة المعاني الأصلية ؛ وفريق ذهب إلى أنها لا تستفاد من جهة المعاني التابعة . وقد بين أدلة الفريقين ، ورجح أدلة المنع كما ترى :

« قد تبين تعارض الأدلة في المسألة ، وظهر أن الأقوى من الجهتين جهة المانعين ، فافتضى الحال أن الجهة الثانية ، وهي الدالة على المعنى التبعي ، لا دلالة لها على حكم شرعي زائد البتة ، لكن يبقى فيها نظر آخر ، وربما إخال أن لها دلالة على معان زائدة على المعنى الأصلي هي آداب شرعية ، وتخلقات حسنة ، يقرؤها كل ذي عقل سليم ، فيكون لها اعتبار في الشريعة ، ولا تكون خالية من الدلالة جملة . »

وقد أرجع الشاطبي رحمه الله جميع الأحكام التي زعم الناس أنها مستفادة من الدلالة التابعة إلى الجهة الأولى ، وهي الدلالة الأصلية ، التي لا تختلف فيها لغة عن لغة ، والتي باعتبارها أمكن أن يفسر القراء أن يترجم .

ونقول بعد هذا : إنه لا خلاف بين المسلمين في أن القراءان كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ العربي ؛ ولست أستطيع التصديق بأن أبا حنيفة ذهب يوماً ما إلى أن القراءان اسم للمعنى كما نقل عنه ، وقد علم من الدين ضرورة أن القراءان اسم لما نتلوه ، ولما هو ثابت بين دفتي المصحف ؛ وإنكار هذا أو التشكيك فيه مخرج من الدين . ولكن أبا حنيفة رأى جواز قراءة القراءان بالفارسية للقادر على العربية والعاجز عنها لسبب من الأسباب ؛ وقد يكون السبب ما قاله أصحابه من أنه اعتبر

النظم العربي غير لازم، رخصة في الصلاة حال القدرة، وخلفا في حالة العجز؛ وقد يكون السبب غير ذلك. ولكن أصحابه ذهبوا يتلمسون له الأدلة، ويتلمسونها في القرآن نفسه، فوجدوا فيه: « وإنه لفي زُبرِ الأولين » ووجدوا فيه: « إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى » والضمير للقرءان، واسم الإشارة للقرءان، فخرجوا بتلك النتيجة، وهي أن القرءان اسم للمعنى.

والقرءان أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وله جهتان: جهة هي المقصودة وهي معانيه التي يشتمل عليها من توحيد وتنزيه، وأدلة عليهما، وجدال مع المخالفين ورد عليهم، وأحكام شرعية لنواح متعددة في الحياة، من زواج وطلاق، وبيع وشراء، وتدين ورهن، الى غير ذلك؛ ومكارم أخلاق وآداب، وقصص سيقت للعبارة. وجهة أخرى هي دليل صدق النبوة. وقد جاء هكذا ليكون الدليل الصدق ملازما لما جاء به غير منفصل عنه، كما كان الحال في معجزات سائر الأنبياء.

وتلك الجهة الثانية هي إعجاز الكتاب الموجود في أكثر آياته، والإعجاز لازم

من لوازم النظم لا من لوازم المعنى.

وإذا استثنيت من قال إن الإعجاز إنما كان لا شتمال القرءان على الإخبار بالمغيبات، لا ترى أحدا من العلماء الذين يعتد بهم ذهب الى أن الإعجاز من لوازم معناه، بل تراهم يقولون إنه معجز لا شتماله على النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مطالعه ومقاطعه وفواصله، أو لجيئه على تلك الدرجة العالية من البلاغة واشتماله على جميع ضروبها، أو معجز لهذا وذاك.

وإذا كان وجه الإعجاز من ناحية النظم فلا يمكن أن يذهب عاقل الى إمكان ترجمة القدر المعجز الى أية لغة من اللغات بحيث تحمل الترجمة المعنى ووجه الإعجاز، ولكن عدم إمكان نقل دليل الإعجاز لا يستلزم عدم إمكان نقل المعنى نفسه. وأنت تعلم أن

نقل المعنى لا يُعَدُّ دليل الإعجاز في النظم العربى ولا يغيّره . فالترجمة لا تحدث ضعفا في الدليل ، ولا نقضا ولا هدمًا .

وأريد الآن أن أقول : إن قراءة الأعاجم للنظم العربى نفسه لا يدبّهم على الإعجاز ، وليس في استطاعتهم فهمه ؛ والأثم العربية الآن ومن أزمان خلت لا يفقهون الإعجاز من النظم العربى ؛ وقد انقضى عصر الذين أدركوا الإعجاز من طريق الذوق ، وآمنوا بالقراءان بسبب هذا الإدراك .

ونحن الآن نقيم على الإعجاز أدلة عقلية فنقول : إن القراءان تحدى العرب ، وإنهم عجزوا ، وهذا يدل على أنه من عند الله .

نعم : قد ندرك بالدرس والمثابة على تفهم أساليب العرب وأساليب القراءان شيئًا من جمال القراءان وبلاغته ، ولكن لا يمكن أن يصل بنا الحد الى إدراك الإعجاز من طريق الذوق اللغوى إلا إذا أصبحت سلائقنا عربية .

وإذا كان الإعجاز من طريق الإخبار بما هو غيب فإن الترجمة تحمل معها هذا الدليل ، لأن ذلك مرتبط بالمعنى لا باللفظ . أما إذا ذهبنا الى أن الإعجاز بالصّرفّة ، على معنى أن العرب صرفهم الله عن الإتيان بمثل هذا القراءان وكانوا قادرين على الإتيان بمثله ، أو على معنى أن الله سلبهم العلوم والمعارف التي كانوا يقدرّون معها على الإتيان بمثله بعد أن كانت متوافرة لديهم ، فإننا نصير الى شيء آخر .

وليس هناك ريب في أن بعض كلمات القراءان لا مقابل لها يساويها في اللغات الأخرى بحيث يؤدى ذلك المفرد في لغته كل ما يؤديه المفرد العربى ؛ وفي أن في القراءان ألفاظًا من الألفاظ المتضادة كلفظ القراء الذى يدل على الطهر والحيض ؛ وفي أن فيه ألفاظًا يصعب تحديد معناها في اللغة العربية نفسها كلفظ الدهر والحين ؛ وفي أن فيه جملا يختلف معناها باختلاف وجوه الإعراب . وما من شك في أن نقل هذا يحملته

بحيث يكون حاله في اللغة المنقول إليها كحاله في اللغة العربية ، أمر مستحيل ؛ والنزاع في هذا لا يليق بالعلماء .

ولكن الشاطبي تولى الرد بعبارة وجيزة هي قوله :

« فأما على الوجه الأول فهو ممكن ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معناه للامة ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل معانيه ، وذلك جائز باتفاق أهل الاسلام . فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي » .

وقد أشرت من قبل إلى تفسير عبارة الشاطبي . وعلى ذلك فجميع المحذورات التي تحشى من الترجمة فيما أشير إليه من قبل موجودة في التفسير باللفظ العربي نفسه ؛ وقد أجمعت الأمة على عدم التحاشي عن هذه المحذورات ؛ فيجب ألا يتحاشى عنها في الترجمة أيضا ، إذ لا فرق بين التعبير باللفظ العربي والتعبير باللفظ المعجمي عن المراد بالآيات ، بعد أن يكون المعبر والمفسر والمترجم مستكملا للشروط والمؤهلات الواجبة لمن يعرض نفسه للتفسير والترجمة .

وقولهم : « إن في الكتب السماوية إشارات وأحكاما تستخرج بطريق الحساب ، ومعارف يستخرجها أهل التصوف بالذوق ، وعلوما طبيعية ورياضية ، وإن ذلك يضيع بالترجمة » قد تولى رده الشاطبي بقوله : ليس المقصود من القرآن إلا الهداية وأحكام الدنيا والآخرة ، وأن السلف الصالح لم يخض في القرآن على هذا النحو الذي فعلوه . على أنه إذا فاتت هذه الأشياء في الترجمة فلن تفوت في النص العربي ، وهي باقية فيه . وقد كنا نخاف لو أن الترجمة أذهبت من النص العربي علومه وأسراره وإعجازه ، ولكنها باقية معه للأمة العربية ، ولمن يريد من الأمم الأعجمية أن يقرأ النص العربي . وأيضا فإن العلوم الطبيعية والتاريخية والفلسفية غير مرتبطة باللفظ ، بل هي مرتبطة بمعانيه ، وقد أثبتنا الدليل على أنه يمكن نقلها إلى اللغات الأخرى .

على أنني أرى واجبا على أن أذكر لهذه المناسبة كلمة فيما اغتر به العلماء : ذلك أنه

كلما جدّت في العالم فكرة طريفة اجتهدوا في تلمسها في القرآن، وفرحوا إذا استطاعوا الاهتداء الى إشارة بعيدة اليها.

يفعلون هذا في جميع النظريات المرتبطة بالكون وأسراره، وقواعد الاجتماع والسياسة؛ ولكن من حقهم أن يفهموا أن المعارف البشرية غير مستقرة، وأنها تتغير وتتجدد بدلها معارف أخرى تختلف عنها أو تناقضها، وأنه ليس من الحكمة أن نربط هذه المعارف غير القارة بكتاب الله الثابت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ومن الخير أن ندع كتاب الله يقرر لنا أحكام التشريع؛ ويهدم الوثنية ويمتثها من أصولها؛ ويرفع العقل البشري الى المستوى اللائق به؛ ويأخذ بيد الانسان الى المقام الأسنى اللائق بخلافته في الأرض؛ ويبين لنا العبرة والعظة بأحوال الماضين؛ ويفرس في نفوسنا تلك الأخلاق الفاضلة من الصبر والقناعة، والرضا والشجاعة؛ ويفتح أمامنا أبواب العلم والهداية بما أشار اليه من وجوب النظر فيما صنعه الله. خير لنا أن نفعل ذلك، وندع للعلماء يقررون معارفهم ويستدلون عليها، ويحملون نتيجة خطئهم إذا تغيرت معارفهم وأثبت العلم نقيضها.

نعم إن في الكتاب الكريم آيات لا تفهم حق الفهم إلا بمعارف فلكية وطبيعية، ولكن تلك الآيات لم تُسَق لتقرر تلك المعارف، وإنما أنزلت للهداية والعبرة، فليس القرآن الكريم كتاب حساب وفلك وطبيعة، وإنما هو كتاب هداية وتنظيم لعلاقة الانسان بربه، وعلاقة أفراد الانسان بعضهم ببعض.

ثم نعود فنقول: هب التراجع تغيرت واختلفت، فإن ذلك التغير وهذا الاختلاف لا يمكن أن ينسحب على القرآن، وهو النظم العربي المحفوظ بوعد الله سبحانه. وهذا النص هو كما يقال في الاصطلاح الحديث النص الرسمي الذي يجب الرجوع اليه دائماً عند الاختلاف؛ وهو الذي يرد كل شيء الى نصابه؛ وهو الحاكم على كل ترجمة توجد؛ وهو الميزان العدل لكل شيء. يقال؛ والتراجع لا يصح أن تسمى القرآن،

ولكن سلب هذه التسمية لا يستلزم سلب جواز استخراج الأحكام منها ، بل يجب أن يصح استخراج الأحكام منها ، لأن الأحكام تستفاد من المعاني التي هي مدلولات الألفاظ العربية ، والمعاني يصح نقلها الى اللغات الأخرى . وقد علمت من قبل أن العلماء على اتفاق في أن الأحكام تستفاد من الدلالة الأصلية التي لا تختلف فيها اللغات ؛ وعلمت أن المرجح عدم استفادة الأحكام من الدلالات التابعة . وإذا كان الأمر هكذا فكيف يدعى أن الذين يعتمدون على التراجم لا يسلم لهم شيء من أصول الاسلام ؟ وكيف يدعى أن مسلما لا يقول بأن الأحكام تؤخذ من التراجم ؟ ثم كيف يقال هذا والعالم الاسلامي أكثره غير عربي ، وأكثر الأمم الأعجمية لا تعرف اللغة العربية ولا تقرأ النص العربي ، وقد نقلت إليها أصول الاسلام كلها الى لغاتها ، وحملت لغاتها تلك الأصول ، كما حملت اليهم الفروع أيضا ، وسلمت لهم تلك الأصول والفروع ؟

ثم نقول بعد هذا : إن بعض آيات القرآن يمكن أن تترجم ترجمة حرفية ، وبعضها لا يمكن أن يترجم ترجمة حرفية . فالقسم الأول لا يكون الناظر الى الترجمة مقلدا فيه المترجم في فهم المعنى . والقسم الثاني يكون الناظر فيه مقلدا للمترجم ، وهذا لا شبهة فيه . ولكن التقليد في فهم النص العربي لا يحرم الناس الاجتهاد .

ألا ترى أن الغزالي رحمه الله نص في كتاب المستصفي على « أن الأحاديث التي اشتهر رواتها بالعدالة وقبلتها الأمة لا يلزم المجتهد أن يبحث عن أسانيدها ، وأن الأحاديث التي ليست كذلك يكفيه فيها تعديل الإمام العدل لروايتها » . وهذا دليل على أن وسائل الاجتهاد جميعها لا يجب أن تكون اجتهادية ، بل قد يكون بعضها بطريق التقليد . ثم ما لنا نذهب بعيدا والمجتهدون يعتمدون على معاجم اللغة ، وعلى الشعر يرويه العدل الواحد ، وأكثر المفردات غير متواترة ، وتحديد معانيها في أغلب أحوالها لم ينقل بطريق التواتر ولا بطريق الشهرة ؟ والاعتماد في بيان اللفظ على المترجم

كالاعتماد في بيانه على راو من رواة اللغة ، وهذا فيما ينقل على طريق الترجمة الحرفية ؛ أما ما ينقل على طريق الترجمة المعنوية فلا يمكن أن يخرج قارئ الترجمة فيه عن التقليد بحال .

وبعد : فهذا كله سبغ في أوهام ، لأنه ليس هناك مجتهدون حرموا الاجتهاد بالترجمة ؛ وليس في الأمة العربية التي لازمت النص العربي مجتهدون . وقد حرمت الأمم العربية نفسها من نعم الاجتهاد واستعمال الفهم والعقل ، ورضيت بالتقليد ، ولم يكفها هذا الرضا حتى أقفلت باب الاجتهاد وحرمته . وفي اليوم الذي تنتهش فيه الأمم الاسلامية عربية وأعجمية ، وتدرك حق الإدراك دينها وما يوجبها عليها هذا الدين ، سينشط العرب للاجتهاد ، وينشط العجم لتعلم اللغة العربية ، وفهم النص العربي ، واستعمال العقل والفهم .

وفي الحق أننا ننظر الى الأمم بعين الخيال ، ولا نعتبر الواقع وطبيعة الناس . فهذه دولة الفرس دخلت الاسلام في عهد شبابه ، ولكنها لم تنسلخ عن لغتها . والأمة التركية كانت دولة الخلافة فيها ، وكانت حامية الاسلام ، واختلطت بالأمم العربية ، ومع ذلك فهي باقية على لغتها ، ولا يوجد فيها من يجيد العربية ، إلا أفراد يوجد مثلهم في الأمة الألمانية وغيرها من الأمم الغربية . وفي مركز أسوان في القطر المصري أجناس مختلفة لهم لغات مختلفة ، والمحاكم نحتاج الى مترجمين لأقوالهم عند النظر في خصوماتهم ؛ وكذلك في بلاد السودان في وسط القبائل العربية أجناس مسلمة تحافظ على لغاتها المنحطة ولا تعرف إلا قليلا من العربية ؛ وهذا مع الخلطة في المرافق ، ومع الجوار واتحاد الحكومة والحكام . كل هذا حاصل ، والناس طامعون بعد في تعريب الأمم المختلفة من هنود وجاويين وبابانيين وصينيين وأتراك وجراكسة ، وطامعون في أن يصيروم علماء في اللغة العربية ، يصلون بعلمهم الى الاجتهاد والاستنباط

من نظم الكتاب العربي حتى ينالوا نعمة استعمال العقل والفهم والأجر على هذا الاستعمال .

ثم نعود فنقول : إنه لا ينكر أحد ممن يتذوق طعم العربية ، مسلماً كان أو نصرانياً أو يهودياً ، ما لنظم القراءات العربي من الطلاوة واللذة والتأثير في النفوس ؛ ولذلك نقول : إنه يجب على كل مسلم يعرف العربية ويفهمها ألا يحيد عن قراءة النظم العربي الى قراءة إحدى التراجم ، فإن ذلك عبث واستهزاء . ولكن من لنا بأن نعرب الأُمّ الأعجمية الاسلامية لتنال هذه اللذة وتقع تحت هذا التأثير ؟ ولا يمكن الادعاء بأن النظم العربي يؤثر وتكون له لذة وطلاوة عند جاوى أو فارسى أو تركى أو يابانى أو صينى لا يفهم العربية . فالأُمّ الاسلامية التى لا تفقه العربية ليست الآن واقعة تحت تأثير طلاوة النظم العربي حتى تكون قراءة التراجم مانعة عنهم هذه الطلاوة وهذا التأثير ؛ وعلى العكس فإن قراءة التراجم تجعلهم يحصلون على طلاوة المعانى ولذتها وتأثيرها . ومن الخير أن نوفر لهم الحصول على بعض هذه المقاصد إذا فاتتهم المقاصد كلها ؛ وليس يخفى على أحد من الناس أن ينبوع المعارف الإلهية هو معانى القراءات المدلول عليها بنظمه العربي . وإذا ذهبنا الى أن المعارف الإلهية مرتبطة بالألفاظ صرنا الى شيء من اللغو لا يقوله قائل .

ثم نقول بعد هذا أيضاً : إن التراجم لا تحرم الناس من تأويل الألفاظ التى يجب أن تؤوّل بالدليل العقلى الذى قام على استحالة بقاءها على ظاهرها ؛ وهذا التأويل يسلط على التراجم نفسها إذا أمكن المترجم أن يضع بدل اللفظ العربى مرادفاله من لغة أخرى ؛ ويسلط على اللفظ العربى نفسه قبل أن ينقل معناه الى لغة أخرى إذا لم يوجد فى اللغة الأخرى مرادف ومقابل لذلك اللفظ العربى .

فلندع الآن هذه الشبهات ، وقد نعود اليها بعد ذلك مرة أخرى ؛ ولننظر فى أحكام مذهب فقهاء الحنفية فى التراجم وجواز الصلاة بها ، وما يتعلق بذلك من التفاصيل .

وإذا تتبعنا أمهات الكتب المعدة لنقل مذهب الامام أبي حنيفة وأصحابه لا نجد فيها كلاماً عن الترجمة من حيث الجواز والحرمه ، ولكنك تجد الفروع الكثيرة والأدلة الطويلة على جواز الصلاة بها عند القدرة على العربية على رأى الامام ، وعلى جواز الصلاة بها عند العجز خاصة على رأى أصحابه .

ولا أظن أنه يدور بخلد أحد من تذهب بمذهب أبي حنيفة ودرس فروعه وأصوله أن يشك في جواز الترجمة على مذهب أبي حنيفة وأصحابه . وقد رأيت رأى الشاطبي في الترجمة وكيف استدلل على جوازها بإجماع المسلمين على جواز التفسير .

جواز الصلاة بالترجمة :

قال شمس الأئمة السرخسى في كتاب المبسوط : « وأصل هذه المسألة إذا قرأ في صلاته بالفارسية جاز عند أبي حنيفة رحمه الله ويكره ، وعندهما لا يجوز إذا كان يحسن العربية ، وإذا كان لا يحسنها يجوز . وأبو يوسف ومحمد رحمهما الله قالا : القرآن معجز ولا أعجاز في النظم والمعنى ، فإذا قدر عليهما فلا يتأدى الواجب إلا بهما ، وإذا عجز عن النظم أتى بما قدر عليه ، كمن عجز عن الركوع والسجود يصلى بالإيماء . وأبو حنيفة رحمه الله استدلل بما روى أن الفرس كتبوا الى سلمان الفارسى رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكانوا يقرءون ذلك في صلاتهم حتى لانت ألسنتهم للعربية . ثم عند أبي حنيفة إنما يجوز إذا قرأ بالفارسية إذا كان يتيقن بأنه معنى العربية . فأما إذا صلى بتفسير القرآن لا يجوز لأنه غير مقطوع .

وقال نضر الدين قاضىخان : « وعلى هذا الخلاف إذا قرأ القرآن في الصلاة بالفارسية عند أبي حنيفة رحمه الله يجوز وإن كان يحسن العربية ، وعندهما إذا كان يحسن العربية لا يجوز وتفسد صلاته . كذا ذكر شمس الأئمة الحلوانى . »

وفى شرح الهداية : « فإن افتتح الصلاة بالفارسية أو قرأ فيها بالفارسية أو ذبح وسمى بالفارسية وهو يحسن العربية ، أجزأه عند أبي حنيفة رحمه الله . وقالا لا يجوز »

إلا في الذبيحة ، وإن لم يحسن العربية أجزاءه ... وأما الكلام في القراءة فوجه قولها أن القراء ان اسم لمنظوم عربي كما نطق به النص ، إلا أنه عند العجز يكتفى بالمعنى كالإيحاء ، بخلاف التسمية ، لأن الذكر يحصل بكل لسان . ولا بى حنيفة قوله : « وإنه لفي زبر الأولين » ولم يكن فيها بهذه اللغة ، ولهذا يجوز عند العجز ، إلا أنه يصير مسيئاً (يعني حال القدرة على العربية) لمخالفته السنة المتوارثة ، ويجوز بأى لسان كان سوى الفارسية وهو الصحيح لما تلونا ، والمعنى لا يختلف باختلاف اللغات .

وفي شرح نحر الدين الزيلعي على الكنز : « وأما القراءة بالفارسية فجازة في قول أبى حنيفة ، وقال أبو يوسف ومحمد : لا تجوز إذا كان يحسن العربية لأن القراء ان اسم لمنظوم عربي لقوله تعالى : « إنا جعلناه قرءانا عربيا » . وقال تعالى : « إنا أنزلناه قرءانا عربيا » والمراد نظمه . ولا بى حنيفة قوله تعالى : « إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى » وصحف إبراهيم كانت بالسريانية ، وصحف موسى بالعبرانية ، فدل على كون ذلك قرءانا ؛ وما تلوناه (يعني : إنا جعلناه قرءانا عربيا) ، (و : إنا أنزلناه قرءانا عربيا) لا ينفى كون غير العربي قرءانا لأنه مسكوت عنه ؛ ويجوز بأى لسان كان سوى الفارسية وهو الصحيح ، لأن المنزل وهو المعنى عنده لا يختلف باختلاف اللغات . والصحيح أن القراء ان هو النظم والمعنى جميعا عنده ، لأنه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والإعجاز وقع بهما جميعا ، إلا أنه لم يجعل النظم ركنا لازما في حق جواز الصلاة خاصة رخصة ، لأنها ليست بحالة الإعجاز .

وفي النفحة القدسية للشرنبلالى : « وروى أن أهل فارس كتبوا الى سلمان رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكتب لهم « بسم الله الرحمن الرحيم بنام يزدان بخشايند » فكانوا يقرءون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم ؛ وبعد ما كتب عرض على النبي صلى الله عليه وسلم . كذا في المبسوط . قاله في النهاية والدراية .

وفي النفحة القدسية أيضا : « وفي فتاوى النسفى سئل عمر النسفى عن لا يحسن

الفاتحة بالعربية ويقدر على التكلم بالفارسية أو لغة أخرى يتأدى بها معنى القرآن هل يكلف تعلم تلك اللغة غير العربية ؟ فقال : نعم لأن تعلم القرآن فرض لا إقامة الصلاة . ومذهب أبي حنيفة أن القرآن لا يختص بالنظم العربي في قوله الأول الذي رجع عنه ، فيفرض عليه تحصيل ذلك كما يفرض عليه تعلم القرآن بالنظم العربي لمن قدر عليه . وعندها تجوز قراءة القرآن بغير العربية إذا كان لا يحسن العربية . فقد وافقاه في أنه يصير قرأنا عند العجز عن أدائه ، فيفرض ذلك عليه بالإجماع في هذه الحالة »

وفي شرح مسلم الثبوت « وقد صح رجوع الامام أبي حنيفة رضى الله عنه عن القول بجواز الصلاة بغير عذر ... وفيه إشارة الى أنه يجوز القرآن بالفارسية للعذر وهو عدم العلم بالعربية ، وعدم انطلاق اللسان بها ؛ وقد سمعت من بعض الثقات أن تاج العرفاء والأولياء الحبيب العجمي صاحب تاج المحدثين وإمام المجتهدين الحسن البصري قدس الله سرهما كان يقرأ القرآن في الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية . وفي التحرير للكمال بن الهمام « والوجه في العاجز عن النظم العربي أنه كالأشئ لأن قدرته على غير العربية كالأداة فكان أمياً حكماً فلا يقرأ كما هو أحد القولين فيه ، إذ في المجتبى : واختلف فيمن لا يحسن العربية ويحسن غيرها هل الأولى أن يصلي بلا قراءة أو يصلي بغيرها ؟ فلو أدى العاجز بالفارسية قصة أو أمراً أو نهياً فسدت الصلاة بمجرد القراءة ، لأنه حينئذ متكلم بكلام الناس لا ذكراً أو نثراً ، إلا إذا اقتصر على ذلك فإنها تفسد حينئذ بسبب إخلاء الصلاة عن القراءة » .

وقال ابن أمير حاج في شرح التحرير عند شرح النص السابق : « وهذا اختيار المصنف ، فلفظ الجامع الصغير محمد بن يعقوب عن أبي حنيفة في الرجل يفتتح الصلاة بالفارسية أو يقرأ بالفارسية أو يذبح ويسمى بالفارسية وهو يحسن العربية قال (الامام) : يجوز في ذلك كله . وقال أبو يوسف ومحمد : لا يجوز في ذلك كله إلا في الذبيحة ، وإن كان لا يحسن العربية أجزاءه . قال الصدر الشهيد في شرحه (يعنى كتاب الجامع

الصغير لمحمد بن الحسن) : وهذا تنصيص على أن من يقرأ القرآن بالفارسية لا تفسد الصلاة بالإجماع .

وفي معراج الدراية « قراءة غير العربي يسمى قراءاً مجازاً ، ألا يرى أنه يصح نفي القرآن عنه فيقال : ليس بقرآن وإنما هو ترجمة ؟ وإنما جوازناه للعاجز إذا لم يخل بالمعنى لأنه قرآن من وجه باعتبار اشتماله على المعنى ، فلا يتيان به أولى من الترك ، إذ التكلم بحسب الوسع ، وهو نظير الإيماء . »

سترى في بيان هذه النصوص أنها مشتملة على الأقوال المختلفة في مذهب أبي حنيفة ، ولذلك أثبتنا جميعها ما كان منها صحيحاً وما كان غير صحيح ، وسأجتهد في بيانها وبيان مداركها . وقبل أن أشرع في هذا أنبه إلى أن صاحب الهداية نبه على إمكان الترجمة بقوله : « والمعنى لا يختلف باختلاف اللغات » . وكذلك ترى في قولهم : « إنما يجوز إذا كان يقطع بأنه معنى العربية » إشارة إلى أن الترجمة يمكن أن تحمل معنى النص العربي . وأول ما يخطر بالبال في هذه المسألة حكاية رجوع الامام أبي حنيفة عن رأيه بجواز الصلاة للقادر على العربية ، فإن رواية الرجوع نسبت مرة إلى أبي بكر الرازي ، ونسبت مرة إلى نوح بن مريم وعلى بن الجعد ، وأغفلت مرة واحدة في كتب الإمام محمد ، وأغفلت في شرح المبسوط للسرخسي ، وفي كتب قاضيان ، أفيمكن أن نثق بهذه الرواية وثوقاً مطلقاً ، أم ينبغي أن نقابلها بشيء من التحفظ لأن المتقدمين من صدور الأشياخ لم يشيروا إليها ؟ ولا أقصد بهذا ترجيح بقاء الامام على رأيه ، فإني أرى ما آراه أصحابه من وجوب قراءة النص العربي للقادر عليه ، ولذلك سأبحث هذه المسألة على فرض رجوع الإمام ، وعلى أن في المذهب قولاً واحداً هو جواز الصلاة بالترجمة للعاجز عن العربية لا للقادر ، فأقول :

روى عن الإمام وصاحبيه جواز الصلاة بالفارسية للعاجز عن العربية ، وهذا قدر متفق عليه لا يصح النزاع فيه ، فاهو المراد بالجواز : أهو مقابل الوجوب والحرمة ،

أم هو مقابل الحرمة فقط ؟ وينبنى على هذا أنه على التفسير الأول تصح الصلاة بالفارسية للقادر عليها، ويصح أن تترك، ويعتبر القادر عليها أمياً يصلى بلا قراءة . وعلى التفسير الثانى يجب عليه أن يصلى بالفارسية، ولا يجوز له أن يتركها، وتبطل صلاته إذا تركها . ثم على التفسير الأول وهو الذى يجوز القراءة ويجوز تركها هل الأولى أن يقرأ، أو الأولى أن يترك ؟ هذه الاحتمالات الثلاثة هى أقوال فى مذهب أبى حنيفة، ذهب الى كل احتمال منها فقيه أو أكثر .

وهذه نصوص الذين يمثلون الاحتمال الثانى :

قال نضر الملة والدين قاضيخان : « وإذا تعلم تفسير سورة من القرآن نحو الفاتحة وغيرها بالفارسية عند أبى حنيفة يخرج من أن يكون أمياً فلا تجوز صلاته إلا بقراءة ما يعلم . وهو قول أبى يوسف ومحمد رحمهما الله ، لأن قولهما فيمن لا يحسن العربية كقول أبى حنيفة . »

وقال صاحب الخلاصة : « وإذا تعلم تفسير سورة من القرآن بالفارسية يخرج من أن يكون أمياً . »

وقال عمر النسفى وقد تقدم نص فتواه : « إنه إذا لم يقدر على حفظ النظم العربى وقدر على حفظ ترجمته بلغة يتأدى بها المعنى أنه يفرض عليه تعلم تلك الترجمة بالإجماع » فهذه النصوص صريحة كما ترى فى أنه يجب على من يعرف ترجمة أن يصلى بها، ويجب عليه إذا لم يحفظ ترجمة وهو يقدر على حفظها ويمعز عن العربية أن يحفظ الترجمة ويصلى بها .

وقال السكال بن الهمام فى التحرير : « والوجه فى العاجز عن النظم العربى أنه يجوز كالأمرى ، لأن قدرته على غير العربية كلاً قدرة فكان أمياً حكماً فلا يقرأ كما هو أحد القولين فيه ، إذ فى المجتبى : واختلف فيمن لا يحسن العربية ويحسن غيرها هل الأولى أن يصلى بلا قراءة أو يصلى بغيرها »

وفي معراج الدراية « وإنما جوزناه للعاجز إذا لم يخل بالمعنى لأنه قرءان من وجه باعتبار اشتماله على المعنى ، فالإتيان به أولى من الترك ، إذ التكليف بحسب الوسع ، وهو نظير الإيلاء » . فهذه هي نصوص الذين يمثلون الاحتمال الأول بشقيه .

فأنت ترى صاحب معراج الدراية يصرح بأن الأولى أن يقرأ لأنه هو الذي في وسعه ؛ وظاهر التعبير بكلمة الأولى لا يفيد الإلزام . وعبرة المجتبي تفيد رأيين ، وهما هل الأولى له أن يقرأ ، أو الأولى ألا يقرأ ؟ ومع هذه الآراء الثلاثة وهي القول بوجوب القراءة ، والقول بأنها أولى ، والقول بأن الأولى السكوت ، لم يشر أحد من أصحاب هذه الأقوال الى بطلان الصلاة إذا كانت الترجمة ترجمة قصة أو أمر أو نهى . فأحداث الفرق الذي أبداه السكّال بن المهام وتبعه غيره فيه إحداث لرأى لم يسبقه إليه أحد من الفقهاء ، ولذلك ترى السكّال لم يذكر رأيه هذا في فتح القدير في مسألة قراءة العاجز عن العربية ، ولكنه ذكره في مسألة ضم الترجمة الى مقدار المفروض بالنظم العربي . وقد يصح أن يبدى فرقا في هذه المسألة لأن فيها خلافا سابقا ، ولأن فيها رأيين : أحدهما أن الصلاة تفسد بالضم وهو الذي نقله عن النسفي ؛ والثاني أنها لا تفسد وهو الرأى الذي نقله صاحب الهداية والزيلعي ؛ ولكنه لا يصح أن يبدى رأيا في المسألة الأولى التي تتكلم فيها لأنه إحداث لرأى في مسألة نقل فيها الإجماع . ولذلك يجب ألا يعدّ رأيه في التحرير رأيا في مذهب أبي حنيفة ، بل هو رأى خاص به ؛ وقد أخذ من فرع ذكره الفقهاء في قراءة التوراة والانجيل والزبور في الصلاة ، حيث قالوا : إن كان المقروء من مكان القصص أو الأمر أو النهى تفسد الصلاة ، وإن كان من مكان الذكر لا تفسد ؛ فسوّى السكّال بين ترجمة القرآن والتوراة في الحكم . ولكن الفقهاء الثلاثة نقل عنهم الاتفاق على جواز الصلاة بالترجمة عند العجز من غير فرق . وتشبيه التراجم بالتوراة والانجيل وقد أخذنا حكما قاطعا في القرآن بالتحريف ، فيه مصادمة للإمام وصاحبيه وجميع فقهاء المذهب . وبعد أن ظهر اتفاق أهل المذهب على

عدم الفساد بقراءة التراجم حال المعجز سواء أ كانت التراجم تراجم قصص وأمر ونهي ، أم تراجم تنزيه ؛ وظهر أن لهم ثلاثة أقوال : أحدها الوجوب ؛ والثاني أن القراءة أولى ؛ والثالث أن السكوت أولى ، وجب أن ننظر في العلل وما نقل من عبارات الأقدمين . فإذا نظرنا الى ذلك نراهم متفقين على أن التكليف بالوسع ، وأن الترجمة للعاجز هي التي في وسعه ، وأنها خلف عن النص العربي يقام مقامه عند المعجز كما يقام الإيماء عند المعجز مقام الركوع والسجود ؛ ولم نعهد في التشريع أن المكلف مخير في الخلف ، بل الذي عهدناه أن الخلف يأخذ حكم الأصل ويحل محله .

وإذا تأملت قولهم : إن المعنى لا يختلف باختلاف اللغات ، تراهم يريدون أن لا تخلو الصلاة من القرآن ، إما بلفظه ومعناه ، وإما بمعناه فقط ؛ فهم حريصون على أن تكون المناجاة لله بكلامه أو بمعنى كلامه ؛ وهم حريصون على تحصيل المقاصد وجعل الصلاة صورة حية مملوءة بالشعور بجلال الخالق وعظمته ؛ وفي معاني القرآن الكريم من العظات والعبر ما يملأ القلب روعة ورهبة وخشية ، وبركتها لا يمكن أن تذهب بنقلها الى لغة أخرى ؛ والمناجاة بالمعاني خير وأبقى من وقوف المتكلم صامتاً .

ولم يحرم المسلم من مناجاة ربه بمعنى قوله : « ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن ، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء » .

أو من معنى قوله : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً ، سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار . ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد » .

أو من معنى قوله تعالى : « وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ

القيامة والسموات مطوياتٌ بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون . ونُفخ في الصور فصَـعِقَ من في السموات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ووُضِعَ الكتاب وجاء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . ووُفِّيَت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » . وإنّي لا أتردد لحظة واحدة عن القول بأن جمال معاني هذه الآيات لا يمكن أن يفارقها في اللغات الأخرى . نعم قد تضعيع روعة هذه الألفاظ ، ولكن تبقى روعة المعاني ، والمناجاة محتاجة الى هذه الروعة . ولا يسع منصفاً إلاّ الإعجاب بآراء فقهاء الحنفية في هذه المسألة . ولله هم حيث قالوا : إن الصلاة حالة مناجاة لا حالة إعجاز . وللعالم الإسلامي الحق في أن يفخر بأولئك العلماء الذين استنبطوا هذه القواعد وهذه المدارك الدقيقة . وفي الحق أن فقهاء الحنفية هم الملجأ دائماً في حل المعضلات الاجتماعية ، ولا نستطيع أن نفهم حقهم من الثناء .

وأنتهى من البحث في هذه المسألة الى ترجيح رأى قاضيخان ومن تابعه من الفقهاء ، وهو وجوب القراءة في الصلاة بترجمة القراءان للعاجز عن قراءة النظم العربي . وقد علمت أن اختيار صاحب الفتح مبنى على أن الترجمة ليست قرأنا ، وما كان كذلك كان من كلام الناس ، وهو غير صحيح ، لأن الترجمة وإن كانت غير قرآن باتفاق تحمل معاني كلام الله ، ومعاني كلام الله ليست كلام الناس . وعجيب أن تسلب من معاني القراءان صفاتها وجمالها وتوصف بأنها من جنس كلام الناس بمجرد أن تلبس ثوبا آخر غير الثوب العربي ، كأن هذا الثوب هو كل شيء . وقد علمت مما سبق أن ابن أمير حاج ردّ ما اختاره السكّال بنص الصدر الشهيد في شارح الجامع الصغير . وقد رده أيضا ابن عابدين في حاشيته على البحر .

ثم أنت ترى أن صاحب معراج الدراية يذهب الى أن الأولى للعاجز أن يقرأ لأنه بالقراءة يأتي بما في وسعه ؛ وهذا التعليل يدل على الوجوب ، فالظاهر أنه أراد بالأولى

ما يشمل الواجب . والمتقدمين هذا التعبير في مثل هذا ، حتى إنهم كانوا يقولون :
أكره للمحرم وأحب للواجب ، حيث لا يكون الدليل قطعياً .

أما القول بأن الأولى أن يترك فليس له مستند إلا أن الترجمة ليست قراءة ،
ومن الجائز أن تفسد الصلاة ، ومن الجائز ألا تفسدها ، فرجحوا جانب الترك من قبيل
الاحتياط . ولكن هذا عجيب منهم بعد أن نقل الجواز عن الأئمة الثلاثة حالة العجز
إجماعاً ، وبعد أن صرح جميع علماء المذهب الذين يعتد برأيهم بأن الترجمة أقيمت مقام
القراءة خلفاً عنه كالإيماء ، وبأنها هي المقدورة للمكلف وهي التي في وسعه ، ولا يكلف
الله نفساً إلا وسعها .

بعد هذا ننقل البحث الى مسألة أخرى ، وهي ما إذا قرأ شيئاً من تراجم القرآن
بعد أن قرأ الفرض من النص العربي . وأمامنا خلاف في هذه المسألة أيضاً :

قال الصدر الشهيد في شرح الجامع الصغير : « وهذا تنصيص على أن من قرأ
القراءات بالفارسية لا تفسد صلاته بالإجماع » . وقال شارح الهداية : « والخلاف
في الاعتداد ولا خلاف في أنه لا فساد » . وقال الزيلعي في شرح الكنز : « ولا خلاف
في الفساد حتى إذا قرأ معه بالعربية قدر ما تجوز به الصلاة جازت صلاته » . وقال
أبو اليسر : « والجواز عند العجز بالفارسية نص على أن القراءة بها لا تفسد الصلاة ،
إنما الشأن في جواز الصلاة بها . كذا في جامع قاضيخان » .

فهذه نصوص صريحة مطلقة لا تحتمل التأويل تدل على جواز ضم قراءة الترجمة
الى النص العربي المفروض للقادر على القراءة باللغة العربية .

ويقابل هذه النصوص نصوص أخرى ، فقد نقل صاحب الفتح عن النسفي « أنها
تفسد عندهما » وما رجحه صاحب الفتح من أنه « إذا كان المقروء من مكان القصص
والأمر والنهي تفسد بمجرد قراءته لأنه حينئذ متكلم بكلام غير قرآن ، بخلاف
ما إذا كان ذكراً أو تنزيهاً فانها تفسد إذا اقتصر على ذلك بسبب إخلاء الصلاة من

القرآن» وقال الإيتاني : «قولهم لا خلاف في أنه لا فساد مع القدرة على العربية، فيه نظر، لأن القراءة بالفارسية ليست قراءة القرآن عندهما، وإذا لم تكن قراءة القرآن كانت من كلام الناس وهو مفسد للصلاة»

فهذه النصوص يدل بعضها على أن القراءة بالترجمة مع قراءة الفرض بالنظم العربي يفسد الصلاة مطلقا، ويدل بعضها على أن الترجمة إذا كانت ترجمة ذكر وتنزيه لا تفسد قراءتها الصلاة، وإذا كانت ترجمة قصة تفسد قراءتها الصلاة. فهي مسألة خلافية في المذهب نقل الخلاف فيها من يعتد بصحة روايته؛ وقد رجح صاحب الفتح رأى القائلين بالفساد إذا كان المقروء من الترجمة ترجمة قصة أو أمر أو نهى؛ ورجح رأى القائلين بالصحة إذا كان المقروء ترجمة ذكر أو تنزيه.

وقد أصاب صاحب الفتح في هذا، فإن جعلهم الترجمة خلفا يقام مقام الأصل مع اتفاقهم على أنها ليست قرأنا، يقتضى الفساد إذا وجد الأصل، لأنه لا يجمع بين الأصل والخلف. ولكن إذا كان المترجم ذكر لا تبطل قراءته الصلاة لأن الصلاة لا تبطل بالذكر. فالفرق الذى أبداه السكّال في هذا الباب يوافق قواعدهم وعلمهم.

ونحن نرى هذا رأى إذا لم يكن هناك عذر، أما إذا وجد العذر وهو عدم إحسان النطق بالعربية أو عدم فهمها فإنه يظهر في هذه الحالة عدم الفساد لتتحقق المناجاة على الوجه الأكمل وهو المقصود في الصلاة. وقد أشار الى هذا شارح مسلم الثبوت فيما نقلناه عنه من قصة الحبيب العجمي صاحب الحسن البصري.

ونذكر هنا أن الامام الشافعي رضى الله عنه نص في كتاب الأم في الصفحة ١٤٧ من الجزء الأول على ما يأتي:

«وإذا اتمموا به فإن أقاما معا أمّ القرآن أولحن أو نطق أحدهم بالأعجمية أو لسان عجمي في شيء من القراءات غيرها، أجزأته ومن خلفه صلاتهم إذا كان أراد القراءة لما نطق به من عجمة ولحن، فإن أراد به كلاما غير القراءة فسدت صلاته»

ومراده أن الامام والمؤتم إذا أحسنوا قراءة الفاتحة ثم لحنا أو نطق أحدهم باللهجة أعجمية أو لغة أعجمية في شيء من القرآن غير الفاتحة لا تبطل صلاتهم . والمراد من الأعجمية اللهجة ، ومن اللسان اللغة كما هو استعماله في هذه المواطن . فهذا النص يدل على أن اللسان الأعجمي بعد قراءة المفروض عنده وهو الفاتحة لا يبطل الصلاة ، وهو موافق للحنفية في هذا .

كتابة التراجم وقراءتها :

نقل الشيخ الشرنبلالي في رسالته عن التجنيس ما يأتي : « ومنع من كتابة القرآن بالفارسية بالإجماع لأنه يؤدي إلى الإخلال بحفظ القرآن ، لأننا أمرنا بحفظ النظم والمعنى ، فإنه دلالة على النبوة ، ولأنه ربما يؤدي إلى التهاون بأمر القرآن » . وفي كتاب فتح القدير « وفي الكافي إن اعتاد القراءة بالفارسية أو أراد أن يكتب مصحفا بها يمنع ، فإن فعل في آية أو آيتين فلا ، فإن كتب القرآن وتفسير كل حرف وترجمته جاز » .

وفي النفحة القدسية « قال المحبوبي : والخلاف — يعني على الرواية المرجوحة — فيمن لا يتهم بشيء وقد قرأ في الصلاة كلمة بالفارسية أو أكثر فيها ، أما لو اعتاد قراءة القرآن أو كتب المصحف بالفارسية يمنع أشد المنع ، حتى قال الفضلي : من تعمد ذلك يكون زنديقا أو مجنونا ، والمجنون يداوى ، والزنديق يقتل » . وفي النفحة القدسية : « وحاصل ما تقدم وملخصه حرمة كتابة القرآن بالفارسية إلا أن يكتب بالعربية ويكتب تفسير كل حرف وترجمته » .

فلدينا في هذه المسألة خلاف أيضا ، ولكن المحبوبي رحمه الله كشف لنا وجه الحق ، وأثار لنا الطريق ، ذلك أنه على الرواية المرجوحة عند الامام كان يجوز للقادر على العربية أن يقرأ بالفارسية ، فنبيه المحبوبي إلى أن هذا الجواز عند الامام فيمن لا يتهم بشيء وقد قرأ بالفارسية كلمة أو أكثر . أما الرجل المتهم بالعبث بالقرآن والمتهم بالزندقة

والإلحاد فلا يترك على عبثه يقرأ الترجمة وهو قادر على العربية ؛ وكذلك الرجل الذي يفهم العربية ويعتمد القراءة بالفارسية يمنع ، فإن حالته هذه تدل إما على الجنون أو الزندقة ، لأنه ليس من اللائق برجل يعرف العربية ويحترم النظم العربي ويعتقد إعجازه أن يتركه إلى التراجع ؛ فالذي يتركه وهو على هذه الحالة إما زنديق أو مجنون . أما الإجماع الذي في عبارة التجنيس فقد عرفت قيمته بنقل صاحب الفتح عن السكافي . على أن عبارة التجنيس تشير أيضا إلى ما في كلام المحبوبي ، فإن الذي أمر بحفظ النظم والمعنى هو القادر على حفظ النظم والمعنى ، والذي يتهاون بأمر القراء إذا كتب بالفارسية ، هو الذي يعرف الكتابة بالعربية ويقدر على القراءة بها . أما الأعجمي الذي لا يقدر على الكتابة بالعربية وعلى القراءة والفهم بها فإنه يتهاون بأمر القراء إذا لم يبحث عما يستطيعه منه ، فإذا لم يستطع إلا معناه وتدبر معناه ، وجب عليه أن يحرص على ما يقدر عليه .

وإني أرى أن يعمل برأي صاحب السكافي وتكتب التراجم مع النص العربي ؛ وفي العمل بهذا الرأي اتباع لآراء فقهاء المذهب ، فضلا عن أنه يذكر دائما بالنظم العربي ، ويشوق إلى تعلمه وتعلم اللغة العربية لإمكان الوصول إلى فهمه فيها . ولا أقول يكتب النص العربي ليعلم الناس أن الترجمة ليست قراءة ، فإن الترجمة نفسها تنادي بأنها ليست قراءة ، فهي تشتمل على الآيات الدالة على أن القراء أنزل عريبا « حسم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قراءة عريبا لقوم يعلمون » وهنا ينبغي أن أنبه إلى شيء قد يغفل عنه الناس ، وهو أن كلمة تفسير ذكرت في عبارات الفقهاء مرة بمعنى البيان والشرح ، ومرة بمعنى الترجمة باعتبار أن الترجمة والتفسير شيء واحد في اللغة كما يعلم من مراجعة كتبها ؛ وكلمة التفسير في النص السابق المنقول عن قاضيان معناها الترجمة ؛ وكذلك كلمة التفسير في عبارة السكافي معناها الترجمة ، وعطف الترجمة عليها بيان للمراد . والدليل على أنها في عبارة قاضيان معناها الترجمة أنه أجرى الخلاف فيمن حفظ تفسير سورة ؛ وصاحب المبسوط وغيره صرحوا بعدم جواز الصلاة بالتفسير بالإجماع لأنه غير مقطوع به .

وبهذا علمنا أن كلمة التفسير ذكرت مرة بمعنى الترجمة ، ومرة بمعنى البيان .

ما هو المراد من الترجمة ؟

قد علمنا من النصوص السابقة أن الفقهاء لا يميزون الصلاة بالتفسير بالإجماع ، وأنهم اختلفوا في جوازها بالترجمة على النحو السابق ، وبذلك تعلم أنهم يريدون الترجمة الحرفية ، وهي التي يوضع فيها بدل كل لفظ لفظ آخر مرادف له في اللغة الأخرى بقدر الاستطاعة ، وبقدر ما تحتمله طبيعة تلك اللغة . ولا شبهة في أن الترجمة الحرفية غير مستطاعة في كل آيات القرآن الكريم . نعم إن بعض الآيات استطاع هذا فيها ، وبناء على ذلك فلا تجوز الصلاة بأية مترجمة ، بل بالآية التي تترجم ترجمة حرفية ، وليس معنى هذا أن الترجمة المعنوية غير جائزة ، كلا ، بل هي جائزة ، وهي بمنزلة التفسير كما تقدم ، ولكنها لا تجوز الصلاة بها ، وإنما تجوز الصلاة بالترجمة الحرفية . هذا هو الذي يقتضيه فقه مذهب الحنفية ، وهو فقه ظاهر الوجه .

والعلماء يحرصون في تراجم العلوم والفنون أشد الحرص على الترجمة الحرفية حتى ولو كان المعنى ينهم أمره في الترجمة ، وهذا دأب أكثرهم وهم الذين تملكهم الأمانة في النقل ، وقد نقلت الفلسفة وغيرها في أول أمرها في الدولة العربية على هذه الطريقة .

القرأة :

علمنا أن الترجمة يصلى بها العاجز عن العربية وجوبا ، ويجوز أن تضم الى مقدار المفروض من العربية لمن لا يحسن النطق العربي . وإذا كان هذا هو الحال في الصلاة فقد بان أنه يصح لمن لا يحسن النظم العربي قراءةً وفهماً أن يتدبر معاني القرآن للعبارة والعظة والهداية وفهم الدين من ينبوعه الأصلي مترجما . وقد استفاد من ذلك النبيون لا بساوثا غير ثوبه العربي كثيرون من العلماء الذين لا يدنون بالدين الاسلامي ؛ فبعضهم آمن به واهتدى بهديه ، وخرج من الظلمات الى النور ببركة تلك المعاني ؛ وبعضهم لم يصل

الى هذه الدرجة ولكنه غير رأيه في الدين الاسلامي وفي النبي صلى الله عليه وسلم ، ووضع الدين موضع الكرامة ، وبحث فيه البحث اللائق بجلاله . وأظنني أعبت إذا شرعت أبين الفوائد التي تعود على الاسلام نفسه من إظهاره ونشره على الأمم المتحضرة بلغاتها ، ولكن يجب أن تراقب تلك التراجم .

حرمة مسه وقراءته لغير طاهر :

في التجنيس « ولو كتب القراءان بالفارسية يحرم مسه على الجنب والحائض بالإجماع وهو الصحيح ؛ أما عند أبي حنيفة فظاهر لأن العبرة للمعنى ؛ وكذلك عندهما لأنه قراءان عندهما حتى تعلق به جواز الصلاة في حق من لا يحسن العربية » .

وفي فتاوى قاضيخان « الثالثة : إذا كتب تفسير القراءان بالفارسية عند أبي حنيفة رحمه الله يكره مسه للحائض والجنب ، وعلى قول أهل المدينة لا يكرهه ، وقول صاحبيه في هذا مشتببه ، والصحيح أنه كقوله لأنهما يأخذان بالاحتياط » .

وفي شرح المجمع عند الاستدلال على رأى أبي حنيفة « فدل ذلك على أن القراءان هو المعنى ، والفارسية تشتمل على معناه ، فيكون جائزاً في حق الصلاة خاصة لأن المنجاة حالة دهشة ، وأما غيرها فالنظم لازم حتى جاز للجنب قراءته بالفارسية » .

وفي شرح الهداية عند تعليل رأى الصاحبين « إن القراءان اسم لمنظوم عربي كما نطق به النص إلا أنه عند العجز يكتفى بالمعنى كالأبماء » .

وفي شرح الزيلعي « إلا أنه لم يجعل النظم ركناً لازماً في حق جواز الصلاة خاصة رخصة ، لأنها ليست بحالة الإعجاز » . وفي فتاوى النسفي « فقد وافقاه على أنه يصير قراءنا عند العجز عن أدائه بالعربية ، فيفرض ذلك عليه بالإجماع » .

فتجد في هذه المسألة أيضاً خلافاً ونصوصاً متضاربة ، فصاحب التجنيس يرى حرمة المس بالإجماع ، وكذلك قاضيخان والنسفي في فتاواه ، لأنه متى صار قراءنا يأخذ

حكمه وهو حرمة المس وحرمة القراءة أيضا ؛ وشارح المجمع لا يرى حرمة المس وحرمة القراءة .

وإذا نحن رجعنا الى أصل النزاع والى الأدلة أمكننا أن نقول : إن حرمة القراءة والمس يجب أن ترتبط برأى الامام أبى حنيفة الذى رجع عنه ، وهو أن القرآن اسم للمعنى . أما على ما هو الصحيح عنده وعند صاحبيه من أن القرآن اسم للنظم والمعنى ، وأن الترجمة جعلت خلفا عن النظم العربى فى الصلاة كما جمل الايماء خلفا عن الركوع والسجود ، وأنه لا يصار إليها إلا عند العجز ، أو أنها جعلت رخصة فى الصلاة حال القدرة عنده ، فلا يمكن أن تعطى الترجمة فى حالة القراءة والمس حكم النظم العربى . وقول النسفى : إنها حال العجز قرآن عندهما ، معناه أنها تعطى حكم القرآن فى وجوب الصلاة بها ، لا أنها تسمى قرآنا وتعطى حكم القرآن .

وبعد : فإن الترجمة لا تسمى قرآنا على أى وجه كانت ، وأنها أجزت الصلاة بها للقادر عند أبى حنيفة على رأيه المرجوح رخصة ، وأجزت الصلاة بها (وبعبارة أدق : ووجبت الصلاة بها عند العجز عن العربية) لأنها اعتبرت خلفا عن النظم العربى .

دفع شبهة أخرى :

علم من الفصول السابقة أن الخلاف جرى فى أمور كثيرة : فى تسمية الترجمة قرآنا ، وفى جواز الصلاة بها عند القدرة على قراءة النظم العربى ، وفى أنها تصبح فرضا فى الصلاة عند العجز عن النظم العربى أولا ، وفى أنه يصح ضمها الى المقروء من النظم العربى بمقدار الفرض أو لا يصح ، وفى أنه يكتب بها مصحف أولا . كل هذا جرى الخلاف فيه ، ولم يجر فى جواز الترجمة وعدم جوازها حرفية كانت أو معنوية مع اتفاقهم على أن الترجمة المعنوية لا تجوز بها الصلاة . وقد ظن بعض العلماء أن خلاف الحنفية يختص بالصلاة ، على معنى أنهم لم يحجزوها فى غير الصلاة ولم يحجزوا القراءة بها فى غير الصلاة . وسبب هذا أنه وقع فى بعض الملل وفى بعض العبارات شيء أمكنهم أن يأخذوا

هذا منه ، فقد علمت أن العلماء رجحوا أن القرآن اسم للنظم والنظم عند أبي حنيفة وأصحابه ، وأنهم مع هذا أجزوا الخلاف في جواز الصلاة بالترجمة حال القدرة على أداء النظم العربي . وهذا غريب لأنه مع الاعتراف بأن الترجمة ليست قرأنا ، والله تعالى طلب قراءة القرآن بصيغة الأمر الدالة على الوجوب بقوله : « فاقراءوا ما تيسر منه » كيف تجوز الصلاة بما ليس قرأنا ، وإجازة الصلاة بها دليل على أنها قرآن ؟ فقال العلماء : إن الخلاف إنما هو في الصلاة ، ومعناه أن أبا حنيفة لا يسمى الترجمة قرأنا في غير الصلاة ، ولكنه يعتبرها قرأنا في الصلاة رخصة ، لأن حالة الصلاة حالة مناجاة لا حالة إعجاز . فعبرة : أن الخلاف في الصلاة خاصة ، وكلمة : رخصة في الصلاة ، هي التي جعلت بعض أفاضل العلماء يقول إن خلاف الحنفية إنما هو في الصلاة . ولكن الواقع أن المراد منها ما أسلفته ، وإلا فكيف يُعقل أن يميز الإمام الصلاة بها للقادر على رأيه المرجوع عنه ، وأن يميز هو وأصحابه باتفاق الصلاة بالترجمة حال العجز ، وأن يميزوا ضمها الى المقدار العربي المفروض ، وأن يجعلوها فرضا عند العجز على أصح الأقوال ، وأن يميزوا كتابة الآية والآيتين بالاتفاق ، وأن يميزوا على الراجح كتابة المصحف بها بعد أن يقرن بالنص العربي . كيف يعقل أن يكون هذا كله ثم لا تكون الترجمة جائزة ؟ هم يميزون الترجمة بلا نزاع ، وهم يميزون كتابة المصحف بها مع النص العربي . أما القراءة حال القدرة لمن يتهم بشيء في دينه ، وأما كتابة المصحف بها حال القدرة دون أن يكون معه النص العربي ، فيمنع منه أشد المنع ، لأنه من القادر تهاون في أمر القرآن . وأما كتابة المصحف بها مع النص العربي للعاجزين عن قراءة النص العربي فلا يمكن أن يدعى حرمتها على قواعد مذهب أبي حنيفة ، ولا يمكن أن تطرد فيها العلل وهي التهاون بأمر القرآن والإخلال بالنظم العربي .

ولا شبهة في أن الفتوى بالحل والحرمة لشخص من الأشخاص يتبع حاله ويتبع نيته ويتبع الأمارات القائمة عنده .

وعلى هذا فكل مسلم عاجز عن أداء القراءان بالعربية ، وعن النطق بالعربية ، وعن الفهم بالعربية ، يستطيع أن يقرأ ترجمة القراءان للعظة والهداية والتدبر ويصلي بها وجوباً إن لم يعرف شيئاً من النظم العربي ، وله أن يضمها الى النظم العربي إذا كان حسن القصد يريد مناجاة الله بمعنى كلامه . أما إذا كان عابثاً سيئ القصد فيحرم عليه هذا .

خاتمة البحث :

ونقول في خاتمة هذا البحث : إننا إذا تتبعنا كلام المانعين رأينا أنه ينقسم الى قسمين : قسم لا يستحق العناية والتقدير ، وقسم يستحق العناية والتقدير .

فنقسم الأول قولهم إن للحروف العربية مزية وحرمة ، ولل كلمات العربية مزية وحرمة ، وللنظم العربي مزية وحرمة ، والترجمة تغير هذا كله ، وتقدم المضاف إليه على المضاف ، وتحرم الناس من الاشارات الحسائية والمعارف واللطائف الصوفية ؛ فاننا مع اعترافنا بهذا كله (إلا الاشارات الحسائية وما أشبه ذلك) واعترافنا بأنه لا يجوز أن تغير الحروف والكلمات والترتيب في النظم العربي كي لا يقع فيه التحريف ، نرى أن التراجم لا يمكن أن تؤثر في شيء من هذا مطلقاً ، لأن ذلك كله باق في النظم العربي لا تفتح التراجم عليه باب الفساد ؛ ونحن إنما أمرنا بحفظ هذا في اللسان العربي الذي أنزل به القراءان ، وكيف نكلفه إذا أريدت الترجمة ، ويصح أن يقال إنما أمرنا به في القراءان ، والتراجم ليست قراءانا ولا يصح أن تسمى قراءانا وإنما هي معاني القراءان .

وأما القسم الثاني فهو أن الترجمة الحرفية متعذرة ، والترجمة المعنوية قد تغير المعنى ، والأتم الأعجمية ينبغي أن تعرب وتعلم العربية وفهم القراءان في نظمه العربي .

ونحن نعترف بأن الترجمة الحرفية متعذرة في كل القراءان ، وممكنة في آيات كثيرة أو في أكثر آيات القراءان ؛ ونعترف بأن الترجمة المعنوية قد يتغير بها المعنى المراد لله سبحانه وتعالى ، لأنها موقوفة على الفهم أولاً ، وبعد الفهم ينقل المعنى المفهوم الى اللغة الأخرى ؛ ولكن الحنفية مع هذا أجازوا الترجمة الحرفية فيما يمكن أن يترجم حرفياً ،

ولم يجزوا الصلاة بغيرها؛ وأجازوا الترجمة المعنوية، ولكنهم لم يجزوا الصلاة بها؛ ولو أنهم كانوا يمنعون الترجمة المعنوية لقالوا إنها لا تجوز الصلاة بها لأنها غير جائزة، ولكنهم قالوا لا تجوز الصلاة بها لأنه لا يتيقن أنها معنى كلام الله. وقد رأيت الشاطبي رحمه الله كيف أجاز الترجمة المعنوية وسوّى بينها وبين التفسير.

أما تعريب الأُمّ الإسلامية الأعجمية فهو أمل حلو، وكل مسلم يود لو أن اللغة العربية عمّت العالم الإسلامي جميعه أو العالم كله، وأصبحت لغة التفاهم والتخاطب، ولغة التأليف والتراسل، ولغة العلم ولغة الفنون؛ ويود كل مسلم أن يصبح كل المسلمين قادرين على فهم القرآن الكريم بنظمه العربي، وقادرين على النطق به، وقادرين على استنباط الأحكام منه.

ولكن الى أن يتحقق هذا الأمل ماذا تفعل الأُمّ الأعجمية؟ وهل الأفضل لها أن تبقى كما هي قائمة بقراءة الفاتحة في الصلاة، ثم هي بعد ذلك لا تستطيع النظر في ألفاظ القرآن العربية، ولا النظر في معانيه مترجمة؛ أو الأفضل أن تنقل إليها معاني القرآن وينقل ما يمكن نقله بالترجمة الحرفية لتستطيع إطالة الصلاة والمناجاة بقراءة الترجمة الحرفية، وتستطيع النظر والفهم والتدبر في المعاني؟ هذه في الحقيقة هي المسألة بقطع النظر عن الجواز والحرمه، فإن أمر الجواز والحرمه فرغ منه الفقهاء منذ اثنتي عشر قرناً، ونحن لا نحدث جديداً من الفقه في هذه المسألة.

ثم هل الأفضل أن يبقى القرآن محجوباً عن الأُمّ الراقية المسيحية، أو الأفضل أن ينقل إليها نقلاً صحيحاً ليعتد العلماء نظمها الاجتماعية وما فيه من توحيد وتزكية ومكارم أخلاق؟

وهذه المسألة تدل على ظاهرة غريبة في الفقه، فكلمة ذهبنا بعيداً تطلب الأولين من الفقهاء وأقوالهم تجد روح التسامح باديها في الصور، وروح النظر الى المعاني ونباطها؛

وكلنا دنوت من عصرنا الذي نعيش فيه وجدت الأمر على العكس . وهذه الظاهرة تمثل أقوى تمثيل حياة الأمم الإسلامية في الماضي والحاضر ، وتبين الفرق بين العصرين . والحمد لله أولا وآخرا ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

فصل :

كتبت هذه الرسالة منذ أربع سنوات ، وأثبتت فيها نصوص علماء الحنفية . والآن أريد إثبات بعض النصوص لعلماء المذاهب الأخرى :

جاء في صفحة ٣٠٨ من الجزء الأول من كتاب تصحيح الفروع للمقدسى الحنبلي « قال شيخنا : يحسن للحاجة ترجمته لمن يحتاج الى تفهيمه إياه بالترجمة ، وذكر غيره هذا للمعنى ، وحصل الإنذار بالقرءان دون تلك اللغة كترجمة الشهادة » اهـ .
وفي كتاب الإقناع « وتحسن للحاجة ترجمته إذا احتاج لتفهيمه إياه بالترجمة ، وحصل الإنذار بالقرءان دون تلك اللغة كترجمة الشهادة » اهـ .

وقال الحافظ ابن حجر في شرحه للبغارى نقلا عن ابن بطال المالكي في الصفحة الثامنة من الجزء التاسع : « باب : نزل القرءان بلسان قريش والعرب قرءانا عربيا بلسان عربى مبين » شرح حديث يعلى بن أمية : مناسبة الحديث للترجمة أن الوحي كله متلوا أو غير متلوا إنما نزل بلسان العرب ، ولا يرد على هذا كون النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة عربا وعجما وغيرهم لأن اللسان الذى نزل عليه به الوحي عربى وهو يبلغه الى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم » اهـ . وقد أقر ابن حجر هذا وهو شافعى .

ومن السهل أن يطمئن الباحث بعد هذه النصوص التى نقلناها الى أن الحنفية لم ينفردوا بالقول بجواز الترجمة ، بل وافقهم على هذا الحكم الشافعية لما علمت من إقرار ابن حجر لما نقله عن ابن بطال ، والحنابلة لما سمعت من نص كتاب تصحيح الفروع

وكتاب الإقناع، والمالكية لما رآه ابن بطال في شرح الحديث السالف . وقد عرفت من قبل رأى الشاطبي، وهو أن الترجمة جائزة بإجماع المسلمين .

ويحسن أن نذكر في هذا الفصل عبارة لجمار الله الزمخشري في الكشف عند تفسير قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليدين لهم فيفضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم » :

قال : « فإن قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وإنما بعث الى الناس جميعا » قل يأيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا » بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة، فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة، وإن لم تكن لغيرهم حجة فلونزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضا، قلت : لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها، فلا حاجة الى نزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل، فبقى أن ينزل بلسان واحد، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول لأنهم أقرب إليه، فاذا فهموا عنه وتبينوه وتثوقل عنهم وانتشر، قامت التراجم ببيانه وتفهمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم . ثم قال : « ولأنه لو نزل بألسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الإعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها كما كلم أمته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك أمرا قريبا من الإلجاء » اهـ . وقد فصل العلامة الألوسي عبارة صاحب الكشف ثم علق عليها بقوله : « كذا قرره شيخ الاسلام والمسلمين وهو من الحسن بمكان » . وبعد هذا يمكن القول بأن المسألة من الوضوح بحيث لا تقبل الجدل، فإن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم رسالة عامة ولا سبيل الى تبليغ الرسالة وتبليغ ما أنزل اليه ليتدبره الناس إلا عن طريق الترجمة .

ولا أرى خطرا ما في هذا، لأنه متى علم الناس علما لا لبس فيه أن الترجمة ليست قرءانا وليس لها خصائص القراءان، وأنها لا تحمل الإعجاز الموجود في النظم العربي،

بل ولا تحمل معاني النظم العربي جميعها ، وإنما تحمل المعاني التي فهمها المفسرون ، وُجد الأمن التام ، وحصلت الطمأنينة التامة الى أن التراجم لا تأخذ قدسية القراءان العربي ، والى أنه لا يمكن أن يخطر بالبال بوما ما أن التراجم هي القراءان المنزل على رسوله الأكرم صلوات الله عليه .

هذا ، وقد أكثر الناس من الكلام على الترجمة الحرفية ، وظنوا أن الغرض منها نقل خصائص النظم العربي . وهم واهمون في هذا الفهم ، لأن نقل خصائص النظم العربي مستحيل ، بل المراد منها ما يفصح عنه النص الآتي في مذهب الحنفية :
في الزيلعي : « ولا تجوز الصلاة بالتفسير بالإجماع لأنه غير مقطوع به » قال الشلبي في حاشيته : « لجواز أن يكون مراده تعالى غير ذلك التفسير ، ولأنه كلام الناس ؛ والاختلاف فيما إذا أبدل لفظا عربيا بلفظ عجمي يماثله » .

ومن هذه النصوص التي سلفت يعلم أن الآيات التي يختلف المفسرون في تفسير معناها ، والتي لا يمكن أن تترجم إلا على وجه من الوجوه ، لا تصح الصلاة بها عند الحنفية لأنه لا يقطع أن معناها كلام الله .

أما الآيات التي يصح أن يصلى بها فهي التي لا يوجد فيها خلاف في معانيها . ومثل هذه الآيات تسمى ترجمتها ترجمة لفظية أو ترجمة حرفية ، على معنى أن هذه الترجمة تنقل المعنى نقلا تاما .

وقد يقول قائل : إنه عند تعدد المعاني لا تصح الترجمة لأن المعنى المنقول حينئذ لا يقطع أنه معنى كلام الله .

والجواب عن هذا : أن المسلمين في هذه الحالة قد أجمعوا على جواز التفسير باللفظ العربي ، وعلى أن الفقيه يأخذ الأحكام بناء على ما يفهمه من النظم العربي باعتبار أن ما فهمه هو معنى كلام الله ، فكما صح هذا يصح أيضا أن تنقل هذا المعنى الى اللغة الأخرى على أنه المعنى المفهوم للناقل والمترجم ، ولا ضير في هذا .

والمحذور هو أن تُفهم العربي الذي تحكى له التفسير أن هذا المعنى هو مراد الله تعالى قطعا .

ولعل هذه الفصول ، وفيها « من النصوص ما فيه بلاغ » ، وفيها من توضيح الآراء ما اشتجرت فيه وجوه الفهم ، تلج صدر المتخوفين من أن يُسلم الناس بهذه الترجمة مأورثوه وما استحفظوا من كتاب الله ، فلا يزال القراء ان الكريم بفصحاه باقيا يهتدى به الناس ويتعبدون بتلاوته ، وتطمئن قلوبهم بذكر الله منه . وقد غبرت قرون من لدن اختلف العلماء في جواز الصلاة بغير العربية ، وترجم القراء ان الكريم مرارا الى شتى لغات العالم ، وما وجدنا معقل العربية قد أسلمه حماه . وخير أن يوحد للناس بالقدر الممكن ما تستقر عليه آراء أشياخ العربية والدين من فهم معاني كتاب الله ، ليبعد عن هذا الكتاب المطهر زيغ الزائعين وإلحاد الملحدين .

وقد اختلف العلماء قديما في الوجه الذي أعجز به القراء ان ، ونقل اختلافهم في كتب الحديث وعلوم القراء ان . ووراء نظمه المعجز صنوف من الإعجاز ، وألوان من معاني حكم الله وأسراره الباهرة ، وما سرد من قصص ، وما أخبر عنه من مغيب . حرام أن تبقى هذه المعاني محجوبة عن أعين الناس فرارا من أوهام الخائفين ، وحذارا من إشفاق المعوقين .

وسيجد المخلصون في هذه الترجمة أكبر خدمة لدين الله الذي ارتضاه ، وخير معونة تسدى للراغبين في فهم حقائق هذا الوحي السماوي . والله متم نوره . « سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكفر بربك أنه على كل شيء شهيد » .

الروح الإسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

٢

مقابل هذه الروح من الشخصية الانسانية

نحن باطلاقنا كلمة روح على هذه المباحث إنما نسميها بما سمى به الحق سبحانه وتعالى تعالىه ووصاياه التي أوحاها الى رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله جل شاناه : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدي الى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، ألا الى الله تصير الامور » قال المنفرون : وإنا سمى الله ما أوحاه الى رسوله روحا لأن به حياة القلوب كما بالروح الانسانية حياة الأجساد .

ولما كان الخالق الحكيم لا يكلف عباده إلا بما يستطيعون القيام عليه ، وما كن في جبلتهم من القوى الحافظة اليه ، فقد سمى الدين الجامع لجميع خصال الخير بدين الفطرة إذانا بأنه موافق لها كل الموافقة .

فالروح الاسلامية تعتمد على الفطرة الانسانية ، وتستمد منها سلطانها على العقول ، وحجتها على الخلود . ولما كان هذا الموضوع يحس أساس الدين وعليه يتوقف استيلاؤه على النفوس ، وبه تبلغ أدلة هذا الدين أقصى ما قدر لها من قوة ، وجبت علينا زيادة بيان له فنقول : خلق الله الانسان مطبوعا على نحاء تحفزه الى الخير ، وغرائز تدفعه من السمو الى مدى لا يبلغ اليه العقل ، ولا يصل الى غايته خيال ، ناهيك بكائن علمه مبدعه الاسماء كلها وأسجد له ملائكته . فهذه إشارة الى أنه بمكان من قبول الترقى بحيث يصل الى مقاوم روحانية يفضل بها الكائنات العلوية . وهذا التقدير الاسلامي للانسان قد انتهى اليه مذهب العلم المادى في القرن العشرين . فكتب العلامة الكبير (شارل ريشيه) (١) مدرس الفيزيو لوجيا في كلية الطب الباريزية وأحد أعضاء المجمع العلمى الفرنسى ، في مقدمة كتبها لكتاب (الظواهر النفسية) (٢) للدكتور ماكسويل ، النائب العام في حكومة الجمهورية الفرنسية ، لطبعته الخامسة الصادرة في سنة (١٩١٤) قال :

« إذا سالنا رجلا متوحشا ، بل لو سالنا فلاحا مصرية أو قرويا روسيا ما يعلمه عن قوى الطبيعة ، وجدناه لا يدري منها عشرينا تسرده منها الكتب الأولية لهذا العلم في سنة ١٩٠٣

(هي السنة التي كتب فيها هذه المقدمة) . ويظهر لي أن علماء هذا العصر سيكونون حيال علماء القرون المقبلة في مثل حال قروى اليوم إزاء أساتذة جامعة فرنسا » انتهى .

وقد دفع هذا التقدير الاسلامي للانسان الى اعتقاد المسلمين بانه بما أودع صميمه من روح الله يعتبر به عالما وحده ، بل ذهب بعضهم الى القطع بانه العالم الأكبر فقال شاعر :

أتزعم أنك شيء صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وإذا كان اعتقاد المسلمين هو هذا ، فأي كمال يرون الانسان دونه ، وأي مرتقى من السمو يظنون أنه لا يبلغه ويجوزه الى حيث لا تصل الظنون والآوهام ؟

وما دام هذا مسلما به فأي تكليف مهما كان شاقا عنيفا لا يستسهله الانسان ليبلغ هذا الملك الذي لا يبلى ، وأي رياضة نفسية لا يتحملها ليصل الى هذا المستوى الذي دونه كل مستوى ؟ « إنا عرضنا الأمانة (أى التكاليف المناسبة لكرامة الانسانية) على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الانسان ، إنه كان ظلوما جهولا » أى كان ظلوما لعدم القيام بادائها جهلا منه بشعراتها .

والنظر المجرد في كل ما أدركه عقل الانسان من أسرار العلوم ، وما سخره من قوى الكون ، وما تم على يديه من الصنائع والاختراعات ، يدل من طريق محسوس على أن الفطرة الانسانية ثرية في القوى المعنوية ، ثروة لا يمكن تقديرها بهذا العقل العادى في أى دور من أدوار رقيه ، لأن ما حكم هذا العقل عليه بالاستحالة في عصر من العصور ، وصل اليه هذا العقل نفسه بعد عهد قريب أو بعيد . أما رأيت أن شيخ الفلاسفة الحسين (أجوست كومت) أراد أن يضع حدودا للممكن وغير الممكن ، وعد من غير الممكن معرفة تركيب مادة الكواكب ، فلم يرض على كتابه الذى قرر فيه هذا الرأى بضع سنين حتى اكتشف أحد المخترعين آلة السبكترسكوب المؤسسة على تحليل ألوان الأشعة الشمسية ، فعرفت مادة الكواكب بطريقة محسوسة لا يمكن التراجع فيها ؟

وإذا لم يكن الانسان مفطورا على بلوغ أقصى ما هو أهل له دفعة واحدة ، فانه مطبوع على أصول أولية يستطيع أن يقوم عليها ، بدون هاد يهديه اليها ، وهى ما سمي بالمعارف الضرورية . فيستطيع أن يميز بها بين الحسن والقبيح ، وبين النافع والضار ، وبين الخير والشر ، وغرز فيه من البواعث على التكلل ما يحفزها الى العروج الى أرفع مكانات الارتقاء .

ولما كان الغرض الأول من الدين الحق هو إيصال الانسان الى كماله ، من طريق تنبيه غرائز التكلل الكامنة في طبيعته ، وإيقاظ عواطف السمو الثاوية في روحه ، فقد اتفق الدين الحق والفطرة الانسانية كل الاتفاق ، فاذا كان بينهما فارق فهو في أن الفطرة قوى معنوية مبثوثة في كيان الانسان ، والدين ترجمة طبق الأصل لهذه القوى . وقد ورد التنزيل مؤيدا

لهذه الحقيقة الفلسفية ، فقال تعالى : « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .
 فاذا قلنا إن الاسلام دين عالمي عام يسع الخلق كله ، وهو خالد خلود الحقائق الكلية ، ساغ لنا ذلك ، بل عد من باب تقرير الواقع ، لأن الفطرة الانسانية عالمية عامة ، وغايتها وميولها مستقرة خالدة ، وكل ما وافق المثل العليا التي تتجه هذه الفطرة الى تحقيقها فهو دينها الحق الذي لا تجدد عنه معدلا . ولكن الأمر يحتاج الى أدوار كثيرة من التطور تدخل فيها النفوس البشرية لتتهذب وتخلص من رعوناتها الحيوانية ، وتقوم على صراطها الذي نهجه الخالق لها ، وتتعرف بالإعلام التي نصبها في الكون لتسترشد بها ، والى هذا يشير الحق سبحانه وتعالى بقوله : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » .

وكل دين لا يعتمد على الفطرة التي فطر الله الناس عليها فحكموم عليه بالزوال متى وصلت عقول أهله الى الرشد ، ومتى ضعف فيهم تأثير التقليد الأعمى لأبائهم . وهذه النتيجة تعتبر طبيعية من كل وجه ، لأن كل ما لا ينطبق على العقل يضعف أثره على النفس على نسبة الاستنارة التي يصل اليها هذا العقل ، وكل ما كان لا معتمد له غير داعية التقليد الأعمى يضمحل باضمحلال الداعية التي يقوم عليها بتقدم العلم والفلسفة ، والعالم من هذه الناحية في تطور مستمر ، وإن شوهذ أن سيره وثيد ، فذلك لأن الأديان البشرية قد أصبحت عنصرا من عناصر القوميات ، فهي باقية بفضل هذا الامتراج ، ولكن تطوار أصول الاجتماع سينتهى باخراج هذا العنصر من كيان القوميات ، كما أخرجت عناصر أخرى أصبحت فيها عللا للضعف ، ولعل ما طرأ من هذا القبيل في علاقات الأمم بالأديان من التراخي ، يشير الى أن سنة التخصيص تعمل على عزل كل ما هو باطل من كيان الأمم ، ليم التلاؤم بين ما وصلت اليه عقولها ، وما يجب أن تكون عليه مقوماتها .

وكل هذه التفاعلات الأدبية والاجتماعية بين الامم تعتبر في الواقع تمشيا نحو مقتضيات الفطرة الانسانية السليمة ، وكل ما يعمل لمصلحة الفطرة هو في الواقع ، بناء على ما علمت ، عمل لمصلحة الاسلام ، وجهد مبذول لتعميم دولته في الأرض ، فالمستقبل للاسلام وإن جهل ذلك الجاهلون ، أو تجاهله المتعصبون .

فانظر على أي أساس تقوم الروح الاسلامية من الطبيعة الانسانية ، وعلى أي الغرائز الفطرية تعتمد لتحقيق مقاصدها العالمية ؟ إن ديننا يقوم على مثل هذا الأساس المتين لا يعقل أن يبلغ منه الخوصوم ، فكل سهم يوجهه اليه منازع يرتد اليه فيصميه ، وكل كيد يدبره له كاذب يعود عليه فيرديه : « يريدون أن يطفئوا نورا الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

التفسير

سورة الرعد

- ١١ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَى).

قد سمعت في الآية السابقة ما حكاه عز وجل عن الكفار المكابرين من تماديهم في المكابرة والطغيان، وتعاميهم عما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات، فهم يقولون بعد كل ما رأوا: «لولا أنزل عليه آية من ربه»، وسمعت ما أمر عز وجل أن يرد به عليهم في قوله: «قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب»، وبيننا أن معنى ذلك: أن المسألة ليست مسألة طلب آية يتبين بها الحق، فقد أنزل من الآيات ما فيه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وإنما الأمر أمر التوفيق والخذلان، أمر من أراد الله أن يهديه أو أراد أن يضلّه، أمر من شاء الله أن يشرح صدره للإسلام أو شاء أن يركسه في مهاوى الضلال والبهتان، والله فعال لما يريد، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه؛ وإلا فكيف لا يمد ما ذكر من أول السورة برهاناً أقوى برهان على صدق ما دعاهم إليه من الاعتراف بوحده انيته وعظيم قدرته وباهر حكمته وواسع علمه، وأنه وحده هو المهيمن على العالم علويه وسفليه، هو الموجد له

على هذا النظام الحكيم والترتيب العجيب ؟ لا لا ، ليست المسألة مسألة آية ، وإنما الأمر أمر الضلال والهداية : « قل إن الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب » .

والسر في التعبير في الشق الثاني بكلمة « من أناب » بدل أن يعبر بكلمة « من يشاء » كما في الشق الأول ، هو قطع ما عسى أن يتعلموا به من المحاولات التي كانوا يتصيدونها كلما بدت لها بارقة شبهة ، فربما قال قائلهم : إذا كان الأمر راجعا لمشيئته كما ذكرت في الضلال والهداية ، فما وجه مطالبتك لنا ، فلو شاء الله لهدانا أجمعين ؟ أجل : لو شاء الله لهدى الناس جميعا ، ولكن ليس معنى ذلك بطلان الاختيار من العبد وعدم مداخلية إرادته بالمرّة ، فالمتمسك بهذا ليفر من المسؤولية مكابر لنفسه مكابر لعقله مكابر لوجدانه ، منكر لما أنعم الله به عليه من عقل وتمييز وإرادة واختيار يتوجه بها الى ما راق في نظره وحسن في عقله . تشهد بذلك بديهته بل بديهة الصبيان في أول درجات التمييز . أليست ترى الطفل حين تهم بتأديبه لأمر فرط منه تجده تارة يلبجا الى قوله : « هذا جرى قهرا عني » وتارة الى قوله « تبت أن أعود » ؟ أليس معنى هذا في عقله أنني في الأول لا أستحق الأذى لأنني لا يصح أن أؤاخذ بما لا اختيار لي فيه ، وفي الثاني أنني أستحق العقوبة لأنني فعلته باختياري ، ولكنني أستسمحك وأستقيلك مما فرط مني واستوجب عقوبتي ، وأعدك بأن أقلع ولا أعود ؟ اللهم إن هذا في فطر الأطفال بله العقلاء .

فالمتمسك بالمشيئة الإلهية وهو لا يعلم من أمرها شيئا إلا بعد أن يقع منه الفعل إجابة لداعية نفسه ، مستمسك بما يعلم في نفسه أنه كاذب فيه ، وإنما يريد المكابرة والمراوغة ، وهو لا يراوغ إلا في مصلحة نفسه ؛ وإلا فالحقيقة أن من أناب الى الله وثاب الى رشده ، وجعل لعقله نوبات يراجع فيها أمره على بصيرة ، مطرحا للعناد واللجاج في الفساد ، واستلهم من الله الرشاد ، فقد أعدّ نفسه لإفاضة نعمة الله وهدايته عليه ، والله كريم جواد ، ورءوف بالعباد ، فهو يضل من يشاء ممن انصرفت نفسه بالمرّة عن مراجعة الحق والصواب ، ويهدي من يشاء ممن أناب الى ربه ورجع الى التفكير

فما نصبه له من أدلة ، وساقه له من آيات . وبعبارة أوضح : جعل من نفسه لنفسه نوبة يرجع فيها الى التفكير الهادئ الخالص ، فهو بذلك محل لإفاضة الهدى عليه من الله . وهؤلاء هم « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله » . وعلى ذلك يكون قوله : « الذين آمنوا » الخ ، من تمام الكلام السابق ، ويُعرب بدلا من « مَنْ أَنَابَ » أو عطف بيان عليه ، أو خبر مبتدأ محذوف كما قدرناه آنفا .

وقد يرى بعضهم أن الكلام تم عند قوله : « مَنْ أَنَابَ » وقوله : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم » كلام مسوق لبيان شأن الفئة المقابلة للذين كفروا القائلين : « لولا أنزل عليه آية من ربه » . فكانه بعد ما ذكر حال أولئك الكافرين ، وأنهم إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وكلما نزلت عليهم آية طلبوا غيرها ، ذكر حال المؤمنين الذين اطمانت قلوبهم وسكنت الى ما أنزل عليه من الذكر الحكيم والقرءان العظيم ، وهو الجدربأن تطمئن اليه القلوب : ألا بذكر الله تطمئن القلوب . ويكون قوله : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » جملة اعتراضية بين المبتدأ والخبر الآتى فى قوله : « طوبى لهم وحسن مآب » وقوله : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » بدلا من الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم ، وهو وجه لا بأس به ، وإن كان الأول أظهر منه وأقرب .

وإذا قيل على الأول : ما معنى يهدى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم والهداية قد حصلت بالإيمان وطأ نينة القلوب ، فكيف يجعلان سببا للهداية ؟ قلنا : إن هذا على نسق قوله تعالى : « هدى المتقين » وقد قالوا فيها : إن معنى المتقين من أعدوا أنفسهم لإفاضة التقوى على قلوبهم يرجوعهم الى طلب الحق والبحث عنه ، فإن الله يهديهم صراطه المستقيم ؛ فكذلك هنا معنى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الذين لانق قلوبهم ، واتجهوا الى طلب الحق الذى شعروا به من نفوسهم ، وأصاخوا الى ما صدر عن فطرتهم من الإلهابة بقولهم : أن ثوبوا الى رشدكم ، وتعرفوا مصدر نعمكم ، وافقهوا ما ركب فى فطركم ، تعلموا ما ينجيكم من عذاب ربكم ، وما يديم ما أنعم به

عليكم . هذه بارقة الايمان تنبعث من صدور المؤمنين ، فيتلقفونها ، ويتدبرون ما احتوت عليه ، ويتأملون فيها دُعوا اليه ، فيجدون ذلك كله يدعو بعضه الى تصديق بعض ، فإذا اطرحوا العزة النفسية والحمية الجاهلية ، وعدلوا عن اللعب في موضع الجدل ، ونظروا النظر الصحيح ، فقد تفتحت عيونهم لمشاهدة ما عرض عليهم من آيات ، فاستمسكوا بها ، فحسوها وأخلصوا النظر فيها ، فازدادوا اليها ركونا ، فأمنوا واطمأننت قلوبهم بذكر الله وآياته ، وأى شئ ، أوجب لطمأينة القلوب من ذكر الله وذكر آياته ؟ ألا بذكر الله تطمئن القلوب .

والطمأنينة : السكون والاستقرار ، ويقال للمكان المنخفض مطمئن ومطمأن ، لأن ما يحل فيه يسكن ويستقر عادة . وطمأنينة القلوب : سكونها الى ما حل فيها من عقيدة راسخة . وذكر الله هنا : القرآن الكريم . يعرف ذلك من مقابلته لقوله : « لولا أنزل عليه آية » . وإطلاق الذكر على القرآن مستفيض « إنا نحن نزلنا الذكر » وهذا ذكر مبارك أنزلناه . وسبب طمأنينة قلوبهم بذكر الله ما يشهدون فيه من آيات بينات دالة على صدق من أنزل عليه دلالة لا لبس فيها ولا ريب ، فهي تدفع عن قلوبهم قلق الحيرة والتردد .

وقوله تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » تقرير وتثبيت لما كان منهم ، وبيان أنه هو الذى ينتظر ممن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ؛ فأما من مرَّ عليه فلم يُلق له بالاً ولم ينتفع بالهدى الذى احتواه ، فلا يصح أن يكون من ذوى القلوب ، بل ممن قال الله فيهم : « وأفئدتهم هواء » أى فارغة خالية عن القلب . والحصص المستفاد من تقديم « بذكر الله » على « تطمئن » لبيان عظم منزلة الطمأنينة الحاصلة منه ، فهي طمأنينة منشؤها العقل ، وليست من المحسوسات التى ربما لحقت النفوس معها توهمات تقلق راحتها ، كأن يقولوا : « إنما سُكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » أو كما حكاه عز وجل عنهم فى قوله : « وإن يروا آية يُعرضوا ويقولوا

سحر مستمر». فيكون الحكم بحصر اطمئنان القلوب في ذكر الله، لأنه بمنأى عن أن يدعى فيه السحر أو نحوه، فضلا عما فيه من الدوام والبقاء، ليكون معجزة خالدة بذاتها خلود الدعوى التي قامت هذه الآية لتأييدها، فليس الموجود نبأ هذه الآية والاخبار عنها، بل الموجود اخلالدهو الآية نفسها، فلا سبيل الى تطرق الريب إليها، ولا يعتري القلق قلبا نظرت فيها وتعرفت وجوه إعجازها.

وبعد: فهذا لا يمنع أن يستفاد من الآية معنى آخر إذا نُظر إليها في ذاتها بقطع النظر عن السياق الذي سيقته له، وهو أن تذكر جلال الله وعظمته، وباهر قدرته وحكمته، مما يغرس في القلوب طمأنينة وسكينة، كما قال تعالى: «ثم تأين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله». ويكون وجه مناسبته لما سبق: أن شأن الكافرين أنهم إذا ذكروا الله وحده اشمأزت قلوبهم. ولكن المعنى الذي قررناه أولاً أقرب للنظر، وأوجه في المناسبة، وهو أن المراد بالذكر القرءان الحكيم.

وعلى المعنى الثاني قد يقال: ما وجه الجمع بين ما هنا وبين ما جاء في قوله تعالى: «إذا ذكر الله وجلت قلوبهم»؟ والجواب أن ذكر الله يتجلى في عدة صور: فتارة يكون ذكر الأنس والتبتل إليه سبحانه، ومشاهدة ما في صنعه من جمال باهر، فتطمئن القلوب من حيرتها، وتسكن من قلقها، مذعنة أنه الواحد لا شريك له، ولا يستحق أن يعبد غيره؛ وتارة يكون بذكر عظمته وهيئته، وما يجب على المرء ليقوم بواجب شكره، وأنه مهما فعل فهو مقصر، فيدرك الذاكر من أسباب المهابة ما يجعله وجلا خائفا من عذاب ربه، حذرا من غضبه؛ ولكل مقام مقال.

«الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب»:

قد بينا آنفا أن قوله تعالى: «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله» الأظهر فيه أنه مرتبط بقوله: «من أناب» على أنه بدل منه أو عطف بيان، أو خبر لمحذوف عائد عليه. وعلى هذا يكون قوله: «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» مبتدأ، وطوبى لهم خبرا عنه.

ويصح أن يكون من تنمة الكلام السابق ، وكأنه ذكر « من أناب » بصفتين تنوهان بعظم مقداره وشرف إنابته : (الأولى) إيمانه وطأ نينة قلبه بذكر الله . (الثانية) إيمانه وعمله الصالحات ؛ ويكون وجه ذلك إظهار أن الإنابة إلى الله والرجوع إلى طلب الحق ينشأ عنها ثمرتان طيبتان : (الأولى) الإيمان الراسخ الذي اطمأنت إليه النفوس وسكنت عنده القلوب خالصة من كل قلق وريبة . (الثانية) الإيمان المثمر للعمل الصالح والسيرة الطيبة .

وتكرار الإيمان لبيان أنه من حقه أن يستبر ثمرة مستقلة من كل جهة من الجهتين . فهو باعتبار اطمئنان النفس وسكون القلب وسلامته من الحيرة والشك والريب ، ثمرة قائمة بذاتها ؛ وباعتبار ما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة والسيرة المستقيمة ثمرة أخرى ، وإن كان هو في ذاته شيئاً واحداً . وعلى ذلك يكون قوله : « طوبى لهم وحسن مآب » دعاء لهم بأن يطيب عيشهم ، وتهنأ حياتهم في الدنيا والآخرة ، وأن يحسن ما بهم ومرجعهم إلى ربهم .

وسبق أن الآية تحتمل وجهاً آخر ، وهو أن الكلام تم عند قوله : « من أناب » ، وأن الذين آمنوا وتطمئن مبتدأ والذين آمنوا الثانية بدل منه وطوبى لهم خبر عن المبتدأ ، ويكون الكلام في الأول لبيان حال الكافرين ، وأنهم لا يزالون قلقين مضطربين لا تطمئن قلوبهم لحال يسكنون لها ، لأنهم لم يتجهوا إلى طلب الحق لذاته ، بل يريدون أن يتبع الحق أهواءهم ، فيعيمهم هذا الطلب ، فلا يزالون يطلبون آية يشبعون بها أنفسهم ، ويتمنون الأمانى ، ويقترحون الخزعبلات ، حتى إنهم ليقترحون أن ينزل السماء عليهم كسفاً . فهو لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم . وبعد أن شرح حالهم ذكر في مقابلتهم حال من أناب إلى ربه ، فقال : « الذين آمنوا » إلى قوله : « وحسن مآب » وهو وجه لا بأس به كما سبق .

وطوبى : فعلى ، من الطيب كبشرى وزلنى ، قلبت يائها واوا لسكونها وضم

ما قبلها كموثق وموسر مأخوذ من اليقين واليسار . فإذا جعلت الذين آمنوا مبتدأ تكون طوبى لهم خبرا ؛ وإذا جعلتها بدلا من «من أناب» تكون طوبى لهم دعاء مستقلا ، ومعناها أصابوا طيب عيش وصلاح حال ، كقولك : سلام عليك وسلاما عليك . وهي إما مرفوعة على معنى لهم طيب عيش ، أو منصوبة على معنى أصابوا طيبا . ويبين أنها مرفوعة أو منصوبة قوله بعدها : «وحسن مآب» فقد قرئ بالرفع والنصب . والمآب : المرجع ، من آب المسافر الى بلده رجع . والمعنى أن مرجعهم الى الله سيكون مرجعا حسنا سارا ، فقد أصابوا حسن مرجع ؛ أو لهم حسن مرجع ، على حسب قراءة الرفع والنصب . وقد قرئ حسن مآب ، برفع مآب وفتح النون من حسن . ووجهها أن حسن فعل ماض أصله حسن بفتح الحاء وضم السين فنقلت ضمة السين الى الحاء بعد حذف حركتها ؛ ومثل هذا جائز في فعل المدح والذم ، يقولون : حسنَ ذا أدبا ، كقولهم : نعم ذا مآ

إبراهيم الجبالي

فضل الرفق والالانة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أوتي حظ من الرفق فقد أوتي حظ من خير الدنيا والآخرة .

وقال بعض الحكماء : يدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف ، ألا ترى أن الماء على لينة يقطع الحجر على شدته ؟

وقال أشجع السلمي لجعفر بن يحيى بن خالد : ما كاد يدرك بالرجال ولا بالمال ما أدركت بالرفق . وقال النابغة :

الرفق بمن والأناة سعادة فاستان في رفق تلاق نجاحا

وقالوا : العجل يريد الزلل .

أخذ القطامي هذا المعنى فقال :

قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ترجمة القرآن

ونصوص العلماء فيها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي ، أرسله الله بالحق بشيرا ونذيرا ، وأنزل عليه كتابا عربيا ليخرج به الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد .

وبعد : فإن المسلمين قد بدءوا يشعرون بتقهقر حالتهم بين الأمم الناهضة ، وقد حفزهم هذا الشعور الى التفكير في الوسائل التي تنهض بهم في جميع نواحي الحياة ، وكان من ذلك أن رأى المصلحون الدينيون منهم أن أساس النهوض للأمة الاسلامية هو العمل بمجد وإخلاص لنشر هداية الاسلام ، وإذاعة تعاليمه العالية ، وبث مبادئه القويمة ، وآدابه الفاضلة ، وإعطاء صورة صادقة عنه للأمم التي نشطت في مضمار الحياة ، وجدت في دراسة الثقافات الدينية المختلفة ، ومحاولة الوقوف على حقائقها من منابها الأولى .

وكان من ذلك أيضا أن رأى هؤلاء المصلحون أن يد الطموح العلمى المتغلغلة في العالم امتدت الى القرآن الكريم ، فوضعت له تراجم بلغات مختلفة لم تسلم من أخطاء كان لها أثر سيئ في فهم معاني القرآن .

وإزاء هذا وذاك لم ير أولئك المصلحون بدا من أن يفكروا في وضع ترجمة تحتوي على معاني القرآن الكريم احتواء دقيقا تاما ، وأن تداع تلك الترجمة في أنحاء العالم ، فتنتشر هداية الاسلام ، ومبادئه الحققة من جهة ، وتقضى على تلك التراجم الخاطئة من جهة أخرى .

ولا يرتاب مسلم في أن هذين الأمرين من ألزم ما يحتمه الدين على أهله ، وأشد ما يؤثمهم على تركه ، وإن ترك هذه التراجم يتفاقم شرها ، ويستشري ضررها ، لمن أشد أنواع المنكر الذي يوجب الدين محاربتة ، والقضاء عليه بما يستطيع من الوسائل .

وما كادت فكرة هؤلاء المصلحين تبرز في أفق الاستعداد للعمل حتى ضاق بها صدر بعض الناس ، وأخذ يحاول التأثير على العامة بأساليب لا يعرفها العلم ، ولا يأنفها البحث ، وينكرها الاخلاص للحق والدين ، وقد أوقعه موقفه هذا في سوق بعض آيات من القرآن الكريم في غير موضعها ، وسلخها عن روحها ومعناها ، وكان بذلك من « المترجمين الخاطئين » !

وقد رأيت من واجبي أن أكشف الموضوع من جهته الدينية ، وأن أعرض لنصوص العلماء المتقدمين في مسألة الترجمة ، حتى يكون الناس على بينة من الأمر ، وحتى لا يكون لتلك السهام الطائشة أثر إلا فيما لا يرضى به أصحابها .

وقد بنيت بحثي هذا من فصلين ومقدمة ، فإن وفقت فيما أردت ، فله الحمد على ما وفق ، وإن تجافاني التوفيق ، فليست باول من بحث فاخطا ، وما أريد إلا الخير ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله العلى العظيم .

المقدمة :

الترجمة : نقل المعنى من لغة الى أخرى ، والترجمة التفسير مطلقا ، ومنه ترجمان القرآن ، وفي القاموس — الترجمان : المفسر للكلام .

والترجمة التي يمكن أن يفترضها العقل للقرآن ثلاثة أنواع :

أولها — نقله من أسلوبه الى أسلوب آخر يضاهيه تمام المضاهاة في خصائصه ومزاياه ، ويقوم بوظيفتيه : الإعجاز ، والتبليغ . وهذا النوع لا تتناوله قدرة البشر ، ولا يدخل تحت حكم شرعى ، وقد أخبر الله بعجز الانس والجن عن الاتيان بمثل القرآن ، والمثلية المطلقة لا تتحقق إلا بقيام أحد الشيتين مقام الآخر في جميع وظائفه ، وهذا الفرض ليس موضع تفكير لأحد من العقلاء ، فضلا عن المسلمين ، وليس هناك عاقل تحدّثه نفسه بان يترجم القرآن بهذا النوع من الترجمة ، كما أنه ليس هناك مسلم عاقل يزعم على أحد من المسلمين العقلاء أنه يريد هذا النوع من الترجمة !

لهذا يجب أن يستبعد هذا النوع من موضع النزاع ، ويقصر على النوعين : الثانى — وهو أن يوضع بدل كل لفظ لفظ آخر مرادف له من اللغة المنقول إليها بقدر استطاعة المترجم ، واستطاعة تلك اللغة ؛ وعلى النوع الثالث — وهو أن يفهم معنى الآية فيها تاما دقيقا ، ويؤدى بعبارة اللغة المنقول إليها .



هذان النوعان هما موضع البحث ، ومحل النزاع . ومن المسلم به بادئ ذي بدء أن هذين النوعين سواء أكانا بلسان القرآن أم بغيره ، ممكنان وواقعان ، وماهما عند إمعان النظر الذى يطلب الحق لذاته إلا تفسير وبيان ، ونحن جميعا نعلم أن البيان أو التفسير يقصرتارة ، ويحاذى بترتيبه حسب الامكان ترتيب الأصل ، فيكون الأول منهما ؛ ويطول أخرى ، ولا يحاذى به ترتيب الاصل ، فيكون الثانى .

ومن المسلم به أن الترجمة باحدها لا يمكن — مهما علا كعب صاحبها فى البلاغة — أن تحمل

وجوه الاعجاز التي يحملها القرآن ، فلا تكون القرآن المتعبد بتلاوته ، المتحدى باقصر سورة منه ، ولا تكون مثله ، كيف والقرآن في وجوده الذاتي ، وعند الله ، وعند المسلمين ، هو اللفظ العربي المعجز المنقول الى المسلمين بالتواتر ؟

ومن المسلم به أيضا أن وجود الترجمة باحد هذين النوعين بجانب الاصل القرآني المعجز لا يتصور عاقل أنها تطفى على ما يحمله من وجوه الاعجاز ، أو أنها تغني غناه فيما قصد منه من إعجاز وتبليغ .

على أنه من المسلم به أيضا أن جهات الاعجاز في القرآن لا تنحصر في بلاغته التي لا يتذوق الوجه المعجز فيها إلا من كان ذا سليقة عربية خالصة ، بل من وجوه إعجازه احتواؤه على أخبار غيبية لا يدركها الانسان إلا عن طريق الوحي الالهي ، واحتواؤه على أسس تشريعية ، ومبادئ أخلاقية واجتماعية ، لم يعمد في تاريخ البشر أن أميا نشأ في جاهلية يستطيع أن يضعها أو يضع شيئا منها .

ولا ريب أن الترجمة إذا لم تحتفظ بالوجه البلاغي المعجز ، فانها تحتفظ بجهات الاعجاز المستقرة في صلب المعاني الأصلية ، وهي جهات عظيمة القدر ، جليلة النفع ، لها أثرها في امتلاك القلوب ، فلا ينبغي أن تحجب عن نفوس متطلعة ، ولا أن تحرم منها الانسانية .

على هذه الأسس المسلمة عند جميع العقلاء ترجم القرآن بلغته ، وبغير لغته ، وفسر في جميع الأجيال والعصور ، وظل الأصل القرآني المعجز في نظمه ومعناه قائما محفوظا لا يعتريه تغيير ولا تبديل ، يؤدي وظيفتيه : الاعجاز ، والتبليغ ، لمن يستطيع أن يتذوقه ويتفهمه ، وتقاسيره قصرت أم طالت قائمة حوله تتغير وتتبدل ، وترتفع وتنخفض ، وتقل وتكثر ، ولا يتجاوز عملها في كل أطوارها وحالاتها عمل الخدم ، يقومون حول سيدهم باذلين جهدهم في خدمته ، ونشر آرائه وأوامره لمن لا يستطيع أن يقترب منه ، وهو عند الجميع المرجع عند الاختلاف ، والحكم عند الخصومة «فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول» . ولقد ظل المسلمون منذ نهضتهم العلمية يفسرون القرآن قايما بواجب التبليغ والبيان بهذين النوعين من التفسير ، حتى وصلت التفاسير طويلة وقصيرة الى حد لا يمكن حصره ؛ والقرآن بين تلك التفاسير قائم بعجازه ومزاياه ، لا تنقضي عجائبه ، ولا تبلى جدته ، ولا تفرغ نهمة العلماء منه ، وما دار بخلافه إنسان في يوم ما أن هذه التفاسير «هدم لما بنى الله ، أو تغيير لرسم ما فصل الله !!» .

الفصل الأول :

قد كان في هذه الأسس المسلمة ما يدفع أحد المختصمين للحق أن يصفح صاحبه ، ولكن

الخصوصية في موضوعنا لم تكن ناشئة عن حب الحق ، فوجب أن نعرض نصوص العلماء المتقدمين في المسألة ، راجين أن يكون لها من السلطان ما يلطف من حدة التأثيرين ، ولنبدأ برأى الحافظ المجتهد الامام الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ :

بين الشاطبي في كتابه « الموافقات في أصول الأحكام » أن للكلام العربي دالتين : إحداهما — أصلية ، وهى الدلالة على المعانى الأولية ، وقال : هذه تشترك فى أدائها جميع الألسنة ، ولا تختص بأمة دون أخرى .

ثانيتها — ثانوية ، وهى التى تفيد معانى وراء النسب الأصلية ، وقال : وتختص هذه بلسان العرب ومزايده . ثم استأنف فصلا آخر قال فيه : « وإذا ثبت هذا فلا يمكن من اعتبار هذا الوجه الأخير أن يترجم كلاما من الكلام العربى بكلام العجم على أى حال ، فضلا عن أن يترجم القراءان ، وينقله الى لسان غير عربى . وقد نفى ابن قتيبة إمكان الترجمة فى القراءان ، ويعنى على هذا الوجه الثانى . فأما على الوجه الأول (الدلالة الأصلية) فهو ممكن ، ومن جهته صح تفسير القراءان ، وبيان معناه للعامة ، ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه ، وكان ذلك جائزا باتفاق أهل الاسلام ، فصار هذا الاتفاق حجة فى صحة الترجمة على المعنى الأصلى » . فالامام الشاطبي يقرر بصراحة وقوة فى كتابه الذى مر عليه وهو فى أيدي المسلمين وعلمائهم ستة قرون كاملة — أن ترجمة القراءان باعتبار معانيه الأصلية جائزة ، وأن الأصل فى جوازها هو إجماع المسلمين على ترجمته وبيان معناه للعامة ، ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه ، ويرى بذلك أن البيان والترجمة والتفسير كلها ألفاظ تتقارض معنى واحدا ، سواء أكان الأصل والبيان من لغة واحدة ، أم من لغات متعددة ، وسواء أكانا متساويين ، أم كان البيان والتفسير أطول من المبين والمفسر .

وجاء فى « فتح البارى » للامام ابن حجر فى « باب نزل القراءان بلسان قريش والعرب » : « ولا يرد على هذا كونه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة عربا وعجمًا وغيرهم ، لأن اللسان الذى نزل عليه به الوحي عربى ، وهو يبلغه الى طوائف العرب ، وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم » .

وجاء فى الكتاب نفسه فى « باب هل يرشد المسلم أهل الكتاب ، ويعلمهم الكتاب » : « أما إرشادهم فظاهر ، وأما تعليمهم الكتاب (القرآن) فكأن البخارى استنبطه من كونه صلى الله عليه وسلم كتب إليهم بعض القراءان بالعربية ، وكأنه عليه السلام سلطهم على تعلمه إذ لا يقرءونه حتى يترجم لهم ، ولا يترجم لهم حتى يعرف المترجم كيفية استخراجها » .

وجاء في تفسير الكشاف للإمام الزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨ هـ وهو يفسر قوله تعالى :
« وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » ما يأتى :

« فإن قلت : لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للعرب وحدهم ، وإنما بعث الى الناس
أجمعين ، بل الى الثقلين ، وهم على ألسنة مختلفة ، فإن لم تكن للعرب حجة على الله لفهمهم
القرآن بلغتهم ، فلغيرهم من الأعاجم الحجة ، قلت : لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة ،
أو واحد منها ، ولا حاجة لنزوله بجميع الألسنة ، لأن الترجمة تنوب عن ذلك ، وتكفى
التطويل ، فبقي أن ينزل بلسان واحد ، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول ، لأنهم
أقرب إليه ، فاذا فهموا عنه وتبينوه ، وتنوّل عنهم وانتشر ، قامت التراجم ببيانه وتفسيه ،
كما نرى الحال ، ونشاهدها فى كل أمة من أمم العجم » اهـ

وقد نقل عنه هذا المعنى بعبارة طلية جلية الامام أبو السعود فى تفسيره لهذه الآية ،
والعلامة الألوسى ، وقال الألوسى : وهو من الحسن بمكان .



وجاء فى حواشى المنار ، وهو بصدد الكلام على نقل الحديث بالمعنى ، ما هو صريح فى أنه
لا تتمتع ترجمة القرآن بالفارسية وغيرها ، وإنما الممتنع الترجمة على أن المترجم هو القرآن
الجيد ، والكتاب الحكيم ، فانه يورث تضليلا ، فإن المروى له يقع فى ذهنه أنه الكلام الالهى
فحينئذ يقرؤه فى الصلاة فيضل . ثم قال : كذا فى الصبح الصادق .

وقال الغزالى فى الموضوع نفسه : « ويدل على جوازه (نقل الحديث بالمعنى) للعالم ، الاجماع
على جواز شرح الشرع للعجم بلسانهم ، فاذا جاز إبدال العربية بعجمية ترادفها فلا أن يجوز
عربية بعبارة ترادفها وتساويها أولى ، وكذلك كان سفراء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى البلاد ، يبلغونهم أوامره بلغتهم . وهذا لأننا نعلم أنه لا تعبد فى اللفظ ، وإنما المقصود
فهم المعنى ، وإيصاله الى الخلق ، وليس ذلك كالتشهد والتكبير ، وما تعبد فيه باللفظ » اهـ
وهذه العبارة بعمومها تتناول القرآن والسنة لأنهما أساس الشرع .

هذه بعض نصوص الأصوليين والمفسرين والمحدثين فى المسألة ، وهى واضحة فى جواز
نقل معانى القرآن بغير لغته . ونحن إذا نظرنا الى أن هذا النقل وسيلة لتبليغ الأحكام ،
والارشاد لهدى القرآن ، لا تتردد لحظة واحدة فى أنه واجب لا جائز ، ويحتمل لا مباح .
وما أنزل الله القرآن لتظل معانيه محجوبة عن غير العرب من الناس ، وإنما أنزله عربيا بلسان
الرسول ، وأمره أن يبينه لكافة من بعث اليهم ، قال الله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين
لناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » . ولا ريب أن بيان « ما نزل إليهم » يتناول ما كان
بلغته وما كان بغير لغته . فالترجمة بهذه الآية وأمثالها ، وهى كثيرة فى القرآن ، واجبة وأصل

من أصول الدين ، ولكن التواء طرق البحث يدفع بالإنسان الى هوة عميقة ومكان سحيق .
وصدق الله العظيم حيث يقول : «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب
منير ، ثأني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ،
ذلك بما قدمت يداك ، وأن الله ليس بظلام للعبيد » .

نصوص الفقهاء في المسألة :

جاء في كتاب « مسلم الثبوت » وشرحه « اعلم أن القرآن عندنا وعند سائر الأئمة اسم
لكل من النظم المعجز ، والمعنى المستفاد ، أما المعنى المستفاد فقط ، فليس بقرآن ، وقد صح
رجوع أبي حنيفة عن القول بجواز الصلاة بالفارسية بغير عذر ، وفيه إشارة الى أنه يجوز القرآن
بالفارسية للعذر ، وهو عدم العلم بالعربية ، وعدم انطلاق اللسان بها ، وهو الصحيح ، وعليه
الصاحبان ، إقامة للمعنى مقام النظم لأجل العذر » .

وجاء في شرح الكنتر للزيلعي « وأما القراءة بالفارسية في الصلاة ، فجائزة في قول
أبي حنيفة ، وقال أبو يوسف ومحمد : لا تجوز إذا كان يحسن العربية » .

وجاء في الهداية وشرحها : « ويجوز باي لسان كان سوى الفارسية ، وهو الصحيح ،
لأن الاعتماد على المعنى عند النقل ، والمعنى لا يختلف باختلاف اللغات ، وقال الكرخي :
والصحيح النقل الى أى لغة » .

وهكذا تجد تلك النصوص في كتب الحنفية من شرح « نور الايضاح » الى كتاب
« المبسوط » وهى كلها صريحة في أن الحنفية مجمعون على جواز القراءة في الصلاة بالفارسية
وغيرها من اللغات الأجنبية عند العجز عن العربية ، وعلى أن ذلك لم يكن باعتبار أن الترجمة
قرآن ، وإنما هو باعتبار أن المعنى قائم مقام اللفظ لأجل العذر .

ومما ينبغى أن يعلم في هذا المقام أن الحنفية صرحوا بان الصلاة بالتفسير غير جائزة
بالاجماع ، ولو في حالة العجز ، ومنه يتبين أن ما أجمعوا على صحة الصلاة به إنما هو النوع الأول
من نوعي الترجمة الممكنة ، وهو المشهور في لسان الباحثين اليوم باسم « الترجمة الحرفية »
او « المساوية » وقد صرح بذلك العلامة شلبي في حاشيته على الزيلعي حيث قال : إن الاختلاف
بين الحنفية وغيرهم إنما هو فيما إذا أبدل لفظا عربيا بلفظ عجمي يماثله .

ومن هذا يعلم أن الحنفية يميزون بالاجماع ترجمة القرآن ترجمة مساوية ، ويميزون الصلاة
بتلك الترجمة ، وإذا كانوا يميزون الصلاة بتلك الترجمة ، وقد اشترط فيها قراءة القرآن ،
وهو اسم للنظم والمعنى عند الجميع ، فلا يتصور أن يمنعوها في التبليغ والارشاد ، ولم يشترط
فيهما أن يكونا بلسان عربى ، ولا أن يكونا بلفظ القرءان ، فهم بلا ريب يميزون الترجمة

المساوية ، فضلا عن غيرها ، كما يجيزون كتابة القرآن بغير العربية ، بشرط أن يكتب القرآن معها .

قال الشرنبلالي في النفحة القدسية بعد أن أورد عبارات العلماء المتقدمين في ترجمة القرآن وكتابته بغير العربية : « وحاصل ما تقدم حرمة كتابة القرآن بالفارسية ، إلا أن يكتب بالعربية ، ويكتب تفسير كل حرف وترجمته » . وهو بذلك يختار رأى صاحب الكافي ، وقد نقله عنه صاحب الفتح ، وأقره عليه ، حيث قال : « وفي الكافي إن اعتاد القراءة بالفارسية ، وأراد أن يكتب بها مصحفا يمنع ، فإن فعل ذلك في آية أو آيتين فلا ، فإن كتب القرآن وتفسير كل حرف وترجمته جاز » اهـ .

* * *

أما غير الحنفية ، فقد خالفهم في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة ، لا لأن الترجمة في ذاتها غير جائزة ، بل لأنهم يرون أن المطلوب في الصلاة قراءة القرآن ، والذي يكون بالفارسية ليس قرأنا بالاجماع ، فلا يكون الآتي به محققا للأمر بقراءة القرآن في الصلاة ، قال إمام الحرمين ، وهو يرد على الحنفية في جواز القراءة في الصلاة بالفارسية ، وقد نقله النووي في مجموعته : « ترجمة القرآن ليست قرأنا بالاجماع المسلمين ، ومحاولة الدليل لها تكلف ، فليس أحد يخالف في أن التكلم بمعنى القرآن بالهندية ليس قرأنا ، وليس ما لفظ به قرأنا ، ومن خالف في هذا كان مراضها جاحدا ، وتفسير شعر امرئ القيس ليس شعره ، فكيف تفسير القرآن يكون قرأنا ، ولا خلاف أن القرآن معجز ، وليست الترجمة معجزة ، والقرآن هو الذي تحدى به النبي صلى الله عليه وسلم العرب ، ووصفه الله بكونه عربيا . . . ثم قال : وإذا علم أن الترجمة ليست قرأنا ، وقد ثبت أنه لا تصح صلاة إلا بقرآن ، حصل أن الصلاة لا تصح إلا بالترجمة » .

هذا إمام الحرمين يمر في فصله هذا على ترجمة القرآن كما مر مسلم مفروغ من البحث فيه ، ويرد على الحنفية فيما هو موضع الخلاف بينه وبينهم بأن المطلوب في الصلاة هو قراءة القرآن ، والترجمة ليست قرأنا ، ولو كانت الترجمة محظورة لكفاه ، وكان أبلغ في الرد عليهم ، أن يقول لهم : إن مذهبكم باطل ، لأنه يقتضى جواز ترجمة القرآن ، وترجمة القرآن « هدم لما بنى الله ، وتغيير لرسم ما فصل الله » !

فإمام الحرمين يجيز الترجمة من غير تكثير ، وهو بذلك يتبع سبيل المؤمنين . وقد صرح صاحب المجموع قبل عبارة إمام الحرمين بأن الانذار بالقرآن يتحقق بتفسيره .

وجاء في كتاب « المغنى » لشيخ الاسلام موفق الدين الحنبلى بعد أن رد على الحنفية في موضع الخلاف السابق : أما الانذار فانه إذا فسر لهم كان الانذار بالمفسر دون التفسير .

وجاء في كتاب الاقناع للحنابلة « وتحسن للحاجة ترجمته إذا احتاج لتفهيمه إياه بالترجمة ، وحصل الانذار بالقرآن دون تلك اللغة كترجمة الشهادة » اهـ

وجاء في كتاب « تصحيح الفروع » للمقدسى فى باب صفة الصلاة « قال شيخنا : يحسن للحاجة ترجمته لمن يحتاج الى تفهيمه إياه بالترجمة ، قال : وذكر غيره هذا المعنى ، وحصل الانذار بالقرآن دون تلك اللغة » اهـ .



وكان من نتيجة الاطلاع على هذه النصوص الواضحة أن أفتى فضيلة المغفور له المفتى الأسبق شيخ الجميع بوجوب ترجمة القرآن ، وجاء فيما كتبه سنة ١٩٢٥ « أن ترجمة القرآن للتعليم والتفهيم والتبليغ ، والامذار والتبليغ ، قد أجازها الحنفية والحنابلة والشافعية فى قول بلا تفصيل ، واستحسنها الحنابلة ، وقد علمت ما يشهد للجواز من الكتاب والسنة . الى أن قال : ولا يجوز مصادرة مصحف كتب فيه القرآن بالعربية وترجمته معه إلا بعد التحقق من خلل الترجمة ، وتغييرها لمعنى القرآن . ثم قال : والذي أراه أن الترجمة على الوجه الذى بين فى كتب الحنفية أصبحت الآن واجبا على الكفاية حفظا للقرآن من تحريف معناه ، وترجمته على غير الصحيح ، وبغير المراد منه ؛ وبحفظ القرآن ، يحفظ أساس الدين المتين ... وقال فى سنة ١٩٣٢ بعد أن بين أن القرآن لا يمكن نقله بخصائصه ومزاياه : وأن الترجمة لا يمكن أن تكون قرآنا ، وحينئذ لا يمكن إفهام القرآن لغير العرب إلا بالترجمة التفسيرية مع المحافظة على اللفظ المعجز العربى إبقاء للمعجز الى أن تنتهى هذه الدار ، وحيث كان التبليغ فرض كفاية كانت الترجمة والتفسير مطلقا فرض كفاية ، لأن الترجمة معناها التفسير لغة ... وقال فى موضع آخر : وما لا شك فيه أن تفسير القرآن بألفاظ عربية هى عبارة عن ترجمة لمعناه ، غاية الأمر أنها باللفظ العربى ، وهى بلا شك ليست بقرآن ، كذلك تبليغ القرآن لغير العرب إنما يكون ببيان معناه بلغتهم ، وهى ليست من القرآن فى شىء أيضا ، وبذلك كان التفسير فرضا ، لأنه من باب التبليغ ، قال فى الاتقان بعد ذكر نحو ما تقدم : قد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفاية ، وأجل الفروض الشرعية ، وقد علمت أن الترجمة بمعنى التفسير لغة . اهـ

ومثل هذا بعينه جاء أيضا فى رسالة المغفور له الشيخ محمد حسين العدوى ، ومن هذا يتبين أن رأى الشيخ نجيت ، والشيخ حسنين ، ليس كما زعم عليهما بعض الكاتبين من غير اطلاع ولا رجوع إلى ما كتبنا ، وإذا صح للباحث فيما يجتهد فيه بنفسه ألا يرجع الى قول غيره ، فانه لا يصح للناسل إذا كان أمينا صادقا أن ينسب الى غيره ما لم يقله ، وأن يقول عليه زورا وبهتاناً ، فهذان الشيخان الجليلان يقرران اتفاق المسلمين كافة على نقل معانى القرآن بغير لغة

العرب ، ويصرح الأول منهما ، وينادى بأعلى صوته بأن ذلك العمل من الفروض الكفائية ، تبليغا للقرآن ، وحفظا له من عبث العابثين .

الفصل الثاني :

لقد كان في هذه النصوص الواضحة في هذه المسألة ، وهذا الاجماع الذى نقله غير واحد من العلماء ، ما يغنيننا عن عرض تلك الشبه الواهية التى يسم بها بعض الناس جو الدعوة الى الله ، ويشدون بها أزر جماعة وقفوا أنفسهم لاطفاء نور الاسلام ، والحيلولة بين الناس وبين تعرف أحكام القرآن وهديه ، ولكن المسألة أخطر من الاكتفاء بهذه النصوص ، والواجب يحتم علينا أن نقضى على جميع مسالك هذه الفتنة العمياء التى يوقظها بعض الناس باسم الدين ، وباسم المحافظة على كيان الاسلام من أصله الى ذراه ، خصوصا أن هذه الشبه التى زورها أصحابها قد تناولوا فيها بعض آيات القرآن بالتحريف عن مواضعها ، إسرافا فى طمس الحق ، وإمعانا فى التلبيس ... قالوا :

أولا — القرآن معجز ، وليس فى قدرة البشر أن يأتى بمثله ، فمن حاول الترجمة فهو عاجز وابن عاجز. ونحن نقول : نعم هو كذلك ، وأكثر من ذلك ، غير أن من يزعم أن الترجمة إتيان بمثل القرآن المعجز ، ويزعم أن من يريد الترجمة يحاول الاتيان بمثل القرآن يحل محله ، ويغنى غناه ، لم يوجد الى الآن فى دائرة العقلاء ، وإمّا نراه فى دائرة المسرفين الملبسين .

ثانيا — لو شاء الله نقله الى اللغات التى يراد ترجمته إليها لأنزله بتلك اللغات ، أو لأنزله على رسل من عنده ، كل رسول بلسان قومه ، ولكنه لم يفعل ، بل جعله كتابا عربيا مع عموم البعثة ، فدل ذلك على أنه سبحانه يريد تعريب العالم كله .

ونحن نقول :

أولا — إن هذا النوع من الحجاج يذكرنا بحجاج المشركين لرسول الله ، وهو يدعوه الى التوحيد ، إذ قالوا : لو شاء الله ما أشركنا ، ولا آباءنا ، ولا حرمانا من شيء .

ونقول :

ثانيا — إنه يفتح باب الاحتجاج لطوائف تنكر عموم بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتزعم أنه رسول العرب خاصة ، وما كان لعاقل أن يفهم ، أو يقول : إن الله يبعث الرسل وينزل الكتب لقصد توحيد العالم فى اللغات والألسن ، وقد جعل الله الاختلاف فى الألسن من آياته فى خلقه ، وإمّا أنزله الله بلغة العرب لأنها كما قال الرخشرى : لغة الرسول المبعوث ، ولغة قومه ، وهم يتولون الترجمة والبيان بعد التلقى والفهم ، وما علمنا لأحد من علماء المسلمين أنه يجب على من يريد الاسلام ، وتعرف أحكام القرآن أن يتعلم اللغة العربية ،

ولو ذهب إليه ذاهب لكان غير معقول ، وما كان لله في عليائه أن يخلق الناس مختلفين في الألسن واللغات ، ويجعل ذلك من آياته التي يلفت نظر خلقه إليها ، ثم يعود فيرسل خاتم الأنبياء بشريعة تقضى على هذا الاختلاف ، وتطلب توحيد العالم في اللغات !!
إني أكل تقدير هذه العقلية لأهل العقل والتقدير .

ثالثا — إن أصحاب اللغات اللاتي يراد ترجمة القرآن الى لغاتهم موجودون من قبل أن ينزل القرآن ، وبقاؤهم الى يومنا هذا ، فإذا جد منهم حتى أوجب ترجمة القرآن ؟
ونحن نقول : جد منهم أن أطلقوا لعقولهم ، بعد الأسر والتقييد في عصورهم المظلمة ، عنان البحث في الأديان ، وأخذوا يترجمون القرآن بلغاتهم حسب قدرتهم ، فوقعوا في أخطاء يجب على المؤمنين تلاشيها ، والقضاء على وسائلها . جد فيهم أن الحياة المادية أرهقتهم ، فاخذ كثير من عقلائهم ينامسون الهداية من منبعها الأول الذي لم تلوثه شهوة الرؤساء الدينيين ، فنحن نريد ، وهو واجب علينا ، أن نحفظ القرآن من تلاعب الأولين ، وأن نقدمه جليا نقيا للآخرين ، وأنتم تريدون غير هذا وذاك ، فأى الفريقين أحق بالآمن إن كنتم تعلمون !
رابعا — إن القرآن موجود من وقت الرسالة ، ويقرؤه ويفهمه العرب والمتعربون من أهل الكتاب ، كما نقرؤه نحن ونفهمه ، فهل آمنوا به ؟ لا ، فإذا ما الداعي لترجمته لمن لم يقرأه منهم ، ولا يفهمه بلغته ؟ أليسوا كاخوانهم الذين يقرءونه ويفهمونه بلغته في تمسكهم بدينهم ، وعدم الايمان به ؟ .

قياس جلي واضح !! يتقدم الى القاضى الشرعى ، زيد من الناس ، ويبسط دعواه ، ويتبين انه مبطل فى الدعوى ، فيرفضها القاضى ، فيأتى أخ له صاحب حق ، ويتقدم بدعواه الى فضيلة القاضى ، فيعلم القاضى أنه أخو المدعى بالأمس ، فيقول : هذا أخو ذاك ، وقد ثبت بالأمس أن ذاك مزور ، فليكن هذا مثله ، فيرفض دعواه ، ويخرج صاحب الحق عاضا بنان الأسف على القضاء وأهله ، أليس هذا هو مقتضى قياسهم ؟ !

خامسا — إن أسلافنا كانوا يفسرون القرآن قبل ظهور الوابور والسيارة والراديو والطيارة بغير ما نفسره نحن به على ضوء العلم الحديث ، والاكتشاف المخترع ، فهل ختم العلم أبوابه ، وأصبح لا يأتى الناس بمجديد ، حتى يفسروه (رسميا) بما لا يضمن ألا يجد ما يقتضى تغيير التفسير ؟ !

ونحن نقول : يا هؤلاء إن محتويات القرآن لا تتجاوز اصول الايمان ومعاني الهداية العامة ، وقد جاءت فيه محدودة ، ولا مدخل للعلم الحديث فيها ؛ وأصول الأحكام ، ومنها النص الذى لا يحتمل ، والظاهر الذى كان محلا لاجتهاد الفقهاء ولا مدخل للعلم الحديث فيه أيضا ؛ والقصص ، وهو يتحدث عن الماضين بما فيه العظة والاعتبار ، ولا مدخل للعلم الحديث فيه

أيضا ؛ وتنبيه العقول الى ما أودع في الكون من مظاهر الاتقان والابداع ، وقد جاء القرآن في هذا القسم بأساليب مختلفة ، وعبارات شتى ، وكلها لا تتجاوز ما يقع عليه الحس ، وتدركه العقول العامة بمجرد التأمل والنظر ، ولم يكن من وظائف القرآن تحديد طبائع الأشياء ولا الكشف عن الحقائق العلمية الدقيقة التي يشتغل بالبحث عنها فلاسفة البشر وأخصاؤهم ، وكل ما ورد في القرآن مما قد يمس شيئا من تلك الدقائق ، فهو من قبيل العبارات العامة الصالحة للانطباق على كل ما يكشفه العلم الحديث . وقد كتب الشاطبي فصلا فيمن يحاولون توجيه القرآن الى غير طريق الهداية ، ويربطونه بالحقائق العلمية الطبيعية .

على أنه إذا كنا نحن نفسر القرآن على ضوء العلم الحديث بغير ما كان يفسره أسلافنا قبل ظهور الواور والراديو ، فما الذي يمنع خلفنا أن يفسره في عصره بغير ما نحن نفسر به الآن ؟ وهل تقضى « رسمية الترجمة » ألا نعدل نحن أو من ياتى بعدنا عند تبين الخطأ عن التفسير الخاطئ الى الصواب ؟ ليس معنى « رسمية الترجمة » يا هذا أنها كالورقة الرسمية لا يدخلها تغيير ولا تبديل ، وإنما معناها أن الحكومة هي التي تتولى الترجمة ، وتشرف عليها ، وليس من مقتضياتها أنها تسجيل في الارض يتبعه التسجيل في السماء ، ولكن الشهوة تدفع بصاحبها الى ما لا يحمد له ، ولا يجب أن ينسب اليه !

سادسا — إن ترجمة القرآن تسليم بآخر حصن من حصون العزة الاسلامية ، وإقرار بالتخلي عن مكانة هذا الدين السماوى ، وعن عز أبنائه الى أصحاب اللغات الاجنبية !!

ونستحلفهم : أم جادون في هذا ؟ أم يعلون له معنى ؟ أم يعرفون له مغزى يصح أن يوجه اليه نظر من يريدون الترجمة ؟ انا لا أشك في أنهم بهذا القول ملبسون ، وأنهم يسترون الحق بثوب مهمل ، وهم يعلمون ، ومع هذا أليس من العزة أن ينشر المسلمون تعاليم دينهم السامية ، ومعاني كتابهم التي تأخذ بالألباب ؟ وهل يصح في عقل أن يكون هذا من التخلي عن مكانة هذا الدين السماوى ؟ اللهم إن هي إلا فتنتك . والحق أن هذه الشبهة ونحوها من نوع الشبه التي اعتاد خصوم الدين أن يصدوا بامثالها عن سبيل الله باسم الدين ، وباسم المحافظة على عزة المسلمين .

سابعا — إن ترجمة القرآن ليست أول محاولة معسولة يتمنى بها البشر عليه ، فقد سبق أن قيل لنبيه عليه السلام : « أتت بقرءان غير هذا أو بدله » وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة الى آخر الأمثال في هذا مما كان الظن معه إيمان المتمنين لو أجابوا . ونحن نقول : إن كنتم جادين فيما تقولون ، وهانت عليكم عقليتكم أن تتزلوها الى هذا الحد ، وتطاعوا نزغة الشيطان فيكم ، فاسمعوا هذه الايات ومعناها حتى يتبين لكم أن أمنية الذين لم يؤمنوا في عهد الرسول غير أمنية الذين يريدون الترجمة ! :

إن القوم كانوا يطعنون على نبوة محمد ، ويتلمسون وسائل إخامه ، وكان من ذلك أن قالوا له : ائت بقراء غير هذا ، لا يشتمل على ذم الهتنا والطعن في طرائقنا ، أو بدل آيات الطعن بآيات ثناء ، وآيات الانذار بآيات تبشير ، فأجابهم الله بقوله : « قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى الى إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » . وأين هذا من بيان ما نزل الله ، ونشره على العالمين ، والمحافظة عليه من التغيير والتبديل ؟ وكيف تقاس فكرة الترجمة بفكرة تغيير القراءان وتبديله ؟

إنى فى الحق لمشفق على هذه العقلية التى ذابت ، وانحلت أعصابها فى سبيل الشهوة والهوى ، وإن ظلم هؤلاء الذين كانوا يلتمسون من الرسول تغيير القراءان ، أو تبديله بما يريدون — لأنفسهم وللحق ، لأخف وطأة من ظلم هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب ، ويحرفون كله عن مواضعها — وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم — ويقولون : إن القراءان فيه ذكر الرد على السببين اللذين يذكرهما مريدو الترجمة ، وكان الأجدر بهؤلاء أن يجعلوا أفلامهم إثر عقولهم حتى لا يتورطوا فيما وقعوا فيه ، وهم من أهل العلم والمكانة ، وكان جديرا بهم أن يتنبهوا الى أن (أخلاق العلماء) تأبى عليهم تلك المواقف !

لم يبق بعد ما نسجوا من شبه مهلهلة سوى كلمات ظاهرة التلبيس ، وتحمل كثيرا من الاسراف فى الاتهام ، والادعاء العريض بالغيرة على الاسلام ، والتخوف على كتابه ، مما كان جديرا به أن يصدر من غيرهم .



والى هنا نعتقد أن المسألة قد انكشف عنها غطاء التمويه ، ووضح الصبح فيها لذى عينين ، و « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد » .

محمود شلتوت

المدرس بكلية الشريعة

الاصابة بالظن

قيل لعمر بن العاص : ما العقل ؟ قال : الاصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان . وقال الشاعر :

وقلما يفجأ المكروه صاحبه حتى يرى لوجوه الشر أسبابا

وإنما ركب الله العقل فى الانسان دون سائر الحيوان ليستدل بالظاهر على الباطن ، ويفهم الكثير بالقليل .

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْوَى

في الميراث

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما خلاصته :

توفي رجل عن جد وأخت شقيقة، وأخت لأب، وإخوة لأُم، فما نصيب كل منهم على مذهب الإمام الشافعي إذا كانت التركة ستمائة جنيه؟ محمد مطر

الجواب :

إذا كان الجد هو أبا الأب، كانت التركة بينه وبين الأخت الشقيقة، لكل منهما النصف، ولا شيء للأخت لأب في هذه المسألة، ولا للأخوة لأُم، وهذا عند الإمام الشافعي، والإمام أبي يوسف، والإمام محمد من أصحاب أبي حنيفة. أما الإمام أبو حنيفة، فيرى أن التركة كلها للجد، ولا شيء للأختين، ولا للأخوة من الأُم، والله أعلم.

* *

توفي رجل عن ولد ذكر وزوجة هي أم الولد، ثم توفي الولد عن أمه المذكورة، وزوجته وابنته، وأولاد أولاد عمه ذكورا وإناثا، ثم توفيت ابنة الولد عن أمها وجدتها، وأولاد أولاد عم الأب.

فما مقدار ما يرث كل من المذكورين مما ترك الولد وابنته؟ وهل لأولاد العم ميراث في تركه الولد، وتركه ابنته؟

وأصل التركة التي تركها الولد : فدان، وثمانية عشر قيراطا وعشرة أسهم.

مسعد فضل الله

الجواب :

تركة الولد المذكور لأمه وزوجته وبنته ، والذكور من أولاد أولاد عمه الشقيق أو لأب ، دون الإناث ، لأنهن من ذوات الأرحام .

فللأم السدس ، وللزوجة الثمن ، وللبنت النصف ، والباقي للذكور من أولاد أولاد العم .

وتركة البنت لأمها والذكور من أولاد أولاد عم الأب .

فللأم الثلث ، وللذكور من أولاد أولاد عم الأب الباقي ، يقسم بينهم بالسوية ، ولا شيء للجدة لأنها محجوبة بالأم . والله أعلم ؟

* *

امرأة توفيت عن ثلاثة إخوة ذكور من أبيها ، وثلاث أخوات إناث ، هن شقيقات للإخوة الذكور ، وعن أخت من أبيها ، أمها غير أم هؤلاء الستة ، وليس للمتوفاة وارث غير المذكورين ، فما استحقاق كل ؟
احمد عثمان بدير

الجواب :

المفهوم من السؤال أن أخوات المتوفاة الأربع كلهن من أبيها ، كإخوتها الذكور ، وإذا تكون التركة للجميع بطريق العصوبة ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، والله أعلم .

الزكاة والخراج

أخرج الزكاة عن الزروع في أرض مصر على مذهب الإمام أبي حنيفة رضى الله عنه ، أم لا يخرج عنها شيء اكتفاء بالأموال الأميرية التي تدفع للحكومة ؟

وهل هذه الأموال هي المقصودة في القول بأنه « لازم مع خراج » ؟ وإذا كانت كذلك ، فهل تخرج عن الأطنان المستأجرة مع أنه ربما استغرق الإيجار كل الزرع ؟
عبد الفتاح دومه

الجواب :

إن ما يدفع من الأموال الأميرية عن أرض مصر خراج ، ومن المقرر عند الحنفية أنه لا يجتمع على الأرض عشر وخراج .

وعلى هذا لا تجب فيها زكاة الزروع ، لا على المالك ولا على المستأجر عندهم .
أما المالكية والشافعية والحنابلة ، فيرون أن زكاة الزروع تجب مع الخراج في الأرض الخراجية ، وأن الخراج يجب على مالك الأرض ، والزكاة تجب على زارعها المسلم ، مستأجرا كان أم مالكا ، ولا تمنع الأجرة وجوب الزكاة ، ولو استغرقت كل الناتج من الأرض ، والله أعلم .

الدية

رجل توجه الى بلدة ليصلي بها الجمعة ، ومعه ولده البالغ من العمر ثلاث سنوات ، وأعطاه لشخص يعرفه ، وقال له : احفظ ولدى هذا عندك حتى أصلي الجمعة ، وبعد أن صلى طلب منه ولده ، فقال له : إن الولد موجود وأت معي لتأخذه ، فتبين بعد ذلك أن الرجل أودعه في بيت خلاف بيته ، فسأل صاحبة البيت عن الولد ، فقالت : إنه كان يلعب مع الأولاد في البيت ، ولم نعلم عنه شيئا ، وبعد البحث وجد الولد غريقا في ترعة .

فهل تجب الدية على الرجل الذي أخذ الولد من أبيه ليحفظه في بيته ، وحفظه في بيت غيره ، أو لا تجب ؟
محمد مالك السنوسي

الجواب :

إن الرجل الذي سلم إليه الولد ليحفظه عنده ، فوضعه في منزل غيره ، لم يتسبب في غرقه ، ووضعه إياه في ذلك المنزل الذي خرج منه غرق ، لا يجعله متسببا شرعا في ذلك الغرق . وعلى هذا لا تجب دية في هذه الحادثة ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

كلمة مع مقدسى النواميس الطبيعية

وبيان عظمة العلم وضعف الانسان

تكلم معى بعض الناس فى النواميس الطبيعية ، وقال : إنه يستحيل خرقها وأن يوجد شىء على خلافها . يريد بذلك أن ما ينسب الى الأنبياء من المعجزات وللقديسين من الكرامات لا يمكنه التسليم به لأنه غير صحيح ولا ممكن . فرأيت أن أجعل مقال اليوم مع أولئك الماديين الذين وقفوا عند الظواهر ولم يصلوا الى رتبة التحقيق فى الأشياء حتى فى علم الطبيعة نفسه الذى يدعون أنهم علماءه ويبدعهم لواؤه ، مع أن أساطين علم الطبيعة بأوربا لا يقدسون النواميس الطبيعية هذا التقديس . وستسمع شيئاً من كلامهم بعد ، فكأننا عاثشون فى القرن السابع عشر لالقرن العشرين . وهكذا الحركات كلها عندنا فى الشرق ، تأخذ شكلاً غريباً تستوحيه من الطيش والجهل . فهى معكوسة عكسا سار بنا الى الاضمحلال الذى إذا لم نستأصله فسيجعلنا فى أخريات الأئمة أو على حافة العدم ، فنقول وبالله التوفيق :

إن فريق الماديين الذين جمدوا على القشور وظنوا أنهم عرفوا كل شىء ووصلوا الى كل شىء ، قد أنكروا المعجزات الحسية للأنبياء ، والكرامات المتواترة للأولياء ، لأنها تناقض النواميس الطبيعية المقدسة التى لا يجوز خرقها ، وهى أزلية أبدية على ما يزعمون .

دعاوى خيالية لم يعضدها الحس ولا قام عليها البرهان ، ولكنها نزعات نفوس حمقاء ، وأوهام رؤوس طائشة ، لم تستمد من الوجود ، ولا استندت الى البرهان ، وإنما استمدت من عقول أربابها المنحرفة ، واستندت الى ما فى نفوسهم الطفيلية من خيالات وجهالات !

وإننا نقول لهم : أولاً هل أحطتم بكل النواميس ؟ أليس من الجائز بل الواقع أن يكون هناك ناموس أو نواميس لم تحملوها بها ؟ ألم يكن من قبلكم من علماء القرن السابع عشر والثامن عشر يتبجحون بتبجحكم ويدعون دعاويكم ؟ بل نقول : ألم يكن الأقدمون يزعمون أن العناصر أربعة ، وأن الأجسام مركبة من الجواهر الفردة ، وكانوا يحلون بذلك كل شيء في الوجود ، وما كان يدور بخلدكم أن العناصر تصل الى السبعين أو الثمانين (ومن يدري ما يجيء به المستقبل فلعلها تصل الى المئات أو الألوف) . وما كانوا يظنون أن نظرية الجواهر الفرد ستصبح في حيز الهزء والسخرية ، وأن ستحل محلها نظرية الأكترونات الجديدة ؟ وعلى كل حال من ذا يستطيع أن يدعى أنه أحاط علماً بكل نواميس الكون وما فيه ، ولو كان كذلك لوقف الاكتشاف والبحث ، ولم يتقدم العلم الذي يبدي لنا كل يوم جديداً ، ويبرهن على أنه لا آخر له ؟ ومن ذا الذي يدرهم أن قدرة الفاعل المختار تقف عند ذلك الحد ولا تتمدها مع أنهم يمتقدون أن في الطبيعة قوى لا تحد ولا تعد ؟

فعلى أي شيء يعتمدون في إنكار معجزات الأنبياء ؟ وهب أنهم عرفوا شيئاً مما شاهدوه في تلك الأرض التي هي من أصغر العوالم : ألم يبق مما لم يعرفوه الشيء الكثير الذي لا نهاية له ؟ فإن العوالم لا يدرون لها نهاية (باعتبارهم) . وقد ذكروا في سير النور وسرعته ، وأنه مع تلك السرعة المدهشة لا يصل إلينا من بعض الكواكب إلا بعد مئات السنين أو ألوف السنين ، ما يوجب الدهش الكلي والقبوع التام في إحدى زوايا تلك الأرض الصغيرة التي هي أقل من جحور الحشرات والديدان بالنسبة لهذا العالم الذي لا يعلمه غير خالقه . ولماذا لا يقولون ما يقول (اسحق نيوتن) الانكليزي مكتشف الجاذبية وأحد أساطين العالم في الفلك : « لسنا إلا كأطفال في جزيرة على شاطئ بحر العلم نلتقط ما يقذفه البحر من القواقع على حين أن الجواهر النفيسة في قعر ذلك البحر » . ولكن الأمر على ما يقول الفيلسوف شو بنهور : « كلما

انحط الانسان فى القوة العقلية . قلت مساتير الوجود فى نظره ، فكل شىء عنده يحمل معه تفسيراً لكيفية وجوده وسبب حدوثه » .

وقد قال المسيو لوسيان بوانكاريه : « إنه لا توجد لدينا نظريات كبرى الآن يمكن قبولها قبولاً تاماً ويجمع عليها المجربون إجماعاً عاماً ، بل يسود اليوم على عالم العلوم الطبيعية نوع من الفوضى » . وقال الفيلسوف الشهير جوستاف لبون : « الوجود مفعم بمجهولات لا نراها ، والحجاب الذى يحجبه عنا منسوج غالباً من الآراء الضالة أو الناقصة التى توجهها علينا تقاليد العلم الرسمى » .

وقال الفيلسوف ادوار لوروا : « العلم لم يتألف إلا من تواضع العلماء على أصوله ، وهو لكونه على هذه الحالة يظهر لنا بمظهر الثبوت . فالحوادث الطبيعية بل النواميس ليست إلا من مخترعات العلماء أنفسهم . فالعلم لا يستطيع وحالته هذه أن يكشف لنا عن وجه الحقيقة المطلقة ، وكل ما ينتظر منه أن يخدمنا كقاعدة للعمل »

وقال الفيلسوف الكبير وليم كروكس فى خطبة له : « إن عدم اعتمادى على رأس مالى العلمى قد بلغ حداً بعيداً جداً ، فقد تقبض هذا النسيج العنكبوتى للعلم كما عبر عنه بعض المؤلفين حتى لم يبق منه إلا كرية حقيرة تكاد لا تدرك »

وقال الفيلسوف الطائر الصيت هنرى بوانكاريه العضو بالجمع العلمى الفرنسى فى كتابه (قيمة العلم) : « إذا نظرنا فى ناموس خاص أياً كان فإننا نستطيع أن نتأكد من أنه لا يمكن أن يكون إلا تقريبياً » . وقال أيضاً : « كثيراً ما يقال من ذا الذى يدرى ما إذا كانت النواميس لا تتطور ، وأنها لم تكن فى العهد الفحيمى على ما هى عليه اليوم ؟ ولهذا كله قال بعضهم : « إن الفرق بيننا وبين آبائنا أنهم كانوا يعتقدون أنهم علماء أما نحن فنعتقد أننا جهلاء » الى آخر ما اعترف به المنصفون من أكابر علماء الطبيعة

المخلصين الذين ليسوا فيه زعانف ولا مقلدين
بحرف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

الحياة الأدبية عند العرب^(١)

تختلف الحياة الأدبية عن الحياة الاجتماعية اختلافا كبيرا ، لأن الحياة الاجتماعية وليدة البيئة الحاضرة ، أو هي صورة البيئة التي تحيا فيها الأمة وتعيش بأسبابها ، والنظم التي تسير في حاضرها على مقتضاها ، وليس لماضى الأمة أثر كبير في حياتها الاجتماعية ، ولا سيما إذا تنقلت في مراحل تاريخية بعيدة الشبه ببعضها كالذى كان عليه الحجازيون من العرب ، فإن قرب الشبه بين الحياتين ، واتصلت أسباب الحاضر بالماضى ، كان هذا الماضى منبعا يمد الحاضر مع ما يتجدد له من وسائل حيوية كما حصل للمناذرة والغساسنة ، فإن اتصالهما بالفرس والرومان ، وأخذها بأسباب الحضارة مكّنهما من الاحتفاظ بتراث آبائهم الأولين من سمات الملك والحضارة ، وقعدت طبيعة الحجاز بأهله عن مجازاة إخوانهم في الحياة الاجتماعية ، وصرفتهم الى مقتضيات حياتهم الجديدة ، فكانوا بدوا معاندين أميين ، ألقوا الظعن والارتحال ، جفاة لا ينفقون الى الحق من قريب ، وهذه الفوضى الاجتماعية هي التي نعاها عليهم القرآن الكريم ، وعابهم بها في بعض آياته .

أما الحياة الأدبية فهي صورة الماضى الذي مرت به الأمة في جميع مراحلها التاريخية ، وإن كانت هذه الصورة تتجلى في مرآة الحاضر ، فإن الأدب أثر العاطفة الكاملة ، وثمره العقل الناضج ، واكتمال العاطفة ونضج العقل يحتاجان الى زمن طويل ، ومؤثرات متكررة ، وتلك المؤثرات قد تكون مستمدة من الحياة الاجتماعية والعقلية في صورها الكاملة ، وفي هذا ما يشرح وجود حياة أدبية زاخرة فياضة الى جانب الفوضى الاجتماعية وحياة البداوة عند العرب قبيل مجيء الاسلام . وإلا

فكيف نفهم صدور هذا الأدب عن العرب لو لم تربط حاضرهم بماضيهم ، ونعلم أن العقل العربي ، وال عاطفة العربية قد استوفيا حضاتهما وبلغا رشداهما في ذلك الماضي البعيد ، ذلك الأدب من الشعر والنثر الذى قامت عليه الثقافة الاسلامية والنهضة الفكرية فى القرن الأول الى جانب القرآن الحكيم ، والذى صاحب العلوم الحكيمة والمعارف الأجنبية وتبوأ بينها مكانا عليا ، والذى لا يزال على كثرة البحث والنقد والتحليل دعامة من أقوى دعائم المعارف الاسلامية صامدا أمام الأعاصير العاصفة ، والذى خلد لغة العرب ومجدهم ، والذى لا يزال فى أسلوبه ومتانة عباراته ونصاعة ديباجته مثلاً أعلى للبلاغة البشرية .

فى نواحي الأرض أم كثيرة هى أربى عددا من العرب ، وأطول بقاء منهم ، عمروا أحقابا وعاشوا دهرا دھيرا ، ولم ينقل عنهم حرف واحد يدخل فى ساحة الأدب الرفيع ، وهم لا يزالون على حالهم تلك من الجهالة والبلادة الفكرية والوحشية الاجتماعية ، فكيف يمكن فهم هذا الوضع فهما عليا ؟ ألا أنهم ليسوا أناسى مثل العرب وغيرهم من الأمم التى تركت فى سفر التاريخ آثارا أدبية خالدة ؟ ! كلا ، إنما كان ذلك كذلك لأن أولئك الناس أشبه حاضرهم ماضيهم فى حياة جاهلة جرت على وتيرة واحدة من البعد حتى عن أوليات المعارف الفكرية منذ خلقهم الله ، فهم لم يكن لديهم أنارة من علم تجلو عقولهم ، وتصقل عواطفهم ، وتعدم لإنتاج أدبى ، وحياة راقية ، فإذا وجدنا لأمة من الأمم تراثا من الأدب الحى الذى يستطيع أن يغذى الفكر البشرى فى طور ارتقائه كان باطلا من رأى وانفوا من القول أن يقال عن تلك الأمة إنها عاشت مدى تاريخها كله عيشة أولية جاهلة لا تهيئها لحياة أدبية ونهضة فكرية .

بين أيدينا نروة عظيمة من الأدب يعزوها ثقافات الرواة الى العرب قبل الاسلام ، والذى ذهب عنا ولم يصل الى أيدينا ، وعبثت به تيارات الحياة أضعاف ما وصلنا .

قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين : « وإن شيئا الذى فى أيدينا جزء منه لم يقدر

الذى لا يعلمه إلا من أحاط بقطر السحاب وعدد التراب، وهو الله الذى يحيط بما كان والعالم بما سيكون». وروى محمد بن سلام فى طبقات الشعراء «قال عمر بن الخطاب: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصبح منه، فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلو بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهيت عن الشعر وروايته، فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح، واطمأن العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر فلم يثلوا الى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب، فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عنهم أكثره». وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: «ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافر الجاءكم علم وشعر وكثير». ويحدثنا ابن قتيبة عن الأصمعى قال: جاء فتيان الى أبي ضمضم بعد العشاء، فقال: ما جاء بكم يا خبيثاء؟ قالوا جئناك نتحدث، قال: كذبتى، بل قلتم كبر الشيخ وتبلغته السن عسى أن نأخذ عليه سقطة، فأنشدتم لمائة شاعر كلهم اسمهم عمرو، فقال الأصمعى: فعدت أنا وخلف الأحمر فلم تقدر على أكثر من ثلاثين. قال ابن قتيبة: هذا ما حفظه أبو ضمضم، ولم يكن بأروى الناس.

وقال عبد الصمد بن الفضل الرقاشى: ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره. ويروى لنا الإمام عبد القاهر الجرجاني عن الجاحظ: أن قيس بن خازمة أنه الحاملان فى شأن حمالة داحس والغبراء ف ضرب بصفيحة سيفه مؤخرة راحلتيهما وقال: مالى فيها أبها العسمةتان؟ قالوا: بل ما عندك، قال عندى قرى كل نازل، ورضا كل ساخط، وخطبة من لدن تطلع الشمس الى أن تغرب، أمر فيها بالتواصل، وأنهى عن التقاطع. قالوا نخطب يوما الى الليل، فما أعاد كلمة ولا معنى. وهذه الخطبة ونحوها من كلام مصافح خطباء العرب ضاعت فيما ضاع من أدبهم.

يحدثنا ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء: كان ثلاثة إخوة من بنى سعد لم يأتوا

الأمصبار ذهب رجزهم ، يقال لهم نذير ، ومُنذَر ، ومُنذَر ، ويقال إن قصيدة رؤبة التي أولها : وقائم الأعماق ، لنذير ، ويقول ابن سلام : ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد ، والذي صح لهما قصائد بقدر عشر ، وإن لم يكن لهما غيرهن فليس موضعهما حيث وضعنا من الشهرة والتقدمة .

هذه حقائق وأسانيد تبعث في نفس الباحث النصف الطامئ نيتة الى الايمان بأنه كان للعرب حياة قبل الاسلام حياة أدبية تعتمد في منزعها على العقل والعاطفة جميعا ، وتبدو في مظهر عليه سيماء الطبيعة التي تكنف ذلك العقل وتلك العاطفة في حاضرها ، أما هذا الغموض الذي يسود تفاصيل تلك الحياة الأدبية فما هو إلا أثر من آثار الغموض الشامل للتاريخ القديم كله عند جميع الأمم التي عاصرت العرب في عصورها الجاهلية .

وإذا حاول الباحث أن يتعرف هذه الطبيعة التي جلت الحياة الأدبية في مرآتها عن طريق ما بين أيدينا من نصوص أدبية ، رأى مظاهر البداوة بأخيلتها وآثارها ومعانيها وأغراضها ماثلة في صفحة ذلك الأدب ، فهو أدب بدوي في ديباجته ومعانيه وروحه ، لا يمثل الحياة العربية كاملة ، حضارتها وبدواتها كما حدثنا عنها التاريخ .

ومن حق البحث أن نتساءل عن شأن الحضارة العربية التي حدثنا عنها ابن خلدون وكشف عن وجهها النقاب البحث الأثرى الحديث ، تلك الحضارة هل كان لها أدب يمثلها ؟ وإذا كان فأين هو ذلك الأدب ؟ والتاريخ لا يتظن في أن آثارا من بقايا تلك الحضارة ظلت قائمة في مواطنها من العراق والشام واليمن ، حتى جاء الاسلام .

أما أنه كان للحضارة العربية أدب يصورها فهذا ما نرجحه ترجيحا قويا ، لأن الأدب صورة الحياة ومرآتها ، وقد كانت الحياة هناك زاخرة فياضة ، وبعيد عن طبيعة الوجود أن تذهب تلك الحياة دون تصوير في قالب أدبي من الشعر أو النثر تجيش به النفوس الحساسة إجابة لداعي الطبيعة نفسها ، وهي أنطق ما تكون في هذا الجانب

المتحرك الحساس من الحياة ، وهى أخرى أن يكون لها أدب أروع وأخصب وأمتع من حياة البداوة التى يعتزى إليها الأدب الجاهلى المعروف .

وأما أين هو ذلك الأدب ؟ فهذا ما اختلفت فيه أنظار الباحثين . فقد عرض بعض المعاصرين لهذا النحو من البحث ورأى أن الذى أصنع تلك الآداب وذهب بها إنما هو اختلاف لغات العرب فى الشمال والجنوب والشرق والغرب اختلافا جوهريا جعل الصلة بينها كالعلة بين اللغة العربية المبدئية التى نزل بها القرآن الكريم وبين أية لغة أخرى من اللغات السامية ، وقد كان لأهل الحضارة من العرب فى اليمن ، والحيرة وغسان أدب بلغة خاصة بهم تخالف لغة هذا الأدب المروى المحفوظ فى أساس وضعها وفى نحوها ، وتصريفها وحركات إعرابها ، ومن ثمة عرض الشك فى صحة هذا الأدب المأثور معزوا الى العرب قبل الاسلام ، لأنه « بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية فى العصر الذى تزعم الرواة أنه قيل فيه » .

ونظرية تعدد لغات العرب لا تقوى بأى حال من الأحوال على حل مشكلة فقدان الأدب العربى فى يثبات الحضارة ، فلا بد من تعليل آخر يتمشى مع المنطق وطبيعة الحياة حتى يستقر البحث وتظهر الحقيقة . وسنفرد مقالا لبحث تعدد اللغات وتوحيدها ، ثم نقفى بذكر الأسباب التى نراها من عوامل فقدان ذلك الأدب .

صادق إبراهيم عربزور

فضيلة الحلم

قال معاوية بن أبى سفيان : أفضل ما أعطى الرجل العقل والحلم ، فاذا ذكر ذكر ، وإذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا غضب كظم ، وإذا قدر عفا ، وإذا أساء استغنى ، وإذا وعد أنجز .

وقيل لبعض الصالحين : إن فلانا يقع فىك . فقال : لا أغيظن من أمره ، يغفر الله لى وله . فقال محدثه : ومن الذى أمره ؟ فقال : أمره الشيطان !

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

نظام الوقف في الاسلام عود الى بدء

مضينا بالفارئ في شطر غير قليل من الكلام على تعريف الوقف ولزومه عند بعض الأئمة وعدم لزومه عند آخرين ، وعن عروض الأحكام الشرعية الخمس له ، ثم عن تفاريع كل حكم من هذه الأحكام ومستلزماته في عدد سابق . والآن نتحدث في تبسط عن شروط الوقف التي لا ينعقد بدونها . فالشروط التي تتوقف عليها صحة الوقف أربعة أنواع ، لأنه في وجوده يفتقر الى أربعة أمور : واقف ، وموقوف ، وموقوف عليه ، وصيغة يتأدى بها المعنى المراد . فالشروط التي يجب تحققها في الواقف كثيرة ، منها أن يكون أهلا للتبرع بأن يكون حرا ، عاقلا ، بالغاً ، غير محجور عليه لسفه أو غفلة .

فباشرط تحقق الحرية يعلم أن وقف الرقيق غير صحيح إلا إذا أذنه مولاه في هذا التصرف ، وكان غير مستغرق بالدين ، فيصح منه في هذه الحالة وقف ما زاد عن الدين . فاذا كان مستغرقا لا يصح وقفه ، على ما ذهب اليه صاحب البدائع .

وباشترط العقل يعلم أن المجنون لا يقع الوقف منه صحيحا ، لأن الوقف تصرف من التصرفات ، وهي إنما تعتمد التمييز ولا تمييز عند المجنون ، فلو كان المجنون متقطعا ثم وقف في حالة إفاقة وقع تصرف الوقف منه صحيحا لتوفر شرط تحقق العقل حين الوقف . ويقاس المعتوه على المجنون جنونا مطبقا في عدم وقوع الوقف صحيحا . والفرق بين العته والمجنون أن المجنون خلل في العقل تجرى معه الأقوال والأفعال على خلاف مقتضى العقل ، والعته نقص في العقل يختلط معه الكلام فبعضه يشبه كلام العقلاء وبعضه يشبه كلام المجانين ، وكذلك باقي أموره وأفعاله . وقد اعترض بعض العلماء على النظرية القائلة بوقوع تصرف الوقف من صاحب الجنون المتقطع صحيحا اعتراضا قويا لأنه

غير مأمون العاقبة فيما يصدر عنه من أفعال ، فينبغي أن يعتبر الوقف منه تصرفا غير صحيح . من أجل ذلك حكى صاحب المحيط أن تصرف ذى الجنون المتقطع في الوقف لا يقع صحيحا ، وعلل ذلك بأن حالة الإفاقة لذى الجنون المتقطع تشبه في أكثر أحوالها المعتوه ، والمعتوه محكوم بعدم صحة تصرفه ، وذو الجنون المتقطع قد يرى في فترة الإفاقة عاقلا بالقياس الى بعض مظاهره الدالة عليه ، وقد تكون هذه المظاهر خداعة فيكون هو في واقع أمره مجنونا ، فالأحوط فقها وديانة ألا يؤخذ بتصرف من تصرفاته .

وباشتراط البلوغ يعلم أن وقف الصبي لا يقع صحيحا إطلاقا ، سواء كان مميزا أم غير مميز ، وسواء أذن له وليه بهذا التصرف أم لا ، لأنه في جميع صور ما يصدر منه ليس أهلا للتبرع كما أسلفنا في صدر البحث ، والوقف من التبرعات الصادرة عمن كل رشده ، وولى الصبي لا يملك التبرع بشيء من ماله فلا يملك الإذن به . وروى صاحب الفتاوى الهندية نقلا عن الامام الزركشى في المحيط — حالة صبي محجور عليه وقف عيناله ، قال الفقيه أبو بكر : وقفه باطل إلا بإذن من القاضي ، وقال الفقيه أبو القاسم هو كذلك وإن أذن له القاضي ، لأنه تبرع وهو لا يملك الإذن به ، وليس أهلا لهذا التبرع . وجهور فقهاء مذهب أبي حنيفة على أن وقف الصبي غير جائز مطلقا .

وباشتراط عدم الحجر للسفهاء ينبغي أن يعلم أن السفه ، وهو المبذر لماله والمبدد له على خلاف مقتضى العقل أو ناموس الشرع ، إذا حجر عليه كان وقفه بعد الحجر غير صحيح على ما رواه الامام الخصاص ، ثم وجهه بأن الوقف من التبرعات والسفيه ليس من أهلها . فإن الحجر عليه للمحافظة على ماله فلا يملك التبرع بشيء منه في هذه الحالة .

وذهب الكمال بن الهمام في الفتح القدير الى أنه ينبغي إذا وقف المحجور عليه لسفه عيناه على نفسه ثم على جهة بر لا تنقطع أن يقع هذا التصرف صحيحا أخذا من مذهب الامام أبي يوسف وهو القائل بصحة الوقف الصادر من السفه على النفس ، وهذا الرأي صحيح عند المحققين من علماء الفروع . كما أنه يقع صحيحا عند الكل

لو صدر به حكم من القاضى لأن حكم القاضى يرفع كل خلاف . وعلل أصحاب هذا الرأى اتجاههم بأن الوقف على النفس لا يعتبر تبرعا . بل فوق ذلك فيه مبالغة فى حفظ الموقوف والتوافر عليه ، واستحقاق الغير له إنما يحل بعد موته ، وهذا لا ضرر فيه البته . وزاد الفقهاء الوقف شرطا آخر وهو عدم الحجر على الواقف لدين أحاط به أو لزم العين الموقوفة ، وفرعوا على هذا الشرط أن وقف المحجور عليه لدين لا يقع صحيحا وقد تعلق به حق الغرماء . ومعنى عدم صحة الوقف من هذا النوع فيما شغل بالدين من ماله جواز زوال هذا التصرف ، فللغرماء حق طلب نقض هذا الوقف والحكم بعدم نفاذه ، وليس معناه أنه يقع باطلا ، لأن الحجر على المدين إنما هو لحق الغرماء ، ولأجل المحافظة على مالهم ، فإذا أجازوا الوقف نفذ ولزم ، ضرورة أنهم بهذه الإجازة قد أسقطوا حقهم فى الاعتراض على ما وقع من تصرفهم . فلو وقع الوقف فى هذه الحالة باطلا لما كان لهم أن يجزوه أو يعترضوا عليه ، إذ الإجازة لا تلحق الباطل وإنما تلحق الموقوف على ما هو معروف .

عباس طه
المحامى

المروءة

قدم وفد على معاوية فقال لهم : ما تعدون المروءة ؟ قالوا : العفاف ، وإصلاح المعيشة . وقيل للأحنف : ما المروءة ؟ قال : العفة ، والحرفة . وقال : لا مروءة لكذوب ، ولا سودد لبخيل ، ولا ورع لسيئ الخلق . وقال العتبي عن أبيه : لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس : أن يكون عالما ، صادقا ، عاقلا ، ذا بيان ، مستغنيا عن الناس . وقال الشاعر :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه فى صالح الأعمال نفسك فاجعل

فلسفة الأخلاق

وصلتها بالنفس الناطقة

لا مشاحة في أن النفس الناطقة متى روضت على خير الوسائل بلغت أشرف المقاصد وأنبى الغايات .

وقد قال علماء الأخلاق : إن مما لا يقبل جدلاً ولا حواراً أن من اتفق له في كن الصبا وخدر الغرارة أن يربى على أدب الشريعة البيضاء ، ويؤخذ بشرائطها وأحكامها حتى يتعود وتصبح له ملكة وسليقة ، ثم ينظر بعد ذلك في كتب الأخلاق الإسلامية لتتأكد تلك الأخلاق والآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين والأقضية ، ثم ينظر في علم الحساب وعلم الهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان بما زاول من عمليات ومارس من أرقام ، ثم يتدرج رويداً رويداً حتى يبلغ أسمى المراتب ، كان هو السعيد الكامل ، وإذاً فعليه أن يكثر من حمد الله على تلك الموهبة العظيمة والمنة الجليلة . فإذا لم يتفق ذلك للإنسان في فاتحة عمره فابتلى بأن يربيه القوامون عليه على رواية الشعر الفاحش والحديث اللغو وقبول أكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل اللذات كيفما كان السبيل إليها ، كما يوجد مثلاً في شعر امرئ القيس والناطقة الذيباني وشعر أبي نواس وعمر بن أبي ربيعة والباها زهير ومن إليهم ، من التشبيب والغزل ، وذم ما يجب حمده ، وحمد ما يجب ذمه ، وبسط الألسنة في الاترياء من الناس بغية الوصول إلى الهبات والعطايا ، ثم صار بعد ذلك إلى محبذين له يشجعونه أينما اتحنى ، فليعتبر ذلك له شقاء لا نعيماً ، ومقتاً من الله وخسراً ناميبيناً .

ومما لا مربة فيه أن النفوس الثلاث التي أسلفنا عنها شيئاً من الكلام غير قليل وهي النفس السبعية والنفس البهيمية والنفس المللكية على ما تواضع عليه الأقدمون من علماء الأخلاق ، إذا اتصلت وتماسك بعضها ببعض أضحى شيئاً واحداً ، ولكن ليس معنى اتحادها أن تتصل نهايتها أو تتلاقى سطوحها على نحو ما يكون في الأجسام ،

بل تصير في بعض الحالات شيئاً واحداً وفي بعضها الآخر أشياء مختلفة بحسب ما تهيج قوة بعضها أو تسكن . ومعنى ذلك أن تلك النفوس الثلاث من حيث تركيز بعضها في بنى الانسان دون البعض الآخر ، وغلبة بعضها على بعض ، وتدافع بعضها على بعض قوة وضعفاً ، مختلفة الأثر في نتائجها وما يترتب عليها . ويذهب بعض الفلاسفة الى أن كل نفس من هذه الأنفس الثلاث مستقل عن صاحبه غاية الاستقلال . وهذا لا ينفي اجتماعها في بنى الانسان ، ولكن ليس جملة واحدة بل على التوزع . من أجل ذلك قال قوم : إن النفس واحدة ولها قوى كثيرة . وقال آخرون : بل هي واحدة بالذات كثيرة بالعرض .

ونريد أن يعلم الباحث في هذا الفن الجليل الأثر أن بعض هذه النفوس نفس كريمة أديبة بالفطرة والطبع ، وبعضها مهينة فاقدة للأدب بالطبع ، وليس فيها استعداد لقبول التأديب ، وبعضها فاقدة للأدب غير أنها مستعدة لقبول التأديب متهيئة للأخذ بأسبابه . فالكريمة الأديبة بالطبع هي النفس الناطقة ، الفاقدة والأدب غير المتهيئة لقبوله هي النفس البهيمية . والنفس التي فقدت الأدب ولكنها تتناوله وتطمئن الى تلقى تعاليمه هي النفس الغضبية .

فإذا عرفت النفس العاقلة شرف غايتها وجليل فوزها وأحسنت بمرتبتها من الله عز وجل ، أحسنت خلافته في تربية هذه القوى والقيام على سياستها ، ونهضت بهذه القوة الى مكانها الأسمى ، فبلغته على أكمل وجه ، وفي هذا المقام لا يمكن أن تخضع البتة للسبعية ولا للبهيمية ، وبالتالي للغضبية ولا للشهوية ، لأن النفس الشهوية والغضبية في هذه الحالة تكون بمنأى عن النفس الناطقة بعد أن تهيأ لها أسباب الفوز ، وخلصت من المادة وعلائقها الى واد من النور والعرفان ، يتنكر فيه عالم الشهوة وعالم المادة ، ويتمحض في ساحته الشرف الرفيع والجاه المنيع .

وسنأتى في العدد القادم على بحث تحليلي لأرستطاليس ، ورأى المعلم الأول الفارابى ، تعقيباً على بعض النظريات الحديثة الشائعة ، ووضعاً للحق في نصابه ، إن شاء الله .

الاسلام والطب الحديث

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ». هذه الآية الكريمة هي التي دعتني الى تفسير بعض الآيات لآثني وجدتها يفسر بعضها بعضها بلا اختلاف ، وإذا ظهر مثل هذا أو كان ما لا يتفق مع الآراء العلمية فيما مضى فإنه كلما تقدمت العلوم ظهرت حكمة القرآن ، وظهر أن كل شيء لا يتفق مع القرآن باطل ، والأمثلة كثيرة فيما قلنا وفيما سيأتي :

« يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين » الآية ٦ سورة المائدة .

حركة الوضوء يقصد منها : حركة استعداد للصلاة ، لأن الصلاة معناها أن يتصور الشخص أنه أمام الخالق ، وأن يكون خاشعا ، وأنه يقوم بإظهار عبوديته ، فلنكي يتنهأ ذهنه لذلك ويتخلص من شواغل الحياة الكثيرة ، فرض عليه الوضوء قبل القيام بالعبادة . وفي اعتقادي أنه يحسن بمن يريد أن يحصر عقله كله في عبادة ربه ، دون أن تشغله الحياة التي نراها في هذا العصر ، يحسن أن يستريح زمنا قبل الصلاة ليستجمع قواه العقلية ، ويهيئ نفسه للخشوع ، ويترك شواغل الدنيا .

وإذا كان الإنسان مشغولا بتفكير عميق فإنه لا يرى ما يقع أمامه ، ولا يسمع بما يدق حوله ، وهو والحالة هذه يحتاج الى تنبيه ليرى ويسمع ، وهذه نظرية فسيولوجية لسكل الحواس التي لا تؤدي وظيفتها إلا إذا كان المخ غير مشغول بشيء آخر ، وحتى يكون على استعداد لاستعمال الحاسة الخاصة . وكذلك الشأن في حركة التفكير ، فالذي يفكر في شيء مهم لا يمكنه أن يفكر في شيء آخر إلا اذا تنبه اليه بانفعالات عصبية ، وهنا يترك التفكير الأول فجأة وعلى عجل ، وأما إذا أريد تنبيهه ليفكر في شيء

آخر تفكيراً هادئاً فإنه يحتاج الى وقت ما ، فإن الذى يفكر فى التجارة والزراعة ثم يقال له : قم للعبادة ، يجد صعوبة فى تأديتها .

وهنا كانت حكمة الوضوء ، لأنه يساعده على ترك التفكير الأول ، ويعطيه الوقت الكافى لیبداً فى تفكير عميق من نوع آخر . ومما لا شك فيه أن الشخص إذا كان كثير الاشتغال بأمور الدنيا يصعب عليه حتى بعد الوضوء أن يترك تفكيره الأول تركاً تاماً ، ولذلك كانت الحكمة فى الذهاب الى المسجد قبل موعد الصلاة ، كما كانت الحكمة فى الحث على عدم الإفراط فى حب الدنيا . « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا فى الأرض ولا فساداً » وفى الحث كذلك على عدم الاهتمام بالفشل والنجاح « لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » . وكل ذلك حتى لا يشغل عقل الانسان بأمور الدنيا اشتغالا يصعب معه أو يستحيل أن يكون مطمئن البال ، وأن يكون خاشعاً وقت الوقوف بين يدى الله حتى بعد حركة التنبيه التى يحدثها الوضوء .

وقد شبه الدكتور محمد عبد الحميد الوضوء بفترة الاستراحة بين محاضرتين ، فهى تعطى الطالب الوقت لترك التفكير فى المحاضرة الأولى ، وأخذ الأهبة للمحاضرة الثانية . أما الفوائد الأخرى للوضوء فكثيرة من الوجهة الطبية .

فنظافة الفم مرات متعددة فى اليوم ، من أهم أسباب الوقاية من مرض الأسنان واللثة . كذلك غسل طاقة الأنف بماء بارد من أهم الوقاية من الزكام المتكرر ، وكأنها مثل الحقن بالفاكسين ، وقد كتب أخيراً فى هذا الشأن أطباء اختصاصيون فى الأنف . وفوائد غسل الوجه والأذنين والأيدى ظاهرة ، من كثرة ما يصيب الوجه والأجزاء المعرضة عادة للأمراض الجلدية ، وللالتهابات ، فإن غسلها عدة مرات كل يوم أحسن وقاية لها من ذلك . وقد اتضح أخيراً أن كثيراً من الميكروبات (الجراثيم) بل الأغلبية منها تصيب الانسان بطريق اختراقها الجلد ، كما اتضح أن طفيليات

الديدان تدخل الجسم بطريق اختراق الجلد أيضا ، ولا شك في أن الغسل المتكرر من الوقايات البسيطة الفعالة ، لأن الطبقة الخارجية للجلد تمنع كل الميكروبات من الوصول الى داخل الجسم ، إلا إذا حصل فيها « تسليخ » abrasion ولو بسيطا ، فهي حينئذ تفقد وظيفتها وتتمكن الجراثيم من الدخول الى الجسم . وأهم سبب لوجود التسليخات البسيطة هو (الهرش) وهو نتيجة عدم النظافة .

وأما الجراثيم التي تدخل من الفم فلا تدخل إلا من طريق تلوث الأيدي ، فإذا كانت الأيدي مغسولة نظيفة على الدوام ، كانت أحسن وقاية .

« يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

سبق الكلام على ضرر الخمر من الوجهة الطبية .

« وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى ، وتبرىء

الأكمه والأبرص بإذنى ، وإذ تخرج الموتى بإذنى » ١١٠

سبق أن تكلمنا في تفسير هذه المعجزات ، ووضحنا الفرق بينها وبين المخترعات ، ثم بينها وبين ما يمكن أن يأتيه الانسان مهما تقدم علمه . ومما يلاحظ أن المعجزات مرتبة بحسب تأثيرها في الانسان ، فإحياء الطير المصنوع من الطين أقل صدمة من إبراء الأكمه ، وأشدّها صدمة هو إحياء الموتى ، ولكن السكل كما قلنا من صنع الله مباشرة ، وقوله تعالى : « تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى » : هذه الكلمة الأخيرة من الآية تفسر ما قلناه سابقا من أن صنع الطين بهيئة الطير إنما هو تلطيف لوقع المعجزة ، لأن الآية الكريمة تنص على أن الله أمر سيدنا عيسى بصنع الطير من الطين لغرض خاص ، وأما إذا صنعه شخص آخر أو صنعه سيدنا عيسى من نفسه في ظروف أخرى ، فإنه لا يفيد في إدخال الروح الى الطين . وكذلك قوله تعالى : « بإذنى » بعد قوله : « فتنفخ فيها فتكون طيرا » لأن المهم هو إرادة الله لا حركة النفخ . وهكذا يفسر القرآن بمضنه

بعضا ، ويفسر ما قلناه سابقا في المعجزات والمخترعات ، وهو أن المعجزات ليست لها طريقة يتعاملها الانسان ، وأنه مهما تشابهت ظروف التجربة فإنها لا تكرر بل هي من صنع الله مباشرة . وأما المخترعات فهي كشف سنة طبيعية ، ويمكن الانسان أن يكررها مرارا على يديه ما دامت ظروف التجربة متشابهة ، حتى لو لم يفهم الانسان حقيقة السنن الطبيعية فإنه لا يعرف ما هي الكهرباء ولا الحرارة الخ ، لكنه يعرف ويستفيد من كثير من السنن التي تتعلق بها ما دامت لا تتبدل — ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وقد أظهرنا في الكلام على المعجزات أنه فيما يتعلق بالروح والحياة ، يمكن الانسان أن يستفيد من السنن الطبيعية التي تختص بها ، فالطبيب يمكنه أن يعطى دواء يقوى به القلب وبذلك يستمر على الحياة ، ولكنه لا يمكنه أن يوجد الحياة في الجماد أو في جسم ميت موتا تاما . وكلما تقدمت العلوم ارتقى الانسان في معرفة السنن الطبيعية ، ولكنه لن يبدأ خلقا جديدا لأن هذا من اختصاص الله ، وقد سبق البرهان على ذلك منطقيًا : « قل أرايتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به » .

الركنور عبد العزيز اسماعيل

فضيلة الصداقة

روى أن داود قال لا بنه سليمان عليهما السلام : يا بني لا تستقل عدوا واحدا ولا تستكثر ألف صديق ، ولا تستبدل باخ قديم أبا مستحدثا ما استقام لك .

وقال شبيب بن شبة : إخوان الصفا خير من مكاسب الدنيا ، هم زينة في الرءاء ، وعدة في البلاء ، ومعونة على الأعداء

وأشدد ابن الاعرابي :

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ولكن إخوان الصفاء النخائر

الفتح الرباني

ظهر القسم الثالث من الجزء الرابع من كتاب (الفتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد) ومعه كتاب (بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني) كلاهما تاليف فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ احمد عبد الرحمن البنا، وهو عمل جليل نرجو ان ينال ما يستحقه من الانتشار .
يطلب الاشتراك من فضيلة المؤلف بمكتبه بعطفة الرسام رقم ٩ بالغورية بمصر

باب القمر

إن تاريخ البعثة المحمدية وما سبقها وما يليها من الحوادث تعتبر من أهم ما يجب أن يعنى بتدارسه المسامون ، لأن منه انبثقت أول نواة لوجودهم الديني والمدني . ولكن النفوس تمل عادة الاطلاع ، وتضعف عن المثابرة ، لذلك بقيت هذه الحوادث مجهولة لدى الأكثرين . فرأى حضرة اللوذعي الأديب ، والبعثات الاجتماعية الضليع الأستاذ ابراهيم رمزي وكيل قسم الادارة الأوربية بوزارة المعارف أن يتدارك هذا الانصراف بوضع هذه الحوادث في صورة روايات خيالية . وهو جدير بأن يسلك هذه الطريقة ، فقد مارس صناعة وضع الروايات سنين كثيرة ، وله فيها مكان معلوم ، فأتى على هذه السلسلة التاريخية على أسلوب لم يسبق اليه ، فقد نقل ذات الأقوال والمحدثات التي عزاها رواة السير الى أولئك الذين حدثت تلك الحوادث منهم ، وهذا وحده فضلا عن أنه يجعل الرواية مثلاً في البلاغة العربية ، يعتبر عملاً شاملاً مضمناً . وقد أخبرني المؤلف الفاضل أنه أنفق في سبيل جمع هذه الأقوال وضبط تلك الوقائع نحو عشرين سنة .

وقد أصدر أول حلقة من سلسلة هذه الروايات في كتاب أسماء باب القمر يقع في ٥٦٤ صفحة ، وإنه لكتاب يستحق أن يجد محله من كل مكتبة .

اللغة والدين والتقاليد

في حياة الاستقلال

هذه ثمرة فياحة الشذى من ثمرات قريحة الأديب المشهور الدكتور زكي مبارك ، وقد أهداها الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي ، وإنها لجديرة

أن تهدي الى هذا الامام المجدد ، فقد أتى المؤلف في هذه الرسالة بضروب شتى من البحوث تختص باللغة والدين والتقاليد في علاقتها بالاستقلال ، فكان له ما أراد من إبداع وسداد رأى وحكم صحيح .

التبصرة والتذكرة

هى شرح لألفية الامام المحدث العراقى المتوفى سنة (٨٠٦) هـ ويلها (فتح الباقي على ألفية العراقى) لقاضى القضاة زين الدين زكرياء الأزهرى المتوفى سنة (٩٢٥) فنحت طلاب الحديث وعلماءه على اقتناء هذه الذخيرة العالمية .

دعوة الرسل

إن تاريخ الرسل هو تاريخ الدين نفسه ، وقد عنى به المؤلفون قديما وحديثا ، وفي بعض تلك الكتب خلط بين الاسلاميات والاسرائيليات ، وفي بعضها تجريد خرج بها عن حدود الموضوع .

ولكن أماننا كتابا سلك طريقة لم يقم عليها ما سبقه من الكتب ، وهى استمداد تواريخ الرسل والحوادث التى وقعت لهم ، ووجوه الاصلاح التى أتوا بها للأئمة من القرآن الكريم نفسه ، مع شرحها شرحا وافيا من مقررات التاريخ العام نفسه . وزاد على ذلك ان جعل هذا الشرح متصلا بالحياة الحاضرة وصل به الماضى من التاريخ بالحاضر . وقد عنى بتحليل كلمات كل رسول ووازن بينها وبين كلمات خصومه . وكذلك عنى بتحليل نفسيات الرسل وبين ما فى كياناتهم من رحمة وحزم ، وما ملأ قلوبهم من حب للمصلحة العامة ، وما شجنت به قواهم المعنوية من الصبر على الأذى والعطف على الجاهلين ، والثبات على الحق ، والثقة بالتأييد الخ الخ من امهات الفضائل .

جاء هذا الكتاب نسيج وحده ، يشهد لمؤلفه حضرة صاحب الفضيلة العالم الجليل الشيخ محمد احمد العدوى المدرس بكلية الشريعة بالاطلاع الواسع والعلم الغزير ، والهمهم الصحيح لنفسيات الناس فى أطوارهم المختلفة . وهذا السفر الجليل الذى يقع فى ٥٣٢ صفحة يعتبر عهدا جديدا فى وضع التواريخ لسير الأنبياء والمرسلين . فنرجو أن يثيب الله مؤلفه الجليل بما يثيب به أوليائه الصالحين .

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

المؤلف: إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَوْجِي

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION

(continued)

CHAPTER 22.

On the Wudûs being performed once for each several part.

We are informed by Muhammad b. Yûsuf, who had it from Sufiân, through Zaid b. Aslam through °Atâs b. Yasâr, through Ibn °Abbâs who said:

“The Prophet (Allâh bless him and give him peace) *hath been known* to perform the wudûs once for each several part.”

CHAPTER 23.

On the wudûs being performed twice for each several part.

We are informed by Husain b. °Isâ, who had it from Yûnus b. Muhammad, who received it from Fulaih b. Sulaimân, through °Abdullâh b. Abu Bakr b. °Amr b. Hazm, through °Abbâd b. Tamîm, through °Abdullâh b. Zaid that:

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) *hath been known* to perform the wudûs twice for each several part.

كتاب الوضوء (تابع ما قبله)

باب الوضوء مرة مرة:

حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سفیان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال:

«تَوَضَّأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً مَرَّةً».

باب الوضوء مرتين مرتين:

حدثنا حسين بن عيسى قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا فليح بن سليمان عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد:

«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ».

CHAPTER 24.

On the wudû^s being performed thrice for each several part.

1. We are informed by ‘Abdul-‘Aziz b. ‘Abdullâh Al-Uwaisi, who had it from Ibrâhîm b. Sa’d, through Ibn Shihâb, who was told it by ‘Atâ^s b. Yazid, who was informed by Humrân, the freedman of ‘Uthmân, that the last-named had seen ‘Uthmân b. ‘Affân act thus:

He called for a vessel of water out of which he poured some on his hands three times and washed them. He then immersed his right hand in the vessel and took a scoop of water with which he rinsed his mouth and cleansed his nostrils. After that he washed his face thrice, and his hands as far as the elbows thrice. Next he stroked his head with his wet hands, after which he washed his feet three times as far as the ankles.

He then stated: “The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said: ‘Whoever performeth his wudû^s after the manner of this wudû^s of mine, and then performeth a two-rak‘ah⁽¹⁾ prayer without having his soul distracted therein, shall have his past sins forgiven him.’”

2. It is also related through Ibrâhîm⁽²⁾ who said that Sâlih b. Kaisân stated that Ibn Shihâb said that ‘Urwah, however, narrated this version through Humrân:

بَابُ الْوُضُوءِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا:

١ - حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسى قال حدثني إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب أن عطاء بن يزيد أخبره أن أن حمران مولى عثمان أخبره أنه رأى عثمان بن عفان:

«دَعَا يَا نَا، فَأَقْرَعَ عَلَى كَفَيْتَيْهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ فَغَسَلَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَذْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ، فَتَضَمَّضَ وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ.

ثُمَّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.»

٢ - وعن إبراهيم قال قال صالح بن كيسان قال ابن شهاب، وَلَكِنْ عُرْوَةُ يُحَدِّثُ عَنْ حمران:

(1) A rak‘ah is composed of various forms of bowing, kneeling and prostration performed in the prayer ritual. The five daily prayers comprise different numbers of rak‘ahs. In addition to these obligatory salawât, two-rak‘ah prayers can also be made as works of supererogation.

(2) i.e. the Ibrâhîm b. Sa’d mentioned at the beginning of this chapter.

‘Uthmân having performed the wudû^s said: “Verily I shall relate unto you a hadîth, which I should not have done but for a verse in the Qur’ân. I heard the Prophet (Allâh bless him and give him peace) say: ‘No man performeth his wudû^s thoroughly, and then the appointed prayer, but shall be pardoned the sins he may commit between this prayer and the next.’”

‘Urwah added that the verse in question was: “Verily they that conceal the evident proofs and the Guidance that we have sent down.” (1)

CHAPTER 25.

On the cleansing of the nostrils in wudû^s, which ‘Uthmân, ‘Abdullâh b. Zaid, and Ibn ‘Abbâs (Allâh be well-pleased with them) mentioned as being commanded by the Prophet (Allâh bless him and give him peace).

We are informed by ‘Abdân who had it from ‘Abdullâh, who received it from Yûnus, through Az-Zuhri, who was told it by Abu Idris, who heard it from Abu Hurairah, who had it from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said:

“Let him who performeth his wudû^s cleanse (2) his nostrils, and let him who abstergeth himself with stones use an odd number. (3)”

CHAPTER 26.

On abstersion with an uneven number of stones.

«فَلَمَّا تَوَضَّأَ عُثْمَانُ قَالَ : أَلَا أَحَدْتُمْ حَدِيثًا لَوْلَا آيَةُ مَا حَدَّثْتُكُمْ بِهِ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ يُحْسِنُ وَضُوءَهُ وَيُصَلِّي الصَّلَاةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ حَتَّى يُصَلِّيَهَا » .

قَالَ عُرْوَةُ الْإِيَّةُ : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ »

بَابُ الاسْتِنْشَارِ فِي الْوَضُوءِ ،
ذَكَرَهُ عُثْمَانُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ
وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

حَدَّثَنَا عُبْدَانُ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ
أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو
إِدْرِيسَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

« مَنْ تَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْشِرْ
وَمَنْ اسْتَجْمَرَ فَلْيُتِرْ » .

بَابُ الاسْتِجْمَارِ وَتَرًا :

(1) Sûrah 2, Verse 159.

(2) استنثر = literally, spurt out water which has been snuffed up into the nostrils in order to remove phlegm from the nasal cavity.

(3) i.e. three or five stones.

We are informed by ‘Abdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Abu - z - Zinâd, through Al - A‘raj, through Abu Hurairah that the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said:

“Whenever any one of you performeth his wudûs, let him snuff water up his nostrils and then spurt it out; and let him who abstergeth himself with stones use an odd number. When any one of you awaketh from his sleep, let him wash his hand before immersing it into the ablution-water, for no one of you knoweth where his hand hath been during the night.”

CHAPTER 27.

On washing the feet and not merely wiping them.

We are informed by Mûsa, who had it from Abu ‘Awânah, through Abu Bishr through Yûsuf b. Mâhik, through ‘Abdullâh b. ‘Amr, who said:

“The Prophet (Allâh bless him and give him peace) fell behind us while we were on a journey together. He then caught us up when we were taken unawares by the afternoon-prayer. We therefore proceeded to perform our wudûs, barely wiping our feet, when the Prophet called out at the top of his voice: ‘Woe unto your heels, for they will bring you into danger of hell-fire.’” This he said two or three times.

CHAPTER 28.

On rinsing the mouth in the wudûs — related by Ibn ‘Abbâs and

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ مَاءً ثُمَّ لِيَسْنُثْهُ، وَمَنْ اسْتَجَمَرَ فَلْيُوتِرْ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ، فَإِنْ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ، .

بَابُ غَسْلِ الرَّجْلَيْنِ وَلَا يَمْسَحُ عَلَى الْقَدَمَيْنِ:

حدثنا موسى قال حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال:

«تَخَلَّفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنَّا فِي سَفَرَةٍ سَافَرْنَاَهَا فَأَذَرَ كُنُتَنَا وَقَدْ أَرَهَقْتُنَا الْعَصْرُ، فَجِئَ عَائِنَا تَوَضُّأً وَنَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَتَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.»

بَابُ الْمَضْمَضَةِ فِي الْوُضُوءِ،
قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ

‘Abdullāh b. Zaid (Allāh be well-pleased with them) from the Prophet (Allāh bless him and give him peace).

We are informed by Abu-l-Yamān, who had it from Shu‘aib, through Az-Zuhri, who was told it by ‘Atā’ b. Yazīd, through Humrān, ‘Uthmān b. ‘Affān’s freedman, who stated that :

He saw ‘Uthmān call for ablution-water. He poured some water out of the vessel on his hands, which he washed three times; he then immersed his right hand in the ablution-water, rinsed his mouth, snuffed the water up his nostrils and ejected it. Afterwards he washed his face thrice and his hands as far as the elbows thrice. Next he stroked his head *with his wet hands*, after which he washed each foot thrice.

‘Uthmān then said : “I have seen the Prophet (Allāh bless him and give him peace) perform his wudū’ in much the same way as I have just done. He also said : ‘Whosoever performeth his wudū’ after the manner of this wudū’ of mine, and then performeth a two-rak‘ah prayer without having his soul distracted therein, Allāh shall pardon him the sins he hath committed heretofore.’”

CHAPTER 29

On the washing of the heels ;

and on the fact that Ibn Sīrīn used to wash the place covered by his ring whenever he performed his wudū’.

رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم :

حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عطاء بن يزيد عن حمران مولى عثمان بن عفان أنه :

رَأَى عُثْمَانَ دَعَا بِوَضُوءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِنَائِهِ فَعَسَلَهُمَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَذْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْوَضُوءِ ثُمَّ تَمَضَّمْضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْشَرَتْ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلَاثًا.

ثم قال : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ تَحْوِ وَضُوءِي هَذَا، وَقَالَ : « مَنْ تَوَضَّأَ تَحْوِ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

بَابُ غَسْلِ الْأَعْقَابِ ،

وَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ يَغْسِلُ مَوْضِعَ الْخَاتَمِ إِذَا تَوَضَّأَ :

We are informed by Adam b. Abu Iyās, who had it from Shu'bah, who received it from Muhammad b. Zîād, who said:

I heard Abu Hurairah say while he was passing us as the Faithful were performing their wudû's from the ablution-vessel: "Perform ye a thorough wudû', for Abu-l-Qâsim (1) (Allâh bless him and give him peace) said: 'Woe unto your heels, for they will bring you into danger of hell-fire.'"

CHAPTER 30

On the washing of the feet with sandals on, and not merely wiping over the sandals *with the wet hands*.

We are informed by 'Abdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik through Sa'id Al-Maqburi through 'Ubaid b. Juraij that he said to 'Abdullâh b. 'Umar:

"O Abu 'Abdu-r-Rahmân, I have seen thee practising four things, which I have not seen practised by any of thy companions."

"What are they Ibn Juraij?" replied he.

"I have seen thee touch only the two Yamanite (2) corners of the Ka'bah; further I perceive that thou wearest tanned (3) sandals; again that thou usest a yellow dye; (4) and

حدثنا آدم بن أبي إياس قال حدثنا شعبة قال حدثنا محمد بن زياد قال:

سمعتُ أبا هريرة وكانَ يَمُرُّ بِنَا وَالنَّاسُ يَتَوَضَّؤْنَ مِنْ الْمِطْهَرَةِ قَالَ:

«أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ فَإِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ».

بَابُ غَسْلِ الرَّجْلَيْنِ فِي النَّعْلَيْنِ وَلَا يَمْسَحُ عَلَى النَّعْلَيْنِ:

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن سعيد المقبري عن عبيد بن جريج أنه قال لعبد الله بن عمر:

«يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ أَرْبَعًا لَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ يَصْنَعُهَا

قَالَ: وَمَا هِيَ يَا بَنُ جُرَيْجٍ؟

قَالَ: رَأَيْتُكَ لَا تَمَسُّ مِنَ الْأَرْكَانِ إِلَّا الْيَمَانِيَّيْنِ، وَرَأَيْتُكَ تَلْبَسُ النَّعَالَ السَّبْتِيَّةَ، وَرَأَيْتُكَ تَصْبِغُ بِالصُّفْرِ، وَرَأَيْتُكَ إِذَا

(1) The Prophet's agnomen.

(2) i.e. the two southerly corners of the Ka'bah facing Al-Yaman and Al-'Irâq, the Black Stone being in the latter; the Yamani Corner predominating gives the name to both.

(3) سبت = a plant used in tanning. Tanned shoes were considered a luxury and Ibn 'Umar was criticised for wearing them, while most of the Faithful wore shoes of raw hide.

(4) Either for the hair or clothes.

lastly when thou comest to Makkah, all the Faithful call the ihlâl (1) as soon as they see the new moon, while thou dost not call the ihlâl until the day of tarwiyah. (2)

To this ‘Abdullâh replied: “Regarding the corner-stones, I have seen the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) touch only the two Yamanite ones; regarding the tanned sandals, I have seen the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) wear hairless ones and perform his wudûs with them on, (3) that is why I like to wear such also; regarding the yellow dye, I have seen the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) use it himself, and therefore I like to do the same; as touching the ihlâl, I have never heard the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) utter this formula until his mount stood ready to start on the procession. (4)”

CHAPTER 31.

On giving priority to the right side of the body in the performance of the wudûs and the ghusl.

1. We are informed by Musaddad, who had it from Ismâ‘il, who received it from Khâlid, through Hafsa bint Sirin, through Umm ‘Atiyyah, who stated that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said

كُنْتُ بِمَكَّةَ أَهْلَ النَّاسِ إِذَا رَأَوْا
الْهِلَالَ وَلَمْ يُهَلِّ أَنْتَ حَتَّى كَانَ
يَوْمُ التَّرْوِيَةِ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَمَّا الْأَرْكَانُ فَأَنَّى
لَمْ أَرِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَمْسُ إِلَّا الْيَمَانَيْنِ، وَأَمَّا النِّعَالُ
السَّيِّئَتَيْنِ فَأَنَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ النِّعَالَ
الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَعْرٌ وَيَتَوَضَّأُ
فِيهَا، فَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أَلْبَسَهَا، وَأَمَّا
الضَّفْرَةُ فَأَنَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْبُغُ بِهَا، فَأَنَا
أَحَبُّ أَنْ أَصْبُغَ بِهَا، وَأَمَّا الْإِهْلَالُ
فَأَنَّى لَمْ أَرِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُهَلِّ حَتَّى تَنْبَعِثَ بِهِ رَاحِلَتُهُ .

بَابُ التَّيْمُنِ فِي الْوُضُوءِ
وَالْغَسَلِ :

١ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ
قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ

(1) i.e. raise their voices with the talbiyah formula upon assuming the state of ihlâm for the pilgrimage.

(2) يَوْمُ التَّرْوِيَةِ = the eighth of Dhul-Hijjah — the month of pilgrimage.

(3) The feet are washed last, after the wudûs has been performed for all the other members, the sandals being then removed for the washing of the feet and put on again. (See Tuhfat-ul-Bâri)

(4) — towards Minâ.

to them⁽¹⁾ when they were washing his dead daughter's⁽²⁾ body :

“First wash the parts on the right side of her body, beginning with the members to which the wudûs applies.⁽³⁾”

2. We are informed by Hafs b. ‘Umar, who had it from Shu‘bah, who received it from Ash‘ath b. Sulaim, who heard it from his father, through Masrûq, through ‘A‘ishah, who said :

“The Prophet (Allâh bless him and give him peace) always preferred to give priority to the right side, whether in putting on his shoes, dressing his hair, performing his ablutions, or any other act.”

CHAPTER 32.

On seeking ablution-water when the hour of prayer is at hand;

and on the words of ‘A‘ishah : “Once when the hour of the morning-prayer was due, water was sought for but could not be found, consequently the dry ablution⁽⁴⁾ verse was sent down.”

We are informed by ‘Abdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Ishâq b. ‘Abdullâh b. Abu Talhah, through Anas b. Mâlik that he said :

“I once saw the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) as the hour of the afternoon-prayer was at hand, when the Faithful sought for wudûs-water without

عن أم عطية قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم لهنَّ في غسلِ ابنتيه : «ابدأنِ بِمِيمَيَّامَنِهَا وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا.»

٢ - حدثنا حفص بن عمر قال حدثنا شعبة قال أخبرني أشعث بن سليم قال سمعت أبي عن مسروق عن عائشة قالت :

«كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي تَغَسُّلِهِ وَتَرْجُلِهِ وَطُحُورِهِ وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ.»

بَابُ التَّيَمُّنِ فِي الْوُضُوءِ إِذَا حَاقَتْ الصَّلَاةُ ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ : «حَضَرَتْ الصُّبْحُ فَالْتَّمَسَ الْمَاءُ فَلَمْ يُوجَدْ ، فَانْزَلَ التَّيَمُّمُ» :

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أنه قال :

«رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَاقَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَالْتَّمَسَ النَّاسُ الْوُضُوءَ فَلَمْ

(1) i.e. Umm ‘Atiyyah and the women with her.

(2) Zainab according to Muslim, though Umm Kulthûm has been suggested.

(3) This is the meaning of this hadîth according to Ibn Sîrin quoted by Al-‘Aini.

(4) تيمم (Tayammum) = purification by dust or sand in the absence of water, or in the case of sickness when use of water might be injurious. (Surah 5, Verse 6).

finding any. The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) was however brought some for his wudū^s. Immersing his hand in the vessel containing it, he commanded the Faithful to perform their wudū^s from it. Then I saw (continued Anas) the water springing up from beneath his fingers, until all the Faithful performed their wudū^s *from the first unto the last.*"

CHAPTER 33.

On the water which hath been used for washing the hair of a man; (1) since °Atā^s did not see anything wrong in human hair being used for making thread and ropes;

and on the remains of water from which dogs have drunk; and their passing through the mosque; since Az-Zuhri said: "When a dog hath lapped out of a vessel, and a person hath no other wudū^s-water, he may use it for his wudū^s; and Sufiān said: "This is the very teaching according to the word of Allāh (be He exalted): 'and if ye fail to find water, then perform a dry wudū^s;' (2) for this is water which, although there may be scruples about it, (3) may be used for wudū^s, which must be followed by dry ablution."

1. We are informed by Mālik b. Ismā'il, who had it from Isrā'il, through °Asim, through Ibn Sirin, who said to °Abidah :

يَجِدُوهُ ، فَاقَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْضُوهُ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ ، قَالَ فَارَأَيْتُمُ الْمَاءَ يَنْبَعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ .

— ٢٣ —

بَابُ الْمَاءِ الَّذِي يُغْسَلُ بِهِ شَعْرُ الْإِنْسَانِ ، وَكَانَ عَطَاءٌ لَا يَرَى بِهِ بَأْسًا أَنْ يُتَّخَذَ مِنْهُ الْخِيُوطُ وَالْحَبَالُ ،

وَسُورِ الْكَلَابِ وَمَتَرِهِمَا فِي الْمَسْجِدِ ، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ ، إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءٍ لَيْسَ لَهُ وَضُوٌّ غَيْرُهُ يَتَوَضَّأُ بِهِ ، وَقَالَ سُفْيَانُ : هَذَا الْفَقِيهُ بِعَيْنِهِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ، وَهَذَا مَاءٌ ، وَفِي النَّفْسِ مِنْهُ شَيْءٌ ، يَتَوَضَّأُ بِهِ وَيَتَيَمَّمُ .

١ - حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ قُلْتُ لِعَبِيدَةَ :

(1) i.e. on the question of its purity for purposes of ablution. Al-Bukhārī wishes here to reply to those who deny this purity.

(2) Surah 5, Verse 6.

(3) These scruples are due to the divergence of opinion among the doctors as to the ritual purity of such water, hence the necessity for a dry ablution being performed also.

"We possess some hairs of the Prophet (Allāh bless him and give him peace), which have reached us through Anas or his family." *Abidah* replied: "I had rather possess one hair of his than the world and all that it containeth." (1)

2. We are informed by Muhammad b. *Abdu-r-Rahīm*, who had it from Sa'īd b. Sulaimān, who received it from *Abbād*, through Ibn *ʿAun*, through Ibn Sirīn, through Anas that :

"When the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) had his head shaved, (2) Abu Talhah was the first to take some of his hair." (3)

3. We are informed by *ʿAbdullāh* b. Yūsuf, through Mālik, through Abu-z-Zinād, through Al-*Aʿraj*, through Abu Hurairah, who stated that the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said :

"If a dog drink out of the vessel of any one of you, let him wash it seven times."

4. We are informed by Ishāq, who had it from *ʿAbdu-s-Samad*, who received it from *ʿAbdu-r-Rahmān* b. *ʿAbdullāh* b. Dinār, who heard it from his father, through Abu Sālih, through Abu Hurairah, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) that :

«عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبغناه من قبل أنس - أو من قبل أهل أنس» فقال «لأن تكون عندى شعرة منه أحب إلى من الدنيا وما فيها» .

٢ - حدثنا محمد بن عبد الرحيم قال أخبرنا سعيد بن سليمان قال حدثنا عماد عن ابن عون عن ابن سيرين عن أنس :

«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره» .

٣ - حدثنا عبد الله بن يوسف عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً»

٤ - حدثنا اسحاق أخبرنا عبد الصمد حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار سمعت أبي عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم :

(1) Al-Bukhārī has selected this ḥadīth to controvert the idea that hair may be نجس (unclean).

(2) — on the occasion of the Farewell Pilgrimage.

(3) According to Muslim the right side of the Prophet's head was shaved first, and the hair given to Abu Talhah; Abu Talhah kept this for himself and his wife, after which he was given the hair of the left side, which he distributed among the Faithful, one or two hairs each.

"A man once saw a dog licking the earth for thirst, so he took his shoe and kept on scooping water with it for the dog, until he had quenched its thirst. Allāh rewarded him for this and caused him to enter Paradise." (1)

5. It was stated by Ahmad b. Shabīb, who had it from his father, through Yūnus, through Ibn Shihāb, who received it from Hamzah b. 'Abdullāh, through his father, who said :

"Dogs used to make water and run to and fro in the Mosque (2) in the time of the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) and water was not even sprinkled (3) over the places."

6. We are informed by Hafs b. 'Umar, who had it from Shu'bah, through Ibn Abu-s-Safar, through Ash-Sha'bi, through 'Adiyy b. Hātim who said :

"Once in answer to my question the Prophet said: 'When thou sendest forth thy trained dog, and he killeth the game, thou mayest eat of it; but if he hath eaten of it, then eat it not, for he hath apportioned it unto him-

« أَنْ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ
الْثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَأَخَذَ الرَّجُلُ
خُفَّهُ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى
أَرَوَاهُ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَأَدْخَلَهُ
الْجَنَّةَ » .

٥ - وقال أحمد بن شبيب حدثنا أبي
عن يونس عن ابن شهاب قال حدثني حمزة
ابن عبد الله عن أبيه قال :

« كَانَتْ الْكِلَابُ تَبُولُ
وَتَقْبِلُ وَتُدْبِرُ فِي الْمَسْجِدِ فِي
زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ
يَسْكُونُوا يَرْشُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ »

٦ - حدثنا حفص بن عمر قال حدثنا
شعبة عن ابن أبي السفر عن الشعبي عن
عدي بن حاتم قال :

سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ : « إِذَا أُرْسِلَتْ كِلَابُكَ الْمُعْلَمَ
فَقَتِّلْ فَكُلْ ، وَإِذَا أَكَلَ فَلَا

(1) This hadith is written in red in Ibn 'Asākir's version, but appears in the margin in Yūnūs's. Some Mālikis infer from Al-Bukhārī's citation of this hadith that the dog is not unclean except in a ritual sense, and therefore the washing of the vessel referred to in the preceding hadith is not obligatory but a commendable practice. (See Ibn Hajar & Qastallāni).

(2) i.e. the Prophet's Mosque at Madinah.

(3) The use of the word رش غل shows even an inferior degree of cleansing was not considered necessary. This hadith is taken by some to support the general cleanness of dogs, but it is pointed out that the Prophet and his Companions were unaware of these conditions, since urine is universally admitted to be unclean; the Hanafi School, however, hold that the soil is purified when the sun and air dry up the defiling moisture.

self.' 'But,' replied I, 'what if I send forth my dog and then find another dog with him?' The Prophet replied: 'Then eat not, because thou hast invoked the name of Allāh upon thine own dog, but hast not done so upon another.' (1).

CHAPTER 34.

On him who doth not see the necessity for a *fresh wudûs* (2) except in the case of excretion from the anterior and posterior orifices—based on the word of Allāh (be He exalted): "Or if one of you cometh from the draught;" (3)

and on 'Atâ's statement concerning one from whose posterior orifice there cometh worms, or from whose member there cometh any kind of vermin such as a louse, that he must repeat the *wudûs*;

and on Jâbir b. 'Abdullāh's statement: "If anyone laugheth during his prayer, he must repeat it, but need not repeat the *wudûs*;"

and on Al-Hasan's statement: "If anyone cutteth his hair or his nails, or taketh off his boots (4) there is no *fresh wudûs* incumbent upon him;"

تَأْكُلُ فَإِنَّمَا أَمْسَكَهُ عَلَى
نَفْسِهِ ، قُلْتُ :

أُرْسِلُ كَلْبِي فَأَجِدُ مَعَهُ
كَلْبًا آخَرَ ، قَالَ : « فَلَا تَأْكُلُ فَإِنَّمَا
سَمَّيْتِ عَلَى كَلْبِكَ وَلَمْ تُسَمِّ
عَلَى كَلْبِ آخَرَ . »

— ٣٤ —

بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ الْوُضُوءَ إِلَّا
مِنَ الْمَخْرَجَيْنِ مِنَ الْقُبُلِ وَالْذُّبْرِ ،
لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ
مِنَ الْغَائِطِ » ،

وَقَالَ عَطَاءٌ ، فِيمَنْ يَخْرُجُ مِنْ
ذُبْرِهِ الدُّودُ أَوْ مِنْ ذَكَرِهِ نَحْوُ
الْقُمَّلَةِ يُعِيدُ الْوُضُوءَ ،

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : « إِذَا
ضَحَكْتَ فِي الصَّلَاةِ أَعَادَ الصَّلَاةَ وَلَمْ
يُعِدِ الْوُضُوءَ » ،

وَقَالَ الْحَسَنُ : « إِنْ أَخَذَ مِنْ
شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ أَوْ خَلَعَ خُفَّيْهِ
فَلَا وَضُوءَ عَلَيْهِ » ،

(1) The fact that game touched by the saliva of a dog may be eaten without any washing of the place being ordained, is considered by Al-Bukhārī as sufficient proof that a dog is not unclean. In this connection Mālik said :

"How could game touched by a dog be eaten, if his saliva is unclean?"

(2) i.e. does not consider the *wudûs* nullified.

(3) Sūrah 4 : 43.

(4) الخفين (boots) are properly speaking footwear made of soft leather and protected from contact with the ground by shoes or sandals worn over them. The Arabs often used to wear them without any outer shoes and performed their prayers in them even when they had come in contact with the ground, provided no dirt had clung to them.

and on Abu Hurairah's statement: "No *fresh wudû* is necessary except in the case of accidental defilement ; (1)

and it is related through Jâbir that when the Prophet (Allâh bless him and give him peace) was at the battle of Dhât-ur-Riqâ' (2), a man was struck by an arrow and bled profusely; but he performed the rak'ah and the prostration and continued his prayer nevertheless ; (3)

and on Al-Hasan's statement that the Faithful have always performed their prayers while wounded ;

and on the statement of Tâwûs, Muhammad b. 'Ali, 'Atâs and the Hijâzîs that no *fresh wudû* is obligatory in the case of bleeding ; (4)

and on the fact that when Ibn 'Umar burst a boil and it bled, he did not perform a *fresh wudû* ;

and on the fact that when Ibn Abu Awfâ spat blood, he continued his prayer ;

and on the statement of Ibn 'Umar and Al-Hasan concerning one who is wetcupped, (5) that he need only wash the places scarified by the cupping.

وقال أبو هريرة: « لا وُضوءٌ إلا من حَدَثٍ » ،

وَيَذْكُرُ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ فَرُمِيَ رَجُلٌ بِسَهْمٍ فَتَرَفَهُ الدَّمُ فَرَكَعَ وَسَجَدَ وَمَضَى فِي صَلَاتِهِ ،

وَقَالَ الْحَسَنُ: مَا زَالَ الْمُسْلِمُونَ يُصَلُّونَ فِي جِرَاحَاتِهِمْ ،

وَقَالَ طَاوُسٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَعَطَاءٌ وَأَهْلُ الْحِجَازِ: « لَيْسَ فِي الدَّمِ وَضوءٌ » ،

وَعَصْرَ ابْنِ عُمَرَ بَشْرَةً فَخَرَجَ مِنْهَا الدَّمُ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ ،

وَبَزَقَ ابْنُ أَبِي أَوْفَى دَمًا فَمَضَى فِي صَلَاتِهِ ،

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ وَالْحَسَنُ فِيمَنْ يَخْتَجِمُ: « لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا غَسْلُ مَحَامِهِ »

(1) — including such accidents as falling asleep, fainting or going mad. (Al-'Aini).

(2) The Battle of Dhât-ur-Riqâ' was fought at a place two days' journey from Madinah. Historians are not agreed as to the date, but it is probable that it took place in the year 5 A.H. after the Battle of the Khandaq and before that of Khaibar. It was so called because the Faithful tied up their legs with rags, or patched up their banners, or because the soil was patchy, or because there was a mountain with various patchy colours. (Ibn Hajar).

(3) Al-Bukhârî here wishes to refute the Hanafi teaching that profuse bleeding invalidates the wudûs. (Ibn Hajar).

(4) scil. whether the bleeding be profuse or not. (Al-Qastallâni).

(5) — the flesh being first scarified and the blood being drawn out by the cup.

1. We are informed by Adam b. Abu Iyās, who had it from Ibn Abu Dhi'b, through Sa'id Al-Maqburi, through Abu Hurairah, who stated that the Prophet (Allāh bless him and give him peace) said :

"The worshipper continueth to be in a fit state for prayer so long as he is in the mosque awaiting the prayer, unless he suffer an accidental impurity." A foreigner asked Abu Hurairah what an accidental impurity was, and he said: "A noise, that is to say — breaking wind".

2. We are informed by Abu-l-Walid, who had it from Ibn 'Uyainah, through Az-Zuhri, through 'Abbād b. Tamim, through his paternal uncle, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace), who said :

"Let the worshipper not interrupt his prayer so long as he hath not heard any sound or perceived any smell."

3. We are informed by Qutaibah b. Sa'id, who had it from Jarir, through Al-A'mash, through Mundhir Abu Ya' lā Ath-Thawri, through Muhammad b. Al-Hanafiyyah, who stated that 'Ali said :

"I was subject to prostatic secretion, and as I was too ashamed to question the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace), I charged Al-Miqdād b. Al-Aswad to do so. When he asked him, he replied: 'This calleth for wudū'."

(This hadith is also related by Shu'bah through Al-A'mash.)

4. We are informed by Sa'd b. Hafs, who had it from Shaibān, through Yahyā, through Abu Salamah, who was told it by 'Atā' b. Yasār, who received it from Zaid b. Khālid, who stated that he asked

١ - حدثنا آدم بن أبي إياس قال حدثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ مَا لَمْ يُحْدَثْ » ، فَقَالَ رَجُلٌ أَعْنَجِمِي : مَا الْحَدَثُ يَا أبا هريرة ؟ قَالَ : « الصَّوْتُ - يَعْنِي الضَّرَطَةَ » .

٢ - حدثنا أبو الوليد قال حدثنا ابن عيينة عن الزهري عن عباد بن تميم عن عمته عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا »

٣ - حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا جرير عن الأعمش عن منذر أبي يعلى الثوري عن محمد بن الحنفية قال قال علي : « كُنْتُ رَجُلًا مَذَاءً فَلَمَّتْ خِيَّيْتُ أَنْ أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرْتُ الْمُتَقَدِّدَ بْنَ الْأَسْوَدِ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : « فِيهِ الْوُضُوءُ » .

(وَرَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْ الْأَعْمَشِ)

٤ - حدثنا سعد بن حفص حدثنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة أن عطاء بن يسار أخبره أن زيد بن خالد أخبره أنه

‘Uthmān b. ‘Affān (Allāh be well-pleased with him) saying:

“Tell me the decision concerning a man who cohabiteth *with his wife* without ejaculating.” ‘Uthmān replied: “He must perform the same wudū‘ as for prayer, and wash his member. That is what I heard from the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace).”

I⁽¹⁾ then asked the same question of ‘Alī, Az-Zubair, Talhah and Ubayy b. Ka‘b (Allāh be well-pleased with them), and they prescribed him likewise.

5. We are informed by Ishāq, who was told it by An - Nadr, who had it from Shu‘bah, through Al-Hakam, through Dhakwān Abu Sālih, through Abu Sa‘id Al-Khudri that:

The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) once sent for a certain Ansāri,⁽²⁾ who came with his head dripping.⁽³⁾ Then the Prophet (Allāh bless him and give him peace) said: “Perchance we have hurried thee!”⁽⁴⁾ “Yes”, replied the man. “If thou art hurried, or hast failed to ejaculate, then *only* the wudū‘ is incumbent upon thee.”

(This hadith is confirmed by Wahb —as fellow-witness with An-Nadr—who had it from Shu‘bah etc. Al-Bukhārī states that Ghundar and Yahyā, through Shu‘bah etc. omit the word «الوضوء».)

سأل عثمان بن عفان رضى الله عنه قلت :

«أُرَأَيْتَ إِذَا جَامَعَ فَلَمْ يُمْنِ .
قَالَ عثمانُ : « يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ
لِلصَّلَاةِ وَيَغْسِلُ ذَكَرَهُ » قال عثمانُ :
« سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »
فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ
وطلحةَ وَآبِيَّ بْنَ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ فَأَمَرُوهُ بِذَلِكَ .

٥ - حدثنا اسحق قال أخبرنا النضر
قال أخبرنا شعبة عن الحكم عن ذكوان
أبي صالح عن أبي سعيد الخدري :

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَرْسَلَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَهُ
وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَعَلَّنَا أَعْجَلْنَاكَ » فَقَالَ :
« نَعَمْ » فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « إِذَا أَعْجَلْنَاكَ أَوْ قُحِطَتْ
فَعَلَيْكَ الْوُضُوءُ » .

(تَابِعَهُ وَهَبٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ،
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَلَمْ يَقُلْ « غُنْدَرٌ »
وَيَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ « الْوُضُوءُ »)

(1) i.e. Zaid b. Khālid the narrator of the hadith.

(2) — according to Muslim — ‘Ithbān b. Mālik al-Ansāri.

(3) — with water from a ghusl (a bath).

(4) In fact the man had been engaged in intercourse with his wife.

CHAPTER 35.

On him who helpeth his companion in his wudû'.

1. We are informed by Muhammad b. Salâm, who had it from Yazid b. Hârûn, through Yahyâ, through Mûsa b. 'Uqbah through Kuraib the freedman of Ibn 'Abbâs, through Usâmah b. Zaid that:

When the Messenger of Allâh (Allâh bless and give him peace) was returning from 'Arafah, he turned aside towards Ash-Shi'b⁽¹⁾ to relieve his necessity. "Then I proceeded," said Usâmah b. Zaid, "to pour out water for him while he performed his wudû'. After that I asked him saying: 'O Messenger of Allâh, wilt thou pray now?' 'The place of prayer is ahead of thee', said he."

2. We are informed by 'Amr b. 'Ali, who had it from 'Abdul-Wahhâb, who heard it from Yahyâ b. Sa'id, who received it from Sa'd b. Ibrâhim, who was told it by Nâfi' b. Jubair b. Mu'tim that he heard 'Urwah b. Al-Mughirah b. Shu'bah relate through his father Al-Mughirah b. Shu'bah that:

Al-Mughirah was once together with the Messenger of Allâh on a Journey when the latter retired for a natural purpose. Al-Mughirah then proceeded to pour out water for him while he performed his wudû', washing his face and hands, stroking his head with his wet hands, and passing them over his boots. ⁽²⁾

— ٣٥ —

بَابُ الرَّجُلِ يُوضِيْ صَاحِبَهُ:

١ - حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا

يزيد بن هرون عن يحيى عن موسى بن عقبة عن كريب مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد:

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَفْضَ مِنْ عَرَفَةَ عَدَلَ إِلَى الشَّعْبِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ، قَالَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ : « فِجَعَلْتُ أُصَبُّ عَلَيْهِ وَيَسْوِضًا فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُصَلِّي ؟ فَقَالَ : الْمُصَلَّى أَمَامَكَ » .

٢ - حدثنا عمرو بن علي قال حدثنا

عبد الوهاب قال سمعت يحيى بن سعيد قال أخبرني سعد بن إبراهيم أن نافع بن جبير بن مطعم أخبره أنه سمع عروة بن المغيرة بن شعبة يحدث عن المغيرة بن شعبة:

« أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ وَأَنَّهُ كَتَبَ لِحَاجَةِ لَهُ ، وَأَنْ مُغِيرَةَ جَعَلَ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَنَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ وَمَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ .

(1) A mountain track used by the pilgrims.

(2) According to the three Imâms, Ahmad, Hanafi, and Shâfi'i, there is no need to wash the feet more than once in twenty-four hours if the boots (khuffain) have not been removed, when passing the wet hands over the upper part is considered sufficient. This is the case for those staying at home, but for travellers, washing the feet once every three days is sufficient. Mâlik, however, does not stipulate any special period.

احتفال مسيخة الزهر بالمولد النبوى

ألقى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى خطبة جلية القدر، بليغة الأثر، فى الجامع الأزهر المعمور، ليلة المولد النبوى الكريم، على ألو ف كثيرة من المسلمين، يتقدمهم صاحب الدولة رئيس الوزراء، وأصحاب المعالى الوزراء، وعدد كبير من رجال الدولة والعلماء، ونقلها المذيع الى جميع البلاد التى تصل اليها تياراته الاثيرية. وقد رأينا أن ننقلها فى هذه المجلة تيمنا بها فى هذا العيد النبوى الكريم. قال حفظه الله :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يحتفل المسلمون بإحياء ذكرى مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويحتفل غيرهم بإحياء ذكرى عظماء الرجال.

ولهذه الذكريات آثارها الصالحة عند من يفهم الغرض منها، ويدرك السر فى المحافظة عليها. فليست هذه الأيام أعياد مرح وطرب، يستمتع فيها الناس باللذات، ويدركون نصيبا من الشهوات، بل هى أيام عظة واعتبار، وتذكّر واستبصار، تحفز النفوس الى القدوة، وتشوقها الى التشبه بالأسوة.

لو كان العالم ينظر الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم نظر المنصف المتجرد عن الهوى والغرض، الذى لم يغش بصيرته ظلمات التقليد، ومتابعة الآباء، وتصديق ذوى الأغراض والأهواء، لو كان العالم ينظر اليه صلى الله عليه وسلم نظر المتدبر لقيمة أعماله، وآثار أخلاقه، وقيمة شخصيته الفذة، وقيمة ما أفادت الانسانية والمدنية مما جاء به من خير،

لكان يوم مولده السعيد يوما مشاعا بين الأمم ، يحتفل به المسلمون وغيرهم من أهل الملل والمذاهب والنحل ؛ فإن بركة الإصلاح الاسلامي لم يختص بها المسلمون ، بل شملتهم وفاضت على غيرهم من الأمم المشاركة لهم في الوطن وفي الحكم ، والأم التي اقتبست عن قصد أو عن غير قصد ما في النظام الاسلامي من خير وجمال .

أفلاترون أن عمر بن الخطاب يقول بهدى الاسلام لأبي بكر أول خليفة : « أنت أجبر المسلمين لك عليهم نفقتك ونفقة أهلك بما حبست نفسك خيرهم » ، ويقول لابن عمرو : « بم تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » . هذان أصلان من أصول الحكم والاجتماع ، جاء بهما الاسلام ولم يصل الى الأمم الأخرى إلا بعد عناء وكفاح ، ومقارعة بالسيوف والرماح .

وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة من نظم الحكم العامة ونظم الأسر وعلاج المجتمع ما هو شفاء للناس . وقد وضع العلماء في سيرة الرسول الأكرم كتباً ضخمة ومجلدات كثيرة ، ولا يزال مجال البحث واسعا والميدان فسيحا لمن يريد بيان شخصية الرسول الأعظم وبيان هديه . فليس من السهل على مثلي أن يضع صورة لهذا الجلال وهذه العظمة في هذا الوقت ، وأن يرسم ذاتا خلقت لتكون المرشدة للعالم الى أن يأذن الله بنهايته ، والداعية الى الحق الى أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات . ذات صنعها الله على عينه ، وأدبها فأحسن تأديبها ، بعثت لتتم مكارم الأخلاق ، ولتوضح السبيل الى الله وتنيره ، وتضع نظم الحياة كاملة ، وتتلقى أسرار الوجود عن واهب الوجود ، وتتلقى كلمات الله عن الله . ذات فرض الله على الخلق طاعتها واجتباها لرسالته .

وقد اخترت أن أتم بشيء من صفاته التي لا زمته في شبابه وكهولته وشيخوخته ، والتي كانت سر عظمته وسر اختيار الله إياه للهداية والرسالة ، فقد قال عن نفسه صلوات الله عليه : « لما نشأت بغضت الى الأوثان ، وبغضت الى الشعر ، ولم أتم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ،

ثم ما هممت بسوء بعدها حتى أكرمني الله برسالته : قلت لغلام كان يرعى معي : لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأنسمر كما يسمر الشباب ، فخرجت الى ذلك حتى جئت أول دار من مكة ، سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم ، فجلست لذلك ، فغرب الله على أذنى فتمت فما أيقظنى إلا مسّ الشمس ، فرجعت ولم أقض شيئا ، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك ، ثم لم أعم بعد ذلك بسوء .

ولم يشرب خرا قط على ما كان ذلك شائعا فى البيئة التى عاش فيها ، ولم يأكل ما ذبح على النصب . وقد قال أبو طالب فى خطبة زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة : إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل شرفا ونبلا وفضلا ، وإن كان فى المال قل فإن المال ظل زائل ، وأمر حائل ، وعارية مستردة ، وهو والله بعد هذا نبا عظيم وخطر جليل !

ولما اختلفت قريش وتحازبت فيمن يضع الحجر الأسود موضعه من بناء الكعبة حكّموا أول داخل يدخل عليهم ، فكان ذلك الداخل محمد بن عبد الله ، فاطمان الجميع الى حكمه ، وقالوا : هذا الأمين رضيناه ، هذا محمد . وكانوا يتحاجون اليه قبل ذلك لعلمهم بعدله وأنه لا يمارى فى الحكم ولا يجور ، ولا يحكم ابتغاء مدح أو خوفا من ذم . وقد قال النضر بن الحارث : قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم بينكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب وقد جاءكم بما جاءكم فاقموا سحر ، لا والله ما هو بساحر !

ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان : هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا . فقال هرقل : ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله . ومن ذلك إسراع أبى بكر رضى الله عنه الى استجابة دعوته والايمان برسالته ، وقوله على الفور : بأبى أنت وأمى أهل الصدق أنت ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . وقد كان أبو بكر صدرا معظما من صدور قريش وصناديدها ، وكان على سعة

من المال وكرم الخلق عن سجيّة، محبباً في قومه، وكان من أعلمهم بالعرب وأنسابهم وتاريخهم ووقائعهم وعاداتهم وأديبهم .

ولقد نزعَت نفسه الطاهرة صلى الله عليه وسلم عن الدنيا، واشتاق الى الحياة الروحية والهدى الإلهي، وحُببت اليه العزلة والتحنُّت، فكان يبتعد عن ظلمات هذه الحياة، وينقطع عن الخلق ابتغاء النور وابتغاء الأنس بالخالق، آثر جلال الحق، وابتهج بالوحدة ونور الواحد، وأصغى بأذنيه الى حفيف أجنحة الملائكة والأرواح العلوية، وصنّى قلبه الطاهر بهذا التحنُّت، ليكون مرآة صافية تنطبع فيها أسرار أسماء الله وأسرار الوجود، وليكون قرطاساً نقيّاً تنقش فيه آي الله وكلماته، وليستعد للوساطة بين الحق والخلق في حمل أوامره، وحمل نظمه وهدايته للبشر .

هذه النفس التي لم تصب في الحداثة الى السمر إلا مرتين، ولم تصل الى غرضها في المرتين، نفس صاغها الله من العالم الروحاني، وصبغها بصبغته، ونفخ فيها من روحه، ولم يسكن صاحبها من البشر إلا بمقدار ما يؤدى الرسالة للبشر . شاب حدث، أمي، يتيم، ينال من احترام قومه ما يحمل قروم قريش على الرضا بحكمه والاطمئنان اليه، وما يجعلهم يصفونه بالأمين، ويحيلون عليه الكذب على الله لأنه لم يعتد الكذب على الناس، ليس هذا المقام بين البشر بالمقام الذى يحظى به إلا الواحد بعد الواحد . وهذا أبو طالب على ما كان له من راحة العقل وإباء النفس يقول : هذا محمد لا يوزن به رجل وسيكون له قدر وخطر، لا يمكن أن يصدر هذا إلا عن دلائل في ذاته وصفاته تقوم برهاناً تاماً على ما يرجى له من هذا المقام الخطير .

وبعد أن تم له الاستعداد جاءه الوحي، فكان رسولاً، وشرح الله صدره، ورفع قدره، وأعلى ذكره، ولم يتركه في الحيرة التي كان فيها يتلمس الحق، بل آواه ونصره، وأكمل له النعمة، وأكمل به النعمة، وجعله رحمة للعالمين .

قد كان صلى الله عليه وسلم عبداً لله، فنى في الله فأدى حقه كاملاً . وقالت عائشة

رضى الله عنها: كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق؟ وعن المغيرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حتى ترم قدماه، فقيل له: أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟

وقد كان شديد المراقبة والخشية. وفي جوابه لجبريل عن الإحسان ما فيه الغناء، فقد أجابه بقوله:

« أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ». وأسس بهذا قاعدة المسلمين هي عمدة الصديقين، وبغية السالكين، وكنز العارفين، وأدب الصالحين، هي مشاهدة الحق بالقلب حتى كأنه يراه بعينه.

وبهذه العبودية والفناء في ذات الله كان صوّا قوّا، خائفا خاشعا، ينزعج سره إذا لاحظ جلال الله، ويمتلئ قلبه بهجة وأنسا إذا اطلع على جماله ورحمته. وبهذه العبودية أدى للخلق حقهم كاملا، فاتجه الى إصلاحهم، وكانت نفسه تفيض حزنا وأسى إذا وجد عنادهم. قد اعتبر نفسه جزءا من الكون، وجوده بوجوده وصلاحه بصلاحه، فلم يتصور لنفسه وجودا مستقلا. ولم يحفل بما في الحياة من خير وشر ومال وجاه وولد وعصبية، بل استهان بحياته في مواقف كثيرة، وعرضها للخطر، واحتمل ألوانا من الإيذاء لا يصبر على مثلها إلا من كان عبدا لله مثله، وطرح العداوات والضغائن والأحقاد، وسار لا ياولى على شئ، حتى اطمان آخر الأمر الى أنه أدى الأمانة لله وللناس.

ولقد نظر الى الانسانية باعتبارها وحدة لا تمايز بين أفرادها إلا بالتقوى، وجعل المؤمنين إخوة: لا فضل لأحدكم على الآخر إلا بالتقوى.

لذلك اختار الله له في التشهد وصفين لاغير، هما: أنه عبد الله، ورسوله. فالعبودية التي اتصف بها قبل الرسالة وبعد الرسالة، والتي صدرت أعماله جميعها عنها، هي أساس

الفضائل، وجماع الخير، ودعامة التقوى، وينبوع الإصلاح، وليست إلا الفناء في الله، وفي إصلاح الجماعة تنفيذا لإرادة الله. والشعور بهذه الحقيقة هو الذي سعى له المصلحون، ودعا اليه الداعون، وعمل له المؤمنون، وجاء لأجله الأنبياء والمرسلون. وقد رتب الله على العبودية في كتابه الكريم آثارا جليلة القدر لمن يعتبر، فليس للهوى والشيطان سبيل على العباد «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما. والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما. إنها ساءت مستقرا ومقاما. والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما. والذين لا يدعون مع الله إلها آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق» «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين. إنهم لهم المنصورون» «وسلام على عباده الذين اصطفى». الى عبودية النبي صلى الله عليه وسلم وفنائه في الله وفي خلق الله تنفيذا لإرادة الله يرد كل شيء من شمائله صلى الله عليه وسلم، وهي معروفة في السيرة مشهورة في الكتب، نلّم منها الآن بقطرات من بحر لا ينفد. فقد كان كثير الضراعة والابتهال، دائم السؤال أن يزينه الله بحاسن الأدب ومكارم الأخلاق. ومن دعائه صلى الله عليه وسلم: «اللهم حسن خلقي وخلقى، اللهم جنبني منكرات الأخلاق». قالت عائشة: كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى». «واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور» «ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم». «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» الى غير ذلك مما لا يحصى به العد من مكارم الأخلاق المنشورة في القرآن.

ولما أتى بسبايا طيء وقعت جارية في السبي فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلني عنى

ولا تشمت بي أحياء العرب، فإنني بنت سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك
العاني، ويشبع الجائع، ويطعم الطعام، ويفشى السلام، ولم يرد طالب حاجة قط. أنا ابنة
حاتم الطائي !

فقال صلى الله عليه وسلم: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً، خلوا عنها فإن أباهما كان يحب
مكارم الأخلاق، وإن الله يحب مكارم الأخلاق، ولا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق.
وقال معاذ: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم باتقاء الله، وصدق الحديث،
والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام،
وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآن،
وحب الآخرة والجزع من الحساب، وخفض الجناح. وقال: أنهارك أن تسب حكيماً،
أو تكذب صادقاً، أو تطيع أثماً، أو تعصى إماماً عادلاً، أو تفسد أرضاً. وأوصيك باتقاء
الله عند كل شجر ومدر، وأن تحدث أكمل ذنب توبة، السر بالسر والعلانية بالعلانية.
وكان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعف الناس. وكان أسخى
الناس، لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل شيء، ولم يجد من يعطيه وفاجأه الليل
لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه. وكان أشد الناس حياء، لا يثبت بصره
في وجه أحد. يجيب دعوة الحر والعبد، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمساكين،
ينصف لربه ولا ينصف لنفسه، وينفذ الحق ولو عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه.
يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد، يعود المرضى ويشهد الجنائز، ويمشي وحده بين أعدائه.
يكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم. لا يخفو على أحد،
ويقبل معذرة المعتذر، ويمزح ولا يقول إلا حقاً. لا يحتقر مسكيناً لفقره، ولا يهاب
ملكاً لملكه. يدعو هذا وذاك دعاء مستوي إلى الله. جمعت له السيرة الفاضلة،
والسياسة الكاملة التامة، فسبحان من أدبه وسبحان من صاغه !

هذه بعض صفاته الخلقية التي حلاه الله بها وفطره عليها. أما ما جاء به من هدى ووحى

متلو وغير متلو ، فهو كلمات الله وهدى الله ، اختاره لتبليغها وشرفه بحملها . والحديث عنه حديث الدهر . وسوف يفنى الزمان قبل أن تدرك أسرار الباهرة وحكمه البالغة . أسأل الله أن يهب المسلمين ما وهب أسلافهم من رشاد ، ويصّرهم طريق السداد ، وأن يعيد عليهم هذه الأعياد محفوفة بالبركات بمجمله بالخيرات :

وأن يرعى حضرة صاحب الجلالة الملك « فاروقاً الأول » برعايته ، ويؤيده بتوقيفه ؛ وأن يوفق الحكومة الى تحقيق آمال البلاد وإسعادها بالعدل والرفق والبر والخير ؛ وأنتهز هذه الفرصة المباركة لأقدم لحضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء شكر الأ زهر على ما أعلنه من تصريحه القيم ، الدال على جميل تقديره لرسالة الأ زهر ، ورعايته لمصالحه وحقوقه ، وعلى شدة عنايته بالدين وأهله .

والله أكرم مسئول وأقرب مدعو ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .
والحمد لله أولاً وآخراً .

الروح الإسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

٣

المقومات الروحية للذات الانسانية

الانسان جسد وروح ، فهو بهذا الجسد المادى يندرج في جملة الكائنات الأرضية وتسرى عليه نوااميسها ، وهو بروحه يتصل بالعالم الروحانى ويتناسب وكائناته العلوية ، في عالم أرفع من هذا العالم . وكما هو في حاجة الى مدد يستبقى به وجوده المادى من طريق التغذى والتنفس ، كذلك هو في حاجة الى مدد نورانى يستديم به صلته بالعالم الروحانى . وكما أن الانسان ينحل جثمانه ويذول بجرمانه من المدد المادى ، كذلك هو يخرج عن إنسانيته ويتدلى الى عالم الحيوانية إن حرم من المدد المناسب لروحه .

والانسان مدفوع بغرائز طبيعية فيه الى التكمل في هاتين الناحيتين ، فمحاولاته لحفظ ذاته دفعته للاجتماع على أمثاله ، والتكافل الأدبى والمادى الناتج من هذا الاجتماع كشف له من مساتير الكون ومكنونات العلم ما مكفه من تسخير قوى طبيعية كان قد ألهمها في أزمان جاهليته وعبدها . وهذا الترقى العلمى فتح له باب الإبداع الصناعى ، فبلغ منه الى مستوى ما كان يتخيل أن يبلغه ، وهو يحاول أن يرتقى فيه الى ما هو أرفع شأنًا منه .

وأما محاولاته لاستبقاء الصلة بينه وبين العالم الروحانى فلم يقصر فيها الانسان في عهد من عهوده ، فقد أثبت علم الاجتماع أنه قد كان يدين بدين حتى في أقدم أدواره ، بحيث لا يمكن أن تصادف جماعة من جماعته الأولية محرومة من صلة روحانية .

نعم إن هذه الصلة كثيرا ما صادفت عقبات في طريقها ، تارة من طغيان سذاجة الجهالة عليها ، وطورا من تدخل الوسطاء فيها ، ولكن أشد ما أصيبت به كان من ناحية

سطوة العلم المادى عليها ، بإثارة الشبهات ضدها ، راميا بذلك الى تجريد العقلية الانسانية من آثار التعاليم الدينية ، زعما منه أنها بقية من بقايا الجاهلية ، وأن العلم يقوم مقامها من ناحيته الفلسفية .

ولكن المدبر الحكيم تدارك الروح الانسانية بأن كشف لها من عالم الروح ، بطريق البحث العلمى ، ما كان العلم يظنه من الخيالات الوهمية ، فعاد للدين الخالص سلطانه الأول ، ولكن مؤيدا في هذه الدفعة بالعلم نفسه ، فكان انتصاره آية من آيات الله في خلقه ، ومصداقا لقوله : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز » .

ويحسن بنا في هذا المقام أن نستشهد الفلاسفة الأوربية نفسها بعد حدوث هذا التطور العظيم فيها ، فإليك :

قال الفيلسوف الفرنسى الكبير (أرنست رينان) فى كتابه (تاريخ الأديان)^(١) :

« من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شئ نجبه ، وكل شئ نعدده من ملاذ الحياة ونعيمها ، ومن الممكن أن يبطل استعمال القوة العقلية والعلم والفن ، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين أو يتلاشى ، فسيبقى أبد الأبدى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى الذى يرمى الى حصر الفكر الانسانى فى المضايق الدينية للحياة الترابية » .

وقال الفيلسوف الفرنسى النابه (أجوست سباتيه) فى كتابه (فلسفة الدين)^(٢) :

« لماذا أنا متدين ؟

« إنى لم أحرك شفتى بهذا السؤال مرة إلا وأرانى مسوقا للإجابة عليه بهذا الجواب وهو : أنا متدين لأنى لا أستطيع أن أكون خلاف ذلك ، لأن التدين لازم معنوى من لوازم ذاتى .

« يقولون ذلك أثر من آثار الوراثة أو التربية أو المزاج .

(1) Ernest Renan , Histoire des Religions .

(2) Auguste Sabatier , Philosophie de la religion .

« فأقول لهم قد اعترضت على نفسى كثيرا بهذا الاعتراض عينه ولكنى وجدته يعقد المسألة ولا يحلها . وأن ضرورة الدين أشاهدها بأكثر قوة فى الحياة الاجتماعية البشرية ، فهى ليست أقل تشبثا منى بأهداب الدين . الى أن قال :

« إذن فالدين باق وغير قابل للزوال ، وهو فضلا عن عدم نضوب ينبوعه بتمادى الزمن ، نرى ذلك الينبوع يتزايد اتساعا وعمقا تحت المؤثر المزدوج من الفكر الفلسفى والتجارب الحيوية المؤلمة » انتهى .

هذا لسان الفلسفة الأوربية العصرية ، ولا بد لنا من التنبيه هنا على أنها إذا ذكرت الدين فإنما تقصد به الدين بمعناه المطلق ، لا شكلا متحجرا من أشكاله التى لا تدخل تحت حصر .

وقد تبين لنا مما تسجله الفلسفة على نفسها أن الدين باق لا تعدو عليه العواذى ، لأنه لازم معنوى من لوازم الفطرة الانسانية (فطرة الله التى فطر الناس عليها) ، ولأن ينبوعه من غرائز النفس ، لا يفتأ يزداد اتساعا وعمقا على مدى الأيام تحت تأثير الفكر الفلسفى والتجارب الحيوية .

ولكن الذى يراه الناقدون بأعينهم ، أن الدين يلاقى من الناس عنقا اليوم ، فهم يتهافتون على الشهوات ، ويطرحون وصاياه وتعاليمه ظهريا ، بل يتجاهرون بمناذنه ، ومناهضة حفظته الى أبعد الحدود الممكنة .

نعم : لا نكران لهذه الظواهر ، ولكنها لا تنافى الحكم الفلسفى بأن الدين مطلوب الفطرة الانسانية ، وأنه يزداد سلطانا وصولا عليها يوما بعد يوم . فلو سألت مستهترا فى إباحته : هل تكره الدين ؟ لأجابه بقوله : معاذ الله ، ولكن أين هو ؟ أنا أتوقعه جمالا معنويا باهرا ، وروحا علويا فاتنا ، يخلعنى بقوة القاهرة من خسة الشئون الأرضية خلعا ، وينقلنى ولو برهة الى عالم الكمال الأقدس ، لأشعر بلذة السمو على هذه المادة ،

والخلاص من نيرها . وإن صحبته عقائد فأريد أن تكون حقائق أولية مطلقة ، لا تتناقض وما أحصله من ثمرات التفكير الحر ، والنظر المستقل ، وما يفتح على به من أسرار العلم ، وما أكتشفه من مساتير الوجود ، لأستطيع أن أمضى تحت نورها قدما الى تحقيق أسنى أغراض الحياة الانسانية ، والوصول الى أبعد غايات المدنية .

هذا ما تسمعه من كل مفكر في هذا العصر ، فإن ألفيته شاكا ، فليس هو بشاك في سمو الدين الذي يتطلبه ، وفي ضرورته له ، ولكنه شاك في وجوده ، بل وفي إمكان وجوده على الأرض .

لسنا بسبيل الإفاضة في هذه المواطن ، ولا في التوفيق بين ما يبدو متناقضا في سيرة الانسان المعاصر ، وإنما نحن بسبيل التدليل على أن الذات الانسانية في حاجة ماسة الى مقومات روحانية ، تجعل الصلة بينها وبين عالم الروح مستمرة ، باعتبار أن هذه الصلة من ضرورياتها الأولية ، وإن أعتى العقول في هذا العصر لتعترف بسلطان هذه الحاجة عليها ، فهل الاسلام وهو خاتمة الوحي الإلهي هو المثل الأعلى الذي تتطلبه النفوس البشرية ، وحاصل على المقومات الروحانية ؟

قد تم لنا التدليل على كل ما مر من هذه المسائل إلا المسألة الأخيرة الخاصة بالاسلام ، وإنها لموضوع هذه المقالة .

ألا يكون أوقع في النفس ، وأتج للصدر ، وأبعد عن الظنن ، أن نستشهد بعالم أجنبي في صحة نظرنا الى الاسلام من هذه الناحية ؟
نعم ، فإليك :

كتب الأستاذ الجليل سِنِكْس في المجلة الروحية التي تصدر بباريس (١) مقالات متتابعة عن الأديان ، نقد كلا منها نقداً صريحا ، فلما انتهى الى الاسلام كتب عنه مقالا قويا ختمه بقوله :

(1) Sénex, La Revue Spirite .

« الاسلام الخالص من كل التعاليم الخاصة بالشعوب الطفلة ، ومن كل الشروح الضالة لأقوال النبي ، يظهر لنا أنه أعلى ما يمكن أن يعرف من الصلوات التي يجب أن توجد بين الانسان وخالفه ، وأكثرها انطباقا على الطبيعة والمنطق » .

هذه أصح وأعدل شهادة قالها عالم عارف بالنفسية الانسانية ، فإن الاسلام الخالص يمثل أرفع صلة يمكن أن توجد بين الانسان وقيوم السموات والأرض ، بعد سحق جميع القواطع بينها وبينه ، بحيث يكون معها متعرضا لإشراقاتها بدون حجاب من عقيدة تقليدية ، أو حالة نفسية وراثية . فقال الله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا (أى مائلا عن العقائد الباطلة) ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وقد شرح النبي صلى الله عليه وسلم هذه الفطرة فقال : « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . أى أن المراد بإقامة دين الفطرة أن يكون الانسان على الحالة التي ولدته أمه عليها ، خالصا من كل صورة ذهنية ، ومن كل شائبة نفسية .

فالاسلام تحت ضوء هذه النصوص الصريحة يقتضيك أن تبرأ الى الله قبل الدخول فيه من علمك وحولك وموروثاتك ، ومما علمت ، وما تخيلت ، وما أملت ، مسلما نفسك اليه ، مجردا روحك له ، تاركا العلوم ومعارضها ، والفلسفة ومسائلها ، والعادات وتناقضها ، والأديان وتخالفها ، والأثم وتناحرها ، والأهواء ومواطنها ، والوجود المادى وما فيه ، ثم تتوجه بقلب خالص من الشوائب ، وضмир خال من الأذناس ، ونفس صافية من الرعونات ، الى قيوم السموات والأرض ، فارّا اليه من الأغيار ، لاجثا اليه من دعوى الأنانية والاستقلال ، معتصما به من التلونات البشرية ، راغبا اليه أن يهديك لمراشده في هذه الحياة وما بعد هذه الحياة .

هذا ما يقتضيه منك الاسلام أول ما تدخل فيه ، فلو نظرت فيه نظرا علميا

لرأيت أنه المطلوب الذى رمت اليه جهود جميع الفلاسفة والمصلحين ، وسائر فرق الصوفية الأولين والمحدثين ، وعجزت مجتمعة عن تدعيمه هذا التدعيم العلمى العملى على الفطرة الانسانية ، وعن إقامته أصلاً أولياً للدين ، وتعميمه بين الناس أجمعين .

فلو اعتبرت كل ما كان يتواصى به العباقرة والعلماء من أصول التمهيد ، وقواعد التحليل ، لإقامة الدستور العلمى على قرار ثابت ركين ، وما كان يتناقله المتصوفون من أسرار تصفية النفس من الأغيار ، ونخلة القلب من جميع الآثار ، للوصول الى الحق من وراء كل ستار ، لو اعتبرت كل هذا ونظرت الى معنى الاسلام الذى قدمناه لم تعد تحار فى تعليل حدوث ذلك الأثر المدهش بواسطته من انتقال أمة برمتها من دور الجاهلية الجاهلة ، الى دور الحياة الصالحة التى بلغت بالسير عليها الى الزعامة العالمية فى أقل من قرن من الزمان .

نعم : لم تعد العقول تحار فى تعليل الأثر العالمى الضخم للاسلام بعد ما تبين لها أن أساس الاسلام هو الإيمان من كل ما ران على صفحة القلب من الضاليل والأوهام ، والوراثات والتقاليد ، وتعريضه خالصاً نقياً للحق يطبع فيه من صور الخلال الكريمة والأصول القويمة ، والمبادئ السليمة ، ما يجعله إنساناً جديداً متحلياً بكل القوى المعنوية التى ترفعه الى المرتبة التى يستحقها على قدر استعداد جسد وروحا .

وهل نال الأفاضل من كرام هذا النوع ما وصلوا اليه من المراتب الروحية العالية ، إلا بواسطة ما هُذوا اليه من هذه التخليّة ، فلما جاء الاسلام جعل هذه التخليّة التى أفنى العباقرة قواماً فى الوصول إليها أساساً أولياً للدخول فيه . فإن تعجب من انقلاب وحوش الجاهلية الضارية الى أتقياء زهّدة ، ومصلحين بررة ، ومن تطوّر خُشُبها المسندة الى هيم منهومين^(١) يتصيدون كل علم ، ويتلمسون كل حكمة ، ويقتبسون كل فضيلة ويتطلبون كل خير ؛ ويتحرون كل حق ، ويكافون كل باطل ، حتى وصلوا

(١) هيم أى عطاش جم هائم . والنهومين أى المصابين بالنهم وهو بلوغ شهوة الطعام الى أقصى حدودها

الى أعلى ما يمكن أن تصل اليه أمة من جلال وعظمة وسيادة في سنين معدودة . إن تعجب من هذا فإن أعجب منه أن يُعجب الباحثون عن هذا السر العظيم ، وهو الشرط الأول للإسلام عند المسلمين .

فالإسلام بأخص معانيه يحقق لروح الانسان حاجتها من المدد الروحاني ، فإذا أقامه الآخذ به حق إقامته ولو لحظات في صلواته ، نال من الفيض الإلهي ما يأخذ بيده الى مكانات الفاضلين ، ومراتب الأفضاد الممتازين ، وليس بعد الحوادث برهان ، ولا فوق العيان سلطان م
محمد فريز ومبري

تقبيل اليد وغيرها في الاسلام

روى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كنا نقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن حديث وكيع عن سفيان قال : قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب .
ومن حديث الشعبي قال : لقي النبي صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب فالتزمه وقبل ما بين عينيه .

وقال إياس بن دغفل : رأيت أبا نضرة يقبل خد الحسين .

وروى الشيباني عن أبي الحسن عن مصعب قال : رأيت رجلا دخل على علي بن الحسين في المسجد فقبل يده ووضعها على عينيه فلم ينهه .

وقال العتيبي : دخل رجل على عبد الملك بن مروان فقبل يده وقال : يدك يا أمير المؤمنين أحق يد بالتقبيل لعلوها في المكارم وطهرها من المآثم ، وإنك تقل التثريب ، وتصفح عن الذنوب ، فن أراد بك سوءا جعله الله حصيد سيفك ، وطريد خوفك .

ودخل جعفر بن يحيى في زى العامة وكتان النباهة على سليمان صاحب بيت الحكومة ومعه ثمامة بن أشرس . فقال ثمامة : هذا أبو الفضل . فنهض اليه سليمان فقبل يده . وقال له : باني أنت ما دعاك الى أن تحمل عبدك هذه المنة التي لا أقوم بشكرها ولا أقدر أن أكافئ عليها ؟

التفسير

سورة الرعد

- ١٢ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) :

لقد تجلّت في الآي السابقة الآيات والنذر، واتضحّت الدلائل والحجج؛ وتبيّن الطريق لمن ابتغى الهدى من ربه، وتميّز الخبيث من الطيب لمن استعمل عقله ورجع الى لبه، فلم يبق لمتأخر تعمل ولا لمسكار وجه؛ وليس بعد هذا إلا العناد يصدر من عدو نفسه فيحرمه سعادة لا شك فيها ولا ريب ولا بعد ولا حجاب. فعلى هذا الوجه المنير، وبهذا المسلك المضيء، أرسلناك الى أمتك، وقد خلت من قبلها أم كانوا أشد شكيمة وأقوى عنادا، فما كنت بذعاً في الرسل، ولا كان قومك أول من عادى مصلحته ورفض الخير يهدي اليه صريحا، فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فما أنت إلا رسول جئتهم بالوحي من ربك تتلوه عليهم، شاهدا لنفسه بنفسه أنه الحق من العلى الأعلى، فما عليك أن يرفضوه، ويكفّيك أنك قت بما كلفت القيام به، فدعهم يكفرون بنعمة الرحمن أنزلها اليهم وأدناها منهم، فما وبال الحرمان إلا على من يكفر بالرحمن.

فاسم الإشارة في كذلك عائد على إرساله صلى الله عليه وسلم الذي تجلى في الآيات السابقة بآياته وحججه ، وتعاليمه الواضحة لذوى العقول ، وإرشاده السائغ في نظر أولى الألباب . أعاد عليه اسم الإشارة ليعبر به بصورته التي ظهرت ناصعة جميلة فيما تقدم من الآيات ، وشبه به إرساله تعالى له صلى الله عليه وسلم تنويها بشأن ذلك الإرسال ، وكأنه لم يوجد ما يشبه به إلا نفسه . وبعبارة أوضح : إنه شبه الإرسال العام بهذه الصورة التي تجلت في هذا المقام .

ونظير هذا في مجرى التخاطب العادى أن تؤدى موضوعا على وجه يروقك وتصير معجبا به ، فتقول مفتخرا بما كان منك : « على هذا الوجه أؤدى عملى دائما » أو « هكذا أصنع فيما عهد به الى » وأمثال ذلك ، تريد من جهة التنويه بشأن ما صدر منك ، ومن جهة أخرى إثبات أن هذه عادتك وهذا شأنك .

وقوله : « فى أمة قد خلت من قبلها أمم » من باب تهوين أمرها عليه صلى الله عليه وسلم حتى لا يشتد عليه عنادهم ، فهي بمثابة أن يقال : وماذا يضيرك من خلافهم عليك ، وهل هى إلا أمة وكم تقدمها من أمم كانوا أشد منها قوة وأكبر عنادا غفلوا وخلت منهم ديارهم ؟ فلا يهولنك أمرهم ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، إن أنت إلا نذير تنلو عليهم الذى أوحينا اليك ، وهم يكفرون بالرحمن الذى ما أرسلك إلا رحمة للعالمين ، فدعهم فى غيهم يعمهون ، وامض لسبيلك لا تكلف إلا نفسك ، وبشر المؤمنين الذى قبلوا رحمة الرحمن المهداة اليهم .

هذا هو ما أستحسنه فى توجيه قوله : « فى أمة قد خلت من قبلها أمم » .
وبعض المفسرين يرى أن المقصود من الوصف بأنها خلت من قبلها أمم أنها مرت بتجارب من قبلها : وأحرزت علومها مضمومة الى نتائج تفكيرها ، فكانت أمة مكتملة العقل راجحة الميزان بتأخرها فى الزمن عن الأمم الخالية . فيكون الغرض شد أزره صلى الله عليه وسلم وتقوية اتجاهه واهتمامه بما عهد اليه به ، فقد أرسل الى أمة هى

نتيجة الأمم قبلها، مرت بها أدوار الأزمنة، وتجلت لها العبر، وقويت منها المدارك، فحقها أن يبذل قصارى الجهد في دعوتها وتربيتها وإرشادها حسبما يليق بمنزلتها. ويكون قوله بعد ذلك: «وهم يكفرون بالرحمن» من باب تعظيم أمر موقفهم بإبراز شناعته بعد ما أبرز منزلتهم العقلية على وجه يفيد النضوج. وكان حاصل المعنى: قد أرسلناك إلى أمة خطيرة الشأن ضمت إلى علومها ومقولاتها نتائج علوم من سبق من الأمم قبلها، ثم أنت تدعوهم إلى أمر خطير جد الخطر هو أن يقلعوا عما انغمسوا فيه من الكفر بنعمة المنعم، ورفض رحمة الرحمن، فشمّر عن سافك، فما أخطر شأن المدعويين، وما أخطر شأن ما تدعو إليه؛ والآية لا تأبى هذا ولا الوجه الأول. ويلوح لي أن الوجه الأول أقرب. والله أعلم.

وبعضهم يرى أن اسم الإشارة في قوله «كذلك» راجع إلى إرسال الرسل السابقين المستفاد من قوله بعد: «قد خلت من قبلها أم». وبعضهم يرى رجوعه لما سبق في قوله تعالى: «قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب» أي مثل نفاذ أمره في الإضلال والهداية أرسلك في أمة الخ، فهو الفعال لما يشاء، لا يخضع لاقتراح المقترحين من المعاندين والمتعنتين.

وقوله: «في أمة» أي إلى أمة. ووجه اختيار «في» على «إلى» الإشارة إلى أن المرسل إليهم هم من نشأت بينهم وعرفوك وخبروك، فلا تخفى عليهم شمائلك التي اختارها الله لك، فالحجة عليهم بذلك أقوى «لتنالو عليهم الذي أوحينا إليك» أي لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الشأن. ويستفاد عظمه من ذكر صفته بدل ذكر اسمه، فكان أم شيء يسترعى النظر فيه هو أنه وحينما إليك، وكفى به عظما. وإسناد أوحينا إلى ضمير المتكلم المعظم يقوّي ذلك؛ ثم تقديم الجار في قوله «عليهم» للبدء بالمقصود الأم من هذا الإيحاء وهو تحصيل مصاحبتهم، فمن حقهم أن يكونوا أحرص الناس عليها؛ ولتتشوف النفس إلى ذكر المتلو، فإذا صرح به تلففته النفس عن شوق، فكان أرسخ في العقل.

ومن جمال التعبير في الآية الكريمة أنه في جانب الإرسال لاحظ أنها أمة تمثل كتلة واحدة ، وكذلك في خلو الأُم قبلها أفرد الضمير العائد عليها لأنه يحضرها جملة واحدة ، فلما ذكر التلاوة عليها أتى بضمير الجمع «عليهم» وهو يحضر المرجع على وجه التفصيل ، فكان التلاوة كانت على الأفراد كل واحد منهم قصداً قصداً ، وهذا هو الشأن في التبليغ : أن يكون قد وُجّه إلى كل مكلف ليبلغه ولتقوم عليه الحجة . وكذلك في قوله : « وهم يكفرون بالرحمن » فإن كفر كل كافر لاحق بخويصة نفسه ، لا يلحق الأمة منه مجتمعة إلا ما يكون من تفریطها في نهيه ، أو من باب شؤم المعصية تنفشي فلا تصيب الذين ظلموا خاصة . ولكن الأصل فيها أن لا تتر وازرة وزر أخرى . وجملة وهم يكفرون بالرحمن حال من «أمة» . وسوّج الحال منها وصفها بجملة قد خلت من قبلها أُم ، أي أرسلناك اليهم حال كفرهم بالرحمن ؛ أو حال من الضمير في عليهم . وقد كان يتلو عليهم ما أوحى إليه حتى في حال كفرهم ، فقد كان لهم من العقول ومعرفة وجوه الإعجاز ما يُعَدُّهم لقبوله وفهمه ؛ وكثير منهم آمن لمجرد سماع تلاوته ؛ ومنهم من كان يشارف الإيمان بل يعترف بقلبه ويثنى عليه بلسانه ثم تنفخ فيه العزة القومية والحمية الجاهلية بكبريائها فإذا هو ناكص على عقبيه ، أرايت ذلك الذي قال : « والله إن له خللاوة ، وإن عليه طلاوة ، وما هو من كلام البشر » ثم لما قالوا له : صبوت الى محمد قال : أمهلوني ، ورجع الى غيه وضلاله ؛ « قل إن الله يفضل من يشاء ويهدي اليه من أناب » . فيكون المعنى أرسلناك الى أمة كافرة بالرحمن لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك حال كفرهم ، فلعلمهم يقلعون عن كفرهم ، ويتبعون ما تلوته عليهم .

« قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب » :

أمر له صلى الله عليه وسلم من قبل ربه بأن يقابل كفرهم بنعمة الرحمن عليهم وبرحمته وألوهيته ، بما يدل على الاعتراف بربوبيته تعالى له ، وأنه المفيض عليه من نعم الإيجاد والتربية والتكميل ما يطلق لسانه بالإقرار ، وبملا قلبه من الإذعان والإيمان ، ثم يلقيهم

الحجر بإثبات أنه الإله الواحد، لا إله إلا هو، فليس لهم من يستنصرون به فينصرهم، أو يستجبرون به فيجبرهم، فهو وحده الله الذي لا إله إلا هو. ثم فت من عضدهم، وأوقع الرعب في قلوبهم بإعلانهم أنه توكل عليه واعتمد عليه، وهو القوى الغالب لا إله إلا هو، أي فهو ناصره ومؤيده عليهم، وخاذلهم ومنتقم له منهم.

وقوله: «واليه متاب» أي رجوعي في كل أموري، أو أتوب اليه وأستغفره مما عسى أن يكون قد فرط مني. فعلى الأول يكون «واليه متاب» من تقرير الغرض السابق وهو اعتزازه بربه القوى الغالب. وأما على الثاني وهو أن المراد أني أتوب اليه وأرجع عما فرط مني من تقصير فأستغفره منه، فإن موقعها يكون من باب تهيئة الفرصة وفتح الطريق لمن شارفت الهداية قلبه، وتعرض بهم ليشوبوا الى رشدهم فيقبلوا على ربهم، أي أني مع قياي بما أمرني به جهد استطاعتي أرجع وأتوب اليه وأستغفره من ذنبي، فكم يكون حريا بكم وهو ربكم الذي خلقكم ووهبكم النعم التي ترفلون فيها، وقد عصيته موه وتعرضتم لغضبه، أن تتوبوا اليه وتستغفروه، فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

اللهم إنا نتوب اليك ونستغفرك، فاقبل توبتنا، واغفر زلتنا، إنك غفور رحيم.
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
ابراهيم الجبالي

فضل الصداقة على القرابة

قيل لبزرجمهر (وهو حكيم فارسي): من أحب اليك: أخوك أم صديقك؟ فقال: ما أحب أخى إلا إذا كان لي صديقا.

وقال أكرم بن صيفي: القرابة تحتاج الى مودة، والمودة لا تحتاج الى قرابة.
وقال عبد الله بن عباس: القرابة تقطع، والمعروف يكفر، وما رأيت كتنقارب القلوب.
وقالت الحكماء: رب أخ لك لم تلده أمك. وقالوا: القريب من قرب نفعه. وقالوا: رب بعيد أقرب من قريب.

سوانح ونصائح

- ١ — المجادلات لا توصل الى الحق، والكلام لا ينتهى ولا يفرغ مهما كان الحق واضحاً لمن أراد أن يشاغب . وإنك لتعلم أن إبليس لم يخضع للأمر الإلهى ، بل جادل كل المجادلة فى سجوده لآدم ، ولم يقتنع بشيء مع كون خصمه هو الله . وقد قال تعالى فى حق قوم من المعادين : « وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً ، وإن يروا سبيل النى يتخذوه سبيلاً » . وقال : « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرّجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » . وقال فى المتمنتين أيضاً : « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا » الى آخر ما جاء فى القرآن وهو كثير . ومن درس استعداد الانسان عرف أنه يجمع العجائب والغرائب ، ومظهر المتضادات والمتناقضات .
- ٢ — المحبة ، أو نقول العواطف والأُميال ، تجعلك عمياً عن كل شيء إلا ما يوافق هواك ونزعانك . وقد قال الله فى حق قوم : « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا » . فاذا كان هذا فى حق القرآن الذى هو آيات بينات فكيف بغيره !
- ٣ — عرفتنا الحوادث السياسية بعد الحوادث التاريخية كيف تفضل الأمم فى الواضحات ولا تدرك الجليات . وبهذا عرفنا مقدار الأنبياء وقوة استشعارهم بالحق حتى لم يؤثر فيهم الوسط الذى هم فيه ، ولم يرعهم إجماع البيئة التى نشئوا فيها ، ولم تشككهم مخالفة جميع الناس لهم ، ولا أوحشهم انفرادهم فى طريق الهدى ، والناس مطبقون على الضلال يسرون على غير هدى ولا بصيرة كأنهم لا يبصرون ولا يعقلون . فانظر كيف لم تتسرب الوسواس الى نفوسهم عليهم السلام مع كونهم يرون إطباق الناس على الباطل ، بل اعتقدوا بقوة نور بصيرتهم أن الناس سائرون فى الظلمات ،

فهم مساكين يرثى لهم ، وجهلة يبسكى عليهم ، حيث إنهم يجهلون ولا يعلمون أنهم يجهلون .

فليت شعري مامقدار ذلك النور الذى لم تؤثر فيه تلك الظلمات ، ولا أطفائه عواصف الشكوك والشبهات ، ولا قوة المخاصمات والمجادلات ، ولا كثرة الوجدانات والاعتقادات . وكأنهم يرون الغيب شهادة ، وما وراء الطبيعة محسوسا ، حتى قبل الرسالة والوحى ، بفضل ما أوتوا من استعداد رفيع وطهارة ذاتية : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) . فذاذ أن يفرك إجماع ذوى الجهالات وإطباق ذوى الظلمات ، واعرف استعداد الانسان واعتقد أنه قابل لكل شئ من الحق والباطل والضلال والهدى الخ ، فلا نحترمهم فى السياسات ولا فى الطبيعيات ، ولا فى شئ من الأشياء إلا بالبرهان الساطع ، وسل الله التأييد والتسديد .

٤ - — يمكنك أن تعيش فى عصر السلف الأول بل فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك بقصرك نفسك على كتب الدين وسيرة الصالحين . يمكنك أن تعيش فى أى عصر من العصور بتلك الوسيلة . فإن الانسان ليس إلا عبارة عما ينقش فى نفسه ، وما يصدر منه إنما هو مقتضى تلك النقوش .

٥ - لا عبرة بغير الأشياء العملية واكتساب العلم الصحيح ، وتكوين ملكته فى النفوس لا يكون بغير العمل . ولا قيمة لتلك النظريات وإن تبعها كثير من التشديق والثرثرة . وما الانسان إلا صورة مما يحيط به وينقشه فى نفسه . فمن الغلط البين اغترار كثير من الناس بالعلوم النظرية حتى يظن ذووها أنهم اتصفوا بها وفازوا بشمرتها . مع أن هذا الصنف من الناس فى علمه هو بمنزلة من قال الله فيهم : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم » . وقد قالوا : العلم يهتف بالعمل ، فإن أجب وإلا ارتحل . نذوق العلم وتكيف النفس به لا يكون إلا بالعمل ، وإلا كان شقشقة فى العلماء تشبه النفاق فى المؤمنين ، وكان ممن حق عليهم قول الله تعالى : « لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » !

وقد أذكرني هذا لمناسبة ما ما يحكى من أن الشيخ محي الدين بن العربي رأى جنازة الفيلسوف ابن رشد ومؤلفاته محملة أمامه، فسأل عنه فقيل إنه الإمام ابن رشد وهذه كتبه، فقال :

هذا الامام وهذه أعماله ياليت شعري هل أنت آماله

يريد بذلك أن هناك فرقا كبيرا بين العلم العملي الذى يسيطر على القلوب وتكيف به الأذواق وتنصبغ به النفوس ، وبين العلم النظرى الذى تؤديه الألسنة ويبرع فيه المتشدقون : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام » .

ومن ذلك الوادى ما يزعمه كثير من الجهلة أو من ذوى الأغراض الخبيثة من تحميد السفور والاختلاط ، خصوصا فى المتعلقات ، اعتمادا على ما تلقننه فى تعليمهن من تلك النظريات التى لا تسمن ولا تغنى .

وهؤلاء المغرورون كأنهم ليسوا فى الوجود ، فلم يعتبروا بالتجربة والمشاهدة والنتائج السيئة التى تراها كل يوم من جراء ذلك الاختلاط ، فقد جهلوا الفلسفة والدين ، فإن الأمر طبيعى شديد له أ كبر سلطان على النفوس بمقتضى الغريزة ، والنظريات لا تقاوم الطبيعيات . ولكن ما لهم ولتلك التحليلات الفلسفية وهم أرباب شهوات وأهواء لادين وفلسفة ! ولهذا لم يكتف الله تعالى بالعظات النيرات والزواجر البالغات ، بل شرع الحدود والتعذيرات ، علما منه بما جبلت عليه النفوس البشرية « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » . وقد كان عندنا وظيفة تسمى وظيفة الحسبة . ولعلنا نكتب فيها بعد . أسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، وألا يكلنا

الى أنفسنا طرفة عين بمنه وكرمه
 يوسف الدجوى
 من هيئة كبار العلماء

بَابُ السُّبُعِ الثَّوَالِفِ وَالْفَتَاوَى

حد الرشد

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما خلاصته :

رجل مات عن أولاد ذكور وإناث ، ويراد إقامة وصى عليهم ، فما رأى علماء الشافعية والمالكية فيما يعتبر به الشخص ذكراً كان أو أنثى ، بالغاً رشده ، مالكا التصرف في ماله ؟
محمد عمر دمرداش

الجواب :

يعتبر الشخص عند الشافعية ذكراً كان أو أنثى رشيداً مالكا أن يتصرف كل التصرفات المالية ، إذا كانت سنه خمس عشرة سنة ؛ وأظهرت عليه علامة من العلامات الطبيعية للبلوغ ، بعد أن تكون سنه تسع سنين فأكثر ؛ ويجب أن يكون في كل من الحالتين حسن التصرف في ماله .

أما المالكية فالذى جرى عليه العمل عندهم أن الولد ذكراً كان أو أنثى تكون تصرفاته المالية ماضية ، إذا كان بالغاً حسن التصرف في ماله .

ويعتبر بالغاً إذا ظهرت عليه علامة من علامات البلوغ الطبيعية ، أو كانت سنه ست عشرة سنة . والله أعلم ؟

التيمم

سيدة مسلمة شافعية المذهب مريضة بمرض مزمن « دوسنطاريا » ويتحرك هذا المرض كلما اغتسلت في الغالب الأعظم بنسبة ٨٥ ٪/ فيعاودها المرض بحالة تختلف شدة وحدة ، حتى لتستمر في العلاج مدة تتراوح بين ثلاثة أشهر وستة .

فما رأيكم في جنابة مثل هذه السيدة ، وكيف تتوضأ ، وهل لها أن تتيمم للطهر من الجنابة ، أو تغتسل بعد كل جنابة ، وإذا تيممت للطهر من الجنابة ، فهل تكرر هذا التيمم عند كل صلاة ، ثم تتوضأ بالماء ولو لم ينتقض وضوء الصلاة السابقة ؟

مشتركة بالجملة

الجواب :

مذهب الشافعية أن هذه السيدة إذا عرفت بتجربة من نفسها أن المرض يعاودها إذا هي اغتسلت بالماء ، كان لها أن تتيمم للجنابة ، وعليها أن تغسل مع التيمم مالا يضرها غسله من بدنها ، ولا تصلى بهذا التيمم أكثر من فرض واحد ، ولها أن تصلى به ما شاءت من النوافل ، فإذا أرادت أن تصلى فرضاً آخر ، وجب عليها إعادة التيمم ، وهي كالأصحباء في الوضوء متى قدرت عليه .

وعند المالكية لا يجب عليها أن تتوضأ في هذه الحالة ، ولا أن تغسل ما تستطيع غسله ، بل يكفيها التيمم متى كانت غير قادرة على الاغتسال ، وعليها أن تكرر التيمم لكل صلاة مفروضة .

ولهذه السيدة أن تعمل بمذهب المالكية ، والله أعلم ؟

الرضاع

رجل يريد التزوج بابنة عمته ، وأمه تدعى أنه رضع من عمته ، وعمته تنكر ذلك ، وكل منهما يصّر على قوله ، ولا شاهد هناك سوى ذلك ، فهل يجوز لهذا الرجل التزوج بابنة عمته المذكورة ؟

محمد السعيد صقر

الجواب :

لا تثبت حرمة الرضاع بين الرجل والمرأة عند الحنفية والشافعية والمالكية بقول امرأة واحدة .

وعلى ذلك يحل لهذا الرجل أن يتزوج بابنة عمته المذكورة ، والله أعلم ؟

الطريق

رجل غضب مع زوجته ، فذهبت الى بيت أبيها ، ثم دخلت عليه جارتها ، وقالت له : « مالك زعلان مع زوجتك » فقال لها : « ماهى زوجتى ولا أعاشرها ولا تدخل على البيت ولا هي على ذمتي » فسئل عما يقصده من هذه الألفاظ ، فقال : « الطلاق » . وقبل أن تنقضى عدتها خوطب في مراجعة زوجته ، فأجاب : « تكون حراما زى أمى وأختى لا أروحها الى يوم

القيامة » . وبعد ستة أشهر انقضت فيها عدتها راجع اليمين بغير عقد ، وعاشرها مدة ست سنوات رزق منها خلالها بولد وبنت ، وبعد وفاة الولد والبنت ، حصل نزاع بين الزوجين فأخرجها الزوج من بيته ، وأحضر المأذون وقال أمامه : « تروح وهى خالصة » وكانت الزوجة فى ذلك الوقت غائبة عن المجلس ، وبعد مضى أربعين يوما ، أحضر المأذون ثانية لأخذ حقها وللبراءة ، ولإثبات الطلاق ، فأرسل المأذون للزوجة شاهدين للتبرئة ، فأبرأته أمامهما ، وأخبرا المأذون بذلك ، فقال للزوج قل لها « روحى بمثل ماقلت » فقال الزوج ذلك ، وبعد ثمانية أشهر تقريبا أراد الزوج أن يراجع زوجته ، فهل يحل له ذلك أو لا يحل ؟

محمد عبد الحافظ السيد

الجواب :

يجوز لهذا الرجل أن يرجع زوجته إلى عصمته بعقد ومهر جديدين ، ويملك عليها بعد ذلك أن يطلقها مرتين عند الحنفية ، ولا يملك عليها إلا مرة واحدة عند الشافعية . والله أعلم ؟

فى الميراث

أخت توفيت عن بنتين شقيقتين ، وأخت شقيقة ، وثلاثة ذكور أولاد ابن . فن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ، وما نصيب كل ؟

زينب احمد يوسف

الجواب :

المفهوم من السؤال أن المرأة توفيت عن بنتها ، وعن أختها الشقيقة ، وعن ثلاثة ذكور ، هم أولاد ابنها ، والميراث فى هذه الحالة للبنتين ، ولأولاد الابن الذكور ، فللبنتين الثلثان ، ولأولاد الابن الباقى ، ولاشئ لأختها الشقيقة ، لأنها محجوبة بأولاد الابن ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

اللغة الأدبية

واختلاف اللهجات العربية قبل الاسلام

يتمسك بعض الباحثين بنظرية اختلاف اللغات عند العرب قبل الاسلام في صدد البحث عن صحة الأدب الجاهلي المنقول الينا على السنة الرواة معزوا الى العرب السابقين . وحديث اختلاف لغات العرب قديم ، تكلم فيه علماء اللغة وأئمة الأدب منذ فجر النهضة الاسلامية دون أن يفضى بهم البحث الى عدم التسليم بصحة الكثرة المطلقة من هذا الأدب ، ولكنهم عرفوا أن منه مصنوعا منحولا ، فبهرجوه وأرجعوا ذلك الى أسبابه العلمية بمقاييس من النقد والتحقيق .

قال محمد بن سلام الجحى في كتاب طبقات الشعراء : « وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل منه كل غناء ، محمد بن إسحاق مولى آل خزيمة بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكان من علماء الناس بالسير ، فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، إنما أوتي به فأحمله . ولم يكن ذلك له عذرا ، فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط ، وأشعار النساء ، فضلا عن أشعار الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ ألوف من السنين والله يقول : « وأنه أهلك عادا الأولى وثمودا فما أبقى » وقال في عاد : « فهل ترى لهم من باقية » وقال : « وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله » ؟ قال يونس بن حبيب : أول من تكلم بالعربية اسماعيل بن ابراهيم ، وأخبرني مسمع بن عبد الملك أنه سمع محمد بن علي يقول : قال أبو عبد الله — وأظنه قد رفعه : « أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه اسماعيل بن ابراهيم » وأخبرني يونس عن أبي عمرو قال : العرب كلها ولد اسماعيل لإلحيم وبقايا جرم . وكذلك يروى أن ابراهيم جاورهم وأصهر إليهم ، ولكن العربية التي عنى محمد بن علي هو اللسان الذي نزل به القرآن .

وقال أبو عمرو بن العلاء : « ما لسان حمير وأقصى اليمن بلساننا ولا عريتهم بعريتنا » هذا كلام ابن سلام ، ومنه ترى أن العلماء الأعلام تنبهوا الى نظرية اختلاف اللغات وأثرها في تمييز الأدب الصحيح من الزيف ، حتى جعلوها أسما من أسس نقد الأدب وتصحيح عزوه لقائله .

وقال العلامة ابن خلدون في مقدمته : « وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصاريف كلماته ، تشهد بذلك الأتقال الموجودة لدينا خلافا لمن يحمله القصور على أنهما لغة واحدة ، ويلتمس إجراء اللغة الحميرية على مقاييس اللغة المضرية وقوانينها ، ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها » .

هذا الاختلاف الواسع الذي تصوره عبارة ابن خلدون يجعل لغة قبيل من العرب مستقلة تمام الاستقلال عن لغة القبيل الآخر ، مغايرة لها في قواعد تصريفها وحركات إعرابها حتى تكون منها بمنزلة لغة أخرى أجنبية عنها ، لا يصدق إلا على عهود العرب السحيقة واستقرار شعوبهم في مواطنهم الأولى قبل حوادث الهجرة التي مرزجت بينهم مزجا سوغ للجاحظ أن يقول عنهم في كتاب البيان والتبيين : « فأما الخواص اخلص فإنهم قالوا : العرب كلهم شيء واحد ، لأن الدار والجزيرة والأخلاق والشيم واحدة ، وبينهم من التصاهر والتشابك والاتفاق في الأخلاق وفي الأعراق من جهة الخؤولة المرددة والعمومة المشتبكة ، ثم المناسبة التي بنيت على غريزة التريبة ، وطبيعة الهواء والماء ، فهم في ذلك شيء واحد ، فالطبيعة والهمة والشماثل واللغة كلها واحدة » .

لكن بعد هذا المزج والاختلاط بين الشعوب العربية في الشمال والجنوب ، قد أخذ هذا الاختلاف اللغوي يخف ويتضاءل شيئا فشيئا ، حتى أشفى على الزوال ، وتوحدت اللغة العربية عند جميع القبائل في ظل اللغة المضرية ، ولم يبق إلا هذا « الاختلاف في لهجات القبائل اختلافا لا يخرجها عن أن تعد لسانا واحدا ، وأن يكون هذا اللسان

ذا قوانين تجرى في هذه اللهجات بأسرها». وقد نبه العلماء على مواطن هذا الاختلاف وسموه اختلاف لغة. قال ابن فارس في كتاب فقه اللغة: «باب. القول في اختلاف لغات العرب: اختلاف لغات العرب من وجوه: أحدها الاختلاف في الحركات، كقولنا نَسْتَعِين، ونِسْتَعِين - بفتح النون وكسرها». ثم ذكر ابن فارس على هذا النحو قرابة ثمانية عشر وجها، الى أن قال: «وكل هذه اللغات مسماة منسوبة الى أصحابها، وهي وإن كانت لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاورها كل» ويسميه ابن جني في كتاب الخصائص «بُعْدًا» وأثبت مع هذا البعد أنها لغة عربية فقال: «ويكفي من هذا ما نعلمه من بُعد لغة حمير من لغة نزار... غير أنها لغة عربية قديمة». وقول أبي عمرو بن العلاء: ما لسان حمير وأقصى اليمن بلساننا ولا عريتهم بعريتنا، يحمل في أعطافه تأييد ما ذهبنا اليه.

على أن قوله: وأقصى اليمن، يشير الى أن هذا الاختلاف الذي عناه أبو عمرو إنما كان في الأصقاع النائية قبل اختلاط العرب اختلاطا تاما برحلة اليمانيين إثر حادث السيل الى الشمال، وتوطن كثير منهم الحجاز، ورحلة بعض الحجازيين الى اليمن. فقد روى أبو الفرج في الأغاني أن ربيعة - وهي قبيلة عظيمة العدد، حجازية المنشأ، عدنانية الأصل - استوطنت اليمن حينما من الدهر ثم خرجت منه. قال في ترجمة «المرقس الأكبر»: وكان من خبر المرقش الأكبر أنه عشق ابنة عمه «أسماء» بنت عوف بن مالك - وهو البرك - عشقها وهو غلام، فخطبها الى أبيها، فقال: لا أزوجك حتى تعرف بالبأس. وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن.

وإذا رجعنا الى التاريخ وجدنا في ثناياه ما يحقق نظرية توحد اللغة العربية قبل الاسلام بقرون كثيرة، ولا سيما اللغة الأدبية، أي لغة الشعر والخطابة، وأحاديث المجتمعات في الأسواق وغيرها، فابن خلدون يقول: إن العرب العاربة هم الفاعلون للمروية والابتدعون لها. ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه يعرف كنه تلك اللغة التي ابتدعها

العرب العاربة أول نشأتهم ، إذ لا يوجد أثر أدبي صحيح من الوجهة التاريخية يدل على حقيقتها ، ولا قيمة لهذا الشعر الذى يرويه محمد بن إسحاق فى سيرته معزوا الى عاد وثمود ، وقد عرفت شأنه فى كلام محمد بن سلام المتقدم ، ولكننا نجد ابن الأثير يقول فى الجزء الأول من تاريخه عن هؤلاء العرب العاربة : « وكانوا عربا ، لسانهم عربى ... ويتكلمون بهذا اللسان المضرى » وهو أيضا ليس فى يده دليل على هذه الدعوى إلا ذلك الشعر المزور .

بيد أن مؤرخى العرب يجمعون على أن القحطانيين كانوا معاصرين لا لخوانهم من العرب العاربة ، ومظاهرين لهم على أمورهم . وهنا يجدر بالباحث أن يتساءل أمام هذه الحقيقة التاريخية : أفكانت المعاصرة والمظاهرة تتم دون لغة عامة تسود الشعبين جميعا يقع بها التفاهم الذى تقضى به الحياة الاجتماعية فى قوم متعاصرين متظاهرين يضمهم وطن واحد ؟ وهل كانت تلك اللغة شيئا غير العربية التى صار إليها القحطانيون فاستحقوا التسمية بالعرب المستعربة فى رأى كثير من المؤرخين ؟

أما العدنانيون فهم فى حقيقة أمرهم قحطانيون يرجعون فى أرومتهم الى جرم الثانية التى جاءت الى الحجاز وعمرته حتى هاجر اليه ابراهيم عليه السلام ، وأسكن من ذريته اسماعيل بين هؤلاء العرب اخلّص الذين هاجروا من أوطانهم ، ولهم جميع خصائص العروبية من أخلاق وعادات وآداب ، ولا سيما اللغة التى هى المظهر الطبيعى لأية أمة من الناس ، ولم يقل أحد من المؤرخين إن جرهما هذه كانت ترتضخ عجة ، أو أن لسانها انفلت عن العربية الى غيرها بعد أن حلت بالحجاز واتخذته نزلها ، وليس فى وجود اسماعيل بينهم ما ينزع عربيتهم ويحولهم الى حال أخرى ، لأن اسماعيل أتى به أبوه الى الحجاز رضيعا كما هو صريح حديث البخارى ، ولم يكن معه من غير العرب سوى أمه هاجر ، فالمعقول أن يكون وجود اسماعيل صغيرا فى خضم تلك الكثرة الجرهمية الغامرة من العرب الصرخاء الأقحاح يجعل منه عربيا فى أخص صفاته ، وهو

اللغة التي عليها مدار التفاهم العام ، بل التفاهم الخاص الذي يقضى به مقام اسماعيل بينهم .
وليس في الحديث الذي رواه ابن سلام « أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه
اسماعيل بن ابراهيم » متمسك للمخالفين ، لأنه — على تقدير صحته — « لا يدل إلا على
أن اسماعيل نسى لغة أبيه ابراهيم ، ومقتضاه أن العدنانية الذين هم من ذريته قد خلقوا
ينطقون بالعربية ، وليسوا هم الذين محيت لغتهم الأولى من صدورهم ، وثبتت فيها هذه
اللغة المستعارة » . على أن السهيلي روى في كتاب (التعريف والأعلام) من طريق ابن
عبد البر عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن أول من كتب بالعربية أبوهم اسماعيل »
قال ابن عبد البر : هذا أصح من رواية : أول من تكلم بالعربية اسماعيل .

وقد علمت فيما سبق أن ابن سلام قال : إن العربية في هذا الخبر هو اللسان الذي
نزل به القرآن ، وهذا يتفق مع ما رواه الطبراني وذكره الجاحظ في البيان والتبيين
« أول من فتمق لسانه بالعربية المبينة اسماعيل » لأن المراد بالعربية للمبينة هذه اللهجة
الفصحى ، وهي لغة القرآن الحكيم م

صادق ابراهيم عربونه

الاستدلال باللفظ على الضمير

قالت الحكماء : العين باب القلب ، فما كان في القلب ظهر في العين .
وروى أبو حاتم عن الأصمعي عن بونس عن ابن مصعب عن عثمان بن ابراهيم بن محمد أنه قال :
إني لأعرف في العين إذا عرفت ، وأعرف فيها إذا أنكرت ، وأعرف فيها إذا لم تعرف ولم تنكر .
أما إذا عرفت فبحوص ، وأما إذا أنكرت فبجحظ ، وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فبسجو .
نقول : (الحوص) بفتحين : ضيق مؤخر العين . و (الجحظ) بفتحين أيضا : اتساع
المقلة وبروزها . و (السجو) بفتح فسكون : سكون العين .
وقال محمود الوراق :

إن العيون على القلوب شواهد	فبغيضها لك بين وحبها
وإذا تلاحظت العيون تفاوضت	وتحدثت عما تجون قلوبها
ينطقن والأفواه صامته فما	يخفى عليك بريئها ومريها

سفر بعثة «فؤاد الاول» للآزهر

كلمة جامعة لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

سافرت أول بعثة أزهرية الى البلاد الأوربية للتخصص في بعض العلوم العالية ، وهى من أجل ما تر حضرة صاحب الفضيلة الامام الشيخ المراغى ، لأن الأزهر بعد اليوم سيحل مكانه بين الجامعات العالمية الكبرى بفضل ما يجمع أهله بين الثقافتين . وقد شيع فضيلته أول بعثة نائرا عليهم من نصائحه درراغوالى ، فقال حفظه الله :

أبناء الأعزاء :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله » .

أما الذين فكروا في هذه الهجرة فالله سبحانه هو العليم بنياتهم ، وأسأله أن يوفر لهم أجرهم ، وأما أنتم فأرجو أن تكون هذه نياتكم ، وأن تشعروا بمقدار العبد الذى حملتموه . أريد منكم وأريد من الأزهر الشعور بالواجبات الانسانية العامة للجماعة البشرية ، فقد أدى العلم واجبه نحو هذه الجماعة ، وفكر في الكون وقدر ، واهتدى الى السنن الإلهية وانتفع بها ، فأفاد الناس منه خيرا عظيما ، وقد صحب هذا الخير شرور طغت عليه وأربت ، ذلك أن تقدم العلم لم يساير تقدم التأثير الدينى والروحى ، فجاءت آثار العلم والقلوب مقفرة من خشية الله ورهبته ، والعقول تنظر الى الأديان نظرها الى شئ تاريخى خال من الحياة والبهجة والأنس والسرور . ولو أن حملة الدين سايرواحمة العلم وتقدموا بقوة اليقين ، يحببونه للناس ، ويرغبونهم فى الفضيلة من حيث هى ، ويدعمون الحياة الروحية بالأساليب الجذابة ، ويؤاخون بين العلم والفضيلة ، لكان الناس اليوم فى سعادة وهناءة .

وجد شيء من الاستقرار في نظام العالم، وضعفت هذه العداوات التي تخلفها المادة وتثيرها شهوات الاستمتاع. وإذا كان رجال السياسة لا يجمعون عن فتح البلدان وسفك الدماء بدعوى تمدن هذه البلدان، فكيف يتوانى رجال الدين عن فتح سلمى لا يسفك فيه دم ولا يظعن فيه برح، وما هو إلا موعظة حسنة، ونصح لله ولرسوله، وإرشاد إلى الفضائل والخير، وإلى بيان حقوق الفرد وحقوق الجماعة، بحيث لا يظنى الفرد على الجماعة والجماعة على الفرد. وقد كان أسلافكم خير الدعاة، وخير الهداة، وأفضل من ضحى بنفسه في سبيل إسعاد الجماعة.

أتم أيها الأبناء نواة هؤلاء الهداة، وسيكون لكم إن شاء الله إخوان يلحقون بكم يسعد بكم وبهم الأزهر أولاً، ثم تسعد بهم الأم الإسلامية، ثم تسعد بهم الجماعة البشرية. أرسلكم الأزهر وهو ينتظر وقلبه يخفق، وأنا واثق من أنكم ستكونون بهديكم وبقولكم وعملكم ومحبتكم أحسن الأمثلة لخريج الأزهر الشريف، وستكونون بجدكم في تحصيل العلم وتفهم الأساليب ومعرفة طرق البحث ودراسة العقليات الغربية من المجاهدين الصابرين، ولا تغفلوا عن أنكم ستجدون من العلماء وطلبة العلم وطلبة الحقيقة من يحتاج منكم إلى تصحيح رأيه في الإسلام، وإلى عرض الإسلام عليه ونشر فضائله وبيان خصائصه، ففي هذه الحالة يكون واجبكم واجب المرشد، وواجب المعلم الناصح لا واجب التلميذ. أتم في البلاد التي ستقيمون فيها مرشدون أولاً وتلاميذ ثانياً، ولا يعفيكم واجبكم الثاني من واجبكم الأول الذي هو في الحق المقصد الأسمى من هجركم. وفقكم الله !

« والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » صدق الله العظيم

ترجمة القرآن الكريم

تأني حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى
شيخ الازهر بحثا علميا مستفيضا في ترجمة معاني القرآن الكريم
من صاحب الفضيلة السيد محمد بن الحسن الحجوى وزير المعارف في حكومة
المغرب الاقصى ، فنشره لحضرات القراء لما فيه من الفوائد العلمية .

سأل سائل : هل تجوز ترجمة القرآن العظيم الى اللغات الأخرى غير العربية ؟ وهل
ترجمته تسمى قرآنا ؟ وهل تنزل منزلته في أحكامه كالصلاة به ، والوعظ ، وأخذ الأحكام
الفقهية الفرعية والأصولية ، وعدم مسه للجنب والحائض ، الى غير ذلك من الأحكام . ؟
وجوابها : أن ترجمة القرآن العظيم الى اللغات الغير العربية للمعارف الماهر في العربية وفي
اللغة الأخرى التي يريد الترجمة اليها بحيث يكون عارفا بالنحو والصرف والبيان بفنونه ،
وبالأصول مع أسباب النزول ، وكل الآلة التي توصله لذلك ، ويكون عارفا بما يناسب ذلك من
اللغة التي يترجمه اليها ، أمر جائز لا بأس به كما تقتضيه الأدلة الشرعية .

وقد استدلل الامام الشاطبي في الموافقات على جواز ترجمة القرآن باجتماع الأمة على جواز
تفسيره للعامة ومن ليس له من الفهم ما يقوى به على إدراك كل معانيه الدقيقة . كذلك الامام
البخارى استدلل في صحيحه على جواز ترجمة القرآن الى لغات الأعاجم بعكسه ، وهو ترجمة
التوراة الى العربية بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويأتى لنا نصه قريبا .

بناء عليه : تجوز ترجمته ولو كانت الترجمة مقتصرة على بيان أصل المعنى المدلول بالصراحة
أو بالظاهر للجملة المترجمة ، ولو خلت عن بيان الدقائق والمعاني التي لا يتفطن لها إلا مهرة
العلماء وتتعدّر ترجمتها الى اللغة الدارجة العامة أو غيرها من اللغات ، بل ترجمته من الأمور
المربّغ فيها ، بل يصح لنا أن نقول إنها من فروض الكسفاية التي يجب على الأمة القيام بها ،
فاذا قام بها البعض سقط عن الباقيين القيام بها ، وإن لم يقم بها أحد أمم الكل .

برهان ذلك : أن القرآن تبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال في خطبته
المشهورة غداة فتح مكة ، وفي خطبته في حجة الوداع : « فليبلغ الشاهد منكم الغائب » كما في أصح
الصحيح ، وقال : « بلغوا عني ولو آية » ، وقد أوجب الله على رسوله التبليغ فقال : « يا أيها الرسول
بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » ، فالنبي صلى الله عليه وسلم بلغ

العرب بلسانهم كما قال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » ، ويجب على العرب أن يبلغوا لغيرهم من الأمم نيابة عنه ، ولذا قال لهم : بلغوا عنى ولو آية . ومن المجمع عليه أن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الأمم ، ولا يمكن التبليغ لجميع الأمم عادة إلا بالترجمة للغاتهم . فالواجب لا يتأدى إلا بترجمة القرآن العظيم لجميع اللغات ترجمة مدققة بقدر الامكان ، فإدامت أمة من الأمم لم يترجم القرآن الى لغتها ففرض الكفاية لم يؤد ، ولم يحصل القيام بالتبليغ من الأمة كما ينبغي .

فالواجب على أمم الاسلام تأليف لجنة من خول العلماء والمترجمين لترجمة القرآن الى سائر اللغات ، ونقد الترجمات الموجودة منه ، والفحص عنها وإصلاح أغلاطها . وتكون هذه اللجنة أحد فروع جمعية الدعاية الاسلامية التي يرى بعض علماء الأزهر وجوب القيام بها لتقوم الأمة بالواجب الذي فرضه القرآن عليها ، وهو التبليغ ، والدعوة الى مكارم الدين الحنيف ، والكشف لعموم الأمم عن حقائقه وشرائعه ، وما فيها من خير للبشر عامة .

ولا نريد بالترجمة إبدال كل لفظ بما يرادفه أو يقاربه في اللغة الأخرى ، فهذا غير ممكن في كل آياته ، وإذا أمكن في البعض كان في الغالب غير مصيب روح المعنى ، فهو إذن تبديل ، وربما يقال عنه تحريف ، إذ ما يظن من الترادف أو التقارب قد لا يكون كذلك ، وها نحن نرى كثيرا من الألفاظ في لغتنا يظن ظانون أنها مترادفة فإذا هي متخالفة . وإنما نريد ترجمة المعنى الأصلي الظاهر من كل جملة مع ما يتبعه من المعاني التي تقتضيها دقائق العربية وبلاغتها بقدر الامكان ، ومتبعا في ذلك رأى الجمهور من المفسرين ، وإن لم تمكن الاحاطة بكل المعاني العظيمة التي احتوى عليها اللفظ المنزل من حكيم حميد . كما أنه لا يمكن الاتيان بكل ما يشتمل عليه من طرق الاعجاز الراجعة لفصاحته وطلاوة لفظه ومنانة أسلوبه ولطائف إشاراته وغير ذلك مما هو مقرر في وجوه إعجازه ، لأن ذلك لا تبقى به أى ترجمة كانت ، ولا مطمع في الوفاء به لمكان إعجازه الذي ينقضى الدهر ولا تستقصى عجائبه وغرائبها ، إذ هو تنزيل من حكيم حميد . هذا هو المراد من الترجمة التي تكلمنا آنفا على حكمها .

إذا تبين ذلك فهذه الترجمة لا نسميها قرآنا ، ولا كلام الله ، ولا نعطيها أحكامه اللفظية وحرمة الشرعية ، وإنما هي بمنزلة التفسير والشرح لبعض المعاني بقدر الامكان . وسنورد أدلة هذه الأحكام بعد .

أجوبة ملاحظات : فإن ادعى مدع أن تبليغ محمل ما جاء في الدين الاسلامي كالايمان والاسلام ووجوب الأركان الخمسة من صلاة وصوم وزكاة الى آخرها ، كاف ، وأنه لا يتعين إبلاغ القرآن كله لكل الأمم ، فعليه بيان دليل ذلك التخصيص ، وإلا فظاهر قوله تعالى : « بلغ ما أنزل اليك من ربك » هو العموم للقرآن ، بل السنة أيضا ، ونحن نأثبون عنه ، فأثمون مقامه بعده في التبليغ لسائر الأمم ، وذلك يكون بلسانها .

وإن ادعى مدع إلزام تلك الأمم بتعلم العربية حتى تتمكن نحن من تبليغها إليها بالعربية فغير خفى أن هذه الدعوى أيضا لا دليل عليها، بل عمله عليه الصلاة والسلام وعمل الصحابة والتابعين مع الأمم يردّها. فما ثبت قط أنه أُلزم أحداً ممن أسلم بتعلم لغة القرآن، ولا فعل ذلك أحد من بعده، بل ثبت أنه عليه الصلاة والسلام كلم أهل اليمن بلغتهم كما في شفاء عياض وغيره، وقال عليه الصلاة والسلام كما في أصح الصحيح: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا وما تيسر منه». كل ذلك تسهيل على الناس كي لا يلزموا بلغة خاصة، فإذا كان اليمنى والهوزانى والتميمي لا يلزمون بتعلم لغة قريش التي نزل بها مع سهولة انتقاله من عربية إلى عربية فغير العربى أولى وأحرى. وقد كان عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه بتعلم اللغات ليلبغوا عنه، فقد أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود ولغة السريان، فكان يبلغ عنه اليهم، وعنه اليه عليه الصلاة والسلام. وهكذا كان عمر بن الخطاب: فكم فتح من أقطار أقوام لهم لغاتهم كفارس والروم وأرض السودان المصرى والبربر بركة وطرابلس وما كان يامر قواد جيوشه باتخاذ الترجمة مع من لم يعرف العربية من هاتيك الأمم. وكان أبو جرة ترجمانا لابن عباس حين كان والياً على البصرة ليترجم بينه وبين الناس، بل كانت دفاتر الخراج والمالية تكتب في كل أرض بلغتها، ويتولاها كتاب الفرس والروم والقبط وغيرهم إلى زمن عبد الملك بن مروان الذى فيه نقلت الدواوين للعربية، وكل ذلك مقرر عند فقهاءنا ومؤرخينا، فلا نطيل فيه.

وهل ما يفعله المفسرون في تفاسيرهم كابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وابن جبير إلا ترجمة للقرآن في المعنى؟ ولذلك سمى ابن عباس ترجمان القرآن. وهذا اسماعيل حتى في روح البيان يفسر لنا القرآن بالفارسية، وغيره فسرّه بغيرها، وأقرهم علماء أعلام، وارتضوه منهم ومدحهم عليه. وكل أولئك ترجمات للقرآن العظيم.

لعمري كيف يتصور الزاعم لمنع الترجمة إسلام أهل الهند والصين والترك والخزر والسريان والروم والبربر والزنج وغيرهم من الأمم الأعجمية والتي ما زالت متمسكة بلسانها؟ وكيف وصل الإسلام لا عماق قلوبها؟ أمع فهمها معانى القرآن ومبادئه ومكارمه، أم مع جهلها به؟ بل لا نشك أنها فهمت ذلك بقلوبها ووعته في رءوسها، وذلك بعد ترجمة القرآن إلى لغتها بقدر الامكان، إذ لا يشك مسلم أن الدين إنما انتشر بالبرهان والاقناع لا بالسيف ولا بالعنف. وأعظم برهانه هو القرآن ومكارمه وعجائبه. قال الله تعالى: «وجاهدكم به جهادا كبيرا». وقد لقيت بعض الطلبة الذين يعلمون القرآن للبربر ببلادنا خشكى لي أنهم يترجمون معناه أولا لمن يريد أن يحفظه، حتى إذا فهم معناه بقدر الامكان يسهل عليه حفظه وإفلا، قال: وهكذا هو عملهم منذ أزمان، وعليه وجدوا من قبلهم.

فقولنا بجواز ترجمة القرآن ليس اختراع حكم لمسألة لم تكن وقعت، نريد حدوث وقوعها،

بل هو حكم مسألة واقعة ثابتة منذ أزمان . فالذى يقول بعدم الترجمة أو بمنعها لا أظن إلا أنه غلب عليه الخيال ، إذ سيج في بحره المحيط بخبره . ولو أنه دقق ماضى الاسلام وحقائق التاريخ ومشاهدات الواقع ، ما خالف في هذا الأمر الضرورى ، ولا تردد ولا احتاج الى استفتاء .

إن رسالة النبي عليه السلام عامة لجميع الامم باجماع المسلمين . قال عليه السلام : « أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلى . الى ان قال : وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعث للناس عامة » الحديث . وقال تعالى : « قم فأنذر » وقال : « لا نذركم به ومن بلغ » . ويلزم من عموم الرسالة وجوب ترجمة القرآن لسائر الأمم . هذا ما لا يمتري فيه أحد فيما أظن .

روينا في البخارى فى كتاب التوحيد : باب ما يجوز من تفسير التوراة وكتب الله بالعربية وغيرها لقول الله تعالى : « قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » وقال ابن عباس أخبرنى أبو سفيان بن حرب أن هرقل دعا ترجمانه ثم دعا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرأه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل « يا هل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » الآية . ثم أورد بسنده الى أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويقرءونها بالعربية لا هل الاسلام فقال صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا : آمنا بالله وما أنزل - الآية . وأورد بسنده أيضا حديث ابن عمر فى يهودى ويهودية زنيا وأتى النبي صلى الله عليه وسلم بهما فقال : فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . فجاءوا (الحديث). يقول البخارى : وغيرها ، يدخل فيه ترجمة القرآن الى لغة الأعاجم أخذًا بالقياس على ترجمة التوراة . فهو نص فى عين المسألة من إمام مجتهد عظيم محتج بالقياس على ترجمة التوراة من العبرانية الى العربية . وقال فى فتح البارى : قول البخارى بالعربية وغيرها : والحاصل أن الذى بالعربية مثلا يجوز التعبير عنه بالعبرانية وبالعكس ، وهل يتقيد الجواز بمن لا يفقه ذلك اللسان أو لا ؟ الأول قول الأكثر اه .

وقال أيضا قوله : لقوله تعالى : « قل فاتوا بالتوراة » الآية ، وجه الدلالة أن التوراة بالعبرانية ، فقضية ذلك الأذن فى التعبير عنها بالعربية . قال بضده عفا الله عنه : وعكس ذلك يجوز أيضا بحكم قياس المساوى ، فيجوز التعبير عن القرآن العربى بالعبرانية وغيرها ، إذ لا فرق ، بل قد يقال إن القرآن أولى لان الرسالة عامة ، فالضرورة قاضية بترجمته ، بخلاف التوراة فترجمتها للحاجة أو للسكال لا للضرورة لعدم عموم رسالة موسى عليه السلام .

وقال فى فتح البارى أيضا على حديث ابن عباس السابق : ووجه الدلالة منه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل باللسان العربى ولسان هرقل رومى ، فقيه إشعار بأنه اعتمد فى إبلاغه ما فى الكتاب على من يترجم عنه بلسان المبعوث اليه ليفهمه ، والمترجم المذكور هو الترجمان وكذا وقع ، بل الحديث واضح الدلالة فى جواز ترجمة القرآن لغير العربية حيث

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم مشتمل على آية قرآنية ، وهى : « يأهل الكتاب تعالوا » الآية ، وقد كتب بها للنجاشى ملك الحبشة أيضا وملك الفرس ولهرقل وكلهم أعجمى لا يعرف العربية . فهو إذن منه عليه السلام فى ترجمتها للغات المذكورة كلها . وقد جاء فى الصحيح عن أبى سفيان بن حرب أن هرقل لما جاءه الكتاب أحضر ترجمانه . وما جاء فى آية واحدة جاز مثله فى بقية القرآن العظيم .

وقال فى فتح البارى أيضا على حديث أبى هريرة قال ابن بطال : استدل بهذا الحديث من قال بجواز قراءة القرآن بالفارسية . وأيد ذلك بأن الله حكى قول الانبياء كنوح عليه السلام ممن ليس بعربى بلسان القرآن وهو عربى مبين ، وبقوله تعالى : « لا نذكركم به ومن بلغ » . والانذار إنما يكون بما يفهمونه من لسانهم . فقراءة أهل كل لغة بلغاتهم حتى يقع لهم الانذار به . ثم نقل جواب من منع فلا نطيل به لما فيه من التكلف .

قال ابن جزى فى القوانين الفقهية : ومن لم يحسن القراءة إن كان لم يتعلمها وجب عليه تعلمها أو الصلاة وراء من يحسنها ، فان لم يجد فقليل يذكر الله ، وقيل يسكت ، ولا يجوز ترجمتها خلافا لأبى حنيفة . فيظهر منه أن أبا حنيفة يقول بجواز ترجمتها وصحة الصلاة بتلك الترجمة . وهذه مسألة فرعية لا ينبغى لنا أن نطيل فيها هنا ، فلها موضعها من كتب الفروع لا سيما الحنفية ، وهم قاطبة متفقون فى المعنى على جواز ترجمة القرآن العظيم للعارف . ثم إذا ترجم فمن كان عاجزا عن اللفظ العربى وجب عليه القراءة بالترجمة فى القول الأقوى عندهم ، وإن كان قادرا فى المسألة خلاف ، هل يجوز له أن يقرأ بغير العربية أم لا ؟ وللحنفية فى المسألة تفاصيل وفروع مبنية على جواز ترجمة القرآن العظيم لا داعى لجلها . ولا يحتمل بالفقيه أن يتحكم بمذهبه على مذاهب أخرى ، ولا أن يتجاهل بقية المذاهب مع أن مراعاة الخلاف هى من أصول الفقه لا سيما فى المذهب المالكي ، وليس من المفيد مناقشة المذاهب ، بل الأولى احترام آراء المذاهب الأخرى وإعطائها حقها من الاعتبار .

والذى يتلخص لنا من كل ما سبق جواز ترجمة القرآن للعارف الى اللغات الأخرى ، بل نذهب بل فرضيته كفاية للضرورة القصوى لذلك ، لعموم الرسالة . وهذه مسألة وإن حكى الحافظ فيها خلافا كما سبق ففى من المسائل التى لا ينبغى الخلاف فيها إلا لو كان عموم الرسالة مختلفا فيه . أما حيث وقع الاجماع على عموم الرسالة فإن الأم كلها لها حق مشاع فى القرآن ، وهم متمسكون به ، فلمهم الحق فى ترجمته ليفهموه ويأتمروا بأوامره وينتهوا بنواهيه ، ويتخلقوا بأخلاقه وينتفعوا بكل ما فيه من المعانى العظيمة . وكذلك قراءة هذه الترجمة خارج الصلاة مما لا ينبغى الاختلاف فيه ، كالوعظ به والتذكير والخطابة ، الى غير ذلك .

أما فى الصلاة فهل تجزئ الترجمة أم لا . . ؟ محل نظر .

ويؤخذ من كلام المحافظ أن من لم يحسن النطق باللفظ المنزل العربي تجزئته الترجمة على قول ، بل تجب عند كثير من الحنفية . والقول القوي عند غيرهم هو عدم الاجزاء حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم سأل من لا يحسن القراءة فأمره بذكر مخصوص ، فن قال بعموم هذا فيمن لا يحفظ وهو عربي ومن لا يحسن وهو عجمي ، قال بعدم الاجزاء . ومن خصه بالأول قال بالأجزاء .

أجوبة ملاحظات أخرى : قد تورد تشكيكات ، فيزعم زاعم أننا إن أبجنا ترجمة القرآن ترتبت على ذلك مفسدة عظيمة وهي ترك الناس تعلم العربية واقتصارهم على ترجمة القرآن ، ويلزم على ذلك الاختلاف فيه . فان الترجمات قد لا تتفق فيقع لنا كما وقع لبنى اسرائيل من اختلاف نسخ التوراة السامرية والعبرانية واليونانية . وقد يقول أيضا : إن معاني القرآن كثيرة وهو تنزيل من حكيم حميد فلا يمكن مخلوقا أن يحيط بها فيترجمها ، وأن هذا شيء لم يفعله الصحابة ولا أهل الصدر الأول ، وبسبب تركهم له انتشرت اللغة العربية وعمت الاقطار وحصل منها مصالح كثيرة اجتماعية وسياسية ، فاتحدت ممالك إسلامية كثيرة لغة ودينا ، فنشأ عن ذلك اتحادها في المجتمع وزال تنافرها . ولو أن الممالك الداخلة في الاسلام اشتغلت بترجمة القرآن الى لغاتها ورأت أن ذلك جائز أو واجب كما قلت ، ما كانت مصر والعراق والشام وتونس والجزائر والمغرب الأقصى مهد العروبة في تاريخنا هذا ، ولبقيت على عجمتها متفرقة لسانا وتفكيراً وأدباً وثقافة ، وآل ذلك الى الافتراق في الدين أيضا ، لكن تركهم هذا الأمر المتيسر وارتكابهم الشاق الذي هو إبدال اللغة كان ذلك دليل عدم جواز ترجمة القرآن .

ونحن نقول في جواب هذه الشبهات : إننا تكلمنا عن المسألة من حيث الحكم الشرعي وما يظهر من الأدلة القرآنية والحديثية ، ومن فعله عليه الصلاة والسلام وفعل الخلفاء المقتدى بهم بعده ، لا من حيث علم الاجتماع والسياسة فذلك باب آخر لا ننكره ، ولكنه شيء لم يعتبره الشرع في هذا الحكم بالخصوص ، فانه لو كلف الأمم بإبدال لغاتها لكان غاية في العسر ، والدين يسر كله والحمد لله ، ودرء المفاسد وسد الذرائع معلوم أنه من أصول الشرع الاسلامي على رأى مالك وابن حنبل . وقد بسطنا القول على هذا الأصل في الجزء الأول ثم الثالث من الفكر السامى ، وقررنا أنه يعمل به ما لم تعارضه النصوص ، أما حيث عارضته النصوص فلم يبق محل لاعتبار تلك الذرائع . على أن تلك الذرائع عارضتها ذرائع أخرى أقوى منها ، فان ذريعة نشر الاسلام وتبليغه أقوى في نظر الشرع من ذريعة نشر اللغة . والنبي صلى الله عليه وسلم جاء مبلغاً للدين ، وهو الذى أوجب عليه تبليغه لا اللغة . وتبليغه واجب كتاباً وسنة وإجماعاً . أما نشر اللغة فلم يبلغ درجة الواجب ، كما أنه ليس في درجة الحاجة فضلاً عن الضرورة . وإنما هو في رتبة السكال ، فكيف تقدم السكالى على الحاجى أو الضرورى ، أم كيف تقدم المندوب على الواجب ؟

على ان ترك ترجمة القرآن لا تتيقن منها حصول نشر اللغة وإنما هو موهوم ، بل ربما كانت ترجمة القرآن وتبليغ معانيه مشوقا لتعليم العربية ، فترجمة القرآن هي التي يتسبب عنها نشر اللغة في الواقع .

هذا وقد كانت في ذلك الزمن الذي كانت الأمم تترك فيه لغتها وتمسك بلغة القراءان ، عوارض قد ساعدت انتشار اللغة بسبب النشاط الذي كان يديه العرب الحضريون والبدويون . فهم بانتشارهم في الأرض مع ما كانوا عليه من لطف الطباع ولطف لغتهم الفصحى ودقة ذوقهم في التعبير والأدب الجلم الذي حواه اللسان العربي المبين ، والامتراج بالأمم والتآخي معها ونشر العدل والانصاف بالورع والزهدي ، مع ما كان لهم من الدولة والقوة والعزة ، ذلك كله هو الذي ساعد اللغة في تقدمها وانتشارها الى أن عمت هذه الأقطار وغيرها ، وانتشرت الانتشار المدهش في الهند الى اسبانيا والبرتغال حتى صارت هي لغة هذه البلاد العامة . وقد ذهب ذلك النشاط من العرب ، ووقف الانتشار عما كان عليه ، وظهر الآن بدله وهو شدة تمسك الأمم بلغاتها وقوميتها أكثر من تمسكها بدينها ، كالترك والفرس المعاصرين الذين نراهم من أشد الأمم تمسكنا في حب لغتهم ونبتد العربية . فلا شك أن الحكم يتغير بتغير الأحوال لو فرضنا أن هناك حكما بلزوم تعلم العربية وأنها فرض عين على كل من أسلم أو يسلم . ولكن الحقيقة أن هذا الحكم لا قائل به ، ولم نرمز أئمة الاسلام من تقوه به ، كما أنه لا دليل عليه ولا على حرمة ترجمة القرآن أو كراهتها فيما نعلم . فإن قلت : نص بعض علماء الكلام على أن معرفة الله بالبرهان واجبة ولا يتوصل اليها إلا بتعلم العربية إذ القرآن واللسان عربيان وبهما تعرف الأدلة ومالا يتوصل للواجب إلا به فهو واجب ، كما قال أحمد بابا السوداني وغيره ، قلت : هذه مغالطة مبنية على مقدمة فاسدة وهي قولك : لا يتوصل لمعرفة برهان المعرفة إلا بالعربية . فكمن من نبي لم يعرف العربية هو ولا أمته كنوح وكان يعرف الله عن برهان . وإنما الدليل المتعين على كل أحد هو الاجمالي على ما هو الحق ، كالأستدلال بالآثر على المؤثر وهو موجود في كل لغة . أما الدليل المنطقي فانما هو فرض كفاية على قول . والمنطق إنما وضعه اليونان ومن لغتهم نقل الينا ، فكيف تستقيم هذه الدعوى من بابا السوداني ؟

نعم : معرفة السنة والكتاب معرفة تامة ليتوصل بهما الى علوم الفتوى ونحوها فرض كفاي ، والعربية التي توصل اليها غايتها تكون فرض كفاية لآعين ، وكلامنا في فرض العين . فسقط الاشكال وثبت ما قلناه . وعلى كل حال حيث فاتنا تعميم اللغة لا يفوتنا تعميم نشر الدين وإذاعة مكارمه بين من لا يعرفها ، وتبليغه والتبشير به . وذلك غير ممات إلا بجواز الترجمة . أما أن ينشأ من تعدد الترجمة الاختلاف في القرآن كما وقع في التوراة فذلك مفسدة أمناها والحمد لله « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فالقرآن العربي المنزل انتشر بين الأمم الاسلامية في أصقاع الأرض ، وهو الأصل الذي يرجع اليه عند اختلاف الترجمات على فرض

وقوع هذا الاختلاف . وتلك الترجمات إنما تعتبر تفسيراً لا قرآناً منزلاً ، فتقابل على الأصل المنزل ، فما وافق قبل ، وما خالف أصلح أو نبذ ، ولو اعتبرنا خوف الاختلاف ذريعة تسد وما نعا من الترجمة لكان تعدد التفاسير كذلك ، حيث نشأ عنه اختلاف كثير في معانيه ، لكن عموم الأمة لم يعتبر هذه الذريعة ، فهي ملغاة .

إذا كانت الترجمة تعتبر تفسيراً فقط ولا نعتبرها عين القرآن فلا يضرنا إذا أخلت بشيء من معانيه الكثيرة التي ليس في طوق غير العربي أن يدركها ويعبر عنها ، وعليه نحن نعتبر كل ترجمة تفسيراً فقط لبعض معانيه ، وشرحا من جملة الشروح ، وليست عينه . وذلك مما لا يمتري أحد في جوازه ، ولا يلزم عليه شيء من تلك المحذورات كلها ، ولا نسميها قرآناً كما لا نسميها كلام الله خلافاً للبيهقي (١) لأنها وإن كانت مشتملة على كثير من معانيه والمعاني هي المقصودة بالذات والألفاظ قوالب بمنزلة الثياب لا ينسلب الأصل بذهابها ، لكننا وجدنا الحق سبحانه وصف اللفظ المنزل المسمى قرآناً عربياً بأوصاف لا توجد إلا في اللفظ العربي . قال تعالى : « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون . وإنه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم » . وقال : « ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم » . وقال : « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » ، وقال : « فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا » .

ولا شك أن لسان النبي صلى الله عليه وسلم عربي . قال تعالى : « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » . واللفظ العربي هو المعجز بلا إشكال ، لا يمتري في ذلك أحد ، ولذا قال الله في حقه : « قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات » الآية ، وقال : « فاتوا بسورة من مثله » . وقال : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » . وقال : « إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما يؤمنون . ولا بقول كاهن » ، وقال : « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه » . وقال : « فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك » ، وقال : « قرآنا عربيا غير ذى عوج » . وكل هذه الترجمات ليست عربية ولا نامن وقوع العوج فيها إذ هي عمل مخلوق غير معصوم ، ولم يقم بها وصف من هذه الأوصاف التي وصف بها القرآن في الآيات السابقة . وقال تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة » . وقال : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » وليس شيء من تلك الترجمات منزلاً في تلك الليلة . وقال فيه أيضا : « إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون » . وقال : « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » . ولا شيء من تلك الترجمات مضمون الحفظ ، ومعلوم أن التباين في اللوازم موجب للتباين في المزومات . فكل هذه الأدلة السابقة تنفي عن الترجمات التسمية بالقرآن وبكلام الله ، إذ كل منهما يطلق بازاء معنيين : الأول المعنى القديم القائم بذاته تعالى على قول الأشعرية القائلين بقيام صفات المعاني

(١) نقل ذلك عن البيهقي الحافظ والقسطلاني في كتاب التوحيد .

بالذات الأقدس . الثانى اللفظ المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم الموصوف بالصفات المتقدمة فى القرآن ، ولا يطلق واحد منهما على الترجمات بحال .

وإذا لم تكن هذه الترجمات قرآناً ولا كلام الله فلا تصح الصلاة بها على القول الراجح ، لأن الصلاة لا يقرأ فيها إلا ما تيسر من القرآن . وأيضا لا نسميها كلام الله لأننا لا نأمن وقوع الغلط فيها للمترجم ، كما لا نأمن خطأ المفسر وخطأ المجتهد الذى يأخذ منها الأحكام . فكما لا نطلق على ما استنبطه المجتهد كلام الله ، كذلك لا نطلق على الترجمة كلام الله ، ولا نجرؤ على ذلك ، كما أننا لا نعتبرها معجزة ولا هى بمعجزة .

أما قوله : « وإنه لنى زبر الأولين » ، وقوله : « إن هذا لنى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى » فهو حكم على بعض آيات تولى الله ترجمتها ولم يكلفها لأحد غير معصوم ، بخلاف قوله تعالى : « إنا جعلناه قرآناً عربياً » وغيرها من الآيات السابقة ، فهو حكم على جميعه أو مجموعه . هذا ما يتعلق بالشق الأول من الأسئلة . وأما الشق الثانى وهو أخذ الأحكام الفرعية والأصلية من الترجمة واحترامها بحرمته فهو محل تفصيل . وذلك أن أخذ الأحكام الظاهرة نحو وجوب الصلاة والصوم والزكاة الخ ، التى يستوى فى معرفتها العامى وغيره ، فهذا لإشكال فيه وهى من فائدة الترجمة ، وأما الأحكام الدقيقة المأخوذة بطرق الاجتهاد التى لا يصل إليها إلا المجتهدون كالأحكام المأخوذة بطريق عموم أو تقديم لفظ أو تأخيرها أو من صيغة مبالغة أو صفة مشبهة أو بلازم أو ملزوم أو نحو ذلك مما ربما لا تنفى به الترجمة ويحتاج فيه إلى بلوغ درجة عالية فى علوم اللسان وغيرها ، فشكل ذلك المرجع فيه الى اللفظ العربى المنزل .

وأما الترجمات فانما هى للأمر الواضحة المسخوذة من صراحة اللفظ أو ظاهره ، فينتفع بها فى نحو الوعظ والإنذار والتبشير وتبليغ الأحكام التى تستوى فيها اللغات ، وليست هى اللفظ الذى يتلى ويتعبد بتلاوته . كلا ، معاذ الله أن يقول أحد بذلك . وعليه فلا ثواب فى قراءتها من حيث التلفظ بها ، نعم قد يقال : إن الثواب على التدبر فى المعانى وتفهم المبادئ الأخلاقية والدينية والقصص وأحوال الأمم والبعث والنشور وغير ذلك مما يكون فى الترجمة ولا يعوزها شرط النية ، فالترجمة حكمها حكم التفسير والبيان لبعض ما تضمنه اللفظ العربى المنزل المتعبد بتلاوته ، فنقاس عليه فى أحكامه . وبعبارة أخرى : الترجمة كالترسيم عند عدم الماء أو عدم القدرة عليه .

وأما احترام الترجمة كاحترام اللفظ العربى بحيث لا يمسهما جنب ، ولا حائض ، فهو قول عند الحنفية لا يتابعهم المالكية ولا غيرهم عليه . فالترجمة عند غيرهم تفسير والتفسير يمسه الجنب والحائض كما هو منصوص فى كتب الفقه . هذا ما ظهر لى فى المسألة ، وبالله التوفيق .

الجواب الجامع لمسألة الرضاع

وما يحرم به من المصاهرة

آنس صاحب الفضيلة الأستاذ النابه الشيخ محمد عبد السلام القباني المدرس بكلية الشريعة أن الناس يكثرون من السؤال في مسألة الرضاع ، فرأى أن يضع لجميع ضروبه جوابا جامعاً يحفظ ويرجع اليه عند الحاجة دون أن يضطر لتجديد السؤال فيه . قال فضيلته :

الحكم الشرعى : أنه يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب ، فكما لا يجوز أن يتزوج أخته من النسب لا يجوز أن يتزوج أخته من الرضاع .

وأخوة الرضاع تثبت من ناحية المرأة ومن ناحية الرجل . وذلك أن كل إنسان له أم من النسب وهى التى ولدته وله أب من النسب وهو الذى خلفه ، فاذا رضع الطفل من امرأة أخرى غير أمه صارت تلك المرأة أما له من الرضاع ، وصار زوج تلك المرأة أباً له من الرضاع لأنه صاحب اللبن الذى رضعه الطفل ، وإذا تحرم أصول هذه المرأة وفروعها ، وأصول هذا الرجل وفروعه على هذا الطفل وعلى فروعه فقط دون بقية أقرابه .

وأأنواع أخوة الرضاع ستة لا غير :

- ١ — كل من أرضعتهم أمه النسبية قبله أو بعده أو معه .
- ٢ — كل من رضعوا لبن أبيه النسبى من أى زوجة أخرى قبله أو بعده أو معه .
- ٣ — كل من ولدتهم أمه من الرضاع .
- ٤ — كل من خلفهم أبوه من الرضاع .
- ٥ — كل من أرضعتهم أمه من الرضاع .
- ٦ — كل من رضعوا لبن أبيه من الرضاع .

هذا والرضاع الموجب لتحريم المصاهرة هو رضاع الطفل أو الطفلة قبل تمام السنتين .

ومقدار الرضاع المحرم عند الشافعى وأحمد خمس رضعات متفرقات فاكثر ، وعند مالك

وأبى حنيفة رضعة فاكثر ، والله أعلم ؟

محمد عبد السلام القباني
المدرس بكلية الشريعة

الاسلام والطب الحديث

بحوث دينية علمية

—مم—

« وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » سورة الأنعام الآية (٥٩).

هذه الآية لا علاقة لها بالطب مباشرة، ولكن الطبيب أحياناً يتنبأ بموت المريض بعد زمن معين ويصدق في نبوءته، فهل هذا معناه أنه يعلم شيئاً من الغيب؟ كذلك يتنبأ الفلكي بحادث فيحدث كما أنبأ به تماماً، والحقيقة أن معرفة الغيب عند الانسان تختلف اختلافاً جوهرياً عن علم الغيب عند الله، والفرق بينهما كالفرق بين الاختراع والمعجزة.

وعلم الغيب على أنواع:

١ - العلم من طريق السنن الإلهية، فالانسان يعرف ما سيأتى في الغيب بطريق معرفة السنن الطبيعية، ولذلك كان علمه ناقصاً، فإذا علم قانوناً وحكم به على الأشياء، وما سيحدث لها فهو كثيراً ما يخطئ، لأن هناك سنناً أخرى طبيعية لم يعرفها تؤدي الى نتيجة مخالفة لما ينتظره، وهكذا يستمر في درس هذه السنن ويعرف شيئاً ويبقى جاهلاً أشياء الى النهاية. وأما علم الله فهو من نوع آخر، لأنه واضع السنن كلها ولا يخفى عليه أى قانون من القوانين الطبيعية التي وضعها، ولذلك كان علمه جل وعلا وإرادته لا ينفصلان أبداً، فعلمه بالشئ معناه حدوث هذا الشئ، لا محالة، بخلاف علم الانسان الناقص الذي ليس له علاقة بحدوث الشئ مطلقاً، والفلكي الذي يتنبأ بالحادث لا علاقة له به ولا تأثير له في إيجاد الحادث مطلقاً، والطبيب الذي يتنبأ بالموت لا علاقة له بموت المريض. وقد بين الله لنا مقدار علمه بكل السنن الطبيعية كما قلنا بقوله: « ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » لأن لكل هذا سنناً لم يتعلم الانسان إلا ما ندر منها،

وكل ما عرفه ناقص أبدا « وفوق كل ذى علم عليم » « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » وهذا النوع من العلم هو الذى حث الأديان على الاستزادة منه ، لأنه يفيد الانسان ، ولأنه فى متناول إدراكه الذى منحه الله إياه ، ومعناه العلوم القديمة والحديثة كلها ومعناه كل معرفة (Knowledge) .

٢ - علم الغيب الذى لا يتناوله إدراكنا لأنه ليس من السنن الطبيعية التى يحتاج لها الانسان فى نموه من النطفة الى أن يصير شخصا كاملا ، وهذا هو المقصود من الآية الكريمة « علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ، إلا من ارتضى من رسول » والرسول يعرف الغيب بما يوحى اليه الخالق ، لأن ذلك يشبه المعجزة ، وليس له قانون يدرس ، ولذلك لا يمكن لإنسان معرفته بجده واجتهاده ، والرسول لا يعلمه إلا بالقدر الذى يعلمه الله إياه ، والذى يهيئه الله له ، وهذا هو معنى الآية « واصطنعتك لنفسى » مخاطبا به نبيه موسى عليه السلام ، أى أنه أعطاه من الإدراك ما يمكنه من فهم ما يوحى اليه « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

وعلم الغيب يشمل كل ما أمرنا القرآن بأن نؤمن به « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون »

فنؤمن بالآخرة وما فيها ، وببدء الخلق وإحياء الموتى ، وبالمعجزات الخ ، وكل ذلك بدون أن نجد له قانونا يرشدنا كما نجد قوانين السنن الطبيعية ، ويجب مع هذا التصديق به إذ التصديق به شرط أساسى للإيمان الصحيح . والحقيقة أن هذا النوع من العلوم هو ما يقال له « Nelaphysis » أو ما فوق المادة أو ما وراء الطبيعة ، وقد كتبت عنه مؤلفات فى كل الأجيال ، وكثرت التعاريف الفلسفية فيه ، وأخيرا تقدمت العلوم الحقيقية (علوم السنن الطبيعية) ، وقد اقتنعت بعد الفحص والتدقيق فى كل ما كتب عنه بأن عقل الانسان لم يخلق لفهمه ، وأن السبب فى ذلك ظاهر هو أن عقل الانسان نتيجة نمو النطفة بالسنن الطبيعية ، كما ينمو النبات من البذور تماما ، فالله لم يهيء

الانسان إلا بالقدر الذى يفهم به القوانين التى تهديه الى طريقه « الذى خلق فسوّى ،
والذى قدر فهدى » وقد خلق الله للانسان من الحواس ما يكفيه فقط ، والله لا يخلق
شيئاً عبثاً وزائداً عن الحاجة أبداً ، « إنا كلّ شئ خلقناه بقدر » وهذا هو معنى
الآية « إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً » فالانسان
يبحث ويتعلم كل ماله علاقة بالقوانين الإلهية التى تؤثر فيه فى النوع الأول من علوم
الغيب ، وإذا حاول فهم ما فوق ذلك من قبل خلق النطفة مثل بدء الخلق وطريقة إحياء
الموتى وأخبار الآخرة فإنه يحاول فهم المجهول مع أنه ليس له من الحواس ما يساعده
على فهمه ، فعليه أن يمتثل ويصدق ما أنزله الله ، وإن لم يصدق فسيضيع وقته فى البحث
عنه عبثاً ، والله يخاطب الانسان مظهراً له ضعفه ، وأنه لا يقدر على فهم أشياء كثيرة
بقوله تعالى : « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » . وقوله :
« ألم يك نطفة من منى يبنى » أى أنه مثل بذرة النبات فى دور من أدوار حياته ونقطة
فى إفرازات شخص آخر ، وهذه النطفة التى لا حول لها ولا قوة إذا تمهدتها السنن
الإلهية (الطبيعية) تصير إنساناً . فهل ينسى ضعفه المتناهى ويبدأ بالبحث عن أشياء
لم يخلق لأجلها ؟

والانسان لا يشذ عن باقى الحيوانات التى ليس فيها من الحواس والإدراك
إلا بالقدر الذى يمكن النطفة من النمو الى النهاية ، وهذه قاعدة علمية عامة لا استثناء لها .
ولا يوضح الفرق بين النوعين من علوم الغيب نقول : إن الله تعالى وصف الانسان
فى النوع الأول بأنه عالم بعض العلم : « وفوق كل ذى علم عليم » وبين له مقدار علم الله
بما معناه أنه يعلم كل صغيرة وكبيرة فى الأرض والسماء .

فإذا كان الانسان يعرف أشياء من الغيب بمعرفة بعض قوانين طبيعية أفلا
يكون عند الله مفاتيح الغيب كلها ، وهو الذى وضع كل السنن ؟ فالله الذى خلق آدم
وخلق منه زوجه علم مقدار ذريتهما من ذكر وأنثى ، وعلم ما سيقع لهؤلاء جميعاً بعلمه

بما في نطفهم قبل ظهورهم في الحياة، وهو يعلم كذلك كل الظروف المحيطة بهم حتى النهاية، فهو الذي بدأ الخلق وعلم منذ البدء كل ما سيكون، وكما أن النطفة التي لا يزيد قدرها عن عشر المليمتر تنمو بالسنن حتى تصبح إنسانا، كذلك كل ميزات الانسان عن الحيوانات الأخرى، ومميزاته عن غيره حتى في أصغر الأشياء موجودة ومثلة في هذه النطفة. وكذلك نطف بنى آدم جميعا فإنها ممثلة في آدم وحواء، ولكنها لا تحتاج إلا الى السنن الإلهية لتظهر أمام أعيننا، وذلك لأن كل فرد منا يمثل في عالم الذرة من يوم بدأ الله الخلق، ولو أعطى الله الانسان علما لعرف الأولاد وهم أقل من النطفة في أرحام أمهاتهم، وعرف أولاد أولادهم في هذا الجسم الذي هو أقل من النطفة، وهكذا. فالخالق يعلم جميع بنى آدم ممثلين في آدم وحواء. وسأضرب لذلك مثلا: صندوق فيه ملايين من الصور الصغيرة للسينما (فلم) فهذا الصندوق للعالم يعرف كل ما فيه الصانع الذي صنعه، ولكن الانسان العاوى لا يعرف ما فيه إلا إذا عرض بشرط سينمائي، فالتفرجون يعرفون ما يظهر منه أولا فأولا، ويظهر لهم كأنه شىء جديد ولكنه في الحقيقة قديم، وكذلك عقل الانسان فإنه يقسم الزمن الى ماض وحاضر ومستقبل، ويدفعه لأن يسمى ما يظهر له بمرور الزمن « مستقبلا وغيبا » والحقيقة أنه غيب بالنسبة له، ولكن الله الذى خلقه وخلق السنن الطبيعية غنى عن عرض سينمائي، لأنه هو الصانع الأكبر الذى يعلم كل ما فيه « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ».

وهكذا يفسر القرآن بعضه بعضا. وأما النوع الثانى من الغيب فالانسان فى ظلمة تامة بالنسبة له، وهنا يخاطبه الخالق بقوله: « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » ومعناه أنه لم يكن نطفة فقط ولكنه كان ممثلا فى نطفة آدم وحواء بشىء صغير جدا أقل من النطفة، وإذا كان الخلق كله ممثلا فى نطفة آدم وزوجه فيكون كل فرد ممثلا فى جزء من أقل من آلاف الملايين من النطفة، وهذا ما يسميه

الخالق سبحانه وتعالى شيئاً غير مذكور (infinitesimal) ويستعمل العلماء هذه اللفظة في العلوم الحديثة لكل شيء متناه في الصغر ، أو ناني شيء للصغر أو عدم الوجود . ورب سائل يقول : إن كل شيء يبدأ صغيراً كالمنزل ، فانه يبني من أجزاء صغيرة حتى يعملو يأخذ شكله ، وليس في ذلك غرابة ، والمنزل الكامل شيء آخر غير الأجزاء المكون منها ، ولكن الانسان ليس كذلك ، فهو يتكون من النطفة لا بإضافة شيء حتى جديد مطلقاً ، ولكن بتحويل الأجسام الميتة (الغذاء الخ) الى شيء حتى كما قلنا في تفسير « يخرج الحى من الميت » . فنجسم الانسان عند نموه ليس إلا النطفة مكبرة بإضافة أشياء ميتة اليها ، والنطفة تمثل الانسان بدقة مدهشة ، ومثلها مثل صورة صغيرة جداً إذا كبر حجمها بدون تغيير ، وهكذا يقول الله للانسان : « إنك في زمن من الأزمان كنت شيئاً غير مذكور تافهاً ، ولم يطرأ عليك إلا زيادة الحجم » وليس هناك فرق بين الصورة المصغرة والصورة المكبرة إلا الحجم ، وفي هذا إظهار لقدرة الله وشدة ضعف الانسان ، وأنه لا يدرك إلا ما خلق لأجله .

وصفوة القول في هذا النوع من الغيب هو أنه يشبه المعجزات ، فكما أنه لا حول لنا ولا قوة أمام المعجزات ، كذلك نجد جهلنا كاملاً بالنسبة لعلوم الغيب ، فلا نعرف منها إلا ما يخبرنا الله به على لسان الأنبياء ، ومثلنا مثل من يولد أعمى ، إذ لا يمكنه إدراك ما يقصده البصير عند الكلام على الألوان المختلفة .

« وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى » : سبق الكلام عن النوم وأنه أقرب شيء للموت ، ولكنه يؤدى الى الحركة بالنهار ، وحركة النهار تؤدى الى النوم ، وهكذا فالنوم مثال مصغر لموت الانسان ، كما أن حركة النهار مثال لحياته ؟

دكتور عبد العزيز اسماعيل

اثبات وجود الروح

بالأدلة العلمية الجديدة

كانت الفلسفة وحدها عُدّة الناس في التدايل على وجود الروح، ولكن لما اشتد كلب الملحدّين في القرون المتأخّرة على نفي الروح والعالم الروحاني من طريق الأسلوب العلمي المعروف، الذي مؤداه أن كل معقول لا يسنده دليل محسوس لا يفيد اليقين، شرع العلماء الذين يغارون على الحقائق في جمع الحوادث والمشاهدات النفسية الدالة على وجود الروح دلالة قاطعة، وكان الحقّ جل وعلا قد فتح على الباحثين كثيرا من تلك الحوادث، فلم يجد الماديون سبيلا إلى دحضها، لأنّها مشاهدات علمية مقررة، فرجع أكثرهم إلى حظيرة الفلسفة الروحانية، ووجد فريق لا يبدى ولا يعيد، لذلك أصبحت المادية مقصورة على آحاد يأخذون بها تقليدا، لا على بصيرة، ولا بعد بحث وتحقيق. من المشاهدات العلمية التي يستند إليها العلماء المعاصرون لإثبات الروح عمل الإرادة الانسانية عن بعد بدون أى اتصال مادي. ومما لا مشاحة فيه أن الإرادة خاصة روحية غير مادية، فإذا ثبت أن لها تأثيرا في الخارج ثبت أن للروح الانسانية استقلالاً عن الجسد، وأنه هو نفسه أداة لها لا أكثر من ذلك.

قال الأستاذ كاميل فلامريون: « لقد وضعت مؤلفات خاصة في مسألة التأثير بالإرادة أو الإيحاء العقلي، والأدلة التي تثبت صحته لا تدخل تحت حصر. وقد شاهدت أنا بنفسى منها عدة مشاهدات في الأيام السالفة، من تجارب الأستاذ (شاركو) ^(١) في مستشفى (السالبتريير) ^(٢) والدكتور (لويس) ^(٣) في مستشفى (الشاريتيه) ^(٤) في باريس. ولكن أعجب ما رأيته منها تجارب الأستاذ (بيير جانيه) ^(٥) في مدينة

(1) Charcot (2) La Salpêtrière (3) Lewis (4) Hopital de la charité
(5) Pierre Janet .

(الهافر) بفرنسا، أجراها على امرأة فلاحه قوية، هي ربة أسرة وليست مصابة قط في أعصابها. فكانت تتلقى ما يوحى إليها بمقله وهو بعيد عنها عدة كيلو مترات، فتطيعه بضبط مطلق دون أن تعرف ما سيلقيه إليها بأى وجه من الوجوه « انتهى.

ونحن نقول: إن الذى فتح باب هذه المسألة هو التنويم المغناطيسى الذى أصبح اليوم حقيقة علمية تدرس في الجامعات الطبية كوسيلة من وسائل معالجة الأمراض المستعصية. وينحصر هذا العلم في إمكان تنويم أى إنسان تنويما صناعيا بالتأثير فيه تأثيرا إراديا بواسطة من مارسوا هذه الصناعة، فيصير قابلا للإيعاز اليه عقليا بدون الاستعانة بالكلام والإشارة، وخاضعا لإرادة منومه حتى لو أعطاه قطعة من الفهم وقال له هذه قطعة من السكر فكلها، أو كلها متلذا، ولو ناوله وردة وقال له هذه وردة لرمها متقززا. ولو رسم على بعض جسمه دائرة وقال له إن هذا الجزء من جسمك ملتهب وسيعقب التهابه دمل، لالتهب لوقته واحتقن وتكون فيه دمل.

وقد ذهب المحربون الى أبعد من هذا، فقد ثبت لديهم أنهم لو أناموا شخصا وقالوا له إننا سنخلع ضرسا حقرا (أى مسوسا) في فكك، فلن تشعر بألم قط، ولن تنزل من لثاتك قطرة دم. ثم أوقف وسحب ضرسه، فإنه لا يتألم ولا يذى مكان الضرس. وقد استفاد العلماء من هذه الخاصية للتنويم المغناطيسى فطبقوها على علم الجراحة. فإذا اضطرب الجراحون لفتح بطن إنسان لا تحتمل صحته الكلوروفورم، نؤم قبل العمل نوما مغناطيسيا، وأوعز اليه بأن لا يشعر بأقل ألم من فتح بطنه، ولا ينزف ولا قطرة من دم، ثم يتولون فتح بطنه وقطع ما يريدون قطعه من أحشائه وهو حافظ لقواه العقلية يكلم من حوله.

هذه كلها أصبحت مقررات علمية جاء بها اكتشاف الدكتور الألماني (مسمر) للتنويم المغناطيسى في سنة (١٧٧٠)، فظل ينافح عنه خصومه هو وخلفاؤه نحو مائة سنة حتى أدمج في العلم الرسمي نهائيا. ثم ثبت للمعقبين في العاديات أن هذا التنويم كان معروفا لدى قدماء المصريين والهنود والصينيين، وكانوا يمارسونه في هياكلهم.

فالمستمدون منه أدلة الروح إنما يعتمدون على علم ثابت مقرر، لا على أوهام خرافية، ولا أضاليل عقلية.

ولما كنا بصدد إثبات تأثير الارادة الانسانية في الخارج فإننا نورد أمثلة على ذلك من أصدق المصادر العلمية. فذكر الدكتور أو كورويكز (Ochorowicz) في كتابه المسمى (بالإيحاء العقلي) « De la suggestion Mentale » قال :

« كنت أعالج سيدة عمرها ٢٧ سنة مصابة بهستيريا صرعية مزمنة، ثم زاد عليها طروء نوب من الكرب والليل للانتحار. فحدث ذات ليلة بعد انتهاء النوبة أن نامت المريضة بهدوء، ثم استيقظت فجأة، فلما رأتني أنا وصديقها التي كانت معها رجعتنا أن نذهب فلا نتعب نفسيينا من أجلها على غير طائل، وألحت في ذلك إلحاحا حثيثا على إطاعتها تفاديا من أن يسبب لها إيأؤنا نوبة جديدة، فنزلت أنا السلم ببطء، وكانت هي تسكن الطبقة الثالثة من الدار، فوقفت أثناء النزول مرات متسما ما يأتي من قبلها، وأنا متوقع حدوث حادث سيء. فلما انتهيت إلى الحوش وقفت مترددا بين البقاء أو الانصراف، وبينما أنا أفكر في ذلك إذا بالنافذة قد انفتحت بعنف، فرميت ببصري إليها، وإذا بجسم المريضة يميل إلى الخارج بحركة مسرعة، فأسرعت إلى النقطة التي أتوقع سقوطها منها وأخذت أركز إرادتي بقصد منعها من السقوط مدفوعا إلى ذلك بحركة آلية، دون أن أعلق عليه أية قيمة لأنه جهد غير معقول. ومع هذا فإن المريضة التي كانت تكاد تهوى وقفت فجأة، ثم تهقرت ببطء، وبصدمات متوالية.

« ثم كررت هذا العمل خمس مرات متوالية، فبدت على المريضة علامات الإعياء فوقفت جامدة. وكنت في أثناء هذه الأعمال واقفا في الظلام بحيث لا ترائي لأن الوقت كان ليلا، وكانت صاحبها قد أسرعت إليها وقبضت على ذراعها، وقد سمعتهما يتدافعان، فأسرعت في الصعود لأساعدتها فوجدت المريضة في حالة جنون فلم تعرفنا وحسبنا لصوبا، فحذبتها بعد جهد جهيد من ناحية النافذة وأضجعتها في سريرها وأتمتها نوما مغناطيسيا، فكان أول ما فاهت به هاتان الكلمتان : شكرا وعفوا.

« ثم حدثتني بأنها كانت قد صممت على إلقاء نفسها من النافذة ولكنها كانت تحس في كل دفعة بأنها كانت تمنع بقوة من جهة الدور الأسفل .
« فقلت لها : كيف كان ذلك ؟
« فقالت : لا أدري .

« فقلت لها : أكنت تتخيلين وجودي هناك ؟

« فقالت : لا ، وإني ما أردت أن أنفذ إرادتي إلا لاعتقادي بذهابك . ومع هذا فقد كان يخيل الى من وقت لآخر بأنك كنت الى جانبي أو خلفي ، وأنت لم ترد أن أقع » . اه
وقد سرد الأستاذ أو كور ويكز المذكور إحدى وأربعين تجربة من هذا النوع ، وكلها تدل دلالة قاطعة على تأثير الارادة عن بعد .

قال الأستاذ (كاميل فلامريون) العالم الفرنسى المشهور : « وقد رأيت صديق المأسوف عليه الكولونيل (دروشاس) يحدث هذه التجارب في مدرسة الهندسة بباريز وكان مديرا لها . ورأيت كذلك الدكتور (بارتي) يعيدها في مدينة نيس ، وشهدت مجربين غيرهما . فالتأثير بالارادة عن بعد ليس بالأمر المشكوك فيه كما يعلم الذين درسوا هذا الموضوع » .

وكتب العالم الألماني الدكتور (فان هيلمونت) في كتابه (أوبرا أومنيا : Operaomnia)
« إن في الانسان قوة تستطيع أن تؤثر بمحض إرادته على ما هو خارج عنه ، وأن تطبع أثرها الثابت على شئ ، بعيد عنه جدا . وإن هذا السر ليفسر تفسيراً واضحاً عدة حوادث يصعب فهمها تتعلق بالقوة المغناطيسية الموجودة في جميع الأجسام ، وبالقوة المعنوية التي اختص بها الانسان وصلاحياتها لتسخير الكون » .

نقول : وقد دفع المجربون تجاربهم في هذا الموضوع الى أبعد من هذا المدى ، فروى العالم الروسى الكبير (أ كزا كوف) في كتابه الذى رده على إنكارات الفيلسوف الألماني (هارتمان) : أن قرينة العالم الانجليزى (دومرجان) كانت اعتادت تنويم

امرأة وإرسال قوى من روحها الى المكان الذى تعينه لها ، فقالت لها يوما وهى تحت تأثير النوم المغناطيسى : « اذهبى الى دارى الذى كنت أسكنه قديما » ، فقالت المنومة : « قد فعلت وطرقت الباب بشدة » . فذهبت امرأة الأستاذ الى تلك الدار وسألت أهله عما حدث لهم ، فأخبروها بأنهم سمعوا قرعا شديدا على الباب ففتحوه فلم يجدوا خلفه أحدا فعزوا هذا القرع الى أشقياء الأطفال .

وروى العالم المذكور هذه الحادثة وهى : أن المنوم المشهور (لويس) أنام مرة امرأة أمام جماعة وأمرها أن تذهب الى دارها فتتظر ماذا يعمل من فيه . فقالت المنومة : قد فعلت فوجدت فيه شخصين يشتغلان بأعمال منزلية . فقال لها (لويس) اليسى أحدهما بيدك . عند ذلك أخذت المنومة تضحك قائلة : قد فعلت ما أمرتنى به خافتا خوفا شديدا . فطلب (لويس) الى الحاضرين أن يذهب بعضهم الى دارها ليتحققوا من صدق قولها ، فخف جماعة منهم للقيام بهذا التحقيق ، فلما انتهوا الى الدار وجدوا أهلها فى حالة ذعر شديد ، وبسؤالهم عن سببه أجابوا بأنهم رأوا شبحا فى المطبخ ، وأنه لمس إحدى اللتين كانتا فيه .

فعلق الأستاذ (اكزركوف) على هاتين الحادثتين بقوله : « إنها تثبت بطريقة لا تقبل الشك أن للروح وجودا مستقلا عن المادة ، وأنها تستطيع بقواها أن تعمل ما يعين لها عمله خارج جسدها »

هذه الفتوحات العلمية التى من الله بها على الناس من طريق الأسلوب العلمى التجريبي قد وضعت حدا لإنكارات الملحدّين ، وصدمت فلسفتهم الظلمانية صدمة عنيفة أفقدتها تماسكها ، وقضت على وجودها قضاء نهائيا . وسيرى القراء فيما يلى من التجارب العلمية فى هذا الضرب من البحث أن البراهين على وجود الروح لم تعد من اختصاص المنطق وحده ، ولكنها دخلت فى دائرة العلم أيضا ، فليس لقائل بعد اليوم أن يتبجح بأن لا يؤمن إلا بما يقره العلم ، فهما هو العلم يقرر فى هذا المجال مالا سبيل الى دحضه :

تاريخ العلوم اللغوية^(١)

في الادب العربي

لم يكبد يطلع فجر القرن الثاني من الهجرة حتى بدأ علماء العرب بالاهتمام بشئون اللغة، وكانت البصرة حاضرة العراق وقتئذ محط رجال الأدب ومركز الثقافة العربية. وأول ما اشتغل به علماء اللغة في هذا العهد هو تفسير القرآن، فجمعوا لذلك كثيرا من الألفاظ القديمة والمستحدثة وصنفوا المعاجم والموسوعات اللغوية، ثم انتقلوا الى المحاولات النظرية في البحث وراء أصوات أحرف الهجاء، وتعدوها الى قواعد تركيب الجمل، ولم يتمكن الباحثون حتى الوقت الحاضر من كشف الغموض الذي ما فتئ يخيم على مبدأ نشأة هذه الدراسات اللغوية. وأما ما ذهب اليه بعض علماء العرب المتأخرين ومن نحاسهم من أن عرب البدو القدماء هم أول من بدأ الأبحاث اللغوية، فإنه رأى لا يمكن الأخذ به، إذ أن علماء البدو المسيطرين على اللغة العربية القديمة، لم يتعدوا بعملهم الرقابة على دور التعليم في المدن حيث انتشرت لهجات العامة المتعددة، لملاحظة استعمال اللغة العربية على الوجه الصحيح. وأقوى دليل على عدم اهتمام البدو بأمر قواعد اللغة من نحو وصرف حتى بدء القرن الثالث من الهجرة، ما روى عن الجاحظ في صدد الاشتقاق وأصول الألفاظ، فإن مثل هذه الاشتقاقات مما يسهل نسبتها الى البدو، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نعزو اليهم أي محاولات نظرية في العلوم اللغوية على وجه العموم، أو في قواعد اللغة على وجه الخصوص.

وأول دافع لنشأة الدراسات اللغوية هو ظهور طبقتين مختلفتين في اللغة، مثل الاختلاف بين القرآن والشعر القديم وبين الأدب الحديث على العموم، هذا الى

(١) مترجمة من الألمانية نقلا عن كتاب « تاريخ الادب العربي » للمستشرق الألماني الكبير الاستاذ

الدكتور « بروكلان » .

ضرورة تعلم المسلمين من غير العرب لكلاهما اللهجتين . وأول ما اهتم به علماء العرب اللغويون من الدراسات في القرن الثاني من الهجرة ، هو ما وضعه أرسطو من أصول المنطق ، ونقل الى الثقافة الفارسية والسورية ، فجعل منها علماء العرب أساسا لصياغة الجملة العربية بعد أن تناولوها بالتوسيع والتهديب على نحو يستدعي الإعجاب الكبير . ولقد كانت الصعوبات التي يلاقها المسلمون من غير العرب في النطق العربي الصحيح من أهم الأسباب التي دفعت علماء اللغة الى البحث عن نشأة الأصوات اللفظية ، خصوصا لحرصهم الزائد في المحافظة على قراءة القرآن على الوجه الصحيح ، كما فعل ذلك الهنود من قبل ، محافظة على القراءة الصحيحة لكتب « الفيدا » المقدسة . ولربما كانت أوجه الشبه التي بين طريقتي العرب والهنود في دراساتهم الصوتية مما يحملنا على الاعتقاد بأنها لم تأت عرضا وبطريق الصدفة ، بل إن هناك علاقة قوية تربط هذه بتلك ، خصوصا أننا نعلم تمام العلم أن كثيرا من كتب القصص الهندية وغيرها من كتب الرياضة والطب كانت قد نقلت الى علماء العرب في العراق بطريق الفرس في القرن الثاني من الهجرة ، فلا يبعد كذلك أن يكون الشبه المذكور في العلوم اللغوية قد جاء أيضا بطريق الاستعارة .

ولقد اهتم علماء العرب كذلك كثيرا بجمع الألفاظ العربية ، مما حملهم على التعمق في الدراسات القديمة الخاصة بأحوال معيشة البدو وطبيعة بلادهم ، وذلك لعلمهم أن هذه الدراسات القديمة لا غنى عنها في تفهم الشعر العربي وما يوحى به أو يشير اليه ، فنشطت على أثر ذلك الحياة الفكرية الخيالية التي هي أصدق شاهد على علو حضارة هذا العصر . وفي هذه الناحية كانت تلتقى أعمال اللغويين بمجهودات المؤرخين في الأدب العربي ، كما نرى اليوم اتحاد هذين العلمين غالبا في الأبحاث العلمية الحديثة . اهتم الجيل الأول من علماء العرب اللغويين كما أسلفنا بجمع المفردات اللغوية وتفسيرها . وأشهر علماء هذه الطبقة ثلاثة ، هم : عيسى الثقفي المتوفى عام ١٤٩ هـ وأبو عمرو

ابن العلاء المتوفى عام ١٥٤ هـ وتلميذه يونس بن حبيب المتوفى عام ١٨٢ هـ ، ولم يبق من أعمالهم شيء مذكور ، إلا أننا يمكننا أن نستخلص مجهودهم العلمي من أعمال من أتى بعدهم من العلماء . ولم يقتصر أولهم عيسى الثقفي على جمع الألفاظ وتفسيرها كمعاصريه السابقين ، بل إنه ترك أثرا ظاهرا في الأبحاث العلمية اللغوية والمحاولات النظرية .

توجت أعمال هذا الجيل الأول بمؤلفات الخليل وتلميذه سيديويه ، وأولها هو أول من أتم جمع الألفاظ العربية في معجم ضخم لم يبق منه إلا الآن سوى جزء يسير ، وقد راعى في وضعه قواعد النطق الفيسيولوجية دون الترتيب الهجائي المصطلح عليه للحروف الأبجدية ، ووضع طريقته المترية (القياسية) المعروفة التي بها تمكن من تحديد حلقة العلوم اللغوية . وله في علمي النحو والصرف جولات صادقة ، فكان سيديويه يرجع إليه في كثير من أبحاثه اللغوية في كتابه المعروف ، وسيديويه ، كما يتضح من اسمه فارسي الأصل والنشأة ، قدم إلى البصرة وهو في الثانية والثلاثين من عمره ، وذهب إلى بغداد بعد أن أتم علومه ، ولكنه ترك بلاط الخليفة على أثر خلاف وقع بينه وبين منافسه اللغوي الكبير الكسائي ، أدى فيما بعد إلى جدل علمي بعيد المدى ، فعاد إلى موطنه ، وتوفي عقب ذلك بزمان قصير يجوار شيراز سنة ١٨١ هـ . ولقد وضع هذا المؤلف اللغوي في كتابه المعروف بناء قواعد اللغة العربية تماما لا ينقصه شيء ، ولم يجد من جاء بعده من العلماء اللغويين عناء كبيرا في زيادة شيء هام عليه ، بل كادت تنحصر مجهوداتهم في تحسين وضعه وتنسيق موضوعاته ، أوفى تفسير جملة زيادتها إيضاحا .

اكتفى علماء اللغة العربية في الجيل التالي بجمع مفرداتها وما أثرها القديمة ، فبدلوا في ذلك مجهودا كبيرا ، وأتوا بمحصول وافر في هذه الناحية ، دون أن يكون لهم أثر كبير في الأبحاث العلمية أو الدراسات اللغوية . وأول علماء هذا العهد هو الأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هـ فقد جمع مفردات اللغة في عدة رسائل مرتبة حسب موضوعاتها ، كما اهتم تلميذه أبو عبيدة المتوفى سنة ٢٢٣ هـ بجمع الأمثال والحكم

العربية ، وتعد مجموعته أقدم ما عرف حتى الوقت الحاضر ، ووضع حاتم السجستاني المتوفى حوالى عام ٢٥٠هـ مؤلفاً فى أخبار المعمرين من العصور القديمة ، مع ذكر الأشعار التى عزاها المتأخرون اليهم ، واهتم تلميذه المبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ بجمع الأخبار التاريخية ونماذج من الشعر والنثر القديم فى كتابه الكامل ، وعلق على كل منها بتعلقات لغوية . وآخر علماء هذه المدرسة المعروفين هو محمد بن دريد ، وكان أول ظهوره فى بلاط كل من الحاكم الفارسى عبد الله بن ميكال وابنه اسماعيل ، ولم يلجأ الى الخليفة المقتدر ببغداد إلا بعد زوال دولتهما سنة ٣٠٨هـ . وتوفى ببغداد عام ٣٢١هـ ، ووضع عهده معجماً كبيراً للغة العربية ، لم يأت بفائدة عمالية تذكر لعدم تنسيقه الوضعى . ووضع مؤلفاً فى الأنساب العربية ، بقصد إثبات اشتقاق أسماء القبائل العربية للدفاع عن اللغة ضد محاولات فرق الشعبىة من الخط من قدرها .

بدأت الدراسات اللغوية بالكوفة بعد بدءها بالبصرة بزمان قصير ، ولكننا للأسف لم يصلنا من مؤلفاتهم إلا النزر اليسير عن نشأة هذه الأبحاث وتطورها . ولقد كان لكتاب سيبويه من المنزلة العالية ما جعل آراء مدرسة البصرة المرجع الوحيد لعلماء العرب المتأخرين ، كما كان سبباً فى وضع علماء الكوفة فى المقام الأخير والتقهر بأبحاثهم اللغوية ونظرياتهم النحوية الى الراء ، حيث إننا لا نعرف منها اليوم إلا ما جاء ذكره فى الرسائل التى وضعها علماء البصرة فى الرد على نظرياتهم .

ويتضح لنا من هذا الجدل العلمى أن علماء الكوفة كانوا يركنون فى نظرياتهم الى ما يتلمسونه فى الحياة العامة من مطالب لغوية أكثر من منافسهم من علماء البصرة الذين أحكموا بناء قواعد اللغة فى النحو والصرف دون أن يكون لمشاعر الحياة اليومية أى أثر فى تعاليمهم ، ولذلك نجد أقدم رسائل علماء الكوفة تبحث فى الغلطات اللغوية التى تقع فيها عامة الشعب . ومؤلف هذه الرسالة زعيمهم الكسائى ، وهو فارسى الأصل ، وطلب العلم فى الكوفة على الرؤاسى ، وفى البصرة على الخليل ، ثم تولى تربية أولاد هارون ، وتوفى فى « رنبويه » بالرى عام ١٨٩هـ .

وحذا حذوه من بعد ابن السكيت المتوفى سنة ٢٣٤ هـ في كتابه في تحسين اللغة ،
 و ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ في كتابه في تعليم الكلام الجيد . واشتهر ثعلب كذلك بإخراجه
 بعض الأشعار العربية القديمة ، ووضع أقدم رسالة لنا في نقد الشعر لم تخرج عن آراء
 عامة ، وملاحظات على الشعر القديم . واهتم من بعده تلميذه محمد الأنباري المتوفى
 سنة ٣٢٧ هـ بجمع الألفاظ العربية المتضادة المعاني ، وهذه كثيرة في اللغة العربية بقدر
 غناها في الألفاظ . ولعل السبب في ذلك يرجع الى تركيبها من لهجات مختلفة ، خصوصا
 أن علماء العرب كثيرا ما كانوا يستخدمون مثل هذه الألفاظ في عباراتهم .

بدأ النزاع بين المدرستين : مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ، يمتد في القرن
 الثالث من الهجرة ، وكان قد بلغ أشده في القرن الثاني ، حيث أخذ شكل الحزبات
 والعداء الشخصي بين المتنافسين ، وأخذت بغداد تحل محل البصرة والكوفة من ناحية
 تركيز الدراسات والأبحاث العلمية ، فقد اجتمع حول بلاط الخليفة نفر غير قليل
 من العلماء الذين اهتموا بتوحيد كلمتهم والأخذ بالأصلح من نظريات المدرستين
 السابقتين ، نابذين كل الأفكار العدائية التي قامت زمنا طويلا بينهما . ولقد كان
 لمدرسة البصرة النصيب الأكبر في هذا الاتحاد ، لا اعتدال آرائها ودقة تعاليمها ،
 ولو أن معظم علماء هذا العهد كانوا يبذلون غاية جهدهم في جعل أبحاث العلماء الأولين
 تتفق مع أغراض الحياة العملية ومطالبها ، فلم يقتصر اهتمامهم على التسيطر على أساليب
 اللغة العربية الدقيقة ، بل كانوا يدرسون أهم الأشعار العربية وتفسيرها بما يطابق
 الأحوال العربية القديمة ، ويجتهدون في جعل ذلك كله في متناول رجال البلاط ،
 والادارة الحكومية ، مما أدخل على الأسلوب الدواويني الفاتر (العقيم) كثيرا من
 تحسينات البلاغة اللفظية .

وأول من اهتم بوضع المؤلفات الخاصة بتحسين لغة رجال الادارة الحكومية
 من علماء هذا العهد هو عبد الله بن قتيبة ، ويرجع أصله الى مدينة (مرو) وأسندت

اليه وظيفة قاض بمدينة (دينور) ثم اشتغل بالتدريس ببغداد الى أن توفي بها سنة ٥٢٧هـ. وأهم مؤلفاته موسوعة في الأدبيات تقع في عشرة أجزاء وتشمل موضوعات قيمة في سياسة الدولة وأنساب الأشراف، وفي الأخلاق والعلوم والتبطل والصداقة والرجاء والأطعمة والنساء، وكان يعلق على هذه الموضوعات بكثير من الأحاديث النبوية وأمثلة من التاريخ والأشعار القديمة، وإلحاقاً لهذا السفر الكبير وضع كتاباً في التاريخ استهله ببدء الخليقة، ثم أتى على قصص البطارقة الى أن تدرج الى أنساب العرب، ثم تبع ذلك بالسيرة النبوية وتاريخ آل النبي والصحابة، وختمه ببيان عن الخلفاء حتى عصره وعن مشاهير رجال الاسلام، وتاريخ ملوك جنوب بلاد العرب وبلاد الفرس، ولم يقصد المؤلف بوضعه هذا الكتاب تدوين التاريخ لذاته وإنما قصد وضع توقيت ينتفع به رجال الأدب على اختلاف اتجاهاتهم في أعمالهم المعارضة، كما عالج فيه الناحية اللغوية بأسلوب خاص لأعمال الإدارة الحكومية، ووضع كذلك كتاباً آخر في دراسة الشعر، يبحث في طبقات الشعراء مراعيًا فيه الترتيب حسب الموضوعات الشعرية، مع تفسير جميع العوامل المؤثرة في الشعر القديم، ووضع علاوة على مؤلفاته اللغوية رسالتين هامتين في العلوم الدينية، يفند فيهما نقد الفلاسفة الموجه الى ما زعموا من تناقض في القرآن والحديث الشريف، وقد كان موفقاً كل التوفيق في آرائه التفسيرية التي جاءت في هذين الكتابين.

وأما معاصره أبو حنيفة الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢هـ فإنه لم يقل عنه في غزارة المادة وتعدد الموضوعات التي طرقها بحثاً وتمحيصاً، وأهم مؤلفاته كتاب في علم النبات، عالج فيه تربة بلاد العرب، وامتاز هذا الكتاب بالأسلوب الجميل، وبما به من أبحاث لغوية هامة، علاوة على الملاحظات الطبيعية. وإنه لما يؤسف له حقا ضياع هذا الكتاب الذي لم يصلنا منه إلا بعض فقرات جاء ذكرها في مؤلفات المتأخرين، وبلى هذا الكتاب في الأهمية من مؤلفاته المتعددة كتاب القصص الطويلة، وهو كتاب

في التاريخ لم يقصد المؤلف أن يتمشى فيه مع الحوادث العالمية الهامة ، وإنما أراد تفصيل بعض المواضيع التاريخية وسردها بإسهاب ، وابتدىء هذا الكتاب بالتاريخ القديم ، وما يدور حول الاسكندر والفرس من أحاديث وروايات ، ذاكرا أخبار الساسانيين على الأخص بالتفصيل ، وخص موقعة القادسية من تاريخ الغزوات العربية بالذكر . ثم يلي ذلك تاريخ المنازعات التي قامت بين علي ومعاوية والخوارج ، كما فصل واقعة مقتل الحسين تفصيلا ، وكذلك ثورات الأزرقيين والمختار في عصر الأمويين ، وختم كتابه بتاريخ مقتضب للخلفاء من عبد الملك الى الخليفة المعتصم ، مع الوصف الدقيق لروال دولة الأمويين وفتن العلويين في خراسان . « يتبع »

صفات الاخوان

كتب العباس بن جرير الى الحسن بن مخلد :

ارح الاخاء أبا محمد	سد الذي يصفو وصفه
وإذا رأيت منافسا	في نيل مكربة فكفه
إن الصديق هو الذي	يرعاك حيث تغيب عنه
فاذا كشفت إخاءه	أحمدت ما كشفت عنه
مثل الحسام إذا انتضا	ه ذو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما يسعى له	كرما وإن لم تستعنه

وقال عمر أمير المؤمنين : يثبتن لك الود في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء اليه .

وقال رجل لمطيع بن إياس : جئتكم خاطبا مودتك ، فقال له : قد زوجتك على شرط أن تجعل صداقها أن لا تسمع في مقالة الناس .

وقال شاعر :

إن كنت تبغى المرء أو أصله	وشاهدا يخبر عن غائب
فاعتبر الأرض باسمائها	واعتبر الصاحب بالصاحب

أسرار التشريع الاسلامى

تحدثنا فيما سبق الى القراء عن شروط الوقف ، فنعود الى إيضاح ذلك بما يتسع له المقام :

من المسلم به فقها وقضاء أن العين الموقوفة حين تستغرقها ديون الغرماء لا يقع وقفها صحيحا إلا إذا أجازها الغرماء . فإذا انطلقوا الى ساحة التقاضى وطلبوا من قاضى الموضوع نقض هذا الوقف كان على القاضى أن ينقضه .

ومعلوم أن مذهب الامام أبى حنيفة لا يرى صحة الوقف ولا لزومه ، وأن مذهب الصحابين هو الذى يرى الصحة واللزوم . فالسلاطين والحكام حين منعوا القضاة فى عصر المولى أبى السعود من الحكم بلزوم الوقف وصحته إنما عدلوا عن مذهب الصحابين الى مذهب الامام أبى حنيفة الذى لا يرى انعقاد الوقف على تلك الصورة جريا على قاعدة تخصص القضاة ومنعهم من الحكم فى حادثة معينة برأى ولو كان راجحا ، وأمرهم بالحكم فيها برأى آخر ولو كان مرجوحا مسابرة لمقتضيات المصلحة العامة .

لكن هذا التخصص الذى سبق به العمل فى بعض الأزمان الخوالى لم يرد عنه نص فى قوانين محاكمنا الشرعية الراهنة منذ تأسست المحاكم . فالقضاة مقيدون بالقول الراجح فى مذهب أبى حنيفة حين يقف مدین غير مريض وغير محجور عليه . فهم ممنوعون من الحكم بعدم لزوم الوقف إذا صدر من مدین غير محجور عليه . من أجل ذلك قامت قيامة القضاة الشرعيين فى أنحاء الدوائر المختلفة حين كثرت الشكايات من جانب الغرماء وتجاوبت شكايتهم أصدقاء القضاء من هرب المدينين من أداء دينهم حين ينشئون وقفا فيصبح الوقف لازما ونافذا ، فطلبوا فى مذكرة رفعوها الى أولياء الكلمة فى وزارة الحفانية يقترحون فيها أن يصدر قانون بمنع لزوم

الوقف من الواقف المدين إذا اتضح أنه لا يملك عينا أخرى غير العين الموقوفة سدا للذرائع وأخذا للمسألة من أقرب وجوها وقضاء على فكرة التحايل التي تظهر عند الواقف في معرض الخير، وهي في واقع أمرها ظلم صارخ واعتماد شنيع .

وجملة القول في وقف المدين أنه إما أن يكون محجورا عليه أم لا، وفي هاتين الحالتين إما أن يقف في حال صحته أو يقف في حال مرضه مرض الموت، فالأحوال أربعة: ثلاث منها للغرماء فيها حق طلب نقض الوقف فيما شغل بالدين، وهي وقف المحجور عليه سواء كان في حال صحته أو مرضه، ووقف المدين غير المحجور عليه في مرض موته، والحالة الرابعة وهي وقف المدين غير المحجور عليه في حال صحته، وحكمها أنه ليس للغرماء حق الاعتراض وطلب نقض الوقف لتعلق حقهم بذمة الواقف لا بماله، وهذا هو صريح المذهب .

وأفتى أبو السعود بنقض الوقف في هذه الحالة إذا طلب الغرماء، عملا برأى أبي حنيفة الذي يرى عدم لزوم الوقف، وإن كان مرجوحا لضرورة المحافظة على مال الدائنين .

ورجح ابن عابدين أيضا هذا الرأي للضرورة

عباس ط
المحامى الشرعى

سهو الفطرة

قال كسرى أنوشروان ملك الفرس للميد وهو العالم عندهم : ما كان أفضل الأشياء ؟ فقال الميد : الطبيعة النقية تكتفى من الادب بالرائحة ، ومن العلم بالإشارة ، وكما يموت البذر في السباخ كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة .

فقال له كسرى : صدقت ونحن لهذا قلدناك ما قلدناك .

وقيل لازدشير : الأدب أغلب أم الطبيعة ؟ فقال : الادب زيادة في العقل ، ومنبهة للرأى ، ومكبسة للصواب . والطبيعة املك لأن بها الاعتقاد ، وبها الفراسة ، وتتام الغذاء .

نظرة جامعة الى تاريخ الاسلام في بولونيا

وأحوال المسلمين فيها

في القرن السادس عشر كتب أحد المسلمين في بولونيا رسالة عنوانها « الاسلام في بولونيا » قدمها الى رستم باشا صهر السلطان سليمان ، والى كبار العلماء في تركيا ، وجه فيها اللوم واستحث الهمم أن يتعهدوا جذوة الاسلام التي أخذ سناها يضيء في تلك الأصقاع النائية المتعطشة لقبول مبادئ الاسلام وتعاليمه القويمة ، ونبه الى أن عاقبة إهمال المسلمين البولونيين وانقطاع الصلة بينهم وبين العالم الاسلامي ستقضى عليهم وتذهب بريحهم ، واقترح لذلك أن يقدم المسلمون على بناء المساجد ، وإرسال البعثات التبشيرية لتعليم مسلمي بولونيا أصول الدين ، ومدّم بالمؤلفات الدينية .

ومما شجعه على كتابة تلك الرسالة وإذاعتها خصوصاً في الوقت الذي اشتد فيه عداء أغلب الدول الأوروبية نحو الاسلام ، تسامح الحكومة البولونية وكرم رجالها ، لأنها لم تتدخل في شئون المسلمين ، بل كانت تكفل لهم الحرية الدينية والمدنية وتعاملهم كعاملتها لأبناء الوطن الأصليين .

وقد بدأت الدعوة عن المسلمين البولونيين في الانتشار في جميع أنحاء العالم ، ولكن سوء الطالع قضى أن تقع بولونيا في أواخر القرن الثامن عشر في حروب عديدة قضت على استقلالها ، وانتهت بتقسيمها بين روسيا والنمسا وألمانيا ، وكان من سوء الحظ أن تقع المنطقة التي يكثر فيها المسلمون تحت الحكم الروسي الذي اشتهر بعدائه للاسلام ، فأذاق المسلمين سوء العذاب ، وأضاع حقوقهم ، وازداد اضطهاد الروس المسلمين ، فتناقص عددهم كثيراً وانقطعت صلتهم بالخارج ، واستمرت حالتهم تتطور من سيء الى أسوأ حتى سنة ١٩١٨ حين استقلت بولونيا ، فكان هذا التاريخ بداية عهد جديد للاسلام

في تلك البلاد عادت فيه الطمانينة الى النفوس، وتحسنت حال المسلمين، وبدأت صلتهم بالخارج تزداد، فأرسلت بعثة دينية من خيرة شباب المسلمين في بولونيا الى الأزهر الشريف، وتبودلت الزيارات، فأتاح هذه الفرصة كتابة هذا الموضوع لتسجل فيه حالة الاسلام والمسلمين منذ بدأ الاسلام أن ينفذ الى بولونيا حتى العصر الحاضر.

انتشرت المبادئ الاسلامية في طول الأرض وعرضها بهمة رجال الاسلام العاملين، فوصلت الصين وأسبانيا والروسيا وأفريقيا، وما زالت تتسع وتنتشر حتى عمت دولا كثيرة، ودخل الناس في الاسلام أفواجا، وصادفت الدعوة رواجاً عظيماً بين الشعوب التركية والتتارية التي عرفت فيما بعد بغيرتها على الاسلام ودفاعها عنه، وقد لعبت هذه الشعوب دوراً كبيراً في تاريخ الاسلام في بولونيا والروسيا.

كانت هذه الشعوب التركية والتتارية تميل بطبيعتها الى الفتح والغزو، فلما دخلت في الاسلام بقيت على نزعتها الحربية مضطرة بما تتوقعه من غارات جيرانها وتهديداتها إياها في أرضها، فاشتبكت في حروب كثيرة مع جيرانها من الدول الروسية والبولونية وغيرها، وكانت تنتصر تارة وتنهزم تارة أخرى، ولكن هذا الاحتكاك بين الأتراك والشعوب الشمالية أدى الى نفاذ بعض المسلمين الى بولونيا واستوطنوا بها. هذا وفي عام ١٣٩٧ ميلادية انتصر الملك فيتولت (أحد ملوك مقاطعات شمال شرق بولونيا) على بعض الدول التتارية، وأسر بعض المسلمين الذين استقروا في البلاد محتفظين بمبادئهم الدينية وتقاليدهم الاسلامية، فكونوا بذلك جالية إسلامية صغيرة بالقرب من مدينة فيلنو أصبحت نواة الاسلام في بولونيا. وقد امتازت الشعوب التتارية بشجاعة أفرادهم ومهارتهم الحربية، إذ كان من عاداتهم التغنى بالفروسية والفخر بالنصر أو الموت في ساحات القتال دفاعاً عن الدين والوطن. هذه الطبيعة متأصلة في نفوسهم من القدم، ولم يشنوا غارة إلا انتصروا، وإذا انضمت القبائل التتارية الى فريق من المتحاربين فقد رجحت كفة القتال في صفهم. لهذا كثيراً ما كانت بولونيا تلجأ الى التحالف مع بعض

ملوكهم ليمدوها بالمال والرجال أثناء حروبها مع الدول المعادية . وقد حدث في عام ١٤١٠ ميلادية أن قامت فرقة تتارية مكونة من بضعة آلاف من المسلمين تحت قيادة الأمير جلال الدين (أمير أحد الولايات الاسلامية الواقعة على ضفاف نهر الفلجا) لمساعدة بولونيا ضد بروسيا ، واستطاعت بولونيا بذلك أن تحوز النصر في موقعة جرونوالد، ثم رجع الأمير الى بلاده . وفي عام ١٤٣٢ ميلادية عقدت معاهدة بين بولونيا والأمير أحمد والى كيبشاك (الواقعة في شمال بحر القزوين) على أن يقوم هذا الأخير بمساعدة بولونيا ومدها بالرجال الفرسان نظير ما تقدم له من مال وامتيازات لرعاية المسلمين في بلاده .

استقر عدد كبير من الجنود والمهاجرين من التتار في بولونيا، ولم تكن الحكومة تعارض في ذلك ، بل كانت تعمل دائماً على تشجيع إقامتهم في البلاد، فسهّلت لهم سبل الإقامة، وسوّت بينهم وبين أهل البلاد في الحقوق والواجبات ، ولم تتدخل في مسائلهم الدينية، كما أنها سمحت لهم بالزواج من البولونيات غير المسلمات، وتركت لذريتهم الحرية في اختيار ما يشاءون من الأديان ، ولم تكن عنايتها بهم تقل عن عنايتها بأبناء الوطن الأصليين ، ومنحتهم فوق ذلك أراضى كثيرة صالحة للزراعة في الشمال الشرقي من بولونيا أصبحت فيما بعد مقر الاسلام والمسلمين ، ولما كانت مدينة فيلنو أهم مدن هذه المقاطعة أو قل إنها عاصمة تلك الجهة ، أصبحت هذه المدينة عاصمة الاسلام ومقر المسلمين ، ولم يفقد هؤلاء القوم شجاعتهم وإقدامهم وحبهم للحرب والقتال ، واستفادت بولونيا من هذه الصفات ، فبنيات لهم أن يكونوا فرقاً خاصة في الجيش ، وتمتاز هذه الفرق بزي خاص وإشارات خاصة ، أخص ما فيها هذا الهلال الذي يعلن عن الاسلام ، وقد بلغ عدد هذه الفرق في عام ١٤٣٢ من أربع إلى ست فرق ، بينما بلغ عددها في عام ١٦٥٤ سبع فرق ، وقد لعبت هذه الفرق دوراً هاماً مجيداً في الدفاع عن حدود بولونيا الشرقية ضد غارات الروس ، وقد أبلى المسلمون بلاءً حسناً في هذه الحروب لاسيما الحرب التي وقعت بين عام ١٥٠٨ وعام ١٥١١

أشار المسلم البولوني في رسالته إلى رستم باشا أن حالة المسلمين طيبة، وأن ما بها من المساجد كذلك، وأنه يوجد عدد كبير من حفظة القرآن الكريم، وأن معظم الكتب الدينية والتفاسير مكتوبة بأحرف عربية ولكن ألفاظها بولونية. وفي وصفه لحالة المسلمين الاجتماعية قال: إن مستوى معيشتهم مرتفع إذا قيس بمستوى معيشة المسلمين في روسيا وغيرها من الدول المسيحية. هذا من الوجهة المعيشية، أما من الوجهة العلمية والثقافية فيندر بينهم من لا يجيد الكتابة والقراءة. ثم إن كفائتهم في فن الترجمة ودراسة اللغات الأجنبية أفسحت لهم المجال للاشتغال في السفارات خصوصاً في البلاد الشرقية. واختتمت الرسالة بدعوة عامة لجميع المسلمين للمحافظة على تلك الجذوة من نور الاسلام، والعمل على إذكائها وتنميتها.

أثرت هذه الرسالة في نفس رستم باشا، وأوجدت في الجو التركي ميلاً شديداً وانعطافاً نحو مسلمي بولونيا، ومن ثم بدأت صلتهم بالخارج تتزايد، وكثرت المبادلات والمراسلات، وانهالت عليهم الرسائل والمؤلفات الدينية من كل حدب وصوب، فتحسنن حالهم كثيراً، وكثر عددهم حتى تراوح ما بين ١٣ و ١٤ ألف نفس في القرن السابع عشر، ولم يكن الاتصال قاصراً على الأمم الاسلامية المجاورة مثل تركيا والقرم، بل تعداها الى الشام والعراق ومصر، وزادت معرفتهم بالاسلام.

بقيت الرسالة المقدمة الى رستم باشا المصدر الوحيد عن حالة الاسلام في بولونيا الى أن جمع الله بين موسى كاد هودى أحد المسلمين البولونيين وبيدشفي المؤرخ التركي الشهير، فوجه هذا الأخير عدة أسئلة الى موسى كاد هودى يستفسر فيها عن حالة الاسلام في بولونيا، وأبدى رغبته الشديدة في الكتابة عن هذا الموضوع فلم يتأخر موسى كاد هودى عن مده بالعلومات الكافية، وقد خصص هذا المؤرخ التركي لهذا الموضوع بعض الفصول في الجزء الأول من كتابه المسمى « تاريخ » وقد تناول بحثه وصفاً مسهباً عن حالة الاسلام والمسلمين في بولونيا ومستواهم الخلق والعلمي والأدبي،

وعن طهارة روحهم الاسلامية وتمسكهم بأصول الدين واتباعهم لمذهب أبي حنيفة، ورجوعهم في حال خلافتهم الدينية الى علماء كرمان وغيرها من البلاد الاسلامية المجاورة.

تلك هي حالة مسلمي بولونيا حتى القرن الثامن عشر عند ما انقسمت بولونيا الى ثلاثة أقسام بين روسيا والنمسا وألمانيا. « يتبع »
على اسماعيل فورونوفتش ، محمد سيد الحموى

ذم الغيبة

قال الله تعالى : « ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يا كل لحم أخيه ميتاً ؟ » .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا قلت في الرجل ما فيه فقد اغتبتته ، وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهتته » في هذا رد على الذين يقولون إننا لا نذكر فلانا إلا بما فيه فلا إثم علينا .
مر محمد بن سيرين المحدث المشهور بقوم فقام اليه رجل منهم فقال : أبا بكر إنا قد نلنا منك خللنا . فقال إني لا أحل ما حرم الله .

وكان رقية بن مصقلة جالسا مع أصحابه فذكروا رجلا بشيء ، فطلع ذلك الرجل ، فقال بعض أصحاب مصقلة : ألا أخبره بما قلنا فيه لئلا يكون غيبة . قال أخبره حتى يكون نيمية .
واغتاب رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم ، فقال له : أمسك عليك أيها الرجل فوالله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظتها الكرام .

قال محمد بن مسلم الطائفي : جاء رجل الى ابن سيرين فقال له : بلغني أنك نلت مني . فقال له : نفسي أعز من ذلك .

وقال رجل لبكر بن محمد بن عصمة : بلغني أنك تقع في . قال أنت إذن على أكرم من نفسي .
وعاب رجل رجلا عند بعض الفضلاء فقال له : قد استدلات على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس ، لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها .

فلسفة الاخلاق

وصلتها بالنفس البشرية

أسلفنا في بحوثنا السابقة أن أولى القوى التي تظهر في الانسان وتكون من مقوماته هي القوة التي يشترك بها الى الغذاء ، وهي تعرض له في أولى مراحل الحياة لا تفقأ تستحدث من الحوافز والدوافع لديه ما ينهض بالانه وأسبابه أن يصل الى ما في متناوله ، إبقاء على نفسه وحرصا عليها من الضياع ، فيتحرك مثلاً بطبيعته الى الابن ياتمهسه من ثدى أمه الذي ألهم به من غير تعليم ولا توقيف ، فيحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت المنهدج الذي يدل به على اللذة أحياناً وعلى الأذى أحياناً . ثم تزايد فيه هذه القوة ويتشوق بها أبداً الى الازدياد والتصرف بها في أنواع الشهوات . ثم تحدث فيه قوة على التحرك نحوها بالآلات التي تخلق له الشوق الى الأفعال التي تحصل له هذه . ثم يحدث له من الحواس قدرة على تخيل الأمور وترسم معانيها . فيرسم في قوته الخيالية صوراً ومقادير وأبعاداً يتشوق اليها ويسمو الى التزود منها . ثم تبرز فيه القوة الغضبية التي يشترك بها الى اتقاء ما يؤذي ومقاومة ما يصدده عن انتفاعه بها ، فإن أطاق بنفسه أن ينتقم بواسطة شهوته الغضبية من مؤذياته تغلب عليها وإلا التمس معونة غيره وانتصر بوالديه بالتصويت والبكاء . ثم يحدث له في خاتمة مراحل الشوق الى تمييز الأفعال الانسانية بنوع خاص أولاً فأولاً حتى يصير في كماله في هذا التمييز فيسمى حينئذ عاقلاً .

وتلك القوى كثيرة متآخدة الأسباب والعلل بعضها ضروري في وجود الأخرى وبعضها متحصل بالبعض الآخر الى أن ينتهي الى الغاية الأخيرة وهي التي لا تراد لغاية أخرى وهي الخير المطلق الذي يتطلبه الانسان من حيث كونه إنساناً .

وتلك المراتب التي حددناها بتلك الرسوم إنما هي خاصة من خواص الأحداث الصبية . والأحداث الصبية كما قال جالينوس : نواة هذا المجتمع الذي تقوم عليه نواميس

الوجود . فالإناسي في أدوار وجودهم لابد أن يحتازوا أول دور من أدواره وهو عهد الحداثة والصبا . فذلك العهد هو مغرس الفضائل أو عش الرذائل ، وهو منبت السوء أو منبع الحكمة والنور ، وهو الشيء ، أو نقيضه بالقياس الى ما بذل في سبيل تأديبه من تعاليم ، وما ركز فيه من خلق كريم .

فأول ما يحدث في الصبي من هذه القوة الحياء ، وهو الخوف من ظهور شيء قبيح من جانبه . ولذلك يقول أرسطو : إن أول ما ينبغي أن ينغرس في الصبي ويستدل به على عقله الحياء ، فإنه يدل على أنه قد أحس بالقبيح ، وهو مع إحساسه بالقبيح يفرق منه ويتجنبه ويحذر أن يظهر عليه أو يبدو له فيه أثر . فإذا نظر الى الصبي فوجد مستحييا مطرقا بطرفه الى الأرض غير وقح الوجه ولا محقق الى محاذيه ، كان من أبرز الأدلة على نجابته وسلامة ذوقه وسعة عقله ، وكان شاهد عدل على أن نفسه قد أحست بالجميل والقبيح ، وعرفت الفرق بينهما ، فرضيت أن تعتنق الجميل مذهباً ، وأن تتنكب القبيح لها مسلماً ، وأيقنت بالفرق العظيم بينهما وأيهما يجب أن يفعل وأيهما يجب أن يهمل ، وتلك النفس التي يحملها بالمرء دليل على صلاحيته للتأديب وتلقى مبادئ التهذيب .

فالخلق يمثل هذه النفس أن تنبه أبداً على حب الكرامة ، ولا سيما ما يحصل له منها بالدين دون المال وبلزوم سننه ووظائفه . هذه النفس التي يحملها الأحداث والصبية بين جواربهم يجب أن تمرن في أولى مراحلها على الحذر من الأشرار ومخالطة الأخيار ، وتجنب ما من شأنه أن يورث في النفوس زهواً أو يحدث غروراً ومرحاً ، أو ينشئ إيمعاً في المتاع وأثرة فيما يضر وفيما ينفع ، حتى تنساق سنن الوجود وتتلاقى أسبابه وتنعدم تلك الفوارق التي ما بقيت في أمة إلا كانت سبيل حتفها .

أما آراء الأخلاقيين فيما يجب أن يكون عليه الصبية والأحداث من أخلاق وماتأثر به نفوسهم من أعراض هذه الحياة ، وما جد من خلاف بين بعض الأخلاقيين من المتأخرين وبين المتقدمين منهم ، فموعدنا بالكشف عن ذلك العدد التالي إن شاء الله .

التربية في المدارس الألمانية والانجليزية

توجد أحوال يعرفها الآباء والمربون لا تغنى فيها جميع وسائل التربية من زجر وتأنيب وحبس وحرمان من الدرس أياما وأسابيع الخ ، بل قد يزداد التلميذ قحة وبلادة ويكون مثل سوء لغيره . فهذه المشكلة قد حلها الانجليز والألمان فابقوا على عقوبة الضرب في المدارس . أمانا الآن كتاب لحضرة صاحب العزة حسن نبيه بك المصرى الذى كان مستشارا بمحكمة الاستئناف ، دعاه (التريب) ألم فى بعض بحوثه بهذه المسألة . ونحن نلخص ما جاء به منها : من النظام المدرسى استعمال عصية من الخيزران فى عقاب التلاميذ ، ولكن توقيع هذه العقوبة مقيد بتوافر أحوال تجوز للمعلم الحق فى المجازاة بها ، وهذه الأحوال هى : الكذب ، والاصرار على التمرد ، والكسل ، والفحاشة ، والهرب .

وليس المعلم بمطلق اليد فى اختيار العصية التى يضرب بها ، ولا فى عدد الضربات ، ولكن المدرسة هى التى تعطى للمعلم تلك العصية وتحدد له عدد الضربات من ثلاث الى ست . ولا يوقع العقاب أمام التلاميذ حفظا لكرامة المذنب . ويحضر هذا العقاب مدرس ثان ومدير المدرسة .

والضرب مستعمل فى مدارس إنجلترا . ولا يثير الضرب سخط التلاميذ لأنهم يعتبرونه جزاء وفاقا لبعض الذنوب . ومتى تم توقيع الجزاء تصافح التلميذ والمؤدب . وقد يكون الطالب موضع هزؤ وسخرية عند بقية الطلبة بل مرميا بالجن وقله الحياء إن هو وجد على مؤدبه ، ويصبح جميع إخوانه نافرين منه إن أبى العقوبة أو تحملها مكرها .

وقد جسد صاحب كتاب اعراف باريس مذهب الانجليز فى استخدام العصا لمتحدى التلاميذ ، واستدل على نفعها بنحصب إنجلترا فى اتباع الرجال الأقوياء الأحرار . فالرجال الكبار (بت) و (فكس) و (اكسيل) و (غلادستون) ذاقوا طعم هذه العقوبة . قال : ولا ينكر أحد أن إنجلترا كانت فى كل أدوارها بعيدة عن تقيصة العبودية للأقوياء . ولا ينكر أنها أنجبت رجالا عظاما .

التريب

هذا الكتاب الذى لخصنا منه الكلمات المتقدمة يقع فى نحو ٤٥٠ صفحة ، مطبوع أجمل طبع على أجود ورق ، أما موضوعه فإخص المواضيع بالحياة الاجتماعية وهى التربية . وقد سلك فيها مؤلفه حضرة صاحب العزة حسن نبيه بك المصرى مسلك رب الأسرة اليقظ الحصيف ، فلم يدع صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بتقويم الأخلاق وتربية الملكات ، وتنبيه

النحائر الكريمة في الأطفال إلا أحصاها على ما تنص عليه أقوم مذاهب التربية ، ولكن الصفة المميزة لهذا الكتاب هي أنه موضوع للحياة المصرية ومراعى فيه عاداتها وتقاليدها ، وما طرأ على تلك التقاليد والعادات من التغير . فدرس أطوار هذا التحول دراسة الخبير بنفسية الناس ، وعالجها علاج المطلع على وسع النفوس وطاقتها . كل ذلك في لهجة عربية صحيحة وبيان خلاب .

فإن لاحظنا عليه شيئاً فهو استعماله لالفاظ غريبة أحياناً ولكنها ألفاظ عربية فصيحة ، وهو يتدارك القارئ بشرحها في أذيال الصحف . وقد ختمه بفهرس للأعلام هو وحده جامع لتراجم أشهر الرجال والمؤلفين والحكماء . وفق الله مؤلفنا الكريم لا تحاف أبناء هذه اللغة بأمثاله ، وجزاه عن عمله خير ما يجزى به المصالحين .

أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم

هذا اسم كتاب يقع في نحو ٣٦٠ صفحة نشره الأستاذ (ج. هيورث . دن) المدرس بمعهد الدراسات الشرقية بلندن . ساعده على نشره أوصياء ذكرى (١ . ج . و . جب) وهو مقتبس من كتاب الأوراق لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى .

إن مجرد ذكر مؤلف هذا الكتاب وهو الصولى يغنى عن تقريره ، فهو صفحة من الأدب العربى كانت مطوية فنشرت ، سيجد مطالعوها من مكنونات الشعر الأرسطوقراطى ما لا يمكن العثور عليه مجوعاً في غير هذا الكتاب . وهى عناية عظيمة من حضرة الأستاذ (ج . هيورث . دن) نشكره عليها كل الشكر ، ونرجو لكتابه ما هو خليف به من الذبوع والانتشار . وقد أهدها لصاحب العزة طه حسين بك أستاذ الأدب بكلية الآداب بالجامعة المصرية .

الفتح الربانى

تم طبع الجزء الرابع من كتاب (الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيبانى) تاليف حضرة الأستاذ الشيخ احمد عبد الرحمن البنا الساعاى . وعنوانه عطفة الرسام رقم ٩ بالغورية بالقاهرة .

حياة الخليل ابراهيم

هى سلسلة محاضرات ألقاها حضرة الوجيه مصطفى افندى محمد الراعى تتضمن ترجمة حياة رسول الله ابراهيم الخليل عليه السلام يقع فى مائة وستين صفحة لم يترك شاردة من تاريخ

أبي الأنبياء إلا أوردتها، فهو أجمع رسالة لسيرة هذا النبي الكريم . جزى الله مؤلفه خير الجزاء ،
وأثابه على صنيعه بما هو به خليق .

منهج الادب العربي الحديث

هو كتيب يقع في مائة صفحة لحضرة مؤلفه الفاضل الاستاذ المربي محمد رزق الدهشان
المدرس بالمدارس الثانوية . وضعه طباقا لآخر ماقرته وزارة المعارف للسنة الثالثة الثانوية
من منهج الادب العربي ، وهو يتناول تعريف الادب وتاريخه في العصور المختلفة : العصر
الجاهلي . والعصر الاسلامي . والعصر العباسي . وعصر المماليك . وعصر الدولة العثمانية .
والنهضة الحديثة . أتى المؤلف على تاريخ الادب في هذه العصور بايجاز غير محل بحيث يلم قارئه
في جلسة واحدة يطالع فيها هذا الكتيب بفدلكة عن الادب يعجز أن يخرج بمثلها
بعد دراسات طويلة ، ومكابدات شاقة . فنشكره على هذا العمل الجليل راجين له دوام التوفيق .

جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالقاهرة

بشارع الملكة نازلي بدار جمعية الشبان المسلمين

ستعقد الجمعية الامتحان السنوي في حفظ القرآن الكريم وتجويده في يوم السبت
١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ (١٥ أغسطس سنة ١٩٣٦) وآخر موعد للطابات ٢٠ يولي
بجمعية الشبان المسلمين — بالشروط الآتية :

- ١ — لا يجوز أن تكون سن الطالب زائدة عن ١٤ سنة لغاية أول أغسطس بموجب شهادة رسمية
 - ٢ — لا يجوز أن يكون ممن أخذوا مكافآت مالية في مسابقات السنين الماضية .
 - ٣ — سيعطى للعشرين الأول من الفائزين مكافآت مالية أرقاها ستة جنيهات .
- رئيس الجمعية : على حسن احمد

الى حضرات المشتركين

نرجو كل مشترك أن يتفضل بذكر رقم اشتراكه الموجود فوق عنوانه في كل كتاب
يرسله الينا حتى يسوغ لقلم الكتاب أن يوافوه بمطلوبه يوم وصول كتابه . أما إغفال هذا الرقم
فيفضى الى تأخير جوابه تأخيرا غير مقصود . لأن البحث عن اسمه بالسجلات يقتضى إنفاق
وقت ليس بالقليل هم أحوج اليه لانجاز أعمال أخرى .

man in whose face the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) sprayed water from his mouth; Mahmūd was then a boy, and the water was taken from a well belonging to his family."

° Urwah related through Al - Miswar and another witness (1), who confirmed each other's narration : "..... and when the Prophet (Allāh bless him and give him peace) performed his wudū*, the Faithful nearly fought one another for the water left over from his wudū*."

3. We are informed by Abdu-r-Rahmān b. Yūnus, who had it from Hâtim b. Ismâ'il, through Al-Ja'd, who heard As-Sâ'ib b. Yazid say :

"My maternal aunt once took me to the Prophet (Allāh bless him and give him peace) and said : 'O Messenger of Allāh, my nephew is ailing'. (2), The prophet then stroked my head, and called down a blessing upon me. After that he performed his wudū*, and I drank of the water left over. I then stood up behind him, and observed the seal of prophethood between his shoulders, like a partridge's egg. (3)"

النبى حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى وجنبيه وهنوا غلام من بيهم.

وقال عروة عن المسور وغيره
يصدق كل واحد منهم ما صاحبه
..... وإذا توضأ النبي صلى الله عليه

وسلم كسادوا يقتتلون على وضوءه.

٣ - حدثنا عبد الرحمن بن يونس قال

حدثنا حاتم بن اسماعيل عن الجعد قال
سمعت السائب بن يزيد يقول :

« ذهبَتُ بنى خالتي إلى النبي صلى

الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن

ابن أختي وجع، فمسح رأسي

ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت

من وضوءه، ثم قممت خلف

ظهره فنسظرت إلى خاتم النبوة،

بين كتفَيْهِ مِثْلُ زَرِّ الْحَجَلَةِ. »

(1) Marwān b. Al-Hakam.

(2) Or — وقع having sore feet from walking barefoot on rough ground.

(3) Or — like a button used in upholstery, since حجلة may have the meaning of an upholstered bower. The rendering "partridge's egg" is borne out by the parallel version in Muslim, where بيضة الحمامة (pigeon's egg) is given. Other versions give تفاحة (apple) and بندقه (nut).

As regards "the seal of prophethood", according to Abu Nu'aim's "Ad-Dalâ'il", when the Prophet was born, he was immersed by the Angel three times in a miraculous spring, whereupon there appeared a seal wrapped in white silk, with which the Angel stamped his shoulder, the shape of the mark left being similar to that of an egg, apple, nut or fig. It is also stated that the Prophet was born with it. The seal was a visible proof of the Prophet's mission as foretold in the sacred books. Also he is spoken of in the Qur'ân as the "Seal of the Prophets", — there being no prophet after him.

and on Jarir b. ‘Abdullāh’s injunction to his wife to use for her wudū^s the water left over after he had dipped his tooth-stick in it.

1. We are informed by Adam, who had it from Shu^sbah, who received it from Al-Hakam, who heard Abu Juhaifah say :

“The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) once came out to us in the noonday heat. He was brought water and performed his wudū^s. Then the Faithful proceeded to take some of the water left over from his wudū^s, and to rub themselves with it. Afterwards the Prophet (Allāh bless him and give him peace) performed the noon-prayer and the afternoon-prayer with two rak^ahs each, having an iron-tipped staff *stuck in the ground* in front of him.”

Abu Mūsa said : “The Prophet (Allāh bless him and give him peace) sent for a bowl of water, in which he washed his hands and face, and then rinsing his mouth and ejecting the water into the bowl, he said to his two companions (1): ‘Drink from this water and pour it over your faces and throats.’”

2. We are informed by ‘Ali b. ‘Abdullāh, who had it from Ya^cqūb b. Ibrāhīm b. Sa^d, who received it from his father through Sālih, through Ibn Shihāb, who said :

“I was told a hadith (2) by Mah-mūd b. Ar-Rabi^c - who was the very

وَأَمَرَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَهْلَهُ أَنْ
يَتَوَضَّعُوا بِفَضْلِ سِوَاكِهِ .

١ - حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ :
حَدَّثَنَا الْحَكَمُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَحْفَةَ
يَقُول :

« خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمِاءِ جَرَّةً ، فَأَتَى بِوَضُوءٍ
فَتَوَضَّأَ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ
مِنْ فَضْلِ وَضُوءِهِ فَيَتَمَسَّحُونَ
بِهِ ، فَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ وَالْعَصْرَ
رَكْعَتَيْنِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عِزَّةٌ . »

وقال أبو موسى « دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَنَغَسَلَ
يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ وَخَجَّ فِيهِ ثَمَّ
قَالَ لَهُمَا : اشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا عَلَى
وُجُوهِكُمَا وَنَحْوِرِكُمَا . »

٢ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا
يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي
عَنْ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ :

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الرِّيسِ قَالَ وَهُوَ

(1) i.e. Abu Mūsa and Bilāl

(2) Namely, the hadith cited in the Book of Knowledge : “I remember of the Prophet how he sprayed my face through his mouth with water taken from a bucket, when I was five years old.”

We are informed by Mûsa, who had it from Wuhaib, through ʿAmr, through his father, who said :

“I was present when ʿAmr b. Abu Hasan asked ʿAbdullâh b. Zaid about the wudûʿ as performed by the Prophet (Allâh bless him and give him peace). He called for a vessel of water and performed the wudûʿ for them just as the prophet (Allâh bless him and give him peace) used to perform it. He poured some water out of the vessel on to his hand and washed both hands three times. (1) After that he immersed his hand in the vessel, and with three scoops he rinsed his mouth, snuffed water up his nostrils and ejected it. (2) He further immersed his hand and washed his face three times, after which he washed his hands twice as far as the elbows. Next he immersed his hand and stroked his head with both wet hands, passing them from front to back and from back to front once only. Finally he washed his feet as far as the ankles.”

CHAPTER 40

On the use of water left over (3)
from other people's wudûʿ ;

حدثنا موسى قال حدثنا وهيب عن عمرو عن أبيه :

شهدت عمرو بن أبي حسن سأل عبد الله بن زيد عن وضوء النبي صلى الله عليه وسلم ، فدعا بتور من ماء فتوضأ لهم وضوء النبي صلى الله عليه وسلم ، فأكفأ على يده من التور فغسل يديه ثلاثاً ، ثم أدخل يده في التور فضمض واستنشق واستنشر ثلاث غرات ، ثم أدخل يده فغسل وجهه ثلاثاً ، ثم غسل يديه مرتين إلى المرفقين ، ثم أدخل يده فمسح رأسه فأقبل بهما وأدبر مرة واحدة ، ثم غسل رجليه إلى الكعبين .

— ٤٠ —

بَابُ اسْتِغْمَالِ فَضْلِ وَضُوءِ النَّاسِ :

(1) i.e. he poured water into the hollow of one hand with which he washed both hands, repeating the process three times. This made sure the ritual cleanness of the hand before its subsequent immersion into the vessel. (Ibn Hajar)

(2) Al - ʿAini states that Ash-Shâfiʿi used to take three scoops for each process, while some doctors interpret the hadith as indicating three scoops for both. Ash - Shâfiʿi's practice, however, has become general.

(3) فضل الوضوء is not the water expended on the wudûʿ but the clean water left in the vessel after the completion of the wudûʿ, with which washed hands have come in contact.

head ; (1) and on the fact that when Mālik was asked whether it was sufficient to stroke a part of the head, he appealed to the hadith transmitted by °Abdullāh b. Zaid. (2)

We are informed by °Abdullāh b. Yūsuf, who had it from Mālik, through °Amr b. Yahyā Al - Māzini, through his father that :

A man once said to °Abdullāh b. Zaid the grandfather of °Amr b. Yahyā : "Canst thou show me how the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) used to perform his wudū' ?" °Abdullāh b. Zaid replied in the affirmative and called for water, *some of which* he poured upon his hands washing them twice. He then rinsed his mouth and cleansed his nostrils, three times. After that he washed his face three times, and next each hand twice as far as the elbows. He then stroked his head with his *wet* hands, passing them from front to back and from back to front - that is to say, beginning at the front of his head and passing them as far as the nape of his neck, and then bringing them back to the place where he had started. Finally he washed his feet.

CHAPTER 39.

On the washing of the feet as far as the ankles.

وَسُئِلَ مَالِكٌ «أَيُجْزَى أَنْ يَمَسَّحَ بَعْضُ الرَّأْسِ؟» فَاجْتَبَحَ بِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ .

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ : أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ :

أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ وَهُوَ جَدُّ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى «أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِي كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ؟» فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ نَعَمْ ، فِدَعَا بِمَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَرَّ ثَلَاثًا ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَذْبَرَ - بَدَأَ بِمُقَدَّمَ رَأْسِهِ حَتَّى ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَسْكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ .

— ٢٩ —

بَابُ غَسَلِ الرَّجْلَيْنِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ :

(1) Al - Karmāni, commenting on Al - Bukhārī, considers that it is a woman's duty to pass her wet hands over the entire head ; but Al - Aini considers that this athar (أثر) does not bear out Al-Bukhārī's heading, but rather shows that a woman's equal duty with a man does not comprise more than the mere stroking of the head, and not necessarily the whole head.

(2) The controversy as to the whole or partial stroking of the head depends on the interpretation of the (ب) in (بِوَسْطِهِ) which some doctors take to be redundant and so to imply the whole of the head ; while others take it to partitive (تَبْضِئَةً) and so to imply partial stroking. (See Ibn Hajar)

same way — or nearly — (I ⁽¹⁾) do not know which expression Asmâs used) as ye shall be tried *in the days* of the Antichrist.

They ⁽²⁾ shall come unto each one of you and say: 'What dost thou know of this man ⁽³⁾?' As for the true believer — or the faithful man — (I do not know which expression Asmâs used), he shall say: 'It is Muhammad the Messenger of Allâh who came unto us with the proofs of his mission and with the true Guidance. We accepted his message and believed him and followed him!' It shall be said unto him: 'Sleep in peace, for we know that thou art indeed a true believer'. As for the hypocrite — or the doubter — (I do not know which word Asmâs used) he shall say: 'I do not know *what to say*; I heard people say something and I repeated it'."

CHAPTER 38.

On stroking the whole head *with the wet hands*, - based on the word of Allâh (be He exalted): "and stroke your heads ⁽⁴⁾ *with your wet hands*;" ⁽⁵⁾

and on Ibn Al-Musayyab's statement: "A woman equally with a man must pass *her wet hands* over her

أَوْ قَرِيبٍ - مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ (لَا
أَذْرِي أَىِّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ)

يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيَقَالُ لَهُ: مَا
عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ
- أَوِ الْمُؤَقِنُ - (لَا أَذْرِي أَىِّ ذَلِكَ
قَالَتْ أَسْمَاءُ) فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى.
فَأُجِبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيَقَالُ:
أَنْتُمْ صَالِحًا فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ
لَا أَذْرِي أَىِّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ)
فَيَقُولُ: لَا أَذْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ
يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ.

— ٣٨ —

بَابُ مَسْنَحِ الرَّأْسِ كُلِّهِ لِقَوْلِ
اللَّهِ تَعَالَى: «وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ»
وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: «النِّمْرَةُ
بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ تَمْسَحُ عَلَى رَأْسِهَا

(1) Fâtimah - the narrator of the hadîth.

(2) i. e. the Angels of death, Munkar and Nakir.

(3) i. e. the Prophet — the Angels do not refer to him as such, because they do not wish to prompt the dead man.

(4) Al - Bukhârî, like Mâlik, holds that the (ب) in (بِرُءُوسِكُمْ) is redundant.

(5) Surah 5 : 6.

CHAPTER 37.

— ٣٧ —

On one who doth not perform a *fresh wudûs* except after a deep swoon. (1)

We are informed by Ismâ'il, who had it from Mâlik, through Hishâm b. 'Urwah, through his wife Fâtimah, through her grandmother Asmâ', Abu Bakr's daughter, who said:

"I once went to 'A'shah, the wife of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) when the sun was being eclipsed, and lo! the Faithful were standing in prayer, while she was also standing in prayer. 'What is the matter with the people?' said I. She pointed with her hand to the sky and muttered: 'Allâh be praised.' (2) 'Is it a sign of Allâh's wrath?' said I. She made a sign in the affirmative. I then stood up in prayer *behind the Faithful* until I felt faint, and I began to pour water on my head.

When the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) had finished *the prayer*, he praised and extolled Allâh, and then said: 'There is nothing that I have not seen *hitherto*, but I have seen here and now, even Paradise and Hell. It hath verily been revealed to me that ye shall be tried in your graves in the

بَابُ مَنْ لَمْ يَتَوَضَّأْ إِلَّا مِنَ
الْغَشْيِ الْمُثْقِلِ :

حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك عن
هشام بن عروة عن امرأته فاطمة عن
جدتها أسماء بنت أبي بكر أنها
قالت :

« أَتَيْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ
فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يُصَلُّونَ، وَإِذَا هِيَ
قَائِمَةٌ تُصَلِّي، فَقُلْتُ: مَا لِلنَّاسِ؟
فَأَشَارَتْ يَدَيْهَا نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَتْ:
سُبْحَانَ اللَّهِ! فَقُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ
أَيْ نَعَمْ، فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّيَ
الْغَشْيُ، وَجَعَلْتُ أَصْبُ فَوْقَ
رَأْسِي مَاءً،

فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ
ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ
إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى
الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ
أَنْتُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ -

(1) i.e. one who does not consider a fresh wudûs necessary after a swoon, unless it be a deep one.

(2) سبحان الله Is not used here with any reference to the eclipse, but is a formula muttered by one praying if his prayer is interrupted. It is intended to show that he cannot reply until the prayer is completed.

He lay crosswise on the mattress, (1) while the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) and his wife lay on it lengthwise. The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) went to sleep until shortly before or after midnight, when he awoke. Sitting up, he rubbed sleep from his eyes with his hand, and then recited the ten concluding verses of the Surah entitled "The Family of 'Imrān." Next he rose and took an old water-skin that was hanging there and performed a thorough wudū' from it, after which he stood up to prayer.

Ibn 'Abbās added: "I then rose and did as the Prophet had done. After that I went and stood by his side, when he placed his right hand on my head, and took me by the right ear which he twisted. (2) He performed a two-rak'ah prayer six times in succession, followed by a witr-prayer. (3) He then lay down until the muezzin came to him, when he rose and performed a light two-rak'ah prayer, after which he went out and performed the morning-prayer."

خَالَتْهُ ، فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ
الْوَسَادَةِ وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلَاهُ فِي طُولِهَا ، فَتَنَامَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا
انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ
أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ
النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ يَبْدِهِ ، ثُمَّ قَرَأَ
الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ
آلِ عِمْرَانَ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنْ مَعْلَقَةٍ
فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ
ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، فَقُمْتُ
فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ ثُمَّ
ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ
فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي
وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتُلُهَا ،
فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ
ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ
رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَوْتَرَ ،
ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ
فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ
ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ ،

(1) Or — "pillow". Abu-l-Walīd prefers "mattress" on which the child 'Abdullāh may have lain at the head or the foot.

(2) i.e. rubbing it gently — either playfully, or in order to lead him to his other side — since prayer must be performed on the right side of the Imām, if he is alone.

(3) Witr = an odd number. A prayer containing an odd number of rak'ahs, either one or three, is usually performed after the last prayer at night.

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للمؤلف ابراهيم مسهر المومى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION

(continued)

CHAPTER 36.

On reciting the Qur'ân and performing other religious acts (1) after accidental pollution;

and on Mansûr's statement through Ibrâhim that there is no harm in reciting the Qur'ân in the bath — or in writing a letter without a previous wudû';

and on Hammâd's statement through Ibrâhim: "If those in the bath are wrapped up, greet them; and if not, greet them not".

We are informed by Ismâ'il, who had it from Mâlik, through Makhrahmah b. Sulaimân, through Kuraib the freedman of Ibn 'Abbâs, that 'Abdullâh b. 'Abbâs informed him that:

'Abdullâh once spent the night in the house of his maternal aunt Maimûnah, the wife of the Prophet (Allâh bless him and give him peace).

كتاب الوضوء (تابع ما قبله)

— ٢٦ —

بَابُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بَعْدَ
الْحَدَثِ وَغَيْرِهِ ، وَقَالَ مَنْصُورٌ عَنْ
ابِرَاهِيمَ : « لَا بَأْسَ بِالْقِرَاءَةِ فِي الْحَمَّامِ
وَيَكْتَسِبُ الرَّسَالَةَ عَلَى غَيْرِ وَضُوءٍ » ،
وَقَالَ حَمَّادٌ عَنْ اِبِرَاهِيمَ : « إِنْ كَانَ عَلَيْهِمْ
إِزَارٌ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَإِلَّا فَلَا
تُسَلِّمْ » .

حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك عن
محزمة بن سليمان عن كريب مولى ابن عباس
أن عبد الله بن عباس أخبره :

أنه بات ليلة عند ميمونة
زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وهي

(1) e.g. writing the Qur'ân, or a letter containing the Basmalah, or other religious formulas.

الروح الإسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

— ٤ —

المقومات النفسية للفرد والجماعة

الروح والنفس لفظان مترادفان يدلان على شيء واحد، وهو النفحة الإلهية التي تحل بالجسم الحى وتظهر فيه بمظاهر الحركة والحس والتعقل والإرادة، ولكن الفلسفة فرقت بينهما بفرقة صناعية، فجعلت الروح خاصة بتلك النفحة الإلهية في سمو جوهرها وصفائها من كدور الطبيعة المادية، وتنزهها عن التلونات العرضية؛ وجعلت النفس اسماً للشخصية التي تنشأ من تعلق الروح بالجسد، حيث تكون فيها محجوبة به ولا تتصل بالوجود إلا من طريق حواسه الخمس. وفي هذه الحالة تكون تلك الشخصية التي تنشأ عنها ملتانة بأقذاء الطبيعة المادية، تشبه من جميع الوجوه الشخصية الحيوانية^(١) بل تكون بما تستمد منه من حيل العقل، أشد تطرفاً منها في الشهوات البهيمية والميول الوحشية.

وقد أعجز ترويض هذه النفس الهداة والمربين في كل زمان ومكان، واستعصى علاجها حتى على العلم نفسه مع ما أوتيته من وسائل التأديب، وذرائع التأثير، وما كشفه في سويدائها من مواطن الاقتناع، وعوامل الرغوى. فذهبت كل هذه المحاولات سدى، وبقيت النفس وهى في أزهر البيئات المدنية، أشد ما تكون تهاافتاً على ما يفسد كيانها، ويعطل إصلاحها، ضاربة عرض الحائط بكل ما يقيم من أودها، ويرد من جماعها، حتى كأن العلم يزيدها كلباً على السفاسف، وشغفاً بالخصائس.

(١) ويقول أصحاب المباحث النفسية من علماء أوروبا إن الروح نفحة إلهية لا يدرك أحد كنهها، حالة في جسم أثيرى يشبه جسد صاحبها. وهذا الجنان اللطيف هو النفس وهو قابل للتطور تحت تأثير الروح، وبها معا تباين في الجسد الإنسانى ولا ينفصلان عنه إلا عند الموت، فإذا أودع الجسد القبر استحال فيه إلى تراب، وصعدت الروح وظرفها الاثيرى لتعيش مع الارواح في عالم أرقى من هذا العالم وتسكبه فيه تطورات جديدة ترقى بها إلى آفاق أعلى.

لو كان كمال الانسانية ، حتى من الناحية المادية ، يقوم والنفس على ما هي عليه من تمام في النقي ، وإيمان في البغي ، لكان لدعاة الأهواء عذر في معاصاة حكمة الحكماء وأدب الفضلاء ، ولكن الكمال الانساني ، حتى من تلك الناحية ، يتوقف بقدر ما على الكمال النفساني . ولذلك أجمع أهل العلم ، حتى الملحدون منهم ، على النقي على الإباحة ، والتشجيع على أهلها .

فإذا قال معترض : إذا كان ما تقوله حقاً فكيف بلغت الانسانية الى هذه الدرجة من الرقي المادي والأدبي ، وكيف ينعم المتمدنون بوجود حافل بالمتع الحسية والعقلية ، على حين أن النفوس لا تزال ملتانة بالصفات الحيوانية ، ومستنة بسنة الجاهلية ؟ نقول : إن الذين يضعون أصول هذا الرقي ويبنون صرحه ، رجال أفذاذ ليسوا من ذوى النفوس المريضة الذين نذكرهم ، فهم أفراد ممتازون وقفوا وجودهم على ترقية العلوم والفنون ، وانصرفوا إليها حتى أصبحوا كأنهم أجانب عن مواطنهم ، وكان أكثرهم مرضى بأعصابهم وفي عزلة من الناس ، كما هو حال العباقرة في كل زمان ومكان ، حتى قيل إن الاضطراب العصبي والعبقرية توأمان متلازمان . ومن دون هؤلاء طبقة وسطى تأخذ عنهم وتستفيد منهم ، لم تستفد الشهوات قواها المعنوية ، وهي التي تقوم بنشر هذه الثمرات وتطبيقها على العمل .

فلو حذفت من العالم هذه الطبقة الممتازة من الناس ومن يلبيها من ذكرنا ، بقى الدهماء الذين نعنيهم منصرفين الى إشباع شهواتهم ، وهؤلاء لو تركوا وشأنهم لما أوجدوا علما ، ولا أخذوا عملا ، ولبادوا كما يبید العاطلون ، أو لبقوا على ما عليه المتوحشون . ولو تأملت في أسباب تدهور المدينيات التي كانت قائمة في الأرض لرأيتها تنحصر في العقم الذي يصيب الجماعات عن توليد الأفذاذ الممتازين ، ومن يلبيهم من الذين يأخذون عنهم ، وفي خلو الجو لذوى النفوس الجماعية تجري الى حيث تدفعها اليه ميولها الخسيسة دون رادع يردعها ، أو مدد صالح يمنع تحللها .

ألم تنصوح زهرة المدينة اليونانية وقد ملأت طباق الأرض ، قبل نحو ألفين وخمسمائة سنة ، علما وحكمة ؟ وبادت المدينة الرومانية التي خلفتها وكانت من قوة السلطان ، وتوفر وسائل البقاء ، بحيث كانت تلقب نفسها بالدولة الخالدة ؟

لا ألقت نظرك لغير هاتين ، فإن آثار مدينتيهما لا تزال ماثلة أمام أعيننا ، بل لا تزال أصولهما العلمية ، ومبادئهما الفنية أصولا ومبادئ للمدينة الراهنة . فانظر كيف لم تغن هذه الأصول والمبادئ ، عن ذويها شيئا حين طغت نفوس أهلها ، ولم تصادف شكيمة تردها عن غيها ؟ .

وأمانا اليوم شكل من المدينة افتتن به الشرقيون ، وعدوه غاية ليس وراءها مذهب ، واعتبره كثير منهم حجة على الذين لا يزالون منا يذكرون أمراض النفوس وعلاجها ، والآداب والوسائل الموصلة لها ، على حين أنهم يرون بأعينهم أن كثيرا من أهل تلك المدينة لا يزالون بأمثال هذه البحوث ، ولا يقيمون لها وزنا . وهذه من أولئك نظرة خاطئة تصور لهم الأحوال على غير حقيقتها . ففي المدينة الراهنة كما كان في كل مدينة رجال يحاولون تقويم أود النفوس ، ويعملون على إصلاحها ، ويبدون غاية التشاؤم من تماديها في غيها ، بل يندرون بتلاشي هذه المدينة إن لم ترعو هذه النفوس عن بغيها .

قال العلامة الكبير كاميل فلامبرون في كتابه (تعرف قدرة الله في الطبيعة) ^(١) :
 « لا يجوز لنا أن نخجل من الاعتراف بما انتهينا اليه من الانحطاط لأننا رضىنا به وأصبحت عقولنا الملتبسة بالآثرة لا هم لها إلا أغراضها الذاتية . أليس حظنا اليوم من الحياة قد استحال الى جمع الثروة بلا مبالاة بوجوه جمعها ، والى الحصول على المجد من طريق الغصب لا الكسب ، والى الجمود وعدم الاهتمام بالدستور والواجبات ؟

(١) هذا الكتاب اسمه بالفرنسية (الله في الطبيعة) وهو عبارة موجزة الفرض منها تعرف قدرة الله

في الطبيعة : (Dieu dans la nature , Par Camille Flammarion) .

« إن من التناقض البين المؤلم للنفس أن نرى أن الرقى الباهر الذي حدث في العلوم مما لا مثيل له في التاريخ ، وأن هذه الفتوحات المتوالية التي تمت للانسان في الطبيعة ، بينما رفعت عقولنا الى المدرجات العالية ، أهبطت إنسانيتنا الى أخس الدركات ؟ ومن المحزن أن نحس بأنه بينما نشعر ببناء قوتنا يوما بعد يوم ، تنطفئ حرارة قلوبنا ، وتتصوح زهرة نفوسنا ، بتأثير غلبة المطامع المادية ، والشهوات الجسدية علينا » اه وقال الأستاذ (فيرنس جيافرت) في كتابه (الغمة الحاضرة) (١) :

« إن التحاقد والتعادي يزدادان يوما فيوما في نفوس أهل البأساء المحكوم عليهم بالفاقة المؤبدة . وإن جنون البذخ والكبر لينمو على قدر ذلك لدى أهل اليسار والترف . وهذا الإلحاد الآخذ في النمو يسوق جماعاتنا بعاطفة حب المساواة الى حالة ثورية دائمة . الى أن قال :

« لقد رجونا أن نداوى مصائب النوع الانساني بالكمنوز المادية التي أقيمت بين أيدينا من منذ قرن من الزمان ، كما تكاتف العلماء والمهندسون والصناع والميكانيكيون على زيادة متع الحياة الدنيا زيادة عظيمة . ولكن لم يكن من ثمرة كل تلك المكتشفات إلا نشر حمى حب المال في الطبقات السحيقة جدا .

« فأى قانون أدبي يكفي لكبح جماح أهوائنا وإدخالها الى مجاريها الطبيعية المعتدلة ؟ لقد نزع عنا السكالم المعنوى ، ولم يبق فينا إلا خوف مبهم من شيء غير مدرك ، لأن العقيدة بالله لا يمكن زوالها من النفس ، فترى الذين لا إحساس لهم يستفيدون من وراء ما وقعنا فيه من الظلمات ، وترى العقول المستنيرة بالعلم المحرومة من الدين تعذرهم في ارتكاب الجرائم . وبهذا فقد أصبحت الشهوات غير واقفة عند حد » انتهى .

إن الذي يتأمل في هذين القولين اللذين سقناهما ، ونستطيع أن نأثي على عشرات من مثلها ، يدلان على أن مسألة إصلاح النفس البشرية لا تزال في المقام الأول من عناية

(1) La tristesse contemporaine, par Fierens Geavert .

قادة العقول في الأمم المتقدمة ، وأن الإباحة الشهوانية لا تزال تعتبر العلة الرئيسية في تدهور الجماعات وانحلالها . فما يظنه السطحيون من أن الكلام في إصلاح النفوس خاص بالشرقيين ، وأن الاشتغال به مظهر من مظاهر إخلالهم الى القديم ، ضلال محض لا يصح الإبقاء عليه ، وبخاصة في هذا العصر الذي فيه يخالط الناس بين الإباحة الحيوانية وبين الحرية .

فساد النفوس ، بناء على ما تقدم ، هو مشار كل خطر على حياة الجماعات الانسانية ، ومصدر كل انقلاب يهدد كيانها بالانحلال والتلاشي .

هنا تظهر حكمة الاسلام في جعل أساس الأمة العالمية التي دعا لتأليفها ، إصلاح النفوس وتخليصها من أمراضها ، وفي التحقيم بأن يكون هذا الأساس من السموم العلمي بحيث لا تقوى أية فلسفة على توهينه ، بل بحيث يظهر كل دستور علمي ناقصا إذا قيس به ، مهما ارتقت المعارف ، وقويت العقول ، وبعدت غايات الفلسفة .

لقد أوصلت المدنية الأوروبية أهلها الى غايات من الارتقاء الصناعي ما كان يحلم بها أعلى الخياليين كمبا في القرنين الماضيين ، وهي على وشك أن تفتح للعقول آفاقا جديدة من العلوم والفنون ، ولكنها مع حصولها على هذه الدرجة تشكو الفاقة في الناحية الأدبية ، فيصيح مثل الفيلسوف (فيرنس جيافرت) بقوله : « أى قانون أدبي يكفى لكبح جماح أهوائنا وإدخالها الى مجاريها الطبيعية المعتدلة ؟ » .

ويشكو زميله العلامة (كاميل فلاريون) قائلا : « إن الفتوحات المتوالية التي تمت للانسان في الطبيعة بينما رفعت عقولنا الى المدركات العالية أهبطت إنسانيتنا الى أخس المدركات » !

وقد أعلن جمهور كبير من الفلاسفة والاجتماعيين بأن ما هو حادث من التناقض بين العلم والعمل في المدنية الحديثة ، إنذار بقرب انحلالها ، وفي انحلالها قيام عهد من الوحشية لا يعلم إلا الله مآل الانسان فيه . لقد ارتكست مدنات كثيرة

الى وحشيات منكورة ، فلعبت أدوات الفكك أشنع ما ينتظر أن تلعبه في مثل هذه الأدوار ، فلا ندري إذا انقلبت هذه المدنية الى وحشية أى دور تقوم به المماركات الراهنة بين غازات سامة ، وقنابل محرقة ، وألغام ناسفة ، وبنادق رشاشة تقذف في الدقيقة ألف قذيفة فتحلق الصفوف المتراصة حلقة .

وهنا أيضا ظهرت خفة عقول الذين كانوا ينتقدون الاسلام قائلين إنه لم يصب في جمل أساس الاجتماع في أمته دينيا . وقد سحرت هذه الشبهة عقولا من التي تعلمت على الطراز الغربي من أهل هذا الدين نفسه فنجحت اليها . فإذا يقولون الآن وهؤلاء أهل المدنية العالية لا يخشون على تحطم مدنياتهم إلا من قبل تجرد النفوس من قاعدة أدبية تردها عن غيها ، وتدخلها الى دائرة الاعتدال في مطالها المادية ؟ وهل يتخيل وجود قوة في الأرض تستطيع إيتاءها بهذه القاعدة الأدبية غير دين يقوم على دستور أقوى مما تقوم عليه معارفها الكونية ، ومبادئها الفلسفية ؟ وهل تجد فيما بين يديك من الأديان ما هو حاصل على هذه الميزة غير الاسلام ، وعلى حال لا تدع لصاحب شك شبهة ؟

كان بعض المتعلمين من المسلمين يقرءون قوله تعالى : « وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا ، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا » ، كانوا يقرءون هذه الآية ويتساءلون : ما للدين ولأصول الاجتماع ، وما دخل القيام بأوامر الله في شئون الحياة الدنيوية ؟ ولكنهم اليوم يرون بأعينهم أن المدنية الحاضرة على ما بنيت عليه من علم وفن يخشى عقلاؤها من مجيء يوم تطفئ فيه جاهلية النفوس على حكمة الحكماء فتصبح كأن لم تكن بالأمس .

ذلك لأن الاجتماع كما يحتاج في قيامه الى الشعور بالحاجة المعيشية الماسة اليه ، كذلك يحتاج في بقاءه واستمراره قويا متماسكا الى قوى أدبية تحفظ للنفوس مكانتها المعنوية ، وتزيدها ارتقاء في خصائصها الذاتية .

فإذا اقتضت أحوال الوجود، وتقلبات الحوادث، أن تمنى الجماعات ذات الأساس الدينى الحق، بتهقر لا تقوى على نلافيه، فلا ترتكس من حالتها المادية الى حالة وحشية، فتقع فى التناحر الذى لا يتفق وكرامة الانسانية، ولكن يعترىها فتور قد ينقلب الى جود، ولكنك تجدها وهى فى تهور من تدهورها، لا تمنى بالصفات الوحشية، ولا تحطم بيدها ما شيدته من صروح المدنية. ولكن تصبر على ما منيت به مع نلمس المخرج منه، ولا تزال تتعسس منه حتى تجده، فتعود سيرتها الأولى.

هذه حكمة الاسلام فى جعل أساس الاجتماع سلامة النفوس من أمراضها، ليكون قيامه رحمة الانسانية ولها، بدل أن يكون وبالاً عليهما. ولذلك كان أثر قيام الاجتماع الاسلامى خيرا وبركة على جميع شعوب الأرض، خلافا لقيام غيره من الجماعات، فقد كانت تنساح فى الأرض فتشخن فى الأمم قتلا، وتوسعها نهباً، وتجوس خلال الديار فتأتى عليها حرقاً وهدماً، فتدعها قاعاً صفصفاً، عادة ذلك من علامات بطولتها، غير مبالية بما يكتبه التاريخ من سيرتها، غير مؤمنة بأن ثمة عدوانها عدوان مثله أو أشد منه، يقع عليها من جماعة أقوى منها.

فالروح الاسلامية أجمع روح للمقومات الاجتماعية، فهى تعنى بمصاحبة الفرد والاجتماع من كل النواحي عناية عادلة. وما دام الانسان جسماً وروحاً فن العبث أن يهمل المصلحون واحداً منهما، ويقفون عنايتهم كلها على الثانى. فالأثم لا تصالح أجساداً لارواح فيها، ولا أرواحاً لأجساد لها. فإن طغت إحدى طبيعتى الانسان على الأخرى محضته لها، فلا يستطيع البقاء على الأرض، ولا القيام بخلافة الله فيها. ومن الصعب التوفيق بين هاتين الطبيعتين فى حد يجعل التبادل بينهما ممكناً، والقيام بحقهما معا مستطاعاً. وقد حل الاسلام بتعاليمه هذه العقدة، وقد درسنا كل ذلك درساً دقيقاً فى مقالاتنا السابقة تحت عنوان مهمة الدين الاسلامى فى العالم فليراجعها من أراد

أَسْئَلَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ

وردت على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ يوسف
الدجوى خاصة فاجاب عنها ، ونحن ننشرها تعميماً لفائدتها

١ - إذا بنيت دار في أرض غير مملوكة وأراد آخر أن يبني بجوارها، أو بنيت في أرض مملوكة بإذن صاحبها، أو كانت في وسط القرية، أو حفرت بئر كذلك، أو غرست شجرة كذلك، فما حريم كل من الدار والبئر والشجرة المستحق من الجهات الأربعة في الصور الثلاثة ؟

٢ - إذا وهبت هبة الثواب لأحد وأراد الموهوب له أن يثيب عليها، فهل يجوز أن يثيب عليها من جنسها أو يتعين أن يثيب عليها من غير جنسها ؟ وهل هبة العرس كذلك إذا جرى العرف بالمعاوضة عليها ؟

نرجوكم كل الرجاء الفتوى فيما ذكر لأن أهل السودان يختصمون كثيراً في العرصة التي بين الدور ونحوها .
احمد أبو بكر مدني الأنصاري
بالبحرية بالسودان

الجواب :

وبعد : فالجواب عما سألت عنه أيديك الله :

١ - أن هذه الأرض إن كانت مملوكة وقد اشتراها صاحب الدار من مالهما، فالشأن فيها للمالك ، فإن شرط أن يكون لها حريم كان لصاحب الدار ما شرط ، وإن لم يشترط فلا شيء له ، ولكن لا بد أن يكون له بقدر ما قضت به الضرورة من طريق يوصل إلى الدار . وفي مسألة الشجرة والبئر لا بد أن يكون له ما يمكنه من سقي الشجرة وأخذ ثمرها واستخراج الماء من البئر . وإن لم تكن الأرض مملوكة فإن كان لأهل القرية انتفاع

بها كأن كانت ناديا لجلوس القوم وحديثهم، أو ملعبا للصبيان أو مناخا للإبل، أو مصراحا للغنم، أو نحو ذلك، فهي من مرافق البلد ومنافعه، ولا يجوز لأحد أن يحدث فيها شيئا مما ذكر، سواء أكانت هذه الأرض وسط القرية أم حولها أم بعيدة عنها.

وإن لم يكن لأهل القرية منافع بها أصلا وكانت غير مملوكة لأحد، فهي الموات. فمن أحدث في ذلك الموات شيئا مما ذكر، ماله وملك حريمه. وحريم الدار ما ينتفع به صاحبها من طريق يوصل إليها ومحل لرى الأتربة والسكناسة ونحو ذلك. ولا حريم لدار محفوفة بملك الغير من كل جانب. وحريم الشجرة قدر مد أغصانها ولو كانت قريبة من البلد على الصحيح. وقال بعضهم: لا بد أن تكون بعيدة من القرية، ولا يجوز إحياء القريب منها وحريم البئر أربعون ذراعا من كل جانب على ما رجحه بعضهم

* *

٢ - أما هبة الثواب فيصح أن يكون الثواب من جنسها، لا فرق في ذلك بين هبة العرس وغيرها. لكن إذا كان الثواب ربويا وشرط صحيحا في عقد الهبة بأن قال: وهبتك هذا على أن تعوضني ذلك، وجب حينئذ تساوى العوضين في متحد الجنس، والتقابض في المجلس، لأن الهبة إذا شرط فيها العوض صارت بيعا، فتجرى فيها أحكام البيع كلها: من الرد بالعيب، وأخذها بالشفعة، والتساوى في العوضين، والتقابض قبل التفرق في الربوى المتحد الجنسي. أما إذا لم يشترط العوض ولم يجز بذلك عرف فيما بينهم، فلموهوب له أن يثيب عليها بما شاء من غير وجوب عليه. هذا هو الظاهر الذي ينبغى التمويل عليه، خلافا لمن لا يعتبر جريان العرف ويقول لا بد من الاشتراط الصحيح. هذا ما استخلصناه من أقوال العلماء ورأينا أن نسطره في هذا الموضوع. والله يتولى هدى الجميع.

* *

٣ - ما حكم صلاة الشفع والوتر جماعة عقب صلاة تراويح رمضان عند السادة المالكية؟

الجواب :

الحكم في مذهب مالك أنه تكره الجماعة في النفل إذا كانت كثيرة أو بمكان مشتهر .

قال الخرشي : « يكره اجتماع الجمع الكثير في النافلة خشية الرياء ولو في مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهذا في غير التراويح والعيدن والاستسقاء والكسوف . وكذلك يكره اجتماع الجمع القليل كالثلاثة لكن بمكان مشتهر . أما بمكان غير مشتهر فلا كراهة إلا أن يكون من الأوقات التي صرح العلماء ببدعة الجمع فيها كليلة النصف من شعبان وليلة عاشوراء . » والمراد بالنفل في عبارة الفقهاء ما عدا الفرض بدليل استثناء الخرشي للعيدن والكسوف والاستسقاء ، فالشفع والوتر داخلان في هذه الأحكام الثلاثة ، فتكره صلاتهما جماعة عقب التراويح إذا اشتهر المكان ولو قل العدد ، كما تكره الجماعة فيهما أيضا إذا كثرت الجمع ولو لم يشتهر المكان . أما إذا قل العدد ولم يشتهر المكان فلا كراهة كما إذا صلاهما ثلاثة في البيت جماعة . والله أعلم .



٤ - نرجو أن تفيدونا عن حكم علو الامام على المأمومين والعكس ، أو علو بعض المأمومين على بعض ، وإذا أمكن أن تكون الفتوى على المذاهب الأربعة كان لكم منا الشناء المستطاب ، ومن الله الأجر والثواب . أحد أساتذة المدارس

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد : فن صلى مع آخرين خلف إمام واضطره ازدحام المكان بالمصلين الى أن يصلي محاذيا لهم مرتفعا عن غيره بقليل ، فصلاته صحيحة ولا كراهة فيها . ولنذكر لك بعض نصوص المذاهب في ذلك إجابة لطلبك ، فنقول :

قالت الحنفية : يكره ارتفاع مكان الامام عن سائر المقتدين بقدر ذراع فأكثر ، فإن

كان أقل من ذلك فلا كراهة ، كما يكره ارتفاع المقتدين عن مكانه بهذا القدر . والكراهة مقيدة بأن لا يكون مع الامام أحد منهم ، فإن كان معه بعضهم ولو واحدا فلا كراهة . وقالت الشافعية : يكره ارتفاع مكان الامام عن مكان المأموم وعكسه من غير حاجة كأن كان وضع المسجد يقتضى ذلك ، فإنه لا يكره الارتفاع حينئذ .

وقالت المالكية : يجوز علو المأموم على إمامه ولو كان المأموم بسطح المسجد . (وهذا في غير الجمعة) وأما علو الامام على مأمومه فهو مكروه إلا أن يكون بشيء يسير كالشبر والذراع ، أو كان لضرورة كتعليم الناس كيفية الصلاة أو ضيق المكان . وقالت الحنابلة : يكره ارتفاع مكان الامام عن المأموم ذراعا فأكثر ، أما المأموم فلا كراهة في ارتفاع مكانه .

والخلاصة : أنه لا شيء في ارتفاع بعض المأمومين دون بعض عند الحنفية ، ولا في ارتفاع المأمومين ولو جميعا عند المالكية والحنابلة ، وأن الحكم الكراهة عند عدم العذر في مذهب الشافعية . فقد اتفقت المذاهب على كراهة ارتفاع مكان الامام ، واختلفت في كراهة ارتفاع المأموم ، وذلك لأن الأول ثابت بالنص ، وأما الثاني فكان محل نظر . فالشافعية قالوا فيه بالقياس دون فقهاء المذاهب الأخرى .

والنص هو ما ورد أن حذيفة رضى الله عنه صلى على دكان والناس أسفل منه فجذبه أبو مسعود البدرى الأنصارى رضى الله عنه حتى أقامه . فلما انصرف قال : أما علمت أن أصحابك يكرهون أن يصلى الإمام على شيء ، وهم أسفل منه ؟ قال حذيفة : بلى قد ذكرت حين جذبتنى .

قال الامام النووى رضى الله عنه في شرح المهذب : هكذا رواه الشافعى وأبو داود والبيهقى ومن لا يحصى من كبار المحدثين ومصنفهم وإسناده صحيح ، والله أعلم .

يوسف الدجوى

من جماعة كبار العلماء

نظرة جامعة الى تاريخ الاسلام في بولونيا

وأحوال المسلمين فيها

حدث في أواخر القرن الثامن عشر أن انقسمت بولونيا بين النمسا والمانيا والروسيا، وكان من شر الحوادث أن تقع المناطق التي يكثر فيها المسلمون تحت حكم الروسيين، فساموهم سوء العذاب، وسلبوهم حقوقهم الدينية وغير الدينية، وتدخلوا في شئونهم الدينية الى درجة أن أجبروهم على الخروج عن دين الاسلام والدخول في الدين المسيحي. بقي المسلمون على هذه الحالة حتى سنة ١٩٠٥ حين سمح قيصر روسيا لهم بالعودة الى دينهم ورد اليهم بعض الحقوق الدينية القديمة.

ويرجع السبب في اضطهاد روسيا للمسلمين خصوصا البولونيين الى عدة عوامل، أهمها تعصبهم دائما ضدها للعمل على الإضرار بها. ومن أشهر الثورات التي قام بها مسلمو بولونيا ضد روسيا ثورة سنة ١٧٩٤ تحت قيادة القائد البولوني كوستوشكو، وثورة سنة ١٨١٣ حين انضم كثير من المسلمين البولونيين الى جيش نابليون وساعده في حروبه ضد روسيا، وتلا ذلك ثورات أخرى في سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٦٣ وسنة ١٩٠٥ عند ما ثارت بولونيا بأجمعها مطالبة بالاستقلال التام.

ولم تكن مؤامرات المسلمين ضد روسيا تنحصر في بولونيا فقط، بل كثيرا ما امتدت الى روسيا نفسها والى البلاد الواقعة تحت الحكم الروسى، وذلك بتحريض المسلمين في تلك الجهات على الثورة ضد نظام الحكم القائم، ولذلك ما كانت الحكومة تشك في أى حركة بسيطة من جانبهم حتى تعمل على إخمادها بسرعة، فتقتل زعماءها أو تنفيهم وأولادهم ونساءهم الى سيبيريا حيث يموتون من شدة البرد والجوع.

لما ضاقت الحالة بالمسلمين سنة ١٨٦٣ عند ما كان عداء روسيا للبولونيين جميعا

بالغا أشده ، هاجر كثير منهم الى الخارج ، وكذلك فعل بعض المسيحيين ، وأغلب هؤلاء الذين هاجروا توجهوا الى تركيا التي كانت تفتح لهم أبوابها ، وتسهل عليهم سبل الإقامة في بلادها ، فاستقر المسيحيون منهم في أدمبول بجوار استامبول ، بينما نزل المسلمون أناضوليا ، وقد هاجر بعض منهم الى الشام وفلسطين ومصر ، وقد وظفت حكومة تركيا كثيرا منهم في أعمال الجيش ، واشتهر من بين هؤلاء الجنرال بم ، والجنرال تشيكوفسكى ، وقد خدم بعضهم في جيش إسماعيل باشا ، وقد كان منهم المهندس والزارع ، ونذكر بهذه المناسبة المهندس المسيحي الشهير زابلوتسكى الذى اشترك في بناء سكة حديد المدينة المنورة ، وهو من أنجال أحد المهاجرين البولونيين الذين قدموا مصر . وعند ما شبت الثورة في روسيا سنة ١٩١٧ انتهز كثير من المسلمين البولونيين هذه الفرصة واتصلوا مع البولونيين ، وانتهت الثورة البولونية بخروج الجزء البولونى من تحت الحكم الروسى وانضمامه الى حكم كل من المانيا والنمسا ، إلا أنه ما كادت تهل سنة ١٩١٨ حتى انفجرت الثورة في كل من هاتين الأخيرتين ، وظهر رجل بولونيا العظيم المرحوم المارشال بلسودسكى فنادى باستقلالها ، وجاهد في ذلك جهادا عظيما هو وأعوانه الذين اشتهر من بينهم مصطفى بيلىك واسكندر سولكيفتش ، وهؤلاء من المسلمين البولونيين ، وقد تكملت جهودهم بالنصر والتوفيق وحقق الله أمانهم . وقبيل انتهاء عام ١٩١٨ أعلن استقلال بولونيا ، واعترفت به جميع الدول ، واسترجعت حدودها القديمة التي كانت لها قبل تقسيمها بين روسيا والنمسا والمانيا ، وباستقلالها استقل الاسلام فيها .

لما استقلت بولونيا سنة ١٩١٨ هاجمها البلاشفة في عدة مواقع ، وحاولوا الاستيلاء عليها ، إلا أن دفاع البولونيين تحت زعامة رئيسهم العظيم المارشال بلسودسكى خيب آمال المعتدين وردم خاسرين ، ومن ثم بدأت بولونيا تحس بالخطر الذى يهددها من كل جانب ، فقامت تعد الجيوش وتزودها بأحدث الأسلحة وأقوى آلات الدفاع ، وأنشأت فرقا من فرسان المسلمين لترابط على الحدود الشرقية ، كذلك سافر بعض الضباط المسلمين

الى البلاد الاسلامية البولونية للدعوة الى الجهاد والدفاع عن البلاد، فأصدروا نداء الى المسلمين، نأتى بترجمته عن اللغة البولونية :

«الى مسلمى بولونيا جميعا : إن تاريخ وجودكم فى بولونيا يرجع الى عهد بعيد وقرون عديدة، مما كان له أثر كبير فى طباعكم وأخلاقكم وذريتكم الذين أصبحوا بولونيين بالطبع لحما ودماء، فالיום لا فارق بينكم وبين غيركم، فأنتم بولونيون حسبا ونسبا، لكم من الحقوق وعليكم من الالتزامات مثل غيركم من الوطنيين الأصليين، وقد اعترفت الحكومة بهذا الحق الشرعى منذ سنين، فكشفت لكم حريتكم الدينية كما تفعل للمسيحيين، وأقطعتكم الأراضى، واستخدمت الكثير منكم فى وظائفها، وقد كانت غيرتكم على الوطن والذود عن حقوقه لا تقل عن غيركم، فأنتم الذين دافعتم عن حدود البلاد ضد غارات الروسيا والسويد، وعاونتم كل من انتصر لكم ضد أعدائكم، عاونتم للملك سويسكى والأمبراطور نابليون، واشتهر من بينكم أزوليفتش وبارانوفسكى وبيلاك وقورسكى وغيرهم ممن كانوا اخر بولونيا وحل تقديرها، فالיום الوطن يناديكم، فهاجموا جميعا الى السلام، ووحدا صفوفكم، واذهبوا لمحاربة البلاشفة، واستمعينوا بالله والرسول صلى الله عليه وسلم، بارك الله فى جهادكم وسعيكم » .

كان لهذا النداء أثره فى قلوب المسلمين البولونيين، فوحدا صفوفهم، وكونوا فرقة من الفرسان، ونشروا أعلامهم التى كانت تمتاز بلونها الأخضر ويتوسطها الهلال، وظالوا رهن إشارة مركز القيادة العليا حتى أعطيت لهم الأوامر، فاشتركوا فى عدة مواقع حربية فى أطراف مدينة مينسك وفى مقاطعة بوليسيا سنة ١٩٢٠ تحت قيادة المغفور له المرحوم الجنرال اسكندر رومانوفتش، وقد اشتهرت هذه الفرقة بشجاعة رجالها ومهارتهم الحربية التى ظهرت فى موقعة كييف وعند دفاعهم عن مدينة بلوسك .

فى ٢٣ يولييه سنة ١٩٢٣ وقّعت كل من بولونيا وتركيا على معاهدة الصداقة الدائمة التى فرح لها المسلمون البولونيون جميعا، وإظهاراً لذلك الشعور أرسلوا الى رئيس الجمهورية

رسالة عبرت عن مقدار ولائهم له وحبهم للوطن وفي ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٣ تلا هذه الرسالة أمام مجلس النواب أحد الأعضاء المسمى ديمبسكى من المسيحيين ، فكان لتلاوتها تأثير حسن في الدوائر الرسمية البولونية زاد عطف الحكومة على المسلمين ، فقدمت لهم مساعدات مالية وغير مالية ، واعترفت بالاسلام ديناً محترماً في البلاد ، وسمحت بتكوين الجمعية الاسلامية البولونية التي دعت المؤتمر الاسلامي سنة ١٩٢٥ في مدينة فيلنو حيث أجرى انتخاب الدكتور يعقوب شينسكيتش مفتياً أكبر للمسلمين في بولونيا ، وأقرت الحكومة انتخابه ، وقرّر مجلس نواب بولونيا اعتماد البالغ اللازمة للانفاق على إدارة المفتى وإصلاح المساجد وصرف الرواتب لأئمة المساجد والمؤذنين .

انقطعت صلة المسلمين البولونيين بالخارج على أثر وقوعهم تحت الحكم الروسى كما سبق أن قدمنا ، وعند ما استقلت بولونيا استقل المسلمون فيها ، ومن ثم أخذوا في الدعاية لإعادة مجد الاسلام في البلاد ، وإعادة صلتهم بالأُم الاسلامية . وفي سنة ١٩٢٥ نذبت الحكومة من بينهم أولجرت أ كريتشينسكى ليمثل بولونيا في المؤتمر الجغرافى المنعقد في القاهرة ، وقد كانت هذه فرصة سانحة للتعرف ببعض المسلمين في مصر ، وعند مقابلته لصاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر أنعم عليه بنيشان النيل ، وقد زار في طريقه الى بولونيا فلسطين وسوريا وتركيا ، ونزل ضيفاً على سماحة أمين الحسينى مفتى فلسطين ، ولقد قام مفتى بولونيا نفسه بزيارات عديدة للأقطار الاسلامية المختلفة ، ففي سنة ١٩٢٦ قدم مصر واشترك في المؤتمر العالمى الاسلامى المنعقد في القاهرة ، وحظى هو أيضاً حينئذ بمقابلة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ، وكان من عطف جلالته على مسلمى بولونيا أن أكرم وفادة المفتى ومنحه أحد نياشين الشرف ومساعدة مالية قدرها ٥٠٠ جنيه مصرى لإصلاح بعض المساجد البولونية التي كانت قد خربتها الحرب العظمى ، فكان لهذه المبرة أثر طيب في نفوس المسلمين البولونيين ، وازداد حبهم

لمصر ولملكها المعظم، وإظهارا لذلك الشعور السامى فى نفوسهم كلفوا المفتى الحاج دكتور يعقوب شينكييفيتش بالقيام نيابة عنهم لتبليغ جلالة ملك مصر عظيم شكرهم، فحضر سماحته مصر فى أغسطس سنة ١٩٣٢ وقدم لصاحب الجلالة الملك فؤاد الأول مجموعة من الصور لجميع مساجد بولونيا، وخطاب شكر مكتوبا باللغة الفرنسية نأتى بترجمته :

« يا صاحب الجلالة ! إن عطفكم السامى ومهركم الغالية الى مسلمى بولونيا تلك الفئة من الناس الذين يسكنون بقاعا نائية فى شمال أوربا بعيداً عن العالم الاسلامى، والذين ظلوا طول هذه العصور محافظين على القواعد الدينية والتقاليد الاسلامية فى وسط المدنية الغربية البحتة، هذه المبرة لم تساعد فقط على إصلاح ستة عشر مسجدا، بل أثرت تأثيرا عميقا سيبقى أمد الدهر فى أعماق قلوبهم يذكركم بأن هناك ملكا كريما وشعبا إسلاميا ينظران اليهم بعين ملؤها العطف والحنان، وفى عام ١٩٣٠ كلفونى أن أقوم بتبليغ جلالتم عظيم شكرهم وشديد ولائهم لشخصكم الكريم وشعبكم المخلص الأمين، وإنا ندعو الله جميعا أن يجعلكم لنا ذخرا وللإسلام سراجا منيرا » إمضاءات ...

ولقد قام المفتى بزيارات أخرى فى يوجوسلافيا وتركيا وفلسطين والشام . وفى عام ١٩٢٨ توجه الى الحجاز لأداء فريضة الحج وزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام، ولما أرادت بولونيا أن تعترف باستقلال المملكة السعودية سنة ١٩٣٠ أوفدت الفيكونت راتشينسكى الى الحجاز للقيام بهذه المهمة، وكان بعض المسلمين البولونيين كلما سنحت لهم الفرصة توجهوا الى بعض الأقطار الاسلامية لزيارتها والتعرف بأهلها .

كان من أثر هذه الدعوة أن عرف الناس خصوصا فى الأرم الشرقية الشئ الكثير عن بلاد بولونيا وعن حالة المسلمين فيها، كما أن مسلمى بولونيا أنفسهم زادت معرفتهم بالعالم الاسلامى وبيعض الشئون الدينية التى كانوا يجهلون بها تماما، فقويت فيهم

الروح الاسلامية ، وأرسلوا يطلبون الكتب الدينية من كل مكان ، وبدءوا فى ترجمتها من جديد الى اللغة البولونية . وفى سنة ١٩٣٣ أرسلت أول بعثة بولونية الى مصر لتلقى العلوم الدينية فى جامعة الأزهر الشريف ، وجل أعضاء تلك البعثة من حملة الشهادات العالية ، وتقوم الحكومة البولونية بمساعدة عضوين منهم ، ويلاقى أفراد هذه البعثة لدى صاحب الفضيلة الشيخ الأكبر وحضرات الأساتذة وجميع طلبة الأزهر الشريف كل عطف وتعميد ، وتمنحهم إدارة الأزهر جنيهين مصريين شهريا ، هذا بجانب المساكن المجانية الخاصة بالطلبة الأجانب ، وقد خصصت لهم فصولا تتناسب مع معارفهم اللغوية والدينية ، وذلك تشجيعا لهم على تعلم العلم ونشر الدعوة الاسلامية فى بلادهم .

كان من أثر هذه الدعوة أيضا أن رغب بعض المصريين فى زيارة تلك البلاد ، ولقد أتاحت الفرصة الى ممثلى المملكة المصرية فى المؤتمر الجغرافى الدولى المنعقد فى وارسو سنة ١٩٣٤ أن يزوروا بعض المدن الاسلامية البولونية والتعرف بأهلها ، وفى نفس العام طلب اتحاد الطلبة فى مدينة وارسو عن طريق السفارة البولونية فى القاهرة تحقيق تبادل الطلبة بين أبناء البلدين لتدعيم الصداقة بين مصر وبولونية ، وتحقيقا لهذا الغرض سافرت أول بعثة مصرية من طلبة الدبلوم فى مدرسة التجارة العليا ، وعند قدومهم مدينة وارسو احتفل بهم أعضاء اتحاد الطلبة البولونيين والجمعية الاسلامية فى وارسو ، وعند ما عادوا الى مصر احتفلت السفارة البولونية بقدومهم ودعهم لتناول الشاى فى دارها بالزمالك ، وهناك تم تعارفهم بطلبة البعثة البولونية فى الأزهر الشريف .

وقد اتفق كل من محمد سيد الحموى عضو البعثة المصرية وعلى اسماعيل فورونوفتش عضو البعثة البولونية على أن يتعاونوا فى وضع هذا الموضوع مفصلا عن تاريخ المسلمين فى بولونيا وحالتهم الدينية والاجتماعية .

يبلغ عدد المسلمين فى بولونيا ١٢٠٠٠ نفس ، وليس هذا العدد بالقليل إذا نحن وازنا

بينه وبين عدد المسلمين في دول غرب وشمال أوروبا ، وحالتهم المعيشية على جانب عظيم من التحسن ، وهذا التحسن أخذ في الزيادة لاهتمام الدولة بهم ، ومحافظتهم على مصالحهم الدينية وغير الدينية ، وهم يعترفون بفضل الحكومة القائمة وكرمها ، ويعتبرون هذه الأيام العصر الذهبي للإسلام في تلك البلاد ، وهم ينعمون في مجبوحة من العيش ، وقد توطدت صلاتهم بالخارج ، وزادت معارفهم الدينية ، وسافر بعضهم لطلب العلم في الخارج وخصوصا العلوم الدينية وحج بيت الله الحرام وزيارة الأماكن المقدسة .

يقم المسلمون البولونيون في البلاد الواقعة في الجهة الشرقية الشمالية من بولونيا خصوصا في ولايات فيلنو ، ونوفاجرودك ، وبيالوصتك ، وفولين ، وفي غيرها من المدن والقرى المختلفة مثل أسلونيم ووارسو ، ولاخوفيجي ، وأكلاسك ، وأسمولو ، ومورافتشزنا الخ . ويبلغ مجموع البلاد التي يسكنها مسلمون نحو ثلاثين بلدة وقرية يحتوي أغلبها على مساجد تكفي حاجتهم ، وتعتبر مدينة فيلنو مركزا للمسلمي بولونيا ، وبها توجد دار الإفتاء ، ويليا في الأهمية نوفاجرودك وأسلونيم ووارسو حيث يوجد مجلس الشورى المركزي للجمعية الإسلامية البولونية .

صلة المسلمين بالمسيحيين في بولونيا طيبة ، وليس أدل على هذا من أن يسام بعض المسيحيين بقسط وافر في بناء المساجد للمسلمين ، فقد وهب الفيكونت زامويسكي في منتصف القرن التاسع عشر الأموال اللازمة لبناء مسجد للمسلمين في مورافتشزنا ، وقام الفيكونت بوسلوفسكي بتوريد الخشب مجانا لبناء مسجد جديد في أسلونيم بدل الذي كان قد احترق سنة ١٨٨١ ولم ينس المسلمون هذه المبرة فقام المغفور له المرحوم الجنرال اسكندر رومانوفتش المسلم البولوني بتوريد الخشب مجانا لبناء الكنيسة المسيحية في قرية نكرا شونسنا سنة ١٩٣٠ ولا يزال التألف بين الملتين شديدا ، وتمنح الحكومة إعانة مالية لإدارة الأوقاف والمنشآت الإسلامية في بولونيا .

يعد المسلمون البولونيون أسعد حالا من المسلمين في البلاد الأوربية الأخرى من عدة

وجوه، إذ يندر فيهم العاطلون، ويشتغل معظمهم بزراعة الأرض وفلاحة البساتين والأعمال الحربية، ففهم رؤساء الجيش، ومنهم القضاة وكبار الموظفين الحكوميين في مختلف الوزارات والمكاتب الأهلية وغيرها من المحاصيل الزراعية. أما من الناحية العلمية والأدبية فيندر أن تجد بينهم من لا يجيد القراءة والكتابة، كما أن منهم المهندسين والأطباء والمحامين والمدرسين في الجوامع.

وتشبه عاداتهم عادات الأهالي من المسيحيين خصوصاً في الشئون الدينية، أما في الشئون الدينية فهم شديدو الاحتفاظ بتقاليدهم الإسلامية لا يرضون عنها بديلاً. وتمتاز المرأة البولونية المسلمة عن غيرها في البلاد الإسلامية الشرقية بحريتها التي تستمتع بها، وهي عماد الأسرة، لأنها تقوم بتربية الأطفال وإدارة البيت، كما أنها تساعد زوجها إذا اقتضت الحال، مثلها في ذلك مثل المرأة الأوربية المتمدينة، والحجاب بالمعنى المفهوم في أكثر البلاد الإسلامية الشرقية غير مفهوم لها، إذ تعتقد أن ما نزل في الكتاب بخصوصه يقصده به منع اختلاط المرأة بالرجل اختلاطاً يشجع على الفساد. ويعتني المسلمون هناك بتربية أبنائهم، فيرسلونهم في طفولتهم إلى مدارس الروضة، ثم المدارس الابتدائية ثم الثانوية، وحينئذ يصبح الابن حراً، إما استئناف دراسة العالية أو الاشتغال بما يروق له، وكما تقتضيه الظروف من المهن والوظائف. ويكره المسلمون البولونيون تعدد الزوجات. وبالرغم من أن دستور بولونيا لا يمنعهم من ذلك إلا أنه لا يوجد من يرغب في الزواج من أكثر من واحدة.

على اسماعيل فورونوفتش، محمد سيد الحموي

« يتبع »

فضل التحبب إلى الناس

في الحديث المرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « أحب الناس إلى الله أكثرهم محباً إلى الناس ».

وفيه أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: « إذا أحب الله عبداً حبه إلى الناس ».

التفسير

سورة الرعد

- ١٣ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ بَلِّغَ اللَّهُ الْأَمْرَ جَمِيعًا . أَفَلَمْ يَنَاسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا . وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ . وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) :

سبب النزول : روى أن المشركين اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات ، فقالوا له : سير لنا جبال مكة حتى ينفسح المسكان علينا ، واجعل لنا فيها أنهارا نزرع فيها ، وأوحى لنا بعض أمواتنا للنساء لهم أحق ما تقول أم باطل ؟ فقد كان عيسى يحيى الموتى ، أو سخر لنا الريح حتى نركبها ونسير عليها ، فقد كانت الريح مسخرة لسليمان ، ولست بأهون على ربك من سليمان ، وأن جماعة من المؤمنين ودّوا لتجارب هذه المطالب حتى تنقطع تمللاتهم ولا يبقى لهم متعلل ، فنزلت هذه الآية .

لقد رأيت كيف بنيت هذه السورة الشريفة من أولها على حاجة الذين يجادلون في الله وهو شديد المحال ، فبيّنت الآيات واضحة ، وقررت الحجج شاهدة بعظمة قدرة

الله ، وشارحة آثارها المتنوعة حتى تكاد تلمسها اليد ، بعد أن ملأت العيون نورا ، والقلوب اقتناعا ، والنفوس المستعدة لقبول الهدى اطمئنانا ، فلم يبق إلا تلكؤ المعادين ، وتحل المشاغبين ، وتعت المسكابين ، أولئك الذين وضعوا أنفسهم في موضع من يستجدي منه أمر لا صلاح للعالم بدونه وهو عنه جِدّ غنى ، فقام أولئك الحقّ يتعمقون ويتدللون ويقترحون ، وما هم بمؤمنين ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم .

ولقد حكى القرآن الكريم عنهم تلك التعتات والمقترحات في غير ما آية ، كقوله عز وجل : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالهة قبيلة ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه » بل كان منهم ما هو أدخل في باب الحق والجهالة المطلقة والغباء التي مابعدا غباوة كما حكاه عز وجل عنهم في قوله : « وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » هكذا كان شأن أولئك المشركين الذي تغلغل الشرك في عقائدهم ، وجدّوا على ما كان عليه آبائهم من إخضاع عقولهم لحجارة نحتوها بأيديهم ، وتغميض عيونهم خشية أن يأخذ نور الهدى بأبصارهم فيحولهم عما يعبسون ، ووضع أصابعهم في آذانهم رعبا من صيحة الحق أن تدخل من آذانهم إلى أذهانهم فلا يستطيعوا الهرب من سلطان الحجة ولا التحول عن واضح المحجة . إذ كان شأن القوم التصميم على الشرك والكفر ، فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم .

لا جرم كان من مقتضى الحكمة في جواب هؤلاء ، هو تبين شأن ما نزل إليهم ، وأنه قد احتوى على آيات بينات كافيات شافيات لمن ابتغى الهدى حقا ، وأراد أن يعلم الأمر على وجهه ، فبين يديكم من الآيات التي جلاها عليكم القرآن من أول السورة إلى الآن ما لو قستموه بتسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى ما نزل عنها دلالة

ووضوحاً، بل زاد عليها قوة وإقناعاً. ذلك أنه يخاطب العقول الثابتة التي ليست عرضة لتأثير السحر الذي يعرض ساعة ثم ينقطع، فليست تلك الآيات قابلة لأن يقال فيها كما يقال في غيرها: إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون، لا بل هي آيات راسخة ثابتة تعطى ما سألتهم وتزيد عليه، فلو أن قرءانا وكلاماً يتلى سيرت به الجبال عن أماكنها أو قطعت به الأرض سيرا، أو المعنى أو قطعت به الأرض أنهاراً، أو كلم به الموتى بإحيائهم لكان هو هذا القرآن الذي يتلى عليكم وأنتم عنه معرضون مع اشتماله على الكفاية في كل ما تطلبون، ألم يتل عليكم من آياته ما لا يستطيع أحد منكم إنكار أنه أثر من آثاره وحده؟ « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله » فهل دعاكم الى شيء أكثر من الاعتراف بأنه هو وحده الذي يجب أن يتوجه اليه بالعبادة، وأن يطاع أمره وتبتغي مرضاته؟ فهل بقي في هذه الدعوة خفاء بعد هذا الجلاء؟ وعلى هذا ترى المعنى هكذا: لقد طلبتم تلك الآيات تمنعنا وأوهمت أنكم طلبتموها استرشاداً، ولو أنكم كنتم تطلبون الهدى حقاً لكفاكم ما يتلى عليكم، فلو أن قرءانا تسير به الجبال أو تقطع به الأرض أو تكلم به الموتى لكان هو هذا القرآن الذي تسمعون، فأعملوا عقولكم في الاهتداء بنوره إن كنتم تعقلون.

ورأى بعض المفسرين وجهاً آخر في تقدير جواب لو المحذوف، وهو أن المعنى: ولو أن قرآننا نزل اليكم فسيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ما آمنتم به ولا اقتنعتم، فالمعاند المصر على ضلاله مهما قامت في وجهه الحجة لا ينتظر منه إذعان ولا إيمان. أما على الوجه الأول فجواب لو المقدر هو: لكان هو هذا القرآن، لما احتوى عليه من واضح البيان وساطع البرهان.

وعلى كل لجواب لو محذوف، وحكمة حذفه أنه يدعو النفس للتفكير في تقديره، فتذهب كل مذهب ممكن، فيتجلى من المعاني المستفادة من الآية ما لا يستفاد منها إذا صرح بالجواب.

«بل لله الأمر جميعاً» فهو العليم الحكيم، لا يصدر عنه إلا ما يريد مما يعلم فيه المصلحة والهداية، لا يخضع لرأى متعنت ولا لاقتراح مكابر، والله غنى عن العالمين، فليس به حاجة الى أن يؤمن هذا أو يكفر ذاك، فن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، وإنما رحمته في أن يرسل إليهم رسلاً بالبينات التي يعلمها كافية وافية، فلا تأبى لما يقولون ولا تكترث بمن يتعننون، بل امض في سبيلك، فقد أيدت بما فيه المنفع. ثم التفت الى ما كان من بعض المؤمنين من تعلق نفوسهم بإجابة مقترحات أولئك المشركين، فوجه نظرهم الى ما علموه واستيقنوه من أن قدرة الله شاملة لكل ما يشاء، مبرزة لكل ما أراد، وأنه لو شاء لهدى الناس جميعاً، ولو شاء لجعلهم أمة واحدة، ولكن إرادته وفق الحكمة اقتضت أن يكون منهم الكافر ومنهم المؤمن، اقتضت أن يكون فريق في الجنة وفريق في السعير، فهما أوتوا من آية ومهما أجبوا الى اقتراح فلا يزال الذين قضى عليهم بالكفر في غيهم يعمهون وعن الصراط السوى يعدلون. هكذا اقتضت إرادة الله، فامعنى طاعية أولئك المؤمنين في إجاباتهم وقطع حججهم؟ أفيغيرون حكم الله في عالمه ومشيبته في خلقه؟ أفلم يعلموا ويتبينوا تبيناً حاسماً أن هذه إرادة الله فيأسوا من أن يفيدهم إجابة مقترحات أو الإتيان بآيات ملجئات؟ وعلى هذا يكون يئأس بمعنى يعلم، إما على أنه لغة لبعض العرب فيكون استعمالاً حقيقياً، وإما على وجه التجوز لأن من علم شيئاً علماً يقينياً فقد يئس من أن يحصل خلافه. وليس ببعيد أن يقال أن الحكمة اقتضت عدم إجاباتهم لمقترحاتهم لأن العادة الإلهية أن الآية إذا كانت مبنية على اقتراح المدعوي وكانت من الواضوح بحيث لا تحتل مفراً ثم كذبوا بها، أخذهم العذاب فاستأصلهم، فكان من رحمة الله بهم أن يوجه نظرهم لما ألقى عليهم، فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولكل جزاؤه الذي أعده الله له. ولعل في الإيماء لهم تمكيناً لبعضهم ليرجع النظر، أو لعله يحى من ذريته من يؤمن بالله. وعلى كل حال ففي الإيماء توسيع للفرصة، وتمكين للعقول من إعادة النظر وإجادة التفكير.

« ولا يزال الذين كفروا تصديقهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف اليعاد » :

لقد كان لأولئك المشركين المكابرين صولة تجعل أمرهم في نظر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه خطيرا، وكان لديهم من العز والمنعة ما لا يصح أن يستهان به، ووراءهم من المستضعفين الخاضعين لنفوذهم بحكم الجوار أو الخلطة في المعيشة خلق كثير حيل بينهم وبين الاهتداء بنور الاسلام، فكان أمرهم من كل ناحية جللا، وكان مثلهم مما يشغل بال المصلحين، فهون المولى عز وجل على رسوله وعلى المؤمنين أمرهم، ووعدهم بأن هذه الشكيمة وهذه العزة القعساء متداعية للفناء، ولا يزالون معرضين للعصائب تقرر قلوبهم وتغشى رؤسهم متتالية عليهم، بما صنعوا من عتو وعناد، وبما عثوا في الأرض من الفساد، وبما حجبوا رحمة الله وهدايته أن تصل الى العباد، وبما كذبوا من آيات الله بعد وضوح الهدى والرشاد. نعم لا تزال القوارع تغشاهم في بلادهم أو تحل قريبا من دارهم فتملؤهم رعبا وفزعا وهلعا، فيفت ذلك من عضدهم، ويخضد من شكوتهم، فيرون بنيانهم ينهار شيئا فشيئا، وينجلي الحق للناس رويدا رويدا حتى يأتي وعد الله الذي وعدك : من النصر عليهم، ودخول بلدهم الذي أخرجوك منه ظلما وعتوا، فتزلزل بهم الأرض زلزالها، وتقتلع عزتهم من أساسها، ويصدق الله رسوله وعده، وترى الناس يدخلون في دين الله أفواجا، وتذهب ريحهم لا الى رجعة، إن الله لا يخلف اليعاد. والقارعة : المصيبة تقرر قلب المصاب أى تصطدمه صدمة عتيفا، ومنه قول الشاعر :

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسر

والمراد بها هنا ما كان يصيب المشركين من السرايا التي كان يوجهها صلى الله عليه وسلم اليهم، وبيان ما كان يلحق القوم من الهلع من جرائها، تثبيتا لقب المصطفى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، حتى تشتد عزيمتهم ولا يكبروا من شأن أولئك الطغاة. وقوله : « أو تحل قريبا من دارهم » لبيان ما كان يلحقهم من الهلع والحزن للسرايا التي كانت توجه الى مجاورهم

فيرتقبوا أن ينزل بهم مثلها . وقوله : « حتى يأتي وعد الله » هو ما وعده رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في قوله عز وجل : « لتدخلن المسجد الحرام »
 « إن الله لا يخلف الميعاد » :

كلمة عامة لوعد الخير ووعيد الشر ، ولكن خص عمومها في الوعيد بآيات المغفرة لمن شاء ، لمن شاء ، فلا يتكلم امرؤ عليها فيغتر بربه الكريم « إن بطش ربك لشديد »
 هذا وقد رأى بعض المفسرين أن ضمير (تحمل) راجع للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، أى أو تحمل أنت قريبا من دارهم ، إشارة الى وقعة الحديبية حيث جاء صلى الله عليه وسلم معتمرا مع بعض الصحابة ، خشيب قريش أنه إذا دخل تسامعت العرب بدخول المسلمين مكة فتقل هيبتهم ، ففاوضوه صلى الله عليه وسلم أن يجيىء في عام آخر ، وانتهى الأمر بصلحها المعروف . وما كان ذلك إلا خشية من استفحال تلك القوة التى رأوها كل يوم فى ازدياد ، فرهبوا ما يلحقهم منها ففاوضوا حتى تم الصلح على تلك الشروط المعروفة فى الحديبية ، والتى كان من ورائها إعزاز للإسلام وأهله . وهو وجه لا بأس به . وكذلك فسر بعضهم « حتى يأتي وعد الله » أى موتهم ، أو القيامة . ولعل ماسبق أظهر . والله أعلم .
 « ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب » :

هذا تثبيت إثر تثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وسلم ببيان أن هذا دائما شأن الحق والباطل : صراع وغلاب ، ومكابرة وعناد ، واستهزاء واستطالة ، ويملى الله للذين كفروا أى يمهلهم ويعطيهم ملاوة من الزمن ، ومنه الملوان الليل والنهار ، لتقوم الحجة عليهم ، وليمكن من يريد منهم من مراجعة نفسه ومعاودة النظر ، حتى إذا لم يبق إلا المكابرة والعناد ، أخذتهم الصيحة فأهلكتهم ، ولقد قصصنا عليك من نبيأ عاد وثمود وفرعون وغيرهم ، فكيف كان عقاب ، فهل قومك أعظم شكيمة وأعز نفرا ؟ فاصبر كما صبر أولوالعزم من الرسل ، وتأس بمن سبقك منهم ، وثق بوعد ربك إنه ناصر لك عليهم ، ويحق الله الحق ، والله متم نوره . والله أعلم .
 إبراهيم الجبالى

الادب بين الحضارة والبداءة

أثر البيئة في الأدب

كنت أريد أن أجعل كلمة هذا العدد بحثاً في عوامل فقدان أدب الحضارة العربية قبل الاسلام، في مواطنها من اليمن، والحيرة، والشام، ولكن بدا لي أن أقدم على ذلك بحثاً في أثر البيئة على الأدب، وأسلوبه، ومعانيه، وأخيلته، وروحه، وقالبه حتى تتبين لنا الخصائص المميزة لأدب البداءة عن أدب الحضارة، ولنعرف إن كانت تلك الخصائص تنطبق على ما وصلنا من أدب العرب باعتباره أدب بداءة، أو أدب حضارة.

وسأحاول عرض صور من الأدبين، وأتناولها بالتحليل، لنقف مع القارئ على تحديد الخصائص، ثم نعبّر إلى الكلام على العوامل التي يمكن أن تكون ذات أثر قوى في ضياع الأدب الحضري وعدم وصوله إلينا كما وصلنا الأدب البدوي.

الأدب — كما قلنا : صورة صادقة لحياة الأمة في بداوتها وحضارتها، وهو أصدق تعبيراً عنها، وأوضح منزعا لتصوير حالتها الفكرية والاجتماعية. فأدب البداءة صورة لحياة أمة تعيش مع الطبيعة التي لم تستحوذ عليها يد الانسان، بل ظلت كما خلقها الله تعالى بين الأودية والجبال، والمفاوز والقفار، تظلم سماء يصفو أديمها وتستوى النفوس بجبالها، قد ازدانت بلوامع النجوم تأتلق في صفحتها، ويسطع فيها البدر فيزيدها جمالا، ثم تشرق فيها الشمس بأشعتها الملتهبة المضيئة، فكانت كسيت السماء ثوبا وهاجا، وكانت حصبا، البادية جمار يلعبن انقادا.

جمال طبيعي لا يكدره إلا ما تنعزز له الطبيعة من الثورات في البوادي، فالبدوي الذي يشهد هذا الجمال الهادي، لا يلبث أن يرى جو صحرائه قد تلبد بالغيوم، ودوى

في أفقها الرعد، وومض البرق، وهبت الريح إعصاراً تستك لصبرها الأسباع، وجرت زعزعا لا تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالريم، وهى الغيث مدراراً فأفعم الأودية، وفاضت به الغدران، وإذا بالصمت قد خيم على تلك الطبيعة الهائجة حتى لا تسمع لها ركزا. هذه الطبيعة القاسية المتقلبة التي يعيش البدوى بين أحضانها لها أثر قوى بالغ في تكوين الأمة التي تنشأ فيها خلقيا واجتماعيا، فكما أن الطبيعة فأرة، عابسة، كزة جافية، واجمة، غاضبة، منيرة مظلمة، ضاحكة باكية، فالأمة تكون حادة الطبع، يستخفها الطيش، وتغلب عليها الجفوة والكزازة، وتستفزها الصيحة، وتهتاجها أنفه الأسباب، لا تألف الرزانة طبيعة وخلقا، وإن اعتزت بها تخلفا وكسبا، تحركها الكلمة الى الشر فتجرى من ورائها الدماء.

لأنظام لها ولا قانون، ولا دين ولا عقيدة، اللهم إلا عادات وتقاليده موروثه، تجرى مع العرف في ذرى الرغبة والرغبة، مع حرية لا غاية لها، بل تتسع بالتسع الفضاء الذي تعيش فيه، وهى من أعظم مظاهر البداءة وأقدس مقدساتها.

للبداءة جمال، ولكنه جمال الطبيعة الساذجة التي لم تعبت بها يد الانسان، جمال السماء في صفاء أديمها، والنجوم في تلالها، والشمس في وهجها، والريح في قصفها والأطياف في شدوها، والأشجار في خفيفها، والأزهار في نضارتها، والصحراء في سكونها، والجبال الشامخ في جلالها، والقمر في بهائه، والليل في رهبته.

جمال عميق في حقيقته، بسيط في ظاهره، لا يجذبك اليه إلا إذا فتنته، ونقبت في زواياه، وأنى للبدوى أن يكشف عن هذا الجمال وقد ألهاه الطرد ليا كل، وشغلته الحروب والغارات ليعيش ؟ !

فهو إذا تحدث عن مظاهر الكون جاء حديثه وليد النظرة العجلى واللمحة العائمة على سطح الحياة، فلا يحاول التعمق ليكشف عن أسرار الوجود التي تمثلت أمامه في مجالى الطبيعة وهى سافرة، وإن هو أراد التعمق فلن يستطيع شيئا غير ما تأتى به

طبيعته المبادية المحدودة ، لأنه ليس في استعدادة ، وهو في بيئته البدوية ، النزوع الى مثل أعلى وراء تلك المظاهر التي تأخذ عليه مسارب الإحساس والشعور .
يصف السحاب والأمطار ويفتن في هذا الوصف ، لأنه يرى فيها الوسيلة لبقائه في باديته يمرح ويرتع .

يهتز سرورا إذا شام في السماء السحاب خفلا ، ويتقبض إذا عرضت له جهاما ،
لأنه يريد الماء الذي تقوم عليه حياته وحياة ماشيته ، وهي عماد معيشته ، ولا يعنيه ما في تلك المناظر الطبيعية من صور وراء المادة ، هي ملاعب الخيال الخصب لو صادفت مصورا ماهرا ، حبته الحضارة بذوق أدبي ، وفكر عبقرى ، يعن فيتقصى ويذهب مذاهب التفصيل والتحليل والتزيد والابتكار في تشبيهاته بما يجد عنده في أفق الخيال ومسارح العقول . ألا تسمع الى ابن الرومي الشاعر الحضري المصور وهو يصف السحاب فيقول :

من حُجزتيه وتستطير بروق	متهلل زجل تحل رواءعد
لم يدر سائقهن كيف يسوق	سدت أوائله سبيل أواخر
منه سواعد ترة وعروق	فسخا وأسعد حالبيه بدره
منه الكلي فأديمه معقوق	وتنفست فيه الصبا فتبجست
عنه حقوق بعدهن حقوق	حتى إذا قضيت لقيعان الملا
فوق الربى ومزادها مشقوق	طفقت رواياه تجر مزادها
حتى تفتق نوره المـرتوق	وتضاحك الروض الكئيب بصوبه
مسك تضوع فأره مفتوق	وتبسـمت نفحاته فكأنه
طرب لعلل بالغناء مشوق	وتفرد المكاء فيه كأنه

فانظر الى هذا الافتنان في التشبيه البديع ، والجري مع الخيال الضافي ، والفكر العميق ، وما فيه من براعة التصوير ، ودقة الوصف . وأنت إذا تأملت قوله : متهلل

زجل ، واجهتك منه صورة حية متحركة ، فيها بشاشة وبهجة ، لأن هذين الوصفين من خصائص الحياة الممزوجة بالحس والشعور ، ولكن الشاعر المصور لا يريد أن يدعى لموصوفه حياة تصرفك عنه ، بل هو يريدك على أن تفهم أن هذه الحياة مع ما فيها من حس وشعور هي حياة الطبيعة في مظاهرها ، فهو يقول : وتنفست فيه الصبا ، وتضاحك الروض الكتيب ، ليقرب لك ما كنت تستبعده لو وقف بك عند الصورة الأولى . ثم انظر الى تلك الصورة البديعة التي تصور طائر المسكا غردا طروبا ، فقد ترى أنها صورة قريبة يستطيع كثير من الشعراء رسمها ، ولكن لا تغفل عن قوله : طرب لعل بالغناء مشوق ، فان فيه إحساسا إنسانيا جاوز به الشاعر الطائر الى نفسه ، وهذا شئ . يجده كل إنسان ، ويحس به بين جوانحه ، وأى مشوق لا يتعلل بالغناء والتطريب ؟

ثم وازن بين هذا التصوير ، وتصوير البدوى الذى يستمد فنيه ألوانه من مظاهر البداءة واقفا عند سفح الحياة يلتقط منها صورا طائرة قصارا كاللحمة الخاطفة يتناولها الحس المادى المحدود .

هذه ريشة امرئ القيس ترسم منظرا لا يختلف فى وقائمه عن منظر ابن الرومى كثيرا ، وهو مختلف فى تخريجه عنه أشد الاختلاف ، وامرؤ القيس أبرع شعراء البداءة وأميرهم ، يقول فى مذهبته :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه	كلع اليدين فى حبي مكلل
يضىء سناه أو مصاييح راهب	أمال السليط بالذبال المفتل
قعدت وأصحابي له بين ضارج	وبين العذيب بعدما متأمل
على قطن بالشيم أيمن صوبه	وأيسره على الستار فيذبل
فأضحى يسح الماء حول كتيفة	يكب على الأذقان دوح الكنهبل
ومر على الفنان من نفيانه	فأنزل منه العصم فى كل منزل

وتياء لم يترك بها جذع نخلة ولا أطما إلا مشيدا يجفدل
 كأن ثيرا في عرايين وبله كبير أناس في يجاد مزمل
 كأن ذرى رأس المجيمر غدوة من السيل والغشاء فلكة مغزل
 وألقى بهصحراء الغبيط بعاءه نزول اليماني ذى العياب المحمل
 كأن مكاكى الجواء غدية صبحن سلافا من رحيق مففل
 كأن السباع فيه غرق عشية بأرجائه القصوى أناييش عنصل

فهذا الشاعر المصور البدوى لم يقصر فى تصوير مناظره ، بل سما الى السكالم وأبدع فى إخراج صورته إبداع العبقرى الحاذق ، ولكنها عبقرية البداءة التى لا تتجاوز المحس المشهود ، فى تصوير وميض البرق بلع اليدى ، وحركتهما السريعة فى الحبى المكمل ، أى السحاب المستدير الثقيل بالماء ، براعة فى التصوير لا تبلغ الدقة الفائضة الى الأعماق ، بل هى صورة مما تأخذ العين لأول نظرة ، وتقف بك عند هذه النظرة الخاطفة التى امتاز بها ذكاء البدوى . وفى تصوير سنا البرق وضوئه بمصاييح الراهب التى أمال زيتها بالذبال المحكم القتل ليكون أروى له وأضوأ ، جمال خافت لا يدركه إلا من عرف وحشة الديورة وساكنيها ، تلك الوحشة التى لا تشابهها إلا وحشة خيمة البدوى فى جوف الصحراء .

لنتخط هذه الأسماء التى يكثُر منها الشاعر ، فهى وإن لم تقع منا موقع اللذة والإمتاع لكنها عند الشاعر رمز الى معان فى نفسه يحسها ويلتذذ كرها ، ولنتابع سيرنا مع الشاعر ، فإذا به يتنقل بنا من صورة الى صورة أخرى مسرعا فى حركته ، فهو يقول : إن هذا السيل شديد عنيف يكتسح أمامه كل شئ ، حتى الدوح المتعاطم الذى يسميه الشاعر باسمه الغريب (الكنهبل) المتغلغل فى البداءة ، يكبه على الأذقان ، وكلمة الأذقان هنا جميلة جدا ، لما فيها من الاستعارة اللطيفة ، وهذا السيل أيد يستنزل العصم من قنن الشانحات ويهدم الحصون المشيدة ، وهو مستبجر أغرق ثيرا ذلك الجبل

العظيم ، فصار فيه أشبه بزعم قبيلة تلفف في عباءته ، وصارت ذرى رأس المجيمر كأنها فلسكة مغزل ، وهذا السيل يذهب في طريقه جادا حيث يلتقي أنفاله كما يلتقي التاجر اليماني عيابه وينشر سلعه ، ومن شأن التجار أن يجمعوا في عيابهم مختلف الأشكال والألوان ، فكذلك هذا المطر كسا صحراء الغبيط نباتا وزهورا مختلفة الألوان والأشكال .

هكذا يستوحى الشاعر البدوى بيئته في مرائبها ومشاهدها حتى يقف عند تلك الصورة التي رسمها ابن الرومي أيضا :

كأنت مكاكى الجواء غدية صبغن سلافا مررت رحيق مفلفل
فامرؤ القيس ينصرف عن نفسه الى مكاكيه ، فيصور فرحها بهذه المناظر ، ويكتفى أن يقول كأنها شربت في الصباح سلافا من رحيق مفلفل ، فهي متفرفة ثملة سريعة الحركة ، لا تفر ولا تسكن . وقد عرفت أن اتجاه ابن الرومي اتجاه مركب ، فيه عمق ، وفيه إحساس إنساني ، وشاعر البداءة لا يجب أن يقف عند هذا اللون في تصويره الذي قد تشاركه فيه شعراء الحضارة ، فهو يرجع سريعا الى باديته مكتملا منفردا فيصف السباع وهي غرقى في هذا السيل الطافي :

كأنت السباع فيه غرقى عشية بأرجائه القصوى أنايش عنصل
فهو تشبيه غريب ساذج ، فيه حلاوة البداءة ، وصدق تصويرها ، انتهى اليه الشاعر ليدل به على مكانه من بيئته م
صادق إبراهيم عرجونه

الوصايا النبوية

قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها : أوصاني بالاخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وأن أعفو عن ظلمي ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرا ، ونطقى ذكرا ، ونظري عبدا .

بَابُ الاسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

اسعاف المريض بالخمر

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الأسئلة الآتية :

هل يجوز شرعاً تعاطي الخمر بكمية بسيطة كفنجان قهوة مثلاً كعلاج وقى سريع في حالات الإغماء والإصابات الشديدة ، لما لها من السرعة في إسعاف المريض ، وحسن الأثر الى أن يتمكن الطبيب من القيام بالإسعافات الأخرى الواجبة التي هي في طبيعتها أبطأ في الفائدة من الخمر لدرجة قد تؤثر على حالة بعض المرضى تأثيراً قد يسيء اليهم ؟

دكتور محمد عبد العظيم سرور

الجواب :

إذا قرر الطبيب الحاذق الثقة أن الخمر تعيّنت طريقاً لا نقاذ المريض في حالات الإغماء أو الإصابات الشديدة بحيث لا يقوم غيرها مقامها في هذا ، جاز إعطاؤه مقدار ما يدفع الخطر عنه ، والله أعلم .

في الميراث

توفيت سيدة عن زوجها ، وبنيتين من أخيها الشقيق المتوفى ، وولدين من أختها الشقيقة المتوفاة ، فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ، وما نصيب كل ؟

حسين الشيال

الجواب :

كل هؤلاء المذكورين وارثون ، وتقسم التركة اثني عشر جزءاً ، ستة منها للزوج ،

وأربعة لبنتي الأخ : لكل واحدة منهما جزءان ، والجزءان الباقيان لابني الأخت ، لكل واحد منهما جزء . والله أعلم .

* *

رجل مات عن أم ، وأخت شقيقة ، وإخوة لأب ، وإخوة لأم ، فمن يرث من هؤلاء ، ومن لا يرث ، وما نصيب كل ؟ والفتوى تكون على مذهب الحنفية .
أحمد الصباغ

الجواب :

الوارث من المذكورين الأم والأخت الشقيقة والإخوة لأم .
فللأم سدس التركة ، وللأخت الشقيقة نصفها ، وللإخوة لأم ثلثها ، يقسم بينهم على السوية .

أما الإخوة لأب ، فلا يستحقون شيئاً من هذه التركة ، لأنهم عصبته ، ولم يبق بعد توزيع التركة على أصحاب الفرائض شيء يأخذونه ، والله أعلم .

* *

رجل مات عن زوجته ، ووالدته ، وبنيتين ، وأخ شقيق ، وثلاث أخوات شقيقات ، ثم ماتت إحدى بنتيه عن والدتها وأختها الشقيقة ، وعمها وعماتها الثلاث ، وجدتها من أبيها .

فمن يرث ، ومن لا يرث في المسألتين ، وما نصيب كل ؟

عبد الله عيد عرابي

الجواب :

الميراث في المسألة الأولى لجميع من ذكرها فيها ، فللزوجة الثمن ، وللوالدة السدس ، وللبنتين الثلثان ، والباقي للأخ والأخوات ، للذكر مثل حظ الأنثيين .

والميراث في المسألة الثانية للوالدة والأخت الشقيقة، والعم، ولا شيء للعمات، ولا للجدّة. أما الوالدة، فلها الثلث، وأما الأخت فلها النصف، وأما العم فله الباقي، والله أعلم.

صلاة الجمعة

يوجد ببلدنا مسجد قديم مؤسس من نحو خمسين سنة، وتقام به صلاة الجمعة، وقد أنشئ بهذا البلد مسجد جديد في جهة أخرى، وقد أفنانا بعض أهل العلم بعدم جواز إقامة الجمعة في المسجد الجديد، فهل تجوز إقامة الجمعة به على مذهب الامام مالك، مع العلم بأن هذا المسجد غير تابع لوزارة الأوقاف، وينفق عليه الأهالي كالأول؟

مرسى خليل

الجواب :

الذي جرى عليه العمل من مذهب المالكية أنه إذا أقام أهل هذا البلد صلاة الجمعة في القديم والجديد معا، صحت في القديم دون الجديد، إلا إذا كان القديم لا يتسع لصلاة من يغلب حضورهم، أو يخشى حدوث فتنة من اجتماع أهل البلد في القديم، فإنه حينئذ تصح الصلاة فيهما معا، فإن صلّوا في الجديد وحده وتركوا القديم، صحت جمعهم.

وتوسّع بعض علماء المالكية في الأسباب المبيحة لتعدد الجمعة في البلد الواحد، فجعل منها بُعد ما بين طرفي البلد، ومشقة الانتقال الى المسجد العتيق بحيث يخشى من تكليفهم بالانتقال اليه ترك الجمعة، وأيد هذا بأنه المناسب ليُسر الدين الاسلامي، ولقواعده العامة، كاستقديم درء المفسد على جلب المصالح.

وذهب بعض الأئمة الى أن صلاة الجمعة كبقية الصلوات تصح في كل مسجد. والله أعلم.

الرضاع

بنت أجنبية رضعت مع أختي الصغيرة من والدتي ، فهل يصح أن أتزوجها ؟

محمد محمد سليمان

الجواب :

حرمة الرضاع ليس من شرطها أن ترضع البنت مع الولد ، بل يكفي في تحريم الرضاع أن يكون الولد والبنت قد أَرْضَعْتَهُمَا أم واحدة ، سواء أ كان رضاع البنت مع الولد أو مع أحد إخوته أو أخواته . وهذا باتفاق الأئمة الأربعة . والله أعلم

* *

رجل تزوج ابنة عمه ، وبعد عامين من هذا الزواج اتضح أن أخت زوجته أرضعته ، وبسؤالها عن ذلك أجابت بأنها أرضعته ، ولكنها لم تفتكر كم مرة أرضعته . فهل هذا الزواج صحيح ؟

هجرسي أحمد

الجواب :

مذهب الشافعية والحنابلة أن تحريم الرضاع لا يثبت إلا بخمس رضعات متفرقات ، وأن يعلم ذلك من طريق اليقين . وعلى هذا فعقد الزواج المستول عنه صحيح عند الشافعية والحنابلة . والله أعلم

ذكاة الصيد

ما الحكم في الصيد بالبندقية في جميع المذاهب إذا لم يدرك حيا ؟

العزب سليمان هيبه

الجواب :

الأصل عند الحنفية أن الصيد إذا قتل بآلة حادة يقطع بها عادة كالسهم ونصل

الرح والمدينة وما الى ذلك ، يحل أكله . وما قتل بآلة مثقلة لا يقطع بها عادة كالحجر والزلط والخشبة الغليظة لا يحل أكله . وبني بعضهم على هذا الأصل أن الصيد بالبندقية لا يحل المصيد به ، لأن الرصاصة التي تخرج من البندقية ليست محددة ، ولا مما يقطع به عادة ، وأن القتل بها ناتج من ضغطها على المصيد بواسطة قوة الدفع . فهى من هذه الناحية كالحجر والعصا الغليظة في أن موت المصيد كان بسبب ثقل ما ألقى عليه ، إما ثقلاً ذاتياً كما في الحجر ، وإما ثقلاً آتياً من قوة الدفع كما في رصاصة البندقية ، وإذاً يكون المصطاد بها من قبيل الموقوذة التي حرّمها القرآن بنص صريح . وقالوا : إذا حددت الرصاصة بحيث تصبح كنصل الرمح واصطيد بها حل المصيد . ولكن بعض محققى الحنفية كالسندى وغيره ، رأوا أن الرصاصة وإن كانت لا يقطع بها عادة إذا أمرت على الجسد إمراراً عادياً فهى بقوة الدفع التي في البندقية تقطع وتفرى الجسم ، وتنهى الدم . فقتل المصيد في الواقع ليس مضافاً الى الضغط الناشئ من قوة الدفع كما في الحجر ، وإنما هو ناشئ من الجرح الذى أحدثه تمزيق الرصاصة للجسد ، ويستوى في ذلك الرصاصة المحددة وغيرها من الرصاص المعتاد ، فإنها على كل حال تمزق الجسد ، وتنفذ الى ما وراء الجلد ، وتسبب النزيف ، وعند ذلك يكون الموت . وليس صحيحاً أن الموت بها آت من ثقلها بقوة الدفع ، وإنما هو آت من الجرح الذى أحدثته . وهذا معلوم من طريق المشاهدات التى لا يستطيع أحد إنكارها . وعليه فالمصيد بالبندقية حلال أكله إذا لم يدركه الصائد حياً ، فإن أدركه حياً وجب ذبحه بالطريقة الاعتيادية .

وكذلك ذهب المالكية الى حل المصيد بالبندقية . وكلا المذهبين يشترط أن يكون الصائد مميزاً ، غير تارك التسمية عمداً عند إطلاق الرصاصة ، وأن يضاف القتل الى الرى دون سبب آخر كالغرق . وزادت المالكية شرطين آخرين ، هما أن يكون الصائد مسلماً ، وأن ينوى التذكية . والحنفية يرون حل المصيد من المسلم والكتابى سواء .

أما الشافعية والحنابلة فلا يرون حل المصيد في هذه الحادثة المستول عنها .
والله أعلم .

تصرف الابن

رجل ملك ابنه التصرف في منزله ، وعاهده على الصدق والإخلاص في السير ، ومشاورته في كل شيء قبل فعله ، سواء كان بيعاً أو شراءً أو أى معاملة ، ثم نكث الولد العهد ، واشترى أشياء لنفسه خاصة ، ولم يشرك فيما اشتراه أباه ولا إخوته ، وادعى أن هذا بسعيه وحده . فهل هذا حلال أم حرام خصوصاً إذا لم يرض عنه الأب ؟
مصطفى عوده

الجواب :

المفهوم من السؤال أن الرجل فوض الى ابنه التصرف في أمواله بالبيع والشراء وغيرهما ، واشترط عليه أن يطلعه على كل تصرف يريد قبل أن يفعله ، واسكن الولد لم يعمل بما تعهد به ، بل استبد بالتصرف دون أن يطلع والده عليه ، واشترى أشياء اختص بها نفسه وادعى أنها من سعيه وعمله . فإذا كان السؤال هكذا فالجواب أن عمل هذا الولد حرام .

الرهن

هل يكون شيء من الائتم في رهن الأطيان الحيازي بشرط أن ينتفع الراهن بالعين المرهونة ؟
بكر سعد أبو شوشه

الجواب :

يقع بين الناس معاملات تتعلق بالرهن ، فقد يقرض الرجل من آخر مالا ، ويسلم اليه أرضه رهناً في دينه ، على أن يكون لصاحب الدين الانتفاع بالعين المرهونة

زراعة وتأجيراً أو غيرها . فإذا كان السائل يشير بسؤاله الى مثل هذه الحادثة ، ويطلب حكم انتفاع صاحب الدين بالعين المرهونة في يده ، فالحكم أنه حرام ، لأنه قرض جر نفعاً . وهناك تعامل آخر بين الناس ، أساسه عقد إيجار أو عقد بيع ، فقد يشتري الرجل أحياناً عقاراً أو غيره ، ويبقى من ثمن المبيع في ذمته مقداراً ، فيرهن المشتري للبائع بما بقي في ذمته من ثمن المبيع أرضاً زراعية ، ويذكر في صلب العقد أن هذه العين رهن في باقي الثمن ، وأن للبائع حق الانتفاع بها مدة معينة . فانتفاع صاحب الدين في هذه الحادثة حرام عند الحنفية ، حلال عند المالكية والشافعية . وكذلك حلال في رواية عند الحنابلة . والله أعلم ٢

رئيس لجنة الفتوى
محمد عبد اللطيف الفحام

من طرائف الحكمة

قيل لقس بن ساعدة : ما أفضل المعرفة ؟ قال معرفة الرجل نفسه . فقيل له : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف الانسان عند علمه . فقيل له : فما أفضل المروءة ؟ قال استبقاء الرجل ماء وجهه .

وقال الحسن : التقدير نصف الكسب ، والتودد نصف العقل ، وحسن طلب الحاجة نصف العلم .

وقالوا : لا عقل كالتيدير ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق ، ولا غنى كرضا عن الله ، وأحق ما صبر عليه ما ليس الى تغييره سبيل .

وقالوا : أفضل البر الرحمة ، ورأس المودة الاسترسال ، ورأس العقوق مكاتمة الاذنين ، ورأس العقل الاصابة بالظن .

وقالوا : التفكير نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، والعلم حياة ، والأول سابق ، والآخر لاحق ، والسعيد من وعظ بغيره .

وقالوا : ظن العالم كهانة .

وقال الحسن البصري : لو كان للناس كلهم عقول خربت الدنيا .

دحض شبهات عن الاسلام

يذكر القراء أننا لخصنا بحثنا للكاتب الفرنسي الميسيو أندريه هرفيه حمل فيه على الاسلام، وحصرنا شبهاته التي أوردها في اثنتي عشرة شبهة. وقد دحضنا أربعاً منها وبقيت ثمان شبهات، فنأتى اليوم على دحض خامستها ومؤداها:

« إن الحضارة التي يزعم المؤرخون أنها عربية هي في الحقيقة حضارة الشعوب التي وقعت تحت نير العرب، فتابعت سيرها على الرغم من العقائد الاسلامية الجامدة »

دمض هذه الشبهة:

يلوح لي أن الميسيو أندريه هرفيه لا يكتب ليصل الى حقائق تاريخية، ولكنه يكتب ليطمئن في الاسلام. وتراه لأجل الوصول الى هذه الغاية يسير على أسلوب لم يسر عليه كاتب قبله، فهو لا يحترم المقررات التاريخية حتى التي دونها أبناء جلدته، ويخالف الإجماع بغير دليل يقيمه غير رأيه الشخصي. مع أن مخالفة الإجماع على مقتضى الدستور العلمي لا يجوز إلا إذا وجدت أدلة محسوسة تنقضه، ولا يجوز الاعتماد على تلك الأدلة إلا إذا اشترك في تقديرها عدد من أهل البصر يعلنون بأنها كفء لذلك النقض.

أجمع المؤرخون على أنه كانت للمسلمين حضارة زاهرة كسفت كل ما سبقها من الحضارات العالمية، وأنها بلغت حداً لم تبلغه نظائرها في أقدم الأمم علماً ومدنية، وعلى أن هذه الحضارة دعا إليها الاسلام نفسه وساعد زعماءه على إبلاغها الى كمالها بما بذلوه من جاههم وجهودهم وأموالهم، وبما نشطوا العاملين عليها على الثابرة بكل ضروب التنشيط والتحريض؛ فنخرق الميسيو أندريه هرفيه هذا الإجماع، وقرر بأن ما تخيله المؤرخون من أمر الحضارة الاسلامية، هو ما كانت عليه الشعوب التي دوخها

المسلمون وأخضعوها لسلطانهم من آثار الحضارة الخاصة بهم ، أما الاسلام نفسه فلا يعرف الحضارة ولا يدعو اليها ، ولكنه يقتاتها حيث صادفها ، ويقضى على أهلها وأهلها بالجمود والاستكانة .

هذا عجيب وأكبر من عجيب : فإن مدينة تقوم في أمة من الأمم وتدوى أخبارها في العالم كله دويًا قاصفا ، وتصبح بلادها كعبة تخرج اليها الشعوب من أقصى الأرض لتقتبس من نورها ، ويُجمع على إكبار شأنها مؤرخو العالم أجمع ، ولا تزال آثارها ظاهرة في أربعة أرجاء المعمورة ، تشهد لأهلها بالنبوغ الخارق للعادة ، والعبقريّة البالغة ، يجرؤ على إنكارها كاتب بغير دليل ولا شبه دليل ، ولكن بحجة قلم ، كأن هذا القلم يستطيع أن يحو ما انتقش في لوح الوجود نفسه ، غير حاسب أن هذه الجراءة تكفي وحدها لدحض كل ما قاله ولو لم يتعرض له أحد بنقد .

لا ندرى كيف يغيب عن مثل الميسو أندريه هرفيه أنه لو كان المسلمون الأولون من الطراز الذي يتوهمه من الجمود والتوحش ، لبادت تحت نيرهم الثقيل تلك الحضارة من المدينة التي كانت للشعوب التي أخضعوها لسلطانهم ، ولم تعش إلا ريثما نودع الوجود ذابلة متداعية ، كما كان شأن المدينة الرومانية العظيمة تحت نير الفاتحين من قبائل الفنداليين والهونيين وقدماء البلغاريين ، لا أن تنتعش تلك المدينة وتزدهر تحت حكم المسلمين حتى تظهر على سائر مدنات العالم ، وتبقى قرونا طويلة نافذة العالم كله من الظلمات الى النور في تلك القرون الحالكة .

إذا كان الأمر كما يدعى الميسو أندريه هرفيه من أن المسلمين كانوا أهل جمود وجاهلية ، وأنهم لم يعبأوا بالعلوم ولم يكثرثوا لها ، وأن ما حملوه للعالم من أصول دينهم يطفى ، نور كل مدينة في العالم ، وأن الحضارة التي يصادفها المؤرخون تحت سلطانهم لم تكن إلا حضارة الأمم التي أخضعوها لسلطانهم ، إذا كان الأمر كما يدعيه من هذا الخبط فهل يستطيع أن ينكر أن المسلمين نقلوا العلوم الى لغتهم العربية ، وأن أئمتهم وزعماءهم بذلوا في نقلها مالا جما ، وجهدا جليدا ؟

فلم يعقل أن يتكاف هدم الحضارة هذه المشاق والتكاليف كلها في نقل العلوم الى لغتهم ماداموا هم مفطورين على كراهتها، وعلى تثبيط همة أهلها، وما دامت المدنية كما يقول كانت مقصورة على الأقوام المغلوبين لهم ؟

إن كان لما قاله المسيو أندريه هرفيه حظ من الصحة لأبقى المسلمون العلوم بلغاتها الأعجمية، ولما تجشموا المتاعب في الحصول على كتبها المهمة في زوايا المكتبات الأوربية، ولما بذلوا ملايين الدنانير لنقلها الى لغتهم، ولما عُنوا بأن يجعلوا كتبها في أرفع مكان من مكتباتهم وجامعاتهم . فهل تخيل عينا بالعقول أشد من هذا العبث ؟ وإني لمتعجب كيف تقبل الجريدة التي نشرت هذه المباحث أن تنشرها مع هذا الخطل ؟ !

هذه الملاحظات تكفي للرد على شبهة المسيو أندريه هرفيه، ولكننا نأتى هنا بفدلكة عن تاريخ العلم في الاسلام لنثبت بدليل محسوس أن أول من كتب فيه بالعربية وأمر بنقل ما يوجد منه في البلاد الأجنبية هم المسلمون أنفسهم فنقول :

اشتغل المسلمون بطلب العلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا يحفظون القرآن كله أو بعضه، ويتتبعون الأحاديث النبوية ويتذكرونها . فلما لحق رسول الله بالرفيق الأعلى انقطع منهم قوم لدراسة التفسير والحديث، وآخرون لتحرير اللغة وضبط قواعدها، وجماعة لجمع التاريخ، وأخرى للتبسط في الفقه، فكان هذا أول مادعتهم الضرورة اليه .

فلما نالوا حظا من هذا كله، مدوا بأبصارهم الى ما بعده من المعارف التي تقتضيها حالة التحضر التي دخلوا فيها، ولم يمض عليهم في الاسلام أكثر من خمسين سنة .

فكان أول من اشتغل بنقل العلوم الكونية الى الأمة الاسلامية هو خالد بن يزيد بن معاوية أحد أمراء بني أمية المرشحين للخلافة، فقد استقدم جماعة من علماء جامعة الاسكندرية اليونانيين وأخذ عنهم علم الكيمياء، ثم أمر بنقله الى اللغة العربية، فترجمه له رجل اسمه اصطفان القديم، فكان هذا أول ما نقل الى هذه اللغة من العلوم الطبيعية .

واشتغل هذا الأمير أيضا بالعلوم الفلسفية على علماء من اليونانيين، منفقا في هذا السبيل مالا جبا، وحصل على الآلات الضرورية له، وبرجح أنه قد ترجم له منه . وقد جاء في كتاب تراجم الحكماء أنه قد وجدت في نحو منتصف القرن الرابع الهجري في مكتبة القاهرة كرة أرضية من النحاس عملها الفلكي المشهور بطليموس اليوناني، وكان عائشا قبل المسيح بنحو مائة وخمسين سنة، وجدت مكتوبا عليها هذه العبارة: « تحملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية » .

فانظر كيف انبعث المسلمون من أنفسهم بداعية الدين نفسه، وضرورة العمران، لأن يستكملوا وجودهم المدني بالعلوم التي تؤيده وتبلغه الى أبعد ما يصل اليه علماء وعملاء . توفي الأمير خالد بن يزيد في سنة (٨٥) للهجرة، وتولى عبد الملك بن مروان، وكانت الآراء قد اختلفت فيمن هو أحق بالخلافة من المرشحين لها، وانقسمت الأقطار الاسلامية مشايعة لهم، فكان هوى مكة والمدينة والعراق ومصر مع عبد الله ابن الزبير، وكان قد تولى الخلافة ونفذت كلمته في هذه الأقطار الشاسعة . فلما تولى عبد الملك بالشام رأى أن أول ما يجب عليه لتثبيت خلافته، أن يقاتل عبد الله بن الزبير، فأرسل اليه الحجاج بن يوسف الثقفي على رأس جيش، فأخذ يقاتله، وفي الوقت نفسه بعث بجيش الى العراق لطرد عامله منها، فاتفق أن القائدين الأمويين تمكنوا من القضاء على خصميهما، فخلص الملك لعبد الملك، ثم لبنية الأربعة حتى نهاية القرن الأول، فحدث فتنة كان الغرض منها إسقاط الأمويين واستبدال العباسيين بهم، فكانت حروب وقلاقل حتى استقرت الأميرة العباسية في الملك، فلم تطل أيام عميدها أبي العباس السفاح غير سنتين، ثم خلفه أخوه المنصور سنة (١٣٦)، وكانت نيران الفتن قد خمدت، فدفعته هداية القرآن وضرورات العمران الى البحث عن خزائن العلوم الكونية . فأول ما اتجه اليه بصره منها علم الفلك فلستحضر جمهورا من أعلامه الفرس، منهم نوبخت، وكان ذا براعة في العلم باقتراانات الكواكب وحوادثها . ولما

كبر خلفه ولده أبو سهل بن نوبخت . ثم توالى أعقابها في خدمة العباسيين وترجموا لهم كتباً كثيرة .

وقد اشتهر أمر اهتمام المنصور بعلم الفلك ، فقصدته أعلامه من البلاد الأجنبية كبلاد الهند واليونان .

وفي عهد المنصور ترجم الى العربية أشهر كتاب للهند في الفلك ، ونشرت تحت اسم السندهند الكبير ، وجعل أصلاً يرجع اليه في علم حركات الكواكب .

ولما كان علم الفلك يحتاج الى العلوم الرياضية كتب المنصور الى ملك الروم أن يبعث اليه بكتبها ليترجمها ، فبعث اليه بكتب أفليدس وبعض الكتب الطبيعية فأمر بترجمتها .

واهتم أمير المؤمنين المنصور أيضاً بالطب ، واشتد كلفه بنشره ، وذلك أنه كان قد أصابه مرض ، فلما أعجز أمره الأطباء جمعهم وسألهم : هل يعرفون طبيباً ماهراً في بعض الأقطار ؟ فدلوه على جورجيس بن بختيشوع ، فاستقدمه ، ولما سر من علمه وخبرته ونجاح معالجته أمره بالاقامة في بغداد ونقل كتب الطب الى العربية ، وكان ملماً باليونانية والسريانية والفارسية ، فنقل له كتباً قيمة منها .

فلما أفضت الخلافة الى حفيده هرون الرشيد من سنة (١٧٠ - ١٩٣) كانت ضرورة الحياة المدنية قد أعدت النفوس للاستكثار من العلوم الكونية ، وشعر العلماء في الأقطار البعيدة بشغف المسلمين بها ، فأهرعوا الى بلادهم يتامسون نشر ثقافتهم فيها . فجاء عدد كبير منهم الى بغداد من سريان وفرس وهنود واستقبلوا فيها بالترحاب ، وقربهم الخليفة وأغدق عليهم العطايا ، وأمرهم بترجمة أمهات الكتب اليونانية ، فشرعوا في العمل تحت رعايتهم ورعاية الأمراء .

ولما أفضت الخلافة الى المأمون بن هرون الرشيد ، نشطت حركة الترجمة والتأليف نشاطاً عظيماً ، وجارى الوزراء والأعيان الخلفاء والأمراء ، فكان لكثير منهم محلات

خاصة المترجمين يجرون عليهم الأرزاق من أموالهم الخاصة، لينقلوا لهم عيون الكتب الأجنبية التي حصلوا عليها من بلادها الأصلية .

هنا أمر يجب أن لا يفوت القارئ، وهو أن العلوم الكونية والمذاهب الفلسفية كانت قد كسدت كسادا تاما في أوطانها من البلاد الأوربية . وكان رجال الدين هنالك يعاقبون بالقتل كل من يشتغل بها، وقاموا بجمع كتبها وحشروها في خزائن مؤصدة لا يصل إليها إنسان . فكانت الحشرات تعبت بها عبثا شنيعا، حتى إن الذي يقترب منها كان يسمع صرير أسنانها تعمل في قرض صحائفها !

فلما نهض المسلمون نهضتهم التي حيرت العقول في سرعتها وضخامتها وبُعد آثارها، لم يقتصروا على ما كان محفوظا منها لدى العلماء الذين هاجروا من تلك البلاد هربا من الاضطهاد، وتافوا لأن يحصلوا على ما في تلك الخزائن من الذخائر العلمية . فكتب المأمون الى ملك الرومان يطلب اليه أن يسمح له بإرسال بعثة علمية الى بلاده للبحث في الكتب القديمة المهجورة، وأخذ ما يقع عليه اختيارهم منها لنقله الى العربية، فتردد الملك أولا ثم سمح بذلك، فأوفد المأمون جماعة من علماء النسطرة الى تلك البلاد، فاختاروا طائفة من تلك الكتب وأحضروها الى بغداد وشرعوا في ترجمتها .

فكانت اللغات المؤلفة بها الكتب التي شرع المسلمون في نقلها هي اليونانية والفارسية والسريانية والسنسكريتية الهندية والنبطية واللاتينية وغيرها .

وإنما أراد المسلمون من الاستكثار من اللغات التي تترجم الكتب عنها، أن يجمعوا بين محاسنها كلها، وأن يعرضوا جميع ما فتح الله به على الناس من العلوم، استخلاصا لأحقها بالعباية، وأولاها بالدراسة . لذلك جاءت معارف المسلمين أرفع المعارف كلها، وفلسفتهم أجمع الفلسفات للحقائق . ولا يوجد في تاريخ الأمم نهضة فكرية تشبه هذه النهضة أو تقرب منها . ولهذا السبب لم يمتز على المسلمين قرنان حتى كانوا زعماء العالم في كل مجال من مجالات العلوم والفنون والصنائع، وكان من آثار زعامتهم أن انتشر العلم

بواسطتهم في أوروبا على رغم الاضطهادات التي كانت تنال علماءهم ، ولم ينتصر العلم على الجهل فيها إلا في القرن السادس عشر .

فهل يرى المسيو أندريه هرفيه أن هذه الحركة الاسلامية في سبيل الحضارة ، وترجمة العلوم وحفظها يمكن إنكارها ؟ إن من العبث محاولة ذلك ، فالتسليم بالأمر الواقع أولى ، ولكن التسليم به يعلى من قيمة الاسلام ، ويفرى الناس بتعرف أصوله المحيية ، وهو ما يريد المسيو أندريه هرفيه ضده ، وهيهات !

يقول المسيو أندريه هرفيه : إن الحضارة التي يدعونها عربية هي في الواقع حضارة الأمم التي دوخها المسلمون ، أما هم فكانوا في حالة جمود وتوحش خنقوا معهم كل حضارة وكل مدينة . فإذا رضى لنفسه أن يخرق الإجماع التاريخي وأن يرمى عرض الحائط بكل رأى مخالف لرأيه ، أفيستطيع أن ينكر الواقع الذي لا يقبل الطمس ؟ أيستطيع أن ينكر أن بغداد مدينة عربية ، بناها أبو العباس السفاح لتكون مقرا للإمامة الاسلامية ؟

لا يمكن إنكار ذلك ، كما لا يمكن إنكار أن مقر الملك في كل أمة يكون مرآة صادقة لنفسية الأمة التي تمثلها .

كذلك لا يمكن إنكار أن بغداد هذه كانت موطن المدينة الاسلامية ، ومركزها الذي أشعت منه على العالم كله .

فكيف يمكن التوفيق بين هذه المحسوسات وبين ما يدعيه المسيو أندريه هرفيه أن مدينة المسلمين لم تكن مدينتهم ، لأنهم غير أهل لتوليد مدينة ولا المحافظة عليها ، ولكنها مدينة الذين كانوا خاضعين لهم من الأمم الأجنبية ؟ فهل كان لسان تلك الأمم عربيا ؟ وهل كانوا هم الذين سكنوا بغداد وعمروها ؟ وهل هم الذين قاموا بترجمة كتب العلم بأموالهم وأسسوا منها مئات من المكتبات العمومية ، في جميع الأمصار الاسلامية ؟ اللهم إن الصمت حيال أمثال هذه المفتريات أبلغ من التكلم فيها !

جعفر بن أبي طالب

إسلام نجاشي الحبشة على يديه

نشأته - اسلامه :

ولد رضى الله عنه بمكة المكرمة في أشرف بيت وأكرم عشيرة ، وكان أسنّ من على أخيه بعشر سنين ، وأسلم بعده بقليل .

روى أن أبا طالب رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وعلى عن يمينه فقال لجعفر : صل جناح ابن عمك وصل على يساره .

وناهيك بموقف واحد من مواقفه المشرفة تتبين منه مقدار شجاعته ورسوخ إيمانه - روى أنه لما تولى إمارة الجيش في غزوة مؤتة بعد قتل زيد كان أول ما بدأ به ، وهو أول شيء فعل في الاسلام ، أن نزل عن فرسه واقتحم صفوف القوم ، فحمل عليهم حملة شديدة ، وظل يقاتل حتى قتل ، فوجد به بضعة وسبعون جرحا كلها من المقدم ، وكان ذلك سنة ثمان من الهجرة .

هجرته الى الحبشة :

هاجر رضى الله عنه مع من هاجروا في الدفعة الثانية الى بلاد الحبشة سنة خمس من البعثة بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فزّلنا على خير دار وجار آمنين على ديننا وأنفسنا ، ولما بلغ المشركين من قريش ذلك بعثوا وراءه رجلين جليدين : عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ، وبعثوا معهما هدايا ثمينة الى النجاشي أصحمة سنة ست من البعثة ، فلما دخلا عليه قالاه : أبها الملك ! إن نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك راغبين عنا وعن آلهمتنا ، ولم يدخلوا في دينك بل دخلوا في دين آخر مبتدع ، جاء به رجل كذاب يزعم أنه رسول الله ، أتباعه جميعا من الفقراء والسفهاء ، وقد بعثنا اليكم

أشراف قومنا لتردهم اليهم . فقال النجاشى وقد غضب : وكيف أسلمكم قوما جاوروني واستجاروا بى ؟ لا يكون هذا حتى أسألكم

موقفه بين برى النجاشى :

وقبل أن يبعث النجاشى الى جعفر ومن معه ، أمر بضرب الناقوس لاجتماع جميع القسس ، ثم أرسل الى جعفر ومن معه ، فلما وقفوا بين يديه قال جعفر : فاستأذنته فى الكلام عني وعن جماعتي ، ثم قلت : أيها الملك ! سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار ؟ فإن كنا عبيدا فارددنا اليهم . فقالا له : إنهم أحرار كرام . فقلت : سلهما هل أخذنا مالا بغير حق أو قتلنا نفسا بغير حق ؟ فقالا له : لا . فقال النجاشى عند ذلك : فما تطلبان منهم بعد هذا ؟ فقالا له : إنا كنا جميعا على دين واحد نخالفونا الى دين مبتدع ، فنريد أن نردم اليه ، وقد بعثنا قومنا لذلك لما بيننا وبينك من المودة . فقال جعفر : أيها الملك قد كنا نحن وهم على دين الشيطان ، وكنا أهل جاهلية تقطع الأرحام ونعبد الأصنام ، وأما الدين الذى تحولنا اليه فهو دين الرحمن ، بعث الله به نبيا منا نعرف نسبه وأمانته ، وأنزل عليه كتابا مثل الذى أنزل على نبيكم فصدقناه وآمننا به ، وقد أمرنا بعبادة الله وحده ، وبصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر . وذلك قبل فرض الصلوات الخمس وصيام رمضان . وأمرنا بصدق الحديث وصلة الرحم وحسن الجوار وكف الأذى . فبغى علينا قومنا وأبوا إلا أن نرجع الى دينهم ، ولما اشتد أذاهم وتكرر ، هاجرنا الى بلادك بعد أن اخترناك على من سواك . قال ابن دحلان فى كتابه السيرة النبوية : « وكان النجاشى أحمدة أعلم النصارى فى وقته بكل ما أنزل على عيسى ، حتى إن قيصر ملك الروم كان يبعث اليه علماء الروم ليأخذوا عنه العلم » . من أجل ذلك فكفر فيما قاله جعفر وصحبه بعقل كبير وفهم عميق ، ثم قال للقسس وقد سمعوا ما سمع : أنشدكم بالله هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا هذه صفته ؟ فقالوا : اللهم نعم وقد بشر به عيسى فى الإنجيل فقال : « من آمن به فقد آمن بى ومن كفر به

فقد كفر بى » فقال النجاشى عند ذلك : أشهد بالله إنه لهو النبى المنتظر . ثم إنه طلب من جعفر أن يقرأ عليهم شيئا من كتاب الله . قال جعفر : فقرأت عليهم سورتي العنكبوت والروم ، فاستزادونى فقرأت عليهم سورتي الكهف ومريم حتى بكوا وابتلت لحاهم . ثم التفت الينا وقال : ما أحب أن لى جبلا من ذهب على أن أودى واحدا منكم ، انزلوا حيث شئتم من بلادى . وأجرى لنا من الرزق ما يصلح شأننا . ثم أمر برد هدايا الكفار ، وقال : إنها رشوة لأقبلها ، وإن الله لم يأخذ منى الرشوة حين رد الى ملك أبى حتى آخذ الرشوة فيه ، ولم يطع الناس فى حتى أطيعهم فيه .

روى أن أضحمة كان وحيدا يئيه المسمى (أبحر) وكان أبحر ملصكا على الأحباش فقتلوه وولوا أخاه ، وكان ابنه أضحمة يتبما فى حجر عمه ، وكان كلما كبر فى السن كبر فى العقل حتى خاف قتله أئيه أن ينتقم منهم فى المستقبل ، فغيروا عمه بين قتله أو نفيه ، فاخترانفيه مكرها ، فباعوه الى رجل من بنى ضمرة بين مكة والمدينة ، فكان أضحمة يرعى له الإبل والغنم هناك ، فلما مات عمه ولم يجدوا فى بنيه على كثرتهم من يصلح للملك ، اضطروا الى إعادة أضحمة ، فجاءوا به وأجلسوه على عرش أئيه ، فشكر النعمة وتعرف الى الله فى الرخاء كما تعرف الله اليه فى الشدة .

على أن كفار العرب ما فثتوا يكيدون المسلمين ويتربصون بهم الدوائر ، حتى دارت الدائرة عليهم ، وأدال الله منهم ، ومكن المسلمين من رقابهم يوم بدر ، فعمدوا الى أخذ الثأر من مهاجرة الحبشة ، فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة بهدايا الى النجاشى أضحمة ، فلما وقفوا بين يديه وطلبوا منه أن يسلم القوم إليهم لقتالهم بمن قتلوا من عظمائهم يوم بدر ، غضب النجاشى عليهما وردهما خائبين ، ثم بعث الى جعفر ومن معه ، فلما جاءوا إليه وجدوه جالسا على التراب ولا بسا ثيابا خلقه بالية ، فسألوه فى ذلك ، فقال : شكرا لله على نعمة انتصار محمد صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر ، لأننا نجد فيما أنزل على عيسى : « إن حقا على عباد الله أن يحدثوا تواضعا عند ما يحدث الله لهم

نعمة» وإنما بعثت إليكم لأبشركم بانتصاره على أعدائه. فأنصرفوا من عنده شاكرين له هذا البر العظيم والعطف الكريم.

اسلام النجاشي على يديه :

قال صاحب كتاب الطراز المنقوش : إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سنة ست من الهجرة عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي أصحمة بكتاب يدعو فيه الى الاسلام، فلما وصل اليه الكتاب وقرأ عليه نزل عن سريره وكان جالسا عليه، تواضعا وأدبا مع كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أخذه وقبّله ووضع فوق عينيه وقال : لا تزال الحبشة بخير ما بقي فيهم هذا الكتاب الكريم. ثم إنه كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم كتابا ردا على كتابه وفي آخره يقول : « قد عرفنا ما بعثت به إلينا وشهدنا بأنك رسول الله حقا وصدقا، وقد بايعتك بواسطة ابن عمك جعفر وأسلمت على يديه لله رب العالمين » !

ولا يخفى على القارئ الكريم أن هذا النجاشي غير النجاشي الذي كتب اليه الرسول سنة تسع من الهجرة. قال العلامة القسطلاني في المواهب اللدنية : « وقد خاط بعض العلماء فلم يميز بين النجاشيين » اهـ

عودته الى بلده :

عاد رضى الله عنه الى بلاده بعد أن مكث في الحبشة ما لا يقل عن أربع عشرة سنة، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية الضمري سنة سبع من الهجرة بكتاب الى النجاشي أصحمة يطلب منه أن يرسل من عنده من المهاجرين، فجهزم النجاشي في سفينتين، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ورأى جعفرا، قام اليه وعانقه وقبّله بين عينيه، ثم قال : ما أدرى أنا بأيهما أشد سرورا : بقدوم جعفر أم بفتح خيبر ! وكان

الرسول هذا اليوم في خير لفتحها، ولما تم لهم النصر كلم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه ففرضوا لجعفر ومن معه في الغنيمة .

الخلاصة:

إنك لتلمح نور الفطرة السليمة يتألق في وجهي هذين السيدين: أئمة وجمعهم، فقد جمعت بينهما عاطفة ربانية أسفرت عن لطف الحير وأمن المستجير، وألفت بين قلوبهما فجعلتهما سيان في الحق الذي تحاكما إليه واصطلحا عليه، على بعد ما كان بينهما من البيئة واللغة والجنس. وهكذا يؤلف الاسلام بين الناس على الهدى، ويجمع بينهم على الرشد. « لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

سيد احمد متولى الشيخ
من علماء الأزهر برشيد

أحسن ما قيل في ثلاث خصال

قال عمرو بن العاص: ثلاث لا أناة فيهن: المبادرة بالعمل الصالح، ودفن الميت، وتزويج الكفء .

وقالوا: ثلاثة لا يندم على ما أسلف إليهم: الله في عمل له، والمولى الشكر فيما أسدى إليه، والأرض الكريمة فيما بذر فيها .

وقالوا: ثلاثة لا بقاء لها: ظل الغمام، وصحبة الأشرار، والثناء الكاذب .

وقالوا: ثلاثة لا تكون إلا في ثلاثة: الغنى في النفس، والشرف في التواضع، والكرم في التقوى .

وقالوا: ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاثة: ذو الباس لا يعرف إلا عند اللقاء، وذو الامانة لا يعرف إلا عند الأخذ والعطاء، والاخوان لا يعرفون إلا عند النوائب .

وقالوا: من طلب ثلاثة لم يسلم من ثلاثة: من طلب المال بالكيمايا لم يسلم من الافلاس، ومن طلب الدين بالفلسفة لم يسلم من الزندقة، ومن طلب الفقه بغرائب الحديث لم يسلم من الكذب .

الاسلام والطب الحديث

بحوث دينية علمية

« وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه الى بلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » :
 هذه الآية تفسر ما سبق تفسيره « وجعلنا من الماء كل شيء حى » الخ ، ومعناه أن الحياة لا توجد فى شيء إلا إذا كان فيه نسبة مخصوصة من الماء تختلف بحسب أجزاء الأجسام ، ولا يمكن الحياة أن توجد فى شيء جاف مطلقا ، لأن الجفاف يوقف التغيرات الكيميائية التى هى الشرط الأساسى لتغيرات الجسم الحى وقوفاتما ، وذلك يؤدى الى الموت حتما . والله تعالى يضرب لنا مثلا ويقول إن الأرض الميتة تحيا بالماء ، وأليس الله قادرا على أن يحيى الموتى بطريقة مثل هذه الطريقة ولو أننا لا نعرفها ولا تدخل فى متناول إدراكنا ؟

« ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون » :

والمهم فى هذه الآية من الوجهة العلمية قوله تعالى : « ما سبقكم بها من أحد من العالمين » ، لأن الآية تفسر ما قلناه سابقا من أن الله خلق آدم كاملا ، وما يطرأ من النقص فى ذريته جسما وعقلا هو نتيجة السنن الإلهية ، وهذه الفاحشة المشار إليها فى الآية هى نتيجة تغيرات فى إفرازات الغدد الصماء ، وهذه الأمراض لم تصب الإنسان لأول مرة إلا فى مدة لوط . وهذا يفسر لنا التاريخ الطبى للأمراض من أن لكل مرض بداية لم يعرف قبلها ، وإذا عرفنا أن الغدد الصماء تؤثر فى أخلاق الشخص وعقله ، بل هى أساس كل ما هو مهم فى شخصيته ، جاز لنا أن نقول إن اختلاف الامم فى أخلاقها وعاداتها هو نتيجة تغيرات فى الغدد ، وذلك تابع لما يصيبها من جرائم أو حوادث طبيعية ، والجرائم أم أمثالنا تصيب الإنسان فى أزمان مختلفة . ولهذا كان الفرق بين كمال اول المخلوقات وبين النقص الشديد فى بعض الأفراد هو نتيجة للسنن الطبيعية ، والله الذى لا يخفى عليه شيء ، قدرها من أول خلقه آدم وخلق الجرائم الخ ، وعلم تأثير التغيرات فى عقول الأفراد وأخلاقهم ، وعلم ابتداء ظهور الأمراض الاجتماعية « ولو شاء لهداكم أجمعين » . والله فى ذلك حكمة نرجو أن نوفق للكلام عليها فى المستقبل .

والمهم أن الإنسان الأول خلق كاملا طاهرا من كل عيب ، وكل ما ظهر من عيوب

في ذريته هو نتيجة تصادم بين مخلوقات وعوامل مختلفة، وفي هذا رد معقول على الذين يقولون :
« كيف يخلق الله الانسان مع أن فيه عيوباً كثيرة والمخلوق منسوب للصانع ؟ » .

« ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين » :

هذه الآية تفسر ما قلناه سابقا من أن الانسان تنقصه الحواس التي بها يرى الله جل وعلا ،
ولذلك أمر الله سيدنا موسى بأن يرى تأثير القدرة الالهية في ذلك الجبل ، وهذا طريق للايمان
أقرب لعقول بني آدم من رؤية الخالق ، ولو شاء الله لأعطاء من الحواس ما يمكنه من رؤيته ،
ولكن الله يقول له : إني أعطيتك من الحواس أكثر مما أعطيت باقي المخلوقات مما يمكنك به
أن تكلمني لا أن تراني . وهذا هو معنى قوله تعالى : « قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس
برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين » . وهكذا يفسر القرآن بعضه بعضا
ويفسر ما قلناه عن علوم الغيب . فالانسان الذي لا يعرف من الغيب إلا بقدر ما يعرف من
سنن طبيعية يسمى جاهلا مهما عرف ، لأن قوانين السنن الطبيعية لاحد لها . كذلك الأنبياء
عليهم السلام بالنسبة لعلوم الغيب ، فهم من النوع الثاني الخارج عن السنن الطبيعية وعن إدراك
الانسان ، لأن الله يصطفيهم ويعطيهم من الحواس والادراك ما يؤهلهم لما يريد من المعجزات
على أيديهم فقط ، وأما باقي علم الله الذي لاحد له فلا يعلمه إلا الله . وهذا هو معنى قوله تعالى
لسيدنا موسى ما معناه : إنك لا يمكنك أن تراني وإنك ستكلمني بما أعطيتك من مميزات
لم أعطها لغيرك . وهذا هو معنى الآية الكريمة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم : « ولا أقول
لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب » ، وقوله تعالى : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وما مسني السوء » والفرق بين وجود دراهم معدودات عند النبي وبين خزائن الله مثل الفرق
بين معرفة النبي لبعض الغيب وبين مفاتيح الغيب كلها التي لا يعلمها إلا الله ؟

دكتور عبد العزيز اسماعيل

إذا سألت فاسأل الله

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ليأخذن أحدكم أحبله فيحتطب بها على ظهره أهون عليه
من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه .

تاريخ العلوم اللغوية (١)

تقدمت بعد ذلك العلوم اللغوية خطوة جريئة الى الأمام على يد عثمان بن جنى ، وهو ابن أحد الموالى الاغريق ، ولد بالموصل عام ٣٣٠ هـ وطلب العلم ببغداد ، واشتغل بالتدريس بها الى أن توفي سنة ٣٩٢ هـ ، وقد ظهر في مؤلفاته أثر الدراسات الفلسفية وكانت قد بلغت في هذا العصر ذروة مجدها ، ولقد كان موفقا الى أبعد حد في الانتفاع منها وتطبيقها في أبحاثه اللغوية .

وقد كانت ختام المجهودات اللغوية التي بذلها علماء العرب في هذا العصر ، في جمع المفردات وتفسير الألفاظ العربية في المعجم الكبير الذي اهتم بتصنيفه اسماعيل الجوهري ، وهو فارسي الأصل ، طلب العلم في أول الأمر بمسقط رأسه « فاراب » ثم ببغداد ، وجاب بلاد العرب وزار قبائل البدو في الصحراء العربية إتماما لدراساته اللغوية ، ثم عاد الى موطنه وأقام في نيسابور حاضرة خراسان الى أن توفي عام ٣٩٢ هـ ، ويعتبر معجم اللغة الذي وضعه من أهم المؤلفات العربية التي اتخذها المؤلفون من بعده قاعدة لأبحاثهم ومرجعا لأرائهم .

وكما نقلت العلوم اللغوية الى أقاصى شرق البلاد الاسلامية بواسطة تلاميذ علماء البصرة ، فإنها انتقلت كذلك بواسطتهم الى ممتلكات العرب في الغرب ، وكان أول من اهتم بأمرها وتعمد نشأتها في بلاد الأندلس هو اسماعيل القالى ، ولد بأرمينية وطلب العلم ببغداد ، واشتغل بالتدريس بقرطبة منذ عام ٣٣٠ هـ ، وقام بإملاء كتابه في العلوم اللغوية على تلاميذه بجامع الزهراء ، وتوفي عام ٣٥٦ هـ .

بقيت العلوم اللغوية في العصر القالى حافظة لمساكنها الأولى من الذبوع والانتشار ، إلا أن هذا العصر لم يأت بمجديد في أبواب النحو والصرف بالرغم من المؤلفات العديدة

التي وضعت في هذه العلوم، فإنها كانت لا يختلف بعضها عن البعض الآخر إلا بمقدار التفصيل أو الإيجاز، أما من ناحية الدراسات العامة في أدبيات اللغة، فإن هذا العصر كان يمتاز عما سبقه بكثرة الاطلاع ودقة البحث ووفرة المؤلفات. ولقد تمكن علماء الأدب من التغلب على الاعتقاد السائد بتفوق شعراء العصر الجاهلي الوثني في جميع نواحي الشعر، وكشفوا عن ناحية الجمال في اللغة والمعنى في الشعر الجديد.

وبابتداء هذا العصر الجديد، أخذت مكانة البصرة والكوفة كمركز للأبحاث اللغوية في الزوال، واحتلت بغداد محلها، فأصبحت المدرسة النظامية التي أسسها الوزير السلجوقي نظام الملك لدراسة العلوم الدينية مثوى يلجأ إليه علماء اللغة أيضاً، فأينعت علومها في ظلال هذه المدرسة، وأول من ظهر من علماء اللغة في هذه المدرسة يحيى التبريزي، وهو أشهر العلماء اللغويين في القرن الخامس الهجري، ولقد اشتهر بما وضعه من التفسيرات الموقفة لأغلب الشعراء، فهو واضع تفسير ديوان الحماسة والمعلقات وديوان أبي تمام، كما وضع تفسيراً لأشعار أبي العلاء المعري الأولى، وولد يحيى التبريزي بمدينة تبريز سنة ٤٢١ هـ وبها كانت أيضاً أول نشأته العلمية، ورحل إلى مصر، ثم عاد إلى بغداد واشتغل بالتدريس في المدرسة النظامية المذكورة، وتوفي عام ٥٠٢ هـ.

وظهر بعده موهوب الجوالقي المتوفى ببغداد سنة ٥٣٩ هـ، وهو أشهر من تخرج على التبريزي، ووضع كتاباً في قواعد اللغة العربية من نحو وصرف، كما أكمل كتاب الحريري في الغلطات اللغوية، ووضع أول معجم في اللغة العربية للألفاظ الأجنبية فصل فيه الكلمات المستعارة من اللغات الآرامية والفارسية.

وجاء بعده تلميذه عبد الرحمن الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ فوضع كتاباً في قواعد اللغة، وآخر في تاريخ العلوم اللغوية منذ نشأتها الأولى، ووضع رسالة خاصة بالجدل

العلمي بين مدرستي البصرة والكوفة في بعض مواضع النحو والصرف ، وذلك بناء على الرغبة التي أبدأها كثيرون من تلاميذه بالمدرسة النظامية .

وفي شرق البلاد الاسلامية كانت مدينتا نيسابور وخوارزم مركز الأبحاث اللغوية ومحط رجال العلم ، فكانت الأولى موطن العالم الكبير عبد الملك الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، وكان كاتباً مثقفاً موهوباً ، له مؤلفات عديدة في نواح أدبية مختلفة ، فوضع معجماً لغوياً كبيراً ، كما ألف كتاباً في التاريخ العام ، ووضع رسائل علمية متعددة كان الغرض الأول منها خدمة أدبيات اللغة العربية ، وأهم مؤلفاته السفر الضخم الذي وضعه عن الشعراء المعاصرين وشعراء الجيل المتقدم ، وراعى في ترتيبهم أن يكون بحسب مواطنهم ، جاء فيه باختصار على تراجمهم وتاريخ أعمالهم ، كما سرد لكل منهم منتخبات من مقطوعاتهم الشعرية ، وواصل عمله هذا كل من مواطنه الباخريزي أبو الحسن المتوفى سنة ٤٦٧ هـ ومحمد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

وأما خوارزم فكانت موطناً لكبر علماء اللغة في هذا العصر وهو محمود الزمخشري ، ولد عام ٤٦٧ هـ وقام برحلات دراسية واسعة النطاق ، وأقام طويلاً بمكة المكرمة ، ومات بالخرجانية سنة ٥٣٨ هـ ، وأهم مؤلفاته السفر العظيم الذي وضعه في تفسير القرآن ، الذي يعد من أهم المراجع الدينية حتى الوقت الحاضر ، ولو أن الزمخشري لم يجار تعاليم علماء السنة ، بل كان يتبع المعتزلة في آرائهم . ولقد قام بعض العلماء بعد ذلك بما يقرب من مائة عام بتنقيح هذا التفسير وجعله متفقاً وتعاليم السنية ، واشتهر كذلك من مؤلفاته كتابه في قواعد اللغة العربية الذي امتاز عما سبقه من المؤلفات اللغوية بدقة عبارته ، ولو أنه لم يصادف ذيوفاً واسعاً في الشرق كغيره من الكتبة النحوية الأخرى السهلة الفهم ، وقام كذلك بوضع رسائل قيمة جمع فيها كثيراً من المفردات والألفاظ العربية مع التعليقات على الغريب منها بتفسيرات هامة ،

كما وضع ستة مؤلفات تجمع الكثير من الحكم والأمثال لاقت ذيوها واسعا في الشرق والغرب ، ونقلت الى لغات أوربية عديدة ، حيث حازت إحداها إعجابا زائدا .

وكانت خوارزم أيضا موطن يوسف السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، وهو مؤلف كتاب الصرف وقواعد تركيب الجمل والبلاغة ، وقد لاقى هذا الكتاب نجاحا كبيرا واتخذته كثير من العلماء المتأخرين قاعدة لأعمالهم ومرجعا لأبحاثهم .

وأما في بلاد الشام فقد اشتهر من علمائها في اللغة في هذا العصر محمد بن مالك المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، وهو صاحب الألفية الشعرية المشهورة ، وقد وضع فيها كل قواعد النحو والصرف في أشعار سهلة الحفظ ، وله رسائل لغوية أخرى عديدة لم يكن لها نصيب كبير في الانتشار .

وفي جنوب بلاد العرب نشأ كثير من علماء اللغة العربية ، إلا أن أبحاثهم كانت تتجه على الأخص حول نقط وطنية محلية ، الذود عن الشعوب القديمة التي عرفت في الماضي بحضارة عالية ، وأشهر علمائهم محمد الهمداني المتوفى بصنعاء عام ٣٣٤ هـ . (وقد جاء ذكره في الحديث عن تاريخ العلوم الجغرافية في الأدب العربي) ^(١) ، والعالم اللغوي الكبير نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٣ هـ ، وقد وضع معجما ضخما في تفسير الألفاظ العربية ، وكتب قصيدة شعرية عصماء في التمدح بحضارة الحميريين ، وعلق عليها بتفسير طويل .

وأما علماء اللغة العربية من المصريين ، فإن أشهرهم في هذا العصر هو عثمان بن الحاجب المتوفى بالاسكندرية عام ٦٤٦ هـ ، وانتشرت كتبه في علوم الصرف وتركيب الجمل انتشارا كبيرا حتى عمت المدارس في جميع الممالك الإسلامية .

وفي شمال أفريقيا اشتهر حسن بن رشيق ، وهو ابن أحد الموالى الاغريق وكان يعيش بالقيروان في بلاط الأمير معز بن باديس ، وفر هاربا الى صقلية عندما اشتبك

(١) راجع المقال المنشور في شهر شعبان سنة ١٣٥٣ في الجزء الثامن من المجلد الخامس من هذه المجلة

سيده في حرب مع الخليفة الفاطمي بمصر، ومات بها سنة ٤٦٣ هـ وله كتاب في نقد الشعر يرجع اليه الفضل في كشف جمال العبارة عند الشعراء الحديثين، كما أنه ساعد على القضاء على الفكرة القديمة السائدة بأفضلية الشعراء الجاهليين على الشعراء المحدثين. وأما في الأندلس فإن العلوم اللغوية كانت زاهية في هذا العصر بقدر زهاء الشعر، وأهم ما اشتغل به علماء هذه البلاد دراسة الشعر القديم، فبرز في هذه الناحية الأديبة كلا من أبي الحجاج يوسف العلم السنتاري المتوفى بأشبيلية عام ٤٧٦ هـ، وأبو بكر البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ. وأما ابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ، فإنه اهتم على الأخص بجمع الألفاظ العربية وتفسيرها، فوضع لذلك معجما هاما لم يبق منه إلا الآن سوى جزء يسير، وقد أخذ منه كثيرا من المعلومات ابن منظور في موسوعته المعروفة التي وضعها في القرن الثامن الهجري، وجمع فيها كل أعمال العلماء اللغويين الماضين.

الامثال الحكيمة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخية، وعلى رأس الصراط داع يقول: ادخلوا الصراط ولا تعوجوا. فالصراط الاسلام، والستور حدود الله، والأبواب محارم الله، والداعي القرآن. وقال صلى الله عليه وسلم حين ذكر الغلو في العبادة: إن المنبت لأرضا قطع ولا ظهرا أبقى. يعني أن المغذ في السير إذا أفرط في الغد عطبت راحلته من قبل أن يبلغ حاجته، أو يقضى سفره، فشبه بذلك من أفرط في العبادة حتى يبقى حسيرا.

وذكر الربا في آخر الزمان، وافتتان الناس به فقال: من لم يأكله أصابه غباره. أراد بذلك أن المصالح تتشابه حتى لا يسلم إنسان من أن يصيبه الربا ببعض آثاره كما هو الحال في هذا الزمان.

فلسفة الاخلاق

أثر ذلك في المجتمع الانساني

نحدثنا الى القارئ عما يجب أن يكون عليه الصبي في حداثة سنه ، وأنه في نشأته الأولى ودور طفولته ينبغي أن يؤخذ بالتدريب على الفضائل حتى يسمو الى مستوى رفيع من الرشاد . ونقصد الآن أن نوفي هذا البحث بما يتسع له المقام :

من المشاهد أن الصبي كثيرا ما يصدر عنه القبيح من الأفعال ، فقد يكون كذوبا مخترا الأقايص لما لم يسمعه ولم يره ، وقد يكون نماما ذا فضول في القول وما الى ذلك . وعلى الجملة قد يكون أضر بنفسه من أى شيء آخر . هذا النوع من مجموعة الطفولة هو المعنى للأخلاقين بالهداية والارشاء والتأديب والتدريب . من أجل ذلك كان ضروريا أن يؤخذ الطفل مادام طفلا بأصلح النظم الاجتماعية لتكوين نفسه وخلقه ، وأمكنها في تركيز الفضيلة .

ولا بأس أن يذهب ملقن الطفل مذهباً جديداً في تلقينه وتدريبه على تفهم المبادئ الأخلاقية دون أن يتقحم به الملحق سبيلا وعرة يضل في منمرجاتها ، فتصاغ له الحكم والمواعظ الحسنة في قالب طريف مشوق يجذب الطفل اليها ويرغبه فيها . فإذا بلغ به الملحق منزلة من الخلق حميدة فليس عليه بأس أن يوجه اليه من الثناء ما يشجعه على المشاورة على المنهج الحسن ، فيقال له مثلاً : أحسنت نحو ذلك . فإن حاد الطفل عما وجهه اليه الملحق من الفضائل فلا يبالغ في تأديبه ، بل من الحصافة أن ينهيه الى خطئه ، ويوجه اليه النقد برفق حتى يفيء الى رشده ويتبين أنه كان فيما سلك على غير هدى . فإن عاد ، قرعه ولكن في غير علانية . ثم ما يزال به يتممه رويدا رويدا حتى يرد الى مصدر من الخير منيع لا يستباح فيه حتى الأخلاق ، ولا تطفئ فيه عوامل الشر .

ومما يجب أن ينبه اليه الطفل نظام التغذية وآداب الطعام ، فيبين له ملقنه أن الأطعمة إنما تراد للصحة والاستمرار والتمتع ، وأن الأطعمة إنما أعدت لتقويم

الأبدان . فإذا عرف الصبي ذلك ، هان عليه أمر الطعام وأدرك أنه لا يراد إلا ليحفظ مادة الوجود ، فيحقّر قدر الأتعة الذي يستعظمه أهل الشره ويطلبون منه المزيد كلما لاح لهم الفرصة ، فلا يرغب في الألوان الكثيرة مبالغة في حسن القصد ، لأن متابعة الألوان الكثيرة تهيج في نفسه شهوات مختلفة بقدرها ، وذلك يؤديه الى البطنة التي هي شر من المسغبة .

وينبه الطفل الى أنه إذا جلس مع غيره لا يسبقه الى الطعام ، ولا يديم النظر الى ألوانه ولا يحدق اليه شديدا ، ويقتصر على ما يليه دون أن يسرع في المضغ ، ولا يعظم اللقمة ، ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها ، ولا يدخل عليها مثلها حتى لا يتعذر عليه ازديادها . ولا يبلطخ ثوبه ولا يده ، ولا يلاحظ من يؤاكله أو يسارقه النظرة بعد النظرة ، ولا يتبع بنظره مواقع يده من الطعام . ويعود الصبي على أن يؤثر غيره بما يليه إن كان أفضل ما عنده ، لأن في ذلك قضاء على الأثرة وشهوة البطن المذلة . ثم يعود أكل ما خشن من الطعام حتى لا يضطرب نظامه حين يفقد الأدم وحين لا يجد الى خفض العيش سبيلا .

وغنى عن البيان أن الاستمسك بأداب المطاعم من معاون الكمال وأنبل اخصال ، وأهدى السبل الى حياة صحيحة راقية نافعة للفرد والمجتمع .

نخيلق بالآباء والمربين أن يتعهدوا أولادهم في هذه الناحية التي تتنازع فيها العاطفة والواجب ، وكثيرا ما تتلاشى فيها المصلحة أمام عاطفة الأمومة الجاهلة ، وتتلاشى شجاعة الرجل أمام عطف الأمومة ورغبة الولد البهيمية .

وخليق بأولئك أن ينشئوا أولادهم على الآداب الروحية كما نشئهم على الآداب المادية ، فذلك هو الأجدر بالعقلاء والأليق برحمة الآباء .

وسنضع إن شاء الله بين يدي القارئ نماذج صالحة من آداب عامة متفرقة في الأعداد المقبلة .

الاسطورة الداروينية^(١)

كان لمذهب دارون أول ظهوره روعة انخلعت لها قلوب وارتاحت لها أخرى ، وقوبل من جمهور العلماء بمصافة هوجاء من الردود ، ولكنه ما عثم أن أثر في العقول تأثير السحر ، فكلف الناس به كلفا عظيما ، لأنه يتصدى لتفسير خلق الأنواع الحية بعلم ميكانيكية محضة . وقد أسس ذلك التفسير على مقدمات بدهية ، فأخذ الناس في تطبيقها حتى على الشئون الأدبية والاشتراعية ، وقر في عقول الكافة أن مسألة خلق الأنواع قد حلت حلانهاثيا . ولكن لم يهل القرن العشرون حتى اكتشفت أمور طبيعية أثبتت أن مذهب دارون كسائر المذاهب التي تقدمته لا يفسر وجود الأنواع الحية . وقد نقلنا بعض تلك المكتشفات في المجلد الخامس من هذه المجلة . واليوم ننشر بحثا طريفا كتبه الدكتور فان هوفنسفلت عن الألمانية في تفنيد مذهب داروين ، قال :

كان بمض فلاسفة العصور الأولى يعتقدون أن أنواعا من النبات والحيوان ليست من صنع الله ، فكان أرسطو يرى أن الضفادع تنشأ شتاء من وحل المقابر ، وجاء في « القاموس العام للعقاير البسيطة » طبعة سنة ١٧٥٩ من تأليف ليمارى أن الناس كانوا في العصور القديمة يعتقدون أن النمل ينشأ من جثث الثيران والسباع ، ويقول المؤلف : إنه تحقق بواسطة تجارب قام بها من فساد هذا الاعتقاد ، وأن لا وجود له إلا في خيال الشعراء .

وأول من عالج هذا الموضوع من الكتاب الحديثين « يوفون » ولكنه كثيرا

(١) مترجمة من الألمانية نقل عن كتاب العالم الجليل الاستاذ « س . فان هوفنسفلت » في نقد وتفنييد

ما كان يغير ويبدل من آرائه ، ولم يقطع برأى في العلة الأولى لنشأة الأجناس ، ولذا لم يبرز اسمه في تاريخ مذهب التطور .

وأما «لامارك» فإنه يعد بحق أول من نشر أفكاره عن نظرية التطور في رسائله في فلسفة علم الحيوان ، وفي مقدمته في التاريخ الطبيعي للحيوانات اللاقارية ، وكان ذلك سببا في ثورة فكرية كبيرة ، فهو أول من جرؤ على القول بأن جميع الأجناس ومنها الجنس البشري مشتقة من أجناس أخرى سابقة لها ، زاعما أن الأسباب التي يرجع إليها التغيرات بين الأجناس المختلفة هي : إما تأثير مقتضيات الحياة ، وإما التزاوج بين الأجناس الموجودة ، ويذهب في دعواه الى أن بعض أسباب التغيرات المذكورة مرجعها استعمال أو إهمال بعض الأعضاء ، وكذلك بسبب قوة العادة . وإلى هذه القوة التي تتمكن في المخلوقات بسبب العادة يريد لامارك أن يعزو أمورا لا يسوغها العقل السليم ، يراها في أمثلة كثيرة ، منها طول رقبة الظرافة التي تمكنها من الحصول على غذائها من أطراف الأشجار ، وبنى على معتقداته هذه قوانين للنشوء والتطور بعيدة المدى ، واعتقد بمذهب التطور الذاتي (Generatio spontanea) .

وعلى ذلك تكون كل خصائص الحيوانات الجديدة إنما نشأت للضرورة التي تقتضيها ، وكل تطور إنما ينشأ من تكون خصائص أكثر ملاءمة لمقتضيات الحياة .

وهذا كله ذهب مع الافتراضات الى حد بعيد ، ولا يحتمل تحققها جميعها .
وقع لامارك في نفس الخطأ الذي وقع فيه داروين من بعده ، وذلك أنه حسب أن وجود أنواع متوسطة دليل على قيام التسلسل بين الأنواع المختلفة .

لم يظهر كتاب لامارك في فلسفة علم الحيوان إلا في عام ١٨٠١ ، وكان قد سبقه «جوته» بتدوين آرائه في التطور في سنة ١٧٩٤ - ١٧٩٥ ، ولكنها لم تظهر إلا عند نشر رسائله في العلوم الطبيعية بعد هذا التاريخ بعشر سنوات .

وجاء من بعد لامارك من الكتاب وعلماء الطبيعة أمثال سانت هيلير وولز وفون بوخ ودوماليوس ودي هالوي وسبنسر وفان بير وغيرهم ممن كتبوا في نظرية التطور ، الى أن جاء داروين وألقى بأقوى قبلة في هذا الموضوع بنشر كتابه « نشأة الأجناس » في سنة ١٨٥٩ فأحدث رجة عنيفة في الأوساط العلمية ، وذهب بنظرية التطور الى أبعد مدى .

أطلق داروين على كتابه اسم « نشأة الأجناس بواسطة الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح في تنازع البقاء » . فإن صحت هذه التسمية من الوجهة اللغوية فإن خطأها واضح لعدم مطابقتها للمدلول ، لأنه كان يحق له أن يطلق على كتابه هذا الاسم لو أنه تمكن من إقامة دليل واحد على أن الانتخاب الطبيعي أوجد أجناسا جديدة ، إلا أنه كما هو معلوم لنا لم يستطع أن يأتي بمثله واحد يؤيد هذا الزعم .

لا تتعدى مزاعم داروين مجرد الافتراض بأن أنواعا جديدة من النبات والحيوان تنشأ بواسطة الانتخاب الطبيعي ، والافتراضات وحدها لا تكفي لأن تعطى كتابا جديدا قيمة علمية ، ولا تخدع مثل هذه التسمية سوى البسطاء من الناس .

إن الانتخاب الطبيعي يحدث تغييرا في النوع ، ولكن هذا التغيير بين أنواع النبات أو الحيوان لا يقوى على إحداث نوع جديد .

ويلاحظ في اسم الكتاب أن النصف الأخير منه لا يتفق في المعنى مع النصف الأول ، إذ ما من أحد يشك اليوم في حقيقة بقاء المخلوقات القوية للياقة في معترك الحياة وتنازع البقاء بالنسبة الى المخلوقات التي هي أقل صلاحية وتلاؤما لمقتضيات الحياة وضرورة المعيشة ؛ فلو أن المؤلف أراد الاحتفاظ بالنصف الأول من اسم كتابه رغم الشكوك القوية التي تعترض تفسيره لكان الأولى به أن يعطف النصف الأول بالأخير بأن كان يطلق عليه مثلا « نشأة الأجناس بواسطة الانتخاب الطبيعي وبقاء الأنسب في تنازع البقاء » . فإن لفظة (أو) لا محل لإطلاقها هنا محل العطف بالواو لعدم وجود تساو بالمرّة .

تصدى للرد على هذه المزاعم الكاذبة حين ظهورها كثير من الكتّاب والعلماء ورجال الدين من معاصري داروين ، أخص منهم بالذكر الدكتور كويبر أستاذ علم فلسفة الأديان وعميد الجامعة الحرة بهولندا ، وهو الذى ناقش آراء داروين ومذاهبه فى نظرية الانتخاب الطبيعي فى كتابه المسمى « التطور » حيث قال :

« لم يكن داروين أول من فكر فى حل مشكلة التطور ، بل قد سبقه من العلماء لامارك وجوته ، ولو أن داروين كان أسبقهم الى الاستناد على التجربة Emperialism لم يقتصر على مجرد التأمل والنظر Speculation ذا كرا أمثلة لذلك فى عالمى النبات والحيوان بقصد الاهتداء بها للخوض فى ظلمات هذا الموضوع الخفى ، وكان يتجنب بادىء ذى بدء أن يجعل الانسان ضمن دائرة أبحاثه ، مظهرا دائما احترامه للأديان . وقد بدأ أول تفكيره فى التطور عند ما لاحظ التغيرات التى تنشأ فى النبات أو الحيوان بسبب التلاقح الصناعى ، خصوصا فى الحمام .

« ولكن هذا التغيير لم يتعد كونه تغييرا أو تحسينا فى الظواهر من حيث اللون أو الشكل الخارجى ، دون أن يكون له أى مساس فى جوهر النوع أو الجنس أو الرتبة ... وحتى إذا سلمنا بحدوث هذا التغيير بواسطة التلقيح الصناعى فإننا لا زلنا نقصر عن إدراك القوة الخفية التى تقوم به فى الطبيعة الحرة الطليقة بدون حاجة الى مساعدة يد الانسان !

« فإذا أراد الداروينيون تفسير هذه الظاهرة بأنها ترجع الى الأصل الحيوى الذى يتجه من نفسه دائما أبدا نحو الكمال ، فانهم يرجعون بذلك الى نظرية النسبية وتهمار عليهم دعواهم واقتراضاتهم ، أو أنهم يعترفون بأن هناك قوة خفية تسيطر على نظام هذا التغيير ، وذلك ما لا يريدون الأخذ به . وهناقض ظهر داروين على إخوانه باكتشافه المزعوم بأنه تمكن من استنباط أنواع مناسبة من أنواع لا طاقة لها على الاستمرار فى الوجود لعدم ملائمتها .

« استند داروين في أقواله الى ما افترضه « روبرت مالتوس » من أن مضاعفات أسباب المعيشة لا تتناسب مع تكاثر النسل ، ولذلك فإن تنازع البقاء ينتهى حتما بانقراض الأضعف وبقاء الأقوى بعد تزويده بما يجعله أكثر صلاحية للحياة وأهلية بها بواسطة توارث العناصر القوية وملاءمتها للزمان والمكان الى غير ذلك . وذهب داروين بقانون تنازع البقاء الى حد بعيد جعله يعتقد أنه وحده هو الدافع الوحيد الذى يبنى عليه نظام الوجود .

« صادف هذا البيان الذى وضعه داروين فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر إعجابا بالغاً من جماهير العامة الذين ملوا تعسف رجال الدين فى السنين السابقة ، وتمتعهم فى تفسير بعض الحقائق العلمية ، واسترسلهم فى الغموض الكهنسى ، فأخذتهم سلامة الحجة فى قانون تنازع البقاء ، وبهرهم جمال تنسيقه كما وضعه داروين ، واعتقدوا ضمناً بصحة ما أدخله عليه من مزاعم واهية عن نشأة الأجناس .

« ومن المعلوم لنا أن داروين نفسه جاء أخيراً واقتنع بفساد بمذهبه فى نشأة الأجناس بواسطة الانتخاب الطبيعى حيث ذكر فى الفصل العاشر من كتابه أن نظرية نشأة الأجناس بواسطة الانتخاب الطبيعى إنما بنيت على مجرد الظن بأن كل نوع جديد وأخيراً كل جنس جديد إنما ينشأ ويبقى بسبب ماله من المزايا بالنسبة الى مزاحميه ، وينتج عن ذلك تبعا انقراض الأنواع والأجناس القليلة المزايا .

ومن ذلك يرى أن العالم فى القرن التاسع عشر اعتقد بصحة مذهب التطور ونشأة الأجناس لمجرد أن داروين بنى أسطورة الانتخاب الطبيعى على مجرد الظن . والظاهر أن الظن والثقة الحسنة كانا يلعبان دوراً هاماً فى علوم القرن الماضى .

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

نظام الوقف فى الاسلام أيضا

أسلفنا فى بحثنا السابقة ما يجب توافره فى الواقف من شروط وشطرا من الكلام عن محترزات تلك الشروط . والآن نحاول أن نعرض لما يجب أن يتوافر فى الموقوف من شروط ، نفيًا لكل جهالة ولبس ، وتعفية على آثار من الخلط والعمالة وقع فيها كثير من الواقفين فى كتب وقفهم .

فیشترط فى الموقوف أربعة شروط على ما ذهب اليه صاحب الفتح .
أولها — أن يكون مالا متقومًا عقارًا كان أو منقولًا ، وإن اشترط الفقهاء فى وقف المنقول استقلالًا أن يكون متعارفًا مميزًا . والعقار يشمل الأرض القائمة عليها أبنية ، والخالية منها .

ثانيها — أن يكون الموقوف معلومًا للواقف وقت وقفه ، فلو وقف شيئًا من أرضه دون أن يميزه وقت الوقف ، أو قال : وقفت هذه الأرض أو تلك الأرض على المساكين لا يقع الوقف صحيحًا لجهالة ما وقف . فلو تبين ما وقفه مجهولًا بعد إنشاء صيغة الوقف فإن كانت العبارة اللاحقة التى يتأدى بها المعنى المراد صالحة لإنشاء وقف بها ، رافعة لللبس ، محددة لمقاصد الواقف ، كأن قال : إن العقار الذى جعلته موقوفًا من أرضى بجهة كذا هو ثلثها ، صح الوقف بالعبارة الأخيرة . وإن كانت غير صالحة لذلك لم يقع صحيحًا ، إذ لا بد فى الوقف من بيان المعنى المراد ، ليتمكن الموقوف عليهم من الانتفاع بغلته ، وليستمر على وجه الزم من يودى الى الانسانية نوعًا من أنواع البر بها والابقاء عليها ، من أجل ذلك قالوا : لو وقف الواقف أرضًا فيها أشجار ثم استثنى منها وقفه ، لا يصح ذلك ، لأنه استثنى الأشجار من مواضعها ، وهى مجهولة ، فيكون

الداخل فى الوقف مجهولا . ولو قال : وقفت جميع حصتى من هذه الأرض من غير أن يبين سهامه ، صح استحسنانا ، لأنها معلومة فى الواقع وإن كان قد أطلق فى صيغة وقفه ، فلو زاد بعد ذلك عبارة وهى الثالث ، فتبين أنها النصف ، وقع النصف كله وقفا ، لأن قوله : وهى الثالث لمخالفته للواقع صار لغوا ، فكان الوقف لم ينطق به .

ولا يشترط لوقف العقار ذكر معالمة وحدوده ، ولا كونه مشهورا ، وإن كان صاحب الفتح قد انتحى فى ذلك ناحية أخرى . فلو قال الواقف : وقفت أرضى السكائنة بجهة كذا ، وقع وقفه صحيحا ، لأنه وإن لم يبين الحدود والمعالمة لأرضه الموقوفة ، فهى معلومة حين يتبين صدقه فى أن له أرضا بجهة كذا .

ثالثها — أن يكون المراد وقفه عقارا كان أم منقولا ، مملوكا للواقف ملكا خالصا لا شبة فيه حتى ولو كانت الملكية بسبب فاسد ، فقد صحح علماء الفروع وقف ما اشتراه الواقف شراء فاسدا بعد قبضه ، وضربوا لتلك الصورة مثلا فيما لو اشترى دارا بثمن معين على أن يدفع المشتري الثمن متى وجد عنده ثم وقفه بعد قبض المبيع ، فإن هذا الوقف يكون صحيحا ضرورة أن المبيع يباع فاسدا يملك بمجرد القبض . وفى هذه الحالة المعارضة يجب على المشتري دفع قيمة المبيع للبائع لا دفع الثمن بعينه . ومثل ذلك ما إذا وقف الموهوب له هبة فاسدة بعد قبض الموهوب ، فإن الهبة تفيد الملك بالقبض كما يفيدها البيع ، فلو كان الوقف قبل القبض فيهما ، لم يقع صحيحا لانتهاء ثبوت الملكية فيهما قبله ، وينبنى على ذلك أن البيع لو وقع صحيحا فوقف المشتري العقار المبيع مثلا قبل قبضه وقع الوقف صحيحا بالأولى ، وإن كان قبل دفع الثمن فى حالة ما إذا لم يدفع الثمن واتضح أنه لا يوجد لديه مال آخر يمكن استيفاء الثمن منه كان للبائع فى هذه الحالة طلب نقض إسهاد الوقف واستيفاء الثمن من المبيع الذى فى يده فإن وفى المبيع ثمنه فيها وإلا ضاع عليه ما زاد عن الثمن وإن كان لديه ما يفي بالثمن من غير المبيع كأن يكون له عقار آخر لم يجر عليه حكم الوقف فليس للبائع حق طلب

نقض الوقف البتة ، وفى هذه الحالة يرجع عليه بالثمن فى ماله الآخر إذا شاء ، وتكون هذه الحالة مشابهة كل الشابهة لوقف المرهون ، فإن للبائع فى حالة ما إذا كان المبيع مرهونا حق حبس المبيع فى يده وتحت حيازته حتى يستوفى ثمنه الذى حل أجله .

وإذا فيكون من تفاريع هذا الشرط عدم صحة الوقف فى حالة ما إذا وقف واقف مغبوبا لم يصل الى يده من طريق عقد من العقود الصحيحة شرعاً ثم اشتراه من صاحبه أو صاحله على مقابله ، وعدم صحته أيضاً فى حالة ما إذا وقف الموصى له عقارا موصى به قبل موت الموصى وقبل نفاذ وصيته ، ضرورة أن الوصية لا تنفذ إلا بعد موت الموصى ، وفى حالة ما إذا وقف الموهوب له الموهوب قبل قبضه ودخوله تحت حيازته ، وما إذا وقف المشتري المبيع وكان الخيار فى هذه الصفقة للبائع ، فلو كان الخيار للمشتري فوقف المبيع أو كان الخيار للبائع فوقفه فالوقف صحيح فى الحالتين ويكون إسقاطا للخيار فى الحالة الأولى وإبطالا للمبيع فى الحالة الثانية .

ويكون من تفاريع هذا الشرط نقض الموقوف حتى ولو شيد مسجداً أو مدرسة أو معهداً للعلم إذا استحق بالملك أو أخذ بشفعة وقد تبين أنه لم يكن مملوكا للواقف وقت وقفه ، فلو ضمن الواقف لمستحق العين قيمتها صح وقفه لا استناد الملكية الى زمن الاستيلاء والحيازة .

فإذا بطل الوقف فى هذه الصورة فليس الواقف ملزماً بالثمن مقداراً الذى يرجع به على بائعه أو يأخذه من الشفيع عقاراً ليجعله وقفاً فى محل الأول كما ذهب اليه صاحب الاسعاف وحققه الشيخ الزيلعى خلافاً لما زعمه صاحب الحميدية .

الآثرة والايثار^(١)

وهل هما ضدان ؟

هناك نوع من الآثرة لا يكون من الشطط أن يبحث الناس على العمل به هو الايثار .

ولما كان هذا اللفظ « الايثار » الغريب لحد ما يستعمل كثيرا لإفادة معنى البر والإحسان فقد قال أحد رعاة البر وتسانت في معرض التهكم القاسى على أصحاب مذهب العقلیات : « إن الايثار هو الآثرة على أكمل معانيها » ، ولم يكن ذلك الراعى يظن أنه يقول حقا أو يرى الى أى حد يبلغ قوله من الصدق وانطباق ذلك التعريف على البر نفسه ، إذ أننا فى الواقع لا نستطيع أن نتجرد من نفوسنا ، حيث إن كل شئ يرجع فى النهاية الى إنياتنا . فهم المرء الأكبر هو نفسه ، ويحد فى اهتمامه هذا لذة حقيقية تؤدى به الى التضحية .

وهناك القول الذائع : « إن العطاء أشهى الى النفس من الأخذ » وما أكثر ما يدل هذا القول على مبلغ فهم العامة لفكرة اللذة فى فعل الخير .

ولقد قال أحد الفلاسفة : « إنه لجميل جدا أن يكون المرء أميناً حقا إنه لجميل ، ومن أجل هذا لا يزال يوجد فى جميع الطبقات أناس أمناء ولا سيما فى طبقة الشعب العاملة المحبة . ولم يخل مقام من تمجيد فكرة الاحسان حتى مقام المزح إذ يعزى الى يجيل قوله : « إن الإحسان لذة يجب العمل على التخلص منها » لا ! لا يجوز التخلص منها ، بل يجب التمتع بها ، ويلزمنا أن نشرب كأسها حتى آخرها ، تلك الكأس التى لا ثمالة لها .

ومن الخلط الغريب أن يعتبر معنى الآثرة مناقضا لمعنى الايثار . لقد سلق أحد كبار المحسنين الآثرة بلسان حاد ، ولكنه بالغ كثيرا بأن عزاها الى أصلح الأعمال

(١) ملخص عن الفرنسية من كتاب تربية النفس بالنفس للدكتور بولدوبوا الاستاذ بجامعة برن بسويسرا .

وخيرها ، حقا إنه من السهل أن نصادف شدة اهتمام المرء بنفسه والعناية بملاذاتها في جميع بقاع الأرض فن الخطأ أن نرى في هذا حبا للذات من نوع زائف بغيض . إن حب النفس بالمعنى المبتذل هو أن لا يحب المرء سوى نفسه ، أما الايتار فيدفعنا الى التفكير في غيرنا ، في جميع بنى الانسان ونحن من بينهم ، فنحن لا نستطيع أن نسمى خيرا جميع الناس دون أن نهى أسباب السعادة لأنفسنا ، نعم قد يخالط هذا المسعى بعض الآلام ، ولكن هذه الآلام تكون هناء وراحة لأنياتنا .

ويصادفنا في حياتنا اليومية كثير من الظروف نستطيع أن نستسلم فيها بدون أدنى تردد للأثرة الى أبعد حد ، وذلك عند ما يكون العمل الذى نقوم به مقصورا علينا ولا يخص سوانا وليس له أى شأن ولا أى أثر فى هناء الغير هناء مادية كانت أم معنوية . ولكننا عند ما نتكلم عن الأثرة المسموحة غير المحظورة يضطرنا الأمر أن نتخلى عن بعض ملاذاتنا لأنها تعوق حرية بنى جنسنا . ففى الأسرة براعى كل فرد منها جانب الآخر ويعمل له حسابه ، ومن هنا تتسع دائرة مشاغلنا وتشمل عدداً ما ممن نعطف عليهم ونحبهم ، ففى هذا الشعور إيتار ، لكنه فى الغالب يكون إيتارا متبادلا بين اثنين . أو بعبارة أخرى هى أثره الأسرة التى لا تكاد تمتاز عن حب النفس . فالدائرة مع ذلك مازالت صغيرة ، وإننا إذا سرنا على تهذيب أفكارنا ومداركنا نصل الى الاهتمام بشئون أقاربنا الأبعدين ثم بأصدقائنا ثم بطبقتنا الاجتماعية ثم بالمدينة التى نساكنها ثم ببلادنا جميعا ، وبواسطة هذه الدوائر ذات المركز الواحد تتمدد فكرة الايتار شيئا فشيئا فينشأ عنها روح التكافل بين جميع بنى الانسان ، فهذه الفكرة تبقى محسوسة ملموسة بالرغم عن امتدادها ، وتنطبق على العالم المادى الذى نعرفه ونلمسه ، وفى النهاية ترتقى الى عالم التجريد ، وتنتهى الى فكرة الخير والى فكرة الشر .

فالخير هو ما يفعله كل الناس فيؤدى الى هناء الجميع ، والشر هو ما يعمله الكل فيؤدى الى هدم تلك السعادة .

ويخيل الى أن لهذا التعريف قيمته مهما كانت الفكرة التي يكونها المرء لمعنى هذه السعادة، سواء أبحثنا عنها في عالمنا الدنيوى أم في الحياة الأخرى .

فعواطفنا مهما كانت طبيعية وعادلة ليست دائماً نبيلة كما يخيل إلينا، والحب الذى يتغنى به الشعراء هو أبعد ما يكون عن المثل الأعلى، ولقد صدق أحد شعراء الألمان إذ قال : « إن الحب إن هو إلا شعر الأثرة » . وإنه لبعيد عن ذهنى الطعن فى هذا الشعور، ولكن لا ينبغي أن يخطئ المرء فى أصله الحيوانى ولا فى صفة القبح التى تنم عنها تدلالاته، ولا يجب أن نجعل منه فضيلة، فالحب بعيد عن الفضيلة حتى إننا نراه فى حالات الإفراط، وهى حالات مرضية، يؤدى الى الإجرام وقتل المحبوب . والحب الأموى هو أخلص حب تنم عنه التضحية ونسيان النفس نسياناً تاماً، ولا يقلل من أهميته أن يكون غريزياً وآلياً، وأن يكون ناشئاً عن شعور مشترك بين الحيوانات والانسان، وكذلك نراه عند أناس مجردين من كل شعور الإيثار، ولكن هذا الحب الأموى الآخذ بالقلوب لم يكف لتحسين خلق الانسان، وكذلك قد بقى الحب البنوى الذى يعادله دون أن ينشأ عنه فكرة التكافل التى تستطيع وحدها أن تنشر السعادة بين الناس .

ومن العجيب أن نرى كثيراً من الناس يخطئون فى إدراك كنهه العواطف التى يشعرون بها نحو غيرهم ويجهلون تماماً الأثرة التى هى منشأ تلك العواطف .

ومن الناس من يفاخرون بالدموع التى يذرفونها، وبالبكاء والنحيب عند وفاة عزيز لديهم، إنهم يتباهون بأحزانهم، أنا لا أقول إنه يجب أن تبقى عيونهم جامدة، ولكن لا بد لهم من أن يعترفوا بأن هذا الألم منشؤه الأثرة البهتة، إذ أنه ليس على الأموات نشفق وتوجع، ولكن على أنفسنا، على الوحشة التى تقع فيها . إنه من الطبيعى ومن المعقول أن نتأوه عند ما نشعر بالألم، ولكن ليس لنا أن نجعل من هذا الشعور فضيلة، ذلك الشعور الذى ليس فيه أى جلد ولا شجاعة ولا إيثار ولا إحسان .

والأمر كذلك في الشفقة ، إذ لا تكون صادقة إلا إذا كانت نافعة ، بأن تسمو بنا وتوحي إلينا الوسائل السريعة لإغاثة الملهوفين ، أما الشفقة التي تخور معها عزائمنا وتغرقنا في بحر عميق من الاضطراب الباطل وتصعدنا عن العمل ، فهي ليست شفقة بل هي ضعف وخور ، إنها هي الصغار المحزن الذي كثيرا ما نشاهده عند ضعاف الأعصاب الذين لا يكادون يقرءون قصة حادثة حتى يأخذهم الذعر بشكل صبياني ، ومن الناس من يجدون في هذه العاطفة فخارا لهم كما لو كانت تنم عن حبهم للغير .

وإننا إذا سبرنا غور عواطف الشفقة التي تظهرها بمسبار العقل والتفكير وجدنا الآثرة الشديدة في وسط آلامنا التي تظهر لنا بمظهر الإيثار ، وليس معنى هذا أننا نستطيع دائما مقاومة تلك الانزعاجات مهما كانت في حد ذاتها مبتذلة ، إنه من حقنا أن نبكي من نفقدهم من أعزائنا وأن نتألم لآلم الغير ، ولا نستطيع دائما أن نمنع الرعب من أن يستحوذ على نفوسنا ، ولكن لابد لنا من الاعتراف بأن ليس في هذا الانزعاج أي تخفيف للآلم ، وأنه ما دامت انقضت ساعة المفاجأة فلا بد لنا من الاهتمام بالغرض الوحيد الواجب الوصول إليه ألا وهو تخفيف آلام المصابين بدلا عن أن نعرض عليهم منظر انزعاجنا واضطرابنا .

ويقع نفس هذا الخلط في فهم معنى الواجب ، ففي أغلب الأحيان تؤدي هذا الواجب مع كثير من الملل والغضاضة كالطفل الذي يؤدي واجباته المدرسية كرها لكن إذا أدرك المرء المعنى الصحيح للواجب الأسمى ، أداه عن طيب خاطر ، فهو يبعث في نفسنا السرور والغبطة ، وهذه اللذة هي التي تدفعنا الى تأديته بالرغم مما قد ينالنا في سبيل ذلك من التضحيات .

وتأدية الواجب مهما كانت مؤلمة ، والتضحية مهما كانت قاسية في سبيل القيام به ، فإنه لا بد من تأديته طيبة به أنفسنا ، فبمجرد الشعور بالقيام به يزول كل ألم وينقشع ، كالطفل الذي نأخذ منه اللعبة كان يفرح بها لنعطيه أخرى تبعث في نفسه

فرحاً أعظم وسروراً أدام ، ولا شك أننا نرى في مدى حياة المرء انذى راض نفسه وهياًها للقيام دائماً بالواجب ، نرى أن بعض التردد يحصل ويستوقف المرء عن تأدية الواجب ويوقظ في نفسه ما قد يصادفه من آلام التضحية ، وهنا يقوم في النفس عراك بين الإقدام على أداء الواجب وبين الإحجام عن تأديته ، ولكن متى وقع الخيار وانتصر الإقدام على الإحجام ، فلا بد للنفس من أن تهدأ وتهدأ من تأدية الواجب .

ففكرة الواجب ليست محققة تماماً ولا مفهومة فهما صحيحا ما دامت ممزوجة بفكرة السخرة ، فنحن لا نستطيع أن نلذ بتضحية نقوم بها لأنفسنا مادامنا نشعر أننا لم نؤدها عن طيب نفس .

وإنه من الغريب حقاً أن تكون فكرة « الواجب السار » قليلة الانتشار ، وأن معظم الناس يؤدون الواجب مع شيء عظيم من الملل الظاهر وبدرجة من الغضاضة تجعل الذى تعمل له التضحية أن يتنازل عن هذا المظهر من العطف والإشفاق .

ومن هنا نرى قصر نظر المرء الذى لا يتعمق في تفكيره ويدفعه الى حدود المشل الأعلى ، فهو يقف في اعتباراته عند حد ذاته ، وأحياناً يمتد حبه فقط الى الأقربين منه ، ولا يعرف أن يسمو بعقله المفكر الذى ينشأ عنه الشعور والرغبة الشديدة الى ذروة الإيثار الذى يشمل جميع المخلوقات الحية بحب عام .

فالشعور الدائم بالسعادة والهناء لا يكون مبعثه الإيثار إلا إذا كان المرء يسعى لتحقيق أمانيه في حبه الأ كيد لغيره حتى تشمل دائرة حبه جميع بنى الانسان ، وهو لا يمكن أن يخرج عن هذه الدائرة إذ أنه بطبيعة الحال جزء منها ، وليس في هذا أية آثرة .

فالإيثار المحبوب لا بد أن يكون ذا فائدة ، وهذا ما يجعله مرغوباً فيه ، ولكن هذه الفائدة ليست خاصة بفرد على حدته أو بمجموعة صغيرة من ذوى الآثرة ، وإنما تشمل جميع الناس وتصبح فضيلة التكافل وتستحيل الى المبدأين المعقولين القائلين : « لا تعامل الناس بما لا تحب أن يعاملوك به » و « عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به » .

CHAPTER 48.

On passing the wet hands over the boots.

1. We are informed by Asbagh b. Al-Faraj Al-Misri, through Ibn Wahb, who had it from 'Amr, who was told it by Abu-n-Nadr, through Abu-Salamah b. 'Abdu-r-Rahmân, through 'Abdullâh b. 'Umar, through Sa'd b. Abu Waqqâs, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) that :

The Prophet passed *his wet hands* over his boots. When 'Abdullâh b. 'Umar questioned his father about this, he replied : "Yes, it is true ; for if Sa'd relateth to thee any tradition about the Prophet (Allâh bless him and give him peace), do not question any other man about it."

Mûsa b. 'Uqbah stated that he was informed by Abu-n-Nadr, who had it from Abu Salamah, who told him that Sa'd related the tradition to him, and that 'Umar said words to that effect to 'Abdullâh.

2. We are informed by 'Amr b. Khâlid Al-Harrâni, who had it from Al-Laith, through Yahyâ b. Sa'id b. Ibrâhim, through Nâfi' b. Jubair, through 'Urwah b. Al-Mughirah, through his father Al-Mughirah b. Shu'bah, from the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) that :

The Prophet once went out for a natural necessity, and Al-Mughirah, followed him with a small skin of water. When the Prophet had finished relieving his necessity, he poured out water for him while he performed his wudû's, passing his *wet hands* over his boots.

- ٤٨ -

بَابُ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ :

١ - حدثنا أصبغ بن الفرغ المصري عن ابن وهب قال حدثني عمرو حدثني أبو النضر عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمر عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم :

أَنَّهُ مَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ سَأَلَ عُمَرَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : « نَعَمْ إِذَا حَدَّثَكَ شَيْئًا سَعَدْتُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُ غَيْرَهُ » .

وقال موسى بن عقبة أخبرني أبو النضر أن أبا سلمة أخبره أن سعداً حدثه فقال عُمَرُ لعبدِ الله نَحْوَهُ .

٢ - حدثنا عمرو بن خالد الحراني قال حدثنا الليث عن يحيى بن سعيد عن سعد ابن ابراهيم عن نافع بن جبير عن عروة ابن المغيرة عن أبيه المغيرة بن شعبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أَنَّهُ خَرَجَ لِحَاجَتِهِ فَأَتَبَعَهُ الْمُغِيرَةُ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا مَاءٌ فَصَبَّ عَلَيْهِ حِينَ فَرَغَ مِنْ حَاجَتِهِ فَمَتَّوَصَّاهُ وَمَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ .

stroked his head from back to front and from front to back. ⁽¹⁾ Lastly he washed his feet.

‘This is the way’, said ‘Abdullāh, ‘I have seen the Prophet (Allāh bless him and give him peace) perform his wudū’.”

2. We are informed by Musaddad, who had it from Hammād, through Thābit, through Anas that :

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) once called for a vessel of water, and was brought a shallow bowl containing a little water into which he dipped his fingers.

“Immediately,” added Anas, “ I watched the water spurting out from between his fingers, and have estimated the number of those performing their wudū’ at between seventy and eighty.”

CHAPTER 47.

On wudū’ with a mudd ⁽²⁾ of water.

We are informed by Abu Nu‘aim, who had it from Mis‘ar, who received it from Ibn Jabr, who heard Anas say :

“The Prophet (Allāh bleas him and give him peace) used to perform his ghusl ⁽³⁾ with a sâc ⁽⁴⁾ up to five mudds of water, while he performed his wudū’ with a single mudd.”

فَمَسَحَ رَأْسَهُ فَأَذْبَرَ بِهِ وَأَقْبَلَ ،
ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ فَقَالَ :

« هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ »

٢ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادٌ عَنْ
ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ :

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا بِإِنَاءٍ
مِنْ مَاءٍ فَأَتَانِي بِقَدَحٍ رَخْرَاحٍ فِيهِ
شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ ،
قَالَ أَنَسٌ لِفَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى
السَّمَاءِ يَنْتَبِعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ،
قَالَ أَنَسٌ فَحَزَرْتُ مَنْ تَوَضَّأَ
مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ . »

— ٤٧ —

بَابُ الْوُضُوءِ بِالْمُدِّ :

حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ قَالَ حَدَّثَنَا مَسْعَرٌ قَالَ
حَدَّثَنِي ابْنُ جَبْرِ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ :

« كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْسِلُ
— أَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ — بِالصَّاعِ
إِلَى خَمْسَةِ أُمْدَادٍ وَيَتَوَضَّأُ
بِالْمُدِّ . »

(1) Thus reversing the usual order, with the object of showing that either is permissible.

(2) اللد is a measure of capacity equal to two rotls.

(3) يغسل and يغتسل in the text are given as alternatives, and merely express narrator's doubt as to the actual word used — either giving the required meaning of ritual bathing.

(4) الصاع is a measure of capacity equal to four mudds or eight rotls.

ings have not been loosed, so that I may give the Faithful my last exhortations.' He was then placed in a basin belonging to Hafsa the wife of the Prophet (Allāh bless him and give him peace), and we proceeded to pour water from the waterskins over him, until he began to make signs to us that we had done enough. He then went out to the Faithful." (1)

CHAPTER 46.

On wudûs from a ewer. (2)

1. We are informed by Khâlid b. Makhlad, who had it from Sulaimân, who received it from 'Amr b. Yahyâ, through his father, who said :

" My paternal uncle used to be very assiduous in his wudûs. Once he said to 'Abdullâh b. Zaid : 'Tell me how thou hast seen the Prophet (Allāh bless him and give him peace) perform his wudûs.' 'Abdullâh called for a ewer of water, and pouring out some on his hands, he washed them three times. Then immersing his *right* hand in the ewer, he rinsed his mouth and cleansed his nostrils three times with one scoop. Again immersing his *right* hand, he took another scoop and washed his face three times. After that he washed his hands as far as the elbows twice severally. He next took some water in his hand and

أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ ، وَأُجْلِسَ فِي مَخَضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ طَفِقْنَا نَضُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقَرَبِ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ قَدْ فَعَلْتُمْ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ .

— ٤٦ —

بَابُ الْوُضُوءِ مِنَ التَّوَرِ :

١ - حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي هَجْجٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
« كَانَ عَمِّي يُكثِرُ مِنَ الْوُضُوءِ ، قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ : أَخْبِرْنِي كَيْفَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ ، فَقَدَا تَوَرٍ مِنْ مَاءٍ فَكَفَّ عَلَى يَدَيْهِ فَعَسَلَهُمَا ثَلَاثَ مَرَارٍ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي التَّوَرِ فَغَسَّغَهُمَا وَاسْتَنْشَرَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ عَرْفَةِ وَاحِدَةٍ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاعْتَرَفَ بِهَا فَعَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مَاءً

(1) He went to the Mosque, led the prayers, and preached a sermon to the Faithful.

(2) Al-Bukhârî's object here is to show that the Prophet did not object to the use of copper or brass vessels, in spite of the prevailing prejudice against them, based perhaps on the danger from corrosion, or perhaps their resemblance to gold which is condemned as luxurious. (Al-'Aini)

“Once when the Prophet (Allāh bless him and give him peace) came to us, we brought out to him water in a brass (1) vessel. He performed his wudū^a, washing his face three times and his hands twice severally, and then stroking his head *with his wet hands* from front to back and from back to front, and finally washing his feet.”

4. We are informed by Abu-l-Yamān, who had it from Shu‘aib through Az-Zuhri, who received it from ‘Ubaidullāh b. ‘Abdullāh b. ‘Utbah that ‘A’ishah said :

“When the Prophet (Allāh bless him and give him peace) was sinking, and his agony became more intense, he asked permission of his wives to be nursed in my apartments. When they gave him permission, the Prophet (Allāh bless him and give him peace) went out (2) to my quarters with his feet dragging along the ground *supported* between two men — ‘Abbās and another.”

“When”, added ‘Ubaidullāh, “I told this to ‘Abdullāh b. ‘Abbās, he asked me if I knew who the other man was, I replied that I did not.” “It was ‘Ali,” said he.

‘A’ishah (Allāh be well pleased with her) used to relate that the Prophet (Allāh bless him and give him peace) after he had entered the house and his agony became *still* more intense, said : ‘Drench me with water from seven skins whose fasten-

« أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْرَجْنَاهُ لَهُ مَاءً فِي تَوْرٍ مِنْ صُفْرِ فَتَوَضَّأَ فَغَسَّلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ بِهِ وَأَذْبَرَ، وَغَسَّلَ رِجْلَيْهِ »

٤ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شبيب عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة أن عائشة قالت :

« لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمْرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأْذِنَ لَهُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخَطَّ رَجُلَاهُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ عَبَّاسٍ وَرَجُلٍ آخَرَ .

قال عبيد الله فأخبرتُ عبد الله بن عباس فقال : أتدري من الرجل الآخر ؟ قلت لا ، قال هو علي .

وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَعْدَ مَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ : هَرِّقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُخْلَلْ أَوْ كَيْسَمْنٍ لَعَلِّي

(1) Or — a kind of stone. (Al-‘Aini).

(2) Probably from Maimūnah’s apartments.

CHAPTER 45.

— ٤٥ —

On ghusl⁽¹⁾ and wudû^s in basins, bowls, and vessels of wood or stone.

1. We are informed by ʿAbdullâh b. Munîr, who heard it from ʿAbdullâh b. Bakr, who had it from Humaid, through Anas, who said :

“Once when the hour of prayer had come, those *Companions* whose houses were near went home, while a certain number remained. Then the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) was brought a stone basin containing water, the basin being too small for him to extend his hand in it. The company of the *Faithful* all performed their wudû^s.” When Humaid asked Anas how many there were, he said : “Eighty and more.”

2. We are informed by Mahammad b. Al-ʿAlâs, who had it from Abu Usâmah, through Buraid, through Abu Burdah, through Abu Mûsa that:

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) called for a bowl containing water, in which he washed his hands and face, and into which he ejected water from his mouth.

3. We are informed by Ahmad b. Yûnus, who had it from ʿAbdul-ʿAziz b. Abu Salamah, who received it from ʿAmr b. Yahyâ, through his father, through ʿAbdullâh b. Zaid, who said :

بَابُ الْغُسْلِ وَالْوُضُوءِ فِي
الْمَخْضَبِ وَالْقَدَحِ وَالنَّخْشَبِ
وَالْحِجَارَةِ :

١ - حدثنا عبد الله بن منير سمع عبد
الله بن بكر قال حدثنا حميد عن أنس قال :
« حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَقَامَ مَنْ
كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ إِلَى أَهْلِهِ وَبَقِيَ
قَوْمٌ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِمَخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ فِيهِ
مَاءٌ فَصَغَّرَ الْمَخْضَبُ أَنْ يَبْسُطَ
فِيهِ كَفَّهُ فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ ،
فَقُلْنَا كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : ثَمَانِينَ
وَزِيَادَةً . »

٢ - حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا
أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة عن أبي
موسى :

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا
بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ
فِيهِ وَمَسَّحَ فِيهِ .

٣ - حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا
عبد العزيز بن أبي سلمة قال حدثنا عمرو
ابن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن زيد قال :

(1) Or — simple ablution (الغسل)

and on the water left over after a woman's wudûs;

and on 'Umar having performed his wudûs with hot water from the house of a Christian woman. (1)

We are informed by 'Abdullâh b. Yûsuf, who was told it by Mâlik, through Nâfi', through 'Abdullâh b. 'Umar, who said :

“In the time of the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) men and women used to perform their wudûs together. (2)”

CHAPTER 44.

On the Prophet (Allâh bless him and give him peace) having poured some of his wudûs - water on a man who had fainted.

We are informed by Abu-l-Walid, who had it from Shu'bah, through Muhammad b. al-Munkadir, who heard Jâbir say :

“ The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) came to visit me while I was sick and unconscious. He performed his wudûs and then poured upon me some of the water *he had left unused*. (3) Thereupon I regained consciousness and then said : ‘ O Messenger of Allâh, to whom doth my inheritance fall, since I have neither father nor child, and my heirs are other relatives ? It was then that the verse on inheritances was sent down. ’ (4)

وَتَوَضَّأَ عُمَرُ بِالْحَمِيمِ مِنْ
يَنْتِ نَصْرَانِيَّةٍ :

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا
مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه قال :
« كَانَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ
يَتَوَضَّأُونَ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمِيعًا »

— ٤٤ —

بَابُ صَبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَضُوءَهُ عَلَى الْمُغْمَمِيِّ عَلَيْهِ :

حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة عن
محمد بن المنكدر قال سمعت جابرا يقول :
« جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ ،
فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوءِهِ ،
فَعَقَلْتُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنِ
الْمِيرَاثُ ، إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلَالَةٌ ؟
فَنَزَلَتْ آيَةُ الْفَرَائِضِ . »

(1) This athar has been traced back to the Prophet by Ash-Shâfi'i and others, who state that the water was not only taken from the house of a Christian woman, but was taken from a jar used by her. Al-Bukhârî's purpose here is to show that if water associated with a Christian woman is ritually clean, that associated with a Muslim woman must be still more so. In fact all the Imâms, with the exception of Ahmad b. Hanbal, permit the use of unused water left over by Christians after washing. (Al-'Aini).

(2) — both using the same vessel.

(3) — here may also be taken to mean the water he had actually used. (Al-Qastallânî)

(4) By فرائض is meant the shares due to each inheritor.

CHAPTER 42.

On stroking the head *with the wet hands* once only.

We are informed by Sulaimân b. Harb, who had it from Wuhaib, who received it from 'Amr b. Yahyâ, through his father, who said :

"I was witness when 'Amr b. Abu Hasan questioned 'Abdullâh b. Zaid on the Prophet's wudû' (Allâh bless him and give him peace). He called for a vessel of water, and performed the wudû' before them — pouring the water upon both his hands and washing them three times, after which he immersed his *right* hand in the vessel. Then with three scoops of water he rinsed his mouth and cleansed his nostrils, snuffing the water up and ejecting it three times. Next he immersed his *right* hand in the vessel and washed his face three times. Again immersing his *right* hand in the vessel, he washed both his hands as far as the elbows twice for each. After that he again immersed his *right* hand in the vessel and stroked his head with both his *wet* hands, passing them from front to back and from back to front. Lastly he immersed his *right* hand in the vessel and washed his feet."

We are *also* informed by Mûsa, who had it from Wuhaib, who said : "He stroked his head once only."

CHAPTER 43.

On a man's performing the wudû' in company with his wife (1) ;

— ٤٢ —

بَابُ مَسْحِ الرَّأْسِ مَرَّةً وَاحِدَةً :

حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا وهيب قال حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه قال :

« شَهِدْتُ عُثْمَرَ بْنَ أَبِي حَسَنٍ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ عَنْ وُضُوءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدَعَا بِتَوَرٍّ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ لَهُمْ (فَسَكَفَاهُ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَهُمَا ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ) فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْشَرَهُ ثَلَاثًا بِثَلَاثِ عَرَفَاتٍ مِنْ مَاءٍ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ فَغَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَاقْبَلَ بِيَدَيْهِ وَأَدْبَرَ بِهِمَا ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ فَغَسَلَ رِجْلَيْهِ » .

وحدثنا موسى قال حدثنا وهيب قال :

« مَسَحَ رَأْسَهُ مَرَّةً » .

— ٤٣ —

بَابُ وُضُوءِ الرَّجُلِ مَعَ

امْرَأَتِهِ ، وَفَضْلُ وُضُوءِ الْمَرْأَةِ ،

(1) — both using the same vessel.

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للسانف ابراهيم مسه المومى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION

(continued)

CHAPTER 41.

On one who rinseth his mouth and cleanseth his nostrils with one handful of water.

We are informed by Musaddad, who had it from Khâlid b. 'Abdullâh, who received it from 'Amr b. Yahyâ, through his father, through 'Abdullâh b. Zaid that :

He ('Abdullâh) poured water out of the vessel upon his hands and washed them. He then washed — or rinsed — his mouth and cleansed his nostrils with a single handful of water. He did this thrice, after which he washed his face three times and then his hands as far as the elbows twice severally. Next he stroked his head *with his wet hands*, passing them from front to back and from back to front. Lastly he washed his feet as far as the ankles, saying : "Such was the wudu' performed by the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace)."

كتاب الوضوء (تابع ما قبله)

- ٤١ -

بَابُ مَنْ مَضْمَضَ وَاسْتَأْنَشَقَ
مِنْ عَرْفَةِ وَاحِدَةٍ :

حدثنا مسدد قال حدثنا خالد بن عبد
الله قال حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه عن
عبد الله بن زيد :

أَنَّهُ أَفْرَغَ مِنَ الْإِثْمَانِ عَلَى يَدَيْهِ
فَغَسَّلَ هُمَا ، ثُمَّ غَسَّلَ - أَوْ
مَضْمَضَ - وَاسْتَأْنَشَقَ مِنْ
كَفَّةٍ وَاحِدَةٍ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ
ثَلَاثًا ، فَغَسَّلَ يَدَيْهِ إِلَى
الْمِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ ،
وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ مَا أَقْبَلَ وَمَا أَدْبَرَ ،
وَغَسَّلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ،
ثُمَّ قَالَ : « هَكَذَا وَضُوءُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

المؤتمر العالمي للاديان في لندن

رسالة لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر

يقام كل سنة مؤتمر عالمي للاديان في عاصمة من كبريات عواصم الغرب الغرض منه دراسة مختلف الوسائل للتقريب بين الشعوب لحسم مادة الخلافات بينها تذرعا لابطال الحروب والمخاصمات . وقد دعا المؤتمر في هذه الدفعة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر لا لقاء خطابة فيه في موضوع كيف تتقرر زمالة عالمية بين الافراد المحتاقي الأديان والنحل . وقد أجاب فضيلته الدعوة فارسل للمؤتمر ببحث طريف جامع في هذا الباب ، وأناب عنه فضيلة الشيخ عبد العزيز مصطفى المراغى شقيقه في إلقاءه ، واعتذر هو عن الحضور بنفسه لكثرة أعماله ، فقبل المؤتمر عذره ، وقابل خطابته بما هي أهل له من الاطراء والاكبار .
وها هو نص تلك الخطبة :

كلمة التحيّة للمؤتمر :

١ — تشرفت بالدعوة الى حضور هذا المؤتمر من حضرات السادة القائمين بأمره ، وكنت شديد الرغبة في شهوده وفي لقاء حضرات السادة ممثلى الأديان والمذاهب ، لكن أسبابا قوية حالت دون بلوغى هذه الأمنية ، فبعثت بكلمتى هذه وأنبئت عنى فى إلقاءها الشيخ عبد العزيز المراغى المدرس بكلية الشريعة وعضو بعثة فؤاد الأول بلندن ، وأنا راج منكم أن تقبلوا أصدق عبارات التحية والإجلال ، وأصدق الأمانى لتحقيق الغرض السامى الذى تسعون اليه .

فكرة الزمالة طبيعية :

٢ — إن فكرة الزمالة تولدت فى الجماعات الساذجة ، وكان مظهرها تذليل عقبات الحياة فى أشكالها البسيطة ، ونمت الفكرة بنمو الجماعات ، وامتد سلطانها فشملت القبائل ، ثم نمت حتى وسعت الشعب والأمة .

واليوم وقد نشأ الشعور بحاجة الأُمم بعضها الى بعض ، ونشأ الشعور بوجوب جعل الحياة العامة في البشرية كلها بآمن من الغوائل ، ونشأت الحاجة الى تحقيق مطالب اقتصادية ومدنية وعلمية وروحية لا تستقل بها أمة ، بل تحتاج الى مشاركة عامة ، أخذت فكرة الزمالة تتسع وتمتد لتشمل النوع الانساني كله . ففكرة الزمالة ليست نظرية فلسفية ، بل هي حاجة طبيعية تولدت في النوع البشري منذ دور الطفولة ، ومنذ أدرك أن ارتباط الأفراد بعضهم ببعض يساعده على قطع مفاوز الحياة بأمان ، ويعود عليه بالخير .

أسباب التفرق الطبيعية :

٣ — ومع شعور الانسان بالحاجة الى الزمالة ، ومع أن العقل يقتضيها ، فقد كانت عوامل التفرق دائماً ملازمة لهذا الشعور ، لأن الانسان لايسيره العقل وحده ، ولكن تسيره أيضاً غرائز حيوانية ركبت فيه ، ومن هذه الغرائز حب الأثرة والغيرة ، والخوف والشك ، وقد أضيف الى ذلك اختلاف الأديان والمذاهب ، فوجد عامل آخر للتفرق ، حتى إنه عندما يلوح للباحث أن الإخاء الانساني المذشود تدافعه كل تلك التوازن في الانسان ، يبدو له أنه مطلب لاينال في هذه الحياة ، إذ يهوله ما يحتمل فيها من شرور تصرفها تصرفاً جافاً شرساً لا قلب له ولا وجدان .

التبرين هو الدواء :

٤ — ولا أعتقد أن التقدم العلمي والفلسفي بقادر على التغلب على هذه العوامل وإزالة آثارها ، فقد شاهدنا أن الحروب تزيد هولاً ووحشية كلما ازداد تقدم العلم ، وأنه أمضى أسلحتها . بل في الحق إنى لا أعتقد أنه سيجىء اليوم الذي تتحقق فيه المثل العليا للبشرية ، لأنه وإن أمكن بعامل من العوامل أن تخبوجذوة تلك النار المنبعثة من قوى الطبيعة في الانسان فإنه لا يمكن أن تنطفئ تلك النار .

٥ — لكن هذه العقيدة لا يصح أن تفننا عن البحث عن الوسائل اللطيفة لتلك الغرائز والسكابجة لجاحها ، بل من الخير أن نبحث عن تلك الوسائل .

والمُتدين حين يعالج هذه المشكلة يجب أن يذكر أن الأديان كلها قد اعتمدت في الإنسان على أصل راسخ من غريزة التدين ، ودفعته الى الثقة بأن العالم مجموعة متناسقة تسودها قوة مدبرة حكيمة عادلة ترقب النيات وتحكم الضمائر ، وأن هذه الحياة صائرة الى غاية من المسئولية والمجازاة ، ففي التدين من هذا التأليه والخضوع ومراقبة الإله وتوقع محاكمته عوامل ليست أقل خطرا ولا أضعف أثرا في دفع الإنسان الى الخير والبر من تلك العوامل الأخرى الداعية الى الشرور ، والدافعة الى الحرب والحرص ، وإفساد شأن الجماعة الانسانية .

وليس من شك في أن اعتقاد حياة أخرى أطول مدى من هذه الحياة ، واعتقاد أنها خير خالص يصل اليه الإنسان بالعمل الصالح ، أو شر محض يكون نتيجة حتمية لأعمال الشر ، يجعل قلب الإنسان مطمئنا راضيا إذا ساء حظه في الحياة الدنيا ، ويغير نظره الى هذه الحياة تغييرا تاما . ثم اعتقاد أن الخير والشر ينزلان بمقدار بعد وزنهما بميزان عادل هو ميزان القادر الحكيم ، يحفز الإنسان الى الإكثار من عمل الخير ويبعده عن عمل الشر .

٦ — يجب أن يكون المهيمن على عمل الإنسان من داخل الإنسان ، وهو خوف الله . وقد يقول علماء الأخلاق إنهم إذا وصلوا الى جعل الإنسان يحب الخير لذاته ويكره الشر لذاته ، ونهبوا الضمير الانساني بواسطة التهذيب والتربية ، أغنى ذلك عن التدين . لكن أتى لهم ذلك ، وكيف استطاع تهذيب الدهماء ومن تلهمهم من أول أدوار الحياة الحاجة الى القوت ؟ فالرجوع الى غريزة التدين أسهل . وهذا الشعور الديني إذا عمق وصالح أقوى — أو على الأقل ليس أضعف — من الخوف والطمع والمنافسة المثيرة للحروب . وهذا الشعور يرفع الإنسان الى ما فوق الاعتزاز باللون والدم والجاه والطبقة والثروة ، وهو صالح لأن يغلب الحقد والحسد والأنانية ، وفيه من تطمين النفس ما يقلل بطرها بالغنى ، ويهون عليها الفقر ، ويخفف ثورتها عليه .

وهذا الشعور يكرم النفس الانسانية ويحدوها الى المعرفة والحكمة ، ويكره اليها الجهل والحق . كل تلك الآثار قد ثبت تحقيق التدين لها فعلا لولا طوارئ أخرى . ومن هنا تقوى طماعية المتدين في قبول تلك الغاية المرجوة من الأخوة الانسانية مهما عز ذلك أو بعد ، ولكن بقدر ما تحتمل ذلك طبيعة الانسان .

٧ - نعم إن الانسانية لتطيف بخيالها ذكريات من جلاد قاس مخيف ، أدار رحاه اخلاف الدين ، وكان فيه الشعور الديني الحاد الجاهل قوة طائشة دفعت الى عنف وتدمير رهيب مروع . وإن الانسانية لترنو في خيبة الى آلاف من الأجيال المتمدينة لم تدنها كثيرا من تلك الأخوة الانسانية ، بل لا تزال الى اليوم يائسة منها ، لكن المتدين مع ذلك كله يعاوده أملة القوى ، ويدرك أن تلك الذكريات المروعة وذلك البعد عن الغاية النبيلة ليسا أثرين لنقص في طبيعة التدين أحدث ذلك كله ، بل إن ذلك في الحق إنما سببته غلبة واقعية الحياة على مثالية التدين ، فتحكمت الحياة في التدين ، حين كان ينبغي أن يحكم التدين في الحياة ؛ وسببته محاولات أشخاص خالين من الضمائر استغلوا الشعور الديني استغلالا ماديا في سبيل ما ربح لا نثير دفين مخزياتها . وحسبنا أن نقول : إن ما نال الانسانية في عصور التدين من شر ، وما قعد بها عن بلوغ الأمل المرجو في السلام الروحي ، ليس لشيء في طبيعة التدين ، بل لانحراف في اتجاه الشعور الديني . على أن ناموس التدرج الطبيعي يفسر هذا الذي كان من ألم وخبية بأنه حال اقتضتها درجة رقي الحياة في تلك العهود ، وأن ما صارت وتصير اليه تلك الحياة من رقي ، يؤهلها للانتفاع بالشعور الديني في إدانها من الغاية المرجوة آمنة من أخطار انحرافه أو فساده . وها هو ذا الرقي العقلي والنفسى قد حسم فعلا غير قليل من أسباب الخلاف بين الناس لاعتبارات يسمونها دينية ، ووجه الشعور الديني توجيهها أصلاح نوعا مما كان قديما . ومن آثار ذلك هذا المؤتمر للأديان ، ومحاولة أهل الدين تنمية الزمالة العالمية .

٨ - وهذا ما جعل اغتباطي بهذا المؤتمر عظيما ، فإنه فضلا عن سعيه للبحث عن

الوسائل الموصلة لتحقيق المثل العليا للإنسانية، وهى الزمالة العالمية بين أفراد النوع الإنسانى وأهمه، فانه بهذا السعى يحقق غرضا أساسيا من الأغراض التى سعت اليها الأديان وعنى بها الاسلام الذى أدين به، فقد نبه القرآن الى وحدة الأيوين الموجبة للتعارف والتعاون والتناصر، والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتخاذل، ولم يقم وزنا لشرف المولد وكرم الجنس، ووضع معيارا للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل وهو تقوى الله، وفى القرآن الكريم: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم». وطلب القرآن الى المسلمين إحسان معاشره غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا فى حالة العدوان؛ وفى القرآن الكريم: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون».

وقد عمل الرسول الأكرم محمد صلوات الله عليه وخلفاؤه الراشدون من بعده على وفق هذه المبادئ السامية، حتى أبيض الإصهار الى أهل الكتاب مع ترك الحربه للزوجة وعدم منعها من شعار دينها.

الزمالة بين رجال الدين يجب أنه تسبى الزمالة العالمية :

٩ — وإذا ما كانت تلك الزمالة أملاً مرجو التحقيق يتداعى لتنميته رجال الدين ويحتفلون بذلك فى جد وحزم، فن الحزم إذاً أن نعود الى هذا الشعور الدينى نستفيد من سيطرته على النفوس وسعة مداه وفطريته فى البشرية، لنبدأ منه خططنا فى تنمية الزمالة؛ وأن يتعاون أهل الأديان جميعهم بما فى الأديان من الشعور الدينى المشترك بينها، وبما فيها من الفضائل العملية والغايات الاجتماعية الصالحة، على تحقيق الغرض المرجو من تحقيق الزمالة وتنميتها. وكل ما فى الأديان مما يتعلق بالمجتمع البشرى أسس صالحة ترمى الى الخير، والى أن يكون الفرد عضوا نافعا فى المجتمع، يعاشر أخاه بالمعروف، ويدفع

عنه النوائب ، وتجعل أواصر المودة بين أفراد الانسان واقعة تحت الرغبات الالهية ،
مطلوبة للخالق الحكيم الذى يحى ويميت ويرزق ، وينيث الملهوف والمضطر ، ويعد بعد
الموت حياة هنيئة لمن يعمل الصالحات .

والدعوة الى تنمية الشعور الدينى المشترك يجب أن تسبقها الزمالة بين رؤساء
الاديان أنفسهم ، فهم أقدر من غيرهم على إدراك هذه المعانى السامية ، وأولى الناس بأن
يفهموا أن الخطر الذى يدام الانسانية لا يحى ، من اديان المخالفين ، وإنما يحى ، من الإلحاد
ومن المذاهب التى تقدس المادة وتعبدتها ، وتستهن بتعاليم الأديان وتعدها هزوا ولعبا .

الأغراض التى يسعى لها أهل الأديان :

١٠ - والأغراض التى أرى أن يسعى لها أهل الأديان قسمان : معنوية ، وعملية .
الأغراض المعنوية هى فى الإجمال إزاحة العلل التى حالت دون تأثير الشعور الدينى
فى تقريب ما بين الناس ، وهى إما تلوثه بالشوائب المفرقة ، وإما ضعفه وتحمله .

فإن الناس بين رجلين : رجل مؤمن قوى الإيمان يصلح إيمانه لمقاومة شرور الحياة ،
لكنه منحرف عن الجادة ثمور فيه عناصر الحقد على المخالف والكره له والترصص به ،
فهو فى حاجة الى توجيه إيمانه توجيها نافعا ، الى تنقية ذلك الإيمان من الشوائب ، الى
فهم معنى التدين فهما صحيحا خاليا من الأغراض البشرية المادية . ورجل ضعف إيمانه
أو أقر قلبه منه ، وأكثر ما نرى هذا بين الطبقات التى تسمى مستنيرة ويدعوها الناس
متنقفة . وسبب ذلك اصطدام الدين بالعلم التجريبي ، وما ثار بينهما من خلاف ، أو جنوح
الفلسفة الأدبية الى آراء فى الخير والفضائل العملية وقفت بعض الأديان فى سبيل
الموافقة عليها ؛ أو اتجه الأبحاث الاجتماعية عن غايات الحياة الى نواح لم يوافق الدين
على ترسمها ، فكانت صلة العلم المادى والعمل الخلقى والغايات الاجتماعية بالحياة الفعلية
قوة لأصحاب هذه الفروع على الدين وعلى انتهاك حرمانه ؛ وكانت مقاومة رجال الدين
لهؤلاء ، مقاومة غير رشيدة سببا فى اتساع الهوة وجرأة المخالفة جرأة عصفت بالشعور
الدينى فى قلوب أولئك المتعلمين ، بل وأضعفت هذا الشعور عند غيرهم .

وإذا كان الأمر هكذا فمن الواجب أن يتعاون أهل الأديان على تقوية الشعور الديني، وإعادته يعمر القلوب ويملأ النفوس هيبة ورهبة من الله، ورحمة ورفقا بعباد الله، وعلى إعزاز مركز الأديان أمام العلم وأمام الفلسفة الأدبية والفلسفة الاجتماعية، وأمام تيارات التقدم العقلي والتحرير الفكري. ولا شك في أن تقوية هذا الشعور وإعزاز مركز الأديان يقي الحياة الانسانية من خطر هؤلاء المستعدين وقدرتهم حين تتحكم المادة وتقوى فيهم الرغبات غير الشريفة. ثم إذا استطاع أهل الأديان كسب هؤلاء وإيجاد الشعور الديني في قلوبهم، فإنهم يكونون قوة فعالة في تنمية وسائل الإخاء البشري، ذلك بقوة إحساسهم ودقة إدراكهم، واستطاعتهم فهم ما في الأديان من معان روحية سامية مجردة عن المادة يصعب فهمها على أكثر العامة ممن لم يهذبهم العلم وتربطهم الفلسفة.

الأغراض العملية هي على الإجمال جعل التدين أداة فعالة في تهذيب الجماعة، وتمكين العوامل المعنوية التي تشترك فيها الأديان، من التأثير في الحياة الانسانية الواقعية، وتصيير الفضائل العملية التي تدعو إليها الأديان كلها نظما عملية. بذلك يقل فتك الشرور بالانسانية في الأمم، وتتقارب أنظارها، وتدنو من الإخاء الانساني بتقارب غاياتها وسلامة نفوسها.

١١ - وما يثير العجب ويضاعف الألم، أن أهل الأديان يحشدون جنودهم ويعدون عدتهم لمقاتلة بعضهم بعضا مقاتلة أسرفوا فيها، وجعلتهم ضعفاء أمام عدوهم المشترك، وسلوكوا طرقا في التناحر مغالفة لا بسط قواعد المنطق، مما جعلهم سخريه أمام العلماء وأمام الفلاسفة، وجعل كل جهودهم عقيمة النتائج، فقد تركوا التأثير على الانسان من ناحية عقله الذي هو موضع الشرف وموطن العزة والكرامة، واستعملوا طرق الإكراه والإغراء بالمال وغيره من الوسائل، وركن بعضهم الى القوى المادية للدول، ونسوا أن الايمان لا يحل القلب بالإكراه، وأن العلم لا ينال إلا بالدليل، ونسوا أن العدو جاد

في إنزالهم من مكانهم اللائق بهم، وأن شرور العالم تغمر الانسانية وتطغى على ما بقي في النفوس من هيبة واحترام للنظم الالهية. وكان عليهم بدل هذا كله أن يتعاونوا على درء الخطر، وأن يجاربوا هذه الشهوات الجامحة، وهذه الاباحية التي يئن منها العقلاء، وهذه المادة المستحكمة التي تجر الولايات على الآمنين بين حين وآخر، وتستعمارها أسماء كاذبة من المدنية والنظام والحرية.

لكن ما الذي كان ينتظر غير هذا وعوامل التفريق تعمل في أهل الأديان كما تعمل في غيرهم، وتغريهم زخارف الحياة الدنيا كما تغري غيرهم، ويحافظون على الجاه والرتب كما يحافظ عليها غيرهم، ويفترى بعضهم على بعض في الدين كما يفترى غيرهم؟ لكن قيسا من النور لا يزال باقيا للمعتقين، وهو أن الله أرحم بعباده من أن يتركهم في هذه الشرور المتلاطمة أمواجهما، وأقدر على إيجاد الوسائل التي ترد الانسان الى مواطن الشرف والفضيلة. وأنتم موطن الأمل ومعقد الرجاء.

الوسائل التي تحقق بها الأغراض:

١٢ - وسأعرض هنا لبعض الوسائل التي تساعد على تحقيق الغرض، مكتفيا بالإجمال، تاركا التفصيل لحضرات السادة أعضاء المؤتمر، وللابتكارات المتجددة التي ينتجها التعاون الصادق بين الأعضاء وبين محبي الانسانية:

(١) إيجاد هيئة تعمل على تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد، ولذلك وسائل، منها:

١ - توجيه الوعظ الديني في الأديان المختلفة الى هذا الاتجاه الانساني، بالأساليب التي يقررها أهل كل دين لوعاظه.

٢ - جمع كل ما في دين من المعاني الانسانية السامية العامة، من الرفق بالبشر والبر بهم، من حيث هم أفراد من نوع الانسان، دون نظر الى الفوارق الأخرى، وإذاعة ذلك بمختلف الوسائل في مختلف اللغات.

٣ - جعل الدعاية الآديان والتبشير بها قائما على أساس عقلى محض ، وحب للحقيقة ورغبة صادقة فى الوصول اليها ، مع البعد عن الاحتيال لذلك والاعتماد على وسائل غير بريئة فى توجيه الاعتقاد والاغراء به ، وقصر الجهد على إبراز ما فى الدين المدعو اليه من محاسن .

وهذه الهيئة تقوم بحسم كل إشكال أو نزاع ينشأ عن اعتداء الدعاة حسما شريفا نزيها صادقا الرغبة فى المسألة .

(ب) ايجاد هيئة تقوم بتقوية الشعور الدينى ، وبخاصة فى الطبقات المستنيرة ، فتعنى بتأييد مركز التدين أمام البحث العلمى والتفكير الحر ، تأييدا يقوم على احترام العقل وإعطائه حقه الكامل فى البحث النزبه التماسا للمعرفة ، فيعتمد هذا التأييد على مقابلة الدليل بالدليل ، وعلى الإقناع بطرق الإقناع الصحيحة ، مع البعد عن الوسائل الإرهائية والتضليل ، وعن الارتكان على السلطة الروحية المستبدة ، وبالجملة يتبعد عن الأخطاء الماضية التى دفعت الانسانيةُ نمنها باهظا مرهقا .

ويكون لهذه الهيئة شُعب ، شعبة تحدد ما بين العلم التجريبي والدين من خلاف قائم أو خلاف يحد ، وتتبع ذلك فى الدوائر العلمية المختلفة ، وتتصدى لحسمه على أساس ما أسلفناه من حب للحقيقة وحرص عليها ، فى لباقة لاتدع الدين يجبر بما يخالف المحسوس المشاهد . وشعبة تحتفى بالأراء الخلقية وبيان الفضائل ، وما يكون من ذلك جأرا على الحياة المعنوية ، متأثرا بأغراض نهمة ومطامع شريرة ، فتبحث ذلك فى عمق ودقة ، ويداع منه الآراء الممنعة التى تنال تأييد المفكرين المخلصين ، وتحفظ على الحياة غاياتها النبيلة . وشعبة تتبع الدراسات الاجتماعية وما ترسمها مذاهبها من غايات للحياة وأساليب فيها ، كالاشتراكية والشيوعية وما الى ذلك ، تبين منها موضع الخير وناحية الحق ، وتكشف عن موضع الهوى الجالح والرغبة النهمة المفسدة لشرف الغرض من الحياة . كل ذلك يداع فى الأسلوب الصحيح ، ليسمع الناس الرأى الصالح مؤيدا بالبرهان ، موقفا بينه وبين التدين ، مراعى فى كل هذا وجه الله ، ووجه الحق ، ووجه الخير للإنسانية .

١٣ - ونظراً لأن الانسانية قد نالها عسف كثير نرى (بحق أو بغير حق) أن سببه السلطة الروحية وأصحابها .

فمن الحق أن تظفر بالطمأنينة الكاملة من هذا الخطر لتدع للتدين ورجال الدين أن يعملوا على إسعادها . وأرى أن تؤكد الوحدة الدينية قولاً وعملاً ، وأن تجد في إقناع الأجيال الحاضرة بأن رجال الدين لا يطمحون الى رغبات مادية ولا الى سيطرة الحكم والجاه والنفوذ ، وأنهم إنما يشاركون في الحياة بمقدار ما يتمكنون من أداء رسالتهم الكريمة لإسعاد الانسانية وترقيتها ، وصيانة معنوياتها الملائمة لشرفها ، وأنهم قوام على تفسير الناموس الإلهي بالحق والدعوة اليه ليس لهم من الأمر شيء ، ثم تحافظ على ذلك أشد المحافظة ، وتقوّم من يندّ عن هذا المبدأ ويخالفه .

إذ ذاك تستفيد الأجيال الحاضرة والأجيال المقبلة ، وتفسح الطريق للقوة الدينية تعمل على الإخاء الإنساني ، وتكتسب المبادئ الدينية والفضائل الخلقية والمعاني الاجتماعية السامية بوحدة الأساليب العملية التي تنصر بها المذاهب والآراء الصالحة ، سلطة عملية تمكن من السعى الى حماية النظم والقوانين ، ووضعها بحيث تحمل تلك الأصول الصالحة . وكما يعمل أصحاب المذاهب الاجتماعية على توجيه التشريع الى تأييد مبادئهم وقواعدهم ، يجب أن يعمل أهل الأديان على توجيه التشريع الى تأييد الأصول العامة المشتركة في الأديان ، فيقاوم الزنا ، ونجس الأسرة ، ويعاقب على الكذب والغيبة والنميمة والدس والوقعة ولولم تصور في جرائم مادية ، وتحذ الحرية في التمتع وأسباب الشهوات ، وتحرم المنافسة غير الشريفة ، ونراقب المسكسب المادية ، ويحرم الخبيث منها ، ويعاقب على الجشع والخداع والتغريب ، الى غير ذلك مما جاءت الأديان لاستئصال شروره وتطهير الانسانية من أذناسه ، فساء التطبيق ، وانحرفت وجهة التدين أو ضعفت ، بحيث لم تستطع مقاومة الذين لا ضمائر لهم ، والذين خلت قلوبهم من رهبة الله ورحمة عباده .

١٤ - وما من شك في أن وحدة رجال الدين وفروعها المختلفة ستبتكر على يد رجالها الذين يزين الايمان قلوبهم ، وتطمئن نفوسهم روحانية الدين الصادقة ، وسائل ناضجة

فعالة لهذه الأغراض، ولكن يجب ألا ننسى أن تلك الوسائل ينبغي أن تكون بعيدة عن التدخل في أصول السياسة والاصطدام بها، وأن تعتمد على تأييد الجماعات وتنمية الشعور الديني والشعور بالفضيلة، وعلى إنباء روح الكره لما يغمر العالم الآن من المفاسد والشرور التي نزلت بالانسانية الى مستوى منحط لا يفكر في غير قضاء الشهوات وسد حاجة الغرائز البهيمية، وإشباع نهم القوى الشرسة، وصفات العدوان.

١٥ — ذلك ما رأيته لتنمية الزمالة العالمية، وقد قام على أساسين صحيحين، وهذه الوسائل وإن كانت دقيقة فهي ممكنة وفعالة، وإن كانت تحتاج الى جهد ودأب طويلين، لكن المطلب نبيل والخطب جليل. وإن الاسلام لينجحها تأييده القوى.

وفي أصول الاسلام أقوى الدعائم التي تركز عليها الفكرة، فهو يقرر أنه لا إكراه في الدين، ويقول للرسول صلوات الله عليه: «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين». ويقرر أن الدعوة الى الله تكون بالحكمة والموعظة «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن». ويخاطب العقل وينبه الى التفكير فيما خلق الله، ويرفع العلم والعلماء. ويقول نبي الاسلام: «بعثت لأتم مكارم الأخلاق»، ويقول له الله تعالى: «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر»، ويحث على البر والرحمة، وعلى مواساة الضعفاء والفقراء، بل وعلى الرفق بالبهائم، حتى جعل نفقة البهيمة الضالة واجبة في بيت المال، وجعل للفقراء حقًا لازما مفروضًا في أموال الأغنياء، وجعل الجناية على نفس واحدة جنابة على الانسانية، ووضع قواعد صارمة للعبث بالنظام.

ولا أطيل عليكم أيها السادة، فليس من غرضي ولا من غرضكم شرح أصول الاسلام وعرض مبادئه، ولكني بما ذكرته أردت لفت نظر حضراتكم الى أن الغرض الشريف الذي تسعون اليه لا ينافي قواعد الاسلام العامة.

١٦ — وإني أيها السادة في ختام كلمتي هذه أبتهل الى الله أن يؤيدكم فيما تسعون اليه من خير للانسانية، وأن ينير لكم الطريق ويهديكم سواء السبيل! محمد مصطفى المراغى

لماذا يصادف أكثر الشاكين في المتعلمين (١)

من الشبهات التي تكدر على بعض أذكاء العامة صفاءهم الاعتقادي، أنهم يصادفون كثيرا من المتعلمين شاكين، مستهينين بالدين، وبعضهم مجاهرين بالزندقة، زارين بالاعتقاديين. وقد كثرت أمثال هؤلاء في طلبة المدارس وبخاصة الذين يتلقون العلم منهم في أوروبا، حتى لا يخجل الواحد منهم أن يهاجم معتقدات أبويه، مثيرا عليهم من الشبهات ما لم يصل إليه. فتسرب إلى عقول العامة أن العلم يفسد العقائد، ويغري بالزندقة، ويُعدِّد القلوب للإلحاد، وهو حكم خاطئ لا يقول به عارف بما هنالك.

ونحن لأجل تبديد هذا الوهم نتولى هذا الموضوع بالتحليل للوقوف على العلة الأولية لهذا الانحراف الاعتقادي فنقول:

الإنسان لا يطبق بحكم تركيبه المعنوي أن يقف جامدا أمام أي مجهول كان، فهو مضطر، ولو كان في حضيض الجهل، إلى تعرُّف كل ما يؤثر على حسه وعقله، وإلى تعامُّله على قدر ما تسمح له به وسائله.

فلما قُذِف به إلى هذا العالم شرع في تعرُّفه مقهورا بفطرته، فنظر إلى سمائه وأرضه، وتأمل في حوادثهما، معملا جميع خصائصه العقلية، فأب من هذا الجهد بمدركات تناسب حالته من السذاجة، فأسند جميع الحوادث إلى علل روحانية، مغفلا جميع عللها الطبيعية القريبة منها.

ولكن الإنسان ليس بالسكَّان الذي يقف عند حد يصل إليه، فما زال دائبا وراء استكناه المجاهيل حتى هدى إلى كثير من العلل الطبيعية المباشرة، فكان كلما أدرك علة ربط بها معلولها، ورفع العلة الروحانية عنها مع الاحتفاظ بها كعلة أولية.

(١) لم نستطع بسبب كثرة الأعمال أن نتابع حلقات بحثنا الجديد في الروح الإسلامية، فنعتذر لحضرات القراء ونقدمهم بمتابعتها بعد اليوم.

فلما نشأت الفلسفة ، كانت العلوم النظرية قد كشفت كثيرا من العلل الطبيعية ، وأظهرت وجوه تسلسلها ، فلم يبق أمام العقل الانساني غير العلة الأولية أو علة العلل ، وهو كما قلنا لا يطبق بحكم تركيبه أن يقف جامدا حيال أى مجهول كان ، فوقف لا إدراك تلك العلة الأولية جل وسائله الفكرية ، غير قانع بأن يعتقد بوجودها مقرا بالعجز عن فهم حقيقتها ، فأراد أن يعرف كيف هي أزلية أبدية ، وماذا كانت تعمل قبل أن تخلق الكون ، وعلى أى حال تحيط بكل شئ ، علما ، وعلى أى حال تطيع إرادتها فى القوى الكونية ، غير مقدر وسائله على كل هذه البحوث التجريدية ، فكان كلما اصطدم بمسألة من هذه المسائل استعصى عليه تحليلها ، وترفعت عن الانطباق على دستور المادى المحدود ، فكان يحس بحيرة لا تنفق وسكينته القلبية . بل ربما أدته تلك الحيرة الى الإلحاد فى صفاتها ، والخبط فى شئونها ، وإعلان أنه لا يعتقد بوجودها .

فلو كان تولاه ، وهو فى هذا الدور ، عقل ناضج يريه رأى العين أن دستور العلمى إنما هو منتزع من العالم المادى ، وهو محدود محسوس ، وأن ما يبحث عنه فى عالم الاطلاق الصفر ، لا يتقيد بقيود هذه المادة الفاصرة ، ولا تسرى عليه أحكامها ، لرأى بنفسه عن التهور الذى ظهر به ، ولأدرك أن البحث فى ذلك العالم العالى يقتضى وسائل تناسبه ، ومحاولات تنفق وسموه عن جميع الملابس المادية ، ولتحقق أن ترفع ما هو بصده عن الخضوع لأدوات بحثه ، لا يدل على أنه غير موجود أصلا ، كما لم يدل عجزه عن معرفة الكهرباء والمغناطيس والإشعاعات المادية على عدم وجودها قبل اكتشافها من طريق الاتفاق ، وكفى فى الوجود موجودات مثل هذه وأرفع منها لم يصل الى اكتشافها أحد بعد ، ولا يدل عدم اكتشاف أحد لها على عدم وجودها . إن هذا العقل الناضج لم يحصله الانسان إلا حديثا ، بعد أن كثر تكذيبه بوجود أشياء ثم ثبت وجودها بعد ذلك ، وإن له فى هذا الاسراع الى التكذيب تاريخا حافلا بالعجائب ، إذا عرضه على نفسه أعتى متمردة العلم اليوم لحجل منه ، وضمن بنفسه عليه .

لقد سرد العلامة الكبير كاميل فلامريون الفرنسي في كتابه (المجهول) بعض ما كان العلماء يتشددون في نفيه ، وثبت وجوده بعد ذلك ، فقال :

« إن العلامة (غاليليه) أُمر به فأحرق بالنار لأنه تجاراً أن يقول إن الأرض كرة صغيرة سباحة في الفضاء كما هو الواقع .

ثم قال ما ترجمته الحرفية :

« وقد حضرت في ١١ مارس من سنة ١٨٧٨ تقديم الفونوغراف الذي اخترعه (إديسون) الى مجمع العلماء الفرنسي . فلما أدار مقدمة الآلة وتكلم الفونوغراف ، هب أحد العلماء الكبار وهو المسيو (بويو) من مكانه ، وأمسك بخناق الرجل ، وصاح في وجهه قائلاً : تعسالك ، إننا لا ننخدع لمشعوذ مثلك يتكلم من بطنه ! والذي هو أعجب من هذا أن هذا العالم أعلن بعد هذه الحادثة بستة أشهر ، أى في جاسة ٣٠ من شهر سبتمبر لمجمع العلماء ، بأنه درس مسألة الفونوغراف درساً مدققاً ... فرأى أن مسائلها مسألة تدليس ، وأن الصوت الذي يرن منه ليس منبعثاً من الفونوغراف نفسه ، ولكن من بطن مقدمه . ثم قال (أى العلامة بويو) : « ولا يعقل أن المعدن يستطيع محاكاة الجهاز الصوتي الشريف للإنسان » . فلم يكن الفونوغراف في نظره إلا من الأوهام .

قال الأستاذ كاميل فلامريون متابعاً سرد أمثال هذه الحوادث :

« لما حلل الكيماوى الكبير (لافوازييه) الهواء الى عنصريه المعروفين الأوكسيجين والأزوت ، ناز عليه أكثر من عالم عظيم ، وانبرى له الكيماوى الأشهر (بوميه) أحد أعضاء المجمع العلمى ، ومخترع الأريومتر ورد عليه بقوله : « إن العناصر والأصول المكونة للأجسام قد اعترف بها وتحقق منها الطبيعيون في جميع العصور وفي كل الأمم . وليس من المحتمل أن توضع هذه العناصر التي عرفت منذ ألفى سنة بأنها بسيطة ، في عداد الأجسام المركبة ، كما أنه ليس من المحتمل أيضاً أن تعتبر حقيقية ، تلك الوسائل التي تقدم لنا لتحليل الماء والهواء ، ولا تلك الأدلة المستحيلة ! !

(ولا نقول أكثر من ذلك)، الداعية الى إنكار وجود عنصرى النار والتراب .
فإن الخواص المعترف بها لهذه العناصر تتعلق بجميع المعارف الطبيعية والكميائية
التي تحصلنا عليها الى الآن . وقد صارت هذه العناصر قواعد لعدد لا يحصى
من مكتشفات ونظريات تنبارى كلها فى الوضوح والجلال . وهذه المكتشفات
والنظريات يجب أن ترفع منها كل ثقة إذا اعتبر أن النار والهواء والماء والتراب
غير عناصر أصلية .

ثم عقب كاميل فلامريون على هذا بقوله :

« كل الناس يعلمون اليوم بأن هذه الأربعة العناصر التي دافع عنها بهذه الروح
العظيمة من التقوى، لا وجود لها، وأن الحق فى جانب الكيماويين العصريين بتحليلهم
الهواء والماء . أما عنصر النار الذي كان يقول عنه (بومييه) ومعاصروه بأنه الأصل
المولد للطبيعة والحياة، فلم يوجد إلا فى خيال أولئك الأساذة . انتهى ما أخذناه عن
الأستاذ كاميل .

بعد هذا نقول : إذا كان العقل البشرى، حتى فى عهد الراهن، لا يزال على هذا
النحو من الجمود على الأساليب التي أنس بها وألفها فيما يختص بعالم المحسوسات،
فما ظنك حيال العالم العلوى الذى يعلو بطبيعته السامية عن أن يتناول بوسائلنا العادية
فى الحكم على الأشياء؟

ليس العلم هو الذى يولد الشكوك فى العقول، وإنما هى النزعة الباطلة التي تخيل
للإنسان أنه يستطيع أن يدرك كل شئ بوسائله السكيلة، وأن ما لا يدرك منها
فليس له وجود على الإطلاق .

إن الإنسان مُنَى من جراء تمسكه بهذه النزعة فى مدى تاريخه العقلى بما كان يكفى
لأن يقفه إزاء ما يحمله موقفا أقرب الى الحكمة، وأجدر بطالب التثبت، ولكن
العلم الناقص هو الذى يمسكه فى دائرة الجمود على ما تعلمه، فلا يستطيع أن يتعداها

قيد شعرة ، فهو يتلقى العلم معتقدا أن جميع المعلومات التي يُفَضَّى بها إليه مقررات لا تقبل النقص ، وأنها نابتة الى حد أنها تعد والمحسوسات في مستوى واحد . والحقيقة أن العلماء الراسخين قد علموا أن جميع هذه المقررات يجب أن توضع في الميزان ، وأن تعرض دائما على محك النقد الدقيق حتى ما كان يتعلق منها بأصول الرياضيات والميكانيكا . وقد نقلنا في مقالات سابقة بعض تصريحات أقطاب العلم في ذلك فلا نعود اليه .

لهذا السبب تجد أكثر المتخرجين في العلوم يتوهمون أن ما حصلوه هو نهاية ما يبلغه الانسان من العلم ، وأن الموازين والمقاييس التي تحت أيديهم تكفي لأن يدرکوا بواسطتها ما هو موجود وما ليس بموجود ، وما هو ممكن وما هو محال . فتى دُعوا لينظروا في أمر من الأمور العالوية ، وزنوه بتلك الموازين ، فإن لم تتأثر به حكموا بعدم وجوده !

هنا لعل قائلا منهم يقول : هذه موازيننا فإن كان لديكم غيرها فآتونا بها ، فإن لفتمونا الى الموازين العقلية والذوقية ، فلا يخفى عليكم ما مُنيت به من النقد في العصور المتأخرة ، وهي إن كانت قد أقنعت أهل القرون الخالية ، فإنها اليوم لا تقنع أمثالنا ممن أدركوا الفرق بينها وبين الدستور العلمى العملى .

فنجيبه بأن الحق سبحانه وتعالى قد آتى هذه النزعة العلمية الحديثة بما يوفى بحاجتها ، فقد فتح على أقطاب العلم ، تحت اسم البحوث النفسية ، أبوابا من المشاهدات المحسوسة خرت أعناقهم لها خاضعين . ولكنهم لا يعيرون هذه البحوث التفاتا ، فإن ذُكِّرُوا بها قالوا إنها أوهام قوم مخدوعين ، وهي في الواقع تجارب ومشاهدات قام بها أقطاب العلم المتقدمين من أعضاء الأقاليميات ، وعمداء الجامعات ، فإن كان خصومنا يصرون بعدم هذا على موقفهم فالتبعة عليهم لا على نقص الموازين .

هذا هو السبب الرئيسى فيما يصادفه الرأى من تظاهر بعض المتعلمين بعدم الأثر

بغير المسائل المادية . وقد تبينت أنهم في هذا الشذوذ هم المقصرون ، وأن الحق جل شأنه آتى العقول في كل زمان بما أحست بالحاجة اليه من وسائل البحث والتحصيل ، والسمو الى أرق مراتب العلم بعالمى الشهادة والغيب مـ

محمد فريد ومجدي

فائدة اتحان الاخوان

في الحديث المرفوع : « المرء كثير بأخيه »

مما يجب على الصديق للصديق ، النصيحة جهده . فقد قالوا : صديق الرجل مرآته ، يريه حسناته وسيئاته .

وقالوا : الصديق من صدقك وده ، وبذل لك رفته .

وقالوا : خير الاخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان عنك .

وقال الشاعر :

فان أولى الموالى من تواليه عند السرور لمن واساك فى الحزن
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألّفهم فى المنزل الخشن
وأنشد المبرد لعبد الصمد بن المعدل فى ابراهيم بن الحسن :

يا من فدت نفسه نفسى ومن جعلت له وقاء لما يخشى وأخشاه
أبلغ أخاك وإن شط المزار به أنى وإن كنت لا ألقاه ألقاه
وأن طرفى موصول برؤيته وإن تباعد عن مشواى مشواه
الله يعلم أنى لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه
عدوا فهل حسن لم يحوه حسن وهل فتى عدلت جدواه جدواه
فالدهر يفنى ولا تفنى مكارمه والقطر يحصى ولا تحصى عطاياه

وقيل لبعض الولاة : كم صديقا لك ؟ قال : لا أدري ، الدنيا مقبلة على ، والناس كلهم أصدقاؤى ، وإنما أعرف ذلك إذا أدبرت عنى .

التفسير

سورة الرعد

- ١٤ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ، قُلْ سَمُّوهُمْ، أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ، بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ. لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ، وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ. مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا، تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ):

لقد نُصبت الأدلة، وقامت الحجة، وسطعت الآيات، ووضح الصبح لدى عيني. وإذا بقي منهم من بقي متمسكاً بعناده، ولم يفتح عينيه لهدى الله الذي جلاه عليه، فلنعرض لما أصر عليه: فإهي تلك العقيدة التي ملكت عليهم جوارحهم فلم يستطيعوا الحياد عنها ولا الفسك منها؟ أهي أن يجعلوا لله شريكاً ويسووه بما خلق؟ إن هذا هو العجب العجيب، وأعجب منه أن يصدر من ذوى الألباب: أفيستوي من وهب كل نفس قدرتها، وممكنها مما تاتي وما تذر، وأحصى عليها كل ما فعلت وما تركت، وأخذ عليها ما اجتاحت وما اقترفت، بل علم ما خطر ببالها وما أخفت في صدرها، وعلى

الجملة مَنْ هو قائم عليها بما كسبت ، يعلمه ويحصىه ، ويفيضه عليها بخلقه فيها حسبها اتجهت اليه إرادتها وتعلقت به رغبته ، أفهذا الفاعل لكل شيء ، والعالم بكل شيء ، والقادر على كل شيء ، والمحصى كل شيء ، أهذا يماثله شيء ؟ أهذا يساويه شيء ؟ أهذا يشرك به شيء ؟ وأين العقل الذى يتسع لهذا ؟ وأين اللسان الذى ينطق بهذا ؟ وأين الجوارح التى تسترسل فى العمل على مقتضى هذا ؟

اعلم أن كل هذا الإطناب تأخذه من حذف الخبر فى قوله جل شأنه : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » . واعلم أن هذا الأسلوب لإفادة مثل هذا الغرض مألوف معروف حتى فى مخاطب الناس فى محاوراتهم ومجادلاتهم فيما تشهده بينهم - ترى الاثنين يتجادلان فى شيء ، أحدهما فيه جد محق ، والثانى مكابر معاند ، فيُرى الحق فى إغغام مخاطبه يعمد الى موضع قيام حجته ومظهر الضعف فى رأى خصمه ، فيقول له كالتعجب : « أفترى صاحب تلك الآثار ، ومن جمع تلك المواهب ، وتجلت عليه صفة كيت كيت ؟ » ثم يسكت كالمستفتى عن التصريح بالباقي اكتفاء بما جلاه عليه مما يقيم الحجة ولا يدع للمكابرة سبيلا . وربما أردف سكوته بقوله مثلا : « عجا لك » أو « إن تفكيرك لحير ، أو « إن عقلك لعجيب التكوين ! » وهكذا مما لورجعت بنفسك الى مخاطب الناس فى محاوراتهم ومجادلاتهم لوجدت هذا الأسلوب مما يعين أصدق الإغانة على الإبانة . وكمن حذف هو أين من ذكر ، وكمن سكوت بلغ ما لم يبلغه الكلام الطويل .

وعلى هذا النسق جاء قوله تعالى : « أفمن شرع الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه » فإنك تكاد تنطق بما حذف وتقول : أى يكون كمن جعل الله صدره ضيقا حرجا ، أو يكون كمن أضله الله وأعمى قلبه وجعل على بصره غشاوة ؟ ولقد جاء الإرشاد الى هذا المحذوف على فرض أن يذهل عنه ذاهل فيما يلى ، ولكن بأسلوب النعى عليهم ، والتسفيه لرأيهم ، فى قوله تعالى : « وجعلوا لله شركاء » ، أى مع ظهور الأمر ووضوحه قد عمى عليهم فلم يفقهوا هذا الشأن الجلى ، فجعلوا لله الذى قام على كل نفس بما كسبت

ذلك القيام الظاهر الباهر ، جعلوا لله شركاء ؟ : فن هم ، وما هم ؟ قل سموهم ، دُلُّوا عليهم ، أظهروهم ، إنهم لأخفى من أن يعرفوا ، وأحقر من أن يوصفوا ، بل إنهم لأحقر من أن يكون لهم اسم يدل عليهم ، أو أثر يُعرفون به ، فن هم هؤلاء ؟ سموهم ، أشيروا إليهم ، دُلُّوا عليهم !

لعلك تمثلت هذا الموقف يكون بين المتجادلين ، فيخسأ المبطل ، وتعلو كلمة الحق ، ويصول على الباطل الذى يتوارى ويضمحل حتى لا يكون شيئاً . على هذا النسق العجيب العظيم يأتى جدل القرآن ، ولله الحجة البالغة .

ولقد كر عليهم بعد ذلك بما يخزيهم ويجعل الأرض تسوخ بهم فى أعماق هاوية مطأطئ الرءوس منكسى النفوس ، ذاك قوله عز من قائل : « أم تنبئونه بما لا يعلم فى الأرض » أى بلغ بكم الجهل بأنفسكم والغباءة والبلاهة أن زعمتم أنكم تنبئون الله العليم الخبير الذى خلقكم ولم تكونوا شيئاً ، والذى تعترفون بأن كل ما أنتم فيه من نعم إنما هو من هباته - وما كانوا لينكروا ذلك : ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله - تنبئونه بشئ علمتموه وما يعلمه ، تنبئونه بشئ اهتديتم إليه وخفى عليه ؟ قولوا ما شئتم إن استطعتم أن تفوه به ألسنتكم ، افصحوا أنفسكم وأفصحوا عما يجول فى خواطرهم إن وجدتم فى ماء وجوهكم ما يتحمل ما تجلبون على أنفسكم من خزي ، فهل ترى من حاله مثلهم إلا أن يغص بريقه وتزوغ عينه جائلة حواليه لا يهتدى لما يقول سبيلاً ؟ أما إن كل هذا ليتجلى فى أسلوب الجدل القرآنى العجيب ، ولله الحجة البالغة .

ثم كلمة « فى الأرض » فى الآية الكريمة تفيد معانى عدة :

أولاً - تلميح بأن مبلغ علمهم مهما تظاولوا لا يعدو ما فى الأرض .

ثانياً - التهويل عليهم بأنهم لا يستطيعون أن يزعموا الإحاطة بكل ما فى الأرض على سعتها ، فإذا علموا شيئاً فإنه لا يتجاوز بقعة الأرض التى يسكنونها

أو يترددون فيها ، وأنهم إذا علموا شيئاً فيها فقد خفي عليهم أضعافه مما خبأته الأرض ، فأين علمهم من علم مَنْ خلق الأرض وكل ما في الأرض ؟
ثالثاً — وهو ما قاله المفسرون فيها رأيت : أن الأصنام التي زعموها شركاء لله كانت في الأرض ، وأنها أخط قدراً من أن تسمو عن الكينونة في الأرض ، فأين هي وأين منزلتها من باري السموات والأرض ؟

هذا ولما ضيق عليهم مسالك القول بما تفهمه العقول ، انتقل بهم الى أسلوب آخر فقال : « أم بظاهر من القول » . أى أم تنبئونه بكلام لا يقصد به معنى معقول ، وإنما هو من الكلام الظاهر الذى إن ذهبته تتفحصه وتبحث عن حقيقته لا تجده شيئاً ولا يحوى شيئاً . وهذا شرح ما قاله المفسرون أن معنى ظاهر أى باطل .

يشبهه هذا الأسلوب — وللكلام الله المنزلة العليا — قولك وقد بان بطلان كلام من يحتاجك : « كأنك تمزح » أى إن كلامك لا يمكن أن يجد مجالاً من الجدى يسير فيه ، ولا مأوى من المعنى الصحيح يركن اليه ، فلم يبق إلا أنك في هذا القول تقول هراء أو تمزح مزحاً . وفي تنوين ظاهر معنى التحقير المستفاد من التنكير ، أى بشيء لا يؤبه له ولا يلتفت اليه ، ولا يهتم أحد بأن يعرفه . واختيار كلمة « القول » دون الكلام مثلاً للإشارة الى أن هذا الذى تنفوهون به لا يمدواً أنه شيء تتحرك به الألسنة وليس مما يقصد به الإفادة . قال ابن جنى فى خصائصه فى بيان الفرق بين الكلام والقول مامعناه : إن الكلام هو اللفظ من حيث يعطى الإفادة التامة ، والقول هو اللفظ من حيث يتحرك به اللسان . واستشهد على ذلك بتصاريف الحروف فى مادة — ك ل م ، ومادة — ق و ل ، فإن الأول فى تقلبات حروفها تعطى معنى القوة ، كملك وكل ولكم ، بينما الثانى يعطى معنى الحركة كقولهم : ولق إذا أسرع والولق الجنون وفيه من الحركة والاضطراب ما لا يخفى ، ويقال القلو لجمار الوحش السريع الحركة ، وقلا البسر يقوله ، فإنه يخف حينئذ أو يحرك على النار ، واللو : الحق ، ومنه الألو ، ولا تخفى حركته . وقد أطل

في ذلك صاحب الخصائص بما جمعه بينا واضحا . فترى أن قوله : « بظاهر من القول » يفيد من تحقير ما تحركت به ألسنتهم ما لا يفيدته التعبير « بظاهر من الكلام » مثلا ، إذ لا يليق هذا في مقام الخط من شأن ما يقولون .

لعلك لا تستطيل الكلام في بيان سر البلاغة في أسلوب القرآن الكريم حتى في اختيار الكلمة ، ولكل كلمة مع صاحبها مقام ، فقد أردنا أن نرشدك ببارقة الى نموذج من عجائب أسرار القرآن الكريم الذي لا تنفد عجائبه .

أما قوله عز وجل : « بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل » فهو من باب التسجيل عليهم والتعرض لهم أنفسهم ، بعد ما كمل الشرح واستبان الأمر في شأن مقاتلتهم ، فكأنه يقول : دع كلامهم ولا تعنى به ، فقد تبينت قيمته وارجع الى خص حالهم تجددهم ممن زين لهم سوء عملهم فأروه حسنا ، فكيف ينتظر منهم أن يهتدوا وقد انحرفت عقولهم وانعكست أفكارهم فخبوا سوء حسنا ؟ إن من وصل به فساد الطبع الى أن يظن الحسن قبيحا والقبيح حسنا ، لا يرجى له هدى ، ولا يتوقع منه إفلاح ، ولا يؤمل فيه فلاح :

مضى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم !

فوقع هذه مما قبلها موقع التسجيل عليهم والتدليس منهم ، على حد قولك : دع فلانا فقد فسد طبعه فلا أمل فيه . والتعبير عنهم بالاسم الموصول (الذين كفروا) بدل الضمير الذي هو مقتضى الظاهر ، بأن يقال : زين لهم ، لمزيد التشنيع عليهم وإيرازهم في الثوب اللائق . والمكر : الكيد والخديعة ، كانوا يكيدون للإسلام حتى يشوهوه في نظر الراغب فيه فيصرفوه عنه ، ويرون هذا من المهارة في المغالبة ، فيفرحون ويسترسلون ظانين أن قد ظفروا بباطل ، وهذا من تزوين مكرهم لهم ؛ وكانوا يخادعون فيموهون على البسطاء بخيالات يبرزونها في صورة الحقائق ، فإذا ما انطلت على فئة ضعيفة العقل فرحوا بها وراوا ذلك حسنا فتمادوا فيه . فالمكر إما في الكيد للإسلام ، وإما في التحايل على تصوير ما لا أصل له بصورة المحقق ، وكلاهما مما يروق في نظر الخذول بخذلان من الله ،

وقانا الله شر الخذلان ! وَمَنْ زين له سوء عمله فرآه حسنا لا ينتظر منه إلا أن يدوم ارتكاسه فيه ، ولا يفكر في التماس سبيل للخلاص منه ، فهم ألبتة قد صدوا عن السبيل .
 فقوله : وصدوا عن السبيل ، تدرج من الشيء الى ما يتبعه ويأتي بعده . وقد قرئ وُصدوا بالبناء للمفعول ، أى صدهم الله بخذلانه إياهم ، أو صدهم الشيطان بما وسوس لهم ، كقوله تعالى : « وزين لهم الشيطان أعمالهم » وقرئ وصدوا بالبناء للفاعل ، إما بمعنى أعرضوا ، من قولهم : صعد عن كذا أعرض عنه ، أو صدوا غيرهم لأنهم كانوا يصدون عن سبيل الله من أراد أن يؤمن . وتعريف السبيل بالآلف واللام المراد منه سبيل الله ودين الحق ، وكأنه للإشارة الى أنه هو الجدير أن يسمى السبيل ، إذ بوصل الى الغاية العظمى ، وهى السعادة الأبدية ، وأما غيره فلا يوصل الى مقصد ، فلا يستحق اسم السبيل .
 قال تعالى : « ومن يضل الله فإله من هاد » :

حكم حاسم فى أمرهم ، مؤيس من صلاح حالهم ، أى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ولا تبال بهم ، فهكذا إرادة الله فى شأنهم . وما أشبه هذا بأن يكون التسجيل الآخر فى شأنهم ، فليس لما أراد الله راد .

هذا ومعنى من يضل الله ، أى يختم على قلبه ويقض عليه بالشقاء . والتعبير يضلل كأنه لأن المرء فى حياته مقصدا يسعى اليه ويتجه نحوه ، وهو إحراز السعادة والنعيم المقيم ، فإذا سلك فى عمله مسلكا لا يصل به الى هذه الغاية كان كمن ضل الطريق فى سيره ، فكلما ازداد سميا ازداد عن مقصده بُعدا . هذا هو شأن الضال الذى يسير على غير هدى ، والمرء قد يضل ثم يهتدى ، ولكن هل من كان إضلاله من الله وبختم الله على قلبه ينتظر أن يتخلص من ضلاله ؟ كلا ، لا سبيل الى هذا ، فلا يغلب الله غالب ، ولا يعارض إرادته معارض .

« لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق » :
 بعد أن تم القول فى صفاتهم ، وسجلت عليهم الضلالة الدائمة التى لا ينتظر مفارقتها

لهم ولا مفارقهم لها ، لم يبق إلا التطلع لجزائهم الذى يستحقونه ، ونتيجة تلك الحالة السوءى ، وبيان عقابهم وما يستحقون ، وهذا ما بينه تعالى بقوله : « لهم عذاب فى الحياة الدنيا » أى عذاب شاق . وهذا مستفاد من قوله : « ولعذاب الآخرة أشق » فإنه يفيد اشتراك العذابين فى أصل المشقة وزيادة عذاب الآخرة فيها ، كما هو شأن اسم التفضيل . وعذاب الدنيا الشاق منه التعرض للقتل والسبى ، ومنه حرمانه مما يترتب على مصائب الدنيا من أجر الصابرين إذا كانوا مؤمنين ؛ ومنه ما يلحق الكافرين من ألم الحيرة وعدم طمأنينة النفس لبرد اليقين الذى من الله به على المؤمنين . وأما كون عذاب الآخرة أشق ، فلشدته ، ولتعدد أنواعه ، وخلوه من مخالطات النعم التى توجب نوعا من الراحة ، بخلاف مصائب الدنيا فإنها مشوبة بنعم تخفف وقعها ، ثم لدوامه وخلوده وعدم انتظار فرج ومخلص منه . وكفى بهذا الأخير موجبا للمشقة .

وقوله تعالى : « وما لهم من الله من واق » نحتيم للدوام ، وقطع لأمل انقطاعه عنهم ، وكأنه فى مقابل انقطاع الأمل من رجوعهم عن غيهم وإقلاعهم عن ضلالهم . ومن الجارة فى قوله : « من الله » متعلق بواق ، ومن فى « من واق » زائدة لتأكيد عموم النفي ، أى ليس لهم واق يقيمهم من عذاب الله .

« مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها ، تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار » :

جرت عادة القرآن الكريم أن يردف آيات العذاب والوعيد بآيات الرحمة والوعد ، ليكون المرء بين عامل الرغبة وعامل الرهبة ، فبعد أن يزججه بوعيد العذاب حتى يصير من الهول متلفتا ذات اليمين وذات الشمال يبتغى المهرب والفرار مما أزعجه وملا بالربح جوانحه ، يلوح له بالمرغب ، وهو ما أعد الله من دار الكرامة والتعظيم لعباده المؤمنين ، وهذا ما ذكره عز وجل هنا .

والمثل معناه الصفة ، وأكثر ما يستعمل فى الصفة التى تجلو الموصوف واضحا

وتصوره كأنه مائل أمامك ؛ أو الصفة العظيمة العجيبة التي تجعل الموصوف كأنه مثل يتمثل به لغرابته وعظمه الذي يتعجب منه ، فكأنه مضرب الأمثال . وإذا كانت (مثل) بمعنى صفة فهي مبتدأ ، والخبر قوله : « تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها » ، ولا يحتاج هذا الخبر الى ضمير يعود الى المبتدأ ، لأن ما في جملة الخبر هو عين الصفة الخبر عنها . وقد وصفت الجنة بصفات ثلاث :

١ - تجري من تحتها الأنهار ، وهذا مع ما يعطيه بحسب العادة من ضمان استمرار النضرة والازدهار في أشجارها وثمارها ، يعطى معنى الابتهاج والسرة والغبطة المقيم فيها المشاهد لها .

٢ - أكلها دائم ، وهذا مع ما فيه من ضمان دوام النعيم ، يعطى راحة النفس بآمنها من الانقطاع ، فليست النعمة فيها عرضة للزوال ، ولا النفوس قلقلة من الخوف عليها من ذلك .

٣ - وظلها ، أى دائم أيضا . والمعنى لا شمس فيها ولا زمهرير ، ولا ظامة تقبض النفس ، فإن حالة الظلام لا تسمى ظلا ، وإنما يقال الظل للحالة التي فيها ضوء خال من ضح الشمس المحرقة والظلام القابض . وأما قولهم : فى ظل الليل ، فمن باب التجوز كما يقولون : فى كنف الليل ، كأن الليل بستره عما يهدده قد آواه الى ظله ، وذلك كما يقال : عاش فلان فى ظل فلان . والظل إنما يمتن به إذا لم يلبسه البرد الفارس والزمهرير . وهذه الصفات ترى فيها المقابلة لما أشير اليه فى جانب عذاب الآخرة للكافرين بقوله : « أشق » على ما سبق بيانه .

هذا ولا معارضة بين قوله تعالى : « أكلها دائم وظلها » وبين قوله جل شأنه : « كل شئ هالك إلا وجهه » ، فإن دوام الأكل معناه دوام نوعه بتجدد أشخاص متتالية ، وكل شخص فأن هالك ، ويتجدد غيره من نوعه . ويرى بعضهم أن معنى فإن أى قابل للفناء ، لأنه لما كان ممكنا لا وجود له من نفسه فوجوده عرضة للزوال ، فيصح إطلاق الهلاك عليه نظرا لهذا المعنى .

« تلك عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار » :

التصريح بهذا مع علمه من سياق حال الفريق الأول ووعيده بنزول العذاب في الدنيا والآخرة، لأن في التصريح في مقام الترغيب والترهيب ما ليس للدلالة الضمنية والإشارية. كيف والغرض هو ملء القلوب بالرغبة والرغبة، وهذا يستدعي أجلى ما يكون من الإيضاح والتصوير ؟ وعقبي الشيء آخره ومنتهى أمره ، مأخوذ من عقب الرجل وهو آخر ما يرى من أثره . « واتقوا » من الوقاية وهي الحفظ . والاتقاء منه اتقاء الكفر بالإيمان ، واتقاء المعصية بالطاعة ، واتقاء الاسترسال في المباحات والشبهات بالورع والزهد . ويصح أن يكون المراد اتقوا عذاب الله وغضبه ، كما في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا آمنوا أنفسكم وأهليكم نارا » أى احفظوها منها . فعنى اتقوا على هذا تحفظوا من أن يصيبهم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة الذى هو أشق .

وقوله : « وعقبي الكافرين النار » تصريح لزيادة التقرير لما علم من قوله : « لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق » وليكون عرض الفئتين معا في صعيد واحد أبين لحال كل منهما ، فأبين ما تكون النعمة إذا قورنت بالنقمة ، وأبين ما تكون النقمة إذا قورنت بالنعمة .

اللهم إنا نرجو رحمتك ونخاف عذابك ، فوفقنا لطاعتك ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

ابراهيم الجبلى

من آداب المجالسة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا جلس إليك أحد فلا تقم حتى تستأذنه .

جلس رجل الى الحسن بن على عليهما الرضوان فقال له : إنك جلست إلينا ونحن نريد القيام أفأناذن ؟

قال سعيد بن العاص : ما مددت رجلى قط بين يدى جليسى ولا قمت حتى يقوم .

أَسْئَلَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ

وردت على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ يوسف
الدجوي خاصة فاجاب عنها ، ونحن ننشرها تعمياً لفائدتها

التصوير :

ما حكم الصورة الفوتوغرافية أو الفنية للإنسان أو حيوان أو غيرها كالأشجار
من حيث النظر والاستصناع ؟

الجواب :

يباح التصوير إن كان لصورة غير حيوان كالأشجار والبناء ، ويباح النظر للصورة
سواء أ كانت كاملة أم ناقصة ، لها ظل بأن كانت جسمية أم لا كالفوتوغرافية .
أما إن كان التصوير لحيوان سواء أ كان إنساناً أم لا ففيه تفصيل : فإن كانت الصورة
لا ظل لها كالفوتوغرافية كره عملها والنظر اليها ، وإن كان لها ظل فاستصنائها والنظر
اليها حرام إن كانت تامة الأعضاء ، وإلا ففعلها والنظر اليها مكروهان أو خلاف
الأولى .

هذا كله مقتضى مذهب مالك ، والله أعلم .

الصلاة خلف مرتكب الكبيرة :

هل تصح الصلاة خلف مرتكب الكبيرة أو لا ، وعلى الصحة فهل مع الجواز
أو الكراهة ؟

الجواب :

لا تشتط العدالة في الإمامة على الصحيح ، وإنما هي شرط كمال فقط . فالصلاة خلف

مرتكب الكبيرة صحيحة مع الكراهة . ونص المتون عندنا معشر المالكية أنه يكره إمامة فاسق بجارحة ولو لثله على الصحيح ، أى وتحرم خلف فاسق العقيدة ، والله أعلم .

على اللجنة :

هل يجوز خلق اللجنة أو يحرم ؟

الجواب :

خلق اللجنة حرام لما ورد « قصوا الشوارب واعفوا الله » . والأمر يحمل على الوجوب ما لم يصرفه صارف عن ذلك .

نعم إذا طالت كثيرا يستحب تقصيرها لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم « كان يأخذ من عرض لحيته وطولها » . وهل المطلوب التقصير بقدر ما تحسن به الهيئة أو تقصير ما زاد على القبضة ؟ قولان ، الظاهر منهما الأول .

ومن أرباب المذاهب من يقول بالكراهة فقط . فعلى من ابتلى بذلك وكان يشق عليه الخلوص منه كالعسكر مثلا ، أن يقلد المشهور من مذهب الشافعى مثلا ، والله أعلم .

ثبوت رمضان بالرأى :

وجاءنا من البحرين من حضرات الأفاضل أصحاب التوقيع ما نصه :
حضرة الأجل الفاضل علم الفضائل الشيخ يوسف الدجوى المحترم ، حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فنفيد فضيلتكم أنه فى دخول شهر رمضان السنة الماضية فى أول ليلة منه وردتنا أنباء من مصر بواسطة الراديو برؤية هلال رمضان وثبوت الشبوت الشرعى بمصر ، والحال أنه فى تلك الليلة لم ير الهلال عندنا بالبحرين . وبسبب أننا لا نعرف المذيع لهذه الأخبار ولا من تصدر عن أمره توقفنا عن تبليغ الصيام تلك الليلة اعتماداً على هذه الأنباء . وقد كتبنا لمجلة الأثر إذ ذاك فلم تكتب شيئاً فى الموضوع . فرجانا من فضيلتكم الإفادة الشافية عن ذلك .

الداعون لكم بخير قضاة محكمة الشرع بالبحرين

محمد عبد اللطيف ، عبد اللطيف سيد محمد ، عبد اللطيف على

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد فقد نص في مذهب مالك رضى الله عنه على أنه إذا ثبت شهر الصوم لدى حاكم وإن لم يحكم به ونقل ذلك الثبوت الى جهة أخرى بواسطة رجلين عدلين أو جماعة كثيرة يفيد خبرهم العلم بمضمونه أو الظن القريب منه ، أو بواسطة رجل عدل ، فإن الشهر يثبت في حق أهل الجهة المنقول اليها ، ويجب عليهم الصوم بناءً على ذلك الخبر ، فإن المسألة من باب الرواية التي يكفي فيها خبر العدل الواحد ، وإن كان ثبوت الشهر عند مالك لا بد فيه من عدلين رأيا الهلال أو جماعة مستفيضة .

ونص المالكية أيضا على أنه يعتمد في الصوم والفطر على القرائن الدالة عادة على ثبوت شهر رمضان أو شوال ، كصوت المدافع وإضاءة المآذن ، كما يعتمد على صوت المؤذن في معرفة وقت الصلاة ، لجرى العادة بتوجيهه إلا نكار الشديد اليه من جماعة المسلمين لو كذب .

ونص مولانا الشيخ عليش في فتاويه على أنه يعمل بالإشارات التلغرافية في الصوم لأن التلغراف أداة معتبرة للتخاطب من المسافات البعيدة والقريبة بين ملوك العالم وحكامهم والناس أجمعين ؛ وعلى أن من أفطر في رمضان بعد وصول خبر الصوم له بواسطة السلك متأولا بأن هذا الخبر مبناه أقوال المنجمين التي لا تعتبر في ثبوت الشهر شرعا ، فإنه تجب عليه الكفارة (فضلا عن القضاء) لأنه متأول تأويلا بعيدا لجهله وسوء ظنه فلا عبرة بتأويله . (وألفت نظرك لجعله ذلك جهلا وسوء ظن) . والراديو بتلك المنزلة . ولا يتصور أن يذاع مثل ذلك الخبر في المذياع الذي يخترق الآفاق شرقا وغربا من غير أن يكون له حقيقة ، فإن في ذلك كذبا على المحكمة الشرعية التي أخبر أنها أثبتت رؤية الهلال ، وفيه تعريض الحكومة والأمة لما لا ينبغي لدى الأمم الأخرى . ومن ذا يعرض نفسه لتبعة ذلك وما يترتب عليه في مثل تلك الفريضة

التي يهتم بها المسلمون غاية الاهتمام ؟ وأكبر ظني أن القانون يعد ذلك من الجرائم ويعاقب عليه . فالجناية إذا مضاعفة وماسة بشرف الأمة والحكومة جميعا ، وذلك كله موجب لتصديق الخبر والاعتماد عليه . على أن الظن كاف في هذه المسائل الفرعية ، ولا عبرة بتلك الاحتمالات العقلية .

الخلاصة :

واختلاصة أن مدار وجوب الصوم في رمضان والفطر أول شوال على الظن الغالب بثبوت شهر الصوم أو الفطر .

وحيث إن الغالب في الأخبار التي ترسل بواسطة التليفونات أو التلغرافات السلوكية واللاسلكية أو المذياع إنما هو الصدق بعد تحرى الحقيقة ، وإن كان المذيع أو عامل التليفون والتلغراف قد يكون غير عدل شرعا أو اختلفت حكومة الجهتين المنقول منها وإليها ، فذلك لا يمنع غلبة الظن التي هي مناط العمل بالأحكام الشرعية العملية كأحكام الصوم والصلاة وما إليهما من المعاملات ، فإن الشارع جلت حكمته لم يكلفنا في العمل بالقطع واليقين دفعا للخرج (وما جعل عليكم في الدين من حرج) . ومعلوم أن الأحكام العملية يكفي فيها الظن وأنه لا يجب فيها اليقين . وقد قالوا : إن غلبة الظن في دخول وقت الصلاة كافية ، وقالوا : إن المجتهد يجب عليه العمل بما أداه إليه اجتهاده ، وإن المسائل القطعية ليست من مباحث الفقه . ولا يعقل في الملة الحنيفية السمحة التي تقول : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وتقول : « إن هذا الدين يسر » إلا هذا .

ولو قلنا إن أخبار المذياع والبرقيات السلوكية واللاسلكية لا يعمل عليها بناء على هذه الاحتمالات ، لو صمنا الدين الاسلامي البعيد النظر الواسع الحكمة بالجمود الذي يبرأ منه وينعاه على أهله ، ولصيرناه مضغعة في أفواه أعداء الدين ، وسخرية بين الزنادقة والملحدين ، ولكان غير صالح لكل عصر من العصور ، وحاشاه من ذلك .

ولو فرضنا أن المذيع أو عامل التليفون غير عدل أو غير مسلم لم يضر ذلك شيئاً، لأن الخبر ليس منه، وإنما هو مأمور بتوصيله إلى الجهة المعنية. فهو كالبريد الذي يحمل الرسائل.

وعلى كل حال فليس هناك معنى لأن يغلب على ظن الانسان ثبوت رمضان بأى وسيلة من الوسائل التي تحتف بها القرائن الموجبة لغلبة الظن ثم يصبح مفطراً بعد ذلك. ولا شك أنه قد وجدت وسائل كثيرة في هذا العصر لم تكن معروفة في العصور الأولى.

والمدار في كل ذلك على حصول المقصود الذي هو الظن الغالب. والحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا. (وإلا لم تكن الوسيلة وسيلة، بل كانت مقصداً وقد فرضناها وسيلة). والشارع لم ينط الأحكام إلا بحصول الظن الغالب.

فهذا هو اللائق بنظر الاسلام الواسع حتى يكون دين العصور كلها والأأم كلها، وتكون حجته قائمة على المخالفين في كل زمان ومكان. نعم بعض الأحكام العملية لا يثبت عند الاحتمال وقيام الشبهة كوجوب القصاص في الجناية على النفس، ولكن ذلك لدليل خاص كقوله صلى الله عليه وسلم: « ادرءوا الحدود بالشبهات » وذلك لخطر القصاص. هذا ما نقول به ولا نفتى بشيء سواه.

نسأل الله أن يعصمنا من الزلل، ويمنعنا من الخطل، وأن يلهمنا الرشيد في العلم والعمل، ولا يكلنا لأنفسنا طرفة عين بمنه وكرمه
يوسف الدموي
من جماعة كبار العلماء

علامات الجاهل والحمقى

قال أبو الدرداء: علامة الجاهل ثلاث: العجب، وكثرة المنطق، وأن ينهى عن شيء ويأتيه. وقال ازدشير بحسبكم دلالة على عيب الجاهل أن كل الناس تنفر منه ويفض من أن ينسب إليه.

نظرة جامعة في تاريخ الاسلام في بولونيا

وأحوال المسلمين فيها

كان المسلمون بعد أن انقسمت بولونيا بين روسيا والمانيا والنمسا يرجعون في كثير من شئونهم الدينية الى مفتى بلاد القرم، ونظرا للاضطرابات السياسية في ذلك الوقت لم يكن اتصال المسلمين البولونيين بهذا المفتى ميسورا في جميع الأحيان، وظلت الحالة على ذلك الى أن استقلت بولونيا سنة ١٩١٨، وبدأ المسلمون البولونيون يفكرون في تكوين جمعية إسلامية، فتم لهم ذلك سنة ١٩٢٥، ودعت هذه الجمعية المؤتمر الاسلامي البولوني للانعقاد في مدينة فيلنو حيث انتخب الحاج دكتور يعقوب شينكييفتش مفتيا أكبر لمسلمي بولونيا، وقرر مجلس النواب البولوني انتخابه، واعتمد المبالغ اللازمة للإتفاق على إدارة الافتاء، وصرف رواتب الأئمة والمؤذنين ونفقات تشييد المساجد وإصلاحها، وبلغ ما تعتمد الحكومة في هذه الشئون حوالي ٦٦٠٠٠ زلتي (يساوي ٢٤٤٤ جنيه مصري أو ٤٤٤ مليم) بما فيها ٢٠٠٠٠ زلتي تخصص لإصلاح وتشييد المساجد. ويلاحظ أن هذا المبلغ ليس بالقليل بالنسبة لعدد المسلمين في بولونيا.

ومركز إدارة الافتاء يوجد في إحدى دور الحكومة الكبرى في مدينة فيلنو، وبذلك فهي لا تتحمل مصاريف إيجار، وتتألف تلك الإدارة من المفتى الأكبر وقاضي المسلمين والسكرتير العام، ويشرف المفتى على أعمال الأئمة والأوقاف، وله وحده حق الافتاء في شئون المسلمين الدينية، ويتولى صرف الاعتمادات حسب ما يترأى له ومباشرة حركة الوعظ والإرشاد، ويتولى القاضي الفصل في الأحوال الشخصية للمسلمين كالزواج والطلاق والنفقة والميراث، ويقوم المفتى بالإشراف بجانب ذلك على تفتيش المساجد.

بجانب تلك الهيئة المركزية في مدينة فيلنو توجد جمعيات أخرى منتشرة في الأقاليم التي يقطنها المسلمون . وتتكون كل جمعية إقليمية من خمسة أعضاء يرأسهم إمام الدائرة التابعة لها هذه الجمعية وأربعة أشخاص آخرون ينتخبون لمدة سنة كاملة من مسلمي تلك الدائرة، ولا يتم إقرار انتخابهم إلا بعد موافقة المفتي الأكبر، وتتولى هذه الهيئات تنظيم المقادير الإسلامية وإصلاح المساجد ومباشرة الأوقاف داخل الأقاليم .

عندما يراد انتخاب إمام أو مؤذن في بلد ما يجتمع مسلمو هذا البلد في جمعية عمومية ويجرى الانتخاب كالمعتاد، إلا أنه لا يحصل إقرار المنتخبين إلا بموافقة المفتي الأكبر، وليس للحكومة أن تتدخل بعد ذلك في هذه الشؤون، بل تترك للمسلمين أنفسهم حرية التصرف في أعمالهم الدينية وانتخاب ما يشاءون للإفتاء والإمامة وغيرها من الوظائف الدينية المختلفة .

تشبه المساجد في بولونيا المساجد القروية في مصر في بساطتها، إلا أنها تختلف عنها في بنائها، فأغلبها من الخشب، وهي خالية من كل زخرف وزينة، صغيرة الحجم نسبياً، ويبلغ عددها ستة عشر مسجداً موزعة بين البلاد التي يكثر فيها المسلمون، وأهم هذه البلاد مدينة فيلنو ونوفاجرودك وأسلونيم كما أسلفنا، ويحتوى كل مسجد على مئذنة ومنبر يبلغ عادة من ثلاث إلى سبع درجات كما كانت عليه الحال في صدر الإسلام، ويوجد قسم مخصوص للسيدات في خلف المسجد مفصول عن قسم الرجال بحاجز من الخشب به نوافذ ذات ستائر من القماش الخفيف يسمح لهن بسماع القرآن والخطبة، ولهذا القسم مدخل خاص منعاً لاختلاط الرجال بالنساء في مكان واحد وقت العبادة .

ينتمي أغلب المسلمين البولونيين إلى مذهب أبي حنيفة النعمان، ومعظم كتبهم الدينية منقولة عن الكتب الموجودة في تركستان وغيرها من البلاد الإسلامية الواقعة على ضفاف نهر الفلجا وشبه جزيرة القرم، وتنقسم تلك الكتب من الوجهة الشكلية إلى قسمين :
أولاً - كتب مكتوبة بحروف عربية .

ثانيا - كتب مكتوبة بحروف لاتينية .

وتنقسم الأولى الى ثلاثة أقسام ، وهى :

(أ) كتب مكتوبة بحروف عربية ولغتها عربية أيضا .

(ب) كتب مكتوبة بحروف عربية ولكن لغتها جفانائية (إحدى اللغات

التركية التى كانت منتشرة فى القرن الرابع عشر ميلادية فى بلاد التركستان) .

(ج) كتب مكتوبة بحروف عربية ولكن لغتها بولونية .

وأهم هذه الكتب هى :

١ - القرآن الكريم وهو مكتوب باللغة العربية .

٢ - كتب التفسير وهى مكتوبة بأحرف عربية ولكن اللغة البولونية ، وتوجد

بعض النسخ مكتوبة باللغة الجافانائية وبهامشها ترجمة باللغة البولونية مكتوبة بحروف عربية .

٣ - كتب التجويد مكتوبة باللغة الجافانائية وبهامشها ترجمة باللغة البولونية

مكتوبة بحروف عربية .

٤ - كتب الورد ، ويطلق عليها فى بولونيا «حمائل» ، وهى كتب تحتوى على أدعية

بعضها مكتوب بلغة عربية والبعض الآخر باللغة الجافانائية ، وتحتوى غالبا على مقدمة

بالغة البولونية ، وتشمل علاوة على ذلك بعض الخطب الدينية وقواعد الوضوء والغسل

والفروض الدينية .

٥ - بعض كتب التاريخ ، ويشتهر من بينها كتاب اسمه « الكتاب » وهو

يحتوى على تاريخ الأنبياء ، والقصة النبوية والحديث وبعض بيانات عن قواعد الدين

الاسلامى وعن الأدب العربى الاسلامى وبعض القصص الأخلاقية مكتوبة بحروف

عربية ولكن لغتها بولونية .

٦ - بعض الكتب الدينية مترجمة الى اللغة البولونية ، ويشمل أغلبها بياناً عن قواعد الاسلام وتفسير القرآن وتاريخ بعض الأنبياء .

وبجهد مفتى بولونيا الأكبر في ترجمة بعض الكتب الدينية الى اللغة البولونية . يتلقى أبناء المسلمين علومهم في مدارس أهلية حيث لا فرق بين المسلم وغير المسلم . والنظام المتبع لتعليم الديانة في هذه المدارس هو أن يخصص للطالب ساعتان من كل أسبوع يحضر فيها على معلم ديني من ملته ، وتوظف الحكومة في مدارسها بعض رجال الدين من كل ملة ، فيحضر الطلاب المسلمون على أئمتهم والمسيحيون على قساوسهم وهكذا ، وتهتم الإدارة الدينية الاسلامية في نشر الثقافة الاسلامية بين أبناء المسلمين وحثهم على أداء فرائض الله عز وجل ، وتهتم بعض جامعات بولونيا بدراسة اللغات الشرقية وأصولها وخصوصاً اللغة العربية ، وتوجد مؤلفات مختلفة عن حضارة الاسلام . وللمسلمين الآن بعثتان تدرسان الدين في الخارج ، إحداها بالجامعة الأزهرية في مصر ، والثانية بالمدرسة الاسلامية في سارائيفو بيو جوسلافيا ، وهم يأملون أن يكون لهم معهد خاص في بولونيا لدراسة الدين الاسلامي .

في عام ١٩٢٥ تكونت الجمعية الاسلامية وأسست لها فروعاً في كل الجهات التي يسكنها المسلمون ، وأهم أغراض هذه الجمعية نشر الثقافة الاسلامية والتعاليم الدينية وجمع المعلومات عن تاريخ الاسلام ونفي الشبهات والتهمة التي ينشرها المفسدون ليسيئون سمعة الدين وتعاليمه القويمة ، ومن أغراضها العمل على تقوية أواصر الصلة بين مسلمي بولونيا والمسلمين في الخارج ، وللجمعية الاسلامية مجلس شورى مركزي مقره مدينة وارسو يقوم بدعوة المؤتمر الاسلامي البولوني كلما دعت الحاجة للنظر في بعض شئون المسلمين ، ويرأس هذا المجلس في الوقت الحاضر أوجرت كريتشتيسكي وكيل النائب العمومي في محكمة بولونيا العليا ، ويمثل هذا المجلس صوت مسلمي بولونيا جميعاً ، ويشترك النساء في انتخاب أعضاء المجلس ، وذلك عملاً بالحرية الممنوحة لهن كما أسلفنا .

عندما قامت الثورة في بولونيا كوّن البولونيون جمعية عسكرية للدفاع عن استقلال البلاد تحت رئاسة المرحوم المارشال بلسودسكى ، وانتشرت فروع الجمعية في أغلب الأقاليم البولونية ، تقوم بنشر الدعوة الى الاتحاد والعمل على خلاص البلاد من أيدي المغتصبين ، وقد حققت هذه الجمعية استقلال بولونيا عام ١٩١٨ فكان هذا داعيا الى تقوية مركزها وكثرة أعضائها في كل مكان .

كان يمثل المسلمين في هذه الجمعية فرقتان ، إحداهما في أسلونيم ، والأخرى في نوافجروذك ، تتمازان عن الفرق البولونية الأخرى التابعة لهذه الجمعية بزي أفرادها وقبعاتهم التي تحمل عادة إشارة مكونة من الهلال يتوسطها نسر أبيض ، وقائد هاتين الفرقتين الكولونيل مصطفى بيراشفسكى ، وللنساء حق الاشتراك في عضوية هذه الفرق ، فيتاح لهن بذلك التمرين على أعمال الجندية والشئون الحربية ، وهذا مظهر من أرقى مظاهر الاتحاد للقيام بالواجب نحو الوطن ، ولا فرق هنا بين المرأة المسلمة وغير المسلمة ، فكلهن سواء في الحقوق والواجبات .

على اسماعيل فورونوفتش ، محمد سيد الحموى

« يتبع »

فضيلة العلم

قيل للمهلب بن أبي صفرة : بم أدركت ما أدركت ؟ قال : بالعلم . قيل له : فان غيرك قد علم أكثر مما علمت ولم يدرك ما أدركت . قال المهلب : ذلك علم حمل ، وهذا علم استعمل . وقال بعض الحكماء : العلم قائد ، والعقل سائق ، والنفس ذود (أى جماعة من الابل) ، فان كان قائد بلا سائق هلك ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يميننا وشمالا ، وإذا اجتمعا أنابت طوعا أو كرها .

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة : من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون أدبيا فليتفنن في العلوم .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله ، وكفاك من علم الادب أن تروى الشاهد والمثل .

المنبوذون في الهند

كتاب السير محمد إقبال الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

لما ظهرت مسألة المنبوذين وافترض الحال أن يعنى الازهر بشأنهم من الناحية الدينية رأى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الازهر أن يتعرف آراء بعض كبار الهنود المسلمين فيما يجب اتخاذ من الالاهب لذلك ، فكتب لحضرة السير محمد إقبال وهو من أعرف الناس بتلك الشؤون هنالك يطلب رأيه فيما نحن بصدده . فوصل جوابه الى فضيلة الأستاذ الأكبر ، ونحن نشره لاطلاع القراء عليه :

يا صاحب الفضيلة : تسلمت كتابكم الكريم ، وأرجوكم العذر في تأخير الجواب عليه ، فقد كان لا بد لى من القيام ببعض الاستعلامات قبل الكتابة . لقد رجعت الى بعض الجمعيات الاسلامية والجمعيات التعليمية الكبرى بالهند ، وأستطيع الآن الاجابة عن النقط التى سأتم عليها .

لقد وفقتم بلا شك الى فكرة جلييلة باقتراحكم إرسال بعثة مصرية الى بلاد الهند . فإن الاسلام فى الهند يسير سيرا حثيثا على مر الأيام . ولا شك عندى أن اعتناق المنبوذين الاسلام سيكون فرصة نادرة المثل فى تاريخ الهند ، وينتظر أن يكون له أثر عظيم فى مستقبل الاسلام بآسيا جميعها . إن الدخول فى الاسلام ليس مقصورا على المنبوذين وحدهم ، ولكنه يجد طريقه أيضا ، وإن يكن ببطء ، الى البيئات الهندية العالية . ولا بد أنكم قرأتم فى الجرائد الهندية أن نجل المهاتما غاندى قد دخل فى الاسلام فعلا . ثم إنه لا يمضى أسبوع إلا ويدخل فى الاسلام واحد من الطبقة العليا من الهنود فى مساجد الهند .

إنه ليدولى أن قد حانت للاسلام بالهند فرصة الفرص . ومن العجيب أن هذه الفرصة قد أوجدتها قوة عظيمة لم يستطع أحد من قبل التنبؤ بها . أما فيما يتعلق بالمنبوذين فتقوم عقبة واحدة يكاد يكون التغلب عليها مستحيلا ،

لأن معظم المنبوذين يعيشون في جنوب الهند ، ويتكلمون ست لغات مختلفة ليس في إمكان إحداها التعبير عن سمو الأفكار الدينية ، ومن هنا يتضح لفضيلتكم صعوبة إيجاد مترجمين ينقلون خطب بعثتكم الى لغات المنبوذين . إن جمعياتنا الاسلامية لم تجد الى الآن حلا لهذه المعضلة . وعلى ذلك ليس محتملا أن تلاقوا نجاحا فعليا فيما يتعلق بأعمال التبشير حتى بمساعدة الجمعيات الاسلامية الهندية .

لقد استشرت جمعيتين من أكبر الجمعيات الاسلامية بالهند فأكدتا لي أنهما ستقومان بمساعدة البعثة المصرية بكل الوسائل الممكنة ، إلا أن هذا لا يذهب مخاوفى مما أبديته لكم .

وإنى على الرغم من ذلك أشعر أن ستكون زيارة البعثة المصرية للهند ذات أثر طيب في الحركة الاسلامية ، كما سيكون لها أثر في نشاط الجمعيات الاسلامية في هذه البلاد ، وستكشف للطبقة العليا بالهند أهمية الإخاء الروحي بين المسلمين وانتشاره في جميع أنحاء العالم . فإذا كنتم على الرغم من الصعوبة التي ذكرت ترون إرسال بعثة الى الهند ، فإنى أود أن أتقدم اليكم بالاقترحات الآتية :

١ - ينبغي أن تتكون البعثة من علماء عليهم سيما الوجهة ، ويستطيعون عرض الدين الاسلامي في ضوء الأفكار والتجارب الحديثة . وينبغي أن يكونوا ملينين بالحقائق والأرقام الدالة على كيفية رفع الاسلام للوثنيين بأفريقيا الى مستوى التمدنين .

٢ - ينبغي لهم في إقامتهم بالهند أو طوافهم بها أن يعيشوا على نمط يليق بسمعة المسلمين بمصر .

٣ - يجب أن يكون للبعثة سكرتير يقوم بالدعاية لأعمالها في مختلف بلاد الاسلام .

٤ - ينبغي أن تأخذ البعثة عند عودتها عدداً من شباب المنبوذين الذين اعتنقوا

الاسلام ليتعلموا بالأزهر، ويجب أن يظلوا به زمناً يكفي لتحويلهم تحويلاً تاماً الى الاسلام، من حيث المعيشة والأفكار. وهذا وحده يجعلهم في حل من أن يقولوا: « أمسيت كدياً فأصبحت عربياً ».

وهؤلاء كما لا يخفى عليكم سيكونون جمعيات إسلامية دائمة بعد عودتهم الى أهلهم كما هو شأن الجمعيات غير الإسلامية.

هـ — أرى أنه من المستحسن قبل قيام البعثة من مصر الاتصال بالمولوى سيد غلام بهيج المحامى بمدينة أمبالا. فهو عضو في البرلمان الهندى وسكرتير أكبر جمعية إسلامية في الهند. ولقد كتب الى يقول إنه سيساعد البعثة بكل الوسائل الممكنة. وإني لنى غنى عن أن أقول لكم إنه إذا قررتم إيفاد بعثة الى الهند فإن المسلمين الهنود سيرحبون بها ويلاقونها بكل حماس. إن جمهرة المسلمين كما تعلم فضيلتكم متيقظون في كل مكان، يراعون الإخاء الروحى الذى يتميز به الاسلام. وإن المسلمين في الهند مهتمون كل الاهتمام بفكرة اعتناق المنبوذين الاسلام. وهؤلاء وحدهم هم المعنيون بأمور الدين. أما الأغنياء من المسلمين فهم لسوء الحظ، ولأسباب لاداعى لتفصيلها هنا، لا يعمنون بشئون الاسلام.

وأرجو أن تتفضلوا بقبول فائق الاحترام م
المخلص محمد إقبال
رئيس جمعية انجومان — حماية الاسلام بلاهور

التوبة النصوح

قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً » قال المفسرون: هي أن يتوب العبد عن الذنب ناوياً عدم العود اليه.

قال ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد:

يا ويلنا من موقف مابه
أبارز الله بمصيانه
أخوف من أن يعدل الحاكم
وليس لى من دونه راحم

المنبوذون والدين الاسلامي

كتاب من الزعيم الهندي الكبير فالح لطيف جابا
المطالبة بإصدار فتوى شرعية عن الحجاب والختان
حقيقة حال المنبوذين والثنياز في الهند (١)

ما يزال المصريون يذكرون الزعيم الهندي الكبير الأستاذ خالد لطيف جابا نقيب المحامين في مقاطعة « لاهور » ، فقد زار مصر في العام الماضي وألقى في دار الشبان المسلمين بالقاهرة خطابا جامعا عن الحركة الاسلامية في الهند ، وموقف المنبوذين من أهلها ، وواجب العالم الاسلامي عامة ، والمسلمين في مصر خاصة نحو هؤلاء المستضعفين من أهل الهند ، وهم يؤلفون أكثر من ثمانين مليوناً من النفوس .

وقد علم القراء أن الزعيم خالد لطيف جابا من ثروة الهند وكبار البارزين فيها من العلماء، المفكرين ، وقد كان الى ما قبل أربع سنوات تقريبا « هندوكيا » قوى الشكيمة في الدفاع عن دين توارثه عن آباءه وأجداده ، وبرزت أسرته كحامية له ، فاستشرت في ذلك ، وساعدها المال الذي بين أيديها على الاحتفاظ بمركزها بين الهندوكيين ، فكان والده السرى الكبير وزيراً للداخلية ثم للأشغال ثم للعالية في كثير من الأوقات ، ثم مديراً لبنك أنشأه بماله الخاص فأرربى ما فيه على ثلاثة ملايين من الجنيهات .

وفيما كان هذا الزعيم الهندي (خالد لطيف جابا) يطوف ذات يوم في شوارع بور سعيد وهو قادم اليها في طريقه الى الهند عائداً من لندن ، سمع رجلاً يؤذن لصلاة العشاء في صوت عذب فوق مثذنة مسجد هناك ، فتمسكت الزعيم خالد نفسية أخذت

تدفعه الى التفكير في الاسلام ، ثم في الاقبال على دراسته والمقارنة بينه وبين غيره من الديانات ، حتى انتهى به الأمر الى نبذ « الهندوكية » واعتناق الدين الاسلامي .

وقد أقدم خالد لطيف جابا على هذا مضحياً بمقامه ومقام أسرته بين الهندوكيين ، ثم بما سيصيبه من ثروة والده الطائلة ، ولكن الرجل المؤمن — كما قال خالد لطيف جابا في أحاديثه بمصر قبل عام — يؤثر راحة الضمير على أن يصير اليه ملك هذه الدنيا ، وهكذا اشترى السيد جابا راحة ضميره ، وهو من أرقى المتعلمين وأكثرهم وزناً للحقائق ، فاعتنق الاسلام الحنيف ، ولم ترجعه عنه ضخامة الثروة التي تنتظره ولاسعة الجاه أو النفوذ الذي يتمتع به بين الهندوكيين ويشار اليه بالبنان بينهم .

نقول هذا لمناسبة كتاب تلقاه اليوم الأستاذ حامد المليجي المحرر بالبلاغ من هذا الزعيم الهندي الكبير رداً على كتاب كان قد بعث به اليه من مصر في شأن المنبوذين وماذا يراه الزعيم واجبا على المسلمين في مصر إزاء رغبة هؤلاء المستضعفين في التحول عن دينهم الذي جعلهم في أسفل طبقات الهنود . والى القراء ترجمة كتاب هذا الزعيم الهندي :

« إنني سعيد جداً إذ أسمع صوت صديقي الحميم الأستاذ حامد المليجي محرر جريدة البلاغ الشهيرة ، يدوي في مصر والهند ، بدعوة المسلمين للاهتمام برغبة المنبوذين في التحول عن دينهم ، فرسائل هذا الصديق لي ولاخواني المشتغلين بالمسائل الاسلامية عامة والهندية خاصة توحى اليّ وإليهم الفكرة الصالحة والأمل القوي ، في أن يتعاون المسلمون ليحققوا ما وصفهم الله به في قوله : « إنما المؤمنون إخوة » .

إن كتاب السيد حامد المليجي أعاد اليّ ذاكرتي ما صادفته في مصر قبل عام من حسن استقبال وتكريم ، وقد أثبتنا لي حقيقة ما كان قد ملأ سمعي من أخبار إكرام المصريين لضيوفهم ، زيادة عما عرف فيهم من عرافة الأصل وكرم الأرومة .

إن السنة التي انقضت بعد زيارتي لمصر عادت عليها وعلى الهند بفوائد كثيرة . وإني

لأرجو أن يكون من وراء استعادة المصريين لدستورهم، وتعديل الدستور الهندى، الخير العميم لهذين الشعبين الكريمين، وأقصد بهذا الخير أن تكمل حريتهما، فتتحقق سعادتهما.

وإنه ليسرنى كذلك أن أسمع أن الشعب المصرى مهم بمحركة المنبوذين فى الهند. والواقع أن القرار الذى أصدره المنبوذون فى مؤتمرهم فى « نازيك » كان من أهم حوادث السنة، فقد انتهوا فى هذا القرار الى ترك ديانتهم الهندوسية واعتناق أى دين آخر يحقق لهم المساواة فى الحقوق الاجتماعية.

وقد أثار قرارهم اهتمام شعوب الهند وزعماء طوائفها، وجرت على أثر ذلك مقابلات كثيرة بين هؤلاء الزعماء ورؤساء المنبوذين، ثم بينهم وبين الزعماء الآخرين من المنبوذين والهندوسيين والسيخ. ولست أخفى أن زعماء كل طائفة من هذه الطوائف حاولوا أن يضموا اليهم المنبوذين. وأهم ما حدث فى الاجتماعات فى هذا الصدد المؤتمر الكبير الذى عقد فى مدينة « شانجايا شارى » خلال شهر مايو الماضى لاختيار المنبوذين إحدى الديانتين الاسلامية والمسيحية، وقد كان لى شرف رئاسة الوفد الاسلامى الذى أرسل الى هذا المؤتمر.

إن عدة الملايين من المنبوذين، نصفهم يقيم فى جنوبى الهند، حيث تجرى المعارك هناك الآن بشأن الديانات، وحيث يبذل الماهاتما غاندى والبانديت مالفيا وزعماء آخرون من الهندوس غاية جهدهم فى سبيل التصريح للمنبوذين بحق التعبد داخل معابد الهندوس والحصول على الحقوق الاجتماعية الأخرى.

إن حركة المنبوذين اليوم تبدو كمسألة اجتماعية، ولكنها فى الحقيقة مسألة سياسية من الطراز الأول، فالهندوكيون لا يهتمهم فى الواقع أن يخرج عن ديانتهم هؤلاء المنبوذون والاثنجاس، وذلك لأن التقاليد المحددة التى يسيرون عليها تجعلهم غير قادرين على أن يتنازلوا عن امتيازات لهم على هؤلاء، فليس يخفى على أحد منهم أن تنازلهم هذا — إذا وقع — يؤدى الى قلب كل معالم الديانة الهندوكية.

ثم إن هناك أمراً آخر ذا أهمية عظيمة ، وهو أن الطبقة الراقية بين الهندوكيين لا ترى لخروج المنبوذين الأهمية التى يفرضها الكثيرون ، وذلك لأن هذه الطبقة تعتبر المنبوذين «نجسا» فى عقد النظام الاجتماعى ، وهم لهذا لا يهتمون خروج هذا العدد الكبير من الناس عن ديانتهم ليتحولوا الى الديانة المسيحية أو ديانة السيخ أو البوذية ، ولكنهم يخشون أن يتحول المنبوذون - وهم ٦٠ مليوناً - الى مسلمين ، فتتألف منهم ومن الوحدات الاسلامية الأخرى الكبيرة فى البلاد الهندية كتلة عظيمة متجانسة يكون لها تأثير قوى فى العالم الاسلامى قاطبة .

ولاشك أن الزعماء الهندوكيين يقدرّون هذه الحقيقة ، ولكن مسترغاندى سياسى عظيم يشعر بخطورة الأمر ، ولكن يتعمد إخفاء شعوره .

ولقد كان من أهم الحوادث وأخطرها أن هؤلاء المنبوذين بعد أن انتهوا الى قرارهم الذى أصدروه بنية صادقة وعزم أكيد وحزم بالغ بترك ديانتهم الهندوكية ، أخذوا يربون معابدهم ، ويحطمون أصنامهم ، ولم يكتفوا بذلك بل حرقوا كتبهم الدينية ومخلفاتهم المقدسة فى الميادين العامة على مشهد من الناس تأييدا منهم لما انتهى اليه مؤتمرهم من قرار الخروج عن الديانة الهندوكية .

لقد كانت حركة ترك المنبوذين والانجاس لدينهم الهندوكى نتيجة للجهود التى بذلها زعيمهم الدكتور « البيدكارز » . ثم جاءت حركة أخرى قام بها الزعيم الدكتور . ك . ب . نايل . اف كوشين ، أرشدت هؤلاء المنبوذين الى الديانة الاسلامية .

ولقد أعلن الدكتور ك . ب . نايل جهرة أنه بالدين الاسلامى فحسب يمكن لطائفته المنبوذة أن تجد لنفسها الحرية الكاملة ، والحقوق السياسية والاجتماعية .

إن الديانة المسيحية هى فى الواقع الخطر الخفيف للإسلام فى حركة المنبوذين والانجاس ، ولا يتأتى هذا الخطر من ناحية الحقوق والامتيازات التى يمكن أن تقدمها الديانة المسيحية لهؤلاء ، ولكنه يتأتى من رجال التبشير والأموال التى تغدقها عليهم الهيئات التبشيرية فى العالم .

ولست أخفى أن « المسيحية » لها في جنوبي الهند قدم ثابتة ، فكنائسها منتشرة في كل أنحاء البلاد ، وقد استطاعت الهيئات التبشيرية أن تجد لها أتباعا في جنوبي الهند فقط ، وليس من الصعب أن تجد أسباب هذا النجاح ، فإنه مائل في وجود عدد كبير جدا من المنبوذين في هذه المنطقة ، وقد يكون مائلا أيضاً في الطريقة السياسية « الحكيمة » التي سار عليها المبشرون في نشر دعوتهم ، وتتلخص هذه الطريقة في عدم التضيق على المنبوذين الحديث العهد بالمسيحية بالتقيد بتعاليمها الشديدة ، بل لقد ترك المبشرون الحرية لهؤلاء في اتباع ما لديهم من عادات وتقاليد قومية يقدسونها وإن تكن المسيحية لا تقرها وتستهجنها ، وقد ترتب على هذا استمرار قيام نظام الطوائف بين المنبوذين ، فمنهم منبوذون مسيحيون ، ومنبوذون هندوكيون ، ومنهم أنجاس مسيحيون ، وأنجاس هندوكيون ، وكل هؤلاء المسيحيون الجدد لا يتعبدون إلا في كنائسهم الخاصة ، ولا يجوز لهم التعبد في كنائس الطبقات الأخرى ، كما لا يجوز لهم الزواج من أبناء أو بنات الطبقات المسيحية الراقية هناك .

ولم يحقق اعتناق الديانة المسيحية للمنبوذين الأمل الذي كان يساور نفوسهم بتقرير مساواتهم مع الطبقة المسيحية الراقية ، بل بقوا على حالتهم التي وجدتهم فيها الديانة الهندوكية الشديدة الحرص على قيام نظام الطبقات بين أتباعها .

إن الحوادث الأخيرة التي وقعت في الأمبراطورية الحبشية والتي تحاول فيها أمة مسيحية القضاء بكل وسائل الهلاك على أمة مسيحية أخرى ذات كيان قديم ، قد ألفت علينا درساً بالغاً في لغتي السياسة والدين ، وهذا الذي يجب أن يستفيد منه الراغب في البحث عن ديانة جديدة له .

لقد فهم المنبوذون هذا الدرس فهما صحيحا ، وعلموا منه أنهم يجدون في الاسلام تبادل الأخوة الدينية بينهم وبين غيرهم من الشعوب الاسلامية الأخرى ، كما يجدون قواعد المساواة بينهم جميعا في كل الحقوق الاجتماعية والسياسية وغيرها .

وفى ولاية ترافانكور - مثلاً - يوجد نحو مليونين ونصف مليون من المنبوذين ، ثم نصف مليون فقط من المسلمين ، ولقد عهد الى هؤلاء المسلمون بالإجماع بطريق زعمائهم أن أبلغ رسالتهم الى مؤتمر شانجان شرى الذى عقده المنبوذون فى شهر مايو الماضى ، وكان مضمون هذه الرسالة أنهم - أعنى النصف مليون مسلم - يرحبون « بالثياز » أعنى « بالنصف مليون منبوذ » ويعتبرونهم إخوة لهم ، وقد تسلمت منهم إقراراً بهذه الأخوة من مسلمى جنوبى الهند .

وعلى هذا يعمل الدكتور نايل زعيم المنبوذين ، كما يعمل رفقاؤه من الزعماء ، على إقناع أتباعهم العديدين بضرورة اعتناقهم الديانة الاسلامية ، وليس هناك ريب كما أرى - فى أن هذه الفرصة عديمة النظير فى تاريخ الاسلام ، ويجب على المسلمين اعتناقها بكل الوسائل الشريفة التى يعرفها دينهم اللتين .

إن أعداء الاسلام يشيرون بأمرين على الذين هم على أبواب الاسلام ليلقوا الرعب فى قلوبهم . وهذان الأمران هما (Sircumscion, Purdah) الطهارة^(١) والحجاب

ومن طرق التبشير المسيحى المنتشرة فى الهند اليوم استخدام عدد كبير من المبشرات ليدخلن الى المنازل ويوزعن على أهلها الكتب الدينية ، وكنت وما أزال أرجو أن يكون بيننا عدد من المبشرات المسلمات ليقمن بتعليم نساء المنبوذين حقائق الاسلام . ولهذا المناسبة أستطيع أن أصرح بأنه توجد بين هؤلاء الذين يسمونهم « المنبوذين » نسبة مثوبة عالية من المتعلمين نساء ورجالاً ، وأن هؤلاء المتعلمين يسدون كل فراغ لحاجاتهم الاقتصادية ، فالذى نراه أن يكون المرشدون والمرشدات الذين يراد إرسالهم لإرشاد منبوذى الهند ، من المتعلمين الأكفاء قوين الحجة لكى يزيلوا كل أثر للمخاوف التى نشرها المبشرون والمبشرات من الإرساليات المسيحية عن الطهارة والحجاب .

ولو أتيح لكم أن تحصلوا لنا على فتوى شرعية من صاحب الفضيلة شيخ الجامع

(١) يريد بالطهارة الختان .

الأزهر بشأن هاتين المسألتين (الطهارة والحجاب) ، وأن تمجّلوا بإرسالها الى طائفة « الثياز » خاصة والمنبوذين عامة ، على أن تكون هذه الفتوى بشكل رسالة تبين فيها الأسباب الدينية الصحيحة المأزمة باتباع الطهارة والحجاب ، فانكم تقدمون بذلك خدمة جليلة أعتقد أن سيكون لها بين المنبوذين « والثياز » أعظم الأثر .

ولو أتيح لكم نشر الدعوة بين المسلمين في مصر وغيرها في الأقطار في سبيل جمع المال لهذا الغرض الشريف ، فسيذكر لكم مسلمو الهند هذا الصنيع الحسن بكل خير .

وفي الختام أود أن ترفعوا نيابة عني وعن مسلمي بنجاب أبلغ التحيات والاحترامات الى صاحب السمو الأمير الخطير عمر طوسون ، والى صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ، والى فضيلة شيخ الاسلام الأستاذ المراغي ، والى الدكتور عبد الحميد سعيد ، والى الأستاذ عبد القادر حمزه صاحب البلاغ (المصحفة الاسلامية الكبرى) والى الشعب المصري الكريم .

خالد لطيف جابا
عضو المجلس التشريعي

(مجلّة الأزهر) : عندما اطّلت مشيخة الأزهر على هذا الاستفتاء بادرت فأرسلت الى المستفتي بياناً شافياً في هاتين المسألتين ، وإليك نصه ، وهو :

الحجاب والختان في الاسلام

كُتِبَ اليَنا من البلاد الهندية أن طوائف من أهلها الهندوكيين يريدون أن يتخذوا الاسلام ديناً لهم ، ولكن عادتي حجاب النساء واختان تثبطانهم عنه بعض التثبيط . وقد طلب اليَنا أن نبدي رأينا في هاتين العادتين ، وعن مبلغ علاقتهما بالدين الاسلامي ، فلم نر بدا من تلبية هذا الطلب راجين أن يكون فيه هدى المسترشدين ، وبيان للمتثبتين .

شرع الله تعالى الدين الاسلامي ليكون ديناً عاماً للبشر كافة في كل زمان ومكان . فجاءت شريعته مراعية لجميع الحاجات المادية والمرافق العمرانية للأفراد والجماعات ، وضامنة كل ضروب الحريات الضرورية لهم في حدود الناموس الأدبي العام ، بحيث لا تنمأ كس هذه الحريات ومصالح الاجتماع ، ولا تتضارب والأخلاق التي هي أساس العمران . فليس يوجد بين النظم الدينية والاجتماعية ما يوفق بين مطالب الأرواح والأجساد ، ويربطها برباط وحدة وثيقة غير النظام الذي جاء به الاسلام .

لست بصدد تفصيل هذا الإجمال ، فلا أتعرض له إلا لبيان أمرين فيه هما مسألة الحجاب واختان ، وهما اللتان طلب اليَنا بيانهما .

الحجاب :

إن حجاب النساء كان معروفاً ومعمولاً به قبل مجيء الاسلام بقرون كثيرة في جميع الأمم المعروفة في المدنية . وقد أخذ عنهم اليونانيون والرومانيون على أقصى ما يعرف عنه من التشديد قبل الاسلام بأكثر من ألف سنة . وكان الاسرائيليون جارين عليه أيضاً على عادة معاصريهم .

فلما شرع الله الاسلام راعى في هذه المسألة ما راعاه في جميع المسائل الاجتماعية

من الاعتداد بالمصلحة العامة في حدود الناموس الأدبي العام، فأنزل قوله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

هذه الآية هي أطول آيات الحجاب ، وهي تنص على وجوب اتباع الجنسين على السواء للأداب الواجبة لأحدهما حيال الآخر .

ولما كان النساء محلا للفتنة خصوصا بالأمر بضرورة التصون في مخالطة الرجال وعدم إبداء زينتهن لهم إلا ما لا يمكن إخفاؤه منها أثناء مزاوتهن أعمالهن من خاتم وسوار . وقد أجمع الأئمة على أن الوجه والكفين ليسا بعورة ، وأن ليس على المرأة من بأس أن تزاو أفعالها خارج بيتها ، وأن تمارس مهنا لكسب قوتها على شرط ألا تظهر ما يثير العاطفة من جسمها كشرعها وجيدها وزينتها .

وما حدا بالاسلام الى وضع هذه القيود إلا المحافظة على النفوس أن تفسدها الشهوات ، والمجتمعات أن تحل روابطها الموبقات . وليس بخاف ما جرته هذه الشهوات على الأمم الخالية من الانحلال والزوال .

فالاسلام لم يفرض على المرأة أن تعيش كما تعيش الأنعام ، أو أن تسجن كما يسجن المجرمون ، ولكنه على العكس أمر أن تحضر الصلوات في المساجد في صفوف خلف الرجال ، وأن تشهد اجتماعات المسلمين العامة في الأمور الهامة ، ولم تمنع قط من إبداء رأيها فيها ، ومن أن تتعلم كما يتعلم الرجال ، وأن تتصرف في أموالها بكل وجوه

التصرفات بدون توقف نفاذها على زوجها أو والدها أو أى أحد غيرهما ، وأن تتعاطى ما تشاء من الأعمال الحرة .

هذه حقوق منحها الديانة الاسلامية للمرأة منذ نحو أربعة عشر قرناً ، فلم تصل اليها أية امرأة سواها في العالم الى اليوم .

والاسلام إزاء هذا كله لم يشرط عليها إلا حفظ كرامتها كمرأة شريفة غير متبذلة ولا متبرجة ، لتكون عضوا صالحا في المجتمع بدل أن تكون عاملة فتنة فيه .

هذه نزعة تقرر الاسلام عليها كل نفس شريفة ، ولا تصادف معارضة من أى فريق حتى أصحاب المذاهب المتطرفة .

الختان :

أما مسألة الختان فلا تصح أن تكون عقبة أمام الذين يريدون الاسلام ، فإن الختان كان معروفا عند بنى إسرائيل قبل مجىء الاسلام ، وقد اقتبسه عنهم العرب الجاهليون . فلما جاء الاسلام أقره ، شأنه إزاء كل عادة نافعة أو عمل صالح .

وقد قرر الأطباء أن الختان من أنفع العادات وأحفظها من الأمراض التناسلية . فإن القلفة بتغطيتها لرأس العضو تحتزن في طيها الأقياء ، وتكون موطنا للجراثيم الضارة . وغسلها من باطنها مرات في اليوم من الأمور المتعذرة . فإزالة هذه القلفة مما يندب اليه قانون الصحة . وقد علم أن بقاءها في الأم التي لم تعتد إزالتها قد كان سببا في انتشار الأمراض السرية . وهذه الأمراض لم تعرف في بلاد المسلمين إلا بعد اختلاطهم بحاليات الأم من طريق العدوى .

على أن الاسلام لم يوجب على أهله الاختتان إيجابا كما هو مذهب الامامين أبى حنيفة ومالك ، ولم يجعله شرطا للاسلام . فهو في نظرها سنة للرجال إن شاءوا أخذوا به تصونا وتطهرا ، وإن شاءوا تركوه .

أما للنساء فلم يصل الى درجة السنة في مذهب الامامين السابقين ، ولكنه عندها

كرامة لهن فقط . لذلك نجد أكثر المسلمين لا يختنون نساءهم . فالأتراك كافة والمغاربة والبرانيون والهنود وغيرهم لا يعملون بهذه العادة فيما يتعلق بنسائهم .
والعادة أن الاختتان يكون في السنين الأولى من الطفولة بين ثلاث وعشر غالباً .
وليس فيه كبير مشقة ولا يتوقع من ورائه خطر ، إذ أنه لا يتعدى قطع الجلد الزائدة المغطية للعضو مع عدم المساس بالعضو نفسه . ناهيك أنه يعمل بواسطة العارفين .
واختتان الكبار كاختتان الصغار ليس فيه أقل ضرر .

بقيت مسألة ربما نهم الذين يريدون الدخول في الاسلام جماعات غفيرة وهم كبار في السن ، وهي أن يعرفوا ما حكم الاسلام فيهم ؟ فالإجابة هؤلاء نوجه قول الحسن البصري رضي الله عنه ، وهو إمام الأئمة المجتهدين . قال العلامة ابن قدامة الحنبلي في المجلد الأول من كتابه (المغنى) في الصفحة السبعين عن الختان ما يأتي :

« والحسن يرخص فيه ويقول : « إذا أسلم لا يبالي أن لا يختتن . ويقول : أسلم الناس الأسود والأبيض لم يفتش أحد منهم ولم يختنوا » .

هذا ما رأينا أن نأتي به من حكم الدين الاسلامي في أمر الختان والحجاب . وقد تبين أن واحدا منهما لا يتأتى أن يكون عقبة في سبيله .
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

تعظيم العلماء للعلم وحده

قال محمد بن شهاب الزهري وهو من أئمة السنة الذي كلفه عمر بن عبد العزيز جمع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكتابتها ، قال : دخلت على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة ، فرآني أحدهم سنا . فقال : من أنت ؟ فانتسبت اليه . فعرفني . فقال : لقد كان أبوك وعمك نعاقين في فتنة عبد الله بن الزبير . قلت : يا أمير المؤمنين مثلك إذا عفا لم يعدد ، وإذا صفح لم يثرب . قال لي : أين نشأت ؟ قلت : بالمدينة . قال : عند من طلبت ؟ قلت : عند ابن يسار وابن أبي ذئب وسعيد بن المسيب . قال لي : وأين كنت من عروة بن الزبير فانه بحر لا تكدره الدلاء .

مع ان عروة هذا هو اخو عبد الله بن الزبير خصمه ، ولكنه عظم فيه العلم .

تاريخ حياة محمد

بقلم المستر فرانك هـ . فوستر

شبهات داحضة وجملة فاشلة

نُبهنا الى مقالة نشرت في مجلة العالم الاسلامي التي تصدر بالولايات المتحدة بأمريكا (the Moslem World) اشتملت على مطاعن في خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فرأينا أن نلخصها تباعا ، ونرد على ما جاء فيها من الأخطاء التاريخية والأضاليل المتعمدة . قال المستر فرانك هـ . فوستر كاتبها ما ملخصه :

« إن الكتابة الوحيدة التي وصلتنا من محمد في تاريخ حياته هي ما جمع منها في القرآن ، وهي وإن كانت غير مستوعبة لجميع ما يجب معرفته عنه فقد جمعت الكثير من حوادثه . والقرآن هو المصدر الوحيد الذي يصح الاعتماد عليه فيما نحن بصددده . أما التواريخ العديدة التي كتبت بعده بقرون كثيرة بأقلام كتاب متحيزين فليست لها قيمة في نظرنا . ثم شرع يورد حياة محمد صلى الله عليه وسلم على أسلوبه فقال :

« قبل ألف وخمسمائة سنة (كذا) ، ظهر في مكة رجل اسمه محمد ادعى أنه نبي ، فكان يجمع حوله جماهير من الناس في مسجد مكة العظيم أو في الطرقات ويخطبهم قائلا : إن الله أوحى اليه قوله : « اقرأ باسم ربك » .

« فلم يصدقه سامعوه ، إذ لم يتصف بصفات الرسل ، ولم يكن شخصا غير عادي ، محتجين بأنه يسير في الشوارع ويأكل كل الطعام ، فهلا أنزل معه ملك يؤيده ؟ ولم يتساءلوا ما هي الصفات التي تجعله رسولا ، فكذبوه ولم يحفلوا برسالته .

« ولقد تركنا محمد في جهل من ناحيته ، فلم يخبرنا بشيء عن مولده ، ولا عن أسرته ، ولا عن حياته في صغره ، غير ما قاله من أنه كان يتيمًا ، وأن الله عصمه من الزلل ، وأغناه

بعد عيلته . ولا شك في أن هذا الغنى الذى ناله ولم يبينه كان يستمد المعونة منه وهو نبى أيام إقامته بمكة .

« وفي الجملة قد أثار محمد على نفسه الازدراء بدعواه الرسالة عند ظهوره . وقد دعا نفسه النبى الأسمى ، وهذا ما لا يمكن قبوله لأنه كان في حاجة لأن يكرر قراءة كتابه أحيانا ليستظهره . ومع ذلك فلسنا نستنتج من عدم أميته أنه كان ذا اطلاع واسع ، فإنه لم يظهر شيئا من سمات المتعلمين الأديبة .

« ولم يذكر لنا شيئا عن زواجه ، ولكن المعروف أنه كانت له زوجات ، لأنه كان يذكرهن ، ولكنه لم يعين لنا أسماءهن . كذلك لم ينوه بشيء عن أسرته وعشيرته ، ولكن يمكننا أن نقول إنه كان من بيت ماجد ، فقد كانت أبهة السؤدد تبدو في كلامه منذ الساعة الأولى ، دالة على أنه كان ناشئا من بيئة ذات سلطان .

« ولا يوجد في القرآن ما يدل على صناعته أو تجارته في السنين التي سبقت رسالته . ولكن المعروف أنه كان يزاول التجارة ، بدليل أنه أمر فيما بعد أن يمتنع عنها . وأن ملاحظاته الدقيقة في الطبيعة ، والأشياء الجارية في المناطق البعيدة عن مكة ، تدل على أنه لابد أن يكون قد سافر الى خارج البلاد العربية .

« ولا مناص من القول بأنه اتصل باليهود والنصارى في وقت ما ، لأنه أرانا أنه يعرف قصص كتبهم التاريخية ، ويعرف التحريفات الشائعة في الانجيل . « هذا ملخص المعلومات الضئيلة التي أعطاناها محمد عن حياته قبل أن يبعث رسولا » .

هذه مقدمة بحث المستر فرانك هـ . فوستر ، وقد وضعها تحت رقم ١ ، ونحن قبل مجاوزتها الى ما كتبه تحت رقم ٢ نرى أن لابد من مناقشته فيها :

ردنا على ما ورد في هذه المقدمة :

لا يدهشنا أن يكون في الناس من لا يزال يكذب برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ،

ولكن يدهشنا أن نقرأ عن رجال ينزلون أنفسهم منازل الهداة والمرشدين أنهم يعتدون على أبسط قواعد الدستور العلمى فى بحوث فلسفية على أعظم جانب من الخطورة . ذلك أن المستر فرانك يخوض فى نفسية أعظم رجل فى التاريخ ، بشهادة الأجانب أنفسهم ، معتمدا على أصل اعتقادى موروث ، وهو أنه كان نبيا كاذبا . ولكن هذا الأصل السوروث لا يصاح أن يكون أساسا لبحث فلسفى خطير كالذى هو بصددده . فقد كان يجب عليه أولا أن يقيم الدليل القاطع على أنه كان كاذبا فى دعواه النبوة . فإن أنجح فى ذلك من طريق علمى مستقل لا أثر للوراثة الاعتقادية فيه ، ساغ له أن يبحث فى نفسيته من ذلك الطريق العلمى نفسه . أما وهو لم يفعل ، فقد ارتكب خطأ فاضحا ، وصار كل ما قاله بعد ذلك فى عرف المعاصرين مبنيا على عقيدة سابقة . وإنى سأبين فى هذه العجالة جميع ما طوحت به فيه تلك العقيدة من المضلل ، وما أوقعته فيه من الأخطاء الفاحشة ، والنظرات المضللة فنقول :

يظهر لنا أن المستر فرانك لم يقرأ سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد قال إنه كان فى مبدأ ظهوره يجمع الناس حوله فى مسجد مكة أو فى الطرقات ويخطبهم بأنه نبى ، فكذبته الناس ولم يؤمنوا به .

وكان الذى وقع أنه فى أول ظهوره دعا الناس سرا ، فأمن به عشرات منهم رجالا ونساء ، ثم أمره الله أن يجمع عشيرته الأقربين ويدعوهم للإسلام مجاهرا بالدعوة ، ثم أمره أن يدعو الناس جميعا واعداء إياه بأنه يعصمه منهم ، ففعل ، ثم كان ما كان من انتشار الإسلام حتى عم جزيرة العرب كلها ، ثم تجاوزها حتى وصل إلى أقصى حدود الصين شرقا ، وأقصى حدود أوروبا غربا ، فى عشرات معدودة من السنين ، مما لم يحدث مثله لدين من الأديان . فأعفى المستر فرانك نفسه من ذكر هذه النتيجة التى تعتبر من أجل الآيات الإلهية ، واكتفى بأن قال : فكذبته الناس ولم يؤمنوا به . ثم انتقل إلى سرد تاريخه من الكتاب الذى أنزل إليه ، باعتبار أنه هو الذى كتبته محمد بيده ، وشرع

يعيب عليه أنه أغفل فيه ذكر تاريخ مولده ، وحالة أسرته ، غير ما قاله من أنه كان يتيمًا وأن الله عصمه من الخطأ ، وأنه أغناه ولم يبين مبلغ هذا الغنى الخ الخ .

هذا طراز طريف في بحث النبوات ، ولكنها طرافة لا يُعْبِط عليها المسترفرانك ، لأن القرآن قدّم الى الناس باعتبار أنه كتاب جامع لتعاليم الاسلام ، لا باعتبار أنه كتاب تاريخ لحياة محمد ، حتى يسوغ للمسترفرانك أن يحصى عليه إغفالات ليست من موضوعه . وإذا كان القرآن لم يذكر تفصيل حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهل ذكر موسى عليه السلام تفصيل تاريخه في تورانه ، غير ما كتبه خلفاؤه بعد وفاته ؟ وهل ذكر عيسى عليه السلام مثل ذلك في كل ما قاله ابنى إسرائيل من تعاليمه ؟ وهل يستطيع المسترفرانك أن يأتينا بكتاب ديني واحد يذكر حياة الرسول الذي جاء به بتفصيل يوفى بشروطه ؟ وإذا كان هذا لا وجود له ، فكيف يطالب به القرآن الكريم ويسجل عليه خلوه منه ؟

إن الذى حدا المسترفرانك لأن يرتكب هذا الشطط هو مضيه مع عقيدته الموروثة ، وهى أن محمداً كان مدعياً ولم يكن نبياً . فإذا سلمنا له هذا جدلاً ، فلا يكون لما أحصاه على القرآن محل أيضاً ، فإن الادعاء يقتضى المحاكاة لا الشذوذ . فلا ندرى بعد هذا حكمة ما سجله المسترفرانك على القرآن من هذه الناحية !

وقد حاول المسترفرانك تشكيك قرائه في أمية محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل ما استطاع أن يستند اليه من الشبهات قوله : ليس من الممكن أن يكون محمد عاجزاً عن القراءة لا اضطراذه اليها من أجل استظهار كتابه بتكرار تلاوته .

أما التشكيك في أمية النبي صلى الله عليه وسلم فمحاوله محكوم عليها بالفشل من أول صدمة ، لأن هذه الأمية كانت إحدى الآيات التى تحدى الله بها الشاكّين في صدق نبوته ، فلو كان غير أحمى في الواقع ، لأصبح تأثيرها معكوساً ، كما هو الحال في كل معلوم يُتحدى الناس بضده .

هب أن محمداً كان قارئاً كاتباً، أفكان بهذه الميزة وحدها يرتفع عن مستوى معاصريه ،
 فيأتى بكتاب يعتبرونه معجزة ، ويصلح أن يكون دستوراً للملك لا تغرب عن ولاياته
 الشمس قروناً كثيرة ، وأساساً لتطورات اجتماعية ومدنية للشعوب الآخذة به توصيلهم
 الى زعامة العالم كله فى العلم والفلسفة والفنون والصنائع والسياسة فى سنين قليلة ؟
 هذه أعمال لا أقول إنها تشرف متخرجاً فى أكبر جامعة علمية ، ولكنى أقول
 إنها أعجزت جميع عباقرة العالم مجتمعين .

ولكن المستر فرانك يتجاهل كل هذه الحوادث التى لا يوجد فى تاريخ البشر
 ما يماثلها ، ويقفنا أمام موضوع تافه عقيم قال فيه الدهر قوله الفصل ، رجا أن يكون
 فى إثارة الشك فى أمية محمد ، باب يُفتح الى التكذيب بنبوته ، متدعياً بذلك الى إثبات
 أنه مادام يقرأ ويكتب فيكون هو الذى وضع القرآن ونسبه الى الله .
 إذا كانت القراءة والكتابة وسيلة للتشكيك فى كتب الله وصدق رسله ، فهذان
 موسى وعيسى كانا يقرءان ويكتبان ، فهل قولا الله ما لم يقل ، وهل قالا إنهما رسولان
 وهما كاذبان ؟

ولكن أمية محمد صلى الله عليه وسلم ثبتت بإجماع أمة برمتها كانت مطلعة
 على أحواله وأطواره ، من يوم ميلاده الى يوم وفاته ، فهل من المعقول أن يُخرق هذا
 الإجماع لا لشيء غير أنه لا يلائم هوى بعض أعدائه ممن أتى بعده بنحو أربعة عشر قرناً ؟
 قال المستر فرانك عقب التشكيك فى أمية النبي صلى الله عليه وسلم : « ومع ذلك
 فلسنا نستنتج من عدم أميته أنه كان ذا اطلاع واسع ، فإنه لم يظهر شيئاً من سمات
 المتعلمين الأدبية » .

لم يقل محمد صلى الله عليه وسلم عن نفسه ولا قال أحد من المسلمين عنه إنه كان
 ذا اطلاع واسع ، وإنه فعل ما فعل بعلمه ، وغزارة مادته ، ولكنه قال ، وردده المسلمون
 معه ، بأن كل ما أتى به وحى من ربه . وهذا لا يتنافى سمو فطرته ، ووفور عقله ، وصفاء
 ذهنه ، فإن الله لا يصطفى لرسالته إلا أكمل خلقه .

فإن كان المستر فرانك يستدل من القرآن على ما يقوله باعتبار أنه من كلام محمد، وأنه في جملته لا يدل على سعة اطلاع كاتبه، فهو لم يقرأ القرآن، وإن كان قرأه فقد سدل على عقله حجابا من تعصبه.

لقد تبين للذين درسوا القرآن تحت ضوء الفلسفة الحديثة، أنه لم يفادر صغيرة ولا كبيرة مما يُقَوِّم عوج النفوس، ويعدّل أود العقول، ويوقظ أشرف غرائز الشخصية الانسانية، ويدفعها في طريق السمو الروحاني، إلا أحصاها على أكل الوجوه، راسما لها أقوم الطرق، ومتخيرا لها أقرب الوسائل.

وقد انضح لأولئك الناظرين أن كل ما جاء به كبار العباقرة من الأصول الأصيلة، والمبادئ النبيلة، وما قرره المصلحون من الأسس الركيكة، والوطائد المكيكة للاجتماع والسياسة والشرعية، قد سبقهم القرآن إليها في بيان لا يدع محلا للتردد، ولا موضعا للتشكك. وقد حَفِيت أقلامنا في سرد هذه الآيات الكبر وتطبيقها على الحوادث، ولم نَبَلْ بعدُ منها أَواما، ولم نبليغ مراما، وقد شهد بهذا كله رجال من الأقطاب ليسوا من أهل هذه الملة، لا يحصون كثرة، من أمثال جوت الالماني ولا مرتين الفرنسي وبرنارد شوالانجليزى، وليس في هؤلاء إلا عبقرى طبقت الأرض شهرته، وعمت الأقطار فلسفته.

فإذا لم يكن محمد أميا، ولكنه كان أستاذًا جامعيًا، وافترض أنه كتب هذا القرآن، لعد بهذا وحده آية من آيات الله في خلقه، ولبحث له عن درجة عقلية فوق العبقرية، لأن العبقرية إنما تظهر في الفرع الواحد من العلم أو الفن، لا في كل ما يختص بإصلاح الانسانية جملة.

ومما هو بليغ الأثر في التدليل الحسى، أن هذا القرآن أوجد أمة عالمية من المدم، لم تلبث إلا سنين معدودة حتى سادت العالم كله علما وعملا، وسموا روحانيا وكلاما ماديا. فمن يجرؤ بعد هذا أن يقول إن ما نصِّف به القرآن شعر حملت عليه العقيدة الوراثية، أو خيال قضت به العصبة الدينية؟

يقول المستر فرانك : « وفي الجملة فقد أثار محمد على نفسه الازدراء بدعواه الرسالة عند ظهوره » ، كرر هذه العبارة مرتين في موضعين ، ظنا منه أنها تقدح في رسالته ، كأن الرسالة لا تكون صحيحة إلا إذا قوبلت بالإيمان من أول وهلة . فهل نسى أن موسى وعيسى قوبلا بمثل هذا الازدراء عينه ، وأحدهما لا زمه هذا الازدراء الى يوم وفاته ، وعمول معاملة اللصوص وقطاع الطرق في زعمه ؟

وقال المستر فرانك متابعا طريقته : « ولم يذكر لنا محمد شيئا عن زواجه ، ولكن المعروف أنه كانت له زوجات ، فلم يعين لنا أسماء هن ، ولم ينوه كذلك بشيء عن أسرته وعشيرته الخ » .

هذه الإغفالات إن اعتبرت عيوباً فهي كذلك بالنسبة لكتاب وضعه صاحبه لبيان تاريخه الشخصي ، ولكنها لا تعيب كتابا وضع للناس كافة كما قدمنا ، أفلا تعجب من إلحاح المستر فرانك عليها ، حتى جعلها موضوع فصله الأول كله . وقد أشبعنا الكلام في هذا فلا نعود إليه .

في العدد المقبل ننشر ملخص فصله الثاني ونرد عليه كما فعلناه مع الفصل الأول إن شاء الله ﷻ

محمد فريبر ومجدي

جود عبيد الله بن عباس

كان عبيد الله بن عباس من أجواد الناس وأسخياءهم . قيل إنه جاءه رجل من الأنصار فقال : يا ابن عم رسول الله إنه ولد لي هذه الليلة مولود ، وإني سميت به باسمك تبركا مني به ، وإن أمه ماتت ، فقال عبيد الله : بارك الله لك في الهبة ، وأجزل لك الأجر على المصيبة . ثم دعا بوكيله فقال : انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه ، وادفع اليه مائتي دينار للنفقة على تربيته . ثم قال للأنصاري : عد إلينا بعد أيام ، فأنك جئتنا وفي العيش بيس ، وفي المال قلة . قال الأنصاري : لو سبقت حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدا ، ولكنه سبقك فصررت له تاليا ، وأنا أشهد أن عفوك (أي فليكن) أكثر من مجهوده ، وطل كرمك أكثر من وابله !

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْوَى

الطُّرُق

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الأسئلة الآتية :

تشاجر رجل مع صهره ، وفي أثناء المشاجرة قال أحدهما : « على الحرام لا تدخل أنت ولا زوجتك بيتي » فما الذي يلزمه في هذه اليمين أهو طلاق أم لا . وإذا كان طلاقا فهل هو رجعى أو بائن ؟

محمد محمد العنبري

الجواب :

اختلفت الأئمة في مثل هذه الصيغة : فذهب الشافعية أن قائل هذه العبارة إذا نوى بها طلاقا كانت من قبيل الطلاق المعلق ، وأنه يقع به طلاق رجعى إذا حصل المعلق عليه وهو دخول المخاطب أو زوجته بيت الخالف . وبوافقهم بعض الحنفية على أنه من قبيل الطلاق المعلق إلا أنه يقع به عند طلاق بائن إذا حصل المعلق عليه .

وبرى بعض الحنفية عدم وقوع الطلاق بمثل هذه الصيغة . ويرى عن بعض السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم أن تعليق الطلاق إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه لا غير ، لا يقع به طلاق . وجرى على هذا المرسوم بقانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ كما قضت بذلك المادة الثانية منه .

وظاهر أن هذه العبارة لا يقصد منها الخالف إلا منع المخاطب وزوجته من دخول بيته ، فلا تستوجب طلاقا مطلقا على هذا . والله أعلم .

تشاجر رجل مع ابنة فأدت المشاجرة الى أن قال الرجل : « على الطلاق لا آكل

من لبن الجاموسة ولا من سمها في سنة تاريخه » فهل هذه يمين منعقدة ؟

محمد حسن أبو شاهين

الجواب :

مذهب الشافعية وبعض الحنفية أن مثل هذه الصيغة من قبيل التعليق ، فإذا حصل المعلق عليه وهو الأكل من لبن الجاموسة أو سمنها ، يقع به طلاق رجعي . ويرى بعض الحنفية عدم وقوع الطلاق بمثل هذه الصيغة إذا وجد المعلق عليه . ويروى عن بعض السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم أن تعليق الطلاق إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه لا غير ، لا يقع به طلاق . وجرى على هذا المرسوم بقانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ أفرنكية ، كما قضت بذلك المادة الثانية منه . وظاهر أن هذه العبارة لا يقصد منها الخالف إلا منع نفسه من أكل لبن الجاموسة وسمنها ، فلا يستوجب طلاقاً مطلقاً على هذا .



إذا وكلت المرأة غير وليها الخاص في عقد زواجها ، فهل يعتبر تسجيل المأذون للمقدرا فملاً للخلاف ، حتى إذا وقع عليها طلاق يلحقها على جميع المذاهب ولو عند الشافعية ، أو لا يرفع الخلاف ، ويكون هذا العقد باطلاً عند الشافعية ، فلا يلحقها طلاق ، ولا يحسب عليها ما دامت كذلك ؟

أحمد محمد إبراهيم الشريف

الجواب :

تسجيل عقود الزواج لدى المأذون ليس بحكم ولا رافع للخلاف ، غير أنه يقع كثيراً أن يحصل عقد زواج مستوف جميع الشروط اللازمة لصحته عند بعض الأئمة كالحنفية ، ويتماشر الزوجان على مقتضاه زماناً ، ثم يقع بينهما خلاف وتسوء عسرتهم ، فيستنفذ الزوج ما يملكه على الزوجة من طلاق ، وحينذاك يبحث الزوجان أو أحدهما عما يخلصهما من الطلقات التي وقعت ، فيعيدان النظر في العقد السابق يتلسمان فيه ما يجعله باطلاً عند الشافعية .

فإذا عثر على شيء من ذلك اعتبر عقد الزواج باطلا لعدم استيفائه شرط كذا عند الإمام الشافعي ، واعتبرا جميع الطلقات التي صدرت ملغاة لا أثر لها ، فيجددان عقد زواجهما على مذهب الشافعي ، ويعتقدان أنهما استأنفا زوجية جديدة يملك فيها الزوج على زوجته طلقات ثلاثا أخرى .

ولكن مثل هذا العمل في نظر أئمة الشافعية تحايل لا يقران عليه ، ويجب على الحاكم أن يفرق بينهما متى علم به .

ومن نص على ذلك ابن حجر في شرح المنهاج ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري في المنهج ، وهو قول أبي إسحاق المروزي ، وأبي علي بن أبي هريرة ، وأبي سعيد الإصطخري ، وأبي حامد المروزي .

وإذا كانت الشريعة الغراء تحترم عقود غير المسلمين التي لم تستوف شروط الصحة عندنا فتقر الزوجين بعد إسلامهما عليها ولا تطالبهما بتجديد العقد ، فكيف لا تحترم عقدا وقع صحيحا على مذهب من مذاهب المسلمين ؟ والله أعلم .

في الميراث

امرأة توفيت عن أخوين لأُم ، وبنت أخ شقيق ، وعم لأب . فن يرث ، ومن لا يرث ، وما مقدار أنصبة الوارثين ؟

« سائل »

الجواب :

الميراث في هذه المسألة للأخوين لأُم ، ولعم لأب ، ولا شيء لبنت الأخ الشقيق .

أما الأخوان لأُم ، فلهما ثلث التركة يقسم بينهما بالسوية ، وأما العم لأب فله الباقي ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

أثر البيئة

في أسلوب الأدب وأخيلته

عرضنا على القارئ الكريم في المقال السابق صورتين من صور الأدب في بيئة البداوة والحضارة ، لشاعرين من أشهر شعرائهما مثلتا بعض الخصائص التي كانت أثرا من آثار البيئة في الأدب . ونسوق الآن صورتين لشاعرين امتازا بلون خاص من الشعر التصويري . فالصورة الأولى للشاعر المترف الحضري « عبد الله بن المعتز » وهو شاعر يقول عنه النقاد : إنه أشهر طبقته بهذا النوع من التشبيه الذي يعتمد في بناءه على الحس قال عبد القاهر الجرجاني في « أسرار البلاغة » : « نقول : ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها ، لأنك تعنى تشبيهه بالمبصرات بعضها ببعض ، وذلك أن إحسانه فيها أكثر ، وهو به أشهر » . وابن المعتز معاصر لابن الرومي ، وكان أدباء عصرهما يرون بينهما شيئا من التشابه في هذا اللون من الشعر التصويري ، وهو أوضح ألوان الشعر في تبين أثر البيئة العامة ، فكما وازنا بين امرئ القيس ، وابن الرومي ، في تصويرهما لمشهد من مشاهد الطبيعة يتمثل في السحاب والمطر ، فلنوازن بين ابن المعتز ، وشاعر جاهلي بدوي يظهر في شعره الفن التصويري واضحا قويا ، وهو « أوس بن حجر » . ولتكن هذه الموازنة في لون يدخل في تمثيل بعض المناظر الطبيعية ، ولتكن من نفس اللون الذي أثبتناه للشاعرين السابقين .

قال ابن المعتز يصف سحابا مطرا :

وسارية لا تمل البكا	جری دمعها فی خدود اثری
سرت تقدح الصبح في ليلها	بـهـرق كهنديـة تننضي
فلما دنت جلجلت في السما	رعدا أجش كجرش الرحي

ضمان عليها ارتداء السيف ع بأنوارها واعتجار الربى
فما زال مدمعها باكيا على الترب حتى اكتسى ما اكتسى
فأضحت سوا، وجوه البلاد وُجُن النبات بها والتقى

هذا تصوير شذبت معاني الحضارة حواشيه ، وهذبت أخيلته ، فرقت معانيه ، ولطفت مبانيه ، وأدار الشاعر ريشة بيئته المترفة الفينانة التي نهّد بين أحضانها ، وترعرت أفكاره في ظلالها . ففي كل بيت صورة من ديباجة الحضر ، ورونق الحياة ، وبراعة التصوير يكسوها الجمال الفني شاعرية صنّاع تهادى في أعطاف هذه التشبيهات البديعة .

تأمل قوله : وسارية لا تمل البكا ، فإنك ستلمح فيه هدوءاً حزيناً يمثل حال هذا الأُمير الشاعر المدفوع عن آماله دفعا ، وكأنما هي مرآة انعكست فيها نفس الشاعر الحزين ، فاختيار لفظة « سارية » من بين ألفاظ كثيرة يمكن أن تؤدى المعنى الذى يخص السحاب ، اختيار موفق فيه صورة للوقار الواجم ، أغلب الظن أن الشاعر أرادها من وراء تصوير السحاب . والتعبير عن هطل السحاب بالمطر ، بقوله : لا تمل البكا ، آية من آيات الشاعرية المثلثة للحزن الحبيس . والشاعر الأُمير ، يعن في معانيه ، فيؤكدها تأكيذا قويا في قالب جميل : جرى دمعها في خدود الثرى ، وهى صورة بديعة الصنعة ، حضرية الأسلوب .

وانظر الى قوله : تقدح الصبح في ليلها ، ففي كل لفظة منه دقة تصويرية تدل على أن الشاعر احتفل بصورته ، واختار لها ألوانها من بيئته . فالتعبير عن ظهور ضوء البرق بالقدهح ، وإضافة القدهح الى الصبح ، وجعله في ليلها ، كل ذلك أعطى للألفاظ قوة وتناسقا تؤدى بهما للعين منظرا تفقده الصورة لو لم يكن ذلك اللفظ موجودا . ثم هذا التشبيه للبرق في هيئته ولمعانه بالسيوف وقد شيمت من أنعمادها ، لا يخلو من جمال وتفكير .

يطول بنا القول لو جربنا في تحليل القطعة كلها على هذا النهج ، وإنما الغرض أن تظهر مميزات الحياة الحضرية في بعض صور الأدب الحضري لنجعلها في حذو خصائص حياة البداوة في صور الأدب البدوي ، وأن نفتتح للقارئ باباً يمشى منه الى ساحة النقد الأدبي والتحليل الذي يظهره على موضع الجمال الرصين في أدبنا العربي القويم .

أما « أوس بن حجر » الذي اخترناه من شعراء البداوة ليكون مع عبد الله بن المعتز فهو شاعر لا تقهرج أن نعدده من مدرسة ابن المعتز الشعرية لولا الفواصل الزمنية ، وتأثير البيئة المختلفة . فكلاهما شاعر مصور ، يُعنى أشد العناية بإبراز صورته محكمة الصنعة ، تأخذ بالأفكار كثر مما تأخذ بالفكر والخيال ، قال أوس (١) :

يا من لبرق أبيت الليل أرقبه	في عارض كمضى الصبح لمّاح
دان مسفّ فوق الأرض هَيْدَبُهُ	يكاد يدفعه من قام بالراح
كَأَنَّ رَيْقَهُ لِمَا عَلَا شَطْبًا	أقرب أبلق ينفي الخيل رماح
ينزع جلد الحصى أجش مبترك	كأنه فاحص أو لآعب داحي
فمن بنجوته كمن بمحفله	والمستكن كمن يمشى بقرواح
كَأَنَّ فِيهِ عَشَارًا جَلَّةً شُرْفًا	شعثا لهما ميم قد همت بارشاح
هَذَا لَا مَشَافِرَهَا بِحَا حَنَاجِرَهَا	ترجى مرابعها في صحصح ضاحي

فهذا كلام جزل ، يملأ الأسماع بوقعته ، وصور منتزعة من قلب البادية في تشبيهاتها وأخيلتها ، فومض البرق - عنده - كلع ضوء الصبح في الظلام : تشبيه سريع لم يكتمل

(١) اختلف الرواة في نسبة هذه القصيدة ، فابو علي الغالي في أماليه عن أبي عبيدة ينسبها الى عبيد ابن الابرس ، وكذلك صنع ابن الشجري في أماليه ، ورددتها أبو العلاء المعري في رسالة الغفران بين أوس وعبيد ، وهي مذكورة في ديوان أوس ، وأشبه بشعره ، وفيها عند أولئك الرواة اختلاف شديد ، فبعضهم يؤخر ، وبعضهم يقدم ، وبعضهم يزيد ، وبعضهم ينقص في أبياتها ، ولعل هذا الصنيع من الرواة هو الذي سول لبعض الباحثين من المعاصرين القول بأن هناك قصيدتين على هذا الوضع ، إحداها لاوس بن حجر غلط بينهما الرواة .

وجهه دقة في الخيال، لأن ومض البرق ليس من وادى ضوء الصبح إلا باعتبار اللحظة الطائفة في خيال البدوى كما يشهدها في جوب الصحراء عند انفتاق ضوء الصباح.

ثم يصف السحاب بأنه دان شديد الدنو، يكاد يأخذ هيدبه بوجه الأرض، حتى أن القائم يدفعه براحته لشدة قربه، وكأن التشبيه الأول لومض البرق لم يأت على ما في نفس الشاعر، فراح يحدث له تشبيها آخر بدويا مكتمل البداوة. وماذا يعرف البدوى بعد الطبيعة غير فرسه وجمله؟ فلعم البرق، كخاصرة الفرس الأبلق السابق للخيال، وهو أبعد في تحقيق التشبيه من سابقه، ولكنه طريف. وقد أبدع الشاعر في تصوير شدة اندفاع السيل في أودية الصحراء وحصبائها، وإحداث هذا الصوت الداوي الصاخب، ولكن التشبيه خلا من التعرض للصوت الذي أدخله الشاعر في التصوير، وأحكم هذه الصورة المبصرة بالعين.

وتشبيه آخر يصور استبحار هذا السيل وإفعامه الأودية، فهو قد عم وطم، فلا نجاء منه، فن بنجوته كن بمحفله، والمتحصن المستتر كالمتكشف البارز في مستوى الأرض. بعد هذه الصورة القوية الغامرة حن الشاعر الى بيئته فعاد اليها طفرة في بيتيه الأخيرين بهذه الصورة الساذجة، وأدار التشبيه فيها على الإبل وصفاتها، غير أنها صورة جامعة تمثل مناظر متعددة في مساح البادية.

هذا الشاعر مثال ينحت من الواقع الملموس تماثيله الشعرية، وليس للخيال العميق عنده وجود ظاهر، ولا للفكر الباحث كبير أثر، فهو أكل مثل على البداوة الصادقة.

على هذا السنن يجرى أديب البداوة متأثرا ببيئته محجوبا بها عن التفكير في مناحي الوجود التي تحتاج الى غوص وتفكير. فوصفه للنجوم والكواكب في حدود حاجته لها: يهتدى بها في دجله، وترشده في سراه وتأويبه، وحديثه عن الليل والنهار، والشمس والقمر، والطير والشجر، والحيوان، لا يجاوز اتصالها بشخصه المادى، وأفق المادة ضيق محدود، فاذا تعداه قليلا فالى ما يتصل به ويقرب منه، فوصفه

للشجاعة ، والنجدة ، والكرم ، والوفاء ، والروءة ، وما الى ذلك من الفضائل المعنوية ، لا يفصلها عن حدود المادة كثيرا .

أترأه يعنى بالشجاعة الفكرية والتدبير العقلى على نحو ما تقول الفلسفة بلسان أفلاطون : « إياك وقت الحرب أن تستعمل النجدة وتدع العقل ، فإن للعقل مواقف قد تتم بلا حاجة الى النجدة ، ولا ترى للنجدة غنى عن العقل » . هذا هو الجبن والخور في نظر البدوى ، فالشجاعة عنده هي الإقدام في حومة الوغى ، واستقبال الموت بيجنان ثابت ، فهو ينشد مرزها :

هل الجود إلا أن تجود بأنفس على كل ماضى الشفرتين قضيب
ومن هرّ أطراف الفناخشية الردى فليس لمجد صالح بكسوب
وماهى إلا رقـدة تورث العلى لرهطك ماخنت روائم نيب
روى ابن سلام فى طبقات الشعراء : أن كثيراً الشاعر دخل على عبد الملك ابن مروان فأنشده مدحته فيه ، وفيها يقول :

على ابن أبى العاصى دلاص حصينة أجاد المسدى سردها وأذالها
فقال له عبد الملك : أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معدى كرب :
وإذا تجىء كتيبة معلومة شهباً يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلماً أبطلها
فقال كثير : يا أمير المؤمنين ، وصفه بالخرق ، ووصفتك بالحزم . فأنت ترى أن الأعشى ذهب فى مدح صاحبه مذهب البداوة ، وكثيراً ذهب فى مدح عبد الملك بن مروان مذهب الحضارة ، ولكن عبد الملك أرادها من كثير أعراية ، لأن عصر بنى أمية كان قريباً الى البداوة وكثير التصنع لها .

لست أزعم أن أدب البداوة كله أدب مادى لا يجاوز الحس فى تصويراته ، ولست أزعم أن أدب الحضارة كله أدب سام يرتفع عن حضيض المادة الى التحليق فى سماء

الخيال والعواطف ، والتصوير النفسى ، ولكن الذى أقوله : أن أظهر ظواهر أدب البداوة وأقواها اعتماده على الحس ، واستيحائه الطبيعية فى مناظرها المشهورة ، وأخذ ألوانه منها فى الأغلب الأكثر ، وأن مظاهر الحضارة تساعد الأدب الحضرى على أن يكون فى دائرة أوسع من جهة معانيه وأفكاره وصوره وأخيلته ، وأسلس فى صياغته وأسلوبه .

صادق ابراهيم عربزود

صفة العقل وفضله

قال سحبان وائل وهو الخطيب المفوه الذى يضرب بفصاحته المثل : العقل بالتجارب . وعقب ابن عبد ربه صاحب العقد على هذا بقوله : لأن عقل الغريزة سلم الى عقل التجربة ، ولذلك قال على بن أبى طالب رضوان الله عليه : رأى الشيخ خير من مشهد الغلام . وقال الحسن البصرى : لسان العاقل من وراء قلبه ، فاذا أراد الكلام تفكر ، فان كان له قال ، وإن كان عليه سكنت . وقلب الاحمق من وراء لسانه فاذا أراد أن يقول قال . وسئل المغيرة بن شعبه عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه . فقال : كان والله أفضل من أن يخدع ، وأعقل من أن يخدع . وهو القائل : لست بحب والخب لا يخدعنى (والخب المخادع) . وقيل لعمر بن العاص : ما العقل ؟ قال : الاصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من لم ينفعه ظنه لم تنفعه عينه . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وذكر ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال : لقد كان ينظر الى الغيب من ستر رقيق . وقالوا : العاقل فطن متغافل . وقال معاوية : العقل مكيال ، ثلثه فطنة ، وثلثاه تغافل .

وقال المغيرة بن شعبه لعمر بن الخطاب إذ عزله عن كتابة الى أبى موسى الأشعرى : أعز عزلتنى أم عن خيانة يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لا عن واحد منهما ، ولكنى كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك .

فلسفة الاخلاق

وصلتها بالنفس الناطقة — أثر ذلك في المجتمع الانساني العام

مضينا بالقارئ في شطر غير قليل من البحوث السابقة عن الانسان في شتى أطواره ومختلف مراحلها وأدواره من حيث نفسه التي تنفعل بالخير والشر، ومبلغ ما لديها من قابلية لها، واستعدادها للتخلق بالأخلاق المرذولة أو المحمودة، بالقياس الى مبلغ تهذيبها وقوة ما تحاط به وما تعود عليه من وسائل التهذيب، والدعوة الى أهدي السبل وأجداها. ولأن علماء الأخلاق أفاضوا في حقائق الموجودات إفاضة بعيدة المدى مترامية المناحي، فارتقوا في بحوثهم الى أعلى هذه الموجودات وهو الانسان، فخلوه في مختلف صورته وأشكاله وسائر وجوداته؛ ثم انحدروا من بحوثهم عن الانسان الى بحوثهم عن الحيوان من حيث هو كذلك، وعن مراتبه الموضحة لأنواعه وأجناسه، ثم الى الأجسام الطبيعية لتلك الموجودات، ليسكون بحوثهم عن الجواهر والأعراض لتلك العوالم قائما على البحث والاستقصاء.

وزيد الآن أن نتابعهم في صنيعهم، ونتحدث في شيء من الإفاضة عن الأجسام الطبيعية من حيث كونها كذلك، ثم عن مراتب الحيوان، لأن للبحثين شبا قويا وصلة وثيقة بالانسان الذي هو أعلى الموجودات، والذي سخر له ما في الأرض جميعا من حيوان ونبات وجماد. فإن الأجسام الطبيعية تشترك في الحد الذي يعمها من حيث كونها جوهرًا ذا أبعاد ثلاثة، ومن حيث تحيز ذلك الجوهر وشغله فراغا، ومن حيث مادته وهيولته، غير أن تلك الأجسام الطبيعية تتفاضل بتفاضل ما هي مستعدة له من الصور الشريفة التي تميزها عما دونها في المرتبة، ضرورة أن الجماد منها إذا قبل صورة شبيهة الى النفوس محببة الى القلوب، صار بتلك الصورة أفضل من تلك الطينة التي لا تقبلها فالجسم الطبيعي الذي يقبل صورة من الصور التي تميل اليها النفوس طبعاً

كان أكثر تمييزاً من ذلك الجسم الذى لا يقبل نوعاً من تلك الصور هكذا صعوداً وهبوطاً فى القابلية وعدمها . فإذا بلغ الجسم الطبيعى من القابلية حدا يصير مستعداً لقبول صورة نباتية كان أفضل من الجماد الذى لم ترتق به قابليته الى تلك الصور . وتلك القابلية للصورة النباتية تتألف عناصرها من الاغتذاء والنمو والامتداد فى الأصقاع واجتذاب ما يوافق ذلك الجسم من الأرض والماء وترك ما لا يوافقه ، ونفض الفضلات التى تتولد فيه من غذائه عن جسمه بالصمغ ، وهذه هى المميزات التى يفضل بها النبات عن الجماد ، وهى حال زائدة على الجسمية المبحوث عنها عند الطبيعيين .

وغنى عن البيان أن تلك الحالة الزائدة عن الجماد التى شرف بها النبات تتفاضل بالقياس الى قوة ما يعرض لها من المميزات التى تباعد بينها وبين الجماد ، فكما كان الجسم النباتى أبعد بمميزاته عن الجسم الجمادى ، كلما كان أكثر شرفاً من الجسم الذى يكون أقرب الى الجمادية منه ، ذلك أن بعض الأجسام النباتية يفارق الجماد مفارقة يسيرة كالمرجان وأشباهاه من الأجسام الصلبة للمساء . ثم يتدرج فى تلك الزيادة فيحدث له من تلك الزيادة مميز بعد مميز ، فبعضه ينبت من غير زرع ولا بذر ، ولا يحفظ نوعه الى القدر الذى يوجد مكانه خلفاً عنه . فيكنى فى حدوده امتزاج العناصر وطلوع الشمس وهبوب الرياح اللواقح ، فهو عند هذه المراتبة فى أفق الجمادات وقريب الحال منها . ثم تزداد تلك الفضيلة فى النبات بازدياد عناصرها ، فيفضل بعضه بعضاً بنظام وترتيب أبعده مبدع السموات ومدبر الكائنات . فهو ما يزال يرقى وينمو بعوامله المحيطة به حتى تظهر فيه قوة الإثمار وحفظ النوع بالبذر الذى يخلف به مثله ، فتستحيل هذه الحالة زائدة فيه ، ومميزة له عن حال ما تحته من المراتب الأخرى .

ولم تزل تقوى فيه هذه الفضيلة وتنمو بخصائصها حتى يصير فضل الثالث على الثانى مثلاً كفضل الثانى على الأول . وهكذا دواليك صعوداً وهبوطاً ، فلا يزال يشرف

ويفضل بعضه على بعض حتى يبلغ أفقه ، ويصير في أفق الحيوان ككرام الشجر كالزيتون والمان والسكرم وما إليها من الفواكه الحلوة النضرة . ثم هي بعد ذلك مختلطة القوى ، على معنى أن قوى الذكورة والأنوثة فيها غير متميزة ، فهي تحمل وتلد المثل ، غير أنها لم تبلغ غاية أفقها الذي يتصل بأفق الحيوان . ثم تزداد وتمعن في هذا الأفق الى أن تصير في أفق الحيوان فلا تحتل بعد هذا الحد الذي بلغته زيادة لمستزيد ، ضرورة أنها إذا قبلت زيادة يسيرة استحالت حيوانا ، وخرجت بذلك عن أفق النبات ، وإذا تميز قواها وتحدث فيها الذكورة والأنوثة ، وتقبل من مقومات الحيوان أمورا تتميز بها عن سائر النبات والشجر ، كالنخل الذي طالع أفق الحيوان بخواصه العشر التي فضلها علماء النبات في كتبهم حتى قالوا إنه لم يبق بينه وبين الحيوان إلا مرتبة واحدة ، تلك المرتبة هي الانقلاع من الأرض ، والسعى الى الغذاء كما يسعى الحيوان مختارا الى تناول ما يقوم به حياته من غذائه الخالص به ، كما روى في الأثر ما هو كالأشارة أو كالرمز الى هذا المعنى ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « أكرموا عمتكم النخل فإنها خلقت من بقية طينة آدم »

وجملة القول أن بعض النباتات وبعض الأشجار وصل بمميزاته الى أفق الحيوان ، وليس بينه وبين عالم الحيوان إلا أن يكون له اختيار وإرادة . فهذا النوع من النبات أشرف من الجماد في عالمه ، وأميز وجودا بعد وجود الحيوان .

وسنورد في العدد القادم بقية آراء الباحثين من علماء الأخلاق في عالم الجماد وعالم النبات ، ثم بحثنا مستفيضا في مراتب الحيوان . ولا شك أن لتلك البحوث اتصالا بفلسفة الأخلاق من حيث ارتباطها بمقائق الموجودات . فإلى العدد القادم ، إن شاء الله .

عباس طه

المحامى الشرعى

أسرار التشريع الإسلامى وفلسفته

نظام الوقف فى الاسلام



أسلفنا لحضرات القراء شطرا عن الكلام فى الشروط المصححة للموقوف ليصير بهذه الشروط موقوفا وقفا شرعيا تنتفع بفلته الفقراء إذا كان وقفا خيريا ، ويصل به المستحقون الى حقوقهم إن كان وقفا أهليا . وقد أفاض علماء الفروع فى بيان شروط الموقوف بما لا يدع مأخذا عليه ولا مطعنا فيه . من أجل ذلك نحب أن نتوخى آراءهم قدر الجهد بما يحلو الحقيقة ويرفع ذلك اللبس الذى وقع فيه كثير من الواقفين مستسلما لأصحاب الغايات ورواد الشهوات ، والذى تعج به المحاكم الشرعية عجيجا ، مما لا تزال آثاره عالقة بأذهاننا حتى اليوم .

شرط الفقهاء لنفاذ الوقف أن تكون العين للموقوفة مثلا مملوكة للواقف وقت الوقف ملكا خاصا لا شية فيه حتى ولو كانت الملكية بسبب فاسد ، ولذلك صح وقف ما اشتراه الواقف شراء فاسدا بعد قبضه ، كما إذا اشترى دارا بثمن معين على أن يدفع المشتري الثمن الى البائع متى وصل الى يده فلما قبض المشتري المبيع وقفه ، فإن هذا الوقف يقع صحيحا لاتفاق علماء الفروع على أن المبيع يباع فاسدا يملك بمجرد القبض ، وفى هذه الحالة يجب على المشتري دفع قيمة المبيع الى البائع لا دفع ثمنه ، وقد ضرب الفقهاء لهذه الصورة مثلا بما لو وقف الموهوب له هبة فاسدة بعد قبض الموهوب ، فإن الهبة تفيد الملك بالقبض كذلك ، فلو كان الوقف فيهما قبل القبض ، لم يقع صحيحا ، لعدم تحقق الملك فيهما قبل القبض ، ويتفرع على ذلك أنه لو كان المبيع صحيحا ثم وقف المشتري العقار المبيع قبل قبضه ، وقع وقف الواقف على هذه الصورة صحيحا . فإن وقف الواقف المبيع قبل دفع الثمن الى البائع فلم يدفع الثمن الى البائع

بعد الوقف ، ولم يكن عنده حال آخر يمكن أن يدفع منه ثمن المبيع ، جاز للبائع حق طلب نقض الوقف واستيفاء الثمن من المبيع الذي في يده ، فإذا وجد عند الواقف بوصف كونه مشتريا ما يفي بالثمن من غير المبيع كأن تكون له عين أخرى تضمن حق البائع في الثمن لم يجوز للبائع في هذه الحالة حق طلب نقض الوقف ، ورجع عليه بالثمن في تلك العين الأخرى .

وهذه الحالة تشبه حالة وقف العين المرهونة ، فإن للبائع شرعا حق حبس المبيع في يده حتى يستوفي ثمنه الذي حل بحلول أجله المضروب بينهما . وتتفرع على الشرط فروع ، منها أنه لا يصح الوقف في حالة ما إذا وقف الواقف عينا مغموصة ثم اشتراها من صاحبها أو صالحه على شيء ، في نظيرها . ومنها ما إذا وقف الموصى له العقار الموصى به قبل موت الموصى ، أو وقف الموهوب له الموهوب قبل قبضه ، أو وقف المشتري المبيع وكان الخيار للبائع ثم أجاز البائع بعد ذلك البيع ، لعدم استناد الموقوف وقت وقفه الى ملكية الواقف في جميع هذه الصور . ولو كان الخيار للمشتري أو كان للبائع فوقف العين المشتري أو وقفها البائع واخيار لهما فالوقف صحيح في الصورتين ، ويكون الوقف إسقاطا للخيار في الصورة الأولى ، وإبطالا للبيع في الصورة الثانية . ويكون من تفاريع هذا الشرط أن ينقض الوقف في جميع صورته . فلو بنى الواقف مسجدا يستحقه الغير بملكية أو بشفعة لوقع الوقف باطلا لتحقق عدم ملكية الواقف له وقت وقفه . فإذا ضمن الواقف لمستحق العقار قيمته صح وقفه لاستناد الملك الى زمن الحيازة .

وفي حالة بطلان الوقف لم يسكن من الضروري للواقف أن يشتري بالثمن الذي يرجع به على بائعه أو يسترده من الشفيع عقارا ليجعله وقفا بدل الأول ، على ما حققه صاحب البحر ، وتابعه في ذلك كثير من العلماء المتأخرين .

ومن تفاريع ذلك ما نقله الرافعي أنه لا يصح لمن في يده الاقطاعات أن يحبسها وقفنا ، ولا للامام أن يقف أرض الحوز .

وعرف علماء الفروع الاقطاعات بأنها هى أراضى بيت المال التى تمنح الى من لهم فيه استحقاق كالعلماء والقضاة ونحوهم لينتفعوا بغلتها جزاء لهم على قيامهم بأعباء رفع منارة الشريعة المطهرة فى البلاد وإعلاء كلمة الله فيها . وهذه الاقطاعات التى استحقوا من أجلها كفايتهم فى بيت المال تبقى فيه رقبته .

وقد كان عهد الاقطاعات عهدا طويلا استمر أجيالا من الزمن كانت الأمة تشعرفيه بنوع من الظلم . وكان الحكم فى العهد الأخير لا يتحرون من يستحقها تحريا يرفع عنهم السنة الناقدين . وقد ظل عهد الاقطاعات جائما فى البلاد الاسلامية حتى أواخر القرن التاسع عشر ، فلما أضاءت المدنية عقول الشعوب ، وآمن كل من دافعى الضرائب بحقه فى الخزانة العامة من المراقبة ، أفاق الحكم من غشيتهم واجتاحوا ذلك التقليد الأثيم من ربوع البلاد .

وموعدنا بإتمام هذا البحث العدد القادم .

عباس طه
المحامى الشرعى

استدراك

جاء خطأ فى السطر الرابع من صفحة ٣٠٨ من هذا الجزء :
وهذه العادة المستحكمة .
والصواب :
وهذه المادة المستحكمة .

CHAPTER 67.

- ٦٧ -

What is to be done if washing seminal stains or other forms of pollution does not obliterate the traces.

1. We are informed by Mûsa, who had it from °Abdu-l-Wâhid, who received it from °Amr b. Mai-mûn, who said :

“When I asked Sulaimân b. Yasâr about garments polluted by seminal stains, he replied that °A°ishah had said : ‘I used to wash the stains off the garment of the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) and he often went out to prayer with the wet mark of the washing showing on it.’”

2. We are informed by °Amr b. Khâlid, who had it from Zuhair, who was told it by °Amr b. Mai-mûn b. Mihrân, through Sulaimân b. Yasâr, through °A°ishah that :

She used to wash the seminal stains off the garment of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) and that she could still see a mark⁽¹⁾ showing on it. ⁽²⁾

باب : إِذَا غَسَلَ الْجَنَابَةَ أَوْ غَيْرَهَا فَلَمْ يَذْهَبْ أَثَرُهُ :

١ - حَدَّثَنَا مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ :

« سَأَلْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ يَسَارٍ فِي الثَّوبِ تُصَيِّبُهُ الْجَنَابَةُ ، قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ : كُنْتُ أُغَسِّلُهُ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَثَرُ الْغَسْلِ فِيهِ بَقْعُ الْمَاءِ . »

٢ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ قَالَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَائِشَةَ :

أَنَّهَا كَانَتْ تَغْسِلُ الْمِثْنَى مِنْ ثَوْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَرَاهُ فِيهِ بَقْعَةً أَوْ بَقْعًا .

(1) — or marks — the narrator being in doubt as to which.

(2) Al-Bukhârî's object in recording these last two hadîths which are similar to the two preceding ones is to show that the washing of such stains was ritual in purpose, and need not be too meticulous.

1. We are informed by ‘Abdân, who had it from ‘Abdullâh, who received it from ‘Amr b. Maimûn Al-Jazari, through Sulaimân b. Yasâr, through ‘A’ishah, who said:

“I used to wash away seminal stains (1) from the garment of the Prophet (Allâh bless him and give him peace), and he often went out to prayer with the marks of water showing on his garment.”

2. We are informed by Qu-taibah, who had it from Yazid, who received it from ‘Amr, through Sulaimân b. Yasâr, who heard it from ‘A’ishah; — we are also informed by Musaddad, who had it from ‘Abdul-Wâhid, who received it from ‘Amr b. Maimûn, through Sulaimân b. Yasâr, who said:

“When I asked ‘A’ishah about semen staining a garment, she replied: ‘I used to wash it off the garment of the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace), and he often went out to prayer with the wet mark of the washing showing on his garment.’”

١ — حدثنا عبدان قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا عمرو بن ميمون الجزري عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت:

«كُنْتُ أَغْسِلُ الْجَنَابَةَ مِنْ ثَوْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ وَإِنَّ بُقْعَ الْمَاءِ فِي ثَوْبِهِ.»

٢ — حدثنا قتيبة قال حدثنا يزيد قال حدثنا عمرو عن سليمان بن يسار قال سمعت عائشة (ح) وحدثنا مسدد قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا عمرو ابن ميمون عن سليمان بن يسار قال:

«سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنِ الْمَسْنِيِّ يُصِيبُ الثَّوْبَ فَقَالَتْ: كُنْتُ أَغْسِلُهُ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَثَرُ الْغَسْلِ فِي ثَوْبِهِ بُقْعُ الْمَاءِ.»

(1) — due to sexual contact.

2. We are informed by Muhammad, who had it from Abu^c Mu-
‘āwiyah, who received it from
Hishām b. ‘Urwah, through his
father, through ‘A’ishah, who
said :

“ Fâtimah Bint Abu Hubaish
once came to the Prophet (Allāh
bless him and give him peace)
and said: ‘O Messenger of Allāh,
I am a woman subject to constant
menstrual discharge, and conse-
quently I am never in a state of
ritual purity. Am I then to give
up prayer?’ ‘No,’ replied the
Messenger of Allāh (Allāh bless
him and give him peace), ‘it is
only blood oozing from a vein,
and not menstruation. When the
period cometh, give up prayer, and
when it passeth, wash away the
blood (1) and perform thy prayer”

Hishām stated that his father
added : “. . . and then perform
a wudū^s for each prayer, until
thy period returneth.”

CHAPTER 66.

On washing away semen *when it
is wet* and rubbing it off *when dry*;
and on washing away the stains
from women’s emanations *resulting
from intercourse*.

٢ - حدثنا محمد قال حدثنا
أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه
عن عائشة قالت :

« جَاءَتْ فَاطِمَةُ ابْنَةَ أَبِي
حَبَيْشٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَمْرَأَةٌ
أُسْتَحَاضُ فَلَا أَطْهَرُ أَفَادَعُ
الصَّلَاةَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : لَا ، إِنَّمَا ذَلِكَ عِرْقٌ وَلَيْسَ
بِحَيْضٍ ، فَإِذَا أَقْبَلَتْ حَيْضُكَ
فَدَعِيَ الصَّلَاةَ وَإِذَا أَذْبَرَتْ
فَاغْسِلِي عَنْكَ الدَّمَ ثُمَّ صَلِّي . »

قَالَ وَقَالَ أَبِي « ثُمَّ تَوَضَّئِي
لِكُلِّ صَلَاةٍ حَتَّى يَجِيءَ ذَلِكَ
الْوَقْتُ »

بَابُ غَسْلِ الْمَنِيِّ وَفَرْكِهِ ،
وَوُغْسِلَ مَا يُضْمِبُ مِنَ الْمِرَّةِ :

(1) Or — according to another version فَاغْسِلِي = take a ritual bath. This version ex-
pounds the idea in the text, since ritual bathing is always necessary after menstruation
before prayer is admissible.

We are informed by Muḥammad b. ʿArārah, who had it from Shuʿbah, through Mansūr, through Abu Wāʿil, who said :

“Abu Mūsā Al-Ashʿari used to be very particular in the matter of urine, and used to say that it was the practice among the Israelites, that if it soiled the garment of any one of them, he cut off the part affected.”

Hudhaifah added : “ Would that Abu Mūsā had been less strict, for the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) once went to a public refuse-heap, and urinated standing.”

CHAPTER 65.

On washing away traces of blood.

1. We are informed by Muḥammad b. Al-Muthannā, who had it from Yahyā, through Hishām, who received it from Fātimah, through Asmāʾ, who said :

“ A woman (1) once came to the Prophet (Allāh bless him and give him peace) and said : ‘ When one of us soileth her garment with menstrual blood, what dost thou consider she should do ? ’ ‘ First she must rub the place dry,’ replied he, ‘ and then wet it with water and rub it *between her knuckles*, and rinse it, after which she may pray in it.”

حدثنا محمد بن عرعة قال حدثنا
شعبة عن منصور عن أبي وائل قال :

« كَانَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ
يُسَدِّدُ فِي النَّبُولِ وَيَقُولُ إِنَّ
بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا أَصَابَ ثَوْبُ
أَحَدِهِمْ قَرَضَهُ » .

فَقَالَ حُذَيْفَةُ « لَيْسَتْهُ أُمْسُكَ ،
أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا » .

— ٦٥ —

بَابُ غَسْلِ الدَّمِ :

١ - حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا
يحيى عن هشام قال حدثني فاطمة عن أسماء
قالت :

« جَاءَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : أَرَأَيْتَ إِحْدَانَا
تَحْيِضُ فِي الثَّوْبِ كَيْفَ تَصْنَعُ ؟
قَالَ : تَحْيِضُ ثُمَّ تَقْرُضُهُ بِالْمَاءِ
وَتَنْضَحُهُ وَتُصَلِّي فِيهِ » .

(1) i.e. Asmāʾ herself, who seems to be prevented by a sense of delicacy from saying so. (Al-ʿAini, vol. III, p. 140)

“The Prophet (Allâh bless him and give him peace) once went to a refuse-heap belonging to a certain family of *Ansâr* and passed water on it standing. He then called for water, and when I brought it he performed his wudû’.”

CHAPTER 63.

On micturating in the company of a friend and taking shelter behind a wall.

We are informed by ‘Uthmân b. Abu Shaibah, who had it from Jarîr, through Mansûr, through Abu Wâ’il, through Hudhaifah, who said :

“I remember when once I was walking in company with the Prophet (Allâh bless him and give him peace) , he went to a refuse-heap, belonging to a certain family of *Ansâr*, behind a wall and stood up to pass water as any one of you might do. I kept away from him until he signed to me to come nearer. I did so, and stood close behind him ⁽¹⁾ until he had finished.

CHAPTER 64.

On urinating by a public refuse-heap. ⁽²⁾

« أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سُبَّاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا، ثُمَّ دَعَا
بِمَاءٍ فَجِثْتُهُ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ.. »

— ٦٣ —

بَابُ الْبَوْلِ عِنْدَ صَاحِبِهِ
وَالْتَّسُّتِ بِالْحَائِطِ :

حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال حدثنا
جرير عن منصور عن أبي وائل عن حذيفة
قال :

« رَأَيْتُنِي أَنَا وَالنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ تَتَمَاشَانِ، فَأَتَى سُبَّاطَةَ قَوْمٍ
خَلْفَ حَائِطٍ فَقَامَ كَمَا يَقُومُ
أَحَدُكُمْ فَبَالَ فَانْتَبَهَذْتُ مِنْهُ
فَأَشَارَ إِلَيَّ فَجِثْتُهُ فَقُمْتُ عِنْدَ
عَقِبِهِ حَتَّى فَرَغَ. »

— ٦٤ —

بَابُ الْبَوْلِ عِنْدَ سُبَّاطَةِ
قَوْمٍ :

(1) — with the object of screening him.

(2) This, and the two preceding hadiths, though transmitted by Hudhaifah, were received by Al-Bukhârî from three different authorities — the titles differing to suit Al-Bukhârî’s deductions.

Mālik, through Hishām b. ʿUrwah, through his father, through ʿAʿishah the Mother of the Faithful, who said :

“ The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) was brought an infant who urinated on his gown. He called for water and simply poured it over the place.” (1)

2. We are informed by ʿAbdullāh b. Yūsuf, who had it from Mālik, through Ibn Shihāb, through ʿUbaidullāh b. ʿAbdullāh b. ʿUtbah, through Umm Qais Bint Mihsan that:

She brought a baby son of hers, who was still a suckling, to the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace). He set him on his lap, when he wetted his gown. He called for water and simply sprinkled it on the place without washing it.

CHAPTER 62.

On making water standing or squatting.

We are informed by Adam, who had it from Shuʿbah, through Al-Aʿmash, through Abu Wāʾil, through Hudhaifah, who said :

أُيِّيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :

« أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصِيْبِي فَقَالَ عَلَى ثَوْبِيهِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ إِيَّاهُ » .

٢ -- حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أم قيس بنت مخضن :

أَنَّهُمَا أَتَتْ بَابِي كَهَا صَغِيرٌ لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِجْرِهِ فَقَالَ عَلَى ثَوْبِيهِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَضَحَّاهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ .

- ٦٢ -

بَابُ النَّبُولِ قَائِمًا وَقَاعِدًا :

حدثنا آدم قال حدثنا شعبة عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال :

(1) The inoffensiveness of the urine of infants, whose diet is nothing but milk does not necessitate ceremonial washing, hence more pouring of water over the place is sufficient.

pour a bucket (1) of water on the urine. Surely your mission is to make things easy and not to make them difficult.'

(We are also informed by 'Abdân, who had it from 'Abdullâh, who received it from Yahyâ b. Sa'id, who heard it from Anas b. Mâlik, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) to this effect.)

CHAPTER 60.

Water to be poured over urine.

We are informed by Khâlid and also by Sulaimân, through Yahyâ b. Sa'id, who heard it from Anas b. Mâlik, who said :

"A certain Bedouin came and started to micturate in a part of the Mosque. So the Faithful rebuked him, but the Prophet (Allâh bless him and give him peace) forbade them. When the Bedouin had finished, the Prophet (Allâh bless him and give him peace) ordered a bucket of water to be brought and poured over the place."

CHAPTER 61.

On the urine of infants.

1. We are informed by 'Abdullâh b. Yûsuf, who had it from

بَوْلُهُ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ — أَوْ ذَنْوَبًا مِنْ مَاءٍ — فَأَنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَيِّنِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ .

(حدثنا عبدان قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا يحيى بن سعيد قال سمعت أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا) .

— ٦٠ —

بَابُ : يُهْرِيقُ الْمَاءَ عَلَى الْبَوْلِ :

حدثنا خالد قال وحدثنا سليمان عن يحيى بن سعيد قال سمعت أنس بن مالك قال :

«جاء أعرابي فبَالَ في طَائِفَةِ الْمَسْجِدِ فَزَجَرَهُ النَّاسُ فَتَهَاكُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا قَضَى بَوْلَهُ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَنْوَبٍ مِنْ مَاءٍ فَأُهْرِيقَ عَلَيْهِ .»

— ٦١ —

بَابُ بَوْلِ الصَّبِيِّانِ :

١ — حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن

(1) The narrator gives ذَنْوَبًا as an alternative for سَجَلًا (bucket).

CHAPTER 58.

— ٥٨ —

On the Prophet (Allāh bless him and give him peace) and the Faithful having left a certain Bedouin to finish micturating in the Mosque. (1)

We are informed by Mûsa b. Ismâ'il, who had it from Hammâm, who received it from Ishâq, through Anas b. Mâlik that :

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) when once he saw a Bedouin micturating in the Mosque, said :

“Leave him alone.” Then when the Bedouin had finished, he called for water, which was poured over the place.

بَابُ تَرْكِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسِ الْأَعْرَابِيَّ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ بَوْلِهِ فِي الْمَسْجِدِ :

حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا Hammâm أخبرنا اسحاق عن أنس بن مالك :

أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى أَعْرَابِيًّا يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ : « دَعُوهُ » حَتَّى إِذَا فَرَّغَ دَعَا بِمَاءٍ فَصَبَّاهُ عَلَيْهِ .

CHAPTER 59.

— ٥٩ —

On pouring water on urine in the Mosque.

We are informed by Abu-l-Yamân, who had it from Shu'aib, through Az-Zuhri, who received it from 'Ubaidullâh b. 'Abdullâh b. 'Utbah b. Mas'ûd that Abu Hurairah said :

“A certain Bedouin stood up and started to micturate in the Mosque. So the Faithful shouted, at him, but the Prophet (Allāh bless him and give him peace) said : ‘Leave him alone and

بَابُ صَبِّ الْمَاءِ عَلَى النَّبُولِ فِي الْمَسْجِدِ :

حدثنا أبو اليان قال أخبرنا شُعَيْبٌ عن الزهري قال أخبرني عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة قال :

« قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَتَنَسَّأَوْهُ النَّاسُ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعُوهُ وَهَرِّقُوا عَلَى

(1) i.e. the Prophet's Mosque at Al-Madînah.

We are informed by Ya'qûb b. Ibrâhim, who had it from Ismâ'il b. Ibrâhim, who received it from Rawh b. Al-Qâsim, who was told it by 'Atâ' b. Abu Maimûnah, through Anas b. Mâlik, who said :

“ Whenever the Prophet (Allâh bless him and give him peace) went out to relieve his necessity, I used to bring him water, with which he washed himself.”

CHAPTER 57. (1)

We are informed by Muhammad b. Al-Muthannâ, who had it from Muhammad b. Khâzim, who was told it by Al-A'mash, through Mujâhid, through Tâwûs, through Ibn 'Abbâs, who said :

“The Prophet (Allâh bless him and give him peace) was once passing by two graves, when he remarked: ‘The two men in these graves are being tormented, though not for a major sin. One of them used not to guard against defilement from urine, and the other used to go about back-biting.’ After that he took a green palm-branch, which he broke into two halves, planting one upon each grave. When he was asked : ‘O Messenger of Allâh, why hast thou done this?’ he replied : ‘Haply it may lighten their punishment, so long as the branches are not withered.’ ”

(Ibn Al-Muthannâ stated that he also had it from Waki', who received it from Al-A'mash, who heard it from Mujâhid to the same effect—but using “guarding against *his* urine” instead of “against urine”.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثني
إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني روح بن
القاسم قال حدثني عطاء بن أبي ميمونة عن
أنس بن مالك قال :

« كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا
تَبَرَّزَ لِحَاجَتِهِ أَتَيْتُهُ بِمَاءٍ فَيَغْتَسِلُ
بِهِ » .

— ٥٧ —

بَابُ

حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن
خازم قال حدثنا الأعمش عن مجاهد عن
طاوس عن ابن عباس قال :

« مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ
فَقَالَ : إِنَّهُمَا لَيَسْعَدَنَّ بَانَ ، وَمَا يُعَذِّبَانِ
فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَسَكَانٌ
لَا يَسْتَتِرُ مِنَ السَّبُولِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ
فَكَدَانٌ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، ثُمَّ أَخَذَ
جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّقَهَا نِصْفَيْنِ
فَعَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً . قَالُوا :
يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ :
لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسُأ .
(قال ابن المثنى : وحدثنا وكيع قال حدثنا
الأعمش قال سمعت مجاهداً مثله :
« يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ » .)

(1) Al-Bukhârî gives this chapter without a heading, as he considers that the hadith in question is almost identical with the one given under Chapter 55, and so is covered by the same heading. His object is to indicate the different channel of isnâd which substantiates the authenticity of the hadith, although the text here is slightly different. (Al-A'ini)

of two men being tormented in their graves. Then the Prophet (Allāh bless him and give him peace) said : 'These two men are being tormented, though not for a major sin.'

He then added : 'Nay, not so ! (1) One of them used not to guard against defilement from his urine, (2) and the other used to go about back-biting.' (3) After that he called for a palm-branch, which he broke into two pieces, placing one on the grave of each of the two men. When he was asked : 'O Messenger of Allāh, why hast thou done this?' he replied : 'Haply it may lighten their punishment so long as the branches are not withered -- or until they wither. (4)''

CHAPTER 56.

On what hath been related in the Traditions on washing away the defilement of urine ;

and on the words of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) about the man in the grave : "He used not to guard against defilement from his urine" -- referring only to human urine. (5)

مَكَّةَ - فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ
يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : 'يُعَذَّبَانِ بَابٍ وَمَا
يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ :

بَلَى ! كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ
بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ،
ثُمَّ دَعَا بِخِزْيَدَةٍ فَكَسَرَهَا
كَسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرِ
مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهٗ
يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ :
لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ
تُيَبَّسَا - أَوْ إِلَى أَنْ يُيَبَّسَا.

— ٥٦ —

بَابُ مَا جَاءَ فِي غَسْلِ الْبَوْلِ،

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِصَاحِبِ الْقَبْرِ : 'كَانَ لَا يَسْتَتِرُ
مِنْ بَوْلِهِ، - وَلَمْ يَذْكُرْ سِوَى بَوْلِ
النَّاسِ.

(1) The apparent contradiction is explained by Al-Qastallāni by supposing -- either that the sin in question was not too difficult to avoid, or that it might appear a small thing in the eyes of man, but a serious one in the eyes of God. It is also suggested that the Prophet's change of mind was due to the immediate inspiration of the Angel Gabriel.

(2) The seriousness of this sin lies in the fact that it makes prayer impossible as defilement debars a man from prayer, "the main pillar of Islām." (Al-Qastallāni)

(3) Similarly the sin of backbiting may lead to murder.

(4) The two readings are alternatives according to different narrators. Fresh plants are considered to be praising God in common with all living things, and so to convey a blessing to the dead. (Ibn Hajar).

(5) Al-Bukhārī's object here is to refute Al-Khattābī's inference from the last hadith that all urine is defiling. He wishes to add a rider that the urine of animals not fit for food is, like human urine, defiling; while that of animals fit for food is not.

2. We are informed by Khâlid b. Makhlad, who had it from Sulaimân, who received it from Yahyâ b. Sa'îd, who was told it by Bushair b. Yasâr, to whom it was related by Suwaid b. An-Nu'mân, who said :

"We once went out with the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) in the year of Khaibar. When we reached As-Sahbâs, the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) led us in the afternoon-prayer. When he had finished the prayer, he called for provisions, but nothing was brought but corn-gruel. After we had eaten and drunk, the Prophet (Allâh bless him and give him peace) stood up to the sunset-prayer. Having only rinsed his mouth, he led us in the prayer without a *fresh wudû*."

CHAPTER 55.

It is one of the major sins not to guard against (1) defilement from one's urine.

"We are informed by 'Uthmân, who had it from Jarir, through Mansûr, through Mujâhid, through Ibn 'Abbâs, who said :

"The Prophet was once passing a walled garden in Al-Madînah—or Makkah - (2) when he heard the shouts

٢ - حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي بَشِيرُ بْنُ يَسَارٍ قَالَ أَخْبَرَنِي سُوَيْدُ بْنُ النُّعْمَانِ قَالَ :

« خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ خَيْبَرَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالصُّبَّاءِ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَصْرَ ، فَلَمَّا صَلَّى دَعَا بِالْأُطْعِمَةِ فَلَمْ يُؤْتِ إِلَّا بِالسَّوِيقِ ، فَأَكَلْنَا وَشَرَبْنَا ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَخَضَمَ ثُمَّ صَلَّى لَنَا الْمَغْرِبَ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ » .

— ٥٥ —

بَابٌ : مِنَ الْكَتْبَائِرِ أَنْ لَا يَسْتَتِرَ مِنْ بَوْلِهِ :

حَدَّثَنَا عِثَانُ قَالَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

« مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ - أَوْ

(1) Muslim's reading of يَنْتَهِ (to keep away from) for يَسْتَتِر (to conceal oneself) is more probable from the sense. Some commentators have connected يَسْتَتِر with عَوْرَهُ (pudenda), and explained it as meaning "exposure of the parts"; but this is not borne out by the meaning of (مِنْ الْبَوْلِ) which determines "urine" and not "pudenda". (Ibn Hajar)

(2) The narrator (Jarir) is doubtful as to which, but Al-Bukhârî himself mentions Al-Madînah as certain in the book of "Adab." The garden was known to belong to Umm Mubashshir, a woman of Al-Madînah. (Al-Qastallânî)

“If any one of you is overcome by slumber while he is performing his prayer, let him lie down until sleep have passed from him; for if any one of you performeth his prayer while he is overcome by slumber, he knoweth not that haply he may wish to ask pardon of Allāh, but call down a curse upon his soul.”

2. We are informed by Abu Ma'mar, who had it from 'Abdu-l-Wārith, who was told it by Ayyūb, through Abu Qilābah, through Anas, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace), who said :

“If any one of you is overcome by slumber during his prayer, let him sleep out until he is able to know what he reciteth.”

CHAPTER 54.

On the performance of *a fresh wudû'* when no accidental impurity hath taken place.

1. We are informed by Muhammad b. Yūsuf, who had it from Sufyān, through 'Amr b. 'Amir, who heard it from Anas; also we are informed by Musaddad, who had it from Yahyā, through Sufyān, who received it from 'Amr b. 'Amir, through Anas, who said :

“The Prophet (Allāh bless him and give him peace) used to perform a wudû' with every prayer.”

When 'Amr b. 'Amir asked the Companions what they themselves used to do, Anas replied : “Each one of us was content with *a single wudû'*, so long as there had not been an accidental impurity.”

وَإِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَزِدْهُ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ ، فَإِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَعْفِفُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ .

٢ - حدثنا أبو معمر قال حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن أبي قلابه عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
وَإِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَزِدْكُمْ حَتَّى يَعْلَمَ مَا يَقْرَأُ .

— ٥٤ —

بَابُ الْوُضُوءِ مِنْ غَيْرِ حَدَثٍ :

١ - حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سفيان عن عمرو بن عامر قال سمعت أنس (ح) قال وحدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن سفيان قال حدثني عمرو بن عامر عن أنس قال :

« كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ، قُلْتُ : كَيْفَ كُنْتُمْ تَتَوَضَّعُونَ ؟ قَالَ : يُجْزِي أَحَدَنَا الْوُضُوءُ مَا لَمْ يَحْدَثْ . »

2. We are informed by Asbagh, who had it from Ibn Wahb, who received it from 'Amr, through Bukair, through Kuraib, through Maimûnah that :

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) ate shoulder of *mut-ton* at her house, and then performed his prayer without a *fresh* wudûs.

CHAPTER 52.

Should the mouth be rinsed after drinking milk ?

We are informed by Yahyâ b. Bukair and Qutaibah, who both had it from Al-Laith, through 'Uqail, through Ibn Shihâb, through 'Ubaid-ullâh b. 'Abdullâh b. 'Utbah, through Ibn 'Abbâs that :

The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) drank milk and then rinsed his mouth saying : " Milk containeth fat. "

(This narration is confirmed as fellow-witnesses to 'Uqail by Yûnus and Sâlih b. Kaisân, through Az-Zuhri.)

CHAPTER 53.

On wudûs after sleep ; and on one who doth not see the necessity for a *fresh* wudûs after being overcome once or twice by slumber, or once nodding with drowsiness.

1. We are informed by 'Abd-ullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Hishâm, through his father, through 'A'ishah that the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

٢ - حدثنا أصبغ قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو عن بكير عن كريب عن ميمونة :

أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل عندنا كَتِفًا ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ.

— ٥٢ —

بَابُ : هَلْ يُمَضَّمُضَ مِنَ اللَّسَنِ ؟

حدثنا يحيى بن بكير وقتيبة قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شَرِبَ كَبَنًا فَضَمَضَ وَقَالَ : « إِنْ لَهُ دَسِمًا ».

(تابعه يونس وصالح بن كيسان عن الزهري .)

— ٥٣ —

بَابُ الْوُضُوءِ مِنَ النَّوْمِ ،

وَمَنْ لَمْ يَرَ مِنَ النَّعْسَةِ وَالنَّعْسَتَيْنِ أَوْ الْخَفَقَةِ وَضُوءًا :

١ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

2. We are informed by Yahyâ b. Bukair, who had it from Al-Laith, through 'Uqail, through Ibn Shihâb, who received it from Ja'far b. 'Amr b. Umayyah, who was told by his father that :

He saw the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) cutting a slice off a shoulder of mutton ⁽¹⁾ when he was called to prayer. He threw down the knife, and performed his prayer without a *fresh wudû*.

CHAPTER 51.

On one who rinseth his mouth after eating corn-gruel, without performing a *fresh wudû*.

1. We are informed by 'Abdul-lâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Yahyâ b. Sa'id, through Bushair b. Yasâr the freedman of Bani Hârithah, who was told by Suwaid b. An-Nu'mân that :

He once went out with the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) in the year of Khaibar. When they reached As-Sahbâ, which is the nearest approach to Khaibar, ⁽²⁾ he performed the afternoon prayer, and then called for provisions. As nothing but roast corn was brought, he commanded it to be made into gruel, of which he partook, as we also did. He then stood up to the sunset-prayer, and having only rinsed his mouth, as we also did, he performed the prayer without a *fresh wudû*.

٢ - حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني جعفر بن عمرو بن أمية أن أباه أخبره : أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختز من كتف شاة فدعى إلى الصلاة فالتفتي السككين فصلى ولم يتوضأ .

— ٥١ —

باب من مضى من السويق ولم يتوضأ :

١ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار مولى بنى حارثة أن سويد بن النعمان أخبره :

أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر حتى إذا كانوا بالصهباء وهنى أذن خيبر - فصلى العصر ثم دعا بالازواد فلم يؤت إلا بالسويق ، فأمر به فشرى فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكلنا ثم قم إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ثم صلى ولم يتوضأ .

(1) In another version — "and eating it."

(2) — from Al-Madinah.

that he saw the Prophet (Allāh bless him and give him peace) pass *his wet hands* over his turban and his boots.)

CHAPTER 49.

When a Muslim putteth on his shoes having his feet ritually clean.

We are informed by Abu Nu'aim, who had it from Zakariyyā, through 'Amir, through 'Urwah b. Al-Mughirah, through his father, who said :

“ I was once with the Prophet (Allāh bless him and give him peace) on a journey, and as I was proceeding to take off his shoes, he said :

‘ Leave them on, for I put them on having my feet ritually clean’. He then passed *his wet hands* over them.”

CHAPTER 50.

On him who doth not see the necessity for a *fresh* wudū^s after eating mutton or corn-gruel; (1)

and on Abu Bakr, 'Umar and 'Uthmān (Allāh be well-pleased with them) having eaten meat without performing a *fresh* wudū^s.

1. We are informed by 'Abdullāh b. Yūsuf, who had it from Mālik, through Zaid b. Aslam, through 'Atā^s b. Yasār, through 'Abdullāh b. 'Abbās that :

The Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) ate shoulder of mutton, and then performed his prayer without a *fresh* wudū^s.

الله عليه وسلم يمسح على عمامته وخفيه .

— ٤٩ —

بَاب : إِذَا أَدْخَلَ رِجْلَيْهِ وَهُمَا طَاهِرَتَانِ :

حدثنا أبو نعيم قال حدثنا زكرياء عن عامر عن عروة بن المغيرة عن أبيه قال :

« كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأهونيت لأتزع خفّيه فقال : دعهما فإني أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ ، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا »

— ٥٠ —

بَابُ مَنْ لَمْ يَتَوَضَّأْ مِنْ لَحْمِ الشَّاةِ وَالسَّوِيقِ ، وَأَكَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَلَمْ يَتَوَضَّأُوا :

١ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عباس :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل كتيف شاة ثم صلى ولم يتوضأ .

(1) السويق = roast barley or wheat, ground ready for mixing with water, milk or broth. The point of the hadīth is that if the wudū^s is not necessary after eating greasy food such as mutton, it is still less so after other kinds of food such as sawīq (corn-gruel).

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

المؤلف: إمامنا إمامنا إمامنا

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION

CHAPTER 48 (continued)

3. We are informed by Abu Nu-
‘aim, who had it from Shaibān,
through Yahyā, through Abu Salamah
through Ja‘far b. ‘Amr b. Umayyah
Ad-Damri, whose father told him that:

He had seen the Prophet (Allāh
bless him and give him peace) pass
his wet hands over his boots.

(Harb b. Shaddād and Abān con-
firm this narration as fellow-witnesses
with Shaibān, through Yahyā etc.)

4. We are informed by ‘Abdān,
who had it from ‘Abdullāh, who
received it from Al-Awzā‘i, through
Yahyā, through Abu Salamah,
through Ja‘far b. ‘Amr, through his
father, who said :

“I saw the Prophet (Allāh bless
him and give him peace) pass *his wet
hands* over his turban and his boots.”

(Ma‘mar as fellow-witness
with Al-Awzā‘i confirms this nar-
ration through Yahyā, through Abu
Salamah, through ‘Amr, who stated

كتاب الوضوء

باب ٤٨ (تابع ما قبله)

٣ - حدثنا أبو نعيم قال حدثنا شيبان
عن يحيى عن أبي سلمة عن جعفر بن عمرو
عن أمية الضمري أن أباه أخبره :

أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يمسح على الخفين .

(وتابعه حرب بن شداد وأبان

عن يحيى .)

٤ - حدثنا عبدان قال أخبرنا عبد الله
قال أخبرنا الأوزاعي عن يحيى عن
أبي سلمة عن جعفر بن عمرو عن أبيه قال :

« رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم
يمسح على عمامته وخفيه »

(وتابعه معمر بن يحيى عن

أبي سلمة عن عمرو قال : رأيتُ النبي صلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الروح الاسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

— ٥ —

مقومات النظر والتعقل والتفكير

.....

الانسان مفطور على النظر والتعقل والتفكير، لا يستثنى من آحاد نوعه فرد واحد . وهذا سر ترقيه في العلم والعمل ، والصنائع والفنون ، ولولا هذه الخصائص فيه لبقى كما بقيت جميع الأنواع الحيوانية على ما كان عليه لم يبرحه قيد خطوة . ولكن الذى يحيل نظره في أفراد وجماعته يرى تفاوتاً كبيراً بين ثمرات هذه القوى فيهم . فالساعة التى يراها الرجل المتعلم مجموعة من آلات دقيقة ركبت تركيباً خاصاً لتدير ثلاث إبر دورات معينة : أولاهـا تشير الى الساعات ، وثانيها الى الدقائق ، والثالثة الى الثواني ، لمعرفة أوقات الليل والنهار ، يتخيلها الرجل المتوحش كأنها حيا مستدلاً على حياتها بدقاتها المتوالية .

فالنظر والتعقل يحتاجان لعلم يغذيهما ، وإلا وقعا في أخطاء فاحشة ، وتأديا الى نتائج وهمية . وهذا العلم يجب أن يكون دائماً الترقى ، وإلا وقفت هذه النتائج عند حد ، ووقف ارتقاء الانسان عنده . ومن يتأمل في تاريخ الفلسفة الطبيعية يجد عجباً عجائباً من ثمرات علمية باطلة ، نتجت من استدلالات فاسدة .

إن صحة الثمرات الفكرية لا تتوقف على العلم وحده ، ولكن على الأصول الأدبية ، واللبادى الخلقية أيضاً . فقد تشاهد أمة بلغت من العلم مدى بعيداً ، ومن الصنائع

والفنون غاية قاصية، ولكن ثمراتها الفكرية فيما يختص بالشئون العالمية قاصرة قصورا فاضحا. فهي ترى أن الحق للقوة، وأن العدل يتلون بألوان شتى، على حسب المصلحة، وعلى حسب حال من يطبق عليه، إن كان أبيض أو أسود، غنيا أو فقيرا، مواطنا أو أجنبيا. وترى أن الصفات النبيلة من الرحمة والعطف والأيثار ضروب من الضعف النفساني، لا يجوز أن تمثل بين صفات الرجولة التي نتخيلها، حتى ذهب بعض غلاة الاشتراكيين الى وجوب إبادة كل ضعيف وذى عاهة في المجتمعات حتى لا يبق إلا الأقويا، وهدم، بحجة أن وجود هؤلاء الضعفاء والزمنى يضعف المجتمعات، ولومن طريق إعالتهم.

فهذه الجماعات العلمية الى أقصى حد، تنحط كما ترى من ناحية إنسانيتها الى أسفل دركة، ويعدو تشدها في الأثرة على كيائها، فلا تلبث أن تعركها الفتن الأهلية عرك الأديم، وتخفضها مخض السقاء، لتوقظ منها إنسانيتها النائمة.

أفلا يكون من أعجب العجب أن الاسلام الذي نشأ في أبعد بلاد الله عن النظام والاجتماع والمدنية والعلم، يحتاط للثمرات العقلية كل الاحتياط، ويتخذ لها جميع المعدلات، لتأتى سديدة محكمة، تنفع الجماعة التي تقدم اليهم، وتقوّم عوج الجماعات التي تحتك بهم في ممارستها لحياتها الاجتماعية، وليضربوا مثلا عالميا أعلى لما يجب أن يكون عليه النظر والتعقل والتفكير في جميع الأحوال التي تنتاب الانسانية، من ضعف وقوة، وفشل وفوز، وتقهقر أو تقدم.

قلنا إن الانسان مفطور على النظر والتعقل والتفكير، فجاء الاسلام وهو دين الفطرة يفرضها على أهله فرضا، مناقضا بذلك الأديان التي تحرمها على أهلها تحريما باتا خشية أن توصل بعض أفرادها الى اليقظة فيثوروا على قادتها ويحاسبوهم على ما يقتربون. فاتفق الاسلام من هذه الناحية وما يرى اليه العلم والفلسفة، ولكنه بزها باشتراطه على أهله أصولا يقومون بحققها، وآدابا يراعونها، تكفل لهم الوصول

الى الحق ، أو بالقليل لا تطوَّح بهم عنه الى مكان سحيق ، لذلك جاءت ثمرات تفكير أهله واستنتاجاتهم ، حتى في العهود التي لم تكن العلوم فيها قد وصلت الى درجاتها الراهنة ، باللغة أقصى ما يمكن أن تصل اليه من الصحة وحسن التقدير .

فالأمور الشرعية التي دوتها الفقهاء المسلمون قبل نحو أحد عشر قرناً تبرز في عدالة أصولها ، وسمو مستواها ، وانفاقها والحق الطبيعي ، جميع القوانين الوضعية حتى التي سُنت في القرن العشرين . فهل يمكن أن يقال إن الفقهاء المسلمين كانوا أعلم من فقهاء العصر الراهن بجميع فروع المعارف البشرية ، فتوصلوا الى استنباط شريعة من كتابهم وسنة رسولهم أرقى من قوانين العصر الحاضر بحكم تفوقهم في العلم على المعاصرين ؟ هذا غير معقول ، ولكن الذي يمكن أن يقال أن الأصول التي كانوا يدينون بها ، والآداب التي أمروا أن يراعوها ، كانت أرقى مما لأهل العصر الحاضر ، فجاءت ثمرات تعقلهم وتفكيرهم أرفع درجات من ثمرات تفكير المعاصرين .

إن من يتأمل في التشريع الذي استنبطه علماء المسلمين في الرق والارقاء ، وفي المرأة وما يتعلق بها من حقوق طبيعية وروحية ، وفي الأيتام والفقراء ، وفي حقوق المحاربين والمعاهدين والأجانب والذميين ، وفي الشئون المدنية والجنائية ، وفي العقوبات والعزيرات الخ ، من يتأمل في هذا كله يجد تفوقاً ظاهراً في التشريع الاسلامي على التشريع الأوروبي في القرن العشرين ، وهذا خلاف ما كان ينتظر ، فإن التقدم مطرد في كل فرع من فروع المعارف البشرية ، ومنها تقنين القوانين ، فتفوق السابق منها على السالحي بنحو ثلاثة عشر قرناً يعتبر أعجوبة الأعاجيب لمن يريد أن يفهم المسألة على أسلوب الأمور العادية ، وهو مصداق لما قلناه من أن للأصول الأدبية والحالات النفسية ، تأثيراً كبيراً في تقويم النظر والتعقل والتفكير .

هذا في الناحية الأدبية البحت ، وهو في الناحية العلمية ظاهر أيضاً لكل من يعنى بدراسته من الباحثين . فإن المعروف أن المسلمين الأولين انصرفوا الى تحصيل العلوم

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بست سنين كما يعترف بذلك الأستاذ (دريبر) في كتابه المنازعة بين العلم والدين . فبدؤوا بتدريس الفقه واللغة والتفسير والحديث والتاريخ ، ولما اختلطوا بالأُم شرعوا في نقل علومها الى اللغة العربية ، وأمعنوا في تفهمها وتدبرها ، ولم يعض عليهم ربح من الزمن حتى برعوا فيها ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل زادوا في مادتها ، واكتشفوا علوما جديدة أضافوها اليها ، وما مضى على حركتهم هذه قرنان حتى أصبحوا أئمة لها في الأرض .

فإذا أردت أن تعرف هذه السرعة التي هضموا بها المعلومات وانتفعوا بها الى أقصى حد ، وجدها ترجع الى الأصول الأدبية ، والمبادئ الخلقية التي أقامهم الاسلام عليها . وبيان ذلك أن الاسلام بث في أهله حب الحقيقة وإكبارها الى أقصى حد ، باعتبار أنها هي الغاية المرجوة من الحياة ، وأن ما عداها هو الضلال المحض : « فإذا بعد الحق إلا الضلال » .

وبين لهم من ناحية أخرى أن الحقيقة بنت البحث ، وأنها ليست بوقف على طائفة من الطوائف ، ولا فرد من الأفراد ، وأنه لا يُوصل اليها بالجمود على الموروثات القديمة ، والتعصب للآراء المقررة ، وأن على المسلم أن يتناولها ولو من ألد أعدائه ، فهي ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها ، وأنه ليس بعاب أن يقول الانسان اليوم بقول ثم ينتقل عنه الى غيره متى بدا له وجه الصواب فيه ، وأن العلم إذا لم يقرن بالعمل فلا خير فيه ، وأن كل علم لا يقام عليه دليل فلا يصح أن يسمى علما ، وأن التقليد مذموم ، فان كان لابد من الاتباع في العلم وجب أن يكون اتباعا على بصيرة ، لا على تسليم مجرد من البينة . وأن العلم لا حده ، وأن الانسان أهل لأن يبلغ منه مالا يتخيله تخيلا .

هذه الأصول القيمة التي أشربها الاسلام لأتباعه ، دفعتهم لتلمس الحقيقة في كل شئ : في الأرض وفي السماء ، وفي أنفسهم ، وفيما بين أيديهم وما خلفهم ، وفي بلادهم وخارج بلادهم ، غير متعصبين لمذهب ، ولا جامدين على رأى ، ولا واقفين عند حد .

فبهذه الروح المتوثبة درسوا كل فلسفة ، وحلّلوا كل مذهب ، فلم يفهموا عن الأخذ بأحسنها أصل من كتاب ، ولا مبدأ من سنة ، بل قد تحروا الأحسن منها مدفوعين بأصول كتابهم ، ومبادئ سنتهم ، فإذا اعترضهم نص منهما تخيلوا فيه نقضا لما قامت لهم الأدلة العقلية والطبيعية على صحته ، صرفوا ذلك النص عن ظاهره بحكم أصولهم الأولية ، لا تلاعبا منهم بمقرراتهم الدينية . لذلك ذهب المسلمون الأولون مذهب العلوم فى كل ما قرره ، غير مقيدىن بقيد ، ولا مرتبطين بشرط ، فتأدوا الى أبعد مما وصل اليه الذين كانوا قبلهم بمراحل لا تكاد تحصى . وقد أثبت مؤرخو الغرب أنهم وصلوا الى نظرية تحول الأنواع بعضها من بعض ، وقتلوا بها بحثا وتفلية ، وسروها حتى على المعادن ، أى زادوا على ما ذهب اليه الغربيون من وقفها عند حد الأحياء . وقد ثبت رأى المسلمين أخيرا ، فقد ظهر أن العناصر المعدنية المعروفة اليوم متحولة بعضها عن بعض ، وأن الفلزات أجسام مركبة لا بسيطة .

أين هذه الحرية العلمية المطلقة ، من القيود الحديدية التى كبل بها رجال الدين فى أوروبا الباحثين أيام كانت لهم السلطة العليا فيها . فقد اختاروا أولا مذهب أفلاطون وتمسبوا له كل التمسب ، وأوقعوا بالذين يفضلون عليه مذهباً آخر أشد العقوبات . ثم غيروا وبدلوا فى مذهب أرسطو ، واتخذوه قاعدة لبحوثهم ، وتشيعوا له تشييعا عظيما حتى كانوا يسومون الذين يناهضونه أشد العذاب .

أما المسلمون الأولون فإنهم لما درسوا هذين المذهبين تخيروا أولاها بالتحويل عليه ، غير مقيدىن بقيد ، ولا مأخوذىن بشرط ، فوقع اختيارهم على مذهب أرسطو لأنه يعمل على التجربة ، ويؤدى الى نتائج عملية ، دون الأول ، فإنه عقلى محض ، وربما تخبطه الى الخيال وما اليه .

يتبين مما مر كله أن للأصول القويمة ، والمبادئ الأدبية ، تأثيرا كبيرا على صحة النظر والتعقل والتفكير ، وقد رأيت أنها أدت المسلمين الى درجة من التفوق لم تنالها

أمة قبلهم ولا بعدهم، على قلة المادة العلمية في عهدهم، بالنسبة الى الموجود منها في العصر الحاضر .

إن نظرية التفاضل بين القوميات ، وبين أصحاب الألوان والأديان ، وبين أصحاب الألقاب ، لا تزال سائدة في العالم المتمدين ومعمولاً بها في التقنين والتشريع ، وقد هدمها المسلمون وعفّوا على آثارها وعدوها من بقايا الجاهلية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً . عملاً بأصول كتابهم وسنة رسولهم . فتأمل الى أى مستوى من السمو تصل صحة النظر والتعقل والتفكير رغماً عن قلة المادة العلمية ، تبعاً لسمو الأصول ، ورفعة المبادئ الأدبية .

يجب أن يعرف المسلمون هذه الخصائص لديهم ، وأن يشبعوها شرحاً ، ويوفوها بحثاً ، وينوهوا بها في مشارق الأرض ومغاربها ، فهي على طرافتها حقائق فلسفية لا يجوز أن يغفلها الباحثون في تاريخ العقلية الانسانية وتاريخ المبادئ والأصول .

وبعد : فهذا وجه من وجوه الروح الإسلامية ومدى تأثيرها في النفس البشرية ، وهو تأثير لو وصفته بأنه عظيم لهضمته حقه ، فإنه إن كان الانجليز يفخرون بأنهم شعروا بالروح الدستورية من لدن القرن الثالث عشر الميلادي ، وشرعوا يطبقون نظمهم عليها في خلال العصور ، حتى أنتموا دستورهم في القرن السابع عشر ، وإنه إن كان الفرنسيون يتباهون بأنهم قرروا الحقوق الطبيعية للإنسان في أواخر القرن الثامن عشر ، فإذا يفعل المسلمون وقد بلغوا الى أوج المبادئ الدستورية ، وانتهوا الى أبعد غايات الحقوق الانسانية قبل غيرهم بنحو ألف ومائتي سنة ؟

نعم إنهم لم يصلوا الى ما وصلوا اليه اجتهاداً منهم ، ولكن بواسطة الوحي الإلهي ، فإن كان ليس لهم أن يتباهوا ويفخروا بالوضع والابتكار ، فلمهم أن يتباهوا ويعجبوا بأنهم أول من عملوا بهذه المبادئ في الأرض

سوانح ومقتبسات

قرأت الدكتور الفاضل صاحب العزة عبد العزيز بك اسماعيل مقالا نشر بهذه المجلة يقول فيه : « فالانسان الذي لا يعرف من الغيب إلا بقدر ما يعرف من سنن طبيعية يسمى جاهلا مهما عرف ، لأن قوانين السنن الطبيعية لا حد لها . فهبج من قلبي شعورا بتلك السوانح ، فكان مبدأ الإلهام بها ، والاستعداد لها .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر ذلك الدكتور الذي جمع من نواحي السكال ما لا يكاد يوجد إلا في أفذاذ الرجال . فأبان لنا من أسرار القرآن الطيبة ما يعد آية الآيات ومعجزة المعجزات .

وقد أذكرني ذلك ما كان يفعله المرحوم الدكتور « توفيق صدق » في آيات القرآن الفلكية وما فيها من الأسرار . (وهكذا لا يزال القرآن معجزة المعجزات وآية الآيات على ممر العصور والأوقات) .

أسأل الله أن يديم عليه هذا التوفيق في دينه القويم وعلمه الواسع وفضله الكبير ، وأن يطيل حياته للعلم والدين ، وأن يكثر من أمثاله بمنه وكرمه ؛ وهذه هي السوانح :

١ — الفضيلة تستحيل رذيلة في النفوس الخبيثة كما تستحيل الأغذية الطيبة إلى فساد في المعدة الضعيفة . (ومعدن الكبريت يقاب ما يحل فيه من الماء الزلزال إلى طبعه) .

٢ — إن النواميس كثيرة لا تكاد تحصى ، فلأبدان نواميس ، وللأرواح نواميس ، وللعوالم الغيبية نواميس ، في كل واحد منها ما لا يعلمه إلا الله تعالى . بل في عالمنا هذا من النواميس ما لا يأتي عليه العد . وإن شئت فانظر إلى ما لا يحصى من أنواع الحيوان تجد نواميس الحيوانات الدنيا غير نواميس الحيوانات العليا ، وناوميس حيوانات الهواء

غير نواميس حيوانات الماء الخ. فسبحان من خلق فسوّى وقدّره هدى. ولا يمكن مخلوقا من المخلوقات أن يسلك غير ما رسم له من الطرق، ولا أن يعرف ما هو مستعد له من المعلومات. فليعلم الانسان أنه لا يمكنه أن يتكلم في علم من العلوم ولا صنعة من الصنائع ولا حرفة من الحرف إلا إذا كان راسخا فيها تمام الرسوخ.

وبودى لو عرف الناس تلك الحقيقة وعرفوا أن الرسوخ لازم في كل شيء، وأن بين التعلم السطحي والرسوخ في الأشياء ما بين السماء والأرض، وأن هناك أشياء لم تخطر لنا على بال وهى ذات نواميس واسعة وأحكام كبيرة. ولو عرف الناس سعة العلم وجهل النفوس وضعف البشرية لاستراح العالم من منازعة بعضهم بعضا. وقد أذكرنى هذا قول الرئيس ابن سينا: «إن البلاهة (أو الغباوة) خير من الفطنة البتراء».

٣ — قال بعض المحققين: «إن معرفة الله ضرورة من حيث العقل دون الحس، والتذكير بها كالتذكير بالضروريات كالموت».

لكن ضرورة الحس ليست كضرورة العقل، فإن ضرورة الحس فيها جذب وقسر وإكراه. وأما ضرورة العقل فهى لطيفة جدا والحس ينازعه فيما لا يعرفه. وقد تقع الشبهة في ذلك للعقل، فيختلط عليه الحال ولا يدرى التفرقة بين ما علم وما جهل فإن شئت فقل هو مستدل عليه. وإن شئت فقل هو بديهى، على حسب غلبة العقل أو الحس.

من يستدل يترقى من الجزئيات الى الكليات، ومن الأدنى الى الأعلى، وهناك من تنقذ في نفسه الكليات فينحدر منها الى الجزئيات، وقليل ما هم.

٤ — لا بد من تقليد الأنبياء في بعض ما جاءوا به، لقصور الأفهام عن مغزى كثير من الشرائع. والطفل الذى يعطى الحرية في الكلام عن الحقائق ولا يكون عنده مبدأ التقليد، يستحيل تكميله، لأنه بمقتضى قصوره الطبيعي لا يمكنه إدراك الحقائق على ما هى عليه، وبمقتضى حرية المفروضة لا يقتنع إلا بما عرف، ولا يمتثل

إلا لما أدرك. والناس بجانب الأنبياء، أو نقول بجانب ما أودع في العوالم من القوانين الروحانية والجسمانية والنواميس التي لا يحيط بها محيط، والعلوم التي لا يحصى عددها إلا الله، والأسرار التي اعترف الفلاسفة الحديثون والسابقون بقصورهم أمامها - أقل من الطفل بجانب الرجل. وإذا كان الناس لا يصدقون إلا بالبرهان في كل مسألة دينية لم يمكن أن يكونوا متدينين، إذ يستحيل الوصول إلى برهان تام في كل مسأله إذا كان التصديق موقوفاً على البحث في كل مسألة، كما هو شأن المتفهبين اليوم. والانسان لا يمكنه أن يصل إلى مدنية تامة مالم يكن هناك أسس صالحة لذلك.

أما إذا كان محتاجاً إلى اللبس الضروري والمسكن الضروري والمأكل الضروري ولا يرجع ذلك كله إلا إلى نفسه ولا يقبل من أحد شيئاً، فما أجدد هذا أن يموت قبل أن يستعنت بما يأكله وما يلبسه، وقبل أن يصنع الآلات اللازمة لذلك! وما أعجز الانسان أن يشيد دنيا طويلة عريضة من العدم! فكذلك لا يمكنك أن تشيد لإنسان غير مسلم لك ولا واثق بك ولا مقلد إياك ولا عنده شيء من أصول الخير، دينا ينازعك في الصغير منه والكبير، ويريد على جهله وسذاجته أن يكون رسولا من الرسل أو نبيا من الأنبياء. (وإلا فانت بمنزلة من أراد أن ينشئ ديناً من العدم).

٥ - ينبغي أن يكون الانسان مجتهدا ومقلدا، فيكون مجتهدا فيما هو راسخ فيه متمكن منه، ويكون مقلدا غيره فيما عداه، ولا بد من ذلك، وإلا لم ينتظم العالم، ولم يصل أحد إلى سعادته. وليعلم أنه لا يوثق بعلمه مالم يصل إلى ذلك الرسوخ، ولا يمكنه أن يصل إلى تلك الدرجة إلا في بعض الأشياء فقط، وهو في حجاب عما عدا ذلك لا يكاد يعرف حقيقة وروحه. فيجب عليه أن يكون مقلدا في غير هذا الذي رسخ فيه، مسلماً لأهل الرسوخ من ذويه، لأنه لا يمكنه الرسوخ في كل شيء كما قلنا.

ومن طلب غير ذلك فقد سعى في إفساد النظام، وادعى معرفة كل شئ، وذلك من خصائص الألوهية.

٦ — فلسفة القرآن فوق كل فلسفة. وليست هذه الأشياء الروحانية والحقائق العالية التي فيه إلا فلسفة علت عن كل فلسفة، حتى إن كثيرا من الناس عدها خرافة لبعدها ما بينه وبينها، وما عرف حقائقها إلا الراسخون في العلم (وانظر الى مثل قوله: «فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون» وقوله: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» وقوله: «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه» الى غير ذلك، واستجل ما فيها من أسرار وأنوار).

أما سياسته في مخاطبة الخلق وذكر تلك الحقائق العالية بما يناسب ظاهره العامة وباطنه الخاصة، فهو محل الإعجاز. ولا يمكن الفيلسوف أن يقف أمام ذلك إلا باهتا مدهوشا لا يستطيع سلوك تلك المسالك. وغاية ما يمكنه إن كان راسخا في فلسفته ذا بصيرة تامة أن يعرف فلسفة القرآن ويصل الى مراميه.

أما انتهاجه نهج القرآن بخارج عن طوق البشر.

٧ — نبع الناس الآن في الأمور العملية والمخترعات المادية، ونشهد لهم بهذا. ولكن ما أجهلهم في النظريات ومعرفة البراهين والملازمات! فكثيرا ما يشتبه عليهم المصاحب بالملازم والمعد بالفاعل والشرط بالمفيض.

وعلى الجملة فهم بريئون من الفلسفة والمنطق. وما أكثر غلطهم في الاستدلال غلطا كان يضحك من مثله الأولون!

فلئن جهل الأقدمون كثيرا مما أوصل اليه العمل، فما أجهل هؤلاء بطرق الاستدلال وشروط البرهان، وما أبعدهم عما يقوى العقول ويمتص الأرواح وزج بالإنسان في عالم الروحانيات، ويبعده عن عالم الظلمات والآفات! فما أضعف دولة العقل وحظ الفلسفة اليوم على الرغم من دعاوى المدعين وفيهقة المتفهبين!

٨ — قال في الأسفار : إن المادة لا تفعل في شيء إلا إذا كانت على وضع خاص منه . فلا يمكن أن تفعل في نفسها ولا في قواها الطبيعية ، لأنها ليست ذات وضع بالنسبة إلى ما فيها من القوى . فلا يمكن أن تخرج الكامن فيها من القوة إلى الفعل ، بل لا بد له من شيء آخر يخرج به ، لأن ما بالقوة لا وجود له ، وما لا وجود له لا يعطى الوجود . ففيض الوجود هو باري الصور المصور القادر .

وأما هذه الأشياء فهي معدات وشروط ، لا فاعلة ومفيدة ، ولا معنى لأن تهب الصور ، ولا لأن تكون فاعلة . فإن كيفيات المادة هي من جنس الحرارة والبرودة ، فلا تفعل إلا ما تفعله الحرارة والبرودة الخ .

وأما إفاضة الصور وحفظ الأجزاء بالإمداد عليها وتعويضها كل ما فقدت من أجزائها وحفظ الاتصال بين أجزائها على الصورة الخاصة مع ما فيه من دقائق الصنع ، فحال أن يكون من فعل المادة . ثم نقول إنها لا تفعل إلا بما فيها من القوى الطبيعية ، ولا يمكن أن توجد في نفسها تلك القوى الطبيعية ، لأنها بدونها خالية من كل قوة ، فكيف توجد في نفسها وهي لا تكون هي إلا بوجودها فيها ، إلى آخر ما لعلنا نفيض فيه بعد ، إن شاء الله م

يوسف الدموي
من جماعة كبار العلماء

للحلم بوادرتحي صفوة

وفد النابغة الجعدي على النبي صلى الله عليه وسلم فأنشده فيه قصيدته الرائية حتى انتهى إلى قوله منها :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدر
قال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا يفيض الله فاك ! فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية .

الاسلام والطب الحديث

بحوث دينية علمية

« وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » الآية ١٧٢ سورة الأعراف .

هذه الآية الكريمة تنص على أن الله أخذ ذرية بنى آدم من ظهورهم . والمعروف أن الخصى موضوعة في الجزء الأسفل لافى الظهر ، ولكن الله تعالى يتكلم عن خلق الانسان وذريته ونشأته ، ولذا هو يتكلم عن علم Empryology أو « علم الأجنة » ، ويتكلم عن الجزء الذى يخصص للنطفة في جسم الجنين ، وهذا الجزء في الظهر عند أسفل الكليتين تماما ، ومن هنا تنمو الأعضاء التى تكوّن الخصيلتين ، وتبقى في الظهر تحت الكليتين حتى الأشهر الأخيرة من حياة الجنين في بطن أمه ، ثم تنحدر الى أسفل ، وعند الولادة تكون في مركزها الطبيعى المعتاد . وقد يتأخر الانحدار أحيانا ويولد الشخص وخصيئته في البطن ، ويسمى هذا في الطب الخصى غير النازلة .

فالآية الكريمة تشير والحالة هذه الى النقطة الأصلية في جسم الجنين التى تؤخذ منها النطفة ، وهذه هي الظهر بلا شك . ولما كان علم تشرح الجنين لم يتقدم إلا في مائة السنة الأخيرة ، فإن هذه الآية تعد في حكم المعجزات ، وثبت أن القرآن لا يأتيه الباطل أبدا .

وكذلك مركز المبيض في أنثى الجنين ، فإنه في الظهر تحت الكلية تماما ، وسواء أكان الانسان ذكرا أم أنثى فإن الذرية تؤخذ من الظهر .

أما باقى الآية الكريمة « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم » الآية ، فعناها ظاهر مما سبق لنا ذكره في علوم الغيب والسنن الطبيعية ، لأن كلاما من المبيض والخصى مكون من نطف عديدة تنمو بالسنن الطبيعية وتصير إنسانا ، ولا يعرف الانسان هذه النطف

إلا إذا تعهدتها القوانين الإلهية ونمت الى درجة الأجنة على الأقل . وكذلك لا يعرف الانسان شيئاً من مستقبلها أو كنهها إلا بمرور الزمن ، ولكن صانعها يعلم كل ما ستؤول اليه في المستقبل ، ويعلم كذلك الانسان السكامل في النطفة ، التي هي صورة مصغرة له كما قلنا ، وتمثل كل صفات الشخص ، وكل ما يرثه تماماً ، ولهذا نجد الخالق سبحانه وتعالى يخاطب ذرية بنى آدم وقت خلقهم وهم في عالم الذر ويعلمون خالقهم وهو يشهدهم على أنفسهم .

وأما الصورة المكبرة لهم - في شكل الانسان - فكثيراً ما ننسى خالقها الأول بسبب ما يطرأ عليها من حوادث طبيعية تؤثر بمرور الزمن في الجسم والعقل والأخلاق ، وقد يكون التأثير شديداً فتصدق عليهم هذه الآية « إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الثُّمَّةُ الْبَشَرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ » .



« وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » :

تظهر هذه الآية الكريمة في الأول صعوبة الفهم ، لأن الشخص الذي يكره آخر ويقال له إن كراهتك إذا انقلبت محبة فستعطى جزاء كبيراً يعوض عليك كل ما يكون سبباً في هذه الكراهة ، إن هذا الشخص قد ينسى كراهته ، وقد يستبدل بها ألفة ، ولا سيما إذا كان الجزاء كبيراً ، والله يقول : « لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً » . فالحقيقة أن الكراهة والألفة قد تكون نتيجة لأسباب ظاهرية بسيطة لا تصل الى العواطف القلبية ، ومتى كانت كذلك أمكن الاستعاضة عنها ، بل استبدالها بسهولة ، فإن السائل الذي يطلب إحساناً ثم لا يعطاه يكره المستول ، ولكنه ينقلب الى شكره وحمده إذا أجاب سؤاله .

وقد تكون الكراهية والألفة من « العواطف » أو القوى الحيوانية المنفعلة التي

تنشعب عن أسباب ظاهرية تكرر فتحديث تغييرات عضوية في أعضاء الجسم، وخصوصا المخ والغدد الصماء، وقد لا يكون للكرهه سبب ظاهر. على أنه في كل من هاتين الحالتين تكون الكرهه أشبه شئ، بالغرائز الطبيعية، ويكون أساسها تغييرات كيميائية في المواد العضوية الحية، وتحدث هذه التغييرات مع التكرار أمراضا عضوية في الأعضاء لا يمكن الشفاء منها، وكثيرا ما تكون ذكرى العاطفة أكبر محرك لزيادة المرض، وقد كثرت الأدلة على تأثير العواطف في أعضاء الجسم، وقد بحث هذا كثير من علماء السكولوجيا، مثل (ادلر وينج) وغيرها.

ومهما جاهد الشخص في أن يغير من عاطفته فإن يفلح. والأم التي ترى ابنها يعذب يوميا بيد إنسان ما حتى ترى نهايته، لا يمكن أن ينقلب كرهها محبة قلبية مهما عوضت من ذلك، لأن التغييرات العضوية التي تحدث في الأعضاء تمنعها من محبة هذا الشخص، وتحتاج الى تغييرات عضوية أخرى لتبديل بشعورها آخر. ومثلها في ذلك مثل الذي فقد حاسة، فإنه لا يستطيع الإدراك إلا إذا استردها.

وهذا هو المقصود من الآية الكريمة، لأن خلق عضو جديد أو استرداد حاسة ما، هو من المعجزات التي لو أنفق النبي ما في الأرض جميعا ما أمكنه أن يأتي بها، وهي جميعا من صنع الله وحده.

وتعتبر هذه الآية الكريمة أيضا في حكم المعجزات إذا علمنا أن (دارون) الذي كتب عن العواطف في العهد القريب قبل أن يكتب عنها «ينج» لم يفتن الى التغييرات العضوية في الأعضاء، وأن هذه النظرية آخذة في ازدياد خلال الخمسين سنة الأخيرة. وإذا علمنا كل ذلك ظهرت لنا حكمة القرآن وعظمته، وأنه لا يأتيه الباطل أبدا.

ولزيادة الإيضاح للقارئ الذي ليس طبيبا سأضرب له أمثالا بسيطة على تأثير العواطف في الجسم: فالخوف الشديد الذي يأتي فجأة قد يحدث منه تغيير في الشعر

ويصير أبيض اللون؛ وكذا يحدث البهق في الجلد والاضطراب والعناء المستمر؛ كذلك يحدث البول السكري؛ وأحياناً لا يكون هذا قابلاً للشفاء، ويؤدي بالاستمرار إلى هلاك غدة البنكرياس. وكذلك الكراهة المستمرة قد تحدث تغيرات عضوية في الأعضاء لا تشفى بعد زوال السبب، وتكون عودتها إلى الحالة الطبيعية فوق طاقة الإنسان،
دكتور عبد العزيز اسماعيل

واعظ الشيب

حدث عبد الله بن الحكم الواسطي عن بعض أشياخ الشام قال : قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب ، ووجه راشد بن عبد الله أميرا على القضاء والمظالم . قال راشد بن عبد الله :

صحى القلب عن سلمى وأقصر شأوه	وردت عليه ما نفته تماضر
وحكمه شيب القذال عن الصبا	وللشيب عن بعض الغواية زاجر
فأقصر جهلى اليوم وارتد باطل	عن الجهل لما ابيض منى الغدائر
على أنه قد هاجه بعض صحوة	به فرض ذى الآجام عيس بواكر
ولمادنت من جانب الفرض أخضبت	وحلت ولافاها سليم وعامر
وخبرها الركبان أن ليس بينها	وبين قرى بصرى ونجران كافر
فألقت عصاها واستقر بها النوى	كما قر عينا بالاياب المسافر

نظرة جامعة الى تاريخ الاسلام في بولونيا

واحوال المسلمين فيها

منذ أن استقلت بولونيا والمسلمون دائبون لا صلاح حالهم وتيسير معيشتهم ، ولقد كان من أهم ما عملوه إنشاء دار الآثار والكتب الاسلامية في مدينة فيلنو ، جمعوا فيها ما لديهم من التحف الاسلامية والكتب الدينية القديمة ، هذا بخلاف المكتبات الاسلامية المنتشرة في أنحاء الجهات التي يكثر فيها المسلمون ، والتي تحتوى على بعض الكتب الدينية الحديثة ، وبعض التراجم العربية ، وكتب التفسير والحديث ، وبعض كتب في الأدب والتاريخ البولوني . وللمسلمين البولونيين ثلاث مجلات خصوصية ، وهي :

١ - مجلة (التقويم السنوى) التي يصدرها مجلس الشورى المركزى سنويا والتي يرأس تحريرها أرسلاف كريتشينسكى ، وتتناول الكلام على تاريخ المسلمين البولونيين العام .

٢ - مجلة (نظرات إسلامية) التي تصدرها جمعية المسلمين في وارسو كل ثلاثة شهور ، ويرأس تحريرها وساف جيراي جيباجى ، وتتناول غالبا البحث في بعض المواضيع الاسلامية .

٣ - مجلة (الحياة التقارية) التي تصدرها الجمعية الاسلامية في فيلنو شهريا ، ويرأس تحريرها مصطفى طوهان برانوفسكى ، وتتناول بحث موضوعات خاصة بالمسلمين البولونيين أنفسهم ، وتصدر تلك المجلات الثلاث باللغة البولونية .

وللمهاجرين المسلمين في بولونيا ثلاث مجلات :

١ - مجلة (فوقاسيا الشمالية) وتصدر باللغة التركية والروسية .

٢ - مجلة (الاستقلال) وتصدر باللغة الأذربيجانية .

٣ - مجلة (الطريق القويم الجديد) وتصدر باللغة التتارية .

وتتناول هذه المجلات الكلام على كل ما يختص بالهجرة والمهاجرين المسلمين .
ومما تقدم يمكننا معرفة مقدار تسامح الحكومة البولونية إزاء المسلمين ، وما تقدمه لهم من الخدمات والمساعدات في سبيل تيسير حياتهم وضمان حريتهم .
منذ أن استقلت بولونيا والمسلمون من أهلها يفكرون في تشييد المساجد في مدن بولونيا المختلفة وإصلاح ما تهدم منها ، ولقد اهتموا كثيراً بفكرة تشييد مسجد وارسو (عاصمة بولونيا) فتكونت لهذا الغرض جمعية من بعض المسلمين والمسيحيين البولونيين تحت رئاسة كل من الحاج دكتور يعقوب شينكييفتش مفتى بولونيا الأكبر ، وعبد الحميد خوروموفتش رئيس الادارة الدينية في العاصمة ، وقد واصلت الجمعية سعيها داعية الأقطار الاسلامية جميعها للاشتراك في إقامة مسجد وارسو . وفي عام ١٩٣٤ أقرت حكومة بولونيا سعيها وتبرعت بقطعة أرض لبناء هذا المسجد ، وزيادة في التعاضيد أطلقت بلدية وارسو على الشارعين الموصولين الى هذه القطعة اسمى مكة والمدينة . وفي عام ١٩٣٥ عرض مفتى بولونيا الأكبر هذا المشروع على أعضاء المؤتمر الاسلامي الأوروبي المنعقد في جنيف فوافقوا عليه بالإجماع ، وقد أصدرت جمعية بناء المسجد نداء للمسلمين في كل البلاد تحثهم فيه على المساعدة في بناء هذا المسجد ، وترجمة هذا النداء كما يلي :

نراء : جمعية بناء مسجد وارسو :

« أيها المؤمنون ! هل تعلمون أنه يعيش في بولونيا هذا البلد الذي يبعد عنكم آلاف الأميال شعب صغير يعتنق الاسلام ؟ أولئك هم مسلمو بولونيا ، وهم يقطنونها منذ خمسةة عام ، وقد قذفت بهم الأقدار في بلد جعلت منه توالى الأيام وطناً لهم حتى في الزمن الذي وصلت فيه قبائل الهون والجيوش التركية قلب أوروبا .

« وقد مضت منذ ذلك الحين مئات السنين ولا يزال مسلمو بولونيا محتفظين حتى

اليوم ، رغم إحاطتهم من كل جانب بشعوب مسيحية ، بميزاتهم الوطنية وأخلاقهم الاسلامية ، إلا أنه لا بد للزمن من أثر ، فإن عزلة مسلمي بولونيا عن العالم الاسلامي تُضعف فهم شيئا فشيئا عقيدة آبائهم . ويمكن معالجة هذا الضرر بتشديد المساجد ، وهي تلك الشعائر القائمة منذ أجيال ، والرمز الدال على اتحاد المؤمنين ، والتي من أعلى ما ذُهِب يُدعى المؤمنون الى الصلاة مع إخوانهم في الدين ، وقد راعى مسلمو مدينة وارسو هذه الحقيقة تمام المراعاة وأقدموا على بناء مسجد رئيسي في عاصمة البلاد .

« وأنشئت لهذا الغرض جمعية أطلق عليها اسم (جمعية مسجد وارسو) . ولما كانت الجمعية تملك أرضا قامت بإعداد تصميم بناء المسجد ، ولكن للأسف فإننا نفتقر إلى رؤوس أموال ، لأنها في بلادنا قليلة جدا ، وشعبنا يعجز إذا اعتمد على وسائله وحدها في إقامة مسجد العاصمة .

« وعلى هذا لا يسعنا إلا الاعتماد على البلاد الأخرى في مساعدتنا . وإننا نشعر بحسامة المهمة الملقة على عاتقنا ، ونحن وطيدو الثقة بأنه سيكون لمشروعنا صدى في قلوب إخواننا في الشرق ، وأن كلامهم شاعر باتحاد العائلة الاسلامية الكبيرة ، ولن يتردد في الاشتراك في مشروع بناء مسجدنا كل بمقتضى وسائله . وإننا لا نشك في أن كل مسلم سيجد في قلبه قليلا من العطف نحو إخوانه الناشئين ، وسيساعدكم في بناء مسجدكم .

« لكل الأديان الأخرى كنائس تساهم في تجميل العاصمة ، ولا ينقص إلا المعبد الاسلامي ، وهذا ما يسترعى الانتباه العام ، ويملاً قلوبنا حزنا وألما ، ولذلك نتوجه اليكم بندائنا الحار » .

عن إدارة جمعية بناء مسجد وارسو

مفتي بولونيا الأكبر الحاج دكتور يعقوب سليمان شينكييفتش ، عبد الحميد خوراموفتش

عنوان الجمعية : (Pologne. Wilno, Mufti de Pologne)

ويأمل المسلمون البولونيون كثيرا فى أن يلقى هذا النداء كل تعاضيد من إخواننا المسلمين فى جميع الأقطار الاسلامية الكبرى ، ويقوموا بقسطهم فى مد المعونة لآتمام بناء هذا المسجد ، فيرتفع صوت الاسلام فى هذه الأقطار النائية .
على اسماعيل فورونوفتش ، محمد سيد الحموى

ضرر مدح الانسان نفسه

دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ، فقال له : من أنت ؟ وتجهم له كأنه لا يعرفه . فقال له الفرزدق : وما تعرفنى يا أمير المؤمنين ؟ قال لا . قال الفرزدق : أنا من قوم منهم أوفى العرب ، وأسود العرب ، وأجود العرب ، وأحلم العرب ، وأفرس العرب ، وأشعر العرب . قال أمير المؤمنين : والله لتبينن ما قلت أو لأوجعن ظهرك ، ولأهدمن دارك !

قال نعم يا أمير المؤمنين : أما أوفى العرب خاجب بن زرادة الذى رهن قوسه عن جميع العرب فوفى بها . وأما أسود العرب فقيس بن عاصم الذى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه وقال : هذا سيد الوبر . وأما أحلم العرب فعتاب بن ورقاء الرياحى . وأما أفرس العرب فالخريش بن عبد الله السعدى . وأما أشعر العرب فها أنا ذا بين يديك يا أمير المؤمنين !

فكدر الخليفة ما سمع من نخره . وقال له ارجع على عقبك فما لك عندنا شىء من خير .

تاريخ حياة محمد

بقلم فرانك هـ . فوستر

شبهات واهنة ، وحيلة فاشلة

— ٢ —

نأتى اليوم على ترجمة الفصل الثانى من مقالة المستر فرانك هـ . فوستر التى نشرها فى مجلة العالم الاسلامى (The Moslem World) التى تطبع فى الولايات المتحدة بأمريكا ، ثم نناقشها الحساب كما فعلنا بفصلها الأول . قال الكاتب :

« ومع كل ما صرنا فيه القرآن قد بين يجله شخصيه محمد ولو أن ذلك قد حدث من غير قصد ، فإن مجرد وجود القرآن يستدل منه على نشاطه العقلى العظيم ، وهو أول خطوة فى سبيل إيجاد نثر فى الأدب العربى . وبذلك يمكن اعتباره عملا جليلا . كما يوضح من سوره ولا سيما الأوائى منها .

« وقد كان محمد داعيا قديرا تتدفق العبارات من فاه كالسيل الجارف حتى يغص بها ولا يبقى منها غير كلمات مفردة أو مزدوجة . واستشهد على ما يقوله بسورة التكاثر وقال إنها لا معنى لها :

« ولقد كان رجلا صعب المراس ، قد يندفع فى خطابه كما ورد فى السورة السادسة والتسمين من الآية الثالثة عشرة الى السادسة عشرة ، وقد يقطع المناقشة بسكون مدهش مقرر أن من الناس من خلقوا للجحيم ، أو يرمى خصمه بوصف مهين متوحش . ولكنه رغما عن هذا كان ذا عزيمة هادئة وإن كانت مصممة .

« تابع عمله فى مكة سنين دون أن يصادف نجاحا ، ولكن عزمته لم تقل . فقد كان يتحمل المشبطات ولا يشكو منها ، ويظهر صبرا عظيما حيالها ، ثم يعاود دعوته

مرة بعد أخرى من غير أن يظهر اضطرابا ، استمر على ذلك سنين دون أن يقبل دعوته أحد .

« ولقد يأخذ الانسان العجب من شدة تواضعه على قوة إيمانه برسالته وبسلطانه الدينى .
« كان محمد رجلا عاديا مهمته قاصرة على الدعوة ، فلم يدع أن له قوة غير طبيعية ،
أو أنه قادر على إحداث الخوارق ، ولم يتبجح بأنه منزّه عن الذنوب ، بل إنه اعترف
في بعض الأحوال بلوم الله له . راجع السورة التاسعة والعشرين .

« وقد أ كثر محمد من التنويه بعطفه على بنى الانسان وحده على قومه . ومن
مزاياه العقلية عدم تأثره بالبيئة التى نشأ فيها ، ورفع نفسه عنها .

« ولقد كان على جانب من قوة الخيال الشرقية ، يتضح ذلك من وصفه للنعيم
والجحيم ، ومن السور الشعرية التى قالها فى أوائل أيامه .

« وكان يقظ الفكر على الدوام ، شديد الملاحظة للأُمُور . وكان أ كبر ما يعاب به
عدم قدرته على المناقشة والمحاجة ، وإنه لعيب عظيم . فلم تكن له طريقة منتظمة ولا تعاليم
مرتبة فى المجادلة ، يشبهه فى ذلك جميع العرب الذين كانوا معاصرين له . لذلك كان يعتمد
للتكرار الذى لا ينتهى للتدليل على ما يريد . فكان يعجز أحيانا عن صوغ الحجة لمناقشته
خصمه بعيدا عن الموضوع الذى هو بصدد (انظر السورة السادسة والعشرين) .

« لم يسلم محمد من العقائد الخرافية والمبادئ الإباحية بتأثير بيئته كما هو متوقع ،
فقد اعتقد فى الجن ، وأباح لنفسه ولغيره رذيلة تعدد الزوجات واتخاذ السرارى ، وترى
هذه الإباحة حتى فى وصفه للفردوس » انتهى الفصل الثانى .

ردنا على هذا الفصل :

إن المستر فوستر بعد أن تلج صدره ، بلا دليل كما رأيت ، على أن محمدا صلى الله
عليه وسلم لم يكن نبيا ، وأنه جاء بهذا القرآن من عنده ونسبه الى الله تعالى ، شرع
يحاكمه على كل ما جاء فيه مما لا يرتضيه ذوقه ، غير معتمد بالأحوال التى أحاطت بالدعوة

الاسلامية ، ولا بالأقوام الجاهليين الذين دُعوا للدين وهم في وثنية منحطة ، ولا بالمناسبات والملابس التي يمكن أن يوجد فيها داع في تلك البيئة الشديدة الوطأة . فنحن نتجاوز عن كل ما قاله في نسبة القرآن للنبي ، وفي أنه كان أول من أوجد النثر في الأدب العربي ، وفي نشاطه العقلي العظيم ، وفي قدرته الخطائية ، ولكننا نؤاخذ على ما حاول فيه أن يطمس الحقيقة أو يضلل القارئ عن الواقع .

من ذلك ما زعمه من أن سورة التكاثر من العبارات التي كانت تأتي عقب تدفق السيول الخطائية الجارفة من فم النبي صلى الله عليه وسلم ، فتضيق عباراته حتى تنتهي إلى كلمات مفردة أو مزدوجة ، وزعم أن تلك السورة لا معنى لها .

نوجه ذهن القارئ قبل كل شيء إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يلقي خطبا على قومه ، ولكنه كان يدعوهم إلى الاسلام ويتلو عليهم القرآن . وكثير من آيات القرآن كانت تنزل بمقتضى الحوادث . فلكسورة التي يذكرها المستر فرانك سبب نزول ، وهو أن بني عبد مناف وبني سهم تباهاوا بالكثرة فكثروا الأولون . فقال بنو سهم : فآخرونا بالأحياء والأموات . فعدوا الأموات فغلب بنو سهم . فنزلت هذه السورة تبكيتهما ، وهي في أسنى درجات البلاغة ، فلا هي خالية من المعنى ، ولا هي ذيل خطبة حارت ألفاظها في فم ملقيها فنثرها أزواجا وفرادى . فإليك سورة التكاثر : « أَهْلَكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (أى حتى زرتموها لتعدوا الأموات) ، كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، (كرر الجسلة للتهويل والتأكيد) ، كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ، ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ، ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » .

فمن الذى يستطيع أن يرى في هذه السورة مغمزا من أى نوع كان غير متعنت يريد أن يصد عن سبيل الله ويبغيها عوجا ؟

يقول المستر فرانك : كان محمد رجلا شديد الشكيمة قد كان يندفع في الكلام ، كما فعل في سورة العلق ، وقد يقطع الحاجة ببناء مدهش وينوه بخلق خلقوا للجحيم ،

كما فعل في الآية الثامنة والسبعين بعد المائة من سورة الأعراف ، أو ينهيا بكسنية قارصة متوحشة .

بمحنة في سورة الأعراف عن الآية الثامنة والسبعين فإذا بها قوله تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » . أما الكسنية القارصة المتوحشة فلم يذكر مثالا لها .

والقارئ لا يحس بذلك الدهش الذي يذكره المستر فرانك عند قراءته لهذه الآية ، فإن الله يقول : إنه خلق لجهنم كثيرا من الانس والجن ، ووصفهم بأنهم الذين يعطلون مواهبهم عن القيام بما خلقت له ، فلهم قلوب ولكنهم لا يستفيدون منها في التمييز بين الحق والباطل ، ولهم أعين ولكنهم لا يستخدمونها في رؤية ما خلق الله من شيء للاعتبار به ، ولهم آذان ولكنهم لا يصغون الى الهداة للانتفاع بالعمل بما يفضون به اليهم ، أفترى أن هذه الكائنات المتحجرة يوقظ إنسانيتها النائمة أقل من أن يقال لهم إن الله خلق لجهنم خلقا كثيرا أنتم منهم أيها الغافلون ؟

يظهر لنا أن المستر فرانك يجهل كثيرا من مقررات علم النفس ، وكثيرا من ضروب العلاجات التي تؤثر فيها . فالنفوس الخاملة الهامدة التي أماتها المادة لا يوقظها من سباتها إلا عبارات قوية الفعل ، شديدة التأثير ، من قبيل هذه الآية السكرية . وفي الكتاب الكريم من ألوان التعبيرات ما يصلح لعلاج كل نفس ، لذلك كان تأثيره في تلك القلوب الجاهلية المتحجرة أبلغ تأثير لم ير له مثيل في حياة جماعة من الجماعات .

هذا ما ذكره فيما يتعلق بالآية الثامنة والسبعين بعد المائة من سورة البقرة ، وقد رأيت أن ليس فيها ما يدهش ، إلا إذا أراد ما يدهش ، من شدة الروعة ، وعمق التأثير ، وسمو التعبير .

أما ما ذكره من الكسنية القارصة المتوحشة ولم يضرب له مثلا ، فنتركه حتى يبينه .

ثم ألم المستر فرانك بشيء من شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر ما كان عليه من قوة العزيمة ، وشدة الإرادة ، وحسن الاحتمال للمكاره ، وعدم الاكتراث بالمثبطات ، والتجرد عن الاضطراب والخور ، ووفور تواضعه على رسوخ إيمانه برسالاته ، وثقته بسمو مهمته ، ولم يغفل ذكر عطفه على بنى الانسان ، وحده على قومه ، وعدم تأثره بالعوامل التي كانت سائدة في بيئته ، واستطاعته التخلص من شرها ورفع نفسه عن مستواها ، وبقظة فكره ، وقوة ملاحظته .

ألم المستر فرانك بكل هذا ولم يسأل نفسه هل يمكن أن تكون هذه الصفات الجليلة كلها لغير رسول أو نبي ، وهل يتأتى أن تجتمع كلها لأفك مدع ؟ اعترف المستر فرانك بأن محمدا صلى الله عليه وسلم أمضى في مكة على هذه الحالة سنين كثيرة ، ناله فيها من الاضطهاد ما لا يستطيع الصبر عليه . فهل يعقل أن يصبر على هذه الشدائد الهائلة منتعلا لأكبر المهام العلوية ، دون أن نخونه قواه ، ونعذر به عزيته ، ويفتضح أمره ، ويتشتت أنصاره ، ويصيبه ما أصاب كل كذاب أشر ؟ إذا كان هذا معقولا فأى فرق يكون بين أرقى درجات الفضيلة وأخس دركات الرذيلة ، وأى قسطاس يمكن أن توزن به مواهب رسول إلهي ، وأحاييل دجال ظالماني ؟ وكيف يتأتى للبشر بعد هذا أن يستدلوا على مظهر الروح الإلهي ، وأثر النفث الشيطاني ، وبخاصة إذا تكلفت دعوة المحتالين بالنجاح التام ، وأثمرت أعظم الثمرات الأدبية ، لأمة كانت في أخريات الأُمم ، فأورثها الله خلافة الأرض قرونا كثيرة ، وتعددت الأصول الإصلاحية التي نفثها في روعها الى العالم أجمع ، فأدت الى إصلاح عام لم تر الانسانية له مثيلا من قبل ؟

أما اطلع المستر فرانك ه . فوستر على مبادئ علم النفس ليعرف أن النفوس الكاذبة الخاطئة ، التي تستميع النفس والتزوير ، لا يتأتى أن تصدر عنها إلا مبادئ ساقطة من جنس ما جبلت عليه من الخبث وفساد الطوية ؟

وقال المستر فرانك أيضا: « إن أكبر عيب في محمد كان عجزه عن متابعة الحاجة ، وإنه لعيب عظيم ، فلم تكن له طريقة منتظمة ، ولا أصول مرتبة مثله في ذلك كمثل جميع العرب على عهده الخ » .

في هذه الشبهة لا يزال المستر فرانك يجري على وهمه الأول ، وهو أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الذي وضع القرآن ، فيعيب عليه ما يعيبه الناقد على مؤلف . فأين المستر فرانك من الواقع حيال هذه الشبهة ؟

إن هذا القرآن الذي يعيبه بما يعيب به محمدا ، كان أثره أن أحال أمة برمتها من وثنية منحطة الى توحيد سام ، ومن جاهلية جهلاء لا تعرف أصلا كريما ، ولا مبدءا شريفا غير القوة الغاشمة وحكم الحديد والنار ، الى حالة من السمو الأدبي والروحاني لم تعهد في أمة منذ خلق الله العالم الى اليوم .

فهل هذا كله نتيجة الحصر عن مواصلة الحاجة ، والعجز عن الإفصاح بالحجة ، والانتقطاع عن متابعة الجدل ؟

إن صح هذا فقد حجب المستر فرانك هذه العيوب الكلامية الى الناس ، وجعلهم يُشكُّون في هل هي عيوب في الواقع ؟

إن المستر فرانك قرأ القرآن أو بعضه لا قراءة باحث منزّه عن الغرض ، غير محتزن في نفسه فكرة موروثه عن الاسلام وما يتعلق به ، ولكن قراءة متعنت مدخر على القرآن والرسول الذي أتى به ، أسوأ ما يدخره رجل متعصب على غيره ، فلم ير في القرآن غير ما يرى المحصور في دائرة ضيقة من وهمه .

أما بلغ المستر فرانك أن رجالا عابرة قد شهدوا لهذا الدين بالسمو ، حتى حكموا بأن له العاقبة لا شك فيها ، فهل قرروا ذلك لقصور حجته ، وفلة مادته ، أم لعمايتهم صما رآه هو بثقوب نظره ، ورجوح عقله ؟ !

وقال المستر فرانك : إن محمدا لم يسلم من العقائد الخرافية والمبادئ الاباحية ، فقد اعتقد بوجود الجن ، وأباح لنفسه ولغيره رذيلة تعدد الزوجات واتخاذ السرارى .

ونحن لا ندرى لم يكون القول بوجود الجن من العقائد الخرافية ؟ ألدينا دليل قاطع على أن العالم ليس فيه إلا العوالم التى تقع تحت الحس مباشرة ؟ أما رأى أن العالم اليوم ، وبخاصة فى الولايات المتحدة ، قد غص بالبحوث النفسية الدالة على وجود العالم الروحاني ، وعلى أنه يموج بالكائنات المتجردة عن المادة ، وقد جعل الباحثون شعارهم الأسلوب العلمى الدقيق المؤيد بالتجارب الحسية ؟

أما قرأ التوراة والانجيل ورأى فيهما أن موسى وعيسى كانا يعتقدان بوجود الجن ، وأن الأخير عليه السلام كان يخرجها من أجساد المرضى ويطردها بعيدا عنهم ؟

أمّا قوله إن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يسلم من المبادئ الاباحية لسماحه بتعدد الزوجات ، فهو خلط بين الاباحية والشرعية . فالاباحية هى إطلاق الحرية للنفس لترتكب باسم الحرية كل ما يبدو لها من الانحرافات الخلقية ، كشرب الخمر والمقامرة والفسق الخ ، والشرعية تحدد تلك الحرية فى دائرة الآداب السكرية ، والأخلاق القويمة .

وقد أباح الاسلام تعدد الزوجات لتعذر كبت الطبيعة البشرية ، وقصر الرجال على زوجة واحدة . والدليل على ذلك أن المسيحية لم تستطع أن تحمى المجتمع هذا الشر ، فانتشرت المخادانات فى البلاد التى تسود فيها ، والمخادنة شر اجتماعى خطير نتأجه لا تقف عند حد .

وقد أحل موسى عليه السلام تعدد الزوجات ، فهل يتهمه المستر فرانك هـ . فوستر بهذه النقيصة أيضا ؟

اللهم إنه لا يستطيع ذلك ، فلم إذن يكيل بكيانين ، ويحكم بقانونين ؟ !

محمد فريد وهبى

العلاقة بين المادة المخية والعقل^(١)

يفترض الناس منذ القدم أن لكمية المخ في المخلوقات علاقة كبيرة بمقدار ذكائها، ويزعمون أن جهلاءهم لا يستحوذون إلا على كمية ضئيلة من هذه المادة الثمينة، وقد يجد هذا الاعتقاد مبررا ولكن الى حد ليس بعيداً، إذ أن كمية المخ في بعض الحيتان قد تربو على خمسة كيلو جرامات، ولا تقعدى في النملة جزءاً من خمسة وعشرين ألفاً من الجرام، ولا يسكاد يصدق إنسان أن الحوت أذكى من النملة بما يبلغ ١٢٥ مليون ضعف، فلو أن ما افترضه الناس منذ القدم من العلاقة المطلقة بين كمية المخ ومقدار الذكاء كان صحيحاً لكان مركز الانسان وهو تاج المخلوقات من حيث الذكاء مما لا يشرفه كثيراً، فإنه توجد حيوانات عديدة مثل الفيلة والحيتان وكثير من الحيوانات المنقرضة تبلغ كمية المخ فيها أضعافاً مضاعفة للقدر الذي يملكه الانسان، وهو يبلغ في المتوسط ١٣٤٣ جراماً.

من ذلك يتضح أن الوزن المطلق للمخ لا يصلح بأي حال أن يكون ميزاناً للعقل، ولو أن نصيب الانسان منه يفوق في بعض الأحوال كثيراً من المخلوقات التي تزيد عنه جسماً.

وقد لا تتغير الحال كثيراً إذا نحن جعلنا المقارنة بين المخلوقات من حيث نسبة وزنها كاملاً الى وزن المخ، فإن الانسان السكامل النمو في هذه الحالة لا يأخذ المرتبة الأولى أيضاً، ويسبقه الطفل الحديث الميلاد ويكون أرق المخلوقات جميعاً وأكثرها ذكاءً، إذ يقرب منه من جزء من سبعة أجزاء من وزن جسمه بأكمله، ويعقبه مباشرة بعض الطيور والحيوانات الثديية الصغيرة، ويأخذ الانسان السكامل في هذه الحالة

(١) مترجمة من الألمانية نقلاً عن مقال للاستاذ الدكتور « فنسمو » في مجلة « كوسموس » الألمانية.

أيضا مركزا ممتازا بالنسبة للأحياء الأخرى التي تعادله وزنا، إذ يبلغ مخه جزءا من أربعين جزءا من وزن جسمه، بينما لا تزيد النسبة في الأحياء الأخرى المعادلة له وزنا عن جزء من أربعائة.

وقد استخلص العالم الألماني « هالر » من هذه المقارنة النسبية القانون المعروف باسمه، وهو أن الأحياء تتناسب تناسباً عكسياً مع وزن مخها، أو بعبارة أخرى كلما قل وزن الجسم كلما زادت نسبة وزن المخ إلى الوزن العمومى.

ولربما كانت المقارنة النسبية أقرب إلى إيضاح العلاقة الدائمة بين المخ والدكا، وقد تكون مملكة النمل أسطع برهان على صحة هذا القانون.

ولو أننا أخذنا لذلك أمثلة متعددة في الحيوانات المتساوية وزنا مثل القنفذ والفنك الاسترالى وهرة البحر وهى إحدى أنواع القرود الصغيرة، وتزن جميعها حوالى ٧٥٠ جراما، لوجدنا أن وزن مخ القنفذ ثلاثة جرامات ونصف والفنك ستة جرامات وهرة البحر ٤٠ جراما، أو أننا أخذنا « الأوبوسوم الأمريكى » وهرة المنزل والجيبون وهو نوع أكبر من القرود وتزن جميعها حوالى ثلاثة كيلو جرامات وثلث، لوجدنا أن وزن مخ أولها ستة جرامات ونصف، وثانيها واحد وثلاثون جراما ونصفا والآخر تسعون جراما، أو أننا أخيرا أخذنا الإنسان والغوريلا وكلب لبونبرجر لوجدنا أن مخ الإنسان يزن حوالى ١٤٠٠ جرام بينما لا يزيد وزن مخ الغوريلا عن ٤٥٠ جراما ومخ كلاب لبونبرجر عن ١٢٥ جراما مع تساوى الثلاث فى وزن الجسم بأجمعه، وفى ذلك دلالة واضحة على أن كمية المخ تمشى جنباً إلى جنب مع مقدار الذكاء.

وعلى ذلك لنا أن نبيز احتمال ضرورة الزيادة فى كمية المخ، وهو مركز التفكير، وذلك كلما تقدمنا خطوة نحو الرقى فى الأحياء على العموم. إلا أنه يجب ألا نغفل أن عقل الإنسان كباقي الأجهزة التى لا يقيم لها وزن من حيث حجمها فقط، فقد تكون ساعة الحائط كبيرة وضخمة ولا تبين سوى الساعات والدقائق، وقد تكون ساعة الجيب

صغيرة ودقيقة وتبين الساعات والدقائق والثواني وأيام الأسبوع وأسماء الشهور والأرباع القمرية وما عدا ذلك من المواقيت ، ولا يتم ذلك بالطبع إلا بتعقيد تركيبها وإحكام صنعها وجودة معدنها ، ولا يختلف المخ عن ذلك كثيرا ، فإنه وإن لم يصل في الأحياء الراقية الى الحجم الذى قد يبلغه في الحيوانات الضخمة فإنه يزيد عنه تعقيدا ويفوقه تركيبا . وقد دلت الأبحاث الميكروسكوبية والماكروسكوبية على أن مخ الأحياء الراقية يختلف في تركيبه وتكوينه الداخلى اختلافا كبيرا عن نظيره في الأحياء الدنيئة .

وتذهب العلوم الحديثة الى أن القشرة الخارجية في المخ هي مركز القوى العقلية ، ويزداد مسطحها اتساعا كلما تقدمت الأحياء نحو التقدم والارتقاء . وبما أن الفراغ في داخل الجمجمة محدود بعوامل أخرى ولا يمكن للمخ أن يشغل حيزا أكبر منه فإن القشرة الخارجية في مثل هذه الأحوال تعثرها تلافيف وتجمعات تختلف أيضا قلة وكثرة باختلاف القوى العقلية . ولا يقل سطح القشرة المخية في الانسان عن ٢٢٠٠ سنتيمتر مربع ، بينما لا يزيد في الفردة عن ٥٠٠ سنتيمتر مربع ، وهكذا فإننا كلما انحدرنا الى الأحياء الأقل رقيا فإن المسطحات تتناقص تدريجيا ، أو بعبارة أخرى نجد أن التجمعات تقل تبعا لها .

وليست هذه التجمعات الظاهرة هي التي تميز درجات الذكاء فحسب ، بل إنه قد اتضح لنا بواسطة الميكروسكوب أشياء أخرى على جانب عظيم من الأهمية في قياس القوى العقلية ، فإنه ثبت أن عدد الخلايا في هذه القشرة الخارجية يختلف أيضا اختلافا كبيرا باختلاف القوى العقلية ، وقد قدر عددها في قشرة مخ الانسان بحوالى ٥٠ ألفا في كل مليمت مكعب ، بينما لا يزيد عددها عن ١٠ آلاف في كثير من الحيوانات الثديية الأخرى .

يستخلص مما تقدم أن حجم المخ ليس هو العامل الوحيد الذى به يمكن تقدير

درجة الذكاء، بل إن هناك عوامل أخرى عديدة على جانب عظيم من الأهمية في رفع القوى العقلية، مثل نسبة وزن المخ الى وزن الجسم، ومساحة مسطح القشرة المخية ومقدار تجمعدها وعدد خلاياها، وتكوين المخ وتركيبه الداخلي. وقد دلت الإحصاءات التي عملت أخيرا عند تشريح الجثث الأدمية أن وزن المخ يختلف باختلاف نوع العمل الذي كان يزاوله الانسان أثناء حياته، فيزداد بقدر اشتراك القوى العقلية في الحياة، كما دلت أعمال الحفائر والتنقيب أن حجم الجمجمة كان دائما يختلف في الأحقاب والعصور باختلاف الحضارة والمدنية المعروفة حينذاك، واتضح أخيرا أن معظم وفيات المصابين بالأمراض العقلية التي تنتهي بالبسه تدل على أن المخ كان آخذا في التناقص حجما والانبساط سطحا.

على أن كل هذه الملاحظات لا يمكن أن تدل على أنها قانون صالح في كل الأحوال، فإن أ كبرنخ عرف حتى الآن كان لأبله، وأن بعضا من المفكرين الذين كانوا يوما قادة للعالم في مختلف العلوم والآداب كان حجم مخهم دون المتوسط، وهكذا فإن العلاقة التي تربط كمية المخ بمقدار الذكاء ما زالت يخيم عليها الظلام ويحيط بها الجهل، ولا تقوى الوسائل التي نسيطر عليها الآن بأن تميز بين مخ عبقرى وآخر من العامة البله، وإنما نكتفي اليوم بأن كمية المخ والعوامل الأخرى المذكورة تساعدنا على وجه العموم على معرفة درجة التقدم والذكاء، ولا يمكن الرجوع إليها بأى حال من الأحوال للقياس والمقارنة في جميع الحالات الفردية، ونرجو من المستقبل أن يكشف لنا يوما عن أسرار العلاقات بين القوى العقلية وتركيب المخ.

فضل العقل على المنطق

قال سليمان بن عبد الملك: فضل العقل على المنطق حكمة، وفضل المنطق على العقل هجنة.

وما المرء إلا الأصغران لسانه ومعه قوله والجسم خلق مصور
فإن تر منه ما يروق فربما أمر مذاق العود والعود أخضر

ثلاثة زعماء هندوكيون

يعلنون إسلامهم

جاء في جريدة البلاغ تحت هذا العنوان ما يأتي :

علم القراء من الكتاب الذي نشرناه قبل بضعة أيام للزعيم الهندي الكبير الأستاذ خالد لطيف جابا عضو المجلس التشريعي خاصا بالنبوذيين في الهند أن الهيئات الاسلامية هناك ألقت وفدا كبيرا برياسة هذا الزعيم لدعوة النبوذيين وغيرهم من الطوائف الهندية المضطهدة بسبب اعتقاداتها الدينية ، الى اعتناق الديانة الاسلامية ، ولحضور المؤتمرات التي يعقدها هؤلاء للنظر في اختيار دين لهم يحقق المساواة بينهم وبين الطوائف الهندية الأخرى .

وقد استطاع هذا الوفد الاسلامي أن يثير في النبوذيين والثيرازيين والانجاس الرغبة في اعتناق الدين الاسلامي ، بما أوضحه لهم من مزاياه التي تسكفل لهم المساواة التامة التي يطلبونها من الهندوكيين وغيرهم من أمم العالم .

ونزيد على هذا أننا تلقينا اليوم كتابا خاصا من الهند جاء فيه أن الزعيم الكبير خالد لطيف جابا رئيس وفد الدعوة الاسلامية بين النبوذيين والثيرازيين والانجاس اجتمع هو ونفر من العلماء بأحد كبار الزعماء الهندوكيين (المستر كيمبلي) ، ودارت بينهما مناقشات ومباحثات طويلة انتهت باعلان المستر كيمبلي رغبته في اعتناق الدين الاسلامي ، وفي أن يتولى الدعوة للاسلام بين النبوذيين وغيرهم بدل الدعوة للديانة الهندوكية .

وقد احتفلت جمعية « تبليغ إسلام » في بونا بهذا المسلم الجديد احتفالا كبيرا .

وتلقينا من مراسل البلاغ في متوجرى « البنجاب » ما يأتي :

تزداد الحركة الاسلامية في جنوبي الهند قوة وانتشارا بنجاح الوفد الاسلامي

الهندي برياسة الزعيم خالد لطيف جابا في إقناع زعماء المنبوذين ورؤساء الثيازيين وغيرهم من الطبقات المضطهدة Dpreessed classes بسبب عقائدها الدينية ، بأن الدين الاسلامي يحقق المساواة المطلقة بين جميع الطبقات والشعوب والأجناس .

وقد نجح المسلمون في منتوجرى نجاحا جديدا ، إذ اقتنعوا بهذا الزعيم الهندي الكبير بنديت لاله كاشى رام ، فأعلن إسلامه ، وقد كان هذا الزعيم من أشد الزعماء الهنديوكيين بأسا في مناهضة الحركة التي يقوم بها الوفد الاسلامي الهندي لإقناع المنبوذين والثيازيين باعتناق الاسلام .

ومن أهم ما يذكر في نجاح المسلمين استطاعة خطيب مسجد منتوجرى الكبير مولانا الشيخ محمد عبد الله التأثير على المستر جهندا سكي أحد زعماء طائفة الشيخ حتى اعتنق الاسلام ، وقد كان هذا الزعيم موفدا من مجلس الشيخ الشرعى لدعوة المنبوذين لاختيار العقيدة السيخية بدل العقيدة الهندوكية .

جرأة الوعاظ

روى أن محمد بن كعب القرظي كان حاضرا في مجلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأنشأ عليه من ، فتهلل وجهه ، فنظر اليه محمد بن كعب فقال له : يا أمير المؤمنين ، لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك ، فإن قوما خدعهم الثناء وغرهم الشكر ، فزلت أقدامهم فهوا في النار ، أعاذك الله أن تكون منهم ، وألحقك بسالف هذه الامة ! فبكى عمر حتى خيف عليه . وقال : اللهم لا تخلنا من واعظ .

التفسير

سورة الرعد

- ١٥ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَكْثَرُ أَلْفَاظٍ مَن يُنْكِرُ بَعْضُهُ ، قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ، إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٍ . وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُسْنًا عَرَبِيًّا وَإِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) :

قد انتهى القول في جدال أولئك المكابرين الى حد أن سجل عليهم أن زين لهم سوء عملهم فأروه حسنا فلا مطمع في ثناهم عنه ، وأنهم صدوا عن السبيل القويم ، والصراط المستقيم ، فطبع الله على قلوبهم فأضلهم ، ومن يضل الله فإله من هاد ، وحكم عليهم بالوعيد الشديد إذ يحل بهم عذاب الدنيا الشاق ، وما ينتظرهم من عذاب الآخرة أشق حيث لا يقيمهم من عذاب الله واق . وزاد في حسرتهم ببيان صفة الجنة التي وعد المتقون ، وأن هذه عقابهم ، حيث يقابلها عقبي الكافرين وهي النار ، فلم يبق في دائرة مجادلتهم ومكابرتهم ووصف حالهم وعاقبة أمرهم مستزاد لمستزيد .

حسن الانتقال الى تفصيل حال جماعة آخرين لهم صلة بالدين والرسول والشرائع الإلهية، فلم يشاركوا أولئك المكابرين في كل سخافاتهم وتعنتهم وعنادهم، أولئك هم أهل الكتاب، ومن عسى أن يكونوا أقرب الى الاستجابة، وأساس في القيادة، وآلف للشرائع السماوية، أولئك هم الذين شرع الله في تفصيل أحوالهم بأوضح أسلوب وأبينه مع الإيجاز المستوفى، فقال جل شأنه: «والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه» أى أن الذين عرف الرشاد الى قلوبهم سبيلا، وحلت الهداية قلوبهم نوعا من الحلول، وأكرمهم الله بنعمته وآتاهم الكتاب، تبهج قلوبهم، وتسرع نفوسهم، ويفرحون بما أنزل الله اليك، لما يرون فيه من الهدى الكامل الذى تذوقوا طعمه فى جنس التشريع الإلهى، فيجدون فى هذا ما يشبع نفوسهم من هدى يطلبون فيه المزيد. وهل يعرف قدر النعمة إلا من ذاقها وله عهد بها؟

أجل: الذين آتيناهم الكتاب يجدون فيما أنزل اليك ما يوافق ما كانوا يترقبون بما اطلعوا عليه فى كتبهم، من بعث نبي هو خاتم الأنبياء، ينزل عليه شرع هو ختام الشرائع، فهو الكامل الذى ليس بعده للنفس مرتقب، فيفرحون إذ ظفروا بإدراك أكمل أنواع الهداية التى أنعم الله بها على العالمين.

ولكن هل هذا شأن أهل الكتاب جميعا؟ لا، بل لا يزال منهم من أعشى التعزب بصائرهم، فأصروا على أن يبقوا متمسكين بعزة كانوا استأثروا بها على قومهم، إذ كانوا قد جعلوا ما حباهم الله من نعمة الهداية وسيلة للتماعى على سائر الأقوام؛ وبدل أن يجعلوا همهم توصيل هدى الله لعباد الله فيكسبوا مرضاة الله، استخدموا ذلك وسيلة لنيل عرض الحياة الدنيا من مال وجاه وعزة مرجعها كلها للفناء والاضمحلال. ولكن أنى يبصرون وخامة عاقبتهم واعوجاج منهمهم وقد أعمتهم لذائذ الجاه الذى أحرزوا، والمال الذى جمعوا، والنفوذ والسلطان وبهما استمتعوا، فلم يبصروا منفعتهم الحقيقية الخالدة، وركنوا الى تلك المتع العاجلة الزائلة، فتحزبوا فيما بينهم ألا يفرطوا

في ذرة مما كسبوا . بيد أنهم لم يستطيعوا أن ينكروا كل ما جاء به وهو الهدى والنور مصداقاً لما معهم ، فعمدوا الى بعض يستطيعون إنكاره ، إما مما حرقوه بأيديهم وقالوا هو من عند الله ، وما هو من عند الله ؛ وإما من أحكام فرعية اقتضت الحكمة الإلهية نسخ حكم منها بحكم خير منه أو مثله ، فأنكروا ذلك متحيزين متعنتين .

والأحزاب جمع حزب ، وهو الجماعة يتماشكون يؤيد بعضهم بعضاً في غرض يخصهم . وكأنه من قوله : حزبه الأمر إذا وقع به وأهمه ، فإن المرء عادة إذا نزل به نازل شديد عمد الى أقرب الناس اليه وأشبههم به ومن يشاركه في تلك النازلة فتناصر هو وهو ، حتى ينهضوا بالدفاع عما نزل بهم . فكان التعبير بالأحزاب ليدل على أنهم ما دفعهم الى إنكار البعض إلا الحرص على استبقاء مجدهم فيه مشتركون يخافون أن يزول من أيديهم ، فيتحزبون ليدفعوا عن أنفسهم ما نزل بهم . إذاً ليس إنكارهم سوى أناة يخدمون بها أغراضهم لا يخدمون الحق ، ولا ينظرون الى مصلحة البشر أو إحقاق الحق . وما كان تخصيصهم الإنكار ببعضه دون بعض تبعاً لعقيدة حكمت عليهم ، وإنما هو لأنهم لا يستطيعون إنكار جملته ، وهو الحق الواضح مصداقاً لما بين أيديهم ، ومقرراً لكثير مما معهم من الكتاب مما لم ينله تحريفهم .

ولقد همج عليهم الإخام من حيث لا يجدون منه مخلصاً ، فيما أمر الله نبيه أن يوجهه اليهم ، من البيان الناجع ، والبرهان القاطع ، في قوله عز وجل : « قل إنما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ » أي أخرس ألسنتهم ، ويبين لهم سفاهة أحلامهم ، وقل لهم : أي شيء تنكرونا علينا أو تنقمونه منا وأنا ما أمرت إلا أن أعبد الله وأن أوحده ؟ ! أفتنكرون عبادة الله وأنتم تزعمون أن مهمتكم الدعوة الى عبادته ، أم تنكرون توحيدَهُ وأنتم على ما تزعمون دعاة توحيدِهِ ، وإن كانت حقيقتكم أنكم ما عبدتم إلا مصلحتكم ، وما ألهمتم إلا أهواءكم ؟ فترى في هذا من فضح حالهم ، وإخراص ألسنتهم ، وقطع حجتهم ، وسد الطريق في وجوههم ، ما لا يستطيعون معه أن ينبسوا ببنت شفة ، أو أن يجدوا في ريقهم بلة .

ثم تم الكلام بما يدل على أنه قد ثبت في وجههم ، وصمد لهم صمد من لا يطمع طامع في زلزلته ، وأنه لا يقتصر على أنه قام بنفسه بما أمر به ، بل هو يدعو اليه لا الى غيره مما يدعون اليه من نزعات الأهواء ونزعات الشياطين . هذا قوله : « اليه أَدْعُو » بتقديم الجار على أَدْعُو . وأما قوله : « واليه مآب » فإنها زيادة في تقرير ثباته من وجهين : من جهة أن مرجى في التأيد اليه ، واعتمادى في مغالبتكم عليه ، فأنامعتمد على قوة لا قبل لأحد بمغالبتها ؛ ومن جهة أن مرجى في آخرتى اليه ، فلا أُرهب إلا جنابه ، ولا أقصد إلا مرضاته ، فلا يهمنى أَرْضَيْتُمْ أم سَخِطْتُمْ إذا أنا امتثلت أمره ، وقت بما كلفنى القيام به . والمآب المرجع ، من آب المسافر رجع ، فرجعه اليه في ديناه وآخرته .

ولعل في اختيار لفظ « ولا أشرك به » على أوحده مثلا ، التعريض بهم إذ عبدوا أهواءهم ، واتخذوها آلهة لهم ، مع ما في لفظ الإِشراك من مزيد التشنيع الواضح على من وقع في حماته ومنه هم . وعدم ذكر « شيئا » ونحوه بعد لفظ أشرك ، لأن المقصود نفي الإِشراك في نفسه ، بقطع النظر عن المشرِك به .

ولا يقال : كيف حصر المأمور به في العبادة ونفي الإِشراك وقد اشتمل ما أنزل عليه على أكثر من هذا ، مثل القصص والجدل ، وتشريع المعاملات وغيرها ، لأننا نقول : إن كل ما أنزل إما عبادة أو ما هو بسبب منها ، كاللحاجة لقطع دابر الشبه ، والقصص للعبارة والعظة ، فيُقبل المتعظ على العبادة ؛ والتشريع في المعاملات لإقامة العدل ، وهو نعم العبادة ، فإمر إلا ليعبد الله وحده .

« وكذلك أنزلناه حكما عربيا » :

قررنا جملة مرات أن اسم الإشارة في مثل هذا يعود على مصدر الفعل المذكور بعده ، والمعنى هنا : مثل هذا الإِزال العجيب الذى يتجلى لك وافيا شافيا ، واضحا صريحا ، جامعا لأصول الدين المجمع عليها بين الشرائع وفروع الأحكام التى تختلف بحسب المصالح طبق ما تقتضيه حكمة الحكيم العليم ، أنزلنا القرآن . ويقرب من هذا

التعبير ما يجري على ألسنة بعض الناس حين التنويه بفعل صدر منه « هكذا أجرى في شئونى » و « هكذا عادنى فى أعمالى » وأمثال ذلك . وضمير أنزلناه للقرآن .

وقوله : « حكما » للإشارة الى أنه يجب الإذعان لما فيه والتسليم به ، وليس لأحد فيه تغيير ولا تبديل ، فهو حاكم غير محكوم ، سواء فيما خالف فيه الكتب السابقة وما وافق فيه ، فهو مهيمن عليها جميعا . وقيل « حكما » أى حكمة ، كقوله تعالى : « وآتيناه الحكم والنبوة » .

وقوله : « عربيا » لبيان وضوحه من ناحية ، وللإشارة الى أحد مواضع مخالفته للكتب السابقة من ناحية أخرى . أى لقد اقتضت حكمتنا أن ننزله عربيا بلسان القوم الذين اخترنا منهم رسولنا ، ليدعوهم إليه بادية ذى بدء ، ثم يدعو العالم بواسطتهم بعد أن يحملوا عبء التبليغ على كواهلهم ، وهم جديرون بما عهد الله به إليهم بما وهبهم من قوة عزيزة وشدة شكيمة ، وأنهم لا تلين قناتهم ولا يداهنون فيما يعتقدون . والله أعلم حيث يجعل رسالته .

ولعل من أوجه الحكمة فى اختيار إنزاله عربيا أن كان ذلك تهيئة لاحتوائه على المعجزة الباقية بقاء الدهر ، فقد كانت أمة العرب بلغت فى التنافس فى البلاغة والبراعة اللسانية ما لم تبلغه أمة سواها ، فكانت أعرف الناس بوجوه التفاوت فى أساليب القول حتى يصل الى حد الإعجاز ، وليس أعرف بدقائق صنعة ما من أمة عكفت عليها وضمّنتها مفاخرها ، وجعلتها عنوان مجدها ، وتوالت عليها القرون وهى تترقى فيها ، حتى بلغ من تقدسها لها أنها إذا ظفرت بفارعة بزت غيرها كتبته بالذهب على الديباج وعلقتها فى أماكنها المقدسة . فهل يوجد شعب هو أليق أن يبعث فيه نبي ذو معجزة خالدة من ذلك الشعب الذى حصر الفخار والمجد فى الكلام وبراعته ، والقول وبلاغته ؟ « ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مآلك من الله من ولى ولا واق » : لقد بلغت الحجة مبلغها ، ولم يبق بعد انضاح الحق إلا غلبة الهوى وحكم الشهوات ،

فمن أصر بعد ذلك فقد اتخذ إلهه هواه ، ولو اتَّبَعَ الحقُّ أهواءهم لفسدت السموات والأرض . فلمقام أصبح لا يقبل إلا تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وشد أزره ، وتقوية عزيمته على المضى في مهمته ، وألا يفكر فيهم ولا في استصلاحهم . ولقد عبر عن ذلك بعبارة فيها إلهاب حميته وإيقاظ روح الانتباه فيه ، حتى لا تحدّثه نفسه بالتفكير فيهم بعد ما أصرّوا على ما هم فيه ، وقد تبين الرشد من الغي ، فقال تعالى : « ولئن اتَّبعتْ أهواءهم » الآية . وفيه مع إلهاب حميته صلى الله عليه وسلم تقوية عزائم المؤمنين على الثبات والاستمسك بالحق ، وتحذيرهم أن تلبس قفاتهم في دين الله ، كيلا يخذلهم الله ، وإذا لا يحدون من دون الله من ولى ولا واق . وإذا كان خير الخلق صلى الله عليه وسلم قد حذر هذا التحذير وهو المؤمن على الوحي ، المختار للرسالة ، المعصوم بأمر الله من معصية الله ، فكيف حال المؤمنين ؟

والولى : الناصر ؛ والواقى : الحافظ . وكأنه في الأول نفي أن يكون له ناصر أمام القادر القاهر ، وفي الثاني ترقى فننى من يحميه بعد نفي من ينصره . وتعرف أنه قد يعز الناصر ، ولكن يوجد الحامى الحافظ الواقى ولو بطريق إخفائه أو تهريبه مثلاً . فننى الواقى بعد نفي الولى زيادة في تقرير ألا ملجأ ولا منجى من الله .

وقوله : « بعد ما جاءك من العلم » كأنه سد لباب التعللات ، وقطع المعاذير ، وليس معنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان عرضة للمخالفة متعللاً أو معتذراً ، وإنما هو التسجيل وإفاء المقام حقه مما يناسب ما سيق له ، وليبيان أن هذا الثبات في نصره الحق وعدم ممالأة الكافرين ، أمر له في نظر الشارع الحكيم ما له من الاهتمام العظيم ، وأنه في إثبات المطلوب منه على علم وبينته .

« ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً وذرية : »

هذا انتقال الى دحض شبه كانوا يوجهونها الى شخصه صلى الله عليه وسلم يطعنون بها في صحة رسالته ، فعمود الطعنات الى قلوبهم ، ويلقمون فيه الحجر بملأ أفواههم

ويصك أفئدتهم ، فقد قالوا : كيف يكون رسولا وهو يتزوج النساء وتولد له الذرية ؟
 قاتلهم الله ! وهل كان إلا بشرا رسولا ، وهل كان بدعا في الرسل أيها المتكلمون في أحكام
 الرسل أن يكون لهم زوجات وذرية ؟ لقد أرسل الله من قبل محمد رسلا ،
 وجعل لهم أزواجا وجعل لهم ذرية ، وهل يستمدون التأييد إلا من عند ربهم
 الذي وعدهم نصره وتأييده ؟ لقد كان يصح لكم أن تزعموا هذا الزعم لو أن الرسل
 من قبيل أولئك الزعماء الذين يشورون على البشر يحاولون قهرهم وبسط سلطانهم عليهم
 معتمدين على قوتهم ومقدرتهم وشدة كفاحهم ، فهم لذلك يعتمدون عن النساء حتى تبق
 وتنمو لديهم قوة البطش يتسلطون بها ، كما يروى عن ملوك وقواد وطلاب ثار
 وأشباههم . أما النبي يرسله الله الى عباده برحمته لتبليغ رسالته وإقامة حجته ونشر
 شريعته ، يجمع عليها القلوب بالحكمة والموعظة الحسنة ، فإله ولهذا المظهر العنيف
 الذي يتجلى في رجال الجبروت ؟

أجل : قد يضطر النبي الى كبح جماح المعاندين وإزالة كبرياتهم وعقوهم من طريق دعوته
 حتى لا يصدوا عباد الله عن الاستجابة الى رسل الله ، وحتى لا يحولوا بين الناس
 وسماع هدى الله الذي أرسل به رسله اليهم ، ولكن هذا الجهاد المعتدل بقدر ما تسير
 الدعوة سيرها الحر ، والمضمون فيه التأييد من قبل القادر القاهر ، لا يحتاج الى اعتزال
 النساء والازواء عما أحل الله من متاع الحياة الدنيا .

ولقد درجت السنة الإلهية على إرسال الرسل ، وأن يجعل لهم أزواجا وذرية ،
 كداود وسليمان عليهما السلام وغيرها من الأنبياء والمرسلين .

ولقد يكون من مقتضى الحكمة في كثرة أزواج النبي أن يكون ذلك سبيلا
 لتوسيع العلم بالشرائع الخفية التي لا تعلم إلا بالمعاشرة الزوجية ، فتحمل كل واحدة من
 الأزواج من أحكام الشريعة ما علمته بما اتفق لها من ظروف وملايسات ، وقد يكون
 من حكمة ذلك أن يعلم أن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم في الخفاء توافق في الخير

والطهر والاستقامة أحواله في العلن ، فقاما يستطيع من يبطن غير ما يظهر أن يخفي ذلك عن معاشرات كثيرات إذا استطاعت إحداهن كتمان ما رأت أو شعرت به مما عسى أن يكون منكرا ، لا تستطيع الأخريات . ومعلوم أن طبع النساء غالبا أنهن لا يستطعن أن يكتمن ، فكيف إذا نظرت الى ما ترتب على كثرتهم من تمكين الأواصر بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قبائل كان لها حظ في نصرته الاسلام ، أو ما ترتب على ذلك من هداية قبائل بأسرها فرحا بشرف صهره صلى الله عليه وسلم ، أو تشريع أحكام تخالف ما ألفوه مما لم يرضه الله ديناهم ، مثل تهجينهم تزوج المتبني إلخا فلها بالابن ، كما في قصة زينب زوج زيد . وليس أبلغ في القضاء على هذا الاستهجان من أن يفعله صلى الله عليه وسلم .

وأما الذرية فحسبك منها أن المدعويين جلهم كانوا من ذرية خليل الله ابراهيم ، بل قل كانوا كلهم من ذرية نوح صلى الله عليه وعلى نبينا وعلى جميع الأنبياء وسلم ، فهل كان ابراهيم ونوح في نظرم ليسا برسولين ؟ فقد سقطت هذه الشبهة .

وزعموا أنه لا يكون الرسول رسولا حقا حتى يقتدر على الإتيان بالمعجزات التي تُطلب على وفق رغبة الطالبين ، فردّ جل جلاله عليهم بأن هذا لن يكون لرسول ، وما كان الرسول إلها شريكا ، وإنما هو عبد ورسول ، فليس له التصرف في الكائنات ، وما كان له أن يأتي بآية إلا بإذن الله ، على وفق ما علم من حكمه ، وبقدر ما يؤيد رسوله ، حتى يتضح الحق ، ويتبين الرشيد من الغي ، ويظهر الفرق بين المدعى صادق وبين المفترى الكذاب .

ولقد أيد الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالآيات نلو الآيات ، من محسوسات ومعقولات . وحسبك بالقرآن آية ، بل كل مقدار سورة منه آية ومعجزة ، فهو آيات بينات لا تنتهي عجائبه ، ووجوه إعجازه لا تدع متعللا لمتعلل ، فلم تقتصر على البلاغة ونحوها مما يخص الأمة العربية ، بل فيه من وجوه الإعجاز غير البلاغة ما يملأ القلوب اقتناعا متى طلبت الحق في غير عناد ولا مكابرة .

وزعموا أنه لو كان رسولا ما خالف شرائع الرسل قبله في بعض الأحكام، كالتوجه في الصلاة الى الكعبة بعد ما كانت الصلاة الى بيت المقدس مثلاً، فجاء قوله تعالى : « لكل أجل كتاب » لإزاحة تلك الشبهة، ويبان أن الأحكام ينزلها الملك العلام مراعى فيها الصالح الكامل العام، وذلك مما يختلف باختلاف الأمم والأزمان، فرب تشريع هو أوفق بأمة في زمن بينما ضده أوفق بغيرها من الأمم التي وجدت في زمن آخر . وانظر إن شئت لهذا المثل الذى نجلوه لك :

لقد رزح بنو إسرائيل قروناً طويلة تحت نير الذل والظلم الذى أرهقهم به الفراعنة، حتى خنعوا وألقوا الخنوع والاستكانة والمذلة، وضعفت نفوسهم، فكان من الحكمة في تربيتهم أن يؤمروا بالاستمساك بحقهم، وأن ينهوا عن التراخي في حقوقهم، وجعل استيفاء المرء حقه الذى له أمراً واجباً عليه ليس له أن يتساح فيه، فكانت شريعتهم عدلاً خالياً من الفضل . فلما استقر ذلك فيهم وتمكن من نفوسهم وأصبح ديدناً راسخاً، وأريد استئلاله من نفوسهم، جاءت المسيحية تدعو الى الفضل والتساح كل الدعاء، وما كان هذا ولا ذاك بالتشريع الصالح للاستقرار، وإنما هو علاج لمرض اعترى أئماً في بعض أحوالها، فلما اعتدل مزاج الإنسانية، وأصبحت صالحة لتلقى الشريعة السرمدية، جاء الاسلام يعطى الحق في إقامة العدل، بينما يرغب في الفضل، حتى يكون التساح إذا جاء من صاحبه جاء من القادر على استيفاء حقه، وينطبق عليه أن حقيقة العفو ما كان عن مقدرة في القصاص، وإلا فهو ذلة ومهانة .

أرايت كيف لاق بكل حالة حكم لا يليق بغيرها ؟ فهذا سر أن تكون المصلحة في أن يكون لكل أجل كتاب، أى لكل مدة أو لكل جيل كتاب تشريع يليق به، ويصلح له، وتقضيه الحكمة الإلهية .

فالمراد بالكتاب الشريعة ينزلها الله على عباده رحمة بهم وموافقة لمصلحتهم . ولما زعموا أنه لا يليق أن يحكم الله بحكم في وقت ويحكم بغيره في غيره، رد عليهم

جل جلاله بأن هذا وفق مشيئته ، وهو أعلم بوجه الحكمة ، فهو يدعو ما يشاء من الأحكام بعد أن انتهت دواعيها ، ويثبت ما يشاء مما هو حقيق بالاثبات والتثبيت . قرى ويثبت بإسكان الثاء ، من أثبت ؛ وقرى ويثبت بتشديد الباء ، من التثبيت . قال تعالى : « وعنده أم الكتاب » :

أم الشيء : أصله الذي عنه ينشأ . فقليل المراد به هنا علم الله إذ هو أصل الشرائع والأحكام وغيرها من إيجاد وإعدام . وقيل هو اللوح المحفوظ ، وهو مخلوق ، هو سجل الكائنات أودع فيه ما كان وما يكون .

هذا ولا نرى بأساً من أن نعرض لما درج عليه بعض الناس من بدء دعاء خاص في زمن خاص بهذه الآية الكريمة ، كما يرى ذلك عند الجمهور في ليلة نصف شعبان ، حتى يتجلى الحق والصواب بقدر ما نرى ، وبالله التوفيق ، فنقول :

الكلام في هذا الموضوع في مقامين :

(١) مقام أهذا يصح في نظر العقل وينطبق على روح الدين ، أم هو مما يباه العقل وينكره الدين ؟

(٢) مقام هل صحت الرواية به فيؤخذ على هذا الوجه على أنه مما نقل عنه صلى الله عليه وسلم فنتعبد به ؟

أما المقام الأول فإن المحو والاثبات في التشريع وفي التكوين حاصل لا محالة . أمافي التشريع فبالنسخ ، لا يستطيع أحد أن ينكره ، إن لم يكن في أحكام شريعة واحدة فهو في أحكام شريعة مع شريعة كالاسلام مع اليهودية مثلاً . وناهيك بقوله تعالى : « حرّمنا عليهم شحومهم » مثلاً ، وهي حل لنا ، وكقوله تعالى : « ربنا ولا تحمّل علينا إصراً كما حمّلتنا على الذن من قبلنا ، ربنا ولا تحمّلنا مالا طاقه لنا به » وقد كتب على بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم لتقبل توبتهم ، ولم يكن من ذلك شيء في شريعتنا . وقد يلتحق بذلك أن الله يدعو أثر الذنب بالتوبة ، وأثر الكفر بالاسلام ، والعقوبة المستحقة لمعضية بالشفاعة بإذنه .

وأما في التكوين فإن الله يحو الحياة بالموت ، ويمحو الظلمة بالضياء « فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » وليس المحو عبارة عن تبديل الشيء مع قيام سببه ، بل تبديل سبب له أثر بسبب له أثر يضاده ، فيمحي الأثر الأول ويحل الأثر الثاني محله . فقل على هذا متوسعا : يمحو الظلمة بالرى ، ويمحو الجوع بالشمع ، ويمحو الفقر بالغنى ، وهكذا مما لا يحصى ، فكل هذا فيه محو وإثبات ، وليس فيه تغيير ما في علم الله ، وإنما هو إبراز معلوم له خفى عنا ، وإخفاء معلوم آخر كان ظاهرا لنا .

وإذا كان الحكيم العليم قد ربط المسببات بأسبابها ، ولم يترك الأمر فرطا ، فليس يبدع في نظر العقل أن يبدل سببا بسبب فيتبدل مسبب بمسبب ، وهو خالق السبب والمسبب ، وجاعل الربط بينهما بقدرته وإرادته . وكما نعقل السببية والمسببية في العاديات كقطع السكين وإحراق النار وإطفاء الظلمة بشرب الماء ، وفي الشرعيات كثواب المصلى وعقاب السارق والظالم ، وأن أثر كل من ذلك ترتب عليه يوجد حيث يوجد ويعدم حيث يعدم ، فلا ضير على العقل أن يقول : ومن هذا القبيل الانتفاع بالدعاء واستجابة الله لمن دعاه « أدعوني أستجب لكم » .

فإذا قال قائل : هل لو لم يدع كان يحصل له ما دعا به ؟ قلنا : وهل لو لم يصل كان يثاب ؟ وهل لو لم يؤمن كان ينجو من النار ؟ وهل لو لم تقطع عنقه كان يبقى حيا ؟ إن كلا من السبب والمسبب معلوم حصولهما وعدم حصولهما لله من الأزل ، ولكن هذا غير داخل في دائرة تصرفاتنا ، فكما ليس لنا أن نقول : لا نسعى لرزقنا ، ولا نتناول غذاءنا ، فإنه إن علم الله لنا سعة الرزق اتسع ، سَعِينَا أو لم نسع ، وإن علم الله لنا الشبع شبعنا سواء أكلنا أم لم نأكل ، كذلك ليس لنا أن نرتاب في أمر الدعاء ونقول : إن علم الله حصول المدعو به حصل ، دعونا أو لم ندع . فعلينا أن ندعو كما علمنا الله أن ندعو ، ونطمئن للإجابة كما وعدنا الله أن يستجيب « ادعوني أستجب لكم » فهذا المقام لا نرى فيه شبهة ، وليس محلا لوقفه . وغاية الأمر يروع المتذمرين منه كلمات

تثير في النفس استنزازاً مثل كلمة « إن كنت كتبتني في أم الكتاب » فإن المتبادر أنه ما في علم الله، ولكن ليس هذا بلازم، فقد يكون معنى أم الكتاب اللوح المحفوظ وما فيه مما يطلع عليه الملائكة المقربون، وقد استأثر الله بعلم أشياء اختص بها لم يطلع عليها ملكاً ولا مقرباً، وهو ما يسمى بالقضاء المعلق، وهو ما يصح أن يحمل عليه ما ورد — والمدار على صحة الرواية — من أنه لا يزال القضاء والدعاء يعتلجان حتى يغلب الدعاء القضاء، فحال أن يكون معنى القضاء في مثل هذا، القضاء المبرم أو ما في علم الله، فإنه لا تبدل لما علم الله قطعاً وإنما هو ظهور ما علم الله. ولعل من حكمة هذا الاستثناء أن يبقى كل عبد من عباد الله مهما اطلع على اللوح المحفوظ أو غيره دائراً بين الرجاء والخوف، فلا يأمن مكر الله ولا يياس من روح الله.

أما المقام الثاني وهو صحة الرواية، فأشهد أني لم أطلع على هذا الدعاء في كتاب من كتب السنة الصحيحة التي يعول على رواياتها ويعمل بمروياتها، وإنما رأيت ذلك في بعض كتب التفسير، وقد عرف المفسرون بعدم العناية بالتحري في مروياتهم وخص أسانيدهم عناية المحدثين.

أما أن تقول إنه لم يخرج الأمر فيه عن أنه دعاء والدعاء مطلوب على العموم، أو أنه من فضائل الأعمال فيكفي فيه الروايات الضعيفة، فنقول: حقاً لو لم يكن قد دخله ذلك التخصيص بحالة وكيفية ووقت خاص ألحقه بالتشريع للكيفية المخصوصة، والشئ قد يكون مقبولاً في عمومه ولكن ما يحيط به من مخصصات بكيفية أو زمان أو مكان يجعلنا كأننا شرعنا وأدخلنا في ديننا ما ليس منه، وهو رد بمقتضى الحديث الصحيح. فالذي ينقذ في نفسى أن الدعاء وإن طلب في عمومه فهذه الخصوصية تتطلب سنداً من السنة الصحيحة، ولم أقف على ما يشبهها مما يعول عليه، وفوق كل ذي علم عليم. والله أعلم.

الفكرة والاسلوب

في أدب البداوة

الأدب البدوي يصف ما يرى ويسمع ، وصفا صادقا قويا ، منبعثا عن إحساس وشعور ، لا أثر فيه للتكلف والتعمل ، ولكنه قريب الغور ، قليل العمق ، على أن فيه جمالا ، وفيه براعة ، وفيه لذة للعين ، ومتعة للسمع ، وليس من النصفة في شيء أن نطلب اليه وصف أفكارنا ووجداناتنا ، والحديث عن عواطفنا وإحساساتنا ، وغذاء النفوس الحضرية التي ارتضعت أفوايق المعارف الانسانية ، وتذوقت ثمار الأفكار ، واطلعت على نتائج القرائح الحديثة . وبحسبه أن يشمرنا عند قراءته أو سماعه أنه يتصل بنفوسنا ، ويبعث فيها التشوق الى ما فيه من صور وأخيلة قريبة ساذجة .

ألسنا نتأثر كل التأثر ، ونحس أريجية تهزنا هزة ارتياح إذا سمعنا ذلك الأعرابي وهو ملتف في شملته قد حرك حنين المطايا كامن شوقه يرتجز في قاب البادية بقوله :

دع المطايا تنسم الجنوبا إن لها لنبا عيبا
حنينها - وما اشتكت لغوبا يشهد أن قد فارقت حبيبا
ما حملت إلا فتى كثيبا يسر مما أعلنت نصيبا
لو ترك الشوق لنا قلوبا إذا لا أثر بهن النيبا

إن الغريب يسعد الغريبا

هذه صورة ساذجة لعاطفة نبيلة ، فيها جمال نفسى محبب ، وفيها شعور صادق ، وإحساس بديع ، أذاب الأثرة من النفس الانسانية ، وخلق فيها الايثار ، نعم ولكنها لا تمثل مظهرا من مظاهر الحضارة ، بل هي بدوية خالصة من نسج البداوة ، وإنما مكان السمو منها المشاركة في الاحساس والصدق في الشعور .

والشعر الجيد هو الذى يعمل فى النفس الحساسة عمل الفنى فى الدمية التى توحى بها العبقرية الفنية ، أى هو الذى يبرز الخصائص النفسية ، ثم يلائم بينها ملاءمة تجعل منها صورة حية .

أما أسلوب هذا النحو من الأدب ، فسيبيله سبيل أغراضه ومعانيه وصوره يتأثر مثلها بالطبيعة التى أوحى به والبيئة التى عاش فيها ، ومن ثم غلبت عليه الجزالة والقعقعة ، وارتضاخ الغريب الوحشى من الألفاظ مع قوة الأسر ، ومتانة العبارة ، لأن أديب البداوة لا يعرف التحبير والتنوق ، ولا يصطنع الروية فى تخيير العبارة ، وإنما شأنه إرسال نفسه على سجيته إرسالاً ، وترك سليلته تنثال عليه بما أراد من المقاصد انثيالاً ، فهو يرى ويسمع ، ثم يعبر على البديهة والارتجال .

قال أبو عثمان الجاحظ فى (البيان والتبيين) : « وكل شئ للعرب فإنما هو بديهية وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا إجالة فكرة ، ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه الى الكلام ، والى رجز يوم الخصاص ، أو حين يمتح على رأس بر ، أو يحذو ببعير ، أو عند المقارعة والمناقلة ، أو عند صراع ، أو فى حرب ، فاهو إلا أن يصرف وهمه الى جملة المذهب ، والى العمود الذى اليه القصد ، فتأتيه المعانى إرسالاً ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً ، لا يقيده على نفسه ، ولا يدرسه أحد من ولده ، وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكفون ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر ، وأقهر وكل واحد فى نفسه أنطق ، ومكانه فى البيان أرفع ، وخطباؤهم أوجز ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أسير من أن يفتقروا الى تحفظ ، أو يحتاجوا الى تدارس ، وليس هم مكن حفظ عن غيره ، واحتذى على كلام من كان قبله ، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعمولهم ، من غير تكلف ولا قصد ، ولا تحفظ ولا طلب » .

وإذا فكر البدوى فليس تفكيره مصروفا الى وضع لفظ مكان آخر إشاراً لرقعة

حاشيته وخفة جرسه وحسن موقعه في السمع ، ولكننه يفكر في إصابة غرضه الذي اليه قصد ، والى الاحسان في وصف مناظره كما رأى أو سمع ، وفي سداد منطقته كما أراد ، ولا يعميه بعد كمال انسجام الموضوعات ، وتأخيرها في ذاتها ، أو بحسب مقاماتها ، ويكفيه في إيراد المعاني متتابعة ما يترأى في ذهنه من المناسبات والاتصال ، فقد تكون الخطبة الواحدة ، أو القصيدة الواحدة حاوية لموضوعات لا ينظمها عقد واحد ، أى ليست لها وحدة فكرية خاصة تجمع أطرافها ، وتضم معانيها حتى يتألف منها شيء له ذاتية مقومة . ومن أوضح الشواهد في النثر البدوى على هذا خطبة أكرم بن صيفي النيمى بين يدى كسرى فى وفد النعمان حيث قال : « إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعا ، وخير الأئمة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر لجاجة ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطىء ، آفة الرأى الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة ، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى ، من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من خافه البرىء ، المرء يعجز لا محالة ، أفضل الأئمة ولاد البررة ، خير الأعوان من لم يرأب النصيحة ، أحق الجنود بالنصر من حسنت سريره ، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل ، حسبك من شر سماعه ، الصمت حكم وقليل فاعله ، البلاغة الايجاز ، من شدد نقر ، ومن تراخى تألف » .

فانظر كيف تنقل من شيء الى شيء وثبا ، ومن موضوع الى موضوع فقذا فى مقام واحد دون روية ، أو تفكير فيما يربط هذه المعانى بعضها ببعض ربطا وثيقا ، وليس يظهر فى نظر البداوة ارتباط محكم بين هذه الحقائق المسرودة سردا ، وهى على إجمالها فى صورة الحكمة والمثل ، إلا ما عساه أن يكون قد انقح فى ذهن الخطيب مما يمكن أن يدخل تحت ما يسميه علماء النفس (تداعى المعانى) . ولعل كسرى لم يقل

له : ويحك يا أ كثم ما أحكمك وأوثق كلامك لولا وضعك كلامك في غير موضعه !
 إلا لما قام بنفسه من عدم وضوح الصلة بين تلك المعاني التي تثرها أ كثم بين يديه .
 ومن هنا قال بعض الباحثين : « وكان أسلوب العرب في الخطابة مخالفا لخطباء
 الروم واليونان والفرس ، فكانت فقراتهم مثل الجواهر المنشورة لا ارتباط لبعضها
 ببعض ، ولذا كانت أ كثر ما تروع مستمعها بتبريزهم على غيرهم في هذا الأسلوب » .
 أما شواهد ذلك في شعر البداوة فأنت واجدها في غير عسر ولا مشقة في أ كثر
 تلك المطولات العربية التي قامت عليها المفضليات والجمرة والمعلقات ، واستقلت بها
 دواوين شعراء البداوة عامة ، ولا نستثنى سوى شعر الشعراء المحبرين الذين اتخذوا
 الشعر فنا أدبيا يعنون به عناية الفنى بفنه ، يمتثلونه نخلا ، ويصفونه تصفية ، وينقدونه
 نقدا يذهب ببعضه ، ويبقى على بعضه ، وفي شعر زهير وابنه كعب شيء كثير من ذلك
 التشذيب والتهديب الذى يصل المعاني بعضها ببعض ، ويكشف عن الفجوات القائمة
 بينها ، فيعمل الشاعر على سدها حتى تلتئم وحدة إن لم تكن كاملة التنسيق والربط فهي
 منه بسبب قريب ، وما حوليات زهير إلا مظهر من مظاهره الجليلة ، وهو في شعر
 الخطيئة أ كمل وأوضح .

وفيما عدا شعر هؤلاء الشعراء النقاد لا تجدد القصيدة العربية في العصر الأول
 وحدة فكرية خاصة تبنى عليها وتتميز بها شخصية الشاعر وتجعل القصيدة فكرة ملتزمة
 لا يحيد عنها الشاعر ، ولا تقبل التبديل ، وإنما هناك وحدة لفظية هي اتحاد الوزن
 والقافية ، ووحدة فكرية عامة هي وحدة البيئة الشائعة ، ووحدة الرسوم الذهنية عند
 الشاعر البدوى ، أى خطوط المعنى بباله واتصاله بنفسه ، واستلهامه مشاهدته ، ولا يرى
 الوحدة المعنوية شيئا مهما ، وأقصى مداه في هذا استحسانه أن يكون بين البيت والبيت
 نسب وقران . روى الجاحظ : أن نوفل بن سالم قال لرؤبة ابن العجاج : يا أبا الجحاف
 مت متى شئت ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : رأيت عقبة بن رؤبة ينشد رجزا أعجبنى ،
 قال : إنه يقول لو كان لقوله قران !

قد يكون لهذه الخصيصة في أدب البداوة أثر كبير في دراسته التاريخية ، وتميز الصحيح من المنحول ، وقد تصلح أن تكون (صنجة) في ميزان النقد الأدبي إذا مسكت به يد حاذق متمهر ، لأنها مظهر السذاجة التي طبع بها هذا الأدب ، وكانت عنوانا عليه ، حتى إنه ليكاد يخلو من التزييق اللفظي والمجاز الغريب والكنايات البعيدة والتشبيهات العقلية التي تركز على الخيال المتسلسل ، وعلى التفكير العميق الذي يربط بين المعاني ربطا منطقيا محكما .

صادق ابراهيم عرمجوه

العدل في الاحكام

قال العتيبي : إني لقاعد عند قاضي أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك إذ أقبل ابراهيم بن محمد ابن طلحة ، وصاحب حرس هشام حتى قعدا بين يديه . فقال صاحب الحرس : إن أمير المؤمنين وكلني في خصومة بينه وبين ابراهيم . فقال القاضي : شاهديك على الوكالة . قال صاحب الحرس : أتراني قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل وليس بيني وبينه إلا هذه السترة ؟

قال القاضي : بلى ولكن لا يثبت الحق لك ولا عليك إلا ببينة .

قال العتيبي : فقام الحرس فدخل الى هشام فاخبره . فلم نلبث أن قعقت الأبواب ، وخرج الحرس فقالوا هذا أمير المؤمنين . فلما رآه القاضي مقبلا قام من مجلسه وبسط له مصلى فقعد عليه ، وخصمه ابراهيم بين يديه . وكنا حيث نسمع كلامهم ويخفي عنا بعضه . فتكلموا وأحضروا البينة .

فقضى القاضي على أمير المؤمنين . فقبل الحكم راضيا ، ورد الى خصمه ما حكم به قاضيه . وقال أمير المؤمنين المهدي بن أبي جعفر المنصور للربيع بن أبي الجهم والى أرض فارس : ياربيع آثر الحق ، والزم القصد ، وابسط العدل ، وارفق بالرعية ، واعلم أن أعذل الناس من أنصف نفسه ، وأجورهم من ظلم الناس لغيره .

المنبوذون في الهند

الوسائل الفعالة لهدايتهم الى الدين الاسلامي الحنيف

تقرير مقدم لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

علمت اليوم أن بين يدي المشيخة الاسلامية الجليلة اقتراحا بإيفاد بعثة أزهرية من بعض العلماء الى الهند، للقيام بدعوة المنبوذين الى الدين القيم، وإقناعهم بإصلاحه لنفوسهم، وإروائه لظمئهم الروحي من معين الهداية الإلهية، وتطهير نفوسهم من الرجز المعنوي الذي ألصقه بهم رؤساء التعاليم الهندوسية، وألقى بهم في مهاوى الهلاك. فصار هذا الجليل من الناس أخط دركا من العجاوات لا في نظر مواطنيهم الهندوس بحسب، بل أيضا في نظر أنفسهم. فقد سرى اليهم بحكم البيئته وقوة الاستمرار أنهم خلقوا منذ الأزل منبوذين، وخرجوا الى الدنيا منبوذين، وسيبقون كذلك الى أن يجتازوا (المطهر) آحادا في مدد مختلفة من أعمار (دهر) يقضونها في تجارب قاسية فرضها عليهم الإله (برهم).

ولما كنت أشعر بما لهذه العقيدة الضارة من الأثر السيء في حياة المنبوذين وصور تفكيرهم في الخلاص منها، أحبيت أن أدلى اليكم ببعض ما لدى من التفصيلات في هذا الموضوع رجاء أن أكشف بها لكم ما قد يلبسه من غموض. وحسبي من هذه الرغبة أن أكون قد شاركت الساعين في الخير لهداية هذا القسم من سكان الهند بالفصيحة، وهي دين عليّ لكل مسلم.

الأصل في نشأة هذه العقيدة السيئة في المنبوذين، أرويه لكم كما يقصه علينا التاريخ الهندي القديم: هو الظغيان السياسي من قدماء الآريين الذين استعمروا الهند، فإنهم بعد أن احتلوها بجيوشهم اللجبة فرضوا سيادتهم على السكان المقهورين، وسلبوا من أيديهم كل مصادر الثروة، واستحوذوا على الأعمال الاجتماعية «كهانة» وملكا

وجندية وزراعة وتجارة، وكل ما الى ذلك . وجعلوا هذه الأعمال وراثية في أعقابهم، بعد أن أزاحوا عنها سكان البلاد . واستمر ذلك قرونا طويلا استجمرت فيها هذه السياسة الغشوم، واستحالت الى عقيدة دينية قسمت الهنود الى أربع طبقات، ثلاثة منها للآريين، وهى : طبقة الكهنة ورجال الدين، وطبقة الملوك والجند، وطبقة الزراع والتجار . أما الطبقة الرابعة فهم العبيد المحقرون أهل البلاد الذين دعاهم الآريون (أباريا) أو شودرا، وهم المنبوذون الذين يجرى عليهم حكم (لا مساس) الصارم . فقد حرموا الخلطة بهم، وعزلوهم فى مقابعتهم، وبالغوا فى مقاطعتهم، حتى جعلوا كل شيء يلامسونه نجسا نجاسة عينية مغلظة غير قابلة للتطهير؛ وحجروا عليهم أن يدخلوا الهياكل والمعابد، وكذلك المنازل والأسواق؛ واستمروا يمانون ذلك الى هذا اليوم . ومن موجعات النفس ما كنا نسمعه من حين لآخر من أفواه المنبوذات وهن سائرات فى الطريق وحين يكثر العابرون، نسمعهن يصرخن بملء أفواههن (احذروا أيها المارة إني نجسة) ولو مرت المسكينة ساكنة من غير إنذار أو إعلان عن نفسها واتصل بها طرف ثوب أحد الهندوس لشوى جلدها الغض ضربا .

وطبيعى أن الدين الذى يقوم على هذا الأساس، ويفصل الطبقات الاجتماعية بعضها عن بعض فصلا يفكك وحدة المجتمع، ينتج فى الأمة التى تدين به أخطر النتائج وأسوأها فى الحياة . ولم لا، وهانحن نرى كل طبقة من طبقات الهندوس تعد نفسها كيانا منفصلا عن بقية الطبقات؟ واليسكم ما هو حاصل بالفعل :

فان طبقة الكهنة من الهندوس محرم عليها أن تأكل من طعام وآنية الطبقة التى دونها، وهى طبقة الملوك والجند . وطبقة الملوك والجند محرم عليها أيضا أن تأكل وتشرب من طعام وشراب الطبقة التى دونها : طبقة الزراع والتجار، وهذه يحرم عليها أن تأكل طعام (أباريا) أما العكس فلا محذور فيه، فإنه يسوغ للأدنى أن يأكل ويشرب من طعام وشراب الأعلى .

وبالرغم من هذا التعسف في هذا التقسيم وإجرائه مجرى العقائد والتقاليد الراسخة، فقد نبع بين الهندوس متأدبون عصريون اتسعت لهم فلسفة التصوف لتوجيه هذه التقاليد المستنكرة توجيها علميا يستهون به قلوب العامة من المتمدنين، ويستنبطون لهم من ذلك معاني روحية سامية توحى الى الناس حب الفناء في عقيدة وحدة الوجود. وغريب أن يعمد العقل البشرى الى تعاليم الانشقاق والخلاف، فيستخرج منها فلسفة تذهب في تخيلاتهم مذهب الاتحاد والحلول، وهو اليوم مذهب العقلين من مصلحيهم.

لكن مهما اتسع مصدر الفلسفة للتلفيق والترقيع والتلاعب بالألفاظ، فهو لا يتسع لانسكار الحقائق وستر الفظائع الواقعية، فإن المتعلمين من طبقة المنبوذين الذين تخرجوا في مدارس الارساليات المسيحية والجامعات المختلفة، لم ينخدعوا بهذا التلفيق. بل شرعوا يجابهون خصوم حقهم، باستنكار فلسفة الفناء في القبر، وتقبيح الجمود على التقاليد، وأخذوا يرفعون عقيرتهم في المطالبة بالحقوق الانسانية التي سلبها منهم أولئك المغيرون ودرج على ذلك أعقابهم، وهم يأبون أن يتساهلوا لهم في شيء من هذه المطالب صيانة لتقاليدهم من الانهالك والانهيار، فقد حاول غاندى بكل ما أوتي من نفوذ وروحي في الهند، أن يحمل الهندوس على قبول التساهل في الاعتقاد بطهارة المنبوذين، والتغاضي عن دخولهم الى الهيكل البرهمية لممارسة الطقوس حذرا من دخولهم في الاسلام، فأخفق في ذلك إخفاقا شديدا كاد يودي بحياته، وينتهي بحرمانه من الديانة الهندوسية. ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا أن الهندوس متعصبون متصلبون في عقائدهم بصورة تكاد تكون خطرا دائما على البلاد، وهم لا يجهلون عواقب هذه الصلابة وما تجره خلفها من ويلات، وقد يكون من أقلها خروج سبعين مليوناً عنهم ونبذ ديانتهم وتراميهم في أحضان الديانات الأخرى، مع أن سياسة الشرق قائمة على الديانات والتكاثر بين معتنقيها، لكنهم مع ذلك يفضلون خروج هذه العشرات من الملايين من دينهم على أن يتساهلوا في شيء يتصل بالعقيدة. وقد علمت أن الهندوس لا يجدون في أنفسهم

غضاضة من اعتناق المنبوذين النصرانية كما يجدونها في اعتناقهم الاسلام الذي يكافونه أشد كفاح عرف بين الطوائف الدينية في صور الإرهاب .

هذا هو مصدر الخلاف المستفحل بين الهندوس والمنبوذين . وهو كما رأيتم غير قابل للتلافي ، لأن الهندوس يجدون في ذلك ما يفضى بهم في نهاية الأمر الى تقويض أركان دينهم العملية التي لم تقم إلا على مناقضات تاريخية لا مناعة فيها ، وهي غير قابلة للتمحيص بأي وجه من الوجوه .

أجل : حاولت النصرانية في الهند منذ قرن ونصف بكل ما أوتيته من بأس وقوة وبكل ما لديها من عدد وإرساليات ومدارس ومستشفيات ، وملاجئ ونواد وجمعيات ومطالع ؛ وبكل ما لديها من جدل وحجاج وأموال ومغريات ، أن تستهوى المنبوذين الى اعتناق النصرانية ، فلم تفلح إلا في اكتساب عدد قليل منهم لا يستحقون الذكر بجانب الذين يدخلون منهم في الاسلام كل يوم بمحض الرغبة دون إغراء ولا تشويق . وقد سمعت تعليلا لذلك من فم الدكتور (كار) زعيم المنبوذين إذ يقول : « نحن لا نريد أن نخرج من دين الطبقات الى دين آخر بمائله ، ذلك أن الكليروس المسيحي يعامل المتنصرين معاملة قاسية لا تتفق والديمقراطية التي يجب أن تكون من روحية الدين الذي نرغب فيه خلاص أنفسنا من ربقة العبودية للغير ، والاستخذاء للتقاليد ، فإن الكليروس المسيحي يحجر عليهم الصلاة في كنائس البيض . ونحن لهذا السبب لا نجد فارقا بين ما يحدث هذا المنع أو الانتعاس من سوء الأثر في نفوسنا » .

وهناك سبب آخر يصرف المنبوذين عن اعتناق النصرانية وهو عامل الوطنية ، فهم يلاحظون بحذر ضعف الروح الوطني في متنصرة الهند ، ويشعرون منهم بالليل الشديد الى استبقاء الهند تحت سيطرة دولة مسيحية عن أن يكون مستقلا استقلالاً تاما تسود فيه كلمة الوطنيين .

ومما لا شك فيه أن المنبوذين رغبة صادقة في اعتناق الاسلام ، وتفضيله على جميع الأديان ، لميزات يجدونها فيه وحده ، منها :

تقرير مبدأ المساواة بين معتنقيه ، وهو لا يفرق في ذلك بين جنس و جنس ، ولا بين لون ولون . فهم يرون كل من أسلم يصير أخا للمسلمين جميعا له ما لهم وعليه ما عليهم ، يعبد الله تعالى في أى مسجد شاء ، ويصلى الى جنب أى شخص أراد ، أميرا كان أو أمورا ، وأن الايمان بالله الواحد الأحد كاف لتطهيره .

ومنها أن المسلم عنصر شديد الشكيمة لا تلين قناته لغامر ، ولا يدين بالطاعة إلا لله تعالى ، ولا يستخذى لسلطة غير مشروعة ، وهو منزع تلتقى فيه جميع رغبات الوطنيين . ومنها كمال الآداب الاسلامية وطهارتها ، وكفايتها للصيانة الاجتماعية . ومنها وضوح عقائده ومطابقتها لمنطق العلم والأبحاث العقلية .

استقر ذلك في نفوسهم بما يقرءونه مما ينشر في الكتب والرسائل التي لا ينقطع موردها ولا ينضب معينها ، سواء أكانت للنشر الدعوة أو لرد غارة الطاعنين في الاسلام ، على أنهم لا يجدون غضاضة على الاسلام فيما يقوله عنه الأعداء غير مما حكت كلامية يفزع بها الكاتبون الى الغمز واللمز في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي لا تصالح أن تكون مطعنا يصرف القلوب المؤمنة عن تفهم روح الاسلام . وهي إن دلت على شئ ، فإنما تدل على سوء أدب كتابها وخبث طوية ناشرها .

ولا شك أن علماء الاسلام في الهند نظرا لوجودهم في معترك الأديان قد أصبحوا أقوى مراسا وأغزر مادة في تفهم روح الاسلام ، وأعلم بطرق الجدل والنقاش مع مناظرهم من أهل الأديان السائرة (المناوئة وغير المناوئة) يضاف الى ذلك تعمقهم في مباحث الفلسفتين القديمة والحديثة ، وتذوقهم لمعانى القرآن الكريم ، وتقديرهم لما فيه من سمو وقداسة ، وقد يندر العثور على رجال جدليين من طرازهم في البلاد التي لم تنضج فيها الدراسات الجامعية نضجا علميا كافيا .

ومهما كانت صور الحقائق مستقرة في الأذهان فقد ينبغي أن تقارن بالنظائر والأشياء المطابقة لها من الفلسفة الحديثة وتاريخ الأديان ، لتكون منيرة أخذاة بالألباب مشرفة على العلم الحديث .

ولكى تتمكن من إظهارها مسرودة مدللة مفهومة ينبغي ترويضها في جملة من اللغات، حتى يكمل صقلها، وتبدو في مطالع الإلهام الإلهي من الفطر الكريمة، وأين نحن من هذا وشبابنا لم يزل خجا في العربية وهي لغتنا، فكيف به في غيرها من اللغات التي لم تروض لتوضيح ما لدينا من عقائد وآداب.

على أن هذه الطريقة في الإرشاد الديني لا ينبغي أن تلقن للعامة من شاكلة المنبوذين، بل تلقن للخاصة من كبار المتصنعين، وهم قليل بل أقل من القليل، فإرسال وفد لإقناع هؤلاء الخاصة مع ما يجب أن يتوفر فيه من المؤهلات الكثيرة يكلف تكاليف باهظة لا قدرة لمؤسساتنا الحاضرة عليها.

يجب أن يكون للوفد استمدادات مالية واسعة للانفاق منها عن سعة، كي يظهر بالمظهر المشرف بين الذين يقومون بدعوتهم إلى الإسلام، حتى إذا ركب فلا يركب إلا الدرجة الأولى، وإذا ظهر للناس كان في بزة ورواء، وإذا نزل بلدا قصد أكبر فنادقها وأغلاها، ليسمو بذلك في أعين الأكابر الذين يدعوهم إلى اعتناق ديننا، ويؤثر في حواسهم قبل قلوبهم.

وأما إذا كانت لرغبة دون ذلك غايتها إظهار شهوة محدودة في النفس للقيام بعمل عادي لا يتعدى عرض عقائد مبسطة في الكتب يؤتى بها كدليل للعقائد على إثبات وجود الله تعالى، وعلى نفي المائلة له، وإبطال القول بوجود الشريك والولد، وتثبيت بعثة الرسل، فإنه لا ينتظر أن يكون لهذه البعثة أقل أثر فبا نرجوه من قلب أوضاع الهند الاجتماعية، وإدخال سبعين مليوناً في الإسلام.

مولاي :

إن السعى في إسلام المنبوذين ومحاولة إقناعهم اختيار ديننا القويم ليس في حاجة ملحة إلى إيفاد بعثة من الأزهر لما يستلزمه من نفقات ومؤهلات لا قبل للبلد بهما. وإذا أمكن جمع المال فيجب أن يتوفر لشيء آخر أجدى من هذه البعثة على المشروع، بل يحتاج إلى إنشاء مؤسسات تكون خاصة بالمسلمين، من المنبوذين وغير المنبوذين.

أما بدون ذلك فلن يتم شيء ، فان فقدان هذه المؤسسات كان عقبة كأداء في سبيل إسلام المنبوذين ، كما صار حنى بذلك غير مرة كثيرون من زعمائهم ، فهم يقولون : نحن الآن في حاجة ماسة لإيجاد مدارس يتعلم فيها أجداننا ومستشفيات يعالج فيها مرضانا وملاجئ يأوى إليها عجرتنا ، وقد لا نرى شيئاً من ذلك عند المسلمين في الهند ، وأغنياؤهم أشحة على الخير ، يضمنون بأموالهم على إنشاء مثل هذه المؤسسات ، فاذا نحن أسلمنا ربما فقدنا كل ما نجده من المساعدات التى تقدمها لنا الطوائف الأخرى التى توالينا بعطفها فى محبتنا الحاضرة مع الهندوس . ولا يستبعد أن يعتمد الى إقفال مدارسها فى وجوه أبنائنا ومستشفياتها دون مرضانا ، وملاجئها دون عجرتنا ، وما هى إلا مدارس الإرساليات الدينية المختلفة ومستشفياتها وملاجئها .

تلك هى العقبة التى تحول دون إسلامنا ، فهل يوجد بين مسلمى الأقطار الأخرى أغنياة كرماء يخلصون لدينهم ، فيقومون بتدليلها ، ويعبدون لنا منها طريقاً نسير عليه آمنين الى اعتناق الاسلام السمح الذى يجب أن يسود الهند ؟ هذا هو الرأى الحقيقى الذى له قوته السحرية فى حل قضية المنبوذين حلاً مطابقاً للفكرة الاسلامية الرصينة .

فاذا كان إخواننا المصريون يرغبون فى حل هذه القضية ، ويريدون أن يساعدوا إخوانهم مسلمى الهند مساعدة قيمة يحفظها لهم التاريخ باهداء سبعين مايونا الى الاسلام تعزبهم جامعته الكبرى ، ويجعل الهند فى المستقبل قارة إسلامية ، فقد واتتهم الفرصة بذلك ، وما عليهم إلا أن يتقدموا الى الاكتتاب زرافات ووجدانا ، لبناء تلك المؤسسات التى لا سبيل الى انتشار الاسلام فى العالم بدونها .

أما التبشير الرخيص الأجوف الذى لا يقوم على سياسة الانشاء والبذل والتعمير ، فلن يفيد فائدة تذكر ، ولن تقوم فى المستقبل الدعوة الى دين من الأديان على مجرد الحجاج أو الآمانى .

فلسفة الاخلاق

وصلتها بالنفس الناطقة — أثر ذلك في المجتمع الانساني العام

مضينا بالفارسي في شطر غير قليل من البحث عن الجسم الطبيعي ، وكيف أن الأجسام الطبيعية كلها تشترك في الحد الذي يعمها ، ثم تتفاضل بقبول الشريف من الآثار التي تحدث فيها ، وأن الجماد من تلك الأجسام الطبيعية إذا قبل صورة مقبولة عند الناس صار بها أفضل من الطينة الأولى التي لا تقبل تلك الصورة .

ثم إن الحكماء من المتقدمين عرفوا الجسم الطبيعي بأنه هو الجوهر الطويل العريض العميق ، على معنى أنه جوهر يمكنك أن تفرض فيه بعدا كيف شئت ، ثم بعدا آخر مقاطعا له على زوايا قوائمه وهو العرض ، ثم بعدا آخر مقاطعا للبعدين على قوائمه أخرى وهو العمق . فالجوهر على هذا التعريف جنس وما بعده كالفصل .

ثم إن الجسم إما مركب من أجسام مختلفة الطبائع كالحيوان ، وإما متفقا كالجسم المركب من جزأين من الأرض متماسين . وإمامفرد ليس مركبا من أجسام ويكون الجسم المفرد قابلا للتجزى ، والانتقسام الى أجزاء مقدارية على نحو من أنحاء القسمة المبينة في كتبهم ، والتي قد نعرض لها عند الكلام عن المبحث القادم .

ونعود الى ذكر مراتب الحيوان على نحو يكشف عن هذا البحث كشفا يزيل ما علق به من الاضطراب الذي وقع فيه كثير ممن اشتغلوا بعلم الأخلاق وعلوم النفس ، فنقول :

إن ما أهم من هذه الأجناس خصائص ومميزات كالازدواج وابتغاء النسل وحفظ الولد وتربيته والإشفاق عليه بالكن والعش واللباس مثلا ، كما ندلنا عليه المشاهدات فيما يلد ويبيض منها ، وتغذيته إما باللبن وإما بنقل الغذاء إليه — أفضل

بكثير مما لا يلاهم شيئاً من تلك الخصاص والمميزات . فتلك الخصاص لا تزال تنمو في الحيوان وتزداد حتى يدنو من أفق الإنسان . وعند بلوغه هذه المرتبة يصبح قابلاً للتأديب والزجر ، وبذلك القابلية يصير ذا أفضلية يمتاز بها عن سائر الحيوان الذي فقد تلك الخصاص والمميزات . وتلك الفضائل تنمو وتزداد كذلك في الحيوانات التي حبها الله بتلك الحبة حتى يشرف بها ضروباً من الشرف . كالفرس والبازي المعلم ، ثم يرقى من هذه المرتبة الى مرتبة الحيوان الذي يحاكي الانسان من تلقاء نفسه ويتشبه به من غير تعليم كأنواع القردة والبيغاء ، وما أشبهها ، حتى ليبلغ من تأديبها أن تكتفي في التأديب بأن ترى الانسان يعمل عملاً ، فتعمل مثله من غير أن توجه الى تعب بها ورياضة لها وتدريب على ما يريد منها . وتلك الخصاص منتهى أفق الحيوان ، بحيث إذا جاوزها وحدثت له قابلية يسيرة بعدها ، خرج بها عن أفقه وصار في أفق الانسان الذي يقبل العقل والتمييز والنطق بواسطة الآلات التي يستعملها ، والصور التي تلائمها . فإذا بلغ هذه تحرك الى المعارف واشتاق نفسه الى العلوم ، وحدثت له قوى وملكات ومواهب من الله عز وجل يستعين بها على الترقى والامعان في هذه المرتبة ، كما حدث ذلك في المراتب الأخرى المتفاوتة .

وقد حكى عبد الكريم الشهرستاني صاحب الملل والنحل أن أولى هذه المراتب من الأفق الانساني المتصل بآخر ذلك الأفق الحيواني ، تبدأ مراتب الناس الذين يسكنون في أقاصى المعمورة من الشمال والجنوب كأواخر الترك من بلاد يأجوج ومأجوج ، وأواخر النج وأشباههم من الأمم التي لا تميز عن القردة إلا بمرتبة يسيرة ، ثم تزايد فيهم قوة التمييز والفهم الى أن يصيروا الى وسط الأقاليم ، فيحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم والقبول للفضائل ، والى هذه المنزلة ينتهى فعل الطبيعة التي وكلها الله عز وجل بالمحسوسات .

ثم يتهياً لتلك القابلية لا اكتساب الفضائل واقتنائها بالإرادة والسمي والاجتهاد الى أعلى أفقه اه .

فإذا صار الى أعلى أفقه اتصل بأول أفق الملائكة، وتلك منزلة لا تتفق إلا لخواص البشر، فهم وحدهم النسق الأعلى لبنى الانسان، وعندها تتأحد الموجودات، ويتصل آخرها بأولها، وهو الذى يسمى دائرة الوجود كما يقول الجلال الدواني فى رسالته المسماة (بالزورة) المبحوث فيها عن وحدة الوجود .

ويذهب الامام ابن حزم الظاهري الأندلسى الى أن المتأحدة التى جمعت من الكثرة وحدة، وهى التى تدل دلالة صادقة برهانية على مبدعها، وعلى حكمته وقدرته ووجوده تبارك اسمه وتعالى جده وتقديسه فى الوجود ذكره اه .

فإذا تصور الانسان تلك المراتب وما بينها من تفاوت بالقياس الى ما يقع فيها من تفاضل فى البدائن واختلاف الملكات والقوى، استطاع أن يتبين بتلك الخصائص ذلك الأفق الذى يتصل بأفقه وتدرجه فى مرتبة بعد مرتبة وركوبه طبقاً عن طبق وما أسرع إذن أن يحدث له الايمان الصحيح، فيشهد ما غاب عن غيره من الدهاء والأوشاب، ومن دونه فى المرتبة التى استأهل لها . وحينئذ يتهياً لقبول مواهب الله عز وجل ومنحه المتلاحقة التى لا يبلى جديتها كالفداء ومر العشى، ويستيقن فى دخيلة نفسه بأن كل مرتبة من تلك المراتب الداخلة فى أفق الانسان مفتقرة الى ما دونها من المراتب فى وجودها، وأن الانسان لا يتم له كماله إلا بعد أن يكون قد استحوذ على ما قبله . فإذا صار إنساناً كاملاً، وبلغ أفق الآفاق، فقد أضخى إماماً حكماً، تهبط على قلبه الإلهامات فيما يتصرف فيه من تلك المحاولات الكونية، وتلك المحاولات الرشيدة مؤيدة بالمؤيدات العلوية فى التصورات العقلية، أو نبيا معزز الدعوة من الله يأتية الوحي على ضروب المنازل التى تكون له عند الله تعالى ذكره، فتكون إذ ذاك نعمت الوسطة بين الملأ الأعلى والملأ الأسفل، وذلك بتصوره

حال الموجودات كلها والحال التي ينتقل اليها من حال الأنسية ومطالعة تلك الآفاق
المهيأة لبنى الانسان .

وإذا بسطنا للقارئ جانباً من مراتب الحيوان المتصلة بآفاق الأفق للانسان
فلا بد أن نعرض لشوق النفس الى العلوم والمعارف حتى يتم البحث في أوسع صوره ،
لأن شوق النفس الى العلوم والمعارف هو نقطة الارتكاز عند علماء الأخلاق .
لذلك سنعرض لها في البحث القادم بمزيد بسط وإيضاح .

عباسي طه

الجود مع الاقلال

قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن الانصار : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » :

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أفضل العطية ما كان من معسر الى معسر » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أفضل العطية جهد المقل » .

وقالت الحكماء : القليل من القليل أحمد من الكثير الى الكثير .

أخذ هذا المعنى حبيب (هو أبو تمام الطائي) فنظمه في أبيات كتب بها الى الحسن
ابن وهب الكاتب وأهدى اليه قلماً :

قد بعثنا اليك أكرمك الله بشيء فكن له ذا قبول

لا تقسه الى جدا كفك الغرا ، ولا نيلك الكثير الجزيل

واستجز قلة الهدية منى إن جهد المقل غير القليل

وقالوا : جهد المقل أفضل من غنى المكث .

وقال صريع الغواني الشاعر :

ليس السماح لمكث في قومه لكن لمقتد قومه المنجمد

وقيل لبعض الحكماء : من أجود الناس ؟ قال : من جاد من قلة ، وصان وجه السائل

عن المذلة .

تاريخ العلوم الدينية والتشريعية

في الأدب العربي (١)

كانت جميع الدراسات الدينية وعلى الأخص التي ترجع الى مناهلها الأصلية (القرآن والحديث) أكثر ما اهتم به العرب والمسلمون من بين جميع العلوم والمعارف الأخرى ، ولذلك فإننا نرى أثرها في تاريخ الثقافة الاسلامية والأدب العربي واضحا جليا ، فقد احتلت هذه الدراسات والأبحاث الدينية المكان الأول في التأليف بحيث لا يداينها فيه أى فرع آخر من فروع العلوم على وجه العموم ، فأصبحت بفضل هذا النشاط الفكرى الفريد أكبر بناء في الثقافة العربية ، وبدونها لا يمكن وضع تاريخ الأدب العربى على صورة كاملة حقيقية ، كما يحاول بعض العلماء الأوربيين الذين يريدون استقصاء المؤلفات الدينية عند تدوين تاريخ الأدب على وجه العموم .

على أننا إذا حاولنا في هذا البحث وضع تاريخ العلوم الدينية والتشريعية في الأدب العربى ، فإنما نقتصر على تدوين أهم ما وصلت اليه هذه العلوم بواسطة قريحة العرب وعلماء الاسلام والنقط الفاصلة في تاريخ تطورها ، مكتفين بذلك عن البحث وراء التفاصيل الدقيقة التي لا تدخل تحت هذا الباب التاريخى ، ولا بد من تركها للدراسات الخاصة بالديانة والتشريع الاسلامى .

أقدم ما عرف من التأليف في هذا الباب كان بداهة متصلا اتصالا وثيقا بالقرآن ، وهو أول منهل يرجع اليه علماء الدين والتشريع ، فلما أن وضع عثمان الحد الفاصل بتدوين نصه الصحيح ، انتهت به المنازعات ، وأغلقت الأبواب على الخلافات القائمة على القراءة ، إلا أن الكتابة العربية في ذلك الحين بما فيها من نقص وعدم تقييد

(١) مترجمة من الالمانية نقلا عن كتاب (تاريخ الادب العربى) للمستشرق الالماني الكبير الاستاذ

لنطق بالحروف المتحركة القصيرة، كانت سببا في الوقوع في خلاف على قراءة كتاب الله^(١)، فنشأت بذلك عدة اتجاهات مختلفة في قراءة القرآن، ولكن حاجة المسلمين من غير العرب الماسة الى تعلم النطق الصحيح للغة العربية حتى يتيسر لهم تلاوة القرآن أدت الى نشأة تلك الدراسات الصوتية الفسيولوجية التي سبق لنا ذكرها في تاريخ العلوم اللغوية في الأدب العربي، وبذلك توثقت الصلة بين فن قراءة القرآن ونحو اللغة، فاشتهر أغلب اللغويين المعروفين أيضا بأبحاثهم القيمة في هذا الباب، ولكن للأسف الشديد ضاع أغلب أبحاث هذا العصر القديم، لأن من جاء بعدهم ممن كانوا لا يهمهم من هذا الفن سوى الناحية العلمية فقط، كانوا يكتفون بوضع مختصرات عجاف.

بدأت كذلك في نفس الوقت المحاولات العلمية لتفسير القرآن، وكان يرجع العلماء في ذلك الى النبي (صلى الله عليه وسلم) لتفسير ما غمض عليهم. وأول من تصدى لهذا العمل الكبير عبد الله بن عباس الذي يعتبر من أقوى مراجع الحديث، فوضع تفسيراً كاملاً لم يصل الى أيدينا على شكله القديم، وكان هو المرجع الأول للتفسير في القرن الثاني والثالث من الهجرة، ولم يبق من هذا العهد إلا مؤلفات قليلة أصبحت أهميتها ضئيلة عند المتأخرين من العلماء بالنسبة الى مؤلفات القرن السادس والسابع من الهجرة الآتي ذكرها.

ولم تقتصر دراسات القرآن في هذا العهد على العلماء السنيين فقط، بل لقد اهتمت بها أيضا الفرق الاسلامية المختلفة وأهمها الشيعية، إلا أن مؤلفاتها لم تصل في الناحية العلمية الى مرتبة الجد والاعتماد عليها والأخذ بها، هذا فضلا عن وقوعها في كثير من الأغلاط والأكاذيب بسبب تحيزها الظاهر.

وتفرعت بعد ذلك عن دراسات القرآن أبحاث العقائد، فكانت بذلك أقدم العلوم الدينية التي ظهرت في الأدب العربي، ولقد كانت نشأتها على يد الأمويين بسبب

(١) المعروف أن الخلاف في القراءة نشأ من اختلاف لغات العرب لا من سبب قصور الحروف العربية.

اختلاطهم بعلماء الديانة المسيحية بالشام الذين كانوا على نظم ناضجة بفضل الفلسفة الإغريقية وصرانهم الطويل خلال الأجيال العديدة ، فكان ذلك حافزا لعلماء المسلمين من العرب للبحث والتنقيب في مكنونات القرآن بمحاولات علمية ناجحة . ولقد كانت الصراحة التي امتاز بها هذا العهد الأول ، وعدم التحيز بالنسبة الى العقائد المغايرة ، والشجاعة في الحكم على الأشياء ، سببا في تسرب بعض المبادئ الدينية المسيحية الى الاسلام ، مثل عقيدة العفو الإلهي الذي يضمن السعادة لجميع الناس ، ومثل مذهب حرية الإرادة في الانسان ^(١) . وإننا نجد أنه بالرغم من أن أكبر علماء الدين المسلمين في القرن الأول من الهجرة وهو حسن البصري كان متمسكا بمذهب القدر ، كما كان يعتبر كل من اتبع تلك الآراء المعتدلة ماحدا وخارجا على الاسلام ^(٢) ، فاننا نرى بينهم كذلك كثيراً من العلماء المعروفين وعلى رأسهم أبو حنيفة الذي أسس مدرسة دينية تشريعية انتشرت تعاليمها انتشارا واسعا في الاسلام ^(٣) .

ولقد نشأت في مدرسة حسن البصري ومن بين أحضانها مبادئ معارضة قوية خطيرة ، إذ قام من بين تلاميذه واصل بن عطاء وأسس فرقة جديدة سميت بالمعتزلة اختلفت معه اختلافا واسعا في المسائل الدينية الأساسية ، وتطورت هذه الفرقة تطورا سريعا بفضل التعاليم الفلسفية التي أخذت منها ، ومبادئ حرية الفكر التي استندت عليها ، فوصلت الى أوج عظمتها في عهد الخليفة المأمون ، قبلت في خلافها

(١) لم يتسرب الى الاسلام شيء من العقائد المسيحية ، فليس فيها أن العفو الإلهي يشمل جميع الناس حتى المنكرين للمسيح عليه السلام . وقد نص الاسلام على أن عفو الله يشمل جميع المذنبين إلا المشركين والكافرين . أما مذهب حرية الإرادة فهو مذهب إسلامي قبح وعليه بنيت التكاليف وإقامة الحدود أما العقيدة بالقدر فهي من متمات الاعتقاد بالسلطان المطلق لله إذ لا يصح أن يقع في ملكه إلا ما يشاء . ولكن الاسلام حرصا على مبدأ حرية الإرادة منع البحث في القدر .

(٢) لم يقل أحد من الأئمة بالحداد من لا يقول بالقدر وإنما قالوا باعتزاله لمذهب أهل السنة ،

(٣) كان أبو حنيفة سنيا بحتا ولم يكن قط معتزلا كما هو معروف ومقرر .

مع المدرسة السنية القديمة مبلغا كبيرا لم تنجح منه الأصول الدينية الأولية. وفي عام ٢١٢ هـ فرض الخليفة المأمون اتباع مبادئ المعتزلة وتعاليمها فرضا بحكم القانون، بل ولقد بالغ في موالاتها وحمايتها بأن اضطهد أصحاب العقائد القديمة^(١)، ولكن سرعان ما تغيرت الحال، إذ بتولى المتوكل الحكم، وهو ثالث خلفاء المأمون، رأى لأسباب سياسية عكس ما ارتآه من سبقة، فبدأت الاضطهادات القاسية تتوالى ضد المعتزلة^(٢) حتى انمحي أثرهم كفرقة دينية، ولو أن آراءهم وتعاليمهم وجدت من المؤلفين من يظهرها بين الحين والآخر، وربما كان ذلك هو السبب في عدم بقاء مؤلفاتهم الأصلية الى الآن، وإنما قد توصلنا الى معرفة مبادئهم من الجدل والحوار في مؤلفات معارضهم في الرأي. وهكذا قضى على جماعة المعتزلة، ولو أن طريقهم الفلسفية الجدلية لم تختف، بل بالعكس فإنها صادفت حياة مزدهرة في خدمة المسلمين السنيين، وذلك في ناحيتين في وقت واحد: في العراق، وفي بلاد الفرس، إذ قد تزودت علوم العقائد السنية بأسلحة المعتزلة في فن الجدل، ففي العراق ظهر أبو الحسن الأشعري المولود بالبصرة عام ٢٦٠ هـ وأنشأ اتجاها جديدا، وقد كان الأشعري في بادئ الأمر تلميذا عند المعتزلة، وعاد الى عقيدته القديمة في تمام سن الأربعين، ورحل الى بغداد فطلب العلم عليه الكثيرون، وكان موفقا الى حد بعيد في عالم التأليف، وصادفت طريقته الجديدة رواجاً كبيراً عند الشافعيين الذين انضم اليهم، كما لاقت عطف المالكين، وانتشرت على الأخص في أواسط البلاد الإسلامية وغربها حتى سادتها، ولم ينب عنها إلا متطرفو السنة من الحنابلة الذين رفضوا الأخذ بها بتاتا، وتوفي أبو الحسن الأشعري عام ٣٢٤ هـ. وفي نفس الوقت ظهر في شرق البلاد الإسلامية محمد الماتريدي الى جانب الحنفيين

(١) لم يكن المأمون معتزلا ولا مؤيدا للمعتزلة. وإنما تسربت اليه شبهة خلق القرآن فقال بها.

(٢) لم يضطهد المتوكل المعتزلة قط ولكن اضطهد الزنادقة وأصحاب الآراء اللاحادية كالاباحية والدهرية

كمؤسس جديد لعلوم العقائد ، ولم تختلف تعاليمه ومبادئه عن خطة معاصره أبي الحسن الأشعري بكثير ، فقد اتفق الاثنان في جميع المسائل الأساسية اتفاقاً تاماً ، وتوفي محمد الماتريدي بموطنه سمرقند عام ٣٣٣ هـ

ويعتبر الاسلام دراسة القانون والتشريع من العلوم الدينية ، وذلك لأن الأحكام الفاصلة نظرياً مستمدة من القرآن والأحاديث النبوية . ولما كانت المواد المستقاة من هذين الموردين لم تف بمحاجة الحياة العملية التي كانت تتشعب بسرعة ، وتعدد نواحيها بسبب غزوات العرب وفتوحاتهم الكثيرة في ممالك ذات حضارات قديمة مما جعل سبيلاً الى ظهور مسائل جديدة لا عهد للعرب أو للإسلام بها من قبل ، كان المتشرعون القدماء يفصلون بلا تردد فيما يعرض عليهم بما يوحيه رأيهم الخاص بكل شجاعة وسماحة ، فكانوا بداهة يراعون القواعد والتقاليد المرعية في تلك البلاد الغريبة ، وبذلك نفذت الى الاسلام بعض مبادئ القانون الروماني^(١) ، كما وجدت من قبل بعض المبادئ الاغريقية طريقها الى علوم العقائد بواسطة اختلاط علماء العرب المسلمين بالمسيحيين في الشام .

ومنذ القرن الثاني من الهجرة بدأت معارضة قوية تظهر ضد القانون الذي كان آخذاً على هذا النحو طريقه في التكوين ، ففي الحجاز كانت تشتد رغبة الأهالي في ضرورة التمسك بتعاليم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأحكامه في جميع الأحوال ، فإذا ما قصرت هذه المواد كما أسلفنا عن إدراك ما طرأ من المسائل الجديدة ، لم يتردد بعضهم عن محاولة إدخال ما يلائمها على الأحاديث النبوية ، فانقسم بذلك علماء التشريع من العرب الى مذاهب مختلفة بالنسبة الى مقدار تمسكهم المطلق بالحديث النبوي ، أو بقدر تحرير رأيهم الخاص فيما يعرض من الحياة العامة .

(١) لم تنسرب الى الاسلام مبادئ القانون الروماني باحتكاك المسلمين بنصارى الشام . فان مبادئ الشريعة الاسلامية وأصولها مائة في القرآن وهي أدق من مبادئ أى قانون وضعى بما لا يقدر حتى القوانين المصرية .

وأقدم هذه المذاهب مذهب الحنفية، وهو الذى كفل حرية الفكر المـكان الأول .
ومؤسس هذا المذهب أبو حنيفة ، وولد بالكوفة عام ٨٨ هـ وكان جده من الموالى
الفرس ، وكان أبو حنيفة أشد أقرابه انتصارا للعلويين الذين يرون أن عليا أحق الناس
بالخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فانضم الى الحركة المعادية التى قامت
ضد الأمويين ، ثم نار على العباسيين على أثر خيانتهم للعلويين فى أمر الخلافة ، وقبض
عليه عام ١٤٥ هـ بالمدينة المنورة حيث قضى نحبه سجيناً بعد خمس سنوات ^(١) ، وقد
وضع أبو حنيفة بضع رسائل صغيرة ، وجمع له تلاميذه من بعده مجموعة الأحاديث
النبوية التى كان يعتمد عليها فى أعماله التشريعية ، كما وضع مؤلفاً فى العقائد لا يشق
الكثيرون من المؤرخين فى صحته .

ولقد صادفت تعاليم أبي حنيفة عظفا كبيرا عند العباسيين بالرغم من معارضته لهم
فى الحكم لأسباب سياسية ، فلم نرى أن مذهبه قد وصل على يد تلاميذه الأول
الى مرتبة الحكم واتخذ الصبغة الرسمية إبان عصرهم . وقد اشتهر من تلاميذه أبو يوسف
المتوفى سنة ١٨٢ هـ ، وكان قد أسند اليه كل من المهدي وهارون وظيفة قاض ببغداد ،
والى الأخير أهدى أبو يوسف كتابه فى الخارج .

وتناول تلميذه محمد الشيبانى من بعده تعديل مذهب الحنفية وتنقيحه الأخير
فى رسائل عديدة ، وكان محمد الشيبانى يطلب العلم فى مبدأ الأمر على الامام الأعظم
أبي حنيفة ، وأنتم دراسته على أبي يوسف ، واختتمها فى المدينة المنورة على الامام مالك
مؤسس المذهب المعروف بتمسكه بالحديث ، وتوفى الشيبانى عام ١٩٠ هـ وهو بصحبة
الخليفة هارون فى إحدى رحلاته الى بلاد الفرس .

ولقد اهتمت الأجيال المتعاقبة بتكملة بناء مذهب أبي حنيفة وشريعته ، واختتمت

(١) المعروف أن سجن ابى حنيفة كان بسبب إيانته ولاية القضاء تورعا لا لسبب سياسى .

أعمالها بما قام به القدورى المتوفى عام ٤٢٨ هـ من وضع مؤلفه الذى لا يزال مرجعا هاما فى مذهب الحنفية حتى اليوم .

وأما المذهب التشريعى الثانى فهو ما ظهر به مالك بن أنس بالمدينة المنورة ، وولد مالك عام ٩٧ هـ . وتوفى عام ١٧٩ هـ ، واختلف مالك عن أبى حنيفة بأن جعل الحديث قبل كل شئ ، مرجع الأحكام والتشريع ، ولو أنه لم يجد فى مؤلفه الكبير (الموطأ) مرجعا لكل القواعد القانونية فى الأحاديث النبوية ، إلا أنه رأى الأخذ بما سار عليه أهل المدينة من قواعد وتقاليد . وكان مالك فى أول أمره أيضا من أشد أنصار العلويين ، ولكنه ما لبث أن تصافى مع العباسيين وعاونهم فى حكمهم .

انتشر مذهب المالكية فى غرب البلاد الاسلامية ، وعلى الأخص فى شمال أفريقية وبلاد الأندلس ، ولعل الفضل فى ذلك يرجع الى المؤلف الذى وضعه تلميذه عبد الرحمن ابن القاسم المتوفى بالقاهرة عام ١٩١ هـ ، وأهم مراجع هذا المذهب حتى الآن هو الرسالة التى وضعها أبو زيد القيروانى المتوفى بفاس عام ٣٩٠ هـ .

وأما المذهب الثالث من المذاهب السنية المعروفة فهو مذهب الشافعية ، أسسه محمد الشافعى ، وكان يطلب العلم على الإمام مالك بالمدينة منذ عام ١٧٠ هـ ، واتهم فى بعض المؤامرات العلوية باليمن ، فنفى على أثر ذلك الى بغداد ، حيث سئحت له الفرصة لتلقى مبادئ مذهب الحنفية وتعاليمه ، فلم يرق له أحد المذهبين السائدين وأراد التخلص من اختلافاتهما ، فوضع قواعد جديدة تقوم على نظام التحقيق فى أصول القانون ، ووجد لمذهبه الجديد أنصارا عديدين ، وعلى الأخص بمصر حيث توفى عام ٢٠٤ هـ .

ولم يبق من مؤلفات الشافعى حتى العصر الحاضر سوى رسالة واحدة ، ولم يطبع منها إلا مجموعته فى الأحاديث النبوية مع تقرير فى وصف رحلاته الدراسية .

وبينما نرى أن هذه المذاهب الثلاثة : الحنفية والمالكية والشافعية ، قد كادت تتفق على مراعاة حرية الرأى فى الأحكام التشريعية ، ولو أنها تتفاوت فى هذا التسامح

وتختلف في مقدار تجاوزها الحديث ، فالتناجد أن المذهب الرابع والأخير ، وهو مادعا إليه احمد بن حنبل ، لا يعترف بأى حال من الأحوال بمثل هذا التسامح في مراعاة حرية الرأى فى التشريع ، ولا يريد أن يأخذ بالتجاوز عن أحكام الحديث ، بل إنه يفرض سيادته الوحيدة المطلقة فى جميع الأحوال .

ولد أحمد بن حنبل ببغداد عام ١٦٤ هـ ، وقام فى مقتبل شبابه برحلة واسعة بآسيا الصغرى ليستمع الى الأحاديث النبوية على رواتها الموثوق بروايتهم ، فلما عاد الى موطنه طلب العلم على الامام الشافعى حتى رحيله الى مصر ، فأتخذ بعد ذلك التدريس مهنة له ، الى أن أعلن الخليفة المعتصم اعترافه بمبادئ المعتزلة فى العقائد ورفعها الى مرتبة العقيدة الرسمية ، فرفض ابن حنبل الأخذ بها وبقي مخلصا لعقيدته السنية القديمة طول مدة اعتقاله الذى قضى فيه سبع سنوات . ولما عادت السنية الى الصبغة الحكومية الرسمية فى عهد الخليفة المتوكل عام ٢٣٢ هـ أفرج عنه وعاد له نفوذه وسلطانه الى أن توفى عام ٢٤١ هـ .

ولم ينتشر مذهب احمد بن حنبل فى موطنه فقط ، بل لقد تعداه الى الشام والحجاز حتى القرن التاسع من الهجرة ، وامتازت مبادئه وتعاليمه عما سبقها بالتعصب الشديد حتى فى الناحية العملية ، ولكن هذا المذهب لم يلبث بعد ذلك أن أخذ فى الانكماش ، فتقلصت من سيادته بقاع عديدة ، وحلت محلها المذاهب الأخرى ، ولو أنه لم يخنف حتى اليوم . وفى بدء القرن الهجرى الماضى صادف حياة جديدة ، وانتعش ببعث الفرق الوهابية له ، وانتصارهم لمبادئه وتعاليمه .

« يتبع »

أسرار التشريع الإسلامى وفلسفته

نظام الوقف فى الإسلام أيضا

أسلفنا فى البحث السابق على سبيل الاستطراد شيئا من الكلام عن الإقطاعات فى العهد البائد ، لكننا لم نعرض للفرق بينه وبين الأرصاء حتى يضطرر البحث على نسق واحد ، استيفاء لأجزائه ، وتجنباً للخوض فيما ذهب إليه كثير من علماء الفروع على غير جدوى .

فالفارق بين الإقطاعات وبين الأرصاء : أن الإقطاعات هى أراضى بيت المال التى تعطى لمن لهم استحقاق فيه كالعلماء والقضاة ونحوهم لينتفعوا بغلتها ماثبة لهم على أعمالهم العامة . وحكمها أنه يجوز لولى الأمر إبطالها ، وأخذها ممن أعطيت لهم وصرفها لغيرهم ، فيما لو مات من كانت فى يده ، أو عجز عن القيام بالأعمال العامة ، أو عقلت به شبهة لا يلىق أن تعلق بمثله نجعله غير صالح لاستحقاقها مع بقاء رقبتهابيت المال . فيتفرع على هذه الصورة أنه لو كانت لولى الأمر أرض مملوكة ملكا خاصا فملكها غيره فوقفها ، أو منح أرضا من بيت المال الى من له استحقاق فيه رقة ومنفعة فوقفها ، أو اشترت من بيت المال شراء صحيحا فوقفها المشتري ، أو كانت الأرض مواتا فأحياها شخص بإذن لولى الأمر ثم وقفها ، فإن وقفها صحيح فى جميع هذه الصور لتحقق الملكية فيها للواقف وقت وقفه .

وأما الأرصاء فهى : أن يجبس لولى الأمر أرضا من بيت المال ، وهى المعروفة اليوم بالأراضى الأميرية ، على منفعة عامة كالساجد والفناطر والمدارس والمستشفيات ، أو يجبسها على من لهم استحقاق فى بيت المال كالعلماء والقضاة والفقراء والمساكين إيفاء لهم ببعض حقوقهم . فهذا النوع لا يعتبر وقفا إطلاقا لعدم توفر شرط الملك فيه . ولذلك لا تجب فيه مراعاة الشروط اللازم توفرها فى الوقف بخلاف النوع الأول ،

وإن كان لا يجوز إبطاله وإرجاعه ملكا الى بيت المال كما كان ، ولا صرفه لجهة غير جهته المعينة فيه ، كما أفتى بذلك المحقق صاحب الفتاوى المهدية والعلامة ابن عابدين في باب العشر ، بخلاف الإقطاعات فإنه يجوز إبطالها كما أسلفنا .

ويتفرع على هذا التحقيق وذلك الفرق أن وقف المرتد يتوقف على عودته الى الاسلام ، فإن عاد اليه نفذ وقفه لظهور أن ملكيته في الموقوف كانت باقية وقت وقفه ، لكنه وقد ارتد عن دين الاسلام فقد توقف النفاذ لشروط وقفه نظرا لذلك المعارض الأثيم وهو الردة . فلما عاد الى حظيرة الاسلام وجب أن يعود اليه وقفه بشروطه التي شرطها . فإن مات على ردة أو قتل فإن وقفه يبطل على الصحيح . ذلك لأن ملك المرتد عند الإمام يزول زوالا موقوفا . فإن عاد الى الاسلام فقد استبان حنينه اليه وعودته الى حظيرته ، وإلا فقد تبين بموته أو قتله متلبسا بالردة أنه غير مصر على العودة الى الاسلام ، فكان من العدل أن يزول وقفه تبعا لذلك . ولا رواية عند أبي يوسف فيه . وعند محمد يجوز من المرتد ما يجوز من القوم الذين انتقل الى دينهم لبقاء ملكه كما كان قبل الردة عنده .

أما المرتدة فوقها صحيح عند أبي حنيفة أيضا لأن ملكها لا يزول عنده بمجرد ردها ، إلا إذا كان الوقف على حج أو عمرة مثلا ، فهي لا تقتل بل تحبس حتى تثوب ، بخلاف المرتد فإنه يقضى بقتله شرعا إن لم يعد الى حظيرة الاسلام . وذلك بخلاف المسلم في حالة ما إذا وقف ثم ارتد ، والعياذ بالله تعالى ، فإنه يبطل وقفه من فور رده وبورث عنه إذا مات أو قتل على رده ، ولا يعود وقفا بعودته الى الاسلام إلا إذا جدد وقفه . ذلك لأن الوقف قرينة من القربات الى الله ، وطالب المثوبة من أفضل سبلها ، والردة تحبط الأعمال .

لكن قال العلامة (الزركشي) في المحيط : وعندى في هذه المسألة نظر ، ولى عليها تعقيب ، فإن حبوط عمل المرتد ينبغي أن يكون متعلقا بإبطال ثوابه فحسب ؛ لا بإبطال

ما يتعلق به حق الفقراء الذي صار إليهم ينتفعون بفلقته ويدفعون به عنهم غوائل الفاقة ، لذلك ينبغي أن لا يبطل حقهم في الموقوف لمجرد ارتداده .

وحقيق الفقيه الكبير الشيخ (الرافعي) في تقريره على رد المختار أن الصاحبين يلتزمان القول بعدم بطلان الوقف حال الاسلام إذا ارتد الواقف عن دينه ، ضرورة أن الموقوف يخرج عن ملكه بمجرد وقفه كما قدمنا . فالقول ببطلانه في هذه الحالة رأى لأبي حنيفة دون غيره . والصاحبان يذهبان الى أن وقف المرتد صحيح . وأبو يوسف يذهب الى نفاذ وقف المرتد نفاذا صحيحا لاشية فيه . ويذهب محمد الى أنه يجوز فيه ما يجوز من القوم الذين انتقل الى دينهم . وإذا لزم عن القول بعدم بطلان وقف المسلم حين يرتد عن دينه القول بخروج الموقوف عن ملك الواقف بمجرد وقفه وهو الراجح كما أسلفنا ، لزم رجحان ما بنى عليه وهو عدم بطلان وقف المسلم إذا ارتد عن دينه . لكن أورد صاحب كتاب أنفع الوسائل على نظرية اشتراط الملكية حال الوقف تعقيبا بوقوع وقف الفضولي صحيحا إذا وقف مع أنه غير مالك للقدر الموقوف البتة . ثم عاد فدفع هذا التعقيب الذي فرضه بأن الفضولي في واقع أمره ليس هو الواقف وإنما الواقف حقيقة هو المالك ، فهو الذي تجرى عليه المثوبة من الله .

ومن شروط صحة الموقوف أن يكون مفرزا إذا كان مسجدا أو مقبرة ، لأن الشيوع فيهما مبطل لوقفهما اتفاقا بين علماء الفروع ، لأنه مانع التحض لوجه الله تعالى ، ولأن قسمة المهاياة فيهما تخرج بهما عن الغرض المقصود من الوقف . فهي تستتبع مثلا أن تقبر الموتى في المقبرة فترة ثم تزرع فترة أخرى ، ثم يصلى في المسجد طورا ويتخذ اصطبلا مثلا طورا آخر .

وهذا التصرف بعيد عن أصل الوقف ، لأن قسمة المهاياة تعتمد في حقيقتها أن يشترك جميع المنتفعين في العين المقسومة كل فيما ينوي الانتفاع به وعلى أي

وجه يريد .

عباس طه
المحامى الشرعى

« يتبع »

تفسير سورة النور

رأى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي المختص بتفسير القرآن الكريم في هذه المجلة أن يجمع ما كتبه فيها من تفسير سورة النور ، فجاء كتابا في أكثر من مائتين وخمسين صفحة من القطع المتوسط . وكل من يعرف مكانة الأستاذ من التفسير وبلوغه من الشرح والابانة وفصاحة العبارة الدرجة العليا يسهر أن يراه قد أفرد هذه السورة بالتأليف . فقد اشتملت على مسائل لها أخص مساس بحياتنا الاجتماعية ، وأمراضنا الخلقية ، وعاداتنا القومية ، وقد تبسط المؤلف في كل هذه المناحي تبسطا ينتظر من عالم خبير مثله . فجاء كتابه حافلا بما يجب أن يطالعها كل مسلم ، وأن يتخذ ذخيرة أدبية له ولأهل بيته . فنهى الأستاذ العلامة بما وفق اليه من هذا العمل البار ، راجين أن يوفق لا مثاله في حياته المباركة الطيبة .

الوعظ

اصدر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود على احمد خطيب مسجد الرطاعي كتابا عنوانه (المجموعة الاولى من كتاب الوعظ) ضمنه خطبا منبرية أنشأها وخطب بها . وقد طالعناها فوجدناه لم يترك عادة من عوائدها ولا حاجة اجتماعية من حاجتنا إلا ألم بها في خطبة بليغة مؤثرة مما نرجو أن يحتذى جميع الخطباء شاكلته فيها ، فنحث الخطباء الذين يودون أن يتخذوا هذا المثال الحسن أن يطلعوا عليها ، وأن يتدارسوها ، فانها معين غزير من أدب الوعظ الحكيم . فله الشكر على صنعه الجميل . أكثر الله من أمثاله في المسلمين .

رابطة الشباب المصري

أخرج المركز العام لرابطة الشباب المصري رسالته الاولى والثانية عن مؤتمره الأخلاقي . وقد أتت الرسالة الأولى على البحوث التي القيت في جلستي المؤتمر . أما الرسالة الثانية فهي حاوية لكل ما كتب بصدد هذا المؤتمر ، وفي مقدمة كتابها الامير عمر طوسون .

فشكر لشباب الرابطة عملهم الجميل ، ونتمنى لهم المناورة عليه والثبات فيه ، فهو من أصلح الأعمال وأدعاها للتشجيع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصول الاسلام المقربة بين الامم

أوحى الله الاسلام خاتماً للأديان، وعهداً خالداً للإنسان، فلم يدع أصلاً من الأصول المقربة بين العقائد، الموحدة بين النزعات، الجامعة بين مختلف المقاصد والغايات، إلا أتى به على قدر ما تسمح به الفطرة السليمة، والطريقة القويمة، والخطوة المثلى. فدعا الى تحكيم العقل في كل خلاف، والرجوع الى النظر في كل موضوع تعترك فيه الموروثات القديمة، والميول الجديدة.

وهو لأجل أن يرفع من طريق العقل الخالص كل ما يعترضه من العوائير الوهمية، أنحى على مبدأ التقليد فنقضه، وعلى أصل تقديس القديم الرث فهدمه، ونمى على الواقفين مع هاتين العقبتين جمودهم، فقال تعالى زارياً بالفلقدين: « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » وقد بالغ في الزاوية بالتقليد الى حد أن سماه عبادة، وهذا نهاية ما يمكن أن توصم به نزعة من النزعات الخاطئة، فقال تعالى: « اتخذوا أجبازهم ورهبانهم أرباباً من دون الله »، وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى اتخاذهم أرباباً أنهم أخذوا كل ما قالوا بدون جدال ولا تعقل.

كل هذا ليتوسل الاسلام به الى تخليص العقل من العوائير القائمة فيه. وإذا تم للأمة أن لا تحترم غير حكم العقل السكامل المستضى بنور العلم، سهل إقامتها على الطريق السوى، وتوجيهها الى باحات السكال الصورى والمعنوى، من أقرب الطرق، وأبعدھا عن القواطع، فأصبحت أرواحها خالصة من كل شائبة أسر، وأثارة عبودية. فإن لاح

لها أصل جديد فيه خير لها ، لم تتأخر عن القيام عليه ، ولم تجدد في نفسها حرجا من الاندفاع في تياره ، بل رأت أن من الدين أن تتجه الى وجهته ، عادة الاهتداء اليه فتعا إلهيا ، وإلهاما ربانيا .

هذا على خلاف الأمم الجامدة على القديم البالي ، المقدسة لكل ما نقل عن أسلافها بدون نظر فيه . فهي كلما لاح لها أصل فيه حياتها لم تزنه بميزان عقلها ، ولم تنظره بعين مصلحتها ، ولكن تنظر اليه من خلال تقاليدها ، فإن رأته ينطبق على ماورثته من أقوال أسلافها اتبعته مرثاة ، ولم تحسن الاندفاع فيه ، شأن المستعبد المثلث بالقيود والأغلال ، وإن لم تجده ينطبق على ما عندها من هذه الأقوال نارت عليه متأثرة بعوامل الجود ، وربما كان الأخذ به مما لا يبطل شيئا من أصولها الأولية ، ولكنها لشدة كلفها بالقديم والقدماء ، ترأخ الى معارضة كل جديد ، لا لعله غير كونه جديدا لم يعرفه أبائوها من قبل .

هذا من أكبر عوامل انحلال الأديان ، وصيرورة أهلها في مؤخرة الأمم في كل ضرب من ضروب مظاهر الحياة ، حتى في الأخلاق التي يفخرون بأنهم أخص القائمين بحقوقها ، والمهيمنين عليها ، فيكثر فيهم الخلل والخلل ، والكذب والنفاق ، وسوء الملكة واللؤم ، وينتهي بهم الأمر لأن يعدم مواطنوهم خطرا على الأخلاق والاجتماع . فانظر كيف يدهورم جودهم على التقليد الى عكس ما كانوا يرمون اليه بتشددهم فيه ؟ من الأمور التي رعى الاسلام بها الى تقريب الأمم المختلفة ، تحطيم صنم هذا التقليد الأعمى . لأن العقول متى تفصت من إيساره اندفعت لقبول كل ما تراه موافقا للعقل ، ملائما للحياة ، فيميل بعضها الى بعض كنتيجة طبيعية لاختيار الأحق والأحسن ، والعقل المطبوع في جميع الأفراد واحد ، فيكون ذلك مقدمة لاقترب بعض الأمم من بعض ، واجتماعهم جميعا على بساط واحد ، من البحث الحر ، والنظر الصحيح ، وتكون النهاية توحدهم في المقولات والعقائد ، لأن الحقائق لا تتعدد .

ومن الوسائل التي تذرع بها الاسلام للتقريب بين الأمم المختلفة ما نص عليه كتابه في مسألة الايمان برسالة محمد خاصة ورسالات المرسلين عامة . فقد صرح سبحانه وتعالى أنه لم يرسل خاتم رسوله بدين جديد ، واسكنه أرسله بالدين الذي أنزله على جميع من تقدمه من المرسلين ، فقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصىنا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب ، وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب . فلذلك فادع (أى لتوحيد الدين فادع) ، واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير » .

نصت هذه الآية على أن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم كانت إعادة ما سبق به الوحي على السنة جميع المرسلين من الدين الحق والضرط السوى ، خرفه أتباعهم ، وخرجوا به عن حقائقه .

لا مشاحة في أن هذا التصريح يقال من تشدد أصحاب الملل في مناقضة الاسلام ، ويلفتهم الى ما يقول رسوله ، ويحملهم على النظر فيما بين أيديهم من الكتب . وكل هذا مما يقرب بين الأمم ، ويجمع بين متفرقها ، لذلك جمع الاسلام في حظيرته في أقل من قرن بين أمم كانت على أشد ما تكون من الاختلاف والتباين . فبعد أن كان من المحال أن ترى الفارسي إلا زرادشتيا ، والهندي إلا بوذيا ، والصيني إلا كونفسيوسيا أو لاوتسيا ، والسوداني إلا قشيا ، أصبحت ترى حظيرة الاسلام جامعة بين جميع هذه الأمم ، ولو كان وجد المسلمون الألوان ودعاة اللغات الأوربية لكان له بين ربوعها اليوم شأن أى شأن .

ومما قصد به الاسلام الى التقريب بين الأمم إيجابه على الآخذين به الايمان بجميع رسل الله، وعدم التفرقة بينهم، والايمان بما جاءوا به من الكتب إجمالاً، فقال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولّوا فإنّنا هم في شقاق ، فسيكفيكمهم الله ، وهو السميع العليم » .

في هذه الآية نص صريح على وجوب الايمان بجميع رسل الله وجميع كتبه التي أنزلها عليهم بلغات مختلفة . وهذا أبلغ ما يعرف من الأصول المقربة بين البشر . فإذا أجلت نظرك في جميع الأمم لا تجد ديناً لواحدة منها يعنى بدين واحدة أخرى ، فما ظنك بأديان الأمم كافة ، على حين أن المسلم لا يستطيع أن يكفر برسول أرسل لواحدة منها ، فقال تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً » . فالدين في نظر الاسلام كل لا يتجزأ ، أساسه الايمان بالله وبجميع رسله ، من بلغتنا أسماؤهم ومن لم تبلغنا « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » ، فلا أتخيل أن في العلم أصلاً عالمياً يجعل الوحدة الانسانية ماثلة في عقلية أمة ونفسياتها مثل هذا الأصل . فهو وضع إلهي محض ، يكشف عن إلهيته سمو مقصده وبعده غاية ، فهو من هذه الناحية ليس في حاجة الى دليل يؤيده . فهل بعد هذا غاية في قطع ذرائع الخلاف بين الأمم ، وحسم مادة التلاحى بينهم ؟ أليس هذا يجملته وتفصيله يجعل الاسلام ديناً عاماً ، وبهيته لأن يكون نقطة اتصال بين الجماعات البشرية ، فتسكن الأرواح منه الى حظيرة عقيدة عادلة ، لا تذهب بأصحابها مذاهب الجور في هضم حقوق الأمم ، ولا تنزع بهم الى تجريدتها من خصوصياتها ؟ إنك بينما ترى أتباع الأديان الأخرى يتنازعون في حقبة أديانهم فيكفر بعضهم

بأنبياء بعض ، ويهزأ الأولون بكتب الآخرين ، والآخرون بكتب الأولين ، تجد المسلمين في مستقر من العدل مكيين ، يؤمنون بجميع رسل الله وكتبه ، لا يبغضون أمة حقاً ، ولا يهضمون لطائفة واجبا ، ولا يطالبون الأمم إلا بأمر واحد وهو أن يعدلوا فيؤمنوا بجميع كتب الله ورسله . فمن لم يقبل ذلك من الناس كانوا من أهل الشقاق ، المؤثرين للخصام على الوفاق ، وليس هذا من الاسلام في شيء .

فلا مشاحة بعد هذا البيان في أن الإسلام هو الدين العام المؤاخى بين جميع الأنام ، وكل ما حدث بعده بأكثر من ألف سنة من المذاهب التي غرضها التوفيق بين الأديان تحت أسماء مختلفة ، فلن يبلغ مبلغه في هذا الباب .

أما الفرق بين الإسلام وهذه المذاهب ، فهو أن الإسلام عرض الكتب السماوية الموجودة بين أيدي أصحابها ، ودل على وجوه التعريف فيها ، أو على سوء تأويلهم لها ، ودعا الى الكتاب الذي جمعها جميعا ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو القرآن ، وأما تلك المذاهب فترى الى توحيد الأديان بتأويل النصوص التي تختلف عليها ، تذرعا الى التوفيق بينها ، وهذا التأويل يشعر بتكاف شديد ، وعسف ظاهر بالألفاظ والعبارات ، ومثل هذا العسف الظاهر لا يبتنى عليه إيمان ، فتكون النتيجة تشكيك الناس في جميع الأديان .

ومن هذه المذاهب محاولة توحيد الناس في عبادة الله ، بحجة أن جميع الأديان تدعو للعبادة ، وهي في نظرهم تؤتى ثمراتها على أية الضروب كانت . أما الكتب الموجودة بين أيدي الأمم فتترك لأهلها مع كل ما بنوه عليها من أهواء وأوهام .

فالناقد البصير يرى أن مذهب الاسلام في توحيد الأمم هو خير المذاهب ، وهو دعوتها الى كتاب جديد شامل لجميع ما تقدمه مما لم تمسه أيدي التعريف . ذلك لأن النقد العلمي كشف من أحوال تلك الكتب من ناحية ضعف روايتها ، وضياح أصولها ، ومناقضة ما فيها لأبسط قواعد العلم ، ما لا استطاع معه الإيمان بها ، فتكون النتيجة الطبيعية من تقرير تركها وشأنها ، خروج أهلها عن حظيرة الأديان جملة كافية .

ثم إن المذهب الاسلامي في هذا الشأن أرسخ قواعد ، وأشبهه بسنة الوجود ، وأقوى على حملات الشبه والشكوك ، لأنه بعد أن قرر أن الأديان كلها وحى من الله ، وأن الذين أتوا بها كلهم رسل الله ، وأن كتبها كلام الله ، عاد فقرر أن طول الزمان أوجب أن ينحرف الناس عن تلك الكتب ، وأن يتسامحوا فيها بالتحريف والتبديل ، والاسلام في هذه القضية موافق للنقد العلمي كما رأيت . بعد هذا أخذ الاسلام يدعو الناس الى كتاب يجمع ما في تلك الكتب ويزيد عليها ما اقتضاه وما يقتضيه تطور الأمم . ووعده بحفظه من التحريف والتبديل على مدى الأجيال .

كان شأن الاسلام في هذا كشأن عالم نبغ في أمة كانت من علومها على مذاهب شتى ، كل طائفة منها تناهت الأخرى باسم مذهبها العلمي ، وعالمها الرسمي ، فجاء هذا العالم النابغ فجمع ما في الكتب الموجودة من الحقائق المقررة في كتاب واحد ، وزاد عليها ما فتح الله عليه ، ثم دعا الناس الى تداول كتابه المنقح ، وترك ما لديهم من الكتب الأولية المطبوعة بطوابع أزمانها المختلفة .

فهل كان يستطيع هذا العالم أن يقر كل طائفة على كتابها العلمي على ما فيه مما ينافي روح العصر الحاضر ، ومما وضعه الوضاعون بين حقائقه من الأكاذيب والوساوس ؟ « أفغير دين الله يبعثون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون » ، فأما طوعا فباستخدام العقل وإعمال الفكر ، وأما كرها ففتحت ضغط الحوادث والمثلثات .

محمد فريد وجدي

التفسير

سورة الرعد

- ١٦ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : (وَإِلَىٰ مَآثِرِينَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيْنَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ، وَاللَّهُ يَخْفُكُ لَامُعَقَّبٍ لِحُكْمِهِ ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ، يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ، وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ . وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْتَسَلًا ، قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) :

لقد رأيت كيف تم الجدل وبلغت الحجة مبلغها ، فلم تدع لمشتبه شبهة إلا كشفها ولا لمتحمل مجالا إلا سدته ، فلم يبق إلا إباء المكابرين ، وعناد المصرين ، الذين مهما تجلى الحق أمام أعينهم فاهم له بمبصرين ، ولا لندائه بمستمعين ، أولئك الذين قالوا قلوبنا غُلْف ، فهم عن الحق الواضح معرضون ، بل عنه صادون ، فماذا ينتظر في شأن هؤلاء وأمثالهم إلا أن يلجأ داعيهم الى رب العالمين ، يستنزل نعمته وغضبه عليهم ، حتى يبعدهم عن طريق الدعوة الى الحق الذي عنه يصدون ؟ فما أشبه الموقف الحاضر بموقف نوح عليه السلام مع قومه إذ « قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهاراً فلم يزدكم

دعائى إلا فرارا ، وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً » الى أن قال فيما حكاه الله عنه : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفاراً » .

وهكذا شأن الداعى المخلص فى دعوته ، الحريص على هداية كل قومه : أنه حين يصل بالمدعوين الى درجة أن يكابروا فى الحق وقد وضح ، وينكروا الشمس وقد طلعت ، ويقفوا حجر عثرة فى سبيل المستضعفين فيصدوهم عن هدى ربهم ، ويمنعوا عنهم رحمة الله التى أرسلها اليهم على يد عباده المرسلين ، فإنه لا يجد ملجأ بعد ذلك إلا قدرة ربه القدير القاهر فوق عباده ، فيقول بلسان حاله كما قال نوح عليه السلام : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفاراً » فإن لم يقله بلسانه جاشت به نفسه ، وكمن فى ضميره ، وامتلأ به قلبه ، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

وعلى هذا يتجلى جمال موقع هذه الآية الكريمة مما قبلها ، وأنها هى التى تنتظر أتم انتظار دون غيرها ، بعد ما وصل الجدل والمحااجة معهم الى ما ترى ، وبقوا على إصرارهم مكابرين معاندين ، فقال تعالى جواباً على هذا الخاطر : « وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإنا علىك البلاغ وعلينا الحساب » . والمعنى قد كلفت فامثلت ، وحملت الرسالة فبلغت ، وهذا هو ما عليك ، فلا عليك بعد ذلك أعوقبوا على ما اقترفوا فرأيت ذلك العقاب بنفسك ، أو توفيناك البنا قبل ذلك ، فكيفما دارت الحال فما يرجع اليك قد قت به ، فدعهم لنا فاهم بمعجزتنا وما حسابهم إلا علينا ، ونحن ننزل عليهم ما أردنا من عذاب ومقت حسبما تقتضيه حكمتنا ، وما عليك إلا البلاغ ، أى لا المجازاة ، فهى علينا لا على سوانا . فالقصر المستفاد من إنما يظهر أثره فى المؤخر وهو البلاغ ، فهو المقصور عليه ، أى أن الذى تُكلفه أنت مقصور على البلاغ لا يتعداه الى المحاسبة والمعاينة .

والقصر المستفاد من تقديم الخبر في قوله : « وعلينا الحساب » المقصور عليه هو ضمير الحق جل وعلا ، أى الحساب منوط بنا لا يكون من غيرنا . وعلى ذلك تكون جملة « وعلينا الحساب » معطوفة على جملة « إنما عليك البلاغ » . فليست إنما مسيطرة على الجملتين والعطف على عليك البلاغ ، بل مسيطرة على الأولى ، فإنك لو ساطتها على الثانية لأفادت أنه ليس على الله إلا الحساب . وهذا معنى غير مراد ، فله الأمر جميعا . ثم في التعبير بلفظ بعض في قوله : « نرينك بعض الذى نعدهم » تلميح الى أنه تعالى سيريه بعضا مما توعدهم به ، وإلا فسأله إنما يتحقق يوم القيامة . والمراد الإراءة البصرية قبل الممات ، وإلا فهو عليم بأن وعيد الله للكفار واقع بهم لا محالة . وقولنا قبل الممات مأخوذ من قوله في المقابلة : « أو نتوفينك » .

ووجه التلميح أنه لما قال : « نرينك بعض الذى نعدهم » بقصره على البعض دون الكل ومقابلته بقوله نتوفينك ، يتجه الذهن وتطعم النفس في أنه سيكون هناك رؤية للبعض وإن لم يكن بطريق الجزم .

وقد قال بعض المفسرين هنا : إن في الكلام فعلى شرطها : نرينك ، ونتوفينك ، فإن المعطوف على الشرط شرط ، وفيه جزاءان ، وهما إنما عليك البلاغ ، وعلينا الحساب . وليس منهما جزاء يصلح للترتب على أحد الشرطين ، فوجه هذه الجملة الشرطية ؟ وأنت تعلم أن الكلام مبنى على شرط واحد ، وهو ما نبهنا عليه بقولنا : كيفما دار الأمر ، أى سواء أكان هذا أم ذاك ، لأنهما جملتان شرطيتان كما توهمه ذلك البعض من العطف بأو ، والمذكور في موضع الجزاء هو دليل الجزاء لا نفس الجزاء . وأما الجزاء فهو مقدر ، أى فلا تجزع ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ونحو ذلك . ووجه دلالة أنه لما قال : « فإنما عليك البلاغ » أى وقد أدبت فلا عليك ، ولما قال : « وعلينا الحساب » أى فسنجزئهم سيئات ما اكتسبوا وهم لا يفوتونا . فالجملة شرط وجزاء واحد ، فلا محل لذلك التوهم .

ولقد طيب الله نفسه بعد ما أزال عنها الهم بما يفيد أنهم لو كان عندهم مُسْكَةٌ من عقل أو لهم أعين يبصرون بها ، ما أوقموا أنفسهم في تلك الورطة المهلكة ، وكان جدرا بهم أن يعتبروا بما يرونه في كل حين من تصرفه جل شأنه في الأرض وما أفلت ، فقال تعالى : « أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب » .

والاستفهام إنكارى للتعجب من حالهم . والواو التي بعد الهمزة للعطف على محذوف معلوم من المقام ، أى أغموا ولم يروا ، أو أجهلوا أنهم في قبضة يداؤلم يروا ، أو أنكروا كل ما سقته لهم من أدلة على صحة إرسالنا لك ببلغهم تكاليفنا وعاندوا مصرين على كبريائهم ولم يروا ؟ وأمثال ذلك مما يليق بالمقام تقديره .

ومعنى نأتى الأرض تتعلق قدرتنا بها تعلق تنجز لما اقتضته إرادتنا ، أى نوجه إليها تصرفنا فنغير فيها ما نشاء . والمراد بالأرض إما أرض الكفار ، وانتقاصها عبارة عن انزاعها شيئا فشيئا بفتح المسلمين إياها ؛ وإما بمعنى الأرض يحملتها ، وانتقاصها عبارة عن تبديلها خرابا بعد عمارية ، ومواتا بعد حياة ، وذلا بعد عز ، وغمرا بماء بعد ظهور وبروز ، وأمثال ذلك . ولعل هذا أدخل في التقرير وملء القلوب رهبة وخشية ، أى فإذا كانت الأرض التي تقلبكم ونحملكم لا تتعاصى عن أمر ربها التكويني ، وهى مستعدة بحملتها في كل آن أن يعرض لها من تصرف القدرة الإلهية ما يبدها كما ترون فأين أنتم وأين تذهبون ، وماذا تصنعون إذا خسف بكم الأرض كما خسف بمن قبلكم ، أو غمرها بالماء كما غمرت بطوفان نوح ؟

ويحوز أن يراد نأتى الأرض ننقصها من أطرافها بإهلاك أهلها ، كما يقولون نقصت البلد وخربت ، وأمثال ذلك ، يريدون موت أهلها . ولعل خير الوجوه أوسطها . وفى التعبير بنأتى من تربية الرهبة ما لا يخفى ، فهو على نسق قوله تعالى : « وقد منّا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً »

ولعلك تلمح هنا بعد قوله « تنقصها من أطرافها » ما صرح به في الآية الأخرى « أفلا يرون أنا نأتى الأرض تنقصها من أطرافها أفهم الغالبون ». فترى فيه من تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والتفريج عن نفسه بتصوير أعدائه بصورة الحمقى الذين على بصرم غشاوة فلا يرون الهلاك وهو منهم قاب قوسين، فيعاندون الجبار القهار الذى تملك بيمينه التصرف فى كل شىء، ولا يرون أنارقدرته وهى أمام أعينهم، فكيف تعبأ بقوم حمقى مثلهم، وليُغْلَبَنَّ مغالب الغلاب؟

وجاء بعد ذلك الكلمة الفاصلة توقف كل عبد عند حده، سواء المحق والمبطل، فهى فصل الخطاب، ذلك قوله تعالى: « والله يحكم لا معقب لحكمه » فن ذا يكون له بعد ذلك كلمة أو ينبس باقتراح أو طاب؟ فكأنها بمثابة قوله عز وجل: « ذرني ومن خلقت وحيدا ». وهى إما اعتراضية أو حالية، والأول أظهر، لأن مضمونها يكون قد وجه إليه قصد الإفادة بالذات، لا أنه داخل فى مضمون جملة أخرى كما هو شأن الحال. ولقد زاده عليه السلام طمأنينة نفس، وزادهم رعبا ورهبة بقوله: « وهو سريع الحساب » أى فعمما قريب يوقع بهم من جزاء ما اقترفوا ما يستحقون من قتل وأسر وإذلال وخزى فى الحياة الدنيا، ومن عذاب مقيم ألم فى الدار الآخرة، ولعذاب الآخرة أشق. وسرعة حسابه إما بمعنى سرعة مجيئه فكل آت قريب، أو بمعنى سرعة فصله فى أمرهم فلا يحتاج لوقت بزن فيه أعمالهم ويقدر لها ما تستحق من جزاء، فهو سريع الحساب. ويصح إرادة كلا المعنيين.

هذا ومعنى المعقب فى الأصل الآتى خلف غيره، من العقب وهو مؤخر القدم، تعورف فى المبطل لعمل غيره، فهو كأنما يسير خلفه يتعقبه لا يبطال أثره، ومنه قيل للغريم معقب، لأنه يتبع مدينه أينما ذهب يبطل محاولته الفرار والتخلص. ويقال للمماطل معقب، لأنه يتبع كل طلب برد. ولتصرفات اللغة أفانين أصلها التجوز، ثم تتعارف حتى تصير حقيقة عرفية.

وبعد : ففي الآية السكينة تقوية لطأ نينة المصطفى صلى الله عليه وسلم الى أنه سيرهم بعض الذى يعدهم ، فهي بمثابة تقريب ما يتوهم أنه بعيد ، ببيان أن أمثاله تتوالى ، فقد نزل بالآثم من الانتقاص والأخذ من الأطراف ما لا يبق معه مجال لشك فى أنه نازل بهم ما نزل بمن هم أشد منهم بطشا وأعظم قوة .

« وقد مكر الذين من قبلهم فله المكر جميعا ، يعلم ما تكسب كل نفس ، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار » :

المكر : الخديعة ومحاولة إيصال الأذى الى الغير بدون شعوره ، كأن الماكر يدج شيئا فى شئ . ومنه قولهم : ممكورة المرأة المدججة الخلق الغليظة الساقين ، كأن بعضها أديج فى بعض . وضمير قبلهم راجع لكفار مكة من مشركين وأهل كتاب ، وهم الذين تقدم الكلام على جدهم فى الآيات السابقة . وفى هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ما كان بدعا أن يلقى الرسل ممن يدعونهم تلك المعارضة والمكابرة يصحبهما المكر والاحتيال لإحباط الدعوة ، ولكن الله مبطل كيدهم ، ومحبط مكرهم ، وناصر رسله ومؤيدهم ، فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل « فله المكر جميعا » . أليس الماكر يزعم أنه يعمل على خفاء من الممكور به وتغريبه وخديعة من حيث لا يشعر ؟ فكيف يتم هذا مع من يعلم ما تكسب كل نفس ، وهو الذى وهبها العلم بما علمت ، والقدرة على ما كسبت ، وهو الذى إن شاء أتم عمل العامل وجعله يستتبع أثره ، وإن شاء أحبطه وأبطله وجعله كأن لم يكن ، وإن شاء أحترم العامل وأخذه أخذ عزيز مقتدر من حيث لا يحتسب ؟ قد كان يخشى بأسهم لو صح أن يكون لهم علم يتصرفون به وهو خفى عنه جل شأنه ، أو يستقلون بعملهم بدون إقداره ، أما وهو تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ويعلم خواطر النفوس وهو اجسها حتى قبل أن تتحقق بل قبل أن تخطر ببالها ، فهم وما مكروا فى حيز العدم أمام إرادة البارى وقدرته . ولو لم يكن فى إحباط مكرهم إلا أنه مكشوف

معلوم لله هو وكل ما كسبوا ، بل هو وما تكسب كل نفس ، لكان جذيرا أن لا يعبا به ولا يخشى ضرره ، فلا يبطل المكر إلا علم الممكور به ما يريده الماكر ، فلذا اقتصر على صفة العلم في تهوين أمرهم ، وإلا فهو كما يعلم ما تكسب كل نفس ، تحيط قدرته بكل عمل ، فيحبطه أو يتمه ، فهو القاهر فوق عباده . وهذا المعنى مستفاد من قوله : « فله المكر جميعا » فإن معناه أن كل ما يقع في الكون من سبب ومسبب وارتباط بينهما ، كل ذلك في قبضة قدرته إن شاء أحبطه وإن شاء أتمه ، فلا تكثر بما كانوا يمكرون ، فهو الفعال لما يريد . وقد علمت أن تخصيص صفة العلم بالذكور بعد ذلك لأن انكشاف المكر وعلم حال الماكر أساس لإبطال مكره . ومن ذا الذي ينكر إحاطة علم الله بما كان وما سيكون قبل أن يكون ؟ فهي حجة لا قبل لأحد بردها . هذا ويصح أن يكون معنى قوله « فله المكر جميعا » أى أن هذا الذى حاولوه من المكر بالأنبياء ليس فى الحقيقة مكرًا منهم بالأنبياء ، وإنما هو مكر من الله بهم ، حيث يحقق بهم جزاء ما اكتسبوا ، وبأخذهم من حيث لم يحتسبوا ، فستكون الدائرة عليهم وهم لا يشعرون ، فالمكر وهو الأخذ على غرة وبدون شعور واقع عليهم من الله لا واقع منهم على الأنبياء .

« وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار » :

كلمة جامعة للوعيد لهم ، وللوعد للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وأن إحراز العقوبة التى تعلمونها أنتم اليوم وينكرونها ، سيعلمونها هم أيضا ، ولكن بعد فوات الوقت ، حيث لا ينفع الندم ، ولا يفيد المرء إلا ما قدّم ، فسيرون بأعينهم عاقبتهم وعاقبتكم ، فيأخذهم من الحسرة مثل ما تدركون من المسرة ، وسيبادلون ذلك الحوار المحكى فى قوله تعالى : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، قالوا نعم ، فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين » .

« ويقول الذين كفروا لست مرّسلا ، قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومنّ عنده علم الكتاب » :

هذا تسجيل لخزى المكابرة عليهم بعد وضوح الحجة وظهور المحجة ، فأبرزهم في صورة من ملك العناد قياده ، وأصبح وقد ختم الله على قلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فهو لا يعترف بالحق مها بلغ وضوحه ، فقال : « ويقول الذين كفروا » أى بعد هذا الوضوح كله « لست » يا محمد « مرّسلا » من قبل ربك ، وإنما أنت تغترى . فثقل هؤلاء بعد ذلك لا ينبغي أن تقيم لكلامهم وزنا ، وإنما عليك أن تعرض عن حجاجهم ، فأعرض عنهم ، و « قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم » .

ومعنى شهيدا ، أى عليما ، فهو يعلم ما أنا عليه أمبلغ رسالته أم مفترٍ عليه ، أو شهيدا شاهدا بصحة ما أقول . وشهادته جل شأنه ، بتأييده له صلى الله عليه وسلم بالمعجزات والآيات البينات ، فهي شاهدة بصدقه منزلة منزلة الشهادة اللفظية ، وناطقة بما مضمونه : صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى . فشهيدا إما بمعنى عليم ، أو بمعنى شاهد . ولعل الثانى أرجح لقوة الحجة فيه .

وأما قوله : « ومنّ عنده علم الكتاب » فالمراد به إما الله عز وجل ، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ، ويكون العطف من عطف الصفات المتواردة على موصوف واحد لبيان أن كل صفة كافية فى إثبات المقصود ، أو من باب تنزيل تعدد الصفات فى الكفاية فى المقصود منزلة تعدد الذوات . ويشبه هذا قول الشاعر :

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية فى المزدحم
وإما أن يراد بمنّ عنده علم الكتاب من آمن من أهل الكتاب وأدى الشهادة على وجهها ، كعبد الله بن سلام ، ويكون المراد بالكتاب التوراة والانجيل . وإما أن يراد بمنّ عنده علم الكتاب المؤمنون الذين فقهوا ما فى القرآن الكريم من بليغ الحجة وواضح الآيات البينة ، فالمراد بالكتاب القرآن الكريم .

ولقد تضمنت هذه السورة الكريمة من روائع الآيات وبالغ الحجب ما ينطق كل لسان بصادق الايمان ، ويخضع كل جنان لخالص الإذعان .
 فاللهم وفقنا للايمان بك والإذعان لحكمك ، والاحسان في الزلفى اليك ، إنك نعم المولى ونعم النصير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
 ابراهيم الجبالى

العباس بن الحسين

كان العباس بن الحسين هذا معاصرا للمأمون ، وكان أثيرا عنده وعند أبيه الرشيد . وهو من أهل البلاغات الماثورة .
 ومن ألفت ما أثر عنه ما قاله للمأمون يوما : يا أمير المؤمنين إن لسانى ينطق بمدحك غائبا ، وقد أحببت ان يتريد عندك حاضرا . أفتاذن يا أمير المؤمنين فى الكلام ؟
 فقال له المأمون : قل فوالله إنك لتقول فتحسن ، وتحضر فتزين ، وتغيب فتؤتمن .
 فقال العباس : ما بعد هذا كلام يا أمير المؤمنين . أفتاذن بالسكوت ؟
 قال المأمون : إذا شئت .
 ومن أجوبته البليغة ما أجاب به المأمون حين سأله عن رجل فقال : رأيت له حلما واناة ، ولم أسمع لحنا ولا إحالة ، يمدنك الحديث على مطاويه ، وينشدك الشعر على مدارجه .
 وكان المأمون يقول : من أراد أن يسمع لهوا بلا حرج فليسمع كلام العباس .
 وسئل العباس بن الحسين عن رجل فقال لجليسه : أطرب من الابل على الحذاء ، ومن الثمل على الغناء .
 وذكر يوما رجلا فقال : ما الحمام على الاحرار ، وطول السقم فى الأسفار ، وعظم الدين على الاقتار ، بأشد من لقاءه .

الدين أنفع للعمران من كل القوانين

كتبنا مقالا ضافيا بالأهرام بتاريخ ٢٩ ابريل سنة ١٩٢٢ تحت عنوان « صوت منبعث من قلب الشرائع جمعا » طلبنا فيه من زعماء الأمة وحكومتها أن يجعلوا قانون البلد هو القانون الشرعى ، وقلنا لهم : إنكم ملككم من أمركم ما لم تكونوا تملكون ، وقد دخلتم فى دور جديد من نهضةكم المباركة ، فعليكم أن تهضوا بها فى دينها وقوانينها أيضا ، عسى أن يرجع للأمة الاسلامية مجدها الذى كانت متمتعة به ، حينما كان يمتد سلطانها الى الصين شرقا ، وأرض فرنسا غربا ، فكانت إذ ذاك أرفع الأمم على الإطلاق ، وأعزها على الإطلاق .

وها نحن أولا ، قد خطونا خطوة أخرى فى نهضة المباركة ، فهل لحكومتنا السنية وزعمائنا الكرام أن يحققوا ذلك الأمل الذى يعود عليهم بالفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة ؟ « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

وقد عاودنى الأمل فى تحقيق تلك الأمنية ، فكتبت هذه الكلمة اليوم راجيا أن يكون الوقت قد حان لاستعادة مجدنا الأول ، فى أخلاقنا وآدابنا وعاداتنا ، وتكوين نفوسنا التى ورثت الإيمان والاسلام عن آبائنا وأجدادها ، فنقول وبالله التوفيق : إن الواجب الآن على الأمة المصرية ، وقد هبت تريد المثل الأعلى فى حياتها ، أن تعمل فى بقية النواحي الدينية والأدبية التى لعلها أجدى عليها وأنفع لها ، وقد شرعت مصر تغير قوانينها ، فواجب عليها أن تتبع الطريق الاجتماعى فى مثل هذه الحالة ، وهو أن يكون التقنين الجديد على أتم وضع وأعظم فائدة ، وقد أصبحوا والحمد لله أحرارا فى كل ما يعملون ويشرعون .

ولعمري إن الأمر لأوضح من الصبح ، فإن تشريعنا الذى لم يمر عليه قرن ولا

نصف قرن قد ظهرت عيوبه ، وقد هبوا يطلبون له الاصلاح والتعديل ، ولكن ذلك التشريع السماوى مكثت فيه الأمة الإسلامية ثلاثة عشر قرناً قبل ذلك ، فكانت خير الأُم في راحتها وهنائها ، وما انحط شأنها وتضعضع مجدها إلا من يوم غيرت وجهتها ، واتخذت لنفسها قوانين غير قوانين ربها الحكيم العليم .

تلك القوانين السماوية التى تسيطر على الظواهر والبواطن ، وتملأ القلوب مراقبة لله ، وخوفاً من الله .

تلك القوانين التى تقول لهم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »
« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

تلك القوانين التى توجب عليهم أن يكونوا أرفع الأُم على الإطلاق وأعزها على الإطلاق ، ولا تزال بهم حتى تجمعهم ملوكا فى الأرض ، ملوكا فى السماء . وإن الباحث المدقق بنظرة واحدة يتجلى له الفرق الشاسع بين أدوارها الأولى عندما كانت متمسكة بدينها عاملة بشريعتها ، وبين أدوارها الأخيرة عندما نبذت شريعتها وأخذت بتلك القوانين الأجنبية التى تبين استعدادها ، ولا تلائم مزاجها ، ولا تطهر نفوسها ، ولا تُعنى إلا بالأشباح دون الأرواح ، وبالشكليات دون الحقائق ، فأنحطت عندها الآداب والأخلاق ، فتمكنت منها محبة الذات ، والانغماس فى الشهوات ، فصار الناس وحوشاً ضارية يأكل قلوبهم ضعيفهم ، وأصبحوا كالحرباء يتلونون بكل لون ، ويلبسون لكل حالة لبوسها ، ويعدون للمستولية القانونية عدتها ، من الغش والتزوير ، وتنميق الأنفاظ ، وتحسين الظواهر ، الى غير ذلك مما لا يأتى عليه الشرح ، ولا يبلغه البيان فهل للأُم الإسلامية أن تتنبه ، وقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين ، فترجع الى شريعتها التى جربت في القرون العديدة ، وبلغت بها فى أقل من قرن واحد ما لم تبلغه الرومان فى عدة قرون ؟ !

ولا غرو ، فقد كان المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها كالبنيان يشد بعضهم

بعضاً ، أو كالجسد الواحد إذا تألم منه عضو تألم له سائر الجسد (فهاهم عن التذكرة معرضين) .

ولا دواء لهم والله إلا الرجوع اشريعتهم ، ولا شئ أنجح في وحدتهم الحقيقية — لا وحدة الرياء والمصانعة — من رجوعهم الى الدين الصحيح . ولا دواء أنفع في استرجاع مجدهم السالف الذى كانوا به أعز الأُم على الإِطلاق وأرفعها على الإِطلاق من ترسم خطا نبهم ، والافتداء بعظماء أسلافهم .

إن الاسلام جاء بمجامع السعادات كلها لجميع أفراد النوع الانسانى ، فلم يأمر من يعتنقه بالعمل لا يسعاد أُمته فحسب ، بل لا يسعاد إلا إنسانية عامة ، والرحمة بكل فرد وكل مخلوق .

أما الذين يرمون الدين بأن فيه أشياء لا تلائم العصر ولا تسيغها المدنية الحاضرة ، فهم جهال بحقيقة الدين وبعد نظره فى علاج الناس بما يقوم اعوجاجهم ويصلح أودهم . وما مثال ذلك عندى إلا كمثل مريض فسد مزاجه وضعفت قابليته ، فأصبح غير قابل للدواء ولا واثق بالأطباء . أو كمثل طفل لا يعرف من الدنيا غير شهواته ولو أتت على الأخضر واليابس ، فهو لا يعرف للحكمة معنى ولا للحكماء قدرا . فهو ينظر الى ما يشيرون به نظر الهازى المستخف ، لأنه لا يستطيع أن يدرك مرامهم ولا بعد غاياتهم ولا أسرار حكمتهم .

ولنهم بك على أصعب شئ فى الدين الاسلامى عند هؤلاء المتفهمين من ذوى الحضارة الجديدة :

أصعب شئ جاء به الدين الاسلامى فى نظر هؤلاء هو الحدود ، وأشدّها رجم الزانى المحصن ، وقطع يد السارق .

ولنبين لك من أسرارهما ما يجعلك تنطق بأن الدين الاسلامى ما جاء إلا بالحكمة البالغة التى بها رقى العمران ، وسعادة بنى الانسان .

ولنشرح لك شيئا من مضار الزنا، ثم نعبه ببيان الحكمة في مشروعية رجم الزانى المحصن، فنقول:

إن في الزنا مضار كثيرة، وربما أدى الى القتل، وكثيرا ما كان ذلك، لمزيد الفيرة الطبيعية، ولما يلحق أهل المرأة وزوجها من العار، وما يترتب على ذلك من إفسادها على زوجها وسوء عشرتها له، أو فراقها وفراق أولادها، وما فيه من إفساد هذا الزانى على زوجته العفيفة، فضلا عما وراء ذلك من ضياع الأنساب المؤدى الى ترك التناصر، وما فيه من غش الغير في النسب الكاذب، وتعليك الأموال لغير مستحقها عند التورث، وضياع الولد لعدم من يريه حق التربية، ولصوق العار به لعدم معرفة أبيه، وسوء الفالة فيه طول عمره، ولزوم المذلة والانكسار له فيما بين الناس، ببله انتشار الأمراض الخطرة التي تنتقل منه الى غيره، وتورث عنه في أولاده وأولاد أولاده، كالزهرى والسيلان، الى غير ذلك من المفاسد التي يطول شرحها.

وبعد: فأنت تعلم ما يترتب على فساد البيت عند تطلع المرأة لغير زوجها، واتخاذها أخذانا في الخفاء، وما يلحق الزوج من الفيرة التي كثيرا ما تؤدي الى قتل ذلك المنتهك لحرمة أو قتله هو في ذلك السبيل، وما يلحق أهلها من العار الذي كثيرا ما يؤدي الى قتلها، وقد كان هذا من أسباب وأد البنات في الجاهلية، والفيرة في هذا طبيعية حتى في الحيوانات.

فإذا قضينا على تلك الجريمة التي تؤدي الى هذه المفاسد كلها بقتل رجل ثبت عليه الزنا وهو محصن — ولا يثبت عليه ذلك إلا بعد اللتيا والتي — نكون قد ارتكبنا أخف الضررين، وسلكنا طريق ذلك المثل العربى المعروف «القتل أنفى للقتل». مع أن ثبوت الجريمة التي توجب الرجم يكاد يكون مستحيلا عادة، ولكن حصوله مرة واحدة في قطر من الأقطار يوجب حفظ نفوس لا عددها، وصيانة أعراض لا تدخل تحت الحصر، وشرف أسر لا يعلمها إلا الله عن أن تقع في العار والفضيحة، فضلا عما

يدهور المجتمع كله عند ما تفسو فيه المنكرات ، لأن الأثم بأخلاقها وآدابها ، ولأن كل أمة تفسو فيها المعاصي تسقط من عين الله تعالى ، فيحقيق بها البلاء من حيث تعلم ولا تعلم « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » .

على أن الشريعة قد أتت في هذا بالعجب العجيب ، فلأت قلوب المجرمين خوفا وذعرا . وفي الوقت نفسه شرطت للحد شروطا لا تكاد تتحقق إلا في النادر الذي لا حكم له ، بل لا يكاد يوجد إلا في ظرف غير عادي .

فأنت تراها أولاً تقول : « ادروا الحدود بالشبهات » وثانيا تشرط في ثبوت الزنا أربعة شهود (مع أنها تكتفي في إثبات القتل بشاهدين) .

وثالثا توجب حد القذف على الشهود إذا لم يكونوا أربعة ، أو لم تتم شهادتهم بأى وجه من الوجوه .

ورابعا تشرط عليهم أن يكونوا رأوه كالمروء في المكحلة ، وأنى لهم ذلك والحادثة مما لا يكون إلا في أخفى الخفاء ، حتى في الحلال فضلا عن الحرام ؟

وهب أن واحدا رأى ذلك أو اثنين ، فكيف يتيسر رؤية أربعة في وقت واحد ؟ وهب أنهم رأوه معها أو رأوها متجردين في فراش واحد ، فكل ذلك غير كاف ولا موجب للحد ، بل على الشهود الذين شهدوا بالزنا حد القذف .

فمن يعرض نفسه لهذا المأزق الذي لا ينتهى غالبا إلا بحده هو ؟ وإذا وثق من نفسه فكيف يثق بالثلاثة الباقية من الشهود ؟ وكيف يتأني لهم جميعا أن يضبطوا هذه الرؤية ؟ الى غير ذلك مما هو غنى عن الشرح .

ومع تلك العقبات كلها ، فضلا عن درء الحدود بالشبهات ، فقد استطاع الدين أن يقضى على تلك الجريمة الشنعاء . ومنصفو الأوربيين يعترفون بالفرق الشاسع بينهم وبين المسلمين في ذلك ، خصوصا في عهودهم الأولى . والإحصائيات عندهم في ذلك مدهشة مخجلة .

وقد شرع الدين بجانب هذه الشدة في عقوبة الزنا بإباحة تعدد الزوجات ، وسهل الأمر في ذلك ، لما ذكرناه ، ولما فيه من الفوائد العديدة . وليس يغيب عن القراء ما قررته بعض الحكومات من المكافأة على كثرة الأولاد ، ولولا سلطان البيئة التي هي فيها لأباحت لهم تعدد الزوجات .

هذا وقد قال بعض الأوربيين : « إننا نوجب الاقتصاد على الواحدة في الزواج الشرعي ، ولكن نتخذ من الخليلات غير الشرعيات ما لا يقف عند حد ، فنضيقهن وأولادهن بلاشفقة ولا رحمة » .

فأنت ترى الاسلام منع هذه الجريمة بالخوف من تلك العقوبة الشديدة ، وأوعد عليها بأشد العقاب في الآخرة ، وشرع ما يغني عنها ، ومع ذلك وضع من الشروط التي تحول دون إثباتها ما يجعل وجود الحد بعد تلك الشروط مستحيلا أو كالمستحيل . فأى نظر أبعد من هذا ؟ وأى حكمة أبلغ من تلك الحكمة التي صانت الأعراض والنفوس ، ولم تسرف في القتل ، ولا جعلت الأمر جزافا ؟ أليس ذلك أسمى حكمة وأبلغ تشريع ؟

أما قطع يد السارق فأمره من أوضح الواضحات : فإن اللص يخرج من بيته موطنه نفسه على أن يقتل أو يقتل . وكثيرا ما قتل وقتل .

ومن جهة أخرى تستطيع أن تتصور فظاعة الجريمة إذا تخيلت امرأة عجوزا تسمى على أيتامها بقليل من المال ، فيطلع عليها ذلك اللص فيسلبها رأس مالها الذي تعيش به هي وأولادها المساكين ، فهي إن لم تلق الموت السريع من أيديهم ، لقيت الموت البطيء من جراء ما فعلوه بها وبفلذات كبدها الذين أصبحوا في حالة تذيب القلوب وتدمي العيون ، الى غير ذلك مما تعرفون ولا تجهلون .

وقد انتشرت تلك الحوادث في بلاد العالم كله انتشارا يثير الأسف الشديد والحزن العميق .

ولو أقننا الحد الشرعى مرة واحدة لأخفنا الجميع خوفاً تصبح به السجون خالية من أولئك اللصوص ، وتستريح به إدارة الأمان العام من تلك المزيجات المقلقات التى فشلت فيها اللوائح والقوانين ، وضجت منها رجل الشرطة وقضاة المحاكم .

على أن ذلك الحد داخل فى عموم الحدود التى تدرأ بالشبهات كما قلنا . ولعلماء الحنفية فى ذلك تفصيلات تجعل الأمر سهلاً لدى الحاكم المتبصر ، حيث قالوا : إذا صمم المسروق منه على تضمين السارق المال المسروق ، سقط عنه الحد ، لأنه لا يضمنه له إلا وقد ملكه إياه . على تفصيل وكلام طويل .

والمقصود أن فى مذاهب الأئمة من الآراء والأفكار سعة كبيرة . ونحن راضون أن يختار بدل هذه القوانين الأوربية قانون شرعى من كل المذاهب المعول عليها فى الدين الإسلامى ، وفيها من السعة والفسحة والأفكار الحكيمة ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، فذلك خير من القوانين الأوربية على كل حال .

الخلاصة :

والخلاصة أن المسلمين إذا عملوا بتعاليم دينهم ، وربوا أولادهم على المبادئ الشرعية والإخلاص فى جميع الأمور ، كما تقتضيه مراقبة الله والخوف منه ، ثم أكملوا العمل بما جاء به نبيهم ، فأحدوا جميعاً ، وكانوا كالبنين يشد بعضهم بعضاً ، أو كالجسد الواحد إذا تألم منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، إذا فعلوا ذلك كله ، فقد استعدوا لأن يستعيدوا مجدهم السالف ، وعزتهم التى كانت لهم « والله العزة ورسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » .

وإياك أن تصغى لأولئك الملحدون المتفهمين الذين لم يعرفوا من العلم الصحيح شيئاً ، ولا لهم من الوجدان الرفيع ما يذوقون به أسرار الدين ، أو يتعرفون به الحق ويفقهون برهانه ، وإن كانوا من ذوى الزخرف والتشويق الذين يخيل لك أنهم قرءوا

كثيرا ودرسوا كثيرا ، فالعلم أجلُّ من أن يصل الى حقائقه كل ناظر فيه ، أو يذوق أسرارهِ كل من يدعيهِ .

وقد قرر الفلاسفة أن كل من أخذ من العلم ما ليس مستعدا له كان ضرر ذلك العلم الذى أخذه أقرب من نفعه ، وكان بمنزلة ضعيف المزاج الذى لا يستطيع أن يهضم مائتأوله من الغذاء ، فلا غرو أن ينقلب الى فساد . كذلك أدعياء العلم الذين لم يخلقوا له إذا قرءوا شيئا من العلم ، لم يحسنوا فهمه ، فأولوه على ما يناسب استعدادهم ، ويوافق أهواءهم ، لأنه لم يهضم عندهم . وكان خيرا لهم ألا يأخذوه . ولذلك يروى فى المأثور « ما من أحد يحدث قوما حديثا لا تباغى عقولهم إلا كان حديثه فتنة عليهم » . وذلك لأنهم لم يفهموه على وجهه .

والعقول عند كثير من الناس مسخرة للأهواء لا مسخرة لها ، فهى لا تستمد إلا منها ، ولا تصدر إلا عنها ، وكان الواجب فى حقهم الحماية عما لا يستطيعون معرفته ، كما يجب احتواء المريض عما يضره من الغذاء ، وإن كان ضروريا غيره . وربما طرقتنا هذا الموضوع مرة أخرى . والله يتولى هدى الجميع بِنه وكرمه .

يوسف الرجبى

من جماعة كبار العلماء

للحلم بوادرتحمى صفوة

وفد أبو ليلي نابغة بنى جمعة على النبي صلى الله عليه وسلم فانشده شعره الذى يقول فيه :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : الى أين أبا ليلي ؟ قال : الى الجنة . فقال رسول الله :

إن شاء الله تعالى . فلما انتهى النابغة الى قوله :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادرتحمى صفوه ان يكدرها

قال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا يفضض الله فاك ، استحسانا للبيت .

زعيم المنبوذين والاسلام

قرأت في جهاذ ٢٧ سبتمبر الماضى كلمة الأستاذ الشيخ مجتبى حسن الهندى مؤداها أن الدكتور (امبيد كار) زعيم المنبوذين فى الهند قد غير رأيه فى الاسلام ، واتجه نحو ديانة (السيك) الهندية . وحجته فى تحوله هذا أن الديانة الاسلامية متعددة الفرق ، متشعبة المذاهب ، مجهولة الماهية ، توقع من يدخلها فى عنت وحيرة . فهو لذلك لا يدرى الى أى فرقة ينسب ، إلى المالكية أم الحنفية أم الشيعية الخ الخ .

ونحن نقول : إن هذا القول — إن كان حدث حقيقة من الدكتور امبيد كار — فهو لا يدل على دراسة صحيحة للدين الاسلامى . وإلا فكيف يكون الاسلام مجهول الماهية وهو قائم على الفطرة الانسانية والعقل ، وخال من كل ما تحرص عليه الأديان الأخرى من الرموز والمساطر التى لا سبيل الى الايمان بها غير التقليد الأعمى : « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » .

وقد اشتهر الاسلام قديما وحديثا بأنه واضح المقاصد ، بين الدلائل ، ظاهر المعالم ، لا غموض فيه ولا إبهام .

ولقد كان هذا الوضوح فى ماهية الاسلام سببا فى دخول جماعات غفيرة فيه بدون دعوة ، وفى سرعة انتشاره فى الأرض بين أمم ذوات عقليات مختلفة ، وحيايته نفسه فيها رغما عن كل ما سلاط عليه من ضروب التشكيك والصرف .

بل كان هذا الوضوح سلاحا فى يد بعض دعاة الملل شهروه عليه للنيل منه ، إذ قالوا إن الاسلام يخلو من الرموز والمساطر ، وإن ديننا يحول الانسان فيه بعقله دون أن يرتطم بغامضة ، لا يصحح أن يكون ديننا تمنوله الرقاب خاضعة . وهى شبهة كما تراها لا تحتمل النقد ، فإن ديننا أنزل ليكون عاما بين الأمم كافة حاضرا ومستقبلا ، لا يقبل

على هذه الصورة إلا إذا كان مسيرا للدستور العلمى الذى هو ميزة العقلية الانسانية الراهنة .

فالاسلام الذى يحاول أن يقتحم عليه خصومه من ناحية وضوحه وخلوه من الرموز ، يتهمة زعيم المنبوذين بأنه مجهول الماهية يوقع الداخل فيه فى حيرة ودهش ، ويفضل عليه ديانة وثنية كلها مسانير ورموز وغوامض !

بخج !

ويقول الدكتور أمبيدكار — فيما نسب اليه وليست المهدة على أنا : إن الديانة الاسلامية متعددة الفرق، فهو لا يدرى الى أية فرقة منها ينتسب ، إلى المالكية أم الحنفية أم الشيعية ؟ الخ .

وهذه الشبهة أو هى مما تقدمتها ، وإذا كانت الأولى تدل على نقص فى الدراسة ، فهذه تدل على عدمها بالمرّة ، لأن الذى يعتبر المذاهب الفقهية فرقا لا يكون على شئ من العلم بها .

الاسلام دين قرر (قبل الثورة الفرنسية بألف ومائتى سنة) حرية البحث ، وأطلق للعقول عنان النظر ، ولم يوصد فى وجه أحد بابا من أبواب الفهم ، ليتوجه كل إنسان الوجهة التى تناسبه لا إدراك الحقائق ، وأظل الجميع بحمايته ، وشملهم برعايته ، ما داموا محافظين على الأصول الأولية التى شرعها من توحيده وتنزيهه ، وجارين على تعاليم كتابه من تحرى الحق ، واختيار الأحسن ، والاستهداء بالأعلام الإلهية . وقد بارك الله فى هذه النزعة الانسانية الكريمة ، فلم يجد المسلمون فى جميع أدوارهم حرجا من دينهم ، ولا عنتا من أئمتهم ، واعتبروا أنفسهم على اختلاف مذاهبهم إخوانا متكافلين ، تجمعهم كلمة الله العليا ، فكانوا يجتمعون فى مساجدهم وهم على آراء شتى فى المسائل الفرعية يتحاورون ويتناقشون ، فإذا أذن المؤذن قاموا الى الصلاة لا يسألون الإمام الذى يتقدم صفوفهم على أى مذهب هو من مذاهب أهل القبلة . وإذا تقدم

الى واحد منهم رجل يطلب الإصهار اليه لا يسأله أهو حنفى أم مالكى أم غير ذلك من المذاهب الفقهية .

فهل يريد الدكتور أمبيد كار أن يكون جميع المسلمين على مذهب واحد لا يتعدونه ليسوغ له أن يدخل الى ملتهم ؟ وهل يرى هذا ممكنا وهو حامل للقب دكتور ، وله اطلاع على نزعات العقلية الانسانية ، وعلى أطوار الفطرة البشرية ؟

أليست الفلسفة نفسها بإطلاقها حرية البحث والنظر تفترق الى مذاهب شتى لكل منها أصول مقررة ، وأساليب محددة ، فلم انتسب الدكتور أمبيد كار اليها وأهلها على مثل هذه الفرقة ؟

ليقل لى الدكتور أمبيد كار فى أى مجال من مجالات النشاط العقلى والروحى لا يجد اختلافافى الآراء وتباينا فى المذاهب ؟

إن الجامع العلمية الكبرى التى تجمع بين أعلام الأمم الراقية فى العلوم اليعمينية ، المبنية على المشاهدات الحسية ، لا تخلو من خلافات ومذاهب شتى ، فهل لودعى الدكتور أمبيد كار ليكون عضوا فى واحد منها يرى أن يرفض الدعوة الموجهة اليه بحجة أنه يحار فى اتباع مذهب من مذاهب أعضائها ؟

إن مثل الدكتور أمبيد كار كان يجب عليه أن يرفض الدخول فى أى دين لا يبيع له حرية النظر والتفكير ، واتخاذ المذهب الذى يوافقه فيه ، أو لا يسمح له أن يكون هو نفسه صاحب مذهب مستقل ، إذا كان من رجال هذه الطبقة ، لأن يكره الدين الذى يبيع له كل ذلك ويؤثر عليه أديانا يصبح فيها آلة صماء بكاء فى أيدي القمامين على عقائدها ، والمسيطرين على ضمائر أتباعها .

وإذا كان الدكتور أمبيد كار يود دينا لا خلاف فيه فسيطول انتظاره . فالسيكية الهندية التى يميل اليها منقسمة على نفسها انقساماً مربعا . وكثيرا ما أدى انقسامها الى التناحر .

واليهودية منقسمة أيضا الى صدوقية وفريسية وربانية وقرائية ، وقد اشتق من هذه المذاهب فرق لا يحصى لها عدد .

والمسيحية قد افترقت الى كاثوليكية وبروتستانتية ، وافترقت كلتاها الى فرق لا تدخل تحت حصر .

فالمعول في انتخاب دين من الأديان لا يكون إلا على كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل ، ومذهب جمهور الآخذين به . فإن صادف بحمه كتابا لم يتطرق اليه التعريف ويهدي للتي هي أقوم ، وسنة حكيمة تهدي الى الرشد ، وتحمي من الضلال ، ومذهبا لجمهور الآخذين به لا يجافي العقل ، ولا يناقض العلم ، ولا يصعد عن الترقى ، كان حقا على الباحث أن يعمل على هذا الدين ، ولا يتعمده الى غيره ، مما لا يغني غناه في تغذية الروح والعقل ، ولا يسد مكانه من تهئية جماعته للرقى ، وإعدادها للمثل العليا .

محمد فريد وجرى

تقسيم الوقت

قال الحسن بن خالويه : ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون .

ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان قد جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزءا لله ، وجزءا لآلهه ، وجزءا لنفسه ، ثم جزأ جزأه بينه وبين سائر الناس . فكان يستعين بالخاصة على العامة ، وكان يقول : « أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي ، فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها أمنه الله تعالى يوم الفرع الأكبر » .

إن هذه السنة الكريمة من تقسيم الوقت توجب البركة فيه ، فإن الممعن في شئ واحد لا يلبث أن يصيبه السام فيقطعه عنه دون أن يصل منه الى غرضه ، فاذا شرع في غيره طوذه داء التجادى وطوذه السأم أيضا ، فاما تركه لغيره كما ترك الأول ، وإما أسرع في إكماله على غير ما يقتضيه الاتقان .

الاسراء

تثبيت وتكريم

عن عقبة بن عامر أنه قال قال صلى الله عليه وسلم: «إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر الى حوضي الآن، وإني والله قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكنني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها». وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا محمد النبي الأُمى، لا نبي بعدي، أوتيت جوامع الكلم وخواتمه، وعلمت خزنة النار وحملته العرش».

وجاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى: سل يا محمد، فقلت: ما أسأل ياربى؟ اتخذت إبراهيم خليلًا، وكلمت موسى تكليمًا، واصطفيت نوحًا، وأعطيت سليمان ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده. فقال الله تعالى: ما أعطيتك خير من ذلك: أعطيتك الكوثر، وجعلت اسمك مع اسمى ينادى به في جوف السماء، وجعلت الأرض طهوراً لك ولا أمتك، وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فأنت تمشى في الناس مغفوراً لك، ولم أصنع ذلك لأحد قبلك، وجعلت قلوب أمتك مصاحفها، وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبي غيرك».

وعن أبي هريرة رضى الله عنه: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيتُ وحياً أوحى الى الله، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: «إن الله فضل محمداً عليه السلام على أهل السماء وعلى الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، قالوا: فما فضله على أهل السماء؟ قال:

إن الله تعالى قال لأهل السماء : « وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ » ، وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا » ، قالوا : فما فضله على الأنبياء ؟ قال : إن الله تعالى قال : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » وقال لمحمد : « وما أرسلناك إلا كافة للناس » .

هذه بعض النواحي التي فضل بها الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم على إخوانه الأنبياء والمرسلين . وإن درجات الفضل والتكريم الممكنة للإنسان لا تقف عند محيط هذه الدائرة التي ورد بها ما روينا من الأحاديث ، واستقرت في نفوس المؤمنين بفضل الله العظيم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وما نسبة هذه المزايا إلى ما وراءها من مراتب الكمال إلا كنسبة الرذاذ إلى الغيث الكثير ، أو الوشل إلى البحر الواسع الكبير . وإذا كانت قلوب المؤمنين مفعمة بمكانة محمد عند ربه فإن من السهل عليها أن تؤمن بما قصه الله علينا من ذلك في حادث الإسراء « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

لم يكن حادث الإسراء إلا نوعا من أنواع التكريم ، ووسيلة من وسائل التثبيت ، تجلّى به سبحانه وتعالى على نبيه الذي أرسله بالهدى ودين الحق ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وليقرع قلوبهم بكلمة التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية ، وليحوّل العالم من مجرى المادة التي تطفئ على سعادة الإنسان إلى مجرى الروح التي تنهض به إلى الأفق الأعلى من مستوى الانسانية .

تجلّى به سبحانه على نبيه فتبّت قوّاده وشرح صدره ، ورفع ذكره ، وأسبغ عليه من بحار الفيض والإمداد ما تمكن به في لحظات قليلة أن يكشف كثيرا من آيات

الله وعجائبه في أرضه وسماؤه . أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وعرج به الى سدره المنتهى الى حيث شاء رب العزة والملكوت (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) .

نعمة فذة لم تعرف لغيره صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والمرسلين ، دلت على عناية الله برسوله وتكريمه إياه ، وتقريبه لجانبه ، حتى كان في ملئه الأعلى قاب قوسين أو أدنى (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ، وسبح بحمد ربك حين تقوم ، ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم) .

نعمة لا يعزب عن القلوب جلالها ، ولا يحف من الأذهان مدادها ، فهي على الدوام شاخصة لقلوب المؤمنين ، ماثلة في أذهانهم ، بها يعرفون أن الله أكل تربية نبيهم ، وأعد قواه النفسية والعقلية والجسمية لتحمل أعباء الرسالة العامة ، ومتاعب الهجرة ومشاق الجهاد في سبيل الله « أدبني ربي فأحسن تأديبي » (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) .

الإسراء فضل وتكريم ونعمة . الاسراء شأن من شئون الله مع نبيه الذي صنعه بيده وحاكه بحكمته . فلنؤمن به كما أخبر الله ، ولا نسأل أكان بالجسم أم بالروح ، أكان في اليقظة أم في المنام ؟ ولا كيف انتقل ولا كيف ارتفع ، فالفيض غزير والاستعداد تام (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

وإذا كان للمؤمنين أن ينتفعوا بذكرى الإسراء ، فليذكروا بها فضل الله على نبيه الذي جاهد في تثبيت هذا الدين ونشره ، والعمل على إسعاد الإنسانية به ، وينتهجوا خطته في ذلك حتى يكونوا من المؤمنين حقاً بهذا الفضل ، وحتى يحوزوا رضا الله وإسعاده . وليذكروا بها أن الله فرض عليهم في ليلتها على لسان نبيه ، وقد ارتفع ما بينهما من حجب ، خمس صلوات في اليوم والليلة ، بها يناجون ربهم ، وبها يشعرون

بواجب العبودية التي خلعت على نبيهم في تلك الليلة تكريما وتشريفا . لم يفرضها كما فرض غيرها من الواجبات والأركان ، وإنما فرضها في كوكبة من الملائكة الأعلى ، وفي جذوة من الأشرار والأقارب تنويرها بشأنها ورضائها مسكانتها .

وليدكروا أن الرسول الذي نال فخر الإسرائ كان يحن دائما إلى مناجاة ربه والوقوف بين يديه ، حتى كان لا يجد له لذة إلا في تلك المناجاة « وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » . وفي الحق أن الصلاة التي أمر الله بها المؤمنين طهرة للقلوب ، ومعراج للرب وإسرائ إلى ساحة الفضل والإنعام . فمن شاء أن يسرى به ربه ، وأن تعرج به ملائكة الرحمة ، فليدم مناجاة ربه ، وليحسن وقوفه بين يديه (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)

محمود سلطوت

وكيل كلية الشريعة الإسلامية

إعادة الكلام

قال محمد بن صبيح المعروف بابن السماك لجاريته : كيف ترين ما أعظ به ؟

قالت : هو حسن إلا أنك تكرره .

قال : إنما أكرره ليفهمه من لم يكن فهمه .

قالت : الى أن يفهمه البطيء .

نقول إن التكرار للتعليم واجب ليستقر العلم في العقول ، ويصل الى مظان الاقتناع من النفوس ، أما في الخطب وفيما يتحدث فيه بين الناس ، فهو من أشد العيوب وأثقلها على القلوب . وقد استعبد ابن عباس حديثا فقال : لولا أني أخاف أن أغض من بهائه ، وأريق من مائه ، وأخلق من جدته روائه ، لأعدته .

نقول : لو صحت هذه الرواية عن ابن عباس فلا نشك في أن حديثه لم يكن تعليميا وإلا لوجبت عليه إعادته ، وخاصة إذا طلب اليه ، كما هي الحال عند الناس أجمعين في جميع العصور .

الإسلام والفلسفة

— ٥ —

لعلك تذكر أننا تناولنا في الفصل الأخير من هذه السلسلة الحديث عن فلسفة الفارابي فأتيننا معك على الجزء الخاص منها بإثبات وجود واجب الوجود، ووعدناك بأن نتمم لك الحديث عن فلسفة هذا الفيلسوف الكبير الذي بلغ من إعجاب ابن سينا به أن أطلق عليه اسم « المعلم الثاني » مقابلة لتسميته أرسطو « بالمعلم الأول »، ولكن شواغل الحياة قد عاقبتنا عن الإيفاء بوعدنا كل هذا الوقت الطويل فعمدرة .

والآن اليك نظرية العقول العشرة التي كانت منشأ شهرة الفارابي ، ومأنى ذبوع اسمه في مشارق الأرض ومغاربها :

يرى الفارابي أن الكائنات الموجودة في الكون تتفاوت في المراتب ودرجات الكمال ، فمن أكمل الى كامل الى أقل كما لا حتى تصل هذه السلسلة الى الجرثومة أو الذرة التي لا تقبل الانقسام الفعلي . ولما كان الله مؤثرا في السلسلة جميعها ، ولما كانت هذه السلسلة تنقسم الى قسمين : علوى وسفلى ، ولما كان تأثير الله جل شأنه في القسم العلوى تأثيرا تنازليا ، فقد وجب علينا أن نتبين ترتيب حلقاتها بالنسبة الى هذا الاتصال التأثيرى في القسم العلوى ، وهو على النحو الآتى :

خلق واجب الوجود العقل الأول أو الموجود الثانى ، وهو جوهر محض ليس متصلا بالمادة التي من شأنها أن تحد ميزة التعقل الكامل الذي هو من شأن الجواهر المحضة . ولذا كان خلوص هذا العقل الأول أو الجوهر المحض من المادة علة في أن يدرك ذاته وأن يعقل واجب الوجود ويتصل به اتصال استعانة واستمداد ، فن اتصاله بواجب الوجود نشأ العقل الثانى أو الموجود الثالث ، ومن تعقله ذاته

وتجوهره في نفسه نشأت السماء الأولى أو الفلك المحيط . والعقل الثاني هو كذلك جوهر محض مثل الأول في جوهريته ، فهو كذلك يعقل الباري ويتصل به ويعقل ذاته . وعن إدراكه الباري واتصاله به نشأ العقل الثالث أو الموجود الرابع . وعن تعقله ذاته وتجوهره في نفسه نشأت كرة الكواكب الثابتة . وهكذا بقية العقول لكل عقل منها جهمتان مختلفتان ينشأ عن كل منهما أثر يغير الآخر ، فكما نشأ عن العقل الأول العقل الثاني والفلك المحيط ، وعن العقل الثاني العقل الثالث وكرة الكواكب الثابتة ، كذلك نشأ عن الثالث الرابع وزحل ، وعن الرابع الخامس والمشتري ، وعن الخامس السادس والمريخ ، وعن السادس السابع والشمس ، وعن السابع الثامن والزهرة ، وعن الثامن التاسع وعطارد ، وعن التاسع العاشر والقمر . وهذا العقل العاشر وإن كان جوهرًا محضًا يتصل بواجب الوجود إلا أنه لا ينشأ عنه عقل آخر ، لأنه تنتهي إليه هذه الموجودات الفلكية .

وقد اعتبر الفارابي واجب الوجود على رأس هذه السلسلة وسماه الموجود الأول ، وهو لهذا سمي العقل الأول بالموجود الثاني ، والعقل الثاني بالموجود الثالث ، وهلم جرا إلى أن أطلق على العقل العاشر اسم الموجود الحادي عشر . وكل هذه العقول ، على حد تعبير الفارابي المضطرب المتناقض مع مذهبه ، مخلوقة لله ، الأول بطريقة مباشرة ، والتسعة الباقية كل بوساطة ما قبله ، وهي في مرتبة واحدة ، وتوضع في أعلى درجات الموجودات أي في الدرجة الثانية بعد درجة واجب الوجود . وهو يرى أنها أزلية ، وأنها صدرت عن الباري صدور المعلول عن علته ، وهذا الرأي يكفره بلا شك في نظر الاسلام ، لأن المعلول يصدر عن علته اضطرارًا دون تصرف منها ولا إرادة كما يصدر الضوء عن الشمس ، والحرارة عن النار دون أن تملك هذه أو تلك منع أثرها أو تأخير لحظة واحدة .

وهذا الرأي فضلا عن أنه مخالف لأصول كل الديانات السماوية هو سخي من

الناحية الفلسفية ، لأنه يستلزم إلغاء الإرادة الإلهية ، ومتى ألغيت هذه الإرادة تبعها الحكمة والتدبير اللذان هما عنصرا كل ما في هذا الكون من نظام واتساق ، واللذان لولاهما لكان العالم سائراً يتخبط تبعاً للمصادفات الرعناء . وهذا لا يتصوره عقل عاقل بعد مشاهدة هذا الإبداع الحكيم في كل جزئية من جزئيات العالم ، إلا إذا تصور أنه إذا وضع كمية من الأحرف الحديدية في علبة ثم أقفلها وهزها ردحا من الزمن وفتحها يجدها قد كونت من نفسها مقالة ليست منظمة الكلمات والجل فحسب ، بل راقية الأسلوب ، عالية العبارة ، سامية المرامي والأغراض . فإذا كان في الكون من يتصور هذا جاز أن يكون هناك من يستسيغ عقله أن يكون هذا العالم البديع قد صدر عن البارئ صدور المعلول عن علته بلا إرادة ولا اختيار . وهذا القول بأزلية العالم ومعلوليته للبارئ اضطرارا هو أهم الآراء التي رعى الإمام الغزالي من أجلها الفارابي وابن سينا بالكفر والزندقة كما صرح بذلك في كتابي « التهافت » و « المنقذ من الضلال » . (١)

على أنى لا أدري كيف يسمى الفارابي البارئ بالمنشئ أو الخالق أو المبدع ، وهو يعتبره علة لا إرادة له ولا اختيار في هذا الانشاء ، بل هو لم يخلق شيئا ، لأن الخالق هو الموجد من العدم ، وهذا الإيجاد في رأيه لم يحدث ، فهو وكل من نحائحوه من فلاسفة الاسلام إذا في هذه النقطة متناقضون مضطربون .

ويرى الامام الغزالي أن في تصريح الفارابي وابن سينا ومن نحائحوهما من الفلاسفة بأن العالم مخلوق لله مع قولهم بأزليته وصدوره عنه صدور المعلول عن علته ، تلبيسا وتمويهها منهم على العقول ، لأن الخلق لا يتفق مع الصدور بدون إرادة ، وهو لهذا يناقشهم في تلك المغالطة مناقشة قيمة نحب أن نوقفكم على طرف منها تحقيقا للغاية المرجوة . وهاكم شيئا من هذه المناقشة :

« (مسألة) في بيان تلبيسهم بقولهم : إن الله فاعل العالم وصانعه ، وإن العالم فعله وصنعه ، وبيان أن ذلك مجاز عندهم وليس بحقيقة . وقد اتفقت الفلاسفة سوى الدهرية على أن للعالم صانعا ، وأن الله تعالى هو صانع العالم وفاعله ، وأن العالم فعله وصنعه ، وهذا تلبيس على أصلهم أن يكون العالم من صنع الله تعالى من ثلاثة أوجه : وجه في الفاعل ، ووجه في الفعل ، ووجه في نسبة مشتركة بين الفعل والفاعل . أما الذي في الفاعل ، فهو أنه لا بد وأن يكون مريدا مختاراً ، عالماً بما يريد حتى يكون فاعلاً لما يريد ، والله تعالى ليس مريدا ، بل لاصفة له أصلاً ، وما يصدر عنه فيلزم لزوماً ضرورياً . (والثاني) أن العالم قديم ، والفعل هو الحادث . (الثالث) أن الله تعالى واحد عندهم من كل وجه ، والعالم مركب من مختلفات فكيف يصدر عنه .

ولنحقق وجه كل واحد من هذه الوجوه الثلاثة مع خيالهم في دفعه :
أما الأول فنقول : الفاعل عبارة عن مصدر منه الفعل مع الإرادة ، مع الفعل على سبيل الاختيار ومع العلم بالمراد . وعندهم أن العالم من الله تعالى كالمعلول من علته يلزم لزوماً ضرورياً لا يتصور من الله تعالى دفعه ، لزوم الظل من الشخص والنور من الشمس ، وليس هذا من الفعل في شيء ، بل من قال إن السراج يفعل الضوء ، والشخص يفعل الظل ، فقد جازف وتوسع في التجاوز توسعاً خارجاً عن الحد واستعار اللفظ اكتفاءً بوقوع المشاركة بين المستعار له والمستعار عنه في وصف واحد ، وهو أن الفاعل سبب على الجملة ، والسراج والشمس سبب النور ولكن الفاعل لم يسم فاعلاً صانعاً بمجرد كونه سبباً ، بل بكونه سبباً على وجه مخصوص وهو وقوع الفعل منه على وجه الإرادة والاختيار حتى لو قال القائل : الجدار ليس بفاعل ، والحجر ليس بفاعل ، والجماد ليس بفاعل ، وإنما الفعل للحيوان ، لم ينكر عليه في ذلك ، ولم يكن في قوله كاذباً ، وللحجر عندهم فعل وهو الهوى بالثقل والميل إلى المركز ، كما أن للنار فعلاً وهو التسخين ، وللحائط فعلاً وهو الميل إلى المركز ووقوع الظل ، فإن كل ذلك صادر منه ، وهذا محال . فإن قيل

كل موجود ليس واجب الوجود بذاته ، بل هو موجود بغيره ، فإننا نسمى ذلك الشيء مفعولا ونسمى سببه فاعلا ولا نبالي كان السبب فاعلا بالطبع أو بالإرادة ، كما أنكم لا تبالون أنه كان فاعلا بآلة أو بغير آلة ، بل الفعل جنس ، وينقسم الى ما يقع بآلة والى ما يقع بغير آلة فكذلك هو جنس ، وينقسم الى ما يقع بالطبع والى ما يقع بالاختيار ، بدليل أنا إذا قلنا : فعل بالطبع لم يكن ضدنا لقولنا بالاختيار ولا دفعا ونقضا له ، بل كان بيانا لنوع الفعل ، كما إذا قلنا : فعل مباشرة بغير آلة لم يكن نقضا ، بل كان تنويما وبيانا . وإذا قلنا : فعل بالاختيار لم يكن تكرارا مثل قولنا : حيوان إنسان ، بل كان بيانا لنوع الفعل ، كقولنا : فعل بآلة . ولو كان قولنا : فعل يتضمن الإرادة ، وكانت الإرادة ذاتية للفعل من حيث إنه فعل لكان قولنا : فعل بالطبع متناقضا ، كقولنا : فعل وما فعل ، قلنا هذه التسمية فاسدة ، فلا يجوز أن يسمى كل سبب بأى وجه كان فاعلا ، ولا كل مسبب مفعولا ، ولو كان كذلك لما صح أن يقال : الجماد لا فعل له ، وإنما الفعل للحيوان . وهذه من الكلمات المشهورة الصادقة ، فان سمي الجماد فاعلا فبالاستعارة ، كما قد يسمى طالبا مريدا على سبيل المجاز ، إذ يقال : الحجر يهوى لأنه يريد المركز ويطلبه ، والطلب والإرادة حقيقة لا تتصور إلا مع العلم بالمراد المطلوب ولا تتصور إلا من الحيوان . وأما قولكم : إن قولنا : فعل ، عام ، وينقسم الى ما هو بالطبع والى ما هو بالإرادة ، فغير مسلم ، وهو كقول القائل قولنا : أراد ، عام ، وينقسم الى من يريد مع العلم بالمراد ، والى من يريد ولا يعلم ما يريد ، وهو فاسد ، إذ الإرادة تتضمن العلم بالضرورة ، فكذلك الفعل يتضمن الإرادة بالضرورة .

وأما قولكم : إن قولنا : فعل بالطبع ليس بنقض للأول ، فليس كذلك ، فإنه نقض له من حيث الحقيقة ، ولكن لا يسبق إلى الفهم التناقض ولا يشتد نفور الطبع عنه ، لأنه يبقى مجازا ، فإنه لما أن كان سببا بوجه ما ، والفاعل أيضا سبب سمي فعلا مجازا . وإذا قال : فعل بالاختيار فهو تكرير على التحقيق ، كقوله : أراد وهو عالم بما

أرادته ، إلا أنه لما تصور أن يقال : فعل ، وهو مجاز ، ويقال : فعل ، وهو حقيقة ، لم تنفر النفس عن قوله : فعل بالاختيار وكان معناه : فعل فعلا حقيقيا لا مجازيا كقول القائل : تكلم بلسانه ونظر بعينه ، فإنه لما جاز أن يستعمل النظر في القاب مجازا ، والكلام في تحريك الرأس واليد حتى يقال : قال برأسه : أى نعم ، لم يستبجح أن يقال : قال بلسانه ونظر بعينه ، ويكون معناه نفي احتمال المجاز ، فهذا مزية القدم ، فليتنبه لحل انخداع هؤلاء الأغبياء . فإن قيل : تسمية الفاعل فاعلا إنما تعرف من اللغة ، وإلا فقد ظهر في العقل أن ما يكون سببا للشيء ، ينقسم إلى ما يكون مريدا وإلى ما لا يكون مريدا ، ووقع النزاع في أن اسم الفاعل على كلا القسمين حقيقة أم لا ، ولا سبيل إلى إنكاره ، إذ العرب تقول : النار تحرق ، والسيوف يقطع ، والثلج يبرد ، والسقمونيا تسهل ، والخبز يشبع ، والماء يروى . وقولنا : يضرب ، معناه يفعل الضرب وقولنا تحرق ، معناه تفعل الإحراق . وقولنا : يقطع ، معناه يفعل القطع . وإن قاتم إن كل ذلك مجاز ، كنتم متحكمين فيه من غير مستند . والجواب أن ذلك بطريق المجاز ، وإنما الفعل الحقيقي ما يكون بالإرادة . والدليل عليه أنا لو فرضنا حادثا توقف في حصوله على أمرين أحدهما إرادى والآخرى غير إرادى ، أضاف العقل الفعل إلى الإرادى ، وكذا اللغة ، فإن من ألقى إنسانا في نار فمات يقال : هو القاتل دون النار ، حتى إذا قيل : ما قتله إلا فلان صدق قائله . وإن كان اسم الفاعل على المرید وغير المرید على وجه واحد لا بطريق كون أحدهما أصلا وكون الآخر مستعارا منه ، فلم يضاف القتل إلى المرید لغة وعرفا وعقلا مع أن النار هى العلة القريبة فى القتل ، وكأن الملقى لم يتعاط إلا الجمع بينه وبين النار ، ولكن لما كان الجمع بينهما وبين النار بالإرادة ، وتأثير النار بغير إرادة ، سمي قاتلا ، ولم تسم النار قاتلا إلا بنوع من الاستعارة ، فدل أن الفاعل من يصدر الفعل عن إرادته . وإذا لم يكن مريدا عندهم ولا مختار الفعل لم يكن صانعا ولا فاعلا إلا مجازا . »

أحسب أنه بعد هذا النموذج الذى قدمته لكم ، لا نزاع فى أن الامام الغزالى قد وفق إلى دمج هذا التمويه وكشف خباياه ، أو إلى لفت الباحثين إلى ما فى هذه النقطة عند فلاسفة الاسلام من التناقض والاضطراب إن كانوا أبرياء من التمويه والتلبيس . هذا ، وسنعود فنتعم لك نواحي فلسفة هذا الفيلسوف ، مناقشين ما يستحق المناقشة منها ، وموعداً المقال المقبل

الدكتور محمد غموب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

وصف عمرو بن عبيد للبلاغة

قيل لعمرو بن عبيد الواعظ المشهور ، والخطيب المنوه : ما البلاغة ؟

قال : ما بلغك الجنة ، وعدل بك عن النار .

قال السائل : ليس هذا أريد .

قال عمرو : فما بصرك مواضع رشذك ، وعواقب غيك .

قال السائل : ليس هذا أريد .

قال عمرو : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع ، ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل ، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول .

قال السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : قال النبي صلى الله عليه وسلم إنا معشر بكاء (بكسر الباء أى قليلاو الكلام وهو جمع بكى بوزن ولى) .

قال السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : فكانك تريد تحيير الألفاظ فى أحسن إفهام .

قال السائل : نعم .

قال عمرو : إنك إن أردت تقرير حجة الله فى عقول المتكلمين ، وتخفيف المؤنة على المستحقين ، وتزيين المعاني فى قلوب المستفهمين ، بالألفاظ الحسنة رغبة فى استجابتهم ، ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الناطقة عن الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب .

شهر الصيام

في اليوم الخامس عشر من شهر نوفمبر الراهن ينبر الأفاق هلال شهر رمضان الذي أكرمه الله بأن أنزل فيه القرآن ، هذا الفيض الرباني الذي ملأ طباق الأرض علما وحكمة ، وعم العالم عدلا ومساواة ورحمة .

فرض الله على المسلمين أن يصوموا هذا الشهر الكريم في آيات بينات من كتابه العزيز ، فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية : طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولنسكلوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون » مهد الله تعالى لهذه الفريضة ، تفضلا منه وتطيبها للنفوس وترغيبا لها ، بأن الصوم قد فرض على جميع الأمم من لدن آدم الى خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم . وقرن ذلك بذكر الحكمة من إيجابه ، فقال : « لعلكم تتقون » . وتقوى القلوب كما لا يخفى مطلب عزيز ، تحن النفوس اليه ، فانها رأس الحكمة ، ومشكاة الحياة الفاضلة ، وينبوع الاشراقات الالهية ، ومطآن النفس البشرية ، من وصل اليها فقد وصل الى أصل كل خير ، وسبب كل نعمة مادية وأدبية . فاذا كان الصوم من العوامل التي تؤدي الى هذه الفضيلة السامية وهي التقوى ، وجب أن يعنى المؤمنون بشانه ، وأن يهتموا بأمره ، وأن يقوموا بحقه ، ويؤدوه على وجهه .

أما أن الصوم كان مفروضا على جميع الأمم ، فقد أظهرته البحوث الاستقرائية للأديان في هذه العصور المتأخرة ، وقد كان الناس عند نزول القرآن لا يعرفون من تاريخ العالم إلا ما كان بينهم وبينه اتصال ، وكانت أكثر أقطار الأرض مجهولة لديهم ، فتصریح القرآن بأن الصيام كان مفروضا على الأمم السابقة كافة ، فيه إعجاز علمي ظاهر ليس يخفى على أحد .

فالمصريون القدماء ، وهم والصينيون والهنود يعتبرون أقدم الأمم وجودا ، كانوا يصومون في جميع أعيادهم ، وكان قساوستهم يصومون من سبعة أيام الى ستة أسابيع .

والصينيون كانوا يقومون بالصيام تعبدا ، ويوجبونه على أنفسهم تحفظا من شرور الفتن . وقد علم أن البراهمة كانوا ولا يزالون من أشد الأمم مراعاة للصيام .

أما اليونانيون القدماء والرومانيون فقد كانوا كغيرهم يعتدون بامر الصيام ، وياتونه دفعا للنكبات الاجتماعية .

تطبيقات الاسلام للشريعة المتوقعة منه الصوم :

إن من الناس من يتفق أن يكون مريضا في شهر رمضان أو أن يكون على سفر ، والسفر قطعة من العذاب ، ومن الناس من يكون هرما يضره الامساك عن الطعام ، ومن النساء من تكون طامنا أو نفساء ، فاقضت حكمة الله ورحمته أن يخفف وطأة الصيام عن هؤلاء فقال تعالى : « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية ، طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

أى أن من كان مريضا أو مسافرا فعليه أن يفطر أيام مرضه أو سفره ، ويصوم بدلها أياما أخرى في غير رمضان في حال صحته .

قال العلماء هذا على سبيل الرخصة ، ولكن داود الظاهري خالفهم وقال هذا على سبيل الوجوب . وقد تابع في ذلك رأى أبى هريرة .

قال الله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية » ، أى على الذين يطيقون أن يصوموا وليس بهم بأس من مرض ولا هرم ولا أى عارض آخر ، أن يكفروا عن إفطارهم بفدية وهى طعام مسكين كل يوم . وقد كان ذلك فى أول فرض الصيام ، جريا على الحكمة العالية التى اتبعها الاسلام وهى عدم مفاجأة النفوس بالتكاليف ، ولكن بالتدرج فيها حتى تألفها ، ثم نسخ سبحانه وتعالى هذا الحكم وأوجب الصيام على الكافة إيجابا لا هوادة فيه ، وذلك بقوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

وقوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، المراد أنه ابتدئ فيه إنزاله ، لأن القرآن الكريم أنزل منجبا لادفعة واحدة ، هداية للناس الى أشرف غايات الحياة ، وأكمل حالات الوجود ، وتفرقة لهم بين الحق والباطل بما أودعه من مميزاتهما ، بحيث يرتفع الاشتباه فيهما ، ليعرف الانسان أنه على الحق عن بينة ، وأنه صار حتما الى أكرم النهايات .

وقوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، أى أنه تعالى لا يريد أن يعنتكم ، ولا أن يشق عليكم ، ولذلك رخص لمن كان مريضا ومن فى حكمه من هرم أو طمط أو نفاس أن يفطر .

ومن يتتبع تاريخ الصيام لدى الأمم السابقة يعرف أن الاسلام قد خفف من الصيام الى الحد الذى ليس بعده مرعى ، فانه حذف جميع ما لا فائدة فيه من التشديدات العقيمة ، وحفظ

ملا بد من حفظه منه ، بحيث يكون خيرا محضاً تأتية النفوس مختارة ، وتودعه آسفة ، كما هو حال المسلمين في جميع أقطار الأرض .

أما ما روى عن بعض الأئم من التشديد فيه ، فانه يجعل الصيام منفراً للنفوس ، ويقلبه ضاراً بصحة الجسم والعقل معا . ولا نشك في أن كل ذلك من وضع رؤساء الاديان لا وحياً من الحق سبحانه وتعالى . فقد عرف عن البراهمة أنهم لا يعفون من الصيام الشيوخ الفانين ولا المرضى أيضاً .

وفي الهند طائفة تدعى باليوغيين عرفوا بقمع النفس وكسر شرتها بالأعمال الشاقة . وهؤلاء يصومون من عشرة أيام الى خمسة عشر يوماً لا يذوقون في خلالها إلا صبايات من الماء .

وأهل التبت من الصيغيين يمتنعون عن الطعام أربعاً وعشرين ساعة متوالية ، لا يذوقون فيها شيئاً ، حتى ولا يسمح لهم بابتلاع ريقهم فيها .

وقد يعد بعضهم هذا الصوم الى ثلاثة أيام لا يفطرون فيها كل أربع وعشرين ساعة إلا على قدح من الشاي .

فهذه التشديدات لا يقرها الاسلام ولا يسمح بها ، حتى ولو أوجبها إنسان على نفسه ، لسوء أثرها عليه وعلى غيره . لذلك اقتضت حكمته عز وجل أن يجعل الاسلام يسراً كله ، علماً منه أن أنجع وسائل التأثير في النفوس ما تقوم به عن رغبة واشتياق ، وأن نتيجة الشدة عليها الانتهاء الى عكس ما يراد منها . وقد أشار الله الى ذلك بقوله : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون »

ثمرة الصيام جسدياً وروحياً .

الاسلام في كل ما كلف به الانسان جمع بين فائدتى جسمه وروحه معا . فاما حظ الروح من الصيام فما لا يحتاج لبيان ، فان الصائم مكلف بمراعاة آداب عالية كفض البصر عن المذمومات والمكروهات ، ومشيئ الشهوات ، وكحفظ اللسان من اللغو والغيبة والمرء ، وصرف السمع عن كل ما لا يليق أن يسمع من المكروهات ، وكف سائر الجوارح عن كل ما هو حرام أو مذموم من الاحوال .

فهذه الحالة الفاضلة في سيرة الانسان ، مدة شهر من الزمان ، تفتح للنفس منفذا الى عالم التقديس ، وتعرضه للنفحات الالهية ، فيكتسب قوة على مقاومة دواعى الشهوات ، ومكافحة عوامل المغريات . فلا يخرج من شهر رمضان إلا وقد اكتسب روحاً جديدة إذا كانت لا تكفى أن تقيمه على الصراط ، دفعت به اليه ، وبتوالي السنين يستقيم عليه ، ويصبح واحداً من أهل الاتجاه الصحيح للغايات البعيدة ، التي أعدها الله لهذا الانسان .

أما فائدة الصيام الجسدية للانسان فقد أصبحت من البدايات العلمية التي لا يختلف فيها عاقلان .

ذلك أنه قد ثبت أن أكثر ما يؤتى الانسان في صحته يكون من ناحية التسمات الغذائية . التي يعبر عنها طبيا بالتسمم الذاتي وهو يحدث من سببين أولهما الافراط في التغذية ، وثانيهما وجود أملاح ضارة بالبنية في بعض صنوف الطعام . فالانسان العادي يسير في أمر تغذيه على مانشا عليه : يتعاطى كل مايقدم اليه بدون أن يعين له مقدارا أو أن ينظر في نوعه وفي مقدار الاملاح التي فيه ، فتصيبه من جراء ذلك أمراض بنينية شديدة الوطأة قد يلتوى علاج بعضها على الأطباء .

فالخلاص من كل هذه الاخطار ينحصر في عدم الافراط في التغذية ، وفي إراحة المعدة مدة تستطيع فيها أن تستعيد قوتها ونشاطها في هضم الأغذية ، وتجد البنية وقتا لتصريف ما تراكم فيها من السموم .

فاما التوسط في الطعام ، فقد أمر به الله تعالى في قوله : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المفسرين » .

وأما إراحة المعدة ، فاحسن ما يكون بالصوم . فان الصائم مضطر أن يبقى نحو خمس عشرة ساعة متوالية ممتنعا عن القاء شيء الى معدته . فهذه الحمية في مدى ثلاثين يوما تكفي لتصريف سموم البنية وإيتاء المعدة بفترة من الراحة هي في أشد الحاجة اليها . وإنما كانت أمراض القلب غير قابلة للشفاء لأنه لا سبيل له الى الوقوف عن العمل مدة تكفي لاصلاح ما فسد منه .

كل هذه الفوائد يمكن الحصول عليها على شرط أن يتبع الانسان في صيامه تعاليم الدين ، من القيام على سمت الأتقياء في أخلاقه وآدابه ، وعدم الاسراف في مأكله ومشربه ، واتباع فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيهما ، وهو من صميم قانون الصحة . فقد سن أن يعجل الافطار ، وأن يتلطف فيه ، وأن ينام في موعد النوم ، ويؤخر السحور ما استطاع الى قبيل الفجر .

وقد هدى الأطباء أخيرا الى ما في الصوم من فائدة عظيمة في دفع الأمراض ، وإعادة توازن القوى الحيوية ، فقررروا التعويل عليه في حالات لا يغنى فيها سواه ، وقد عملت في هذا الموضوع بحوث ، ووضعت مؤلفات ، وأسست لها مصححات في أكبر عواصم الأرض .

محمد فريد وجدي

بَابُ الاسْتِغْلَةِ وَالْفَتْاَوَى

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الازهر الاسئلة الاتية :

في الرضاع

جدة أَرْضَعَتْ ابْنًا لَابْنِهَا ، وَبَنَاتًا لَابْنِهَا الْآخَرِ ، فِي مَدَّةِ الرِّضَاعِ الشَّرْعِيِّ وَرَضَعَاتٍ مُتَعَدِّدَاتٍ ، وَالْجَدَّةُ الْمَذْكُورَةُ تُوْفِي عَنْهَا زَوْجُهَا قَبْلَ هَذِهِ الرِّضَاعَةِ بِنَحْوِ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَنْزِلُ مِنْ ثَدْيِهَا لَبَنٌ يَتَغَذَّى مِنْهُ الطِّفْلُ .

فهل يجوز زواجهما على أى مذهب من المذاهب الأربعة مع بيان وجهة كل مذهب ؟
أحمد الحلو

الجواب :

متى رَضَعَ صَبِيٌّ وَصَبِيَّةٌ مِنْ ثَدْيِ امْرَأَةٍ فِي مَدَّةِ الرِّضَاعِ الشَّرْعِيِّ خَمْسَ رَضَعَاتٍ مُتَفَرِّقَاتٍ ، حَرَّمَ تَزْوِجَ أَحَدِهِمَا الْآخَرَ بِاتِّفَاقِ الْمَذَاهِبِ الْارْبَعَةِ ، أَمَّا إِنْ كَانَتْ الرَضَعَاتُ أَقَلَّ مِنْ خَمْسٍ فَفِيهَا خِلَافُ الْمَذَاهِبِ : فَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ لَا يَرَوْنَ هَذَا الرِّضَاعَ مُحَرَّمًا ، وَالْمَالِكِيَّةُ وَالْحَنَفِيَّةُ يَرَوْنَ التَّحْرِيمَ ، وَإِنْ كَانَتْ خَمْسًا غَيْرَ مُتَفَرِّقَاتٍ بِأَنْ كَانَ الزَّمَنُ بَيْنَهُمَا مُتَقَارِبًا حَتَّى تَعُدَّ الرَضْعَةُ النَّالِيَةُ فِي الْعَرَفِ مَكْمَلَةً لِمَا قَبْلَهَا ، فَالشَّافِعِيَّةُ لَا يَرَوْنَ التَّحْرِيمَ ، وَالْحَنَابِلَةُ يَرَوْنَ التَّحْرِيمَ .
وتتقدم عهد الولادة لا يجعل الرضاع غير محرم ، والله أعلم ؟

في الميراث

ماتت امرأة عن بنتين من عمّة ، وثلاث بنات وابنين من عمّة أخرى ، وبنت وابنين من خالة ، فكيف توزع تركتها ؟
موسى نصار

الجواب :

الثلاثان لأولاد العمّتين ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، إِنْ كَانَتْ كُلُّنَا الْعَمَتَيْنِ مُتَسَاوِيَتَيْنِ فِي قُوَّةِ الْقَرَابَةِ لِلْمَيِّتِ ، بِأَنْ كَانَتَا عَمَتَيْنِ لِأَبٍ وَأُمٍّ ، أَوْ لِأَبٍ فَقَطْ ، أَوْ لِأُمٍّ فَقَطْ .

أما إذا كانت إحداهما أقوى قرابة للبيت من الأخرى ، فالثلثان لأولاد الأقوى قرابة منهما ، للذكر مثل حظ الأنثيين كذلك ، والثلث الباقي على كل حال لأولاد الخالة ، للذكر مثل حظ الأنثيين أيضا .

وهذا كله على مذهب الحنفية . والله أعلم ؟

رجل توفي عن أمه ، وعن جده لأبيه ، وعن أختين شقيقتين ، فما نصيب كل منهم في تركته المتوفى ؟

والفتوى تكون على المذاهب الأربعة .

مصطفى الطيب

الجواب :

للأم السدس باتفاق ، أما الباقي فهو للجد أب الأب ، ولا شيء للأختين في هذه الحادثة عند أبي حنيفة ، ويرى أبو يوسف ومحمد ومالك والشافعي وأحمد أن يقسم الباقي بعد نصيب الأم نصفين ، نصف للجد ، والنصف الآخر للأختين الشقيقتين ، يقسم بينهما بالسوية ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

حكم منشورة

قال الحسن البصري رضى الله عنه : « اقدعوا هذه النفوس فانها طلعة ، وحادثوها بالذكر فانها سريعة الدثور فانكم إلا ترعوها تنزع بكم الى شر غاية . »

قال ابن عبد ربه الذى تنقل عن عقده الفريد هذه الحكمة : « يقول حادثوها بالحكمة كما يحدث السيف بالصقال ، فانها سريعة الدثور يريد الصدا الذى يعرض للسيف ، واقدعوها من قدعت أنف الجمل إذا دفعته ، فانها طلعة يريد متطلعة الى الأشياء . »

وقال ازدشير بن بابك : « إن للأذان حجة ، وللقلوب مللا ، ففرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما . »

الاسلام والطب الحديث

بحوث دينية علمية

١١

« أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ، أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وما يُعلنون ، إنه عليم بذات الصدور » :

هذه الآية سهلة الفهم بعد ما تقدمت علوم النفس والتنويم المغنطيسى وغيرها . وظهر جليا أن كل فكرة يقابلها تغيير كيمائى فى الخلايا المخية ، وكما أنه لا حركة فى الأرجل دون أن يحصل انقباض العضلات ، كذلك لا يمكن أن يفكر الإنسان دون أن تحصل تغيرات فى خلايا المخ . وليس هذا هو الذى يحصل فقط ، بل إن هذه التغيرات تبقى مسجلة فى المخ الباطنى ، ومن الممكن أن يتذكرها الشخص بعد مدة طويلة تحت تأثيرات مخصوصة ، كالانفعالات العصبية أو التنويم المغنطيسى وغيرها ، ولو نسيها الشخص تمام النسيان .

وقد اكتشفت أخيرا أجهزة كهربائية يمكن بها معرفة حالة بعض الخلايا المخية إذا كانت فى حالة هدوء أو حالة انشغال . وقد ترتقى العلوم أكثر من ذلك . هذا حال الإنسان مع جهله .

والله سبحانه وتعالى يعلم كل ما يحول فى مخ الإنسان ، وكل ما جال فى مخه ، وهو تعالى أعلم بها من الإنسان نفسه لأنه عرضة للنسيان .

* *

« وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا جُنُوبَكُمْ » :

سأتكلم عن هذه الآية الكريمة بإيضاح مع آيات أخر تتعلق بالدعاء ، كقوله

تعالى : « ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » و « إِنْ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ »
و « إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ » و « وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ » وفي الحديث « لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ... » الخ .
هذه الآيات السكرية كلها من نوع واحد ، وهي تنظم علاقات العبد بالخالق ، وبما
أن الدعاء في كل الأزمان والأديان كان يستعمل لشفاء الأمراض وغيرها ، فله علاقة
بالطب من قديم .

والدعاء هو من السنن الطبيعية ، ولكنه مع ذلك ليس من السنن التي يمكن تجربتها
آلاف المرات ، وبدقة : مثل الأشياء المادية ، لأن له علاقة بالخالق ، ولأنه يدخل في علم
الغيب من النوع الثاني ، مثل بدء الخلق والآخرة ، كما سبق لنا تفسيره ، مما لا نعرف
منه شيئا ، بل لا يمكننا معرفة شيء منه إلا بالقدر الذي يجربنا به الخالق .
وهذه السنن مثل السنن الطبيعية المادية لا تتبدل أبدا ، وإن تجد لسنة الله تبديلا .
ولكن المشاهد هو أن الدعاء لا يجاب إلا نادرا ، بخلاف السنن الطبيعية المتعلقة
بالمادة ، لأننا نجد النتيجة دائما كما ننتظر ، ولو اختلفت وبخشنا عن السبب لوجدنا
سببه سنة أخرى مكملة للسنة الأولى ، وهكذا . وهذا هو معنى العلوم .
وعدم إجابة الدعاء قد يكون :

١ - لأن الدعاء نفسه ، وهو سنة طبيعية ، قد يكون ضد سنة طبيعية أخرى
موجودة فعلا ، ولا تبدل فيها . فالشخص الذي يدعو ربه ليشفي ابنه مع أنه فارق الحياة
- والطبيب يعرف ذلك ولكن الوالد يجهل - لا يقال إن دعاءه لم يستجب ، لأنه يدعو
ضد سنة إلهية ، هي أن الميت لن يحيا بسنة طبيعية مثل الدعاء ، ولكنه يحيا بإذن الله
فقط ، كما فسرناه في المعجزات . والانسان بطبيعته لو عرف أن ابنه مات فعلا
لا يستمر في الدعاء . وكذلك من يدعو الله في شيء تكون نتيجته معروفة محتمة من سنة
طبيعية أخرى ولكن الداعي يجهلها ، ولو علمها لما دعا ربه ، فالتاجر الذي يدعو ربه

لرواج عمله لا ينتظر قبول دعوته مع استعماله للربا مثلاً ، والأمة التي لا تفسر ما بها من المنكرات لا تنتظر إجابة الدعوة « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » والسنن الطبيعية غير المادية لا حد لها ، ولكن الانسان لا يعلم إلا النادر منها ، وهذا هو السبب في أن الله لم يجب نوحا عليه السلام حين دعا ربه لأن يكون ابنه معه ، لأن ابنه هذا « عملٌ غيرُ صالح » ونوح عليه السلام لم يكن يعرف ذلك .

وكذلك في خطاب نبيينا عليه السلام « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » لأن العذاب كان حقا عليهم ، ولو كان الدعاء ينفع في استبعاد السنن الطبيعية أو تبديلها لنفع دعاء أفضل المخلوقات وأكرمها في ذلك . والسبب في هذا هو أن الدعاء سنة طبيعية كالسنن الأخرى لا تبدل غيرها ، ولكنها تكملها ، والرجل الذي يضع ابنه في فوهة المدفع ويدعوله بطول العمر لا ينفع دعاؤه ، لأن السنة الطبيعية لا تلقى إلا بمعجزة على يد نبي ، وباذن الله ، وفي ظروف خاصة .

٢ - وما نقوله هنا لا يفسر كل السبب في أن أكثر الدعاء لا يجاب ، كما هو المشاهد . والحقيقة أننا نقيس دعاءنا لله بدعائنا للانسان ، فالشخص الذي يطلب شيئاً من شخص آخر ، يطلب هذا الشيء ، ويقول : إن هذا المصلحة ، وأنا أدري بها ، وإن لم تفعل ذلك فسأ نك لم نجب دعائي وطلبي . ولكن دعاء الشخص لربه يختلف اختلافاً كلياً ، فإن طلب شيئاً معيناً مثل شفاء ولده أو رواج بضاعته فانه يطلبه وهو يجهل المستقبل ، ولا يعلم إن كان هذا الطلب في مصلحته ومصلحة ولده أم لا ، وقد يكون المال سبباً في ارتكابه ما يؤدي الى عذابه . وقد يكون موت ابنه خيراً له ، « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

فإذا أجب الله دعاء الداعي فإن الإجابة قد لا تكون كما يريد الانسان وينتظر ، ولكن كما يعلم الخالق أنه خير الداعي . والدعاء لله هو تضرع وتذلل ، وهذا هو المهم

في الموضوع ، والغرض ليس النتيجة الوقتية المطلوبة في الدنيا ، بل هو رضا الخالق ، والمتقون يتركون لسيدهم فعل الصالح لهم ويكفيهم رضاؤه ، وسيان ظهرت نتيجة دعائهم في الدنيا أم لم تظهر ، لأن الغرض رضا الخالق ، وهذا إن لم يظهر عاجلا فسيكون ظهوره آجلا في الآخرة ، وهي الأثم . وقد لا يجاب الدعاء في مدة حياة الداعي : « وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم » الآية .

وهنا يظهر جليا أن الدعاء دائما يجاب ، وأنه حقيقة وسنة نابتة مثل ولادة الانسان وموته ، وأن الله يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ، ولسكن في الوقت الذي تفضى به حكمة الخالق ، وليس كما يريد العبد . والدعاء هو في الحقيقة طلب هداية ولو كان لشئ مخصوص ، وهنا فائدة الكبرى .

والشخص الذي يدعو ربه ويعلم أنه قريب منه ، يشعر بسعادة وباطمئنان في الدنيا ، حتى لو لم يجب طلبه ، لأنه يعلم أن الله راض عنه ، وأنه هاد له ، و « من يهد الله فهو المهتد » . وهذه نتيجة عاجلة دنيوية للدعاء . فصاحب الدين (المتدين) يصبح في وقت قريب مثل الفيلسوف القانع الذي لا يصل الى درجته إلا بعد التفكير العميق المضنى ، وهو لا يقبل أن يستبدل بهذا الشعور كل نعيم الدنيا ، ومن هنا كانت سعادة علماء الدين حتى لو لم يجب الله طلباتهم الدنيوية ، لأنهم يعلمون أنهم مقربون حقا الى الله ، وأنهم لن يكونوا أشقياء أبدا بدعاء ربهم .

والحقيقة أن الطلبات الدنيوية الخاصة الممزوجة بالطمع مثل العلو في الدنيا مع ما فيه من ضرر لاخرين ، تعد غير صالحة ، لأنها ضد سنة إلهية أخرى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا » الآية .

وما أحسن الدعوات العامة التي يتعلمها كل مسلم « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » آمين .

٣ — وكثيرا ما يقال : إذا كان كل شئ مقدرا فما فائدة الدعاء ؟ والحقيقة أن الدعاء

كما قلنا مثل السعى للرزق ، وكل أعمال الانسان ، وأنه سنة من السنن التي أمرنا بتصديقها ، فالانسان يسعى للرزق مع علمه بالمقدر (وسنتكلم في ذلك عند ما تجيء مناسبة) ويضع البذور في الأرض وينتظر نتيجة نموها مع علمه بالآية الكريمة « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » . فالدعاء لا يختلف أبداً عن ذلك ، غير أن الانسان عرف كثيراً من القوانين الطبيعية المادية ، وما زال يبحث فيها ، ويمرّ بمجدا وراء معرفتها ، فإن لم ينجح الزرع بحث عن السبب ولا يمتنع عن الزراعة .

والانسان جاهل بالسنن غير المادية ، ولم تخلق حواسه لأجلها ، ولذلك يصعب عليه فهم أسباب الفشل في الدعاء ، وقد يئأس . ولكن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهم أعلم الناس بهذا النوع الأخير من القوانين ، كانوا يدعون ربهم دائماً مهما كانت نتيجة الدعاء .

إذا قلنا إن بذرة القمح تنتج قمحا ، فمعنى ذلك أنها سنة طبيعية أساسية لإنتاج القمح ، ولكن هناك سنن كثيرة أخرى يجب استيفائها قبل نجاح الزرع ، وهذه كلها مكملة للسنة الأولى الأساسية ، وهي أن البذرة ضرورية ، فإن نقص بعض هذه الشروط فإن الزرع لا ينجح ، ولكن قد يستبدل بشروط أخرى في ظروف أخرى . وأما البذرة فلها ضرورية ، ولا يمكن إلغاء هذا الشرط بأي سنة أخرى أبداً . وهكذا الحال في السنن غير المادية . فالدعاء شرط أساسي للإجابة ، ولكن يجب استكمال شروط أخرى ، ولكن الأخيرة لا يمكن أن تلغى قيمة الدعاء .

والخلاصة أنه يجب أن نستمر في الدعاء لقضاء حاجتنا كقانون إلهي ، وهو للعريض مثل الدواء أو الطبيب ، وسواء أظهرت فوائده أم خفيت علينا فلن يكون بدون ثمرة ؟

دكتور عبد العزيز اسماعيل

معنى الحياة وقيمتها (١)

للعلامة رودولف أوكن (Rudolf Eucken) الألماني المدرس بجامعة يينا كتاب وضعه تحت هذا العنوان ، عالج فيه فهم معنى الحياة الانسانية وتقدير قيمتها . وقد ترجم الى الفرنسية ووضع عليه نابغة هذا العصر الفيلسوف برغسون (Bergson) الفرنسي مقدمة حافلة بالنظرات الفلسفية العالية ، فأثرنا أن ننقله عن الفرنسية الى قراء العربية لأنه يتصل بأدق موضوع من المواضيع التي تلمس فهمها الانسان ، وبذل وراءها جهدا جاهدا من يوم ولدت الفلسفة الى الآن ، غير ضاين على القراء بما يقتضيه كل مقام من شرح وبيان ومن تطبيق على أصول الاسلام .

ونحن قبل الدخول في موضوع الكتاب ، نترجم ما كتبه الفيلسوف الكبير برغسون ، فانه فضلا عن إبانته غرض الكاتب من وضع كتابه ، أبان قيمة هذا البحث في تقويم نفسية الانسان ، وتمييزه عن الحيوان .

مقدمة الفيلسوف برغسون :

ما معنى الحياة وما هي قيمتها ؟ يظهر لى لأول وهلة بأن الأجوبة على هذا السؤال تختلف باختلاف الناس في قبول أو رفض وجود مثل للحياة أعلى مما ترى عليه في الواقع . ففي الحالة الاولى يحكم بوجود نظام تجري عليه أعمال الانسان . وفي الحالة الثانية يكتفى بمشاهدة وجود الأشياء بدون إمكان تعيين درجاتها . كما لو كان الحق يتفق والواقع .

ومع هذا فان تاريخ الفلسفة يرينا أن هذين المذهبين المتناقضين ، اللذين يعلل أحدهما وجود كل شيء بالتأثير الأعلى الواقع عليه من القوى الطبيعية وتكون نتائجه ضرورية ، ويضع ثانيهما فوق الكائنات نموذجاً أو مثلاً أعلى يستطاع أن يتوصل الى محاكاة يسيرا يسيرا . قلنا مع هذا فهذان المذهبان ينتهيان الى نتائج من جنس واحد . وذلك أنه من العبث الاكتفاء بالواقع ، فقد يلاحظ الانسان أن بعض الأمور الواقعية أعظم قيمة وأكمل حالاً من أمور واقعية أخرى . ومن العبث كذلك الاسراف في وضع المثل العليا ، فان هذه المثل تبقى افتراضية محضة مادام لا يمكن التحويل على الأمور الواقعية للوصول اليها . وقد قضت الضرورة على الانسان بأن يبحث عن أكمال الأمور الواقعية وأعلاها قدراً لأجل أن يصبها جميعاً في القالب الجدير بها .

وبناء على هذا فأى شيء في الأمور الواقعية أكل من الادراك الذي هو صالح لأن يحيط بكل شيء وأن يتراجع عنه في وقت معا ؟ إذن فالى تمجيد الحياة التاملية تنتهى جميع المدرجات العقلية عن الوجود ، سواء اكتفت بالواقع أم أضافت اليه مثلاً أعلى ، أو عللت كل شيء بالعمل

الآلى للأسباب الطبيعية ، أو فسرته بالعلل الغائية . وعلى كل حال فإن أى واحد من هذه التعليلات يقتضى فهما للحياة يمكن التعبير عنه . وسواء أصبح هذا المذهب أم ذاك فإن الحياة الانسانية لا يكون لها معنى الا على قدر ماتنفذ برنامجا تضعه هى وضعا ، أو على القليل يدركه العقل إدراكا .

ولكن ليس هذا ما يراه رودولف أوكن . فلا تصادف فى أى مكان من الكتاب الذى ستقرأه . نظرية بسيطة أو معقدة تشتمل على معنى الحياة . كذلك لا تجدد نفسك فى هذا الكتاب حيال أى مثل أعلى يمكن أن ينظم الانسان سيرته على مقتضاه ، ولكن هذا الكتاب يصور لنا الجهد الذى تبذله النفس ، والنجاح الذى تصيبه فى محاولة التفوق على ما هى عليه ، موجودة أشكالا من النشاط تتدرج فى السمو ، ومراقبة على الدوام المثل العليا المؤقتة باعتبار أنها أصبحت أدنى أو أضيق مما يجب أن تكون عليه .

فهذا النشاط مظهر العقل نفسه . ولم نر رجالا بلغ شاؤ أوكن فى فهم الحدود التى تضعها المادة فى طريقنا . كذلك لم نصادف رجلا وصل الى مداه فى معرفة الوسائل التى يستولى بها العقل على المادة ويدخلها فى دائرة سلطانه . فالرأى القائل بأن العقل متدرج فى الطبيعة ، وأنه هو الموجد الحقيقى للقدرة على ما يحيط به ، وأنه يستمد من نفسه القوة على رفع قيمة الأشياء ورفع قيمته أيضا فى درجات متصاعدة من الروحانية ، هو الاصل الرئيسى السائد فى هذا الكتاب .

لا يمكن التفكير فى تحليل هذا الكتاب أو تلخيصه . ولكن يجب أن يتشبع الانسان تدريجيا من الآراء التى يعرضها المؤلف فيه ومن ألوان الاحساس التى تصاحبها . وفى يقينى أن القراء سيستفيدون من قراءة هذا الكتاب ، كما استفادوا من جميع كتب الأستاذ أوكن ، بسطة فى القوة الباطنية وفى الخصائص الحيوية . وأنا على ثقة أيضا من أن التأثير المباشر لهذه البسطة من القوة ستكون إظهار الصعوبات المحيطة بمسألة الحياة كما تبدو للادراك أنها وهمية باحتة ، وبأن محض تقوية الحياة تكفى لتبديد جانب كبير من هذه الظلمات المحيطة بها .

جميع المفكرين الكبار قد أكثروا التساؤل عن معنى الحياة ، ولكن قل من أفهمنا منهم أننا نحمل معنا ، أو بعبارة أوفى نحمل فينا ، مفتاح هذا الطلسم . وقد أشرطنا بعضهم فى صميم جهودهم من هذه الناحية لذلك نحن نميل اليهم ، ولا نكتفى بالاعجاب بهم ، ولكننا نحبههم . فالى هذا القبيل الممتاز من المفكرين ينتسب رودولف أوكن .

(مجلة الأزهر) هذه مقدمة الفيلسوف الكبير برغسون وفى العدد التالى نبدأ إن شاء الله بترجمة آراء العلامة (أوكن) ونشهد القراء مجالا من أروع مجالات الفلسفة العصرية تتلاقى فيه تيارات متعاكسة من آراء ومذاهب لا نرى بدا من إيرادها تنويرا للأذهان ، وشحذا للفهم ، وترشيجا للعقول لادراك مراعى الاسلام من حقيقة معنى الحياة ؟

أثر النظام الاجتماعى

فى الادب

تحدثنا فى مقالتنا السابقة عن بيئة البداوة وأثرها فى الأدب ففكرة وأسلوبها ، وهى بيئة لا تلائم فى طبيعتها الحياة الاجتماعية المنظمة ، ولا تدفع بالفسكر الانسانى الى ساحات الخيال الخصب ، لأنها بيئة مادية ضيقة الحدود قصيرة الأطراف . أما إذا أقبلت الحضارة على الأمة تخطر الى باحتها فى حلق الثقافة الفكرية لتنقلها من صحارى القفر الى حواضر الخصب والرفاهية ، ومن جهد العيش الى ضفوته ، ومن شطف الحياة الى بلهيتها وترفها ، فارتقب جدّة فى الأدب ، وتنظر نوعا من القول غير الذى سمعت ، وضربا من التصوير لمظاهر الحياة وأسرارها غير الذى رأيت ، وفنا أدبيا غير ما شهدت من أدب البداوة فى معانيه ، وأغراضه ، وفنونه ، وأسلوبه ، وعباراته ، لأن الطبيعة التى تضمنى على الأدب مطارف من وشيها ، والصور التى تتجلى فى مرآياه ، والمثل التى ترسم فى صحائفه ، قد أخذت مهيما جديدا ، وسلكت سبيلا يختلف عن سالف أمرها اختلافا شديدا .

فهناك - حيث البداوة - أدب يمثل جماعات لا نطيب لها حياة الإقامة والاستقرار ، إذا هى أصبحت فى جانب من الأرض أمست فى غيره ، ألفت النجعة والارتحال ، تتبع منازل الغيث ، ومنابت السكّال ، ومغارس الشجر ، وتعتري للطبيعة وعوارضها من الحر والبرد ، لا تخضع لقانون ، ولا تجأ الى سلطان ، ولا تسير فى حياتها على نظام اجتماعى أو سياسى ثابت ، بل هى أسيرة فطرتها ، ومنقادة لطبيعتها ، أو بالحرى هى لا تعرف قانونا سوى قانون الطبيعة .

وهنا فى مسارح الحضارة أدب يتحدث عن أم تبوءت من الأرض موطنها ، واتخذت حياة الاستقرار ديدنا ، فددت المدن ، ومصرّت الأمصار ، وأمنت عوادي

الطبيعة بما أقامت من قصور شاهقة ، ودور فاخرة ، لبست الحرير ، واقتрشت الوثير وطعمت طيبات ما أخرج الله لعباده من ملاذ الحياة ، مستعظلة بنظام اجتماعي ينظم شئونها العامة والخاصة ، ويربط بعضها ببعض برباط وحدة الشعور والإحساس ، يشعر كل فرد أنه عضو في بناء المجتمع ، يقوى بقوته ويهن بوهنه ، الى جانب نهج سياسى يقوم على رعاية ذلك النظام الاجتماعى ، يتوجه جلال الحكم ، وأبهة الملك ، وفخفة السلطان ، ومظاهر الإمارة ، وشارات الوزارة ، وسيماء الرتب والمناصب ، من أنافة اللبس ، وغفامة المجلس ، وبهاء الأثاث وجمال الرياش ، ونعومة المأكل ، ولذاذة المشرب ، وتخير الندامى على مثال من الرقة واللفف ، وأدب النفس والظرف ، وحسن السمعت ، الى ما يتبع ذلك من اتساع الصناعات وتنوع الزراعات ، ونظام المتاجرات ، والافتنان فى وسائلها .

هذا النظام لا يستقر فى أمة إلا وترى الى جانبه نظاما روحيا تمليه نوازع الانسان النفسية ، أودينا سماويا ، يأمر الناس بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحذهم عن الفساد والشر ، ويحضهم على الاحسان والخير ، ويشرع لهم مكارم الأخلاق ، ويشذب نفوسهم ويهذب أرواحهم ، ويصل ما بينهم وبين الله تعالى بطرق مختلفة باختلاف الأديان زمانا ومكانا وناسا .

والأمة لا تبلغ هذا المدى من الحضارة والنظام الاجتماعى إلا إذا خفقت راية العلوم والمعارف على ربوعها ، وتبوأَتْ فيها الثقافة الفكرية مكانا عاليا ، وحلّت منها محلا زكيا ، فتكثر معاهدها ومدارسها ، وتزخر مكاتبها ومتاحفها بسمرات قرائح أبنائها ، وتنوع فيها وسائل التريية والتهديب ، فلا تعدم عالم الدين ، ولا تفقد الفيلسوف والطبيب ، ولا يعوزها الحسابى والمهندس ، ولا يندّ عنها عالم الطبيعة والمؤرخ ، ويسكثر فيها الشعراء البارعون والكتاب المجيدون ، ويصبح للفنون الرفيعة : الشعر ، تراخيال ، الغناء ، توقيع النغم ، الرسم ، التصوير ، لديها منزلة تم عن اكتمال ذوقها ولطف حسها ، واتساع خيالها ، ونفوذ تفكيرها الى جمال الطبيعة ولب الحياة .

هذا النظام الاجتماعي الذي يترعرع في بيئات الحضارة الزاخرة بألوان الثقافة المختلفة ، يفتح للأدب ميدانا فسيحا ، ومن ثمَّ نفهم أن أدب الحضارة إنما هو تصوير لهذه الحياة النظامية ، وتمثيل لجوانب الطبيعة العميقة التي صقلها الانسان وزينها ، وأبان عن جمالها ، وأكمل روعتها ، وعدد مظاهرها ، ونوع أشكالها حتى أصبحت معترك الأفكار ، وميدان تسابق القوى الانسانية من طريق الخيال والعقل على سواء . فهو أوسع مدى ، وأرحب ذرعا ، وأنضر ممرعا ، وأدق منزعا ، وأخصب مرتعا ، وأصنى منبععا ، إذ هناك ما صنعت يد الانسان من قصور وجنات ، وبدائع وآيات ، وهناك مسارح الأفكار ، ومطارح الأخيالة في رونق الملك ، ومجالي الحضارة ، وهناك الدين والفلسفة ، وميدان الثقافة الرحب في ساحتهما ، ومجال العقل فيهما ، ومكانه منهما ، ومقام الخير والشر لديهما ، وميزان الفضيلة والرذيلة في أصولهما ، وهناك مغاى اللهو وما يتبعه من سرف في الذائد ، وانتهاك الحرمات ، وتهتك الأخلاق ، وانحلال عناصر التماسك القومي في الأم الضعيفة .

وهناك النظام الحكومي في أشكاله المتنوعة ، وكلها تحمد من الحرية الفردية ، وتقص أجنتها وتحصرها في ناحية من الحياة لا تتجاوزها ، فهي بعد أن كانت مطلقة على طبيعتها أصبحت مقيدة بسلطان القانون ، ومنقادة لأمر الدين طوعا أو كرها ، وخاضعة لما تواضع عليه المجتمع من عادات وتقاليد ، وأسيرة لإرادة الملوك والأمراء والرؤساء ، ومسيرة بأسباب رضام ، متطلعة الى ما في أيديهم من الذهب والفضة ، وما عندهم من نعيم العيش وترفه ، مفزعة بحمد السيف المصلت على الأعناق ، فلا يأتيا القول إلا لرغبة أو رهبة .

هذه كلها موضوعات جديدة يجد فيها أدب الحضارة منبععا فياضا ، وبحرا زاخرا يغذيه ويلهمه إلهاما ، يفصله عن أدب البداوة بفواصل ترجع الى صميم الحياة .

قد يتراءى بدايما ذكرنا ، وكما يفهم كثير من الباحثين ، أن الحضارة من دواعي غزارة الأدب ونموه ، وهذا مسلم إذا نظرنا الى نوع الأدب وتعدد موضوعاته واختلاف اتجاهاته ، أما إذا نظرنا الى (كمية) الأدب بالنسبة الى مجموع الجماعة التي تتوحد بمنصرية ، أو جنسية ، أو لغة ، أو دين ، فقد لا يستقر هذا الرأي على أساس صحيح ، لأن الفوضى الاجتماعية والحياة الطليقة من قيود الأنظمة والقوانين التي تستحدثها الحضارة مما ينمي الروح الأدبي في الجماعة ، ولكنه لا يرقيه ، والنظام الاجتماعي وقيود الحضارة مما يرق الروح الأدبي في الجماعة ولا ينمي . والفرق بين الأمرين كبير . ومن هنا عسر على بعض الباحثين فهم كثرة الشعراء عند الأمة العربية في طور بداوتها ، قال النقاد الأديب الفرنسي (لاهارب) : « إن في عصور الاضطرابات ما يضعف الحكومات وما يقوى الشعر والخطابة » . وهذا القول أظهر تطبيقا فيما بين الحضارة والبداوة ، لأنه إذا ضعفت الحكومات سادت الفوضى ، وإذا سادت الفوضى تحلل النظام الاجتماعي ، وعادت النفوس طليقة من كل قيد اجتماعي أو خلق ، وباحت بما تضر في غير حرج .

وإذا كانت الحضارة والنظم الاجتماعية قد تخلق مجالات للأدب لم تكن البداوة لتتذوقها ، أو تعرف عنها شيئا ، فإنها أيضا قد حجبت كثيرا من الحقائق التي كانت مسرحا للخيال البديع في البداوة . وإلا فحدثني عن نظر الحضري للقمر يسطع بلونه الفضي في أديم السماء الصافية مع هذه الأضواء الكهرائية الخلاب . وحدثني عن نظر الحضري الى المرأة وقد سفرت له وتراءت في المحافل العامة والخاصة بزینتها الماجنة . فهل تسمع لحديث التمتع والعفاف إلا خطرة التقليد أو إباء الحياء الطائر ؟ . وحدثني عن نظر الحضري للمناظر الطبيعية في الصحراء وجبالها وأوديتها ، وما يعيش فيها من حيوان ونبات .

نعم إن الحضري قد يتناول هذه الحقائق تناولا عميقا، فيه إبداع وطرافة، وفيه خيال مهذب قوى، ولكنه قليل الى جانب تناول البدوى لها، وهو أيضا يتناولها تناول المحس الشاعر بها شعور الحاجة الصادق في شعوره. أما الحضري فهو فيها مقلد أو متكاف، وإنما براعة الثقافة ومنهج البحث العلمى في أدب الحضارة يظهرانه في ثوب المجدد المبتكر.

صادق إبراهيم عمرجود

حاتم الطائي يصف الجود

حاتم الطائي يضرب به المثل في الجود، وهو من أهل الجاهلية، وقد أسلم ابنه عدى وصحب النبي صلى الله عليه وسلم. قال حاتم يصف الجود:

أماوى قـد طال التجنب والهجر	وقد عذرتنا فى طلابكم العـذر
أماوى إن المال غاد ورائـح	ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوى إما مانع فبـين	وإما عطاء لا ينهنه الزجر
أماوى إني لا أقول لسائل	إذا جاء يوما حل فى مالى النـذر
أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى	إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
أماوى إن يصبح صدأى بقفرة	من الأرض لا ماء لدى ولا خمر
ترى أن ما أنفقت لم يك ضررى	وأن يدي مما بخلت به صـفر
إذا أنا دلانى الدين يـلوننى	بمظلمة لـج جوانبها غـبر
وراحوا سراعا ينفضون أكفهم	يقولون قد أدمى أظافرنا الحفر
أماوى إن المال مال بذلته	فاوله شكر وآخره ذكر
وقد يعلم الاقوام لو أن حاتما	أراد ثراء المال كان له وفر
فانى وحـدى رب واحد أمة	أخذت فلا قتـل عليه ولا أسر
ولا أظلم ابن العم إن كان إخوتى	شهودا وقد أودى بأخوته الدهر
غنيـنا زمانا بالتقصـد والغنى	وكل سـقمانا وهو كاسبنا الدهر
فما زادنا ماوى على ذى قرابة	غنـانا ولا أزرى بأحلامنا الفقر

فتنة العلم الطبيعي

الوجود وأسراره — وقوف الماديين مع قشوره

ليس في عامل من عوامل المعقولات ما هو أشد حملاً للنفس البشرية على الكبر والزهو والعجب ، من العلم الطبيعي .

نعم : إن للثروة ونفاذ الكلمة واتساع السلطان ، تأثيراً كبيراً في إثارة هذه الصفات المذمومة ، ولكنها لا تبلغ تأثير العلم الطبيعي . فإن العوامل الأولى توجب الكبر والزهو على الناس ، ولكن العلم الناقص يوجبه على الكون وما فيه . فترى العالم المفتون بعلمه يحتقر الكون ويزدرجه ، حتى ليخيل إليه أنه قد نفذ إلى صميمه ، وسرى إلى سراره ، وهو في الحقيقة لم يجاوز الطبقة الأولى من قشوره .

هذا الكبر الفارغ كثيراً ما يعتري القلوب الضعيفة فيسبب لها الطمس والعمية عن الأعلام المنصوبة في الكون لهداية السالكين إلى قيومه ، فيهذى بما لم يحيط بعلمه ، ويفصل ويقطع في كلييات الوجود فعل الواضع له ، فينفي ويثبت ما يؤديه الخيال إليه ، غير حاسب لتطورات العلوم حساباً ، فارضئاً أن هذه التطورات وقفت حيث انتهى إليه علمه .

هذه فتنة دونها كل فتنة ، لأنها لا تقتصر عليه وحده ، ولكنها تعم من دونه ، فيقلدونه على غير بصيرة منهم بشيء مما يثبتته أو ينفيه .

غرى العلماء المفتونون في كل زمان ومكان بتعميل ما يقع عليه حسهم من آيات الخليقة ، تعليلاً يتفق وما يذهبون إليه من تجرده عن قدرة مدبرة ، وإرادة حكيمة . وكثيراً ما تأتى لتعليلاتهم مضحكة إلى أقصى حدود الإضحاك .

فإذا قلت لأحدهم : كيف يعقل أن توجد هذه الكائنات القائمة على أكمل حالات الإبداع بدون قدرة مبدعة ، متصفة بأرفع درجات العلم والحكمة ؟

قالوا : إن ماتسمونه إبداعا لم يحدث طفرة ، وإنما حدث في مئات الملايين من السنين على طريق التطورات التدريجية .

فإن قلت لهم : هل مجرد طول الأزمان يوجب الإبداع العالى لمشاهد الكون ، فلم لا يكون محله خبط واختلال لا حدّ لهما ؟

قالوا : إن الخبط والاختلال محالان ، فإن الذى يحدث هذه التطورات هى النواميس الطبيعية ، وهى منتظمة غاية الانتظام ، ومتلائمة غاية التلائم ، وإذا كانت كذلك فلا يجوز أن يحىء ما يحدث بسببها إلا منتظما .

فإن قلت لهم : وهذه النواميس ماهى ، وكيف وجدت مطبوعة على هذا النظام ، بحيث لا يتولد منها إلا ما هو مفرغ فى قالب الإبداع ؟

هنا يشعرون بثقل الوطأة ، وخرج المركز ، ويبطئون فى الجواب ، ثم يدّكرون بعد أمة ، ويعتصمون بمبدأهم الأول ، وهو قول (أجوست كومت) : نحن لا نبحث فى بداءات الأشياء ولا مصائرهما ، ولكننا نثبت الواقع تحت حواسنا فحسب .

هذا حسن من واضع الفلسفة الوضعية ، وفيه اعتراف بالعجز ، فبال الذين يحومون حول مذهبه قد جعلوا دينهم الكلام على بداءات الأشياء ، فقرروا أن أصل الوجود المادة المقودة بنواميس منتظمة ، وأن الوجود يخلو من عامل آخر غيرهما ، حتى من عنصر عقلى يضع الأشياء مواضعها ، ويصرفها فى الوجوه الصالحة لها ؟

أليس وقوفهم هذا الموقف يوصد الطريق فى وجوه الباحثين ، ويقف بالعالم فى درجة محدودة من التطور لا يتعداها الى ما هو أرقى منها ، ويصبح العلم بسبب ذلك شكلا حجريلا لا يمشى الانسان فى توثبانه نحو الحقائق التى هو مقود الى الوصول اليها بقوة قاهرة فيه ؟

من حسن حظ العقلية الانسانية أن هؤلاء الجامدين لا يمثلون العلم فى حقيقته ،

ولا يترجمون عن قابليته للترقى ، وليسوا هم أنجب أبنائه ، ولا المتمازين من أقطابه ، وإنما تعلق بأذيالهم من تعلق من المقلدين طلبا للغريب ، وميلا الى الشذوذ .
فإذا تطلبت العقلية الانسانية المتعطشة الى الهداية أن تقف على الرأى العلمى الناضج ، وخاصة لأعلام هذا العصر ، فى مسألة الكون والكونيات ، وجدت من كتابات أرا كين العلم مجالا فسيحا لا بلاغها ما تطلع اليه من هذا المطلب الكريم .
من أمثلة ذلك ما كتبه العلامة (بيو) الفرنسى فى كتابه (شذرات علمية وأدبية) فقال :

« بقدر ما أتدبر فى نظام هذا الوجود وسعته ، وفى جميع عجائبه ، أعجب من هذا الإبداع المدهش ، وأرانى عاجزا عن تحليله . وإنى لأتجاسر بأن أقول — لأنى خبرت ذلك بنفسى — بأن تلك التفسيرات الناقصة ، والتعليلات الخاطئة أو المبهمة ، التى يريد أن يقنعنا بها بعض الكتاب المعاصرين باعتبار أنها مدارك سامية ، لا تظهر مجففة وتافهة إلا إذا قورنت بالطبيعة نفسها .

« إن الذين تشرفوا بمعرفة بعض جمال الطبيعة وأحسوا بها ، وجدوا أنفسهم مرغمين أن يعتبروا الذين يريدون أن يشوهوا هذا الجمال بتدليسهم القبيح ، كفارا ملحدين . فإن كل الكائنات العضوية متمتعة بوسائل حياتها الذاتية المتنوعة فى اختلاف أجهزتها الجسمية ، مثل تنوع الكواكب الزاهرة فى القبة الزرقاء .

« نزيد على هذا أننا لا نشاهد إلا ما يظهر لنا من ذلك فى الخارج ، وقد حُجب عنا ما هو أعجب وأغرب . فبميشك قل لى من ذا الذى استطاع أن يفهم سر طيران الذبابة وسر الأعيب الفراش ؟

« إذا وصل بنا إدراكنا الى معرفة القابليات الخارجية لهذه الترا كيب الجثمانية ، والى تحديد العلاقات المقصودة الموجودة بين الأجزاء التى تتألف منها ، قلنا : اذا وصل إدراكنا الى هذا ثم عَمِينَا عن رؤية الحكمة التى أمرت بها ونظمها ، وعَشِينَا عن

تنوُّرها في صميم هذا المجموع ، نكون قد ناقضنا ضمائرنا مناقضة تامة . أما أنا فأريد على القليل أن أتلم من هذا المشهد العظيم بأني جاهل لا أدري شيئا »
وقال العلامة (لوجيل) في كتابه (العلم والفلسفة) :

« كلما أمعن الانسان في دراسة العلوم من ناحيتها المعنوية ، ازداد اعتقاده بأن ليس في العلم ما يمنع اتفاقه وأبعد الفلسفات مرمى .

الى أن قال : « نحن لا نلم إلا بالظواهر والقشور ، أما الحقيقة والعلة فتأبيان أن تنكشفنا لنا . وإنه ليحق لفلسفة عالية أن تعتبر كل القوى الخاصة التي أفاعيلها قد حلتها العلوم المختلفة ، صادرة من قدرة أولية أبدية واجبة الوجود ، هي مصدر كل حركة ، ومركز كل عمل . اذا وجهنا أنفسنا هذه الوجهة ، نظهر لنا الحوادث الطبيعية والكائنات ذاتها صوراً متغيرة لفكرة إلهية » .

وقال العلامة الكبير الاستاذ (هنرى بوانكاريه) العضو بالمجمع العلمى الفرنسى في كتابه (العلم والافتراض) :

« المقررات العلمية في نظر المشاهد السطحي ، تعتبر خارجة عن متناول الشكوك ، وعنده أن المنطق العلمى غير قابل للنقض ، وأن العلماء إن أخطأوا أحيانا فلا يكون ذلك إلا لأنهم لم يراعوا قواعد هذا المنطق ...

« ولكن لما تروى العلماء قليلا لاحظوا مكان الافتراضات من هذه العلوم (يريد أنها مبنية على الظن) ، ورأوا أن الرياضى نفسه لا يستطيع الاستغناء عن الافتراضات ، وأن التجربة لا تستغنى عنها كذلك . حينذاك سأل بعضهم بعضا : هل هذه الصروح العلمية القائمة هي على شيء من المتانة ، وتحققوا أن نفخة واحدة تكفى لجعل عاليها سافلها » .

وقال العلامة الفلكى المشهور (كاميل فلاصريون) في كتابه (القوى الطبيعية الجبهولة) :

«رأنا تفكر، ولكن ماهو الفكر؟ لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال. وزانا نمشي، ولكن ماهو العمل العضلي؟ لا يعرف أحد ذلك. أرى أن إرادتي قوة غير مادية، وأن جميع خصائص نفسى غير مادية أيضا، ومع ذلك فتى أردت أن أرفع ذراعى، أرى أن إرادتي تحرك مادتي. فكيف يحدث ذلك، وما هو الوسيط الذى يتوسط للقوى العقلية فى إنتاج نتيجة مادية؟ لا يوجد من يستطيع أن يجيبنى عن هذا أيضا. بل قل لى: كيف ينقل العصب البصرى صور الأشياء الى العقل؟ وقل لى: كيف يدرك هذا العقل، وأين مستقره، وما هى طبيعة العمل المخي؟ قولوا لى أيها السادة (يريد الملحدون)... ولكن كفى كفى! فإنى أستطيع أن أسألكم عشر سنين ولا يستطيع أكبر رأس فيكم أن يجيب على أحقر أسئلتى».

أين هذه الأقوال الصادرة من أقطاب العلوم الطبيعية، وأراكين فلسفتها الرسمية، من تهوسات رجال لم ينالوا من العلم إلا رشقات لا تنفع عُلة، ولا تشفى علة، يتبجحون بما قشوه من هنا وهناك من حثالات الموائد العلمية، فيتظاهرون بأنهم أدركوا ما خفى عن غيرهم من أسرار الوجود، وانتهوا الى صميم قواه، فلم يروا فيه غير المادة والنواميس الطبيعية؟

لا جرم، قد أبدع العلامة الانجليزى (بيكون) واضح الأسلوب العلمى فى قوله: «علم الطبيعة إذا رشف بأطراف الشفاه، أبعد عن الله، وإن شرب عبا أوصل اليه».

محمد فريروجدى

تاريخ العلوم الدينية و التشريعية

في الأدب العربي (١)

رأينا فيما تقدم تاريخ نشأة المذاهب السنية الأربعة وتطوراتها ومبلغ ما وصلت اليه الاختلافات بين مؤسسيها والداعين اليها، ولكنها كانت ولا زالت أم المدارس الدينية والتشريعية التي ظهرت منذ نشأة الاسلام حتى الآن .

ظهرت بعد ذلك عدة تعاليم أخرى تختلف بعض الاختلاف عما سبقها من المذاهب، وذلك على أثر تشعب الحياة العربية الاسلامية واتساع نطاق نفوذها أو انسلاخ بعض الجهات منها بسبب التطورات السياسية أو القومية أو الثقافية، وأقدم هذه المذاهب هو مذهب الظاهرية، وكان أول من شيد بناءه وقام بالدعاية اليه داود بن علي المولود بالكوفة حوالي عام ٢٠٠هـ والمتوفى ببغداد عام ٢٧٠هـ وكانت تعاليمه متطرفة بالغة في المغالاة بالأخذ بمبادئ الحديث حتى خرجت عن حدود السنيين، فكان إذا دعا احمد بن حنبل وهو أكثر الأئمة تمسكا بالحديث بعدم اعتبار الرأي الشخصي وحرية التقدير، ذهب داود بن علي الى أبعد من ذلك تطرفا في الأخذ بالمعنى الظاهر فقط من القرآن والحديث والتمسك به وحده دستورا لحياة المسلمين، وكان برفضه تقليد أحد الأئمة أقرب الى ميول الصوفيين واعتقادهم فيه الايمان الصادق الأكيد، فوجد من يذهبهم في بلاد الفرس أنصارا عديدين، ومات ولما يصل مذهبه الى مصاف المذاهب السنية المعترف بها، ولم يعرف له أو لأنصاره في الشرق مؤلفات، وأما في بلاد الأندلس فإنه قد أتيح لمذهبه البعث، وكانت له مكانة خاصة سنائي على الكلام عليها فيما بعد .

(١) بقية المنشور في الجزء السادس من المجلد السابع في جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥ مترجما من الألمانية

نقل عن كتاب « تاريخ الادب العربي » للمستشرق الألماني الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلان » .

ونشأ كذلك في الاسلام منذ بدء طوائف عدة بعيدة عن المذاهب الرسمية، منها الخوارج الذين يعارضون في الخلافة الوراثية ويؤيدون انتخاب أى مسلم كائنا من كان لزعامه القوم، ولم يظهر لهذه الفئة في القرون الأولى أى أثرين المؤلفات العربية لكثرة ما وقع فيها من كفاح وحروب، أو أنه لم يصلنا على الأقل من محصولهم الأدبي ما يدل عليه، ولكنهم تمكنوا بعد ذلك في النواحي النائية من البلاد الاسلامية مثل عمان وشمال افريقية من أن يظهروا في هدوء بثنايا خصائصهم، وبدءوا نشاطهم الأدبي الذي سنأتى على ذكره في حينه.

أما الشيعة وهم المعروفون في أوربا بملاحدى الاسلام، فكانوا في أول أمرهم فرقة سياسية تشايح على بن أبى طالب رضى الله عنه، ولم يكن لهم في القرون الأولى صبغة دينية خاصة، إلا أن ثورة الاحتجاج التي قامت ببلاد الفرس انتصارا للنصرة القومية الابرانية ضد الديانة السامية المفروضة عليهم، اختلطت بحركة الشيعة السياسية، واندجت بها، فجعلتها تسلك في تطوراتها النظرية في علوم العقائد والمبادئ التشريعية طرقا خاصة بها، ولكن مما يؤسف له حقا أن هذا المجهود الفكرى لم يصلنا من تراثه الأدبي إلا النزر اليسير، وذلك يرجع الى أن أغلب المخطوطات التي لدينا إنما وصلتنا من الأقاليم السنية. وأشهر ممثلى هذا التطور هو محمد بن بابويه المتوفى ببغداد عام ٣٨١ وقيل ٣٩١ هـ وبقيت من مؤلفاته عدة رسائل حتى الوقت الحاضر.

وكذلك تلاشت أو كادت آثار تطور حركة الشيعة وتعاليمها في البلاد الفاطمية مثل شمال إفريقية ومصر، ويرجع السبب في ذلك الى أن الأحكام المتأخرين كانوا يهتمون كل الاهتمام بإبادة مؤلفاتهم لأغراض سياسية ودينية، ولذا فإنه لم يبق لنا منها إلا رسالة وضعها أول قاض فاطمى بمصر عن فضائل النبي والأئمة.

وأما في جنوب بلاد العرب فكانت الأحوال أكثر ملاءمة للشيعة حيث تمكن الزيدون من السيادة السياسية في القرن الثانى من الهجرة، ولا زالوا حتى الوقت

الحاضر يحتفظون بشخصيتهم ، ولقد امتازت أئمة هذه الفرقة بوفرة إنتاجهم الأدبي وكثرة مؤلفاتهم .

وتعتبر الأحاديث النبوية بعد القرآن مباشرة أهم المصادر التي تستمد منها التعاليم الدينية والمبادئ التشريعية قوامها ، ومما لا ريب فيه أن جانباً كبيراً من تلك الأحاديث لا شك في صحتها بالمرّة ، لما بلغه النبي صلى الله عليه وسلم من احترام أنصاره و تبجيل أتباعه ، كما أنه لا شك أيضاً أنه قد نبئت حول هذه النواة الصحيحة زيادات ، وعلقت بها مستحدثات ، فدخل على الحديث في القرون الأولى ما ليس منه مما ترك لجميع المنازعات السياسية والخلافية والمشاكل الدينية والتشريعية أثراً ظاهراً فيه ، فعرفت أفراد كل فرقة كيف تصيغ الأقاويل وتنسبها للحديث للدفاع بها عن عقائدها والانتصار لتعاليمها ، هذا إلى ما ابتدعه الوعاظ الشعبيون والرواة المؤرخون من مبتكراتهم البسيطة ، ولو أن علماء الدين المتأخرين كانوا يقابلون ذلك كله بالحكمة والحذر .

ولم يفكر المؤلفون في القرنين الأولين من الهجرة في البحث الأدبي في الأحاديث النبوية ، بل اقتصرت دراساتهم فيها عن طريق الرواية الشفوية ، ولم تقعد الثقافات منهم الأسفار البعيدة الشاقة رغبة الاستماع لأكبر عدد ممكن من رواة الحديث ، ولم تكن الرهبة الدينية هي التي منعتهم في بادئ الأمر عن كتابة الأحاديث ، فاننا قد بلغنا خبر تدوين بعضها في القرن الثاني من الهجرة ، ولو أن ذلك لم يتعد وقتذاك حد كتابة المذكرات الخاصة . فلما بدأ علماء الدين يشعرون بحاجتهم الماسة إلى تأييد قواعدهم التشريعية ومبادئهم القانونية بما خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام ، ظهر علماء الحديث في ميدان التأليف ، واهتموا بجمع الأحاديث النبوية .

وأقدم صور التأليف المعروفة في هذا المضمار الأدبي هي المسانيد التي روعي في ترتيبها الرواة دون الموضوع ، وكانت أئمة المذاهب التشريعية وتلاميذهم من بعدهم أكثر العلماء اهتماماً بجمعها .

وأما المصنفات وهي أهم من المرجع الأول فقد روعي في تبويبها الموضوع من حيث الناحية التشريعية أو الدينية أو التاريخية أو الخلقية ، وأقدم المجموعات المعروفة بهذا الشكل هو صحيح البخارى ، ويمتاز بما يتمتع به من احترام كامل وثقة تامة في جميع أنحاء العالم الاسلامى . وضعه محمد البخارى المولود في ١٣ شوال عام ١٩٤ في بخارى من والدين إيرانيين ، وقد أنفق ستة عشر عاما متنقلا لدراسة الحديث عقب قيامه بفريضة الحج ، فلما عاد الى موطنه وضع مجموعة الحديث المعروفة باسمه ، وتوفي ٣٠ رمضان عام ٢٥٦ هـ ، واتبع نظاما خاصا في وضع أساس مؤلفه الضخم يرجع في ترتيبه الى فصول التشريع ، ثم كان يعتمد على قدر الامكان الى مل ، أبوابه بالأحاديث التي كانت الى هذا العهد موضع الثقة وبعيدة عن النقد . ولقد كان هذا السفر الضخم منذ أول عهده موضع التقدير العظيم ، فكانت الناس تحمسه بعناية فائقة وتنزله منزلا يلي القرآن مباشرة في الاحترام والتبجيل ، ولسكنه ما لبث بالرغم من ذلك أن قامت في نصه الاختلافات الدقيقة بين المذاهب المتفرقة الى أن جاء محمد اليونيني المتوفى سنة ٦٥٨ هـ ووضعه في القرن السابع من الهجرة على الشكل المعروف لنا في الوقت الحاضر .

وبنفس الاسم وضع مسلم مؤلفا أحدث من صحيح البخارى عهدا بقليل ، وولد مسلم بنيسابور عام ٢٠٢ أو ٢٠٦ هـ وطلب العلم ببغداد بعد رحلات عديدة ، وتوفي بموطنه عام ٢٦١ هـ وكان في تأليفه أقل تحيزا من البخارى ، ولو أنه سار على منهجه في ترتيب كتابه مراعىا فصول التشريع أيضا ، دون أن يجعل لأبوابه رؤوس عناوين تارك بذلك للقارئ حرية تسمية الموضوع ، وربما كانت هذه الخلطة العلمية هي السبب في عدم ذبوعه بقدر ما لقي صحيح البخارى من الانتشار ، ولو أنه حظى من اهتمام العلماء ودراساتهم بنصيب لا يقل عن سابقه .

وإلى جانب هذين الصحيحين اللذين لقيا من جميع المسلمين تبجيلا عظيما أبعدهما عن مواضع الريبة ، جاء خلال القرن الثالث من الهجرة أربعة مؤلفات أخرى وضعها بعض المتأخرين في مرتبة الكتب الدينية المقررة .

وأقدم هذه المؤلفات الأربعة هو كتاب السنن لأبي داود السجستاني المتوفى بالبصرة سنة ٢٧٥ هـ ولم يجمع به المؤلف سوى الأحاديث التي لها أهمية تشريعية دينية ، بل إنه لم يجمع به إلا ما أجمع على صحته الرواة .

وأما ثاني هذه المؤلفات فهو الجامع الذي وضعه أبو عيسى محمد الترمذي المتوفى في ما وراء النهر عام ٢٧٩ هـ ، وقد أخذ فيه كل الأحاديث التي يحتاج إليها المتشرع في قضاء المسائل القانونية ، وكان يشرح لكل الحالات تطبيقاتها الفقهية ، وبذلك أصبح هذا الكتاب أهم المؤلفات في تاريخ الشريعة الإسلامية .

أما كتاب السنن الذي وضعه أحمد النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ فاشتهر بما احتوى عليه من التفاصيل الكاملة في ضروب الحياة الدينية المذهبية ، وما جاء به بإسهاب عن نواحيها القومية .

والأخير من هذه المؤلفات هو كتاب السنن الذي جمعه ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ هـ . وقد لاقى في أول أمره معارضة شديدة بسبب ما اشتمل عليه من أحاديث ضعيفة ، ولم يأخذ به العلماء إلا في أواخر القرن السادس الهجري .

بدأت الدراسات الأدبية تنجح شطر الأحاديث النبوية بعد أن استقر فيضها الذي زخرت به المؤلفات التي جمعت في القرون الأولى ، وأصبحت بفضل مجهود الجامعين قاعدة ثابتة للدرس والتأليف الذي وسع كل نواحيها ، وأهم ما ظهر في ذلك الوقت مجموعات من أربعين حديثاً ، وهي أقل ما عزي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقدم هذه المؤلفات هي المجموعة التي وضعها الترمذي .

ولقد كانت دراسات الحديث التي توافر عليها عدد كبير من العلماء سبباً مباشراً للبحث وراء تاريخ حياة صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم أوثق الرواة لكتابه ، وذلك لأن تقدير صحة الحديث كانت تتوقف على قدرة ثقة الرواة ، فنشأت عن ذلك دراسات أخرى هي أقرب إلى علم التاريخ منها إلى علم الحديث . « يتبع »

افتتاح الدراسة في كلية أصول الدين

في مناسبة افتتاح العام الدراسي بكلية أصول الدين ، جمع فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ الكلية حضرات أساتذة الكلية وطلابها وألقى فيهم خطبة بليغة كمادته السنوية ، ولما اشتملت عليه هذه الخطبة من النصح الغالي والارشاد النافع رأينا أن ننشرها ، قال حفظه الله :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إخواني وأبنائي : السكم أوجه تحيى ، وأعلن سرورى بافتتاح هذا العام الدراسى راجيا من الله جلت قدرته أن يوفقنا جميعا لصالح العمل حتى نؤدى رسالتنا ، ونقوم بالمطلوب منا حسبا يكلفنا به الدين والواجب .

مرّ عامان كاملان والأزهر فى اضطراب يرجع بعضه كما تعلمون الى شئون داخلية ، وبعضه الى أخرى خارجية ، وقد مضى ذلكم الزمان بهنائه ، وهانحن أولاء نستقبل اليوم عصرأ اعتقد أنه خال من عوامل القلق . فلعلى أراكم مطمئنين فيه لأداء ما تكلفون به . واسمحوا لى أن أقول : إن الأمر يبيننا فى تلكم الحقبة القصيرة لم يكن على ما ينبغى أن يكون من عالم وطالب دينى . فأريد أن نسير فى هذا العام وما بعده إن شاء الله على غير ما كان فى سابقه . إذا كان لنا فى الماضى بعض عذر ، فينوح لى ولكم أيضا أنه قد زال والحمد لله ، لأن سفينة السياسة قد استقرت على جودبها ، وشئون الأزهر تديرها يد حكيمة ، فلا عتب اليوم لمستعقب . وهناك قوانين وأوامر يجب أن نحترم ، وأن يؤدى العمل بمقتضاها كما أمر الله ورسوله ، وكما يرجوه ولاية الأمور ، وكما يدعوننا اليه الصالح العام والضمير الحى .

يقول الناس عنا وينسون أنفسهم، فافضوا على باطلهم ولا تهنوا، فإن الحق معكم إذا أنتم أجمعتم عليه كلمتكم، وبرهنتم على أنكم أصحاب الكفة الراجحة والمركز الأقوى في الوجود بين طبقات الأمة. فلتكن أعمالكم وآراؤكم سليمة حكيمة، لأن الحكمة في الرأي حسنة ما لم يستبح بها محذور. فكونوا حكام، عاملين للحق بإخلاص. وليس من الحكمة ترك حبل الأمور على غاربها، حتى إذا ما حدث حدث التسمت التخلص منه، بل من العقل توقى الخطر قبل وقوعه، لأن الوقاية كما قيل خير من العلاج. وفي المأثور: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

قد هيأنا الله تعالى لمهمة خطيرة لها جلالها. وهؤلاء أبناء الأمة أمانة في ذمنا ترجونا لتثقيفهم الديني والخلق. فعلينا أن نؤدى الأمانة كما أؤتمنا عليها، فنكون منهم رجالا ذوى خلق ودين. قلت لكم غير مرة إن بعض الناس قد حسبوا الجديد هو كل شيء في حياة الأمم، فقطعوا الصلة بينه وبين القديم، وعارضهم آخرون فبالغوا في نصره القديم واعتبروه كل القصد، وذهب كل فريق بمالديه فرحا، حتى كادت معالم الحقيقة تنطمس بينهم، وإن الخير في التوسط: باحترام القديم مع الترحيب بالجديد. وها هو ذا الإصلاح الجديد قد جاء على هذا الرأي، فجعل بين الوجهتين نسباً، فاعتبر القديم هو الأساس، وشاه بحلية الحديث ليخرج علماء عارفين بدينهم بصيرين بماضيهم وحاضرهم، يعلمون أن الدين والعلم أخوان.

وليس التجديد من الاسلام بدعابل هو غرضه الأسمى. ألم تروا أن الله تعالى أنزل القرآن مهيمنا على ما سبقه من الكتب المنزلة كي يصلح ما ألصقته الأمم بتعاليمها من عند أنفسهم، فسارت مبادئه الإصلاحية بالاجتماع في كل عصر سيرة مرضية، سمت به الى علياء السعادة، حيث رفعت عنه الإصر وأطلقت سراح الفكر، فأفسحت أمامه مجال النظر في ملكوت الأرض والسماء، لاستخراج ما أودع فيهما من أسباب الرفاهية والتمتع بزيينة الله تعالى التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق بشروط بينها في كتابه،

وفرض العمل بها والسير على مقتضاها حتى يسد باب الشهوة في وجه الذين يزين لهم شيطانهم زخرف الإباحية .

وعلى هذا الطريق القويم سار الأزهري ورجاله في كل عصر ، فكان حاميا ذمار الدين ، وكان قائد النهضة الفكرية ، من بدء نشأته الى يومنا هذا .

فالأزهري لا يأتي التجديد بل يدعو اليه إذا كان من طريق المعقول ، وعلى أساس الدين الحنيف ، وهو يقابله بصدر رحب ويعمل به في هذه النهضة الحديثة لثقافة الجيل الحاضر ، واصلًا حبيل الحديث بما وصل اليه من التراث القديم عن سلفه ، وهذا ما أعمل به وأدعوكم اليه ، لنؤدى رسالتنا كما يرضى الله ورسوله ، غير ناسين نصيبنا من الحياة العامة .

ومنكم أبنائي الطلبة أرجو العناية والجد في عملكم ، أطلب الاجتهاد في الاستذكار والتنقيب عن مواضع العلوم في مظان وجودها قبل جلوسكم أمام الأساتذة ، فان ذلك هو الطريق الى الفلاح .

ولا يتم القصد إلا إذا كنتم مع أساتذتكم في أدب وصلة قلبية ، وامتنال ما يرشدونكم له ، وكنتم أيضا في أنفسكم إخوانا يجب أحدهم لأخيه ما يجب لنفسه . فلعلكم توفقون :

وأختتم كلمتي بالاتباهل الى الله تعالى أن يسدد خطانا جميعا ، وأن يحوط بعين عنايته وحفظه حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المحبوب نصير العلم والعلماء فاروق الأول ، أعز الله ملكه ، وجعل أيامه أيام يمن وبركة وعز للدين والوطن ، وأرجو أن تضرعوا معي الى الله تعالى أن يعم بالرحمة والرضوان حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فؤاد الأول بما له من جليل النعمة على العلم والدين والأمة والوطن ، أسكنه الله فسيح جناته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين . آمين ؟

فلسفة الاخلاق

مما لا يحتمل حواراً أن النفس عند الأقدمين من الحكماء : جوهر مجرد واحد ، ولهذا الجرد الواحد اتجاهان لا ثالث لهما — الأول : اتجاه الى البدن على معنى أن يكون هذا الاتجاه غير قابل لأثر من جنس مقتضى طبيعته . والثاني نزاع الى المبادئ العالية على معنى أن يكون دائم القبول عما هناك والتأثر به . فعن الأول تتولد الأخلاق التي هي ملاك الانسان وعتاده ، لأنها تؤثر في البدن تأثيراً اختيارياً ، ويسمى الحكماء ذلك الاتجاه بالاتجاه السفلي ، وتسمى عندهم قوة عملية أو عقلاً عملياً . وعن الاتجاه الثاني تتولد العلوم ، لأنها تتأثر بما فوقها بحسب استعدادها ، وتسمى عندهم قوة نظرية أو عقلاً نظرياً . فالقوة النظرية من شأنها أن تنطبع بالصور الكلية المجردة عن المادة .

وإيضاح ذلك — على ما حققه الشيخ في الشفاء — أنك حين تنظر الى هذه القوى تجد العقل المستفاد رئيساً يخدمه الكلام ، ثم العقل بالفعل ، ويخدمه العقل بالملكة أيضاً ، ثم العقل العملي يخدم جميع تلك ، لأنها هي العلاقة البدنية . وذلك لأجل تكميل العقل النظرى وتركيبته وتطهيره . فالعقل العملي هو المدير لأنحاء تلك العلاقة ، وهو بهذه المؤهلات مرد الأخلاق ومناطها ، والوهم خادم له .

ثم إن للوهم قوتين تخدمانه : قوة قبله وهي مصدر جميع القوى الحيوانية ، وقوة بعده وهي الحافظة . والمتخيلة تخدمهما قوتان : القوة النزوعية ، والقوة الخيالية ، وهكذا حتى تنتهى منازع النفس العاقلة وقواها التي تصدر عنها .

فشوق النفس الى العلوم والمعارف قد يفضى بها الى قطع أشواط في مدارج السمو الروحاني حتى تبلغ أقصاه . غير أن تلك المرتبة لم تنسق لكثير من الخلق ، فلها التزامات وحدود ، وبين ثناياها درجات على جانب غير قليل من الجهد والعناء وبعد الشقة . وذلك مرده في الأعم الأغلب الى طمعية النفس وركوبها أحياناً امتناناً من الشطط

قلق الوضين صعب المرتقى ، وهى تحاول فى بلوغها تلك المنزلة أن تبلغ أقصى حدودها ، وقد تفضل فى ثنائياها ضللا لا يجمع بها الى أسوأ ما كانت تحذره وشرما كانت تخافه . ويبدو ذلك الاتجاه جليا فى النهم الذى كلما اشتاق الى تقوية جسمه الطبيعى اشتاق الى عوامل القوة فيه ، فتزايد فيه القوة ، حتى لقد يلتمس لتقوية جسمه ما يكون سببا فى حرقه أو علقته . من أجل ذلك عنى علماء الأخلاق وبخاصة علماء النفس منهم بتلك الضوابط التى وضعوها لشوق النفس الى العلوم والمعارف ، حتى لقد قال (جالينوس) : ينبغى أن يكون مفهوما أن كل إنسان معد نحو فضيلة من الفضائل ، فهو اليها أقرب ، وبالوصول اليها أخرى ، فلا تصير سعادة آحاد الناس غير سعادة الآخر إلا بالقياس الى ما يحمله أحدهما من نفس صافية تبلغ به الى أقصى حدود الكمال الروحى ، وتسمو به الى المستوى المعنوى الذى ليس وراءه مطمح لناظر ولا زيادة لمستزيد اه ، فعلى قدر ما يحمله كل امرئ من بياض الفعّال ونوايغ الخصال يكون التفاضل بين الأناس .

من أجل ذلك أوجب الأخلاقيون على ذوى الرياسات والمضطلمين بالأعمال العامة أن يحفظوا كل إنسان نحو سعادته المهيأ لها ، فيقسموا عنايتهم بالناس ونظرم إليهم على قسمين : أحدهما فى تسديد الناس وتقويم نفوسهم بالعلوم الفكرية ، والآخر فى تسديدهم نحو الصناعات والحرف والأعمال اليدوية . فإذا سددهم نحو السعادة الفكرية بدءوا بهم من الحد الأدنى ، ثم شوقهم الى درجات النضوج الفكرى ، وأنها يجب أن يكون أعلى نسق لتلك الحياة الفكرية . وإذا سددهم نحو السعادة العملية ابتدؤا بهم من القوة الدنيا وانتهوا بهم الى أعلى هذه القوى وأسمائها . وفى كلا القسمين وبين مراتبهما يتجلى فى الانسان نبوغه الفكرى أو نبوغه الأخلاقى بالقياس الى ما يصدر عنه من المظاهر الدالة عليه « وكل ميسر لما خلق له » .

وإذ نريد العرض لآراء الفلاسفة من الأخلاقيين وما بسطوه بقدر عن شوق النفس الى العلوم والمعارف فليس ذلك إلا لنتخذة كما اتخذوه وسيلة الى الكلام عن

السعادة والخير ، وعن الفرق بينهما ، وعن بسط رأى (أرسطوطا ليس) فيهما ، وعمما وقع من الخلاف البعيد المدى بين علماء الأخلاق في ماهية السعادة وماهية الخير ، وإيراد الأدلة على كل اتجاه منهما .

فالناس مأخوذون في هذه الحياة بالسعادة والخير ليصلوا الى الخير المطلق والسعادة المطلقة إذا نهجوا على مقتضياتهما . ولم تقم عمارة السكون إلا على ما يؤخذ به الانسان من حب الخير والامعان فيه ليحصله قدر الجهد ، وما هيء له من الأسباب ، وليكون سعيدا بالقياس الى ما هيء له من أسباب تحصيلها ، والى القدر الذى فهمه منها . فليس الانسان في هذه الحياة إلا طالب مجد أو علم أو جاه أو ولد أو مال أو ما شئت من متاع . والناس يتفاوتون في فهم كل أولئك ، وهم يعتقدون في دخيلة نفوسهم أنه خير مطلق يحقق لهم سعادة مطلقة ، وإن كان الواقع في مستقبل حياتهم لا يواتيهم بما أرادوا .

من أجل ذلك اشتغل فريق من علماء الأخلاق بالكشف عن الفروق المنطوية في الخير والسعادة ، وهل هي نظريات حقيقية أو نظريات تقديرية ؟ وهل هي خير لقوم من ناحية وشر لهم من أخرى ؟ وهل السعادة في حقيقة مقصورة على الحياة الباقية أو هي نعم الحياتين جميعا ؟ مما سنوفيه حقه من البسط والايضاح في بحوث متلاحقة مآ عباس طه المحامى الشرعى

تصحيح أخطاء

وقع خطأ في السطر الثالث عشر من صفحة ٤٠٤ من الجزء السادس :

عمر بن عبد العزيز والصواب عمر بن الخطاب

وفي السطر الثانى من صفحة ٤٣٨

جاء فيما عن (بروكلمان) أن ميلاد أبى حنيفة كان سنة ٨٨ وأورد في كتابه المطول نقلا عن المصادر العربية أنها مختلف فيها الى حد أن قيل أنها كانت سنة ٨٠ أو ٦١

and on 'Urwah's narration through Al-Miswar and Marwân that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) went out on the occasion of Hudaibiyyah ⁽¹⁾ etc . . . ⁽²⁾ and the Prophet (Allâh bless him and give him peace) never expectorated without the spittle being gathered in the hand of one of the men, who rubbed his face and skin with it.

We are informed by Muhammad b. Yûsuf, who had it from Sufyân, through Humaid, through Anas, who said :

“ The Prophet (Allâh bless him and give him peace) spat in his garment. ⁽³⁾ ”

This hadîth is related at length by Ibn Abu Maryam, ⁽⁴⁾ who had it from Yahyâ b. Ayyûb, who received it from Humaid, who heard it from Anas, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace).

وَقَالَ عُرْوَةُ عَنْ الْمِسْوَرِ وَمَرْوَانَ :
 « خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ
 حَدِيثِيَّةَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَمَا
 تَنَحَّيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْمَةً
 إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ
 فَذَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ . »

حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا
 سفيان عن حميد عن أنس قال :

« بَرَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فِي ثَوْبِهِ . »

طَوَّلَهُ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ أَخْبَرَنَا
 يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ قَالَ سَمِعْتُ
 أَنَسًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(1) Hudaibiyyah is a village one day's journey from Makkah, the name of which was derived from the barren or bent tree under which the Companions swore allegiance to the Prophet. This is known as بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ (The Covenant of Ar-Radwân).

(2) The hadîth which is interrupted here is given by Al-Bukhârî complete with isnâd later on in the story of Hudaibiyyah.

(3) Al-Bukhârî's purpose in citing this hadîth is to show that human saliva, nasal mucus and the like, are ritually clean.

(4) Ibn Abu Maryam is one of Al-Bukhârî's professors, and Al-Bukhârî wishes to show here that he had from him a longer version of the same hadîth, which he records later in his Book of Prayer. This version has the advantage of a higher degree of authenticity in the isnâd, since Humaid "hears" the hadîth from Anas, instead of having it "through" him, as in the former version.

him and give him peace) remained in prostration, without raising his head, until Fâtimah came and snatched the placenta off his back. He then raised his head and said :

‘ O Allâh, take upon thee the requital of these Quraishites,’ three times. This curse cut them to the heart, for they believed that an imprecation made in that *holy* city was always answered. Then naming *each* in turn, the Prophet cried :

‘ O Allâh, take upon thee the requital of Abu Jahl, take upon thee the requital of ‘Utba b. Rabi‘ah, of Shaibah b. Rabi‘ah, of Al-Walid b. ‘Utba, of Umayyah b. Khalaf, of ‘Uqbah b. Abu Mu‘ait’, -- besides a seventh whose name is not remembered. (1)’

‘Abdullâh added : “ By Him in whose hands is my soul, I have seen the men enumerated by the Messenger of Allâh lying dead at Badr, cast into a disused well. ”

CHAPTER 72.

On spittle, nasal mucus and the like, on the clothes ;

وسلم ساجدًا لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ ، حَتَّى
جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عَنْ
ظَهْرِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ :

« اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ !
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ،
إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ ، قَالَ : وَكَانُوا
يَرُونَ أَنْ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ النَّبَلِ
مُسْتَجَابَةٌ ، ثُمَّ سَمَّى : « اللَّهُمَّ
عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ وَعَلَيْكَ
بِعُتْبَةَ بْنِ رِبْعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رِبْعَةَ
وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ
وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَعَدَّ
السَّابِعَ فَلَمْ نَحْفَظْهُ . »

قَالَ : « قَوْلَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِي نَعَدَّ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرَعَى فِي الْقَلْبِ
قَلْبٍ بَدْرٍ . »

— ٧٢ —

بَابُ الْمُبْرَاقِ وَالْمُخَاطِ
وَنَحْوِهِ فِي الثَّوْبِ ،

(1) Al-Bukhâri gives his name in another hadith as ‘Umârah b. Al-Walid b. Al-Mughîrah.

We are informed by ‘Abdân, who had it from his father, through Shu‘bah, through Abu Ishâq, through ‘Amr b. Maimûn, through ‘Abdullâh, who said:—

“ While the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) was prostrated in prayer ⁽¹⁾ by the Ka‘bah, — Abu Jahl and some friends of his being seated near — when they said to one another : ‘ Which of you will go and get the placenta of the camel slaughtered by the Banu such and such, and put it on Muhammad’s back when he is prostrated in prayer ? ’

Then the wickedest man among them ⁽²⁾ hurried off and brought it; and then waiting until the Prophet (Allâh bless him and give him peace) had prostrated himself, he put it on his back between his shoulders, while I — added ‘Abdullah — was looking on helplessly, though if I had had any support, *I should have snatched it off his back*. Thereupon these people began to laugh, each throwing the blame on the other. ⁽³⁾ Meanwhile the Messenger of Allâh (Allâh bless

حدثنا عبدان قال أخبرني أبي عن
شعبة عن أبي إسحاق عن عمرو بن
ميمون عن عبد الله قال :

وَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ سَاجِدٌ (ح) قَالَ وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ
ابْنُ عَثْمَانَ قَالَ حَدَّثَنَا شَرِيحُ بْنُ مُسْلِمَةَ قَالَ
حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ
أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ
مَيْمُونٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ :

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ
وَأَصْحَابُ كُلِّ جُلُوسٍ إِذْ قَالَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : « أَيُّكُمْ يَجِيءُ
بَسَلًا جَزُورٌ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ
عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ ؟ »

فَانْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ
بِهِ فَظَلَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ
وَأَنَا أَنْظَرُ لَا أَغْنِي شَيْئًا كَوْنُ كَانَ
لِي مَنَعَةٌ قَالَ فَجَعَلُوا
يَضْحَكُونَ وَيَحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(1) Or — according to Ahmad b. ‘Uthmân, who had it from Shuraih b. Maslamah, who received it from Ibrâhîm b. Yûsuf, through his father, through Abu-Ishâq, who was told it by ‘Amr b. Maimûn, to whom it was related by ‘Abdullâh b. Mas‘ûd: “The Prophet (Allâh bless him and give him peace) was performing his prayer by the Ka‘bah.”

(2) Namely, ‘Uqbah b. Abu Mu‘ait.

(3) Or — according to Muslim, if يَجْل is read as يَمَل — the meaning is “rocking with laughter”.

mān b. Hurmuz Al-A'raj, who heard it from Abu Hurairah, who stated that he heard the Messenger of Allāh (Allāh bless him and give him peace) say :

“ We are the last in this world and shall be the first in the next.”

With the same isnād he said :

“ Let no one of you on any account micturate in stagnant water, and then use it for his ritual ablution.” (1)

CHAPTER 71.

If filth or any putrid carcase is thrown on the back of one performing his prayer, it is not vitiated ;

and when Ibn 'Umar used to see blood upon his garment while he was performing his prayer, he took it off and continued his prayer ;

and Ibn Al-Musayyab and Ash-Sha'bi said :

“If after anyone hath performed his prayer, he seeth blood or seminal stains upon his garment, or seeth that he hath not faced the Qiblah, or if he hath made a dry ablution and performed his prayer and then afterwards findeth water in time, — he need not repeat his prayer.”

عبد الرحمن بن هرمز الأعرج حدثه أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ »

وَبِإِسْنَادِهِ قَالَ :

« لَا يَبُولُ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ » .

— ٧١ —

بَابُ : إِذَا أُلْقِيَ عَلَى ظَهْرِ الْمُصَلِّي قَذَرٌ أَوْ جِيفَةٌ لَمْ تَفْسُدْ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ ،

وَكَانَ ابْنُ مُحَمَّرٍ إِذَا رَأَى فِي ثَوْبِهِ دَمًا وَهَوَّ يُصَلِّي وَضَعَهُ وَمَضَى فِي صَلَاتِهِ ،

وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ وَالشَّعْبِيُّ :
« إِذَا صَلَّى وَفِي ثَوْبِهِ دَمٌ أَوْ جَنَابَةٌ ، أَوْ لَعْنِيرُ الْقَبِيلَةِ ، أَوْ تَيْمَمَ وَصَلَّى ثُمَّ أَذْرَكَ الْمَاءَ فِي وَقْتِهِ ، لَا يُعِيدُ » .

(1) Al-‘Aini gives two reasons for the combination of these two hadiths under one isnād — first, that Abu Hurairah might have heard both on the same occasion ; and second, that Abu Hurairah prefaced with the first one a number of the hadiths which he transmitted to Hammām, as we find in Al-Bukhārī’s Collection in the Books of Al-Jihād, Al-Maghāzī, ‘Imān, Nudhūr, etc.

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) on being questioned about a rat falling into clarified butter replied: "Throw the rat away together with whatever butter hath been in contact with it."

(Ma'n states that he was told this hadith by Mālik an indefinite number of times, as being received through Ibn 'Abbās from Maimūnah.) (1)

3. We are informed by Ahmad b. Muhammad, who had it from 'Abdullāh, who received it from Ma'mar, through Hammām b. Munabbih, through Abu Hurairah, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace), who said:

"Every wound received by a Muslim in the cause of Allāh shall appear on the Day of Resurrection in the same form as when it was inflicted — flowing with blood of a natural colour, but having the scent of musk." (2)

CHAPTER 70.

On micturating in stagnant water.

We are informed by Abu-l-Yamān, who had it from Shu'aib, who received it from Abu-z-Zinād who was told it by 'Abdu-r-Rah-

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سُئِلَ عَنْ فَارَقٍ سَقَطَتْ فِي
سَمْنٍ فَقَالَ: خُذُوهَا وَمَا حَوْلَهَا
فَاطْرَحُوهُ ،

(قال معن حدثنا مالك ما لا أخصيه
يقول عن ابن عباس عن ميمونة)

٣ - حدثنا أحمد بن محمد قال أخبرنا
عبد الله قال أخبرنا معمر عن همام بن
منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال :

« كُلُّ كَلِمٍ يُكَلِّمُهُ
الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَكُونُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذْ
طُعِنَتْ تَفْجَرُ دَمًا ، اللَّوْنُ
لَوْ نُ الدَّمِ وَالْعَرَفُ عَرَفُ
الْمُسْكِ . »

- ٧٠ -

بَابُ الْبَوْلِ فِي الْمَاءِ
الدَّائِمِ .

حدثنا أبو اليان قال أخبرنا
شعيب قال أخبرنا أبو الزناد أن

(1) Al-Bukhārī wished to establish the isnād back to Maimūnah and to confute those traditionists who omit her and derive the hadith from Ibn 'Abbās.

(2) Al-'Aini's explanation for the inclusion of this hadith under the heading of this chapter is that just as water, ritually clean, can lose its natural characteristics through contact with polluting elements, so can blood, ritually unclean, be transformed into glory through martyrdom.

and on Az-Zuhri having said :
 “There is no harm in *using* water
 so long as it hath not been affected
 by *extraneous* taste, smell or
 colour ;

and on Hammâd having said :
 “There is no harm in feathers of
 dead birds falling in water ;

and on Az-Zuhri having said,
 speaking about the bones of dead
 animals, such as elephants and the
 like: “I have been contemporary
 with many early doctors of Islâm
 who used combs and pigment-
 boxes made of them, without
 seeing any harm in it ;”

and on Ibn Sîrîn and Ibrâhîm
 having said: “There is no harm
 in trading in ivory.”

1. We are informed by Ismâ-
 ‘îl, who had it from Mâlik, through
 Ibn Shihâb, through ‘Ubaidullâh b.
 ‘Abdullâh, through Ibn ‘Abbâs,
 through Maimûnah that :

The Messenger of Allâh
 (Allâh bless him and give him
 peace), on being questioned about
 a rat falling into clarified butter
 replied :

“Throw away the rat together
 with whatever butter hath been in
 contact with it, and eat the
 rest.”

2. We are informed by ‘Ali
 b. ‘Abdullâh, who had it from
 Ma‘n, who received it from Mâlik,
 through Ibn Shihâb, through
 ‘Ubaidullâh b. ‘Abdullâh b.
 ‘Utbah b. Mas‘ûd, through Ibn
 ‘Abbâs, through Maimûnah that :

وقال الزهري : « لَا بَأْسَ بِالْمَاءِ
 مَا لَمْ يُغَيِّرْهُ طَعْمُهُ أَوْ رِيحُهُ أَوْ
 لَوْنُهُ »

وَقَالَ حَمَّادٌ : « لَا بَأْسَ بِرِيشِ
 الْمَيِّتَةِ »

وقال الزهري في عِظَامِ الْمَوْتَى
 نَحْنُو الْفِيلِ وَغَنِيْرِهِ : « أَذْرَكْتُ
 نَاسًا مِنْ سَلَفِ الْعُلَمَاءِ
 يَمْتَشِطُونَ بِهَا وَيَذْهَبُونَ فِيهَا ،
 لَا يَرَوْنَ بِهِ بَأْسًا ،

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ وَابْرَاهِيمُ : « وَلَا
 بَأْسَ بِتِجَارَةِ الْعِجَاجِ . »

١ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي
 مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ
 عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ :
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 سُئِلَ عَنْ كَفَّارَةِ سَقَطَتْ فِي
 سَمْنٍ فَقَالَ : « أَلْقَوْهَا وَمَا حَوْلَهَا
 فَاطْرُ حَوْهٍ وَكُلُوا سَمْنَكُمْ . »

٢ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا
 مَعْنٌ قَالَ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ
 عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْتَةَ
 ابْنِ مَسْعُودٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ :

and to drink of their urine and milk. They did so, and when they were restored to health, they killed the herdsman of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) and carried off the herd. The news arrived in the early morning, and the Prophet immediately sent in pursuit of them, and by midday they were captured. At the Prophet's command their hands and feet were cut off and their eyes put out. They were then thrown into Al-Harrah, ⁽¹⁾ where they begged for drink but were given none. ⁽²⁾ ”

Abu Qilābah added: “For these men had robbed, committed murder, renounced the Faith after embracing it, and made war upon Allāh and his Messenger.”

2. We are informed by Adam, who had it from Shu‘bah, who received it from Abu-t-Tayyāh, Yazid b. Humaid, through Anas who said :

“The Prophet (Allāh bless him and give him peace) before building the Mosque used to perform his prayer in sheep-folds.”

CHAPTER 69.

On polluted matter falling into clarified butter or water ;

فَانْطَلَقُوا فَلَمَّا صَحُوا قَتَلُوا
رَاعِيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَأْتَمَرُوا
النَّعَمَ فَجَاءَ الْخَبِيرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ
فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ فَلَمَّا ارْتَفَعَ
النَّهَارُ جِئَ بِهِمْ فَأَمَرَ فَقَطَعَ
أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَصَمَّتْ
أَعْيُنُهُمْ وَأُلْقُوا فِي الْحَرَّةِ
يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقَوْنَ .

قَالَ أَبُو قِلَابَةَ : وَفَهُؤُلَاءِ سَرَقُوا
وَقَتَلُوا وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ
وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

٢ - حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ
أَخْبَرَنَا أَبُو التَّيَاهِ يَزِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ :
« كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُصَلِّي قَبْلَ أَنْ يُبْنِيَ الْمَسْجِدَ فِي
مَرَابِضِ النَّعَمِ » .

— ٦٩ —

بَابُ مَا يَقَعُ مِنَ
السَّجَاسَاتِ فِي السَّمْنِ وَالْمَلِءِ ،

(1) A place behind Al-Madīnah covered with black stones and scorching with heat.

(2) According to Al-Qastallāni, the punishment was a just retribution for a similar treatment inflicted by these people on the herdsman they had murdered.

According to Ibn Hajar, however, this hadith is suspended by another occurring in the Jihād, forbidding cruelty in reprisals. The former hadith dates from before the revelation of the “sanctions verse” (آية الحدود) .

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

لمؤلفه ابراهيم مسهر المومى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION

(continued)

CHAPTER 68.

On the urine of camels, cattle and sheep, and on sheep-folds ;

and on Abu Mûsa having performed the prayer in a post-house in which there was cattle-dung, while there was open country by the door, saying :

“To pray here or there is the same.”⁽¹⁾

1. We are informed by Sulaimân b. Harb, who had it from Hammâd b. Zaid, through Ayyûb, through Abu Qilâbah, through Anas, who said :

“Certain men of the tribe of ‘Ukl – or ‘Urainah⁽²⁾ – came to Al-Madinah where they fell ill. The Prophet (Allâh bless him and give him peace) ordered them to go out to his milch-camels,

كتاب الوضوء (تابع ما قبله)

— ٦٨ —

بَابُ أَبْوَالِ الْإِبِلِ وَالذَّوَابِّ
وَالنَّعْتَمِ وَمَرَايِضِهَا ،

وَصَلَّى أَبُو مُوسَى فِي دَارِ الْبَرِيدِ
وَالسَّرَاقِينَ وَالْبَرِّيَّةِ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ ،
« كَاهُنَا وَثَمَّ سَوَاءٌ » .

١ — حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ
حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي
قِلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ :

« قَدِمَ أُنَاسٌ مِنْ عُكْلٍ أَوْ
عُرَيْنَةَ فَاجْتَمَعُوا الْمَدِينَةَ فَأَمَرَهُمُ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِقْسَاحِ وَأَنْ
يُشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَالنَّبَاتِهَا ،

(1) That is to say, — on being asked why he prayed in a place strewn with cattle-dung, when the clean open place was near at hand. The purpose of the hadîth is to show that the urine and dung of animals used for food is not ritually unclean.

(2) The narrator is doubtful as to which.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الروح الإسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

— ٦ —

مقومات علاقات الانسان بالعالم الخارجى

إذا أطلق لفظ العالم أريد به كل ما هو موجود من الكائنات . والانسان وإن كان لا يسكاد يحسب له حساب من ناحية الحيز الذى يشغله فإنه بما منح من الخصائص العقلية والروحية ، بمكانة ممتازة منه . فإذا لم يكن هو أرقى الكائنات العاقلة على الإطلاق فهو من أرقاها لا محالة . وقد أفرد كثير من علماء أوربا البحث فى مكانة الانسان من العالم بالتأليف ، حتى إن الداروينيين الذين يقولون بتحول الانسان من حيوان أدنى منه ، لا يرضون عليه بهذه المكانة الممتازة ، وإن كانوا لا يؤمنون بوجود روح فيه مستقلة عن المادة ، ومتنزلة من عالم أرفع منها .

وقد اعتبر العلماء الطبيعيون ثبوت علوم مكانة الانسان فوزا كبيرا لهم على الأديان ، فقد زعموا أنها تحقر من شأنه ، وتحط به الى ما لا يتناسب ومواهبه السامية ، وتعمل على إذلاله بضروب من التكاليف الشاقة تحت اسم العبادات ، وتحاول الاستيلاء على ضميره بما تصوره له من صور الثواب والعقاب فى دار بعد هذه الدار .

وهذا تجربتهم ظاهر من خصوم الأديان ، فإنها قررت جميعا أن الانسان من روح الله ، وليس بعد هذا رفع مكانة مخلوق فى هذا العالم . فإن آنس هؤلاء الخصوم بعد هذا تكاليف شاقة فرضت على بعض طوائفه ، وتقاليد مذلة حتم عليها القيام بها ، فذلك

من وضع زعمائها وقادتها ، إما خطأ منهم في تقدير قدر الفطرة الانسانية ، وإما جرياً وراء مطامع لهم لا تنال إلا من ناحية تسخير الشعوب لإرادتهم .

وإذا وجد هؤلاء المخلصون كلاماً يقولونه من هذه الناحية في جميع الملل ، فإنه يعز عليهم أن يجدوه في الاسلام ، اللهم إلا بهتاناً وتجنياً .

الاسلام كسائر الأديان السماوية يقرر بأن الانسان خلق من الطين ، ونفخ فيه من روح الله ، ولكنه يزيد عنها في الإشادة بسموه ، وفي تعليل هذا السمو ، وفي تحديد مدى سلطانه على العالم الخارجى ، بما يتناسب والمعلومات العصرية الحاضرة ، ويتمشى وإياها جنباً الى جنب .

وقد ذكر الله كل ذلك في كتابه الكريم ، فنقتبسه منه ، ونشرح منه ما يستقى الشرح ، قال تعالى :

«وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ . وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ » .

هذه المحاوره تمثيل لما جاش في صدور الملائكة عند خلق الله للانسان ، وليست هي كما يدل عليه ظاهر الألفاظ جدالاً بين الله وهؤلاء الملائكة ، لأنه يقتضى ما ينافى التنزيه الذى جاء به الاسلام .

ومؤداها أن الملائكة عند ما علموا بوشك خلق الله لكائن يجمع بين طبيعتين متناقضتين إحداها سفلية أرضية ، والأخرى علوية روحانية ، أدركوا أنه سيكون متنازعا بين دواعيهما ، فيميل تارة الى هذه وتارة الى تلك ، وفي الميل الى السفلى الفساد على ضروبه وسفك الدماء ، ومثل هذا الكائن كيف يصح أن يكون خليفة لله في الأرض ، أى مكلفا بتحقيق مقاصده فيها ؟ فأجابهم بحجب من صميم معرفتهم بالله ، أنه يعلم ما لا يعلمون .

وتلا هذا أن خلق الله آدم ، وطبع في صميم معناه كل ما هو مستعد له النوع الانساني من الرقي الصوري والمعنوي ، والسمو الروحي والمادى ، فلما تبين للملائكة ذلك ، قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . وأكبروا شأن الانسان ، وأدركوا أنه أهل خلافة الله في الأرض .

فأنت ترى من هذا مبلغ تشريف الله لقدر الانسان ، وسمو الفطرة التي فطره عليها ، وبعد الغاية التي خلقه لها . فهو معتبر في الاسلام بأنه خليفة الله على العالم الذي وجد فيه ، يسير فيه سيرة المرشد الربى ، الممهدة له طرق الترقى ، وأنه أهل لأن يبلغ شأوا يبرز فيه الملائكة ، ويكون فيه أهلا لتبجيلهم وتمظيمهم باعتبار أنه أرفع درجة منهم ، وأنه قد دفع به الى ترقى مادى وأدبى لا يقف عند حد ، بحيث يرى الملائكة الأعلى أن النظر اليه من موجبات تسبيح الله على سمو جبلته .

وقد نبه الله في كتابه الى أن سمو هذه الفطرة الانسانية قد اقتضى أن تسند اليه المهام التي تقتضيها اخلافة الالهية في الأرض ، فقال الله تعالى : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

فهذه الآية السكرية تشير الى بعد مدى سلطان الانسان على العوالم المادية ، إذ ليس بعد تسخيرها له مرمى فى تسليطه عليها ، ومثل هذا القول من المعجزات الفلسفية للكتاب الإلهى ، فلم يقل به أحد قبل القرن التاسع عشر من الناحية العلمية . فقد اعتبر الكون

دائماً مجهولاً مرعياً ، وقد أله قواه المختلفة الأقدمون وعبدوها . وكان الانسان منذ زمان قريب إذا سمع جاجلة الرعد ، وهزيم الرياح ، ولمح وميض البرق ، أخذته رعدة وكاد يصعق فرقا . ولكننا آنسنا أن الانسان كما سخر الماء والنار ، وذلل الكهرباء والبخار ، وكبح جاح الأهوية والبحار ، عامل على تسخير بقية العوالم ، فما لا يصل اليه بجواسه المجردة ، صوب اليه من آلاله وأدواته ما يقتاده خاضعا مستسلما .

هذا السلطان العظيم الذي استتب للانسان في هذا العالم ، قد كشف عنه الاسلام قبل أن تظهر بوارده ، بل قبل أن يطعن الانسان على وجوده في الأرض ، وهو ما كشف عنه وأحاطه بضروب من الإكبار ، إلا وهو معتبر إياه حقاصريحا للانسان ، بل مظهر ما غرسه في صميم معناه من القوى المؤدية اليه . فلا نقول والحالة هذه إن الاسلام يسمح بأن يشتغل الانسان في ترقية المحسوسات وإيصالها الى كمالها ، ولكننا نقول إنه مخلوق لذلك بحكم الفطرة التي فطره الله عليها ، وعده بسبيلها خليفة له في الأرض . فالمسلم الذي يتلو القرآن حق تلاوته ، ويتبع سبيل المؤمنين قبله ، يتأدى حتما الى مثل ما تأدوا اليه من الترقيات الصورية والمعنوية ، بالعمل المتواصل فيها ، كما عمل آباؤه حتى بلغوا غاية من الارتقاء لم يصل اليها أحد قباهم .

كثيرا ما عجب الباحثون من شدة نهَم المسلمين في الأخذ بكل ما وجدوه صالحا ونافعا في الأمم التي احتكوا بها ، ومن سرعة ما هضموه وتمثلوه غير مفرقين بين مصادره مادام خيرا محضا ، أو مادام خيره أكثر من شره ، حتى جمعوا بين مالم يكن مجموعا قباهم من علوم أم كان بينها بعد المشرقين ، ومن صنائع وفنون كانت معروفة عند قوم ومجهولة عند آخرين . فلو كانت أمة تدين بالمادية الباحثة لما استطاعت أن تبلغ شأو المسلمين الأولين فيما بلغوه في سنين معدودة ، فما ظنك وهم مع ظهورهم بهذه المهمة المفرطة للعلوم والصنائع والفنون كانوا يمثلون أرقى ضروب المتدينين الصادقين ، حتى قيل إنهم بزوا العالم أجمع في شدة تمسكهم بالدين ، وسلوكهم طريق الزاهدين الخجطين .

حل هذه المسألة لا يعسر على العارف بالاسلام ، ولا يستدعى الاطالة فى القول ، ذلك أن القرآن صرح بأن فى الانسان من قيوم السموات والأرض نفحة روحانية ، ظهرت بأجل المظاهر وأكبرها شأنًا فى العقل والتفكير ، وفتح آفاق بعيدة فى العلم والمعرفة ، وعدم وقوفه عند حد من النظر والاستدلال ، وفى شعوره الصميم بأنه أرفع من هذا العالم المادى المحسوس .

وقد نص الكتاب فوق هذا بأنه قد سُخر له مافى السموات ومافى الأرض ، وأن الله قد أقامه خليفة له فى هذا العالم ، فكل هذه الأصول تزيد ارتباطه بالعالم الخارجى ، وتورطه فى شئونه ، لا ارتباط الجزء بالكل فحسب ، ولكن زائداً عليه شعورا بالهيمنة والسلطان ، فلا غرو أن ينظر كل مسلم الى السكون نظر الخليفة فيما وكل اليه أمره ، ليستطيع أن يضطلع بمهمته ، فتراه مضطرا لسبر غور كل غامض من غوامضه ، وتقدير بعد كل غاية من غاياته ، وتحايل تركيب كل كائن من كائناته ، متأثرا بدافع العجلة ، لأن قصر مدى الحياة لا يناسبه التسويف والتألم .

هذا هو السبب الحقيقى الذى جعل المسلمين الأولين العامين بالدين ، يتذرعون بهذا النهم المفرط لتحصيل المعارف والعلوم ، والإلمام بالصنائع والفنون ، مما لم يكن معروفًا لديهم ، ثم الاشتغال بدرسها وتمحيصها وزيادة مادتها والتطوع لنشرها بين الناس كافة . وفيه دليل عملى على أن المقومات التى وضعها الاسلام لتنظيم العلاقات بين الآخذين به والعالم الخارجى هى أرقى المقومات وأكرمها وأكثرها بركة .

نعم إن الانسان مدفوع بدواعى الحاجة الى تعرف أسرار الموجودات والاستفادة منها ، فهو ليس فى حاجة لمن ينهبه الى ذلك ، ولكن هناك فارقا بين من يندفع فى هذه السبيل بواسطة الحاجة المادية ، ومن يسلكها محفوزا فوق هذا الدافع بدافع أرق منه ، وأعلق بالنفس ، وهو أنه فى عمله فيه يقوم بخلافة مبدعه عليه ، والخلافة تقتضى

الهيمنة ، والتنظيم ، والتربية ، والتكميل كما قدمنا . وكل هذه الصفات تقتضى أن يمتصها الانسان من غرائزه ، وأن يستثيرها من أعماق طبيعته . فهل تعجب بعد هذا من قول التاريخ إن المسلمين كانوا أشد الأمم عملا في استغلال الطبيعة ، وتسخير قواها ، والابداع فيها ، وأنهم في الثلاثة القرون التي كانوا عاملين فيها بدينهم قد جابوا للانسانية من الخير العام ما لم تجلبه لها الأمم كلها مجتمعة .

ومما يجب لفت نظر القراء اليه أن المسلمين أسسوا علاقاتهم بالوجود الخارجى على ما ذكرنا ، وتكلموا في كل منحنى من مناحى العلم ، وجالوا في كل مجال من مجالات الفلسفة ، ولم يصطدموا بالدين في أية مسألة من المسائل التي تؤم فيها ظواهر النصوص الكتابية ، خلاف ما تثبته المقررات العلمية ، وهى العقبة التي اضطرت الكنيسة في أوربا الى منع البحث العلمى أكثر من ألف سنة أى من القرن الخامس الى السادس عشر . فهذه ميزة للاسلام لم يثبت تاريخ العالم لها نظيرا لأمة من الأمم ؟

محمد فريد وهبى

اتقاء مساخط الله

شاور معاوية الاحنف بن قيس فى استخلاف ابنه يزيد ، فسكت الاحنف . فقال له معاوية : مالك لا تقول ؟ فأجابه الاحنف : إن صدقناك أسخطناك ، وإن كذبتناك أسخطنا الله ، فسخط أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله . فقال أمير المؤمنين : صدقت . وكتب عائشة رضى الله عنها الى معاوية : أما بعد فإن من يعمل بمساخط الله يصير حامده من الناس ذاما له والسلام .

وكتب أبو الدرداء الى معاوية أيضا : أما بعد فإنه من يلتبس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله الى الناس . أرسل أبو جعفر المنصور الى سفيان الثورى ، فلما دخل عليه قال عظمى أبا عبد الله . فقال له سفيان : وما عملت فيما علمت فاعظك فيما جهات ؟ فجاوبه المنصور جوابا .

التفسير

سورة لقمان

- ١ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هي السورة الحادية والثلاثون ، وآيها أربع وثلاثون ، وقيل ثلاث وثلاثون ، وهي مكية كلها ، واستثنى بعضهم ثلاث آيات ، هن قوله تعالى : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلامٌ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » الى قوله عز وجل : « وأن الله بما تعملون خبير » روي أنها نزلت بالمدينة ، وروي في سبب نزولها أن أحبار اليهود بالمدينة قالوا له صلى الله عليه وسلم : بلغنا أنك تقول : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » أعنيتمنا أم عنيت قومك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : كلا عنيت ، فقالوا : إنك تعلم أنا أوتينا التوراة وفيها بيان كل شيء ، فقال صلى الله عليه وسلم : ذلك في علم الله قليل ، فأنزل الله عليه هذه الآيات الثلاث ، وقيل بل آية « ولو أن ما في الأرض » والتي بعدها . وقال بعضهم : السورة مكية كلها إلا آية « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » فإن فرضية الصلاة والزكاة كانت بالمدينة . وهذا مردود ، فإن الصلاة فرضت ليلة الإسراء بالاجماع ، والإسراء كان قبل الهجرة ، على أن الصلاة كانت مشروعة قبلها : ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي على ما روى ، والزكاة أيضا شرعت في مكة ، وإن كان تحديد الأنصبا على هذا الوجه المعروف كان بالمدينة ، فهي داخلة في البر المطلوب شرعا المرغب فيه على كل حال ، بل هي من الشرائع القديمة كما يدل عليه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه

وعلى نبينا الصلاة والسلام: «وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا». فإذا كان إيجابها على هذا الوجه المفصل ببيان الأنواع والأُنصباء بالمدينة فلا ينافي مشروعيتهما والترغيب فيها ولو ندبا قبل ذلك، فلا يدل اشتغال الآية على الزكاة وامتدادها فاعليها على أنها مدنية. قال تعالى: «بسم الله الرحمن الرحيم. اَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ اَلْكِتَابِ اَلْحَكِيمِ»: سبق لنا الكلام في تفسير البسملة بما يناسب مشربنا في هذه المجلة من الاختصار على زبدة ما يفيد ويناسب جمهرة القارئین. ونجتزئ هنا بإعادة ما خص وجيز نرجو منه إفادة ما لا بد منه، ونأمن به الوقوع في صريح التكرار.

وكذلك نسلك هذا المسلك الموجز بتلخيص ما سبق لنا تقريره في تفسير الحروف في فواتح السور، والله المستعان:

«بسم الله الرحمن الرحيم»:

الباء للاستعانة، والاستعانة تطلق على معنيين، أحدهما غير مراد هنا، وهو ما يدل عليه الباء الداخلة على الآلة كقولك: كتبت بالقلم وقطعت بالسكين. فعنى الاستعانة في هذه الباء أن مدخولها مساعد للفاعل في تحصيل فعله، مستخدم استخدام المسخر في يد المسخر. والثاني وهو المراد هنا وهو ما يدل عليه الباء الداخلة على من يستمد منه القوة على الفعل، فكان المستمعين يبرأ من قوته بنفسه، ويظهر أن إمداده بالقوة التي بها يباشر هذا الفعل هو من مدخول الباء، وعليه يكون المستمعين كالفرع في العمل للمعين، وموهبة القوة والاقتدار على العمل آتية من ناحية المعين بالأصالة، وسرت الى المستمعين بطريق الفرعية، وهذا يتجلى واضحا فيما تسمعه من ألسنة الناس حين يقولون: فلان يجمع التبرعات باسم الجمعيات الخيرية، أي أنه استمد منها مقدرة على مطالبة الناس بما ليس له حق في المطالبة به إذا رجع الى ذاته هو، وكذلك يقول القائل: أنا أقبض على فلان باسم القانون، ومعنى ذلك أني أستمد السلطة التي تمكنني من القبض عليه وتقييد حريته من سلطة القانون، ولولا استنادي إليها ما كان لي عليه

حق . ويقول القائل : أنا أنهما كم عن هذا العمل باسم الدين ، أى أنى مستند فى منعكم ومصادر تركم فى هذا العمل الذى تركبون الى قوة الدين التى لا قبيل لكم بمخالفتها والخروج عليها .

ويقول المبتدىء فى عمل يحتاج فيه الى حفظ قوة ومضاء عزيمة واستمداد معونة عظيمة ، يقول : باسم الله ، أى أنى أستمد العون على هذا العمل العظيم من الله القوى القدير ، وحسبى استنادى الى تلك القوة الفادرة التى لا يقف فى طريقها عرقله لا مضى فى طريق مساعدا مسددا ، فتجد فيها فوق سؤال المعونة من الله تقوية العزيمة ، وحفز الهمة ليمضى فى عمله غير وان ولا كسل ، وهو مع هذا سائل ربه أن يفيض عليه من معونته ما به يتم عمله على وجهه الأكمل .

ترى من هذا التقرير أن الآتى بالبسملة يسأل الله المعونة ، والسؤال إنما يتوجه الى ذات الله عز وجل ، ثم يستحضر ذاته عز وجل استحضارا يقوى إرادته ، وكأنه يضمن له النجاح فى عمله ، ووسيلة استحضار الذات الأعلى هو إحضار اسمه الكريم فى ذاكرته ، يشعر أنه مستمد العون من قوة تضمن له النجاح ، وهذا هو السر فى ذكر لفظ الاسم ، وهذا هو المعنى الذى تفهمه ويتبادر الى ذهنك حين تسمع الاستعمال على هذا الوجه كما فى الأمثلة التى سردناها لك آنفا . فلفظ (اسم) يقال لما به استحضار المسمى ، فهو من السمة بمعنى العلامة الدالة . ويرى بعضهم أنه من السمو بمعنى العلو ، ويتمحل لذلك توجيهها بعيدا عما يتبادر الى الفهم إذ يذكر لفظ اسم أو أحد مشتقات هذه المادة كقولك سميتك وسميتك وسميتك وسميتك ، وإنما يتبادر منها معنى ما يدل عليه ويعتبر علامة له . وحاصل توجيههم الذى أشرنا اليه هو أن الشيء لا يزال مغمورا فى ظلمات الجهالة حتى يوضع له اسم فيرتفع ويسمو به إذ يكون ظاهرا معروفا . فانظر تجدهم قد استعانوا فيما يزعمون من رفعته وعلوه بظهوره وحضوره فى الذهن ، فكأن الحضور فى الذهن هو أول ما يتبادر من مادة اسم ، ولفظ الجلالة اسم للذات

الأقدس الجامع لكل صفات التنزيه والتعجيد، ومعنى صفات التنزيه الصفات التي معناها سلبى، كالوحدانية وعدم المثل والشريك، والبقاء والقدم. ومعنى صفات التعجيد الصفات الدالة على المعنى الإيجابى، كالعلم والقدرة، والتدبير والخلق والرزق، والرحمة والإِنعام.

فأسماء الله الحسنى تجدد لكل اسم منها معنى خاصا يدل عليه، وأما لفظ الجلالة فاسم للذات المنزهة عن كل ما لا يليق، المتحلية بكل كمال إلهى.

و«الرحمن الرحيم» صفتان مشبهتان من الرحمة بمعنى الإحسان، ومعنى الرحمن: من له تلك الآثار العظيمة التي تتجلى أمامنا فى كل مظهر من مظاهر الوجود، خلق هذه الكائنات علوياً وسفلياً، وإعطاء كل عالم منها منتهى كماله وغاية نظامه، وتعمدها بالتنمية والحفظ والمعونة على وصولها الى مراتب كمالها، كل أولئك أثر من آثار رحمته، فهو المفيض للرحمة إفاضة لا ينكرها أحد من العالمين، ولو استطاع لسان أن ينكرها لحظة حين يفقد نعمة من النعم فإن لسان حاله لا يلبث أن يفطن لباقي نعمه فيلجأ اليه عز وجل فى أن يحفظها عليه. وهل المتنحر الذى يلقى بنفسه فى ظلمات الهلاك ترى علة لا تنحاره إلا أنه فقد فى نظر نفسه بعض نعم الله عليه فلم يطق لفقدها صبراً، فجره جزعه الى أن ينسحب من بقية النعم لأنه لم يطق الصبر على فقد نعمة واحدة منها؟ ومعنى الرحيم: الذى دلت آثار رحمته المتوالية وتكررها وظهورها باطراد فى كل حال وفى كل عالم، علوى أو سفلى، نوع أو فرد، دلت تلك الآثار على أن رحمته من ذاته ثابتة راسخة لا تعثرها التبدلات، ولا يخشى عليها التقلبات. وصيغة فعيل أكثر ما تستعمل فى المملكات الراسخة كقولهم: شريف وكرم وبخيل وشحيح وأمثال ذلك، فكانه بالوصفين يشار الى مظاهر الرحمة التى نراها فى كل شىء، والى أن ذلك من الصفات الراسخة كرسوخ المملكات، ولله المثل الأعلى، وإلا فلا يقال فى جانب الله ملكة ولا حال، ويكون تقديم صيغة الرحمن على صيغة الرحيم من باب تقديم الدليل على المدلول

أو المقدمات على النتائج، فإن من رأى تلك المظاهر الرحوتية متوالية في كل شيء وفي كل آن، جزم بأن رحمته ذاتية ليست متكلفة.

ويفسرهما بعضهم بأن الرحمن هو المنعم بجلال النعم، والرحيم هو المنعم بدقائقها. فالأولى كنعمة الإيجاد والإيمان والتخليد في دار النعيم، والثانية كتييسير بعض أمور جزئية مما يعتبر أمرا كماليا، أو مصادفة مطلب بقرب كان ينتظر أن يكده فيه كثيرا، وقالوا في توجيههم: إن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى. ولفظ رحمن مركب من خمسة أحرف باحتساب المدة بعد الميم، ولفظ رحيم مركب من أربعة، ويكون وجه تقديم الرحمن على الرحيم البدء بالأهم، ثم تعقيبه بما هو كالنعم له، الدلالة على أنه واهب كل شيء كبيرا كان أو صغيرا. ونرى التوجيه الأول أدق، والله أعلم.

«السم» :

هذه أسماء للحروف التي يتركب منها الكلمات، وقد اختلف المفسرون في المراد منها في فوائح السور، فقليل هي من التشابه الذي استأثر الله بعلمه، وقد روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: لكل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور. والحكمة في بدء السور بها وإن لم يفهم المراد منها أن فرع السمع في أول الكلام بما يعي النفوس فهمه دافع لها أن تلتفت وتصفى وتزيد يقطتها وتستعصى في التأمل، فيزداد بذلك انتفاعها بتفهم ما يلقي عليها، وذلك أن النفوس مولعة بتتبع ما لم تفهمه، والاستقصاء في البحث عنه، فلا تزال تردد ذهنها فيه، وكلما ازدادت تأملا ازدادت من فوائده استنباطا وانتفاعا، والقرآن لا تنقض عجائبه كما روى ذلك عن علي كرم الله وجهه. وأيضا في احتواء القرآن على ما لم يفهم، وهو معنى التشابه في رأى الكثير، اختبار للإيمان بالغيب الذي امتدح الله عز وجل صاحبه، فهو في الأقوال بمنزلة التكليف بما لم تعرف حكمته تفصيلا من الأفعال، كرى الجار في الحج، يختبر به رسوخ الإيمان في النفوس، وقوة اعتقادها بحكمة الأمر، فهي نطيعه فيما فهمت حكمته وفيما لم

تفهم ، وهى تؤمن بأن ما أنزل على يد الصادق المصدق هو من عند الله سواء فيما فهمته وفيما لم تفهمه ، وهذا لا يكون إلا حيث يرسخ الإيمان بصدق المبلِّغ في النفس رسوخاً لا يزله تعاصى فهم بعض ما بُلِّغ قياساً له على ما ملأها يقينا وإيمانا .

ومن حكمته أيضاً أنه يوجه نفوس المعرضين الى الاستماع ، فيهمج عليهم مما يليه من آيات الكتاب الحكيم ما يملك عليهم حواسهم ، ويجذب الى الهدى نفوسهم ، فقد كانوا يقولون بعضهم لبعض : لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، فلما أنزلت السور المبدوءة بحروف الهجاء وقرع سمعهم ما لم يألفوا ، التفتوا وإذا هم أمام آيات بينات استهوت قلوبهم ، وجذبت اليها عقولهم ، فكان يؤمن من أراد الله له الإيمان ، ويقترب من الإيمان من شاء الله تأخيره الى أوان ، وتقوم الحجة في وجه أهل العناد والطفیان .

وقيل : بل المعنى المقصود منها معلوم ، وكونها من التشابه لا يمنع ذلك ، فالتشابه يعلمه الله والراسخون في العلم ، فإن الوقف في آية آل عمران وهى قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » هو على قوله : في العلم . قالوا وإلا كان القرآن مشتملاً على ما لم يفهم معناه ، فلم يكن تبياناً وهدى ، ولم يكن بلسان عربى مبين ، ولم يصلح جميعه للتحدى به ، فإنه لا يتأتى التحدى بما لم يفهم . وعلى هذا قيل : إنها أسماء للسور المبدوءة بها ، ولا يضر اشتراك مسميات عدة في اسم واحد ، كما يسمى جماعة كل منهم بمحمد أو عبد الله مثلاً ، ويكون التمييز بينها بإضافة كلمة أخرى نحو آسم البقرة وآسم آل عمران ، وآسم لقمان ، وهكذا ، فطس ، ويس ، وق ، ون ، كلها أسماء للسور المبدوءة بها ، ولا يضر أن تسمى السورة بأول كلمة منها لتعرف به . وقيل بل هى أسماء للحروف التى تذل عليها فى التهجى وإنما ذكرت لبيان أن ما سيتلى عليهم ويعجزون عن معارضته هو مؤلف مما تناله قدرهم ويدور دائماً على ألسنتهم ، فلا تعاصى فى مادته على أحد منهم ، فإذا عجزوا عن تأليف هذه المادة للسورة تأليفاً يضاهى ما أنزل اليهم ، وقد زعموا أنهم أمراء الكلام وفرسان البيان ، تمت عليهم الحجة بأنه ليس من تأليف

البشر ، ووجب أن يعترفوا بأنه من عند الله الحكيم العليم ، وقيل بل هي إشارة الى أسماء وصفات ، فالألف إشارة الى لفظ الجلالة : الله ، واللام إشارة الى اسمه تعالى لطيف . والميم إشارة الى اسمه تعالى الملك ، أو الألف إشارة الى الله ، واللام إشارة الى جبريل ، والميم إشارة الى محمد ، وكأن المعنى : الله نزل جبريل بالوحي الى محمد . وهي معان كما ترى لا تنبئ على قاعدة معلومة ، وهي أشبه بتجليات صوفية منها بمعان تنبئ على قواعد ثابتة ، فلعل أظهر هذه الأقوال إن قلنا إن المراد منها معلوم ، هو أنها أسماء للسور ، ولعل أظهر منه أنها من المتشابه ، وحكمة الإنيان به ما قدمناه ، والله أعلم .

« تلك آيات الكتاب الحكيم » :

نجد ما يشبه هذه البداية في كثير من سور الذكر الحكيم : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » سورة البقرة . « المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكري للمؤمنين » سورة الأعراف . « الر تلك آيات الكتاب الحكيم » سورة يونس . « الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » سورة هود . « الر تلك آيات الكتاب المبين » سورة يوسف . « الر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق » سورة الرعد . « الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » سورة الحجر ، وغير ذلك من السور .

ولعل من السر في هذه البداية أن التنويه في أول الكلام بشأنه ، وجعله هو الكتاب الجدير بأن يستحق هذا الاسم من بين الكتب أو جملة آيات الكتاب ، وأن كل جزء متعارف منه مستقل بالقصد والإفادة آية على أنه منزل من حكيم عليم ، أو أنه كتاب قد أحكمت آياته وفصلت من لدن حكيم خبير ، أو ما شابه ذلك من الصفات المشوقة لما سيتلى المبينة لمنزله ، أقول : لعل من السر في تلك البداية أن التنويه بشأن الكلام في بدايته يبعث على الإصغاء اليه ، والاستماع بتدبر ، والتوجه بانتباه ويقظة ، فتمتلى النفس بالنور والهدى المنبعث من جنباته ، فتكمل بذلك الرحمة للخلائق ، وهو المقصود

الأم . وحاش لله أن يكون هذا من قبيل التباهى والفخر الذى يعتمد اليه بعض الشعراء .
تساميا وتعاليا ، وإنما هو من باب إشادة الناصح بقدر نصيحته حتى يكمل الانتفاع بها ،
والتحلى بحلالها ، والتخلق بما ندعو اليه .

والإشارة فيها إما للسورة المبدوءة أو للقرآن بجملة . ولا يقال كيف والجملة التى فيها
الإشارة جزء من المشار اليه ؟ لأنه لا مانع من أن يكون فى جزء الشئ الإشارة الى
جملة ، وإنك لتجد فى كثير من قصائد الشعراء أبياتا فى وصف القصيدة والتحدث عنها
وهى معدودة من جملتها ، كقول بعضهم فى آخر قصيدة فى النصيح :

وإليكمها وضاحية ضمنتها الدرر الحسان

فإن اقتديت بها اهتدي وإن أبيت فلا أشان

فهما بيتان يصفان القصيدة برمتها ، ومع ذلك فهما معدودان جزءا منها ، وهو مستفيض
كثيرا فى لسان البلغاء .

والآيات جمع آية بمعنى العلامة ، وأكثر ما تستعمل فى المعنى يسكون معهودا بين
متخاطبين يتخذ أحدهما دليلا على صدق رسوله الى صاحبه ، تقول لرسولك : قل لفلان
بآية ما كان يبنى وبينه من حديث فى موضوع كذا حين تقابلنا فى موضع كذا .
ووجه حسن هذا الاستعمال هنا أنه يشير الى ما أودع الله فى فطرة الانسان من شواهد
يعلمها من نفسه ، فيعترف أن واهبها وموجدها هو المهيمن على العالم ، المتصرف فيه
بقدرته وإرادته ، وأن النواميس التى بثها فى أجزائه وجعلها عادة مطردة فى خلقه لا تخضع
فى اطرادها أو تخلفها لإلله ، فإذا ما خرقت العادة فيها على يد واحد من عباده خرقا
مقترنا بدعواه أنه مرسل من قبل الله عز وجل ، كان هذا الخرق كالتذكير لبنى
الانسان بما أودع فى فطرتهم ، وجعله شاهدا على ربوبيته لهم ، وأنه الذى خلقهم وتوهمهم
برحمته وتداركهم بهديته ، وأن هذا كالمهد بينه عز وجل وبين خلقه ، فإذا جاءهم
الرسول يحمل هذه الأمارة كان ذلك دليل صدقه . وهذا المعنى له نوع اتصال بما أشبه

اليه في قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » على ما يراه بعض المحققين من المفسرين من أن هذا الاشهاد بواسطة ما أودع في خلقهم من دلائل ، وبثه في نفوسهم من شعور يحلمهم على الاعتراف بأنهم وكل ما يتصل بهم مربوبون لرب العالمين ، فكذلك هنا قد جعل بمنزلة المعبود بين الله وخلقهم ، ما غرس في نفوسهم من تصديق الرسول يأتي بأية ليست في متناول أحد غيره إلا من اختصه المرسل بها ، فيعلم أنه ما خصه بها إلا ليؤيده ويصدقها ، وتكون الآية بمنزلة : صدق عبدى في كل ما يبلغ عنى .

ولقد سبق لنا القول في المجلة في تفسير قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم » الآية ، في العدد الأول من المجلد السادس ، فعسى أن ترجع اليه .

والكتاب : أصله من كتب بمعنى جمع ، ومنه قولهم الكتيبة لأفراد الجيش المجتمعين . والحكيم بمعنى الحكم ، أى الذى وضعه صاحبه على وفق الحكمة ، وهى وضع الشئ فى المحل اللائق به ، أو بمعنى المشتمل على الحكمة الداعى اليها الهادى الى سبيلها . وفى القرآن ولله الحمد المعنيان ، فهو محكم الترتيب ، متقن الوضع ، وهو أيضا مشتمل على الحكمة داع اليها هاد الى سبيلها . ويرى بعضهم أن نسبة الحكمة اليه على طريق التجوز أى الحكيم منزله ، فإن الحكمة صفة فى الأصل لمن له العلم ، وهذا متحقق فى المنزل جل شأنه ، ولكن فى التوجيهين السابقين ما يغنى عن هذا التجوز وإن كان فى ذاته مما يصح .

نسأله تعالى أن يفيض علينا من هدايته ، ويحققنا ببالغ حكمته ، إنه سميع مجيب .

ابراهيم الجبالى

حياة محمد

بقلم الدكتور هـ . فوستر

شبهات داحضة ، وحملة فاشلة

نأتى اليوم على ملخص ما أورده الدكتور فوستر من الشبهات على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فى مجلة (ذى مسلم وورلد) التى تصدر بنيورك ، ونقبها بما يدحضها من الحقائق التى لا يختلف فيها اثنان .

ملخص شبهات الدكتور فوستر ، قال :

« إن محمداً وإن كان قد أعلن عن نبوته مفاجأة ، فإنه كان قد استعد لها استعداداً عظيماً من اتصاله باليهود والنصارى .

« لا يوجد شك فى أن محمداً نشأ على دين آبائه مشركاً ، ويحتمل أن اشترازه من عبادة الأوثان ومن ذبوع الشرور والآثام بين أهل مكة إذ ذاك ، قد دفعاه الى الرجوع لدين قومه القديم وهو دين ابراهيم . فقد ألح فى أنه كان الدين السائد عليهم .

« ولكن الأكثر احتمالاً أن فكرة التوحيد جاءت من محادثاته مع اليهود والنصارى ، واكونه لا يعرف العبرية ولا اليونانية ، فلم تتح له فرصة الاطلاع على هذين الدينين فى مصادرهما الأولية ، ولكنه تلقف حكايات عنهما من البسطاء لا المتعلمين ، لذلك سرت اليه تلك التحريفات الغريبة والاضافات ، مما أقحم فى الإنجيل بعد نزوله ، وهى نتيجة الخيال البشرى الذى لا يقف عند حد ، فأساء محمد فهم المسيحية ، ولكنه لم يشكر أن اليهودية والنصرانية كانتا من آثار العناية الإلهية لا نفاذ الناس من الشرور ، وكان الاسلام فى اعتقاده آخر الأديان وأكملها .

« إن محمداً ينجح الى توحيد اليهود أكثر من جنوحه الى توحيد النصارى ، فهو

لم يفهم روح المسيح . وقد كانت المسيحية الشرقية على عهده غارقة في الطقوس الدينية الملتبسة بالوثنية ، حتى نسيت الفدية والغفران والإخاء مع الله ، وطاعة قانون الحب العام . لذلك عاقبها الله بأن سلب عليها سبيل الاسلام المدمر . وإن الكنيسة الغربية اليوم التي لاتعنى بغير الشعائر الدينية ، وفن البناء ، وجمع الثراء ، تعرض نفسها لسقوط شبيه بذلك السقوط .

« وإن أحاديثه مع أهل الديانات الكبرى وإن كانت أكثر تأثيرا في إعداد عمله الذي قام به ، فإن لاقتداره الشخصي في استغلال شوق الناس الى النعيم العظيم ، وهلعهم من العذاب المقيم ، تأثيرا أيضا في جذب الناس الى ديانته ، فقد كان من هذه الناحية يبرز (دانتي) في الوصف وسعة الخيال ،
ردنا على هذه الشبهات :

يقول الدكتور فوستر: إن محمدا قد استمد لنبوته استعدادا عظيما باختلاطه باليهود والنصارى ، ولم يقل كيف يكون الاستعداد للنبوّة ؟

لا مشاحة في أنه يريد بالنبوّة النبوة الكاذبة ، ويريد بالاستعداد لها أن يتعلم مدعيها المسائل التي تعنى بها الأديان ، والأساليب التي تتبعها في بث تعاليمها ، والفلسفة التي تدعّمها بها .

فأما المسائل التي تعنى بها الأديان فلا يجملها أحد ، سواء أكان وثنيا أو موحدًا ، لأنها ميراث عام للبشر كافة ، وهي لا تعدو سبع مسائل رئيسية ، وهي العقيدة في الله وفي الروح ، والخلود في حياة بعد هذه الحياة ، وفي وجود العالم الروحاني ، وفي الأنبياء والمرسلين والكتب الإلهية ، وفي صحة العقاب والثواب الأخرويين ، وما يتبع ذلك من الدعوة الى عقائل الأخلاق ، وكرائم الآداب .

بقيت الأساليب التي تتبعها الأديان في بث تعاليمها ، والفلسفة التي تستند على أصولها

في تدعيمها ، مما أطلق عليه اسم علم اللاهوت ، وهذا هو الذى يحتاج لدراسة طويلة ، وتفكير عميق .

فهل هذا العلم هو الذى استعد محمد صلى الله عليه وسلم بتلقيه لدور النبوة الذى قام به ؟

لا يعترف الدكتور فوستر بذلك ، وهو يقرر أن محمداً لم يقابل إلا العامة والسذج الأميين من اليهود والنصارى ، فلم يحصل منهم إلا ما هم أهل للإفضاء به من الأوهام والأكاذيب ، حتى إنهم لم يستطيعوا أن يفهموه حقيقة المسيح . فإذا اعتمدنا على قوله هذا أصبحنا لم نفهم معنى قوله إن محمداً استعد لادعاء النبوة استعداداً عظيماً بمقابته لرجال من تينك الملتين . فهل الاستعداد العظيم لادعاء النبوة يكون بتلقف معلومات ناقصة وخرافية (كما يقول) من عامة أهل دينين سابقين ؟

وإذا كان ادعاء النبوة والنجاح فيها إلى الحد الذى بلغه محمد صلى الله عليه وسلم يتم بتصيد معلومات ناقصة من عامة بعض الأمم المتدينة ، فلم لم ينجح في دعوى النبوة العدد العديد من المغامرين الذين جمعوا بين أدق ضروب الختل والخداع ، ثقافة علمية عالية ، فكان جزاؤهم أن افتضح أمرهم ، وباءوا بخزى عظيم ؟

دعوى النبوة على القليل كسكل دعوى لا تقوم على قدميها حتى يسندها دليل عملي . فن ادعى الشعر أو الكتابة أو الفلسفة أو أى صناعة أخرى عقلية أو مادية ، أمهله الناس حتى يقدم الدليل على ما يقول من فرض الشعر ، أو تحبير المقالات ، أو بسط الآراء والمذاهب وتحليلها واستخلاص لبابها الخ ، فإن لم يفعل ، أو فعل ولم يحسن ، لفظ لفظ النواة ، وكتب في سجل المدعين .

فدعوى النبوة أمر جلال ، وهى تمس أخص حالات الإنسان النفسية والعقلية ، والنجاح فيها لا يكفى فيه الدليل القاطع خصب ، ولكن يجب أن يصحبه سمو خلقى عظيم ، وتأثير روحانى كبير . وليس في تاريخ العالم من الناحية الدينية ما يشبه النجاح

الباهر الذى أصابه محمد صلى الله عليه وسلم عقب دعواه النبوة . فالمسألة كما يقول المبقرى الانجليزى الكبير (كارلايل) : « ماذا تطلب من الأدلة على صدق من يدعى لك أنه بناءً أكثر من أن يبنى لك صرحاً يبق أكثر من ألف ومائتى عام ، ويؤوى أكثر من مائتى مليون نسمة ؟ »

وإذا أصر الدكتور فوستر على أن الأنبياء الكذبة قد ينجحون فى خدع ألوف الملايين من الناس فى عدد عديد من القرون ، فقد أبطل حجة الله على عباده ، ولم يكن هناك وجه لمؤاخذه أحد على الأخذ بأى دين أراد مادامت لا توجد أوصاف مميزة للمصدقين فى دعوائهم والكاذبين ، ومادام التأييد الإلهى يصيب هؤلاء وأولئك بدون تفریق ، وهذا ما لم يسمع به فى عهد من عهود العقلية الانسانية .

يبدى الدكتور فوستر الثقة كلها فى أن يمجداً كان فى أول أمره مشركاً ثم اهتدى الى التوحيد من اختلاطه بالنصارى واليهود .

فأما أنه كان مشركاً فليس لدى الدكتور فوستر عليه لادليل ولا شبه دليل ، غير ما يملكه من عاطفة التحيز وشهوة التحقير . وإنا لنعبر نفيه الشك عن هذا الموضوع من ضروب الجرأة التى لا يسمح بها لباحث فى القرن العشرين ، إلا إذا كان بيده حجة محسوسة على ما يقول . وأين هى من الدكتور فوستر فى العالم الجديد ؟ أنصت على ذلك الكتب السماوية التى بين يديه ، وقد أنزل آخرها قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بستة قرون ؟ أم عثر فى بعض رحلاته فى بلاد العرب على كتابات حجرية ، أو محفورات وثنية تشير الى ما يدعيه ، ولم تعلم عنه رحلة واحدة الى بلاد العرب ، ولم يعثر غيره على شئ من هذا القبيل ؟

وهل عدم الشرك قبل النبوة شرط فى حصولها بواسطة الهداية الإلهية ؟ لم يقل بذلك ذوعقل فى العالمين . فإن كان قائلها الدكتور فوستر بصيغة التأكيد وليس عنده عليها شبه دليل ، فقد طعن فى كفايته للبحث ، وشكك الناس فى كل ما يقول ، فإنه

ليس من صفات المثبتين أن يسرفوا في تأكيداتهم وفي ترجيحاتهم ، بل في ظنونهم ،
بغير أنارة من دليل .

وأما أن محمدا صلى الله عليه وسلم أخذ التوحيد عن النصراني واليهود ، فهو من
أغرب ما يقوله باحث غير رشيد .

فتى كان التوحيد مجهولا في عهد من عهود البشر حتى يضطر أحد الناس ، وإن كان
في أخط دركات الغباء ، أن يتعلمه من الغير ؟ يجوز أن يكون في البله والمعتوهين ، وفي
الأطفال في سنتهم الثانية ، من يجهل الاثنين والثلاثة ، ولكن ليس فيهم من يجهل
الواحد على وجه التعيين .

فإن كان أمر يقتضى أن يسبقه التعليم والتلقين من أمور الدين ، فذلك يعقل
فيما يدعى في ذات الله من الثنية والتثليث ، أو ما فوق هذا القدر من التعديد ،
أما التوحيد فلا يعقل أن يجهل بوجه من الوجوه ، لا سيما وقد أثبت الدكتور الكبير
ماكس مولر من اطلاعه على أقدم المخطوطات لدى الهنود والصينيين ، أن الديانة العالمية
كان أساسها التوحيد ، وما نشأ التعديد إلا بعد أن لعب الخيال دوره من قريب .

على أنه ماذا أخذ محمد صلى الله عليه وسلم عن اليهود والنصارى الذين كانوا في بلاده
عن العقيدة بالتوحيد ، وقد تولاها الكتاب الكريم عليها بالنقد ، ونعى عليهم ما تغابوا
فيه عن سلطان العقل ، وما تورطوا فيه من حماة الجهل ، حتى قال فيهم : « وما يؤمن
أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

أما ما قاله الدكتور فوستر : أن محمدا لم يلق إلا الجاهلين الأميين من اليهود
والنصارى ، فتلقف عنهم خرافات عقائدهم مما أدمج في الكتب المقدسة وأضيف إليها
وليس منها ، فذلك أعجب من كل ما مر . فإذا كان الدكتور فوستر يقول إن التوراة
والإنجيل قد كابدا تحريفا وأدخل إليهما إضافات ليست منهما ، وألحقت باليهودية
والمسيحية خرافات لا تمت إليهما بسبب ، فليبين لنا ذلك بصراحة يمكن الاعتماد عليها .

أما القرآن الكريم فلم يتناول بالنقد إلا ما كان عليه اليهود والنصارى وما لا يزالون عليه رسمياً الى اليوم .

ولا ننكر أن في هاتين الملتين رجالاً لهم على كتابهما نقد عظيم ، ونظرات صادقة بعيدة المدى ، ولكنهم معتبرين كفر أو مبتدعة في نظر اليهود والنصارى ، فهل فوستر من هؤلاء ؟

وإن كان هو منهم وجب عليه أن يعظم القرآن ويعترف بإمامته باعتباره أول من فتح عيون البشر للنقد ، ووجهها للنظر والتعميص .

ولكن الدكتور فوستر ليس من هؤلاء ، فإنه لا يزال يقول إن محمداً لم يفهم المسيح ، وهذا يشعر بأن له فهماً في المسيح غير ما يفهمه الانسان لأول وهلة . إن كان كذلك فله فهمه ، ولكن الناس وفي مقدمتهم أولو العلم والحكمة في جميع الأجيال لا يستطيعون أن يفهموا إلا ما دل عليه القرآن من أمر عيسى عليه السلام ، وهو أنه رسول من رسل الله المكرمين ؟

محمد فريبر وهبرى

كلمات حكيمة عن الفاروق

قال عمر رضى الله عنه : ما كانت الدنيا هم رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال : فقر لا يدرك غناه ، وهم لا ينقضى مداه ، وشغل لا ينفد أولاه ، وأمل لا يبلغ مداه .
وجاء في فصول قصار من كلامه رضى الله عنه :

من كتم سره كان الخيار في يده . أشقى الولاة من شقيت به رعيته . أعقل الناس أعذرهم للناس . ما ألحمر صرفاً بأذهب لعقول الرجال من الطمع . لا يكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً . سر ذوى القربايات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا . قلما أدبر شئء فاقبل . أشكو الى الله ضعف الأئمين وخيانة القوى . تكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون . لو أن الشكر والصبر بعيران ما باليت أيهما أركب . ومن لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .

مسألة في الوصية

ورد الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى هذا السؤال :

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ يوسف الدجوى من هيئة كبار العلماء
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فأتشرف بإرسال السؤال المرفق بجوابي هذا ، وأرجو من فضيلتكم أن
تفيدونا بما ترونه في هذه المسألة ، واكم الشكر الجزيل .

ما قولكم دام فضلكم في وصية من رجل في شدة مرضه مشتملة على الإيصاء
بنقد معين يوزع على أناس معينين ، وبوقف عقار معين على شخص من القرابة غير وارث
وعلى ذريته من بعده ، والثالث يسمع الجميع ، والحال أن المريض المذكور لم يوص بثلاث .
والذي أملاه الوصية هو ذلك الشخص المذكور الذي جعل لنفسه العقار ، وقد أحضر
شاهدين عند المريض فقرأ الوصية أحد الشاهدين فقالا للمريض : أنشهد عليك ؟ قال
نعم ، فذهبا الى القاضي وشهدا شهادة بجملة ، وكتب القاضي : بموجب شهادتهما ثبتت لدى
هذه الوصية وصحت . وفي الوصية أن الوصى ابنه . وقبل تحقق رشده جعل الناظر عليه
الموصى له بوقفية العقار المذكور . وبعد وفاة الموصى صار المتولى هو الناظر ، فإز العقار
لنفسه ، وأخرج بعض النقود الموصى بها . ثم إن ابن الموصى المذكور أثبت رشده .
وبذلك ارتفع نظر الناظر عنه . وبعد ذلك قام ذلك الابن بعد بلوغ رشده يدعى بطلان
الوصية بزعمه أن والده حين الإيصاء لم يكن في حسه وتمام شعوره . وحصل النزاع
بين ابن الموصى وبين الناظر الموقوف عليه العقار ، فادّعى الابن بدعواه المذكورة ،
وأنكر الناظر ذلك ، واحتج على صحة الوصية بتثبيت القاضي عليها بعد شهادة
الشاهدين ، وأحضر الحاكم الشاهدين الموصية ليستبين منهما الشهادة ، فأجاب أحدهما

بأن الموصى كان ناقص الحواس حين الإِشهاد ، والآ خر قال : أنا لا أجزم بوجود حواسه ولا بعدمها حين الإِشهاد له على الوصية ، وقد أقام المدعى شهودا عدولا متعددين يشهدون أن الموصى لم يكن في شعوره ولم تكن حواسه حاضرة ، كما أقام المدعى عليه شهودا أنه كان في شعوره . ومن شهود المدعى عليه من له شيء معين في الوصية المذكورة على لسان الموصى .

فهل يعدّ ذلك من الشاهدين رجوعا عن الشهادة الأولى ؟ وهل تثبت القاضي على الوصية بعد حكما أم لا ؟ وبوجود في الوصية إمضاء الموصى بقلمه ولكن الابن يعارض في ذلك .

أفتونا مأجورين ، ولكم من الله الأجر والثواب مـ سلمان بن أحمد كمال
صاحب المكتبة السكالية بالبحرين

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد : فقد راجعنا بعض كتب الفقه عندنا ، وسنتلو عليك بعض تلك النصوص .
وهالك ما استخلصناه منها :

(أولا) قول القاضي الذي وقع أمامه الإِشهاد على الوصية : « بموجب شهادتهما ثبتت لدى هذه الوصية وصحت » ليس حكما بصحة الوصية غير قابل للنقض وإعادة النظر فيها . وذلك لأن الحكم عندنا معشر المالكية وإن كان لا يتوقف على لفظ حكمت بل يحصل بغيره كقول القاضي : نقلت الملك ، إلا أنه لا يكون حكما إلا بعد استيفاء ما لا بد منه قبله ، ومنه الإِعذار للخصم في بينة المدعى . وفي الحادثة المسئول عنها لم يحصل إِعذار له ، لأن الخصم فيها لم يحضر الإِشهاد على الوصية لدى القاضي ، بل لو حضر لكان حضوره غير معتبر لعدم رشده إذ ذاك كما يفيد نص الاستفتاء ، وإذا فاصدر من القاضي لا يزيد على كونه إثبات حالة قابلة للنظر فيها بعد .

(ثانيا) نص الأُمير في حاشيته على مجموعه أن من شرط الموصى أن يكون غير مخلط حين الإيصاء ، ونص أيضا نقلا عن السيد أن الموصى له إن ادعى أن الوصية وقعت حال التمييز من الموصى فعليه إثبات ذلك .

(ثالثا) حيث إن المسألة بناء على ما قدمناه لم يقع فيها حكم ، فرجوع شاهدي الوصية في شهادتهما حيث قال أحدهما : إن الموصى كان ناقص الحواس عند الإِشهاد ، وقال الآخر : أنا لا أجزم ، هذا الرجوع معتبر بأنه قبل الحكم ، وإذن فشهادتهما الأولى لاغية لا تثبت بها الوصية .

(رابعا) نص الفقهاء على أنه إذا وجد يثبتان متعارضتان وجب أن يصار فيهما الى الترجيح إن أمكن ، كزيادة العدالة في واحدة منهما ، فإنه يجب الأخذ بقولها دون قول الأخرى ، وكوجود تهمة معتد بها توجب سقوط إحدى البيئتين . فإن لم يوجد مرجح سقطتا . هذا ومجرد كون الشهود من إخوان الشهود له لا يقتضى بطلان الشهادة ولو كان الشاهد صديقا للشهود له متى كان مبرزا في العدالة ولم يكن ممن ينفق عليه الشهود له .

الخلاصة :

والخلاصة أنه يظهر من وقائع هذه الدعوى أن هذه الوصية لم يقم دليل صحيح على صحتها واعتبارها شرعا . فإما أن يقيم الموصى لهم دليلا صحيحا سالما من المعارضة على أن الموصى كان أهلا للوصية حين الإيصاء ، وإذا يجب تنفيذها ، وإلا فهي باطلة وترجع الأعيان الموصى بها ميراثا . ولا بد حين قيام البيئة المفوضية لصحة الوصية من نبوت أن التوقيع عليها كان بخط الموصى ، لأن ابنه يطمع في ذلك ، ويدعى أن التوقيع ليس بخطه . أسأل الله أن يلمنا جميعا الرشد في القول والعمل بمنه وكرمه .

يوسف البرموي
من جماعة كبار العلماء

مسألة في الطلاق

حكم من قال على الطلاق من أول زوجة لا أفعل كذا وقد فعله

وورد أيضا الى فضيلته السؤال الآتي :

ما قولكم دام فضلكم في رجل قال على الطلاق من أول زوجة لا أفعل كذا وقد فعله وتكرر ذلك منه ثلاث مرات ويريد الآن أن يتزوج فاذا يكون الحال ؟
نرجوكم الإجابة على المذاهب الأربعة إن أمكن ، وإن تفضلتم بذكر النصوص كان لفضياتكم شكر على شكر .
والسلام عليكم ورحمة الله
سليمان احمد رجب

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد : فقد بحثنا في كتب المذاهب الأربعة . ولنسق بعض نصوصها إجابة لرغبة السائل فنقول :

إن هذه الصيغة التي ذكرت في السؤال لغو لا يقع بها شيء عند الشافعية إلا إذا كان على عصمة مملوكة . قال في شرح المنهج : « وشرط في المحل كونه زوجة مملوكة للمطلق ، فلو قال : كل امرأة أنكحها فهي طالق ثم نسكح امرأة لم تطلق » .

وعند الحنفية لا يقع إلا إذا كان في الملك أو مضافا أي معلقا على سبب الملك بأن قال : إن نسكحت امرأة أو فلانة فهي طالق فنكحها طلقت .

وظاهر أن ذلك مبني على قاعدة عديم وهي أن الطلاق المعلق بمنجز عند وجود الشرط . فمن قال : إن نسكحت امرأة فهي طالق فكأنه قال لها : أنت طالق عقب

النكاح ، فكان الطلاق في الملك فيقع . وأما عند الشافعية فالشرط قيد ، فكأنه قال : أنت طالق وقت النكاح ، فكان في غير الملك فلا يقع .

وعند الحنابلة كذلك لا يقع الطلاق ولا يصح تعليقه إلا في الملك . قال في الإقناع : فإن قالت له أي زوجته : قل : كل امرأة أتزوجها غيرك فهي طالق ، فقال ذلك ولم يكن له زوجة غير هاتم تزوج امرأة ، لم تطلق ، أي لأنه لم يكن مالكا لمصمتها وقت التعليق . وهذا هو المذهب عندهم . واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام : « إن الطلاق لمن أخذ بالساق »

وأما عند المالكية فقد شرطوا شروطا نص عليها في شرح الخرشي قال : « وشرط المحل الذي يقع فيه الطلاق أن يكون مملوكا للزوج قبل نفوذ الطلاق ، سواء أكان ملكه حين التلفظ به ملكا محققا كزوجه التي في عصمته أم تعليقا ، سواء أكان التعليق بالنية كقوله لأجنبية : أنت طالق ونوى إن تزوجها ، وأنت طالق إن دخلت الدار ونوى إن دخلها بعد نكاحها ، أو بإسقاط كقوله عند خطبة امرأة : هي طالق ، لأن وقوع هذا الكلام عند الخطبة بإسقاط يدل على التعليق ولو مع فقد النية ، ومثل ذلك ما إذا قال ذلك حين قيل له : تزوج فلانة » .

فهذا هو حكم ما سألت عنه في المذاهب الأربعة قد تلوناه عليك ، ووكلنا أمر الاختيار اليك ، والله يتولى هدانا جميعا بمنه وكرمه
يوسف الدهموي
من جماعة كبار العلماء

بعد الدار أجلب للمودة

قال أكرم بن صيفي تباعدوا في الدار تتقاربوا في المودة .

وقال رجل لخالد بن صفوان : إني أحبك . فقال خالد : وما يمنعك من ذلك ولست لك بحار ولا أخ ولا ابن عم ، يريد أن الحسد موكل بالأدنى فالأدنى .

محمد صلى الله عليه وسلم

في تقدير المنصفين من قادة الأفكار في أوروبا

اشتهرت في كل دور من دوار المسدنيات الإنسانية نساء بلغن شأو كبار الرجال في العلم والفلسفة والأدب . فرن هؤلاء العبقريات في هذا العصر (أنى بيزانت) Annie Besant ، وهي انجليزية الأصل ، وقفت حياتها على العلم والفلسفة ، فبدأت مسيحية تقية ، ولكنها لما لم تقف من مباحثها عند حد ، أدركها الإلحاد ، فلما توغلت في عالم الحقائق استنار قلبها بإيمان راسخ بالحق على قواعد علمية بحث كإيمان العلماء المنهين ، ومالت الى التصوف في شكله المعروف في العالم الغربي باسم التيوصوفية ، فسلم لها أهل هذه الطائفة الزعامة العامة لجماعاتهم ، فقامت بما عهد إليها من هذه الزعامة على أقوم السبل ، وأدق الأساليب العلمية . وقامت بتأليف نحو خمسة وعشرين كتابا كان لها جميعا شهرة عالمية ، وقد ترجم أكثرها الى لغات عديدة .

وقد توفيت هذه السيدة العظيمة منذ نحو ثلاث سنين ، وحملت التاخرافات العامة والخاصة خبر وفاتها الى أربعة أرجاء المعمورة ، مشفوعا بكل إكبار وتقدير لجهودها العظيمة في خدمة العقل والروح معا .

من مؤلفات هذه السيدة كتاب كبير عرضت فيه لتاريخ الديانات الموجودة بالهند ، ومنها الاسلام ، وقد كتبت فيه فصلا يدل على بعد نظر ، وسعة اطلاع ، وحب للحقيقة ، نرى أن ترجمه لقراء مجلة الأزهر ، فإن فيه مظهرا جديدا من مظاهر تأثير الروح المحمدية في العقول ، وسريان سلطانها في القلوب ، حتى قلوب الذين لا يعرفون لغة القرآن الكريم .

لنبدا الآن في تمريب ذلك البحث ، قالت :

« توجد أربع مسائل تجب دراستها في كل ديانة ، وهي : (١) حياة مؤسسها الذي لا بد

من أن تنطبع صورة روحه وأخلاقه عليها . (٢) الناحية العامة لتلك الديانة وهي ما يسمح به للدعاة . (٣) فلسفة تلك الديانة ، وهي ما تقتضيه حالة الطبقة المستنيرة . (٤) ناحيتها القلبية ، وهي مظهر الحاجة الخالدة للنفس البشرية التي لا تفتأ تنزع الى الاتصال بمصدرها الأول ، فلندرس الاسلام تحت ضوء هذه التقاسيم :

« اتبعني أيها الفارء الى سورية وبلاد العرب في القرن السادس المسيحي ، اتبعني وانظر في حالة بلاد العرب الجميلة وسورية التي وطئتها أقدام المسيح ، فإنك تجد الحرب الدينية يتأجج سعيها في كل مكان ، تهدم البلدان وتفرق بين الناس . معارك وحشية دموية ، وأحقاد تتوارث من جيل الى جيل ، غارسة بذور الشقاق بين الآحاد والقبائل والشعوب . انظر الى بلاد العرب ، تلك البقعة التي تسود فيها وثنية وحشية قاسية تسمح بالتضحية بالنفوس البشرية لمرضاة الأوثان ، حيث كان عباد الله يقيمون الولائم بأجساد الموتى ، وحيث كانت الشهوات البهيمية قد حملت محل الحب الانساني ، والإباحة محل الحياة البيتية ، وحيث كانت الحروب الطاحنة التي لا تحمد ناراها تشب لأتفه الأسباب ، وحيث كان الرجل يقتل قريبه ، والجار يهلك جاره ، وحيث كانت الحياة على وجه الإجمال قد فسدت الى حد لا يمكن أن يصفه إنسان .

« في معمعان هذا السعير المحرق من الشهوات ، وسفك الدماء ، والإباحة الحيوانية ، والقسوة البهيمية ، ولد طفل فاتحاً عينيه البريتنين للنور ، وكان ذلك في ٢٩ أغسطس سنة ٥٧٠ في مدينة مكة من قبيلة قريش . وكان أبوه قد مات قبل ميلاده ببضعة أسابيع ، ولحقت أمه بأبيه بعد بضعة سنين .

« كبر هذا الطفل وترعرع في بيت جده ، هادئ النفس ، كثير الصمت ، ذا طبع جذاب لطيف ، صبوراً ، مُحبباً الى قلوب الناس . ولم تمض إلا بضعة سنين حتى مات جده ، فسكره عمه أبو طالب ، وهو أنبل جميع أقاربه طبعاً ، وأحناءم عليه نفساً . كفله بعد أن فاق مرارة اليتيم مرتين بل ثلاثاً . فلبث عنده حتى بلغ سن الشباب ، فسافر الى الشام

لنزولة الأعمال التجارية متأملا في كل ما هو حوله من مشاهد بنظر ثاقب نفاذ .
« فلما بلغ الرابعة والعشرين سافر الى الشام في تجارة إحدى قريباته ، خديجة ، وكانت
أسن منه . ولما عاد وجدته من الأمانة والقناعة والطهر والاستقامة بحيث ارتضته
زوجا لها ، ولم يكن محمد قد أوتى النبوة بعد ، ولم تكن خديجة إذ ذاك أول المؤمنين به .
ومع كونه في ميعة الصبا ، وامرأته أكبر منه سنا ، فانهما سعدا بزواجهما ، وعاشا معامعيشة
تعتبر مثالا أعلى في هذه الحياة ، الى اليوم الذى توفيت فيه خديجة نازكة زوجها في
الحسين من عمره ، بعد أن أمضت معه حياة زوجية هنيئة ستا وعشرين سنة .
« أتت على محمد بعد الزواج خمس عشرة سنة قضاها في التأملات وهو هادى البال
من ناحية حياته الداخلية ، ولكنها كانت من أهول السنين من ناحية مكافاته الباطنية .
« كان محمدا إذا سار في طرقات مكة احتف به الصبية وتعلقوا بركبته ، فكان
يقابلهم بكلمات طيبة ، وملاطفات تناسب طفولتهم . لم يُعهد عليه قط أنه أخلف
وعدا ، أو تبجح فقيرا أو محزونا ، ولكنه كان عنده لها من النصح ما يخفف ما بهما .
وقد لقبه جيرانه بالأمين الجدير بالركون اليه ، وهو أجمل لقب يمكن أن يحصل
إنسان عليه .

« ولكن بينما كانت حياة محمد الداخلية على هذه الحالة من النفع والطيبة والمعونة ،
أندرى ماذا كان عليه في حياته الباطنية ؟ آه ، من ذا الذى يستطيع أن يصف تلك
الأعاصير من الهم والكمد التى كان يكافها هذا النبى المستقبل ، وبعدها عنه فى الصحراء
المحيطة به ، التى كان ينازع فيها نفسه بنفسه ؟ من ذا الذى يستطيع أن يصف واحدة
من هذه المعارك الباطنية التى لا يعرفها إلا الرجال المخصوصون بالوحى الإلهى ؟ فكان
محمد ، وقلبه مجال هذه المعارك ، يفزع الى الصحراء كلما اشتدت حملاتها عليه ، وظل على
هذه الحال الشهور تليها الشهور ، حتى بلغت خمس عشرة سنة . فكان يأوى الى غار فى
وسط الصحراء وحيدا ساكنا متأملا راجيا الله ، والشك المرير فى نفسه يحيق به سائلا

نفسه عن معنى الرسالة التي كان يتوقعها حتى سمع قائلاً يقول له : « تكلم باسم ربك » فأجابه هو : « ومن أنا حتى أنسلكم ، وماذا يجب عليّ أن أعلن للناس ؟ » أيتسكلم وهو عرضة لتلذذات الشك والهم ، وفي يأس من كفايته الذاتية ؟ فكيف يثق بهذا الصوت الذي يناديه من قرارة قلبه وهو أحمى ، ولم يستعد لما يندب اليه ؟ ألا يحتمل أن يكون هذا الصوت الباطني أثراً من كبريائه الذاتي ، ومن اعتداده بنفسه ، ومن تعطشه للسلطان ، وليس هو بصوت الله يأمره أن ينشر كلمته في الأرض ؟

« مضت على محمد في هذه الحال خمس عشرة سنة ، وهي حالة من الكفاح والنزاع لا يقدرها حق قدرها إلا الأقلون .

« ولكن حدث ذات ليلة صافية الأديم ، أنه بينما كان مستلقياً على الأرض غرقاً في همومه وآلامه ، أن غشيه نور نزل اليه من السماء ، وإذا بملك كريم واقف أمامه وهو يقول : « قم إنك رسول الله ، فطاف الأرض وتكلم باسم الله » .

« فسأله محمد : « وماذا أقول للناس » ؟

« فأجابه الملك : « قل » ، ثم أخذ يعلمه ما يجب أن يعرفه من تكوين العوالم ، وخلق الانسان ، وتوحيد الله ، ووجود الملائكة ، وبين له العمل الذي يجب عليه أن يؤديه .

« فهذا الرجل الذي كان أشد الناس اعتزالا للناس أصبح مصدراً لحياة أمة برمتها ، وقد أمر أن يذهب إليها بنفسه ، وأن يختلط بها ويكلمها ، يكلمها باسم مولاه ، الله .

« ما كاد محمد يلقى إليه هذا الوحي حتى أسرع الى خديجة قائلاً : « ماذا أفعل ؟ من أنا ؟ وماذا أصابني ؟

« فأجابه زوجته الأمانة بصوتها الهادي المتزن : « إنك خلص أمين ، ولست بمخاف للوعد ، الناس يعرفون لك ما أنت عليه من أخلاق ، والله لا يغفر بعباد أمين مثلك ، فاتبع ما يلقى اليك وأطع النداء » . فكان هذا الكلام من امرأته ، وهي أولى أتباعه ، نافثاً روح الشجاعة الى هذا القلب البشري الذي خارت قواه أمام عظمة المهمة

التي عهد بها اليه . فنهض محمد شاعرا بأنه ليس على ما كان عليه في أمسه رجلا بسيطا ،
ولسكنه نبي البلاد العربية ، الذي سيجعل منها مملكة منظمة ، ودولة مهيبة ، يحمل
خلفاؤه عليها الى أوربا مشكاة العلم ، بعد أن أنطفت فيها ، وأنهم سيؤسسون
أمبراطوريات قوية ، وأنهم سيقومون أمام الله بعبادة لم يعهد لها مثيل في أية ديانة
أخرى .

« نعم : فإنه يجب عليكم جميعا معشر الذين لا تتبعون ديانة هذا النبي العربي
أن تتحققوا بأنه لا يوجد في جميع الديانات البشرية ديانة توحى الى الأخذ بها عقيدة
أين صحة ، وأعلق بنفس صاحبها ، من الديانة التي خرجت من فم النبي العربي .

« وإذا كان الأمر كما يقول الفيلسوف بن (Bain) أن العقيدة تثبت صحتها بسيرة
أهلها ، فتأمل في أتباع محمد ، وانظر كيف تتحكم أقواله الى اليوم في أعمال الناس .

« لا يوجد مسلم في الأرض ينجل من السجود في الصلاة ، وإن كان حوله جمهور
من المستهزئين الذين يكرهون النبي الذي ينتمى اليه . فانظر الى أى مدى قهرت العقيدة
عند أتباعه كل خوف من الموت . فأن تصادف بطولة مثل بطولة هؤلاء الدراويش
الافريقيين الذين اقتحموا مجالا سلطت عليه بنادق كاتلنج ، ووقعوا صفا بعد صف قبل
أن يصلوا الى أعدائهم ، سائرين الى الموت ، كما يسير غيرهم الى خطيبتهم ، كل ذلك محبة
في نبيهم وفي عقائد الاسلام ؟

« إن مثل هذا الايمان لا بد من أن يكون له مستقبل بأمر في هذا العالم . ويجب
أن يُرفع هذا الايمان الى مكان أرفع من المكان الذي هو فيه اليوم .

محمد فريد ومبرى

(مجلة الازهر) عربنا هذا الفصل من البحث ، وسنوالى ترجمة سائر . ولكن لعل القراء
يلاحظون أن الكاتبة قد تصرفت في تاريخ الوحي وغيره تصرفا يوافق الذوق الكتابي عند
أهل الغرب ، ولا بأس من التغاضى عنه في نظرنا مادام غرضنا هو بيان ما تؤدي اليه الفلسفة
الاوربية من تقدير قيمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيمة الدين الحق الذي جاء به .

عوامل فقدان أدب الحضارة العربية

عرض بعض الباحثين الى موضوع أدب الحضارة العربية ، وعوامل فقدانه ، ورأى أن العامل في ذلك إنما هو اختلاف لغات العرب في أصقاع الجزيرة المختلفة . قال صاحب فجر الاسلام : « وهنا يستوقف نظرنا شيء يظهر لنا غريبا ، ذلك أنا نرى اللخمين في الحيرة والفسانيين في الشام عمروا قرونا وبلغوا من المدنية شأوا بعيدا إذا قيس بحالة العرب في الجزيرة ، وكان منهم من يخاطب الفرس والروم ويتكلم بلغتهم ، ودينهم كان أرقى على العموم من دين غيرهم من العرب ، فهم إما نصارى أو مجوس ، وهذا كله كان داعيا الى خصب الذهن وتفتق القريحة بالشعر ، وكان من المعقول أن تخرج بلادهم خولا من الشعراء يفتحون فيه أبوابا جديدة ، ومعاني جديدة ، مع رشاقة في اللفظ تتناسب مع حياتهم الحضرية ، ولكننا على غير المعقول لم نظفر منهم بشعر ذى خطر فما السر في هذا ؟ ! قلبنا الأمر على وجوه مختلفة من النظر فقلنا لعل السر أن البادية هي منبع الشعر ، وهي التي تحرك نفس العربي وتغذى خياله ، وتنطق لسانه ، يشعر فيها باستقلاله وعظمته ، لا ترهقه سلطة ، ولا يقيدده قانون ، تنبسط أمامه رقعة الأرض ، فينعم بمنظرها فيجيش صدره ، وينطق بالشعر لسانه ، فاذا تخضرذل وعقلت من لسانه قوانين المدنية وتقاليد الحضارة ، وحرم منظر الصحراء الجليل ، فحرم الشعر الجليل ، بهذا لم يك للعراق شعر قيم ، ولا للفسان شعر ما . ولكننا رأينا أن هذا التعليل غير صحيح ، فاعهدنا أن الحضارة تमित الشعر ، فحضارة الفرس والروم وحضارة المسلمين في الدولة الأموية والعباسية لم تضيق خيالهم ، ولم تعقل من لسانهم ، والحضارة اليوم في أوروبا بعثت على الشعر ولم تقف في وجهه . إنما كل ما يصح أن يقال أن الحضارة تमित أنواعا من الشعر لا تعيش إلا في البادية ، كما تحي أنواعا من الشعر لا تعيش إلا في نعيم الحضارة . والتعليل الصحيح في نظرنا أن هؤلاء الحيريين

والغسانيين كان فيهم شعراء ، ولكن كانت لهم أيضا لغة خاصة بهم غير لغة قريش التي سادت الحجاز ، ولم تستطع أن تسود الحيرة وغسان لبعدهم موطنهما ، ولأن الخيريين والغسانيين أرقى ممن حولهم من العرب ، فأنفوا أن يخضعوا للسان غير لسانهم ، وقد يستتبع ذلك أن يكون في الشعر أوزان خاصة تتفق مع لغتهم وعقليتهم ، فلما جاء الاسلام ونزل القرآن بلغة قريش أهمل الرواة ما كان خارجا عن هذه اللغة وقواعدها وأوزانها ، اهـ .

هذا رأى نحب أن يلتفت الأدباء والباحثون الى دراسته دراسة إمعان وتمحيص ، فإن نظرية تعدد اللغات عند العرب لا تقوى ، كما قدمناه في مقالتنا السابقة ، على حل مشكلة فقدان أدب الحضارة العربية ، فلا بد من تحليل آخر يتمشى مع المنطق وطبيعة الحياة ، والذي نرجعه أن ذلك يرجع الى جملة أسباب مجتمعة ، وقد يكون في تعدد اللهجات ما يساعد تلك الأسباب والعوامل على قوة تأثيرها .

العامل الأول : اتجاه الحضارة . يرى جمهور الباحثين أن الحضارة من أكبر الدواعي العامل على كثرة الإنتاج الأدبي ، لما فيها من الصور التي تحرك الخيال وتثير الفكر ، وتفغى العاطفة ، والخيال والفكر ، والعاطفة هي عناصر الأدب الحى ، ومنابعه الفياضة . وهذا قول قد يكون فيه بعض الحق ، وليس هو بالحق كله ، لأن الحضارة في أية أمة وعصر وبيئة تتكيف باتجاه الأمة ، ومظهر العصر ، وطبيعة البيئة ، فإذا طغت الروح المادية التحليلية على الحياة لم يكن للحضارة من الصور الظاهرة إلا هذه الجزئيات الدقيقة الراسبة التي تصورها التقارير الحسائية ، والأوضاع الهندسية والعواطف المادية المحدودة ، والنظريات التحليلية في نحو الطبيعة والكيمياء وما إليها من التجارب العملية ، والخيال ، والفكر ، والعاطفة ، وهي مبعث المثل الأعلى في التصوير الأدبي لا تعرف النهاية والتحديد ، ويجب أن يكون ميدانها من جنس طبيعتها المطلقة من كل قيد مادي .

فالحضارة المادية الصرفة لا نرى أنها من دواعي الإلتجاء الأدبي الذي تتمثل فيه الإحساسات الوجدانية، والعواطف النفسية، كالشعر المطبوع، والنثر البديع، وإنما يكثر فيها هذا النحو الضيق الذي نراه في شبه قضايا مسلمة كقول رجل الاقتصاد: اثنين في اثنين، يساوي أربعة، مما لو حاول أبدع الناس خيالا، وأبرعهم عبقرية أن يغير من صورتها شيئا لما استطاع الى ذلك سبيلا، لأن حدودها المادية تقف دون الخيال حتى ترده حسيرا.

قال باحث أديب: «يعلل بعض الباحثين فقر الأمم الغربية في الشعراء ورغبتها عن الشعر بالمدينة المادية التي تغوص فيها الى مفرق الرأس، وعندم أن وسائل النقل الحديثة، وانتشار الإباحية، وزوال ذلك البرقع الجذاب عن وجه الانسانية، واشتغال الدول بالشئون الاقتصادية والسياسية، وانهماك الأفراد في تحصيل القوت الضروري، واختلاصة زوال الأحوال الروائية عن ظهر الكرة الأرضية، كل ذلك من العوامل التي ذهبت برشاقة النظم، وقضت على دولة الشعر، حتى إن جائزة كبيرة عرضت منذ أمد قريب في فرنسا للمجلى في حلبة الشعر فلم يتسابق للحصول عليها أحد».

قد ينخدع بعض الناس بكثرة ما يسمع من أسماء نوابغ الأدب في بعض الأمم المتحضرة في هذا العصر المادي، وما يسبحون فيه بأرواحهم من موضوعات طريفة تدخل في صميم الحياة، للخيال والفكر فيها القدر المعلن، ولا سيما الأدب القصصي والشعر الروائي، ولكن هذا في الواقع لا يدل على اتجاه أدبي في الأمة أكثر من أن أفرادا من العباقرة خصهم الله بمناجاة الطبيعة في عزلة عن المادية وتيارها الجارف، فوقعوا على أوتار الخيال ألحانا من نعم الطبيعة طربت لها الحياة فرددت نغماتها وخلدت آياتها، وهؤلاء الأفئاد الملهمون هم الذين يحفظون كيان الأمم من الانزلاق الى الخسيف. وإذا ذهبنا الى قياس هذه الآيات الأدبية الخالدة بما حفظته سجلات الاقتصاد والسياسة، ونظم الاجتماع المادية كانت في جانبها كالدرة في قعر المحيط.

أما إذا كانت الحضارة مزيجاً من الروحية والمادية ، فهي التي تثير العواطف وتحرك الخيال وتغذى الفكر ، وتكون من عوامل الإنتاج الأدبي في صورة رائعة تخلق في أفق الحقيقة والخيال على سواء ، وبهذا يمكن تعليل وجود الثروة الأدبية الإسلامية في عصرها الذهبي ، لأن الدين والفلسفة الأفلاطونية تحالفا على إذكاء الروحية في الأمة ، والحياة المعاشية بلذائذها ، والنظم الاجتماعية نمت المادة وقوتها ، فكان للروحية جانبها ، والمادية جانبها في زمن واحد ومكان واحد .

والحضارة العربية في الحيرة والشام واليمن قبل الإسلام كانت حضارة مادية ، لأن الروحية إنما تستمد نورها من الدين والفلسفة العليا ، ولم يكن للدين في مواطن الحضارة العربية شأن ، بل لم يكن له من المظاهر إلا شيء نافع حينما دخلت عليهم النصرانية ، أما التدين الوثني فلم يكن إلا ضرباً من طغيان المادية استبد بالروح فحجب عنها نور الحياة ، ولم تعرف العرب في عصورها المتأخرة قبل الإسلام فلسفة روحية تهذب النفس وتصل العاطفة بما يوازي المادية الجارفة ، ومن هنا كان الإنتاج الأدبي من النوع النفساني الخالد بذاته قليلاً في تلك الحواضر العربية .

قد يدور في خلد بعض الناس أن هذه النظرية أخرى بأن تطبق على أدب البداوة ، لأنه أدب مادي يقوم في تصويره على المحسوس ، وليس للخيال الضافي والفكر العميق فيه أي شأن يذكر . نعم ، ولكن مادية البداوة بسيطة ساذجة وقتية لا تصرف البدوي عن تغنيه بأشجانه وأفراحه وعواطفه الجياشة ، فهو أبداً يتغنى بما حوله من مظاهر الطبيعة

صادق إبراهيم عربونه

الاسلام والفلسفة

- ٦ -

رأيت في الكلمة السابقة كيف ناقش الإمام الغزالي عبارة الفارابي وابن سينا : « العالم مخلوق لله مع كونه صادرا عنه صدور المعلول عن علته » وكيف انتهى الى أن في هذا التعبير تمويها وتلبيسا من جانبها قصدا بهما النجاة من سيخط المسلمين ومن حملات المتكلمين ، وليس هذا غريبا ولا مستبعدا ، إذ أن ابن رشد نفسه ، وهو من محور الفلاسفة وحججهم ، قد رمى ابن سينا بأنه ما دفعه الى القول بمراتب الموجودات الثلاث : مرتبة واجب الوجود لذاته ، ومرتبة واجب الوجود لغيره ، ومرتبة ممكن الوجود ، إلا اتقاؤه المتكلمين ، ذلك الاتقاء الذي لا يليق بالفلاسفة الأحرار .

على أنني أنا شخصا لا أستبعد مع هذا الفرض المتقدم أن يكون هذا التعبير ناشئا عن الخلط والاضطراب .

وسواء أكان الأول أم الثاني ، فإن الذي لا ريب فيه هو أن الفارابي قد قام بجهود الجبارة في سبيل محاولة التوفيق ، بوساطة نظرية العقول العشرة ، بين القواعد الاغريقية الثلاث : (١) الواحد من كل وجه لا يصدر عنه إلا واحد . (٢) الكامل من كل وجه لا يصدر عنه إلا كامل . (٣) العدم لا ينتج وجودا ، وبين الاسلام الذي يؤكده كتابه الكريم أن الله خالق كل شيء ، بأن وضع بين مرتبة الإله الكامل من كل وجه ، الواحد من كل وجه ، وبين مرتبة العالم الناقص المتعدد ، مرتبة وسطى ، وهي مرتبة العقل الأول الذي هو واحد ولكن لا من كل وجه ، وكامل ولكن لا من كل وجه كذلك . وقد أصدر الفارابي هذا العقل عن البارئ إصدار المعلول

عن علته ، فحسب أنه بهذا قد سوى نقط الخلاف بين الاسلام وتلك القواعد ، وما هو في ذلك إلا واهم كما أبتنا في الفصول السالفة .

ومهما يكن من إخفاق الفارابى أو من توفيقه في هذه المحاولة ، فإن تلك العقول كما أسلفنا ، في المرتبة الثانية بعد واجب الوجود عند الفارابى .

وفي المرتبة الثالثة يوجد العقل الانسانى ، وفي الرابعة توجد النفس البشرية ، وفي الخامسة توجد درجة « الهيولى » وفي السادسة توجد درجة الصورة . وهذه هي المراتب الست المكونة للعالم العقلى ، وليس منها متعدد متصل إلا الأربع الأخيرة : العقل والنفس الانسانيان ، والهيولى والصورة . أما المرتبتان : الأولى والثانية فهما مجردتان غير متعددتين .

وأما العالم المادى فهو : (١) الأجرام السماوية (٢) العناصر الأربعة : الماء والتراب والهواء والنار (٣) المعدن (٤) النبات (٥) الحيوان (٦) الانسان . ولا ريب أن لذلك المذهب الاسكندرى الملقب من مذاهب : « أفلاطون » و « أرسطو » و « أفلوطين » أثرا واضحا على هذه الفلسفة الفارابية ، لأننا نرى أفلوطين يصرح في وضوح أن أعلى مراتب المادة هي أحط بكثير من أدنى مراتب العالم العقلى . وقد عزا الاسكندريون أمثال هذا رأى الى أرسطو وسجلوها في كتب نسبوها إليه فاتخذها الفارابى منوالا نسج عليه في فلسفته . أما أرسطو الحقيقى فلم يكن يستهين بالمادة الى هذا الحد ، وإلا لما نشب الخلاف بينه وبين أفلاطون .

النفس عنده :

يقسم الفارابى النفس البشرية الى أربع قوى ، وهى : القوة الغاذية ، والقوة الاحساسية ، والقوة المتخيلة ، والقوة الناطقة . فأما الأولى فهى التى بوساطتها يتغذى وينمو . وأما الثانية وهى الاحساسية فهى التى يدرك بها المحسّات الخارجية من : مبصرات ومسموعات ولمسوسات وغيرها . وأما الثالثة وهى المتخيلة أو الذكرة فهى التى

ترتب المحسّات وتحفظ أثرها بعد غيابها عن الحواس . وأما الرابعة وهى الناطقة فهى التى تفكر وتميز وتحكم . ومحل هذه القوى الأربع الرئيسة القلب ، غير أنه لسكل من الأولى والثانية منها خـدام وتوابع أو آلات لا يتحقق المقصود منها إلا بوساطتها . فالآلات القوة الغازية مثلاً هى : الفم والمعدة والكبد والطحال وهلم جرا . وآلات القوة الاحساسية هى : العينان والأذنان والأنف وهكذا . وأما القوتان : المتخيلة والناطقـة فليس لهما توابع ولا خـدم .

ويرى الفارابى أن هذه القوى الأربع لم تخلق فى الانسان دفعة واحدة ، وإنما يوجد بينها تفاضل وتمائز ، وأن رياستها جميعها إنما هى للقوة الناطقة التى تميز وتحكم . فهى كما أن لها اختصاصاً تنفرد به ، تستطيع كذلك أن تصدر الأمر الفاصل فى اختصاصات القوى الأخرى . والقوة الغازية عنده هى مادة بحتة وليست صورة لغيرها . وأما القوتان : الثانية والثالثة ، فهما مادتان من جهة ، وصورتان من جهة أخرى ، لأن القوة الاحساسية صورة للقوة الغازية ، وهى فى نفس الوقت شبه مادة للقوة الناطقة . وأما القوة الناطقة فهى صورة خـسب وليست مادة لغيرها .

ويرى الفارابى كذلك أن هناك قوة خامسة ، ولكنها ليست مستقلة كالقوى الأربع السابقة ، وإنما هى شبه مزيج من خواص هذه القوى الأربع كالحرارة التى تتكون من النار والشمس فى وقت واحد ، وتسمى القوة النزوعية ، ومجموعة هذه القوى الخمس المتصلة تكوّن النفس البشرية ، فكانها مظاهر ووظائف لها فقط .

طريق المعرفة عنده :

إن طريق المعرفة عند هذا الفيلسوف هى هذه القوى الثلاث الجوهرية : الإحساسية والمتخيلة والناطقـة ، لأن النفس على أثر إدراكها المحسّات الخارجية يحدث فيها نزاع داخلى ينتهى بأخذ صورة من هذه المحسّات ، وتسجيلها فى القوة المتخيلة حتى لا تتلاشى بعد انصراف الحواس عنها . فإذا تم ذلك التسجيل نقلت هذه الصورة

ووضعت بين يدى القوة الناطقة ، لتميزها وتصدر فيها حكمها ثم تتركها لدى القوة المتخيلة ، لتطلبها عند الحاجة . وبهذه الطريقة تحدث المعرفة الانسانية ، وهذا هو عين ما يراه أكثر الفلاسفة من أن طريق المعرفة هي الحواس والعقل ، أو أن طريقها هو القوتان : الخارجية والداخلية ، غاية ما فى الأمر أن الفارابى يفصل فى القوة الداخلية وهى العقل ، فيجعل له درجتين : الأولى درجة التسجيل أو الاختزان ، والثانية درجة التمييز والحكم . وهو يرى كذلك أن الحواس لا تتمدى الجزئيات الخارجية .

وأما القوة الناطقة فهى عنده كما تميز منقولات الحواس إليها تدرك أشياء أخرى لا ترقى إليها الحواس ، وهى المعقولات المحضة ، وأن القوة المتخيلة كما تسجل مدركات الحواس ، تسجل كذلك معقولات القوة الناطقة .

الأهموم عنده :

يرى الفارابى أن الله منح العقل الانسانى قوة كافية لتمييز الخير من الشر ، والحسن من القبيح بهيئة حرة مستقلة ، ولولا هذا لما كان مسئولا أمام البارى ولا مستحقا ثوابه وعقابه . وإذا فآخير عنده هو ما حسنه العقل ، والشر هو ما قبحه العقل . وهذه هى إحدى النظريات التى خالف فيها الفارابى أهل السنة ، ولا أدرى كيف كان يطمئن الى هذا الرأى مع مشاهدة خطأ هذه القوى النفسية التى هى وسائل المعرفة ، ولكن لعل تعلمه لأرسطو وحبه إياه هما اللذان سلكا به هذا الطريق الوعر ، اللهم إلا أن يكون قد قصد بالعقل العقل الذى يستضىء بنور البصيرة ، ولا سيما أنه كان قد خدع فى رأى أرسطو بتلك الكتب المصنوعة التى لفها الاسكندريون من مذهبي : أفلاطون وأفلوطين ثم نسبوها الى أرسطو ، وفيها يرى القارئ أرسطو بصيريا ، بل متصوفا أحيانا على عكس ما كان فى حقيقته . وفوق ذلك فقد كان الفارابى فى حياته العملية - إذا صح مارواه لنا التاريخ - صوفيا متنسكا أقرب الى « فيثاغورس » وأفلوطين منه الى أرسطو .

ومهما يكن من شيء ، فإن العقل السليم هو مرجع التمييز بين الخير والشر عند الفارابي ، أما السعادة عنده فليس جدرا منها بهذا الاسم إلا ما كان سعادة في ذاته ولذاته ، وليس وسيلة لغيره ولا محتاجا في كماله الى غيره ، وهذا هو رأى سقراط في الخير ، إذ قسمه الى قسمين : خير كامل وخير ناقص ، وعرف الكامل بأنه ما كان ذاتيا ولم يحتاج في كماله الى غيره مثل الفضيلة . وحدّ الناقص بأنه ما كان خيرا لغيره واحتاج في كماله الى شيء آخر مثل الصحة والثروة ، إذ كل منهما خير لغيره ، وهو إتمام السعادة ، كما أن كلا منهما محتاج في كماله الى الآخر والى أشياء أخرى .

الدكتور محمد غنوب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

ضرار الصداق يصف عليا

دخل ضرار الصداق على معاوية وهو أمير للمؤمنين ، وكان ضرار من خاصة أصحاب علي كرم الله وجهه ، فقال له معاوية : صف لي عليا . فقال ضرار : اغفني يا أمير المؤمنين . فقال معاوية : لتصفه .

فقال ضرار : « كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته . كان والله غزير الدمة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استبناناه ، ونحن مع تقرّبه إيانا وقربه منا ، لا نكد نكاهه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيتني في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته ، يتعامل تامل المصلي ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا اليك عني ، غري غيري ، الى تعرضت أم الى تشوفت ، هيهات قد باينت ثلثا ، لا رجعة لي عليك ، فعمر كقصير وخطرك حقير ، وخطبك يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ، ووحشة الطريق !! » . قيل فبكي معاوية وسأل ضارا عن مبلغ حزنه عليه . فأجاب : حزن من ذبح واحدا في حجرها .

علم الطبيعة

هل هذه التسمية صحيحة ؟

أطلق لفظ الطبيعة على مجموع الكائنات المحسوسة وعلى القوى العاملة فيها ، ثم حدث توسع في هذا الإطلاق فجعل للطبيعة شخصية موهومة ، ف قيل : الطبيعة فعات كذا ، والطبيعة لا تسمح بكذا . وهو تسامح قد ضلل كثيرا من الناس وجعل بعضهم يظنون بهذا العلم الجليل الظنون .

المشتغلون بهذا العلم أ حذر جلين : رجل غرته المظاهر ، وازدهته القشور ، نخل اليه أنه أدرك سر الوجود ، ووقف على كل جليل وحقير فيه . ورجل لم تقفه الظواهر عند حدودها ، ورمى ببصيرته الى ما وراءها ، فأدرك كما أدرك كل عالم متزن قبله ، أنه لم يعرف من هذا الوجود إلا بعض كائناته وبعض العلاقات الموجودة بينها ، أما كنهها ، ومستقر القوى الطبيعية منها ، ومصدر بنايعها ، وحدود سلطاتها ، فهو فيه والماي سواء .

مثال ذلك : رأى العلامة الفلكي (نيوتن) الأجرام العلوية من المجموعة الشمسية معلقة في الفضاء بغير ماسك يمسكها ، فافترض وجود قوة تجذبها كلها الى الشمس ، وسمى تلك القوى بناموس الجذب العام . ولكن تلك الأجرام مع وجودها معلقة في الفضاء ، تدور حول ذلك الجرم في مدارات محدودة لسكل منها ، فلم يستطع أن يتخيل لتلك الحركات الدائرية ناموسا يعلمها ، فقرر بأن القدرة الإلهية هي التي تدبرها ، معانما إفلاس العقل عن تعليل تلك الحركات .

ولكن هل العلامة نيوتن مصيب في نظرية الجذب العام التي تخيلها ، وعلقت بالأذهان ، واشتهرت حتى عدت من أكبر الاكتشافات العلمية ؟

نسأل في ذلك أقطاب العلم المصرى . قل العلامة الفرنسى (شارل ريشيه) العضو
بالجمع العلمى :

« لماذا لا نصرح بصوت عال بأن كل هذا العلم الذى نفخر به الى هذا الحد ليس
فى حقيقته إلا إدراكا لظواهر الأشياء ، أما حقائقها فتغفلت منا ولا تقع تحت إدراكنا .
والطبيعة الحققة للنواميس التى تقود المادة الحية أو الجاحدة تتعالى عن أن تلم بها عقولنا .
« مثال ذلك أننا إذا ألقينا حجرا فى الهواء نراه يسقط الى الأرض ، فلماذا يسقط ؟
يحيى بنائوتن بقوله : إنه يسقط لجذب الأرض إياه جذبا مناسبا لمادته ، ولمسافة التى يسقط
منها . ولكن ما هو هذا الناموس إن لم يكن من باب تحصيل الحاصل ، وإلا فهل أدرك
أحد تلك الذبذبات الجاذبة التى تجعل الحجر يسقط على الأرض ؟ إن ظاهرة سقوط
حجر على الأرض من الشىوع بحيث لا تدهشنا ، ولكن الحقيقة أنه لا يوجد عقل
إنسانى فهم ذلك . إن هذه الظاهرة عادية وعامة ومقبولة ، ولكنها غير مفهومة ككل
ظواهر الطبيعة بلا استثناء » (١)

يعتبر العلم الطبيعى من ناحية بحوثه المادية مستودع الحقائق الثابتة ، ولكنه من
ناحية فلسفة بعض أشياءه مستقر الظنون والأوهام ، ومستنقع الخيالات والأهواء .
وليس هذا العار واقعا على العلم الطبيعى نفسه ، ولكن على خفاف الأحلام من حملته .
ذلك أن هذا العلم موضوعه درس الموجودات فى جملتها وتفصيلها ، فهو من هذه
الناحية يكشف للعقل من العلاقات الموجودة بين تلك الموجودات ما يهديه لاستخدامها
فى مصالحه . من هنا أتت منزلته السامية فى القلوب . أما سقطاته فقد جناها عليه
المتسرعة من أتباعه .

مثال ذلك رأى العقل الانسان حيا مدركا مريدا ، فقرر أن قوة علوية تثوى فى
جثمانه ترفعه عن مستوى الموجودات ، وتخضعها لسلطانه ، ولكن رجالا من الطبيعيين

قالوا لماذا نلجأ الى هذا التعليل الساذج، فنفترض أن للانسان روحا هبطت عليه من عالم لا نعرفه، فنخوض في الظنون ما دامت المعلومات الطبيعية تكفي في تعليل حياته ؟
فزعموا الروح الانسانية هي ثمرة مجموع وظائف الأعضاء الجسمية المركبة على هذا النحو الآلى المتناهي في الدقة .

ولسكنهم ما كادوا يرتاحون الى هذا التعليل حتى اعترضتهم عقبة كأداء دونه ،
هي تفسير وجود المادة الآلية ، لأن هذه تمتاز عن المادة الجامدة بوجود الحياة فيها ،
فما هي هذه الحياة وكيف نشأت من الجماد نشوءا ؟

هنا اختلفت الآراء ، وتشعبت المذاهب ، وخاصة بعد أن أثبت العلامة (باستور)
أن الكائن الحى لا يتولد إلا من كائن حى ، ولا يمكن أن يتولد من الجماد على الإطلاق .
فلما أعوزت أولئك الطبيعيين التعليلات ، رأى واحد منهم رأيا من أغرب ما سمع
عن مثله ، وهو قوله : إن كائنا حيا يحتمل أن يكون سقط على الأرض ، محمولا على أحد
النيازك ، فكان أصلا لجميع الأحياء الأرضية .

ووجه الغرابة في هذا رأى أن النيازك وهى الأحجار التى تسقط في بعض فصول السنة
على الأرض من بقايا كوكب متعطم ، تصل في أثناء سقوطها بسبب احتكاكها بالهواء
الى درجة من الحرارة عالية جدا ، بحيث تذيبها قبل أن تصل الى الأرض ، فان كان واحد
من هذه الأحجار كبيرا ، ولم تكف مدة هويته لاذابته كله ، هبط حارا الى درجة تكفي
لإذابة المعادن ، فما ظنك بكائن حى سواء أ كان نباتيا أم حيوانيا ؟

لامشاحة في أن أمثال هذه التعليلات تعتبر أوهاما ، وما أكثرها في الفلسفة التى
تُدعى طبيعية ، كما سيمر بك في مراحل هذا البحث .

ولكن للعالم الطبيعى رجالا لا ترددهم مثل هذه الصغريات ، قد نجلى لهم العجز
عن تعليل أصغر كائنات الطبيعة الى حد أن حملهم على الاعتراف بذلك بدافع ذاتي لارادله .

منهم الأستاذ شارل ريشيه الذى تقدم ذكره فى هذه المقالة ، قال فى كتابه الذى عيناه هنالك :

« إننا نعيش فى وسط ظواهر تتوالى حولنا ولم نفهم سر واحدة منها فهماً يناسب درجتها، حتى أن أكثرها سداجة لا تزال سرا من الأسرار المحتجبة كل الاحتجاب. فما معنى اتحاد الأيدروجين بالأكسجين؟ ومن الذى استطاع أن يفهم ولو مرة واحدة معنى هذا الاتحاد، وهو يفضى إلى إبطال خواص الجسمين المتحدين وإيجاد جسم ثالث يخالف للأولين كل المخالفة؟

« إن العلماء لم يتفقهوا للآن حتى على طبيعة الجوهر الفرد المادى، الذى يوصف بأنه غير قابل للوزن، وهو مع ذلك يقبله متى اجتمع عدد كبير منه.

« فالأولى بالعالم الصحيح أن يكون متواضعا وجريئاً فى آن واحد، متواضعا لأن علمنا ضئيلة، وجريئاً لأن مجال العوالم المجهولة مفتوح أمامه.

ثم ختم كلامه بقوله: « فالويل للعلماء الذين يظنون أن كتاب الطبيعة قد أفل، وأنه لا يوجد شئ جديد يحسن تفهيمه للإنسان الضعيف».

وقال العلامة (وليم جيمس) أستاذ جامعة هارفارد بالولايات المتحدة فى كتابه (إرادة الاعتقاد) صفحة ٧٣:

« إن علمنا قطرة وجهلنا بحر زاخر، والأمر الوحيد الذى يمكن أن يقال بشئ من التأكيد هو أن عالم معارفنا الطبيعية الحالية، محاط بعالم أوسع منه من نوع آخر، لم ندرك خواصه المكونة له إلى اليوم». يشير الأستاذ بهذا إلى العالم الروحانى.

وقال العلامة هرشل مبيينا الثمرة الحقيقية للعلم الطبيعى:

« كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أسمى لأحد لقدرته. فالجيولوجيون (علماء طبقات الأرض) والرياضيون والفلكيون والطبيعيون، قد تعاونوا جميعاً وتكافلوا على تشييد صرح العلم، وهو صرح العظمة الإلهية فى الواقع».

محمد فريد ومبرى

الاسلام والطب الحديث

بحوث دينية علمية

« وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفُ! عَلَى يَوْسُفَ وَابْنَتَيْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ » :
 البياض المصحوب بضياء البصر غالبا معناه « الجلو كوما » ، والمعروف عند
 الاختصاصيين في أمراض العيون أن أهم سبب لها هو التغيرات في الأوعية الشعرية ،
 نتيجة لأسباب كثيرة من أهمها الانفعالات العصبية (كما يحدث في زيادة ضغط الدم)
 لاسيما الحزن (الدكتور سار) .
 « فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَتَاهَا عَلَى وَجْهِهِ فَازْدَادَ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
 مَا لَا تَعْلَمُونَ » :

لا تتحسن أعراض مرض « الجلو كوما » (أو شدة توتر العين) أو تقف شدته
 إلا بالعلاج ، ومنه العمليات الجراحية ، ولكن شفاء سيدنا يعقوب بوضع القميص
 على وجهه هو معجزة من المعجزات الخارجة عن قدرة الانسان ، وليس المهم هو القميص
 أو وضعه على وجهه ، فقد كان ذلك لتسهيل وقع المعجزة على الحاضرين فحسب ، ولكن
 المهم هو طريقة الشفاء ، وهي إرادة الله المنحصرة في « كن فيكون » ، وهذه خارجة
 عن كل السنن الطبيعية التي أمر الانسان أن يتعلمها ، فمعظمة المعجزة ليست في النتيجة
 فحسب ، ولكن في طريقة الشفاء .

وما أعظم إعجاز القرآن الذي وصف حالة مرضية خاصة وبن سببها ، ولم يكن يعلم
 العالم شيئا عن هذا المرض ولا عن أسبابه في ذلك الوقت ، ولا بعده بزمن طويل !

* * *

« رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْحَرَامِ رَبَّنَا لِيَقْبَلُوا
 الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » :

آيات القرآن يفسر بعضها بعضا، ودعاء سيدنا ابراهيم يفسر ماقلناه، وهو أن الدعاء سنة طبيعية لا أكثر ولا أقل، فالنبي يدعو ربه ليلاهم الناس حج البيت، فهو يستعين بسنة طبيعية، وهي إلهام الخالق لنا، مع أنه يعلم أن الله قادر على أن ينزل عليهم رزقا من السماء، ولكن النبي ضرب لنا مثلا في طريقة استعمال الدعاء وقيمتها، فالدعاء لا يافى سنة طبيعية ولا يأتي بالمعجزات، ولكن الداعي يطلب من الخالق الهداية الى إحدى السنن الطبيعية، وسأضرب لذلك مثلا بالنسبة للمريض وعلاجه، فقد أخبرني البعض أن من يطلب الطبيب لا يستعين بالدعاء، والحقيقة غير ذلك، فالوالد الذي يدعو ربه لشفاء ولده :

١ — لا فائدة من دعائه إذا كان الولد قد مات فعلا، كما قلنا سابقا .

٢ — لا فائدة من دعائه إذا كان مرضه مميتا حتما، وليس له علاج في ذلك الوقت، لأن الدعاء لا يخلق سنة جديدة، ولا فائدة كذلك من أى علاج لأن المريض تحت تأثير سنة طبيعية، وهي أن هذا النوع من المرض مميت حتما وعلاجه لم يكتشف الى اليوم، ولا فرق بينه وبين من مات فعلا أو فقد عضواً من أعضائه لا يمكن الاستعاضة منه بغيره، ولو أراد الله شفاؤه لما مرض بهذا المرض .

٣ — قد يكون للمرض طرق علاج، أو قد يشفى من نفسه في ظروف خاصة، فالدعاء في هذه الحالة معناه إلهام المريض ومن حوله من طبيب وغيره باستعمال الطريق المؤدى الى الشفاء، والطبيب يحتاج دائما الى هذا الإلهام، وكم من مرة يقف في مفرق الطرق ولا يدري أية ناحية يسلك، وكل طريق سنة طبيعية تؤدي الى نتيجة خاصة، والدعاء هداية الى السنة المؤدية الى الشفاء، وهكذا يكون الدعاء والتطبيب وكل أعمال الانسان يكمل بعضها بعضا، ولكنها ليست متناقضة .

فدعاء سيدنا ابراهيم معناه أن الله يلهم الناس بواسطة القوانين الطبيعية حج البيت، وقد يقال : « ولكننا لا نشعر بإلهام من عند الله وكل أفعالنا نتيجة مباشرة لتفكيرنا والشخص الذى يحج لا يشمر بإلهام أو بشئ خفي » .

والحقيقة أن أفعال الانسان قد تكون :

١ - نتيجة تفكيره واختباراته ويكون سبب حركاته ظاهراً .

٢ - قد تكون أفعاله غير منطوقة على تفكيره واختباراته الأخيرة ولكنه مع هذا يندفع الى العمل ، وقد ظهر بطريق الفحص العلمى المسمى (Psycho - analysis) (التحليل النفسى) وبطريق التنويم المغنطيسى أن هذه الأفعال ممكن تفسيرها بتجارب واختبارات حصلت للشخص فى زمن سابق ، وبقيت فى مخه الباطنى « Subconscious » وقد يكون نسبها تماماً ، ولكنها تؤثر دائماً فى أفعاله الحاضرة دون علمه .

٣ - قد تكون الأفعال كالنوع الثانى ، ولكن ليس من السهل على علماء النفس تحليلها ، أوردّها الى تجارب « الإرادة الخفية » . وفى اعتقادى أن بعض هذه الأفعال كالأوامر التى يقوم بها المنوم « بفتح الواو وتشديدها » امتثالاً لأمر المنوم « بكسر الواو وتشديدها » حتى بعد اليقظة ، وهو يعتقد أنها من عنده ولا يشعر بأنها من تأثير إرادة خارجة عنه .

وقد تكون هذه الأفعال من تأثير إرادة أشخاص آخرين أو أشياء جامدة ، وما أكثر الأشياء ، التى يؤثر على الانسان فعلها كالتنويم تماماً ، ولا يشعر الشخص بها إلا كما يشعر فى النوع الثانى ، ثم لا تعرف إلا أنها نتيجة لإرادته ، والحقيقة أنها هداية من الله بواسطة حواس غير الحواس الاعتيادية خلقها الله فى الانسان ، ولم يدرسها العلم بعد ، وهذه كالتنويم « بفتح الواو وتشديدها » تؤثر فى أفعاله بغير أن يعرف مصدرها ، وقد ثبت لبعض علماء الفزيولوجيا وجود حس فى بعض الأفراد على الأقل سموه الحس السادس .

وكثيراً ما نشاهد أشخاصاً لا يفكرون فى الحج مدة طويلة ، ولكن فجأة وبدون سبب ظاهر يصممون على الحج وينفذون إرادتهم ، وهذا العمل ظاهره الاختيار طبعاً ، ولكنها مدفوعون بقوة مسيطرة عليهم أشبه بالغريزة أو الوحى (Impulse)

وقد أجاب الله النبي الى دعائه ، فألهم الناس الحج فى آلاف السنين ، والى ما شاء الله لافى مدة حياته فحسب ، وفى هذا إظهار لقدرة الخالق وصدق وعده . دكتور عبد العزيز اسماعيل

معنى الحياة وقيمتها

مقدمة (١)

إن مسألة معنى الحياة وقيمتها لا يمكن أن تفهم على حقيقتها، لأنها توضع في أزمة لم يتبين فيها السائل مضمون الحياة بوضوح على ما تمثلها له البيئة التي يعيش فيها . وهذا النقص في المعرفة يدل من جهته على أن المذخورات التقليدية ليست كفقوا المطالب التي يقتضيه التقدم في مجالات الحياة . ولكن إذا أراد الفكر أن يتطوع للإجابة على هذه المسألة وجد نفسه في حرج شديد ، لأن تغلب الأفكار العالية علينا يحقر في نظرنا عادة العالم الخارجي ، ويزيد الهاوية التي تفصلنا عنه عمقا ، حتى إن ذلك ليفضى الى جعل هذا العالم أجنبيا عنا الى حد أن يظهره غير صالح لأن يكشف لنا عن معنى وجودنا فيه . وبأنحياز الانسان عن العالم الخارجي اضطر للرجوع الى نفسه باحثا عن حقيقة روحه . فهنا وليس في مكان آخر تستطيع الحياة أن تدرك الأغراض التي وضعت لها ، والوسائل التي توصلها اليها . ولكن هذه المحاولة تنتهي باقناع الانسان بأن حياته التي فصلها عن العالم الخارجي ، ولم يقف عليه جهوده ، تزداد فاقة يوما بعد يوم ، وتقع نهائيا بسبب ذلك في فراغ باطنى . فيجب والحالة هذه وجدان أية وسيلة لاجتياز الهاوية التي تفصل الروح عن العالم الخارجي ، ولا زالة التناقض بينهما . وهذا يقتضى أن تبلغ الحياة درجة عالية من الرقي ، وحالة رفيعة من الجلالة والسعة في ذاتها . ولكن كيف يتأتى للانسان أن يصل الى هذه المسكنة إذا اتجه نحوها والتلاؤم بين نفسه والعالم الخارجي قد هدم في أثناء الحياة ؟ على هذه الصورة نندفع في هذه المسألة الى الامام ، متوغيين في مناهات الشكوك ، ومن الشكوك الى الجحود التام .

هذه الحالة من الضلال ، ومن المباحث التحسسية ، هي حالة عصرنا الراهن كما هو ظاهر للعيان . وإن عدم الوقوف على ما تطمئن عليه النفس من مسألة معنى الحياة ، يتضح خصوصا من عدم وجود نقطة مركزية تتحكم في حياتنا ، ومنها يمكن ملاحظة تغيراتها بالنظر اليها نظرة إجمالية . وعليه فإن هذه المسألة حتى من ناحيتها العامة لا يمكن تحديدها ، فأولى أن يكون وجدان الجواب الكافي عنها غير ممكن كذلك .

لا يعز علينا في العهد الراهن أن نحاول إعطاء الحياة نقطة مركزية ، ثم تنظيمها بالبداية

(١) ترجمنا عن الفرنسية في العدد الماضي مقدمة الفيلسوف المشهور برغسون على كتاب الاستاذ الالماني رودولف أوكن تحت العنوان المتقدم ، واليوم نأى على ترجمة مقدمة الكتاب بقلم أنطوان نفسه عن النسخة الفرنسية

من تلك النقطة على شكل خاص ، ولكن تعدد هذه المحاولات يساعد على زيادة تعقدها ، فإن هذه المحاولات تتخالف تخالفا شديدا حتى إنها لنتناقض الى حد أن الإنسانية الحاضرة لا تختلف في شيء مثل اختلافها عليها . فالخلاف ينشأ قبل كل شيء من التخالف بين أساليب التفكير القديمة والحديثة في الحياة ، من أول جذورها الأولى الى آخر نقطة من تفرعاتها . ومن هنا ينشأ التعارض الدريع على فهم معناها وإدراك قيمتها .

فلا أسلوب القديم كما هو مائل في الدين وفي المذنيات المثالية ، يرتكز على عقيدة وجود عالم مرئى لعين البصيرة وحدها هو العالم الروحاني ، وتضع الوجود المؤقت في إشارات ذلك العالم وفي خدمته . وكل ما يظن في هذا الوجود أنه موجود بذاته ، أو أنه يؤدي عملا خارجا عن الحد المقرر له ، فانه إن لم يعتبر مما لا يجوز أن يهتم به ، اعتبر على القليل عرضيا . تقابل هذه الفلسفة فلسفة حديثة العهد ، وهي اعتبار الحياة جزءا من الوجود المحسوس ، وعدم جواز العمل إلا بالوسائل التي يمنحها إياها هذا الوجود نفسه . وكل خطوة يخطوها الانسان خارجا عن حدوده تقضى الى الضلال في الفراغ المحض .

هاتان الفلسفتان تؤثران علينا بشدة ، وتجرائنا الى اتجاهين متعاكسين . فبولنا المثالية ، وأحكام عقولنا ، تجري غالبا على الفلسفة القديمة ، ولكن مصالحنا ومحاولاتنا تجري على الفلسفة الجديدة .

في نظر الذي يخيّل له من معاصرنا أنه يستطيع أن يتبع واحدا من هذين الاتجاهين مكتفيا به ، إما بحسبان الفلسفة الجديدة من الثمرات العقلية التي ظهر فسادها ، وإما باعتبار أن الفلسفة القديمة قد رثت وأدركها البلى ، قلنا في نظر الذي يطوف برأسه هذا الخيال الأمر بسيط للغاية ولا يحتمل أقل شبهة . ولكنه لا يدري أنه قد ثبت ، وأصبح في أرفع مكان من العقلية الإنسانية ، أن كل وجهة نظر لا تخلو من حقائق لا يجوز إغفالها ، وأنه يجب الاحتفاظ بكل هذه الجهات والتوفيق بينها على أى حال من الأحوال .

نعم إن تفصيل وجوه التوفيق بينها ، على شدة ما بينها من التباين ، من الصعوبة بمكان . وهما نحن ، قبل أن نصل اليه ، تحت تأثير حالة ليس لها قرار . وقد نتج من هذا الاضطراب والقلق شعور بعدم الطمأنينة ، وبفراغ يشل كل حركة ويستحيل التخلص منها ، إلا إذا كان الانسان رغما عن عمله المتواصل في الناحية الظاهرية من الوجود ، يعمل على الحياة والتشكل بالعمل المثمر باعتبار أنه عالم قائم بذاته . هذا هو الذي يشهد به الواقع ، فإن الانسان في العصر الراهن وهو في وسط مبدعات عبقرية ، وترقيات لا تنقطع ، يرى أنه مجرد من شعور ارتياح وثقة بالحياة ، وأن كل هذه الأعمال الناجحة لم تؤده الى الرضاء عن حالته ، وأنه في تقدير ما يحيط به ، قد تعود إسقاط قيمته وقيمة المكان الذي شغله من هذا العالم . فأى تبدل

عظيم قد لحقه من هذه الناحية ، إذا قورنت نفسيته في هذا العصر بنفسية أسلافه في القرن الثامن عشر ، وهو عهد لم يكن من القوة على مثل العهد الذي نحن فيه ، حيث كانوا يعتقدون بعظمة الانسان وسمو مكانته في الوجود . والحال أنه بقدر ما هو حق أن الانسان لا يستطيع الاضطلاع بالمهام العظيمة التي يقتضيها منه العصر الحاضر ، إلا إذا أسعدته قوة حيوية يحدوها الرجاء والتفاؤل ، وبقدر ما هو حق أيضا بأنه لا يستطيع أن يعنى نفسه من التساؤل عن معنى الحياة ، فهو حق كذلك أن هذه المسألة العامة ستتغلب على سائر مسائله الثانوية .

وعلى وجه الاجمال : الانسانية جمعاء والفرد الواحد يكاخان هنا لحفظ ذاتيتهما الروحية . وهذه المسألة يمكن إرجاؤها الى حين ، ولكن من المحال إغفالها بتاتا ، فانها بقدر ماتهمل تعاود السكرة باشد قوة وسطوة مما كانت عليه .

الصعوبة الرئيسية هنا تأتي من عدم وجود حالة محددة كل التحديد ، بحيث تبقى ثابتة على الرغم من جميع التاويلات والمذاهب ، وتأتي تلك الصعوبة كذلك من عدم ثبات الحياة وقبولها للتركيب على ضروب شتى ، طوع الاسلوب المتبع في التركيب . فلهذا تتخالف صور تلك التراكيب ويتباين أيضا ما ينشأ عنها من الأمور الواقعة . فالاحكام التي صدرت على ما هو أصلى أو تبعى ، وما هو قيم أو ما لا قيمة له ، وما هو نافع أو ضار في الحياة ، تأتي متخالفة ومتناقضة تبعا لوجهات التركيب التي عوملت بها من قبل . وعلى هذا فان النزاع القائم اليوم منصب على الحياة نفسها أكثر مما هو منصب على اختلاف وجهات المفكرين . فاصبחנו والانقسام واقع على الحياة نفسها كما هو واقع على المتكلمين فيها . إذن فلا يتأتى التغلب على هذا الانقسام في المذاهب إلا بالتوفيق بين مداركها ، نعم ولكن بواسطة الكفاح للحصول على حياة جديدة تسمو بأصالتها وكملها عن التناقض والاعتراض . وإن اتجاه الحركات الراهنة الى إيجاد حياة جديدة هو الذي يبعث في تلك الحركات نفسها خطورة وقوى خاصة . نعم إن تحولا من هذا النوع لا يمكن أن يتم من اليوم الى غد ، ويقضى صملا متواصلا في أجيال متعاقبة ، ولكن بعد الغاية لا يجوز أن يحمل أحدا على اعتبارها مستحيلة ، ما دام يمكن التاهب لها ووضع أساسها منذ اليوم .

وإذا كان العمل العلمي يعتبر جزءا من حركة واسعة النطاق من هذه الناحية ، فيهمنا أن ننبه عقولنا الى ما بذل من الجهد للتوحيد بين وجهات النظر ، ولبناء التراكيب المختلفة عن الحياة فيما مضى من الزمان وفي العصر الراهن ، مما كان له أثر كبير علينا . لأن هذه التراكيب لا يمكن إقصاؤها باعتبار أنها صور ساذجة ، فعملها على شمول جميع حالات الحياة تربنا بصورة من الخصائص الانسانية وهي تنطوّر في درجات السكال ، وتربنا أيضا كنه استعصاء الأشياء عليها . ومن هنا يمكن أن نحصل على تجارب ذات قيم ثابتة . ولا يغيب عنا أن هذه التراكيب كان يصعب عليها أن تجمع بين عدد عديد من الأرواح ، وأن تؤثر في الأشياء الانسانية تأثيرا

عميقا إن لم تكن حاصلة على قسط ما من الحقيقة . والنقد الصحيح لهذه المحاولات يمكن أن يشمل جملة التجارب والحقائق التي حصل الناظرون عليها ، وأن يسمح بمعرفة حقيقة الحالة الراهنة لمسألة الحياة بما لا تسمح به نظرة عامة عليها . وهذا التحخيص نفسه يساعد على بيان الوجهة التي يجب أن تتبع للبحث عن إصلاح الحياة ، وعن وجه جديد لتركيزها .

أما أن مثل هذه البحوث تؤدي الى نجاح من هذه الناحية فذلك مما ينتظر أن تعرفنا به التجربة وحركة الحياة نفسها . فانه لأجل الحصول على تقدم في هذه السبيل يجب أن توجد قوى جديدة كامنة فينا ، وأن لا تكون قد استنفدت ذخرها في الصور التي أنتجتها الى الآن . ولكن إذا كان الوجود كله لا يزال في حالة تطور فهل يعقل أن يكون الانسان خارجا عن هذه الحركة العامة ، وهل يتصور أن تكون الكلمة الاخيرة قد قيلت فيه وحده ، ولأى سبب يحرم من التطور كغيره من أشياء هذا الوجود ؟

مهما كانت الحال فاننا لا نستطيع أن نبقى جامدين ، منتظرين ما يحدث غير مكرئين له . لأن التناقضات في هذا الموضوع تزداد كل يوم وضوحا ، وتعمل على تجزئة الذخر الروحاني للحياة . فاذا كنا نريد أن لا ندفع في تيهور إفلاس باطني لا قرار له ، وجب علينا أن نتقدم في هذا البحث بدون إهمال ، متشجعين بهذه العقيدة بأن هنالك أمورا ضرورية قيد البحث ، تترفع أن تؤثر فيها إرادة أو رأى لا من فرد واحد ، ولكن من الناس مجتمعين ، فلنشرع الآن فيما تصدينا له معتمدين على هذه الحقيقة .

محمد فريد وجدي

(مجلة الأزهر) هذه مقدمة الاستاذ رودولف أوكن ، وهي لا تستدعي النقد ولا المقارنة ، فكل ما جاء فيها يتفق وأية فلسفة إسلامية ، فلننتظر ما ياتي به في الفصول المقبلة من كتابه ، فان فيها مجالا فسيحا للنقد والتطبيق ، وهي على أية حال تقفنا على اتجاهات الروح العصرية في عهد كل المعقولات البشرية موضوعة فيه تحت البحث والتحخيص ، مما لا يصح أن يجمله مسلم يحمل أمانة الوحي الالهي الاخير .

بقاء الذكر

قال أبو تمام الطائي في هذا المعنى :

وما ابن آدم إلا ذكر صالحة أو ذكر سيئة يسرى بها الكلم
أما سمعت بدهر باد أمته جاءت بأخبارها من بعدها أم

التبشير روح الاسلام

جاء في صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » :

هذا الحديث من جوامع الكلم وأمهات الحكم ، وهذا شأن الرسول فى كل مقال ، ولا تعجب لأن العجب إنما يكون عند خفاء السبب ، والسبب فى ذلك واضح جلى ، فإن الله قد رفع درجته فى العلم والبيان ليوافق أسلوبه أسلوب القرآن ، فلا قلبه علما وحكمة ، وهذا الحديث أصدق شاهد على ما نقول ، فقد أمر بالتدرىج فى التعليم ، واللفظ فى التأديب ، والتخفيف فى التكليف ، على وفق ما كانت عليه طريقة الاسلام فى عهد النزول ، وقد كان لهذه الطريقة الحكيمية من الاثر فى هداية النفوس الجاحجة ، وإرشاد القلوب الشاردة ، وإلانة الشكائم الجامدة ، ما ليس لغيره من أى أسلوب توسل به مسيطر عنيف .

نعم إن نجاح الدعوة الاسلامية قام على الحق الذى أتى به الكتاب الكريم ، ولكن الأسلوب الحكيم فى نشره كان من أكبر دواعى إصغاء الناس اليه ، وأخذهم به ، وتحمسهم له .
نما يمكن أن يساق من الملمح المناسبة لهذا المقام ، ما روى أن رجلا قال لهرون الرشيد :
« يا أمير المؤمنين إني أريد أن أعظمك بمعة فيها بعض الغلظة فاحتملها » فقال له الرشيد :
« كلا إن الله قد أمر من هو خير منك بالآلة القول لمن هو شر منى فقال لنبيه موسى إذ أرسله الى فرعون : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » .

وفى الحق أن أسلوب القرآن وأدبه فى البيان فوق كل أدب وكل أسلوب ، فقد كان الله تعالى شأنه يتنزل مع أعدائه فيخاطبهم بما لا يفضيهم ، فيملك عليهم أسماعهم ، ويستميل عقولهم ، حتى يستمعوا المواعظ القرآنية فتملأ قلوبهم نورا وإيمانا . انظر الى قوله فى القرآن : « ادفع بالتي هي أحسن » وقوله : « وجادلهم بالتي هي أحسن » وقوله : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » وقوله : « قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون »

فهذا هدى الله فى كتابه وهدى النبى صلى الله عليه وسلم ، ذكرت لك منهما طرفا لنقيس به أمرك وتقتدى به فى هديك ، فأتى قد وجدت بعض غلاظ القلوب معسرين منفرين على العكس من ذلك الحديث ، يجدونه الصواب فى طريقته كما يجد المريض الحلو مرا .

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إن هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » فانك لا تكاد تجد زاجرا عن الغلو فى الدين أبلى من تشبيه حال المتعمق

فيه بحال من ارتحل ظهرا ويم سفرا ، فان أكره راحتله على قطع الطريق دفعة ، هلكت وبقي وحده
 يقلب كفيه ندما ولات حين مندم ؛ وإن سار بها مع الرفق أوصلته للغاية مع ربح الثواب وحسن
 المآب . فإى أسلوب فى كلام البشر بدا فى ذلك الأسلوب الحكيم الذى دعا به رسول الله
 جميع الخلق الى الاقتصاد فى الأمر والاعتدال فى النصح وعدم التشديد على النفس ، وكما
 فى السنة من أحاديث غير هذا حيث بها على الرفق ونهى عن التعمق ، كقوله لبعض أصحابه من
 حديث طويل : « قم ونم وصم وأفطر فان لبدنك عليك حقا » وكقوله : « يأبىها الناس إن منكم
 منفرين فأيكم أم بالناس فليوجز فان من ورائكم الكبير والصغير وذا الحاجة » . رواه
 الشيخان . ومن هذا الباب قول على بن أبى طالب رضى الله عنه : « أريحوا هذه القلوب فانها
 تمل كما تمل الأبدان والنفس مؤثرة للهوى طالبة للراحة أماراة بالسوء فان أكرهتها أنضيتها
 وإن أهملتها أرديتها » . ومن حكم أكرم بن صيفى فى هذا المعنى قوله : « من شدد نعر ومن
 تراخى ألف »

صفوة القول أن الخطاب فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « يسروا ولا تعسروا الخ »
 خطاب عام لكل راع مع رعيته ، وخاص للعلماء والحكام ، فانهم ساسة الشعوب وقادة الأمم ،
 وكأنه صلى الله عليه وسلم يقول : يا معاشر العلماء ويا جماعة الحكام يسروا ولا تعسروا على الناس ،
 وبشروهم بثواب الله الذى أعده لعباده العاملين ، وخذوهم بالحلم والحكمة والموعظة الحسنة ،
 فان كان منكم إيعاد لهم بوعيد فليكن بجواره برق بوعد كريم مراعين مقتضى الحال مع كل
 مستمع سواء أكان فردا أم جماعة . فان كان فردا فانصحو اليه كما كان ينصح لمثله سيد الخلق
 صلى الله عليه وسلم على ضوء الفراسة ونور البصيرة ، فقد كان يقول لرجل : « لا تغضب ويكررها
 ثلاثا » ويقول لآخر : « اقرأ السلام وألن الكلام » وما الى ذلك مما يختلف باختلاف حال
 السائل . وأما إن كان جمعا فان كانوا من الخاصة فيحسن لهم وحدهم الإيجاز . ويحسن فيما
 عدا ذلك الاطناب .

وهذا كله فى حدود التيسير والتبشير لافى حدود التنفير بالمقال الشديد الذى يخلع القلوب
 ويذهل العقول ، فانه فضلا عن كونه غير مجد فهو عمل رجعى مكروه لا يتقرب الى الله بمثله .
 انظر الى قول الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقوله : « وما جعل عليكم
 فى الدين من حرج » وقوله : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وفى الحديث
 « أحب العمل الى الله الحنيفية السمحة »

وبالجملة فان باب الرفق فى كل شىء باب جم الفوائد كثير العوائد ، أذكر لك نبذة وجيزة
 فى ما أخذ الامراء والخلفاء سياستهم الرشيدة من هدى الحنيفية السمحة فانتهفوا بذلك
 فى كسب مودة الشعوب واستقامة الجنود حتى قيل فى التاريخ الصحيح : إن عمر وحده قد فتح

في عهده ستة وثلاثون ألف مكان ما بين مدن وقلاع وقرى وحصون . فمن ذلك ما فعله عمرو بن العاص وهو في طريقه الى مصر حيث وجد ابنة المقوقس حاكم الأقباط في مصر السفلى بالنيابة عن ملك الروم ، فبعث بها الى أبيها مع الخفاوة والتكريم ، فأثرت هذه المعاملة الحسنة في نفس أبيها ، وأثمرت المحبة للاسلام والمسلمين ، وكان من ثمراتها أن بعث رسلا من عنده للمفاوضة مع عمرو في شأن الصلح ، فلما رجعوا اليه قالوا له : « لقد وجدنا قوما التواضع أحب اليهم من العظمة ، ليس لأحدهم رغبة في الدنيا ولا نهمة ، جلوسهم على الأرض ، وأميرهم كواحد منهم ، لا يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا الحر فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة قاموا اليها ولم يتخلف منهم أحد ، يغسلون أطرافهم ويتخشعون في صلاتهم » فقال المقوقس ، وقد وقع هذا الكلام من نفسه موقع الإعجاب بالاسلام والمسلمين : « لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، ولا يقوى على قتالهم أحد ، فالرأى أن نصطليح معهم » وعلى ذلك رضى قومه ، فكتب الى عمرو يقول : « إني لم أزل حريصا على إجابتك الى خصلة مما طلبت فأبى ذلك من حضرنى من الروم ، ثم عرفوا انصحى فرجعوا الى قولى ، فأعطنى امانا حتى اجتمع أنا وأنت في نقر من أصحابى ونقر من أصحابك ، فإن استقام الأمر بيننا تم الصلح ، وإن أبيتم رجعنا الى ما كنا عليه » فرضى عمرو بذلك ، واجتمع الفريقان ، ثم اصطالحا على فرض الجزية على غير الشيوخ والصغار والنساء ، وعلى احترام حقوق الأقباط من مال وأرض ومعابد وكنائس ، وأن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم .

ومن هذا الباب أيضا رفق صهر بن الخطاب بجيوشه في الفتوحات الاسلامية ، وعتابه الشديد لا مير الجيش فيما يراه شديدا من تعاليم نحو جنده . روى أن أبا عبيدة بن الجراح لما فتح أنطاكية صاحبا ، وكانت بلدة ذات شهرة عظيمة في التاريخ مناخها معتدل وهوائها جيد ، كتب الى صهر يستأذنه في عدم إقامة الجيش فيها خوف أن يخلد الجيش الى الراحة ويستعذب الهواء ، فرد عليه صهر يقول : « وأما قولك إنك لم تقم بأنطاكية لطيب هوائها فإله عز وجل لم يحرم الطيبات على المتقين الذين يعملون الصالحات ، قال تعالى : « يأياها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم » وكان يجب عليك أن ترجع الجند من تعبهم وتدعهم يرغدون في مطعمهم ويريحون الأبدان من نصبها ، أنت الشاهد وأنا الغائب » .

الاستفناج والنفر بع :

لقد بنى الاسلام كله على التيسير ، وجاءت شريعته مشبعة بهذه الروح الشريفة ، يظهر ذلك جليا في كل حكم من أحكامها ، وكل قاعدة من قواعدها ، نذكر طرفا من ذلك على سبيل المثال لا الاستقصاء ، فإليك :

١ — من ذلك نهى الامام عن إطالة الصلاة بالناس لما في ذلك من المشقة على المريض

والكبير وذى الحاجة ، وإنما عملنا بتلك القاعدة فى مثل هذا الفرع دون القاعدة الأخرى وهى « الا قل يتبع الاكثر » إذ مقتضاها أن لا نعول على المريض والكبير وذى الحاجة لقلتهم وكثرة الأصحاء ، لأن سماحة الدين تقضى بالتيسير لا بالتعسير .

٢ — ومنه رخص المرضى وهى كثيرة ، فمنها إباحة التيمم لمن خاف المرض أو زيادته ، وإباحة الصلاة من جلوس أو اضطجاع أو إيماء على قدر المستطاع ، وكالفطر فى رمضان ، وما الى ذلك .

٣ — ومنه رخص السفر كالفطر فى رمضان ، وقصر الصلاة الرباعية الى ركعتين مع جعل القصر سنة مؤكدة ، وجعل التمام مكروها ولو فى جماعة ، ككراهة الصيام للحاج يوم عرفة ولو كان مستطيعا .

٤ — ومنه ما رخص للموظف يكون له زى خاص فى العامة تقضى به المراسيم ، فاذا كانت تلحقه مشقة بفكها فانه يمسح عليها فى الوضوء .

٥ — ومنه آداب عيادة المريض ، فى الحديث « أفضل العيادة أجرا سرعة القيام من عند المريض »

٦ — ومنه الفرق بطلاب العلم ، فلا يجوز للمعلم أن يعنف سائلا أو يمل سامعا ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه : « حدث الناس ما حدجوك بأسماءهم ولحقوك بأبصارهم ، فان رأيت منهم فتورا فأمسك »

سيد احمد متولى الشيخ

من علماء الازهر برشيد

من غوالى النصائح

قال الأديب الكبير شهاب الدين أحمد بن عبد ربه :

يا من	تحمد	لزمنا	ن	أما زمانك منك أجلد
سلط نهاك	على	هوا	ك	وعد يومك ليس من غد
إن	الحياة	مزارع	فازرع	بها ما شئت تحصد
والناس	لا يبتقى	سوى	آثارهم	والعـين تفقد
او ما سمعت	بمن	مضى	هذا	يذم وذاك يحمد
المال	إن	أصلحته	يصلح	وإن أفسدت يفسد

الحكمة فى خلق الحشرات (١)

المعارك المنظمة بين أنواع من الحشرات

فى الخلق عجائب استأثر بعلمها العلماء ومن ينتبهون بحوثهم من ذوى الالباب ، ولو علم
الدهماء أن تلك البحوث لا تقتصر على تغذية العقول والقلوب ، ولكنها تتمدى ذلك الى فتح
باحت جديدة لتحسين أحوالهم المعيشية ، وترقية مواردكم الاقتصادية ، لا قبلوا على الاطلاع
عليها أكثر من إقبالهم على البحوث الأدبية . وإنا لاآتون هنا على ملخص بحث نشر فى مجلة
العلم والحياة الفرنسية تحت العنوان المتقدم ، فإن فيه علما ، ولذة عقلية ، ونفعا للحياة العلمية ، وسبيلا
الى معرفة الله من النظر الى مصنوعاته — قالت المجلة الفرنسية :

إن نظرية تنازع البقاء تتخذ أشكالا غريبة مختلفة فى المملكة الحيوانية ، ولا سيما
فما بين الحشرات ، فقد شوهد أن هناك عراكا مستمرا بين الحشرات التى تتغذى
ببويضات أو دويذات الحشرات الأخرى . من تلك الحشرات عدد عظيم جدا يغتال
أنواعا منها تفتك بالمرزوعات ، فتأتى بفائدة عظيمة للزراع . وقد كمننا نتساءل كثيرا هل
يتأتى للمشتغلين بعلوم الطبيعة أن يستفيدوا من ذلك العراك القائم بين هذه الكائنات
فيعملوا على مناصرة الأولى للتغلب على الثانية ؟

ولقد كانت نتيجة ذلك أن أنشئت عدة معامل كيميائية للبحث عن حل لهذه المسألة .
والآن لم تصبح معلوماتنا مقصورة على معرفة عدد كبير من الحشرات النافعة ، واكننا
عرفنا طريقة استيلادها ونقلها الى المناطق التى وإن لم تبد فيها الحشرات الضارة تماما
إلا أنها تخفف كثيرا من وطأتها ، وتقلل بنسبة عظيمة من عملها الضار .

وقد اكتشف الميسو بار كر حشرة عجيبية ذات أجنحة غشائية تعيش دوايدتها
فى ديدان الحشرة التى تفتك بالكروم وتلف الذرة . وقد شرح خاصة حالة هذه الحشرة
ونمو أجنحتها الكثيرة ، إذ قد تخرج إحدى بويضاتها ثمانية أو عشرة أفراد .

وكان أول من لاحظ مسألة كثرة الأجنة المسمى مارشال ، فذكر أن الحشرة المسماة أنستروس فوسيمو ليس ، تخرج إحدى بويضاتها مائة دويذة على الأقل . وهذه الدويذة المتناهية في الصغر ذات الأجنحة الغشائية ، والتي يبلغ طولها مليمترًا ، تعيش على بويضات دويذات ذات أجنحة غشائية أخرى لا ترى إلا بالمجهر ، وهي من فصيلة الأرضة التي تنخر أشجار البرقوق والتفاح وغيرها ، فهي تثقب بويضة الفراشة لتضع فيها إحدى بويضاتها ، ثم تفقس البويضة بحالة طبيعية وتكبر وهي حاملة معها حشرة «الأنسيرتوس» (Encyrtus) التي تنمو تدريجياً حتى يكمل نموها ، وفي هذا الوقت لا يظهر إلا غلافها الخارجي وقد تقشف ونجمد ، ويحتوى على أكثر من مائة بويضة تخرج منها الحشرات كاملة النمو ، وهذا العمل يتكرر مع الأنثى مائة مرة على الأقل ، فينتهى بإخراج عدد هائل جدا من هذه الحشرة الضارة .

ولسكن على الرغم من كل الصعوبات فإن الجهود مبذولة لوضع حشرات من نوع إزاء حشرات من نوع معادٍ لها لتطاردها وتبيدها صيانة لمزروعاتنا من شرها . فن تلك الحشرات المطاردة نذكر الخنفساء ، والحشرة التي يطلق عليها اسم «فرس النبي» تتغذى حتى وهي في حالة الدورة الدودية من الحشرات الضارة ، وهي ذات نشاط عظيم ، وتأتي بمساعدة فعالة للزراع ، لأنها تبيد الحشرات الضارة وتقضى على نسلها .

فبعض الحشرات ذات الأجنحة الغشائية وكثير من الحشرات المزدوجة الأجنحة مثل الأزيل (Aziles) تقوم بنفس الخدم ، وتقتال على الأخص الحشرات التي تنموها من الحشرات الضارة .

هذا ولا ننسى الحشرات التي تتغذى بأعدائها في طور نموها وتقتلها قبل أن يكمل تطورها ، فتوقف الأكتار من نوعها ، وإن كانت بذلك لا تمنعها وقت وجودها من إتلاف المزروعات . ثم إنه يوجد كذلك عدد لا حصر له من الحشرات المتناهية في الصغر ذات الأجنحة الغشائية والتي تضع بويضاتها في بيض الحشرات القتالة

فتفسد تلقيحها أو تعدمها بوضع بويضاتها الصغيرة مكان البويضات الضارة التي كان لابد من فقسها لولا تلك البويضات الصغيرة التي احتلت مكانها . فكل تلك الأعوان النافعة التي تساعد الزراع على إبادة الحشرات الضارة ليست إلا كافيّة لدرجة أن تبديد جميع الحشرات الضارة ، لأن الطيور آكلة الحشرات تلتهم كثيرا منها أو تأكلها حشرات أخرى تعيش بالتغذى بها .

تنظيم المقاومة في جميع الممالك :

لقد حاول الأمريكيون أولاً تطبيق الطرق الكيميائية لمقاومة الحشرات الضارة بالزراعة ، فاستعملوا المساحيق والسوائل السامة للحشرات ، لكن هذا النوع من المقاومة كان يقضى على الحشرات الضارة والحشرات النافعة في آن واحد ، فلجئوا الى تنظيم طرق أخرى للمقاومة .

فأوفدت الولايات المتحدة بعثات كثيرة للبحث عن طفيليات النوعين الموجودين بها من دود القز ، فأرسلت الى الولايات المتحدة آلاف الأعشاش والصغار من تينك الفراشتين المريميتين ، ووضعت في صناديق خاصة لتربيتها ، وبوشرت بعناية تامة واهتمام كبير . وعند فقسها أخذت في تنقية الطفيليات الأصلية ، وعزلت منها الطفيليات الدخيلة ، وأطلقت النافعة في الغابات التي تغتالها الحشرات الضارة ، ووضع بعضها في أقفاص خاصة لتربيتها واستيلائها للإكثار منها .

ومنذ ذلك الحين استمرت هذه المقاومة للحشرات الضارة في جميع الممالك . وفي كل البلدان الآن يلجئون الى تلك الأعوان الطبيعية لمطاردة أعداء الزراعة ، إلا أنهم تنحصر المقاومة في استخدام تلك الطفيليات خصب ، بل لجئوا كذلك الى الحشرات المطاردة ، فقد عرفنا تلك الحشرة الشبيهة بالخنفساء التي تأوى غابات فرنسا وتفتك بالديدان الضارة التي تعيش جماعات متجمعة ، والتي نقص عددها حتى آلت الى كميات لا يعتمد بها .

هذا فضلا عن ذلك فإن الحشرة الخطرة التي ذهبت الى فرنسا من استراليا

دخلت الولايات المتحدة من طريق المصادفة ، ثم في إفريقية الجنوبية والبورتنغال وإيطالية ومصر .

وقد وقفنا بسرعة على نتائج المقاومة للحشرات الضارة بواسطة الحشرات النافعة . وأرسلت كميات من ديدان هذه الحشرات الأخيرة ومن صغارها وهي في دور تطورها الثاني الى جميع البلدان التي تفتك بمزروعاتها الحشرات الضارة .

لقد ذكرنا هنا نوعا واحداً من الحشرات النافعة ، ولكن توجد أنواع كثيرة غيره ، فبعضها يوجد بفرنسا ، وهي ذات تأثير فعال لدرجة أنها تبديد الحشرات الضارة بأشد وأحسن من معالجتها بالمواد السامة القاتلة للحشرات .

ميل الحشرات في الفئك بأعدائها :

وتوجد أنواع أخرى من الحشرات الصغيرة جدا تتخذ طرقاً أخرى لقتل الحشرات الضارة التي تكون غالباً من حجمها ، وذلك بأن تخرق الدودة وتضع بويضاتها تحت مرقد البويضات الضارة ، فالدود الذي يخرج من الأولى يبديد بويضات الضارة ولا يترك مرقده إلا وقد كمل نموه وأتى على البويضات الضارة .

والآن نتكلم عن الحشرات ذات الأجنحة الغشائية ، وهي غالباً من فصيلة الحشرات ذات البقع ، ومن حجم فريستها ، وتفتك بها بحيلة أخرى غيرها ، تلك أنها وهي في حجم بعوضة صغيرة تأكل الدود الكبير ، وكثيراً ما شاهدنا أكثر من مائة بعوضة تخرج من جسم دودة حديثة متوسطة الحجم .

وأحياناً نرى البعوضة تضع بيضة أو أكثر فوق جسم الدودة الكبيرة ، فالدود الذي يخرج من البيض ينفذ الى جسم الحشرة الكبيرة وينمو داخله دون أن يمس أعضائها الحيوية ، وقد رأينا الحشرة ذات البقع تضع بويضاتها بالقرب من فريستها التي تدخل في مرقد البيض ، وأحياناً يفقس الدود الصغير خارج الحشرة ويتعلق بضيفه المقبل ويعمل معه عمله كما في الحالة الأولى .

هذا ويلاحظ أنه في مدة نمو الطفيليات لا يفقد الدود نشاطه أبداً ، بل يستمر على عملية الإلتاف والإضرار ، وبذلك لا يكون للطفيليات تأثير مباشر كما هو الحال مع الحشرات المطاردة .

معامل لتربية الحشرات النافعة :

لقد أنبأ بتلك الأمثلة السالفة ما تفعله تلك الأعوان المطاردة ، وما تقوم به الطفيليات التي هي مساعد كبير للزراع لقتل الحشرات الضارة ، إلا أنه مع ذلك يوجد خطر جدى في الالتجاء دائماً الى الاستعانة بها ، إذ أنه قد تكون حشرة من الحشرات نافعة في بلادها الأصلية ، تصبح ضارة عندما تنقل الى بلاد غير بلادها بالنسبة لاختلاف الجو والنباتات في منطقتها الأصلية مع جو ونباتات المنطقة التي تنقل اليها ، فلا تتناسب حياتها في حالة النمو مع حياة ونمو أعدائها الذين يراد أن توضع أمامهم لمقاومتهم ، فبعد أن كانت نافعة واقية تصير ضارة مفسدة .

فإذا يجب أن يعمل إذاً للتفريق بين الحشرات التي تكون وحدها مفيدة وفي حد ذاتها نافعة دائماً ؟

لقد أنشئت لهذا الغرض في فرنسا معامل خاصة ، كاملة الاستعداد تامة النظام ، وتقوم بتنقية الفقس ، واختيار أحسن الأنواع ، وخص الحيوانات الصغيرة والمشتبه فيها ، وإجراء التجارب عملياً عليها للتأكد مما إذا كانت تصلح لأن تتغذى من غيرها ولا تنقلب ضارة .

ولقد أجريت تجارب طويلة لتربية الحشرة النافعة بكميات كبيرة ، ثم إطلاقها للقيام بعملية المطاردة ، فتنشر بسرعة في المنطقة التي يراد حمايتها ، وتؤدي الواجب الذي نيظ بها ؟

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

نظام الوقف فى الاسلام أيضا

مضينا بحضرات القراء فى شطر غير قليل من الكلام عن الوقف وما ينعقد به وما يصير به صحيحا، وأبنا فى جلاء أن انعقاد الوقف يعتمد شروطا أربعة، واقف، موقوف، موقوف عليه، صيغة يتأدى بها المعنى المراد. فأسلفنا فى إفاضة ما يجب توافره من شروط فى الواقف، وما يجب توافره من شروط فى الموقوف وفى الموقوف عليه. وفى هذا البحث نحاول أن نبسط آراء علماء الفروع بسطا يتناسب وهذه المجلة، ليكون القراء على بينة ولو بقدر من ذلك التصرف الذى كان ولا يزال من أجدى أنواع التصرفات وأفضل مناحى الخير والمبرات.

فن المتفق عليه بين جمهرة من علماء الفروع أن يكون الوقف منجزا، على معنى أن يكون واقفا على شىء قائم، فلا ينعقد الوقف لو كان معلقا على شرط غير موجود حين الوقف. فثلا لو قال إنسان: هذه العين موقوفة على جهة كذا إذا جاء الغد، أو رجع أخى من أوبته، أو إذا تملك هذه العين، فالوقف فى هذه الصور باطل. والسر فى بطلانه — على ما حكاه صاحب البحر الرائق — أن هذا التصرف لا يعدو أن يكون تبرعا، ومن المتفق عليه أن التبرعات، حاشا الوصية، لا يصح تعليقها على شىء غير قائم، كالهبة سواء بسواء.

واعتبروا من الوقف المعلق على غير موجود كذلك ما إذا قال: أرى هذه وقفها على جهة كذا إن شئت، ثم بعد فترة قال شئت دون أن يزيد عليها، فى هذه الصورة لا ينعقد الوقف لأنه علقه على شىء غير قائم، حتى لو قال فى الصيغة المتقدمة شئت وجعلتها وقفا لا ينعقد الوقف إلا بهذا الإنشاء الثانى، لأنه غير معلق، دون أن ينعقد بالإنشاء الأول.

فالمناطق في انعقاد الوقف عند علماء الفروع إطلاقه من غير تعليق ، وأن يكون الموقوف موجودا بالفعل ، حتى لو قال بصيغة التعليق : إن كانت هذه العين لى مملوكة ففى وقف ثم اتضحت أنها كانت كذلك وقت وقفه ، انعقد الوقف ، ووقع صحيحا ، ضرورة أن المعلق على الموجود فى حكم المنجز وفى معناه .

على أن الكلام فى الوقف المعلق هل يقع أو لا يقع رأى لجمهرة الفقهاء كما أسلفنا . وإلا فقد نقل صاحب ملتقى الأبحر وصاحب كتاب أنفع الوسائل أن التعليق لا يبطل الوقف ، وهو مذهب مالك أيضا .

ومن هذه الشروط ألا يكون الوقف مضافا الى ما بعد موت الواقف ، وألا يكون معلقا على موته . فلو قال على الأول : أرضى هذه صدقة موقوفة على الفقراء بعد موتى ، فلا يعتبر منه وقفا ، بحيث يصح له أن يرجع فيه قيد حياته . فإذا مات وبقى مصرّا على الوقف انقلب بعد موته وصية . فإن خرجت العين الموقوفة من ثلث تركته تطبيقا لأحكام الوصية ، أو لم تخرج وأجازها الورثة ، فى الحالتين تكون غلتها للفقراء . وإن لم تجز الورثة هذا التصرف فبالفقراء الموقوف عليهم غلة ما يخرج من الثلث ايس غير ، والباقى يصير ملكا للورثة . ولو قال على الثانى : إذا مت فأرضى هذه صدقة موقوفة على الفقراء ، لا ينعقد وقفا كذلك . فإن أضافه الواقف الى وقت مستقبل غير وقت موته كما لو قال : أرضى هذه موقوفة بـمد عام أو نحو ذلك ، صح الوقف ولزم .

والحكمة فى ذلك أن الوقف كان فى الأول معلقا على مجهول أو مضافا الى ما بعده وهو الموت ، فلا ينعقد فيه الوقف على رأى الفائلين بىطلان تعليق الوقف . أما إضافة الوقف الى وقت غير وقت موته فهو منعقد قطعيا ، لأنه أضافه الى مستقبل محقق الوقوع إذا مد له فى حياته .

ومن الشروط المصححة للوقف أن لا تفتن صيغته بشرط الخيار ، سواء أ كانت مدته معلومة أو غير معلومة . فعلى اقتراح الصيغة بشرط الخيار كما لو قال : وقفت أرضى

على الفقراء على أنى بالخيار فى ذلك ثلاثة أيام ، إن شئت مضيت ، وإن شئت رجعت ، بطل الوقف عند محمد ، وهو الراجح ، وعليه عمل المحاكم اليوم . وقد أفتى برجعانه صاحب الفتاوى المهدية ، وحققه صاحب كتاب أنفع الوسائل فى باب الوقف . وعند أبى يوسف تفصيل فى المسألة : فإن اقترنت صيغة الوقف بشرط الخيار لأكثر من ثلاثة أيام ، بطل الوقف ، وإلا انعقد صحيحا . لكن حقق صاحب المحيط وتابعه فريق من المتأخرين استثناء حكم المسجد من شرط الخيار المتقدم ، فإن شرط الخيار فيه باطل على أية حالة ، والوقف صحيح اتفاقا بين الأئمة .

ومنها ألا تقترن الصيغة بشرط ينافى حكم الوقف ، بأن قال الواقف : وقفت أرضى على أن لى أب أبيعها وأنصديق بضمنها أو أهبا أو أعيرها أو أرهنها ، أو على أن لمن احتاج من ولدى مستقبلا يبيعها أو هبتها أو صرف ثمنها فى حوائجها ، كان الوقف غير منعقد ، ضرورة أن حكم الوقف لزومه . لكن نقل صاحب المجموع من كبار فقهاء المالكية أن مالكا رضى الله عنه قال : يصح للواقف فى هذه الصورة أن يشترط أن لمن احتاج من الموقوف عليهم أن يبيع من الوقف أو يشترط ذلك لنفسه إن احتاج . وحينئذ يعمل بشرطه . وفى هذه الحالة لا بد من إثبات الحاجة المشروطة فى كتاب وقفه لنفسه أو لولده والحلف عايبا ، إلا إذا اشترط الواقف أن يصدقه فى دعواه من غير يمين عليها .

وقد أسلفنا فى صدر البحوث السابقة أن القائل يلزم الوقف هو الإمام محمد كما نقل صاحب الدر ، خلافا لما ذهب إليه أبو حنيفة وهو عدم اللزوم . ونقل الزيلعى أن مذهب أبى يوسف القول ببطالان الشرط وصحة الوقف فى هذه المسألة ، وليس بين الرايين كبير خلاف كما نرى ، ونقل الزيلعى أن الفتوى على رأى أبى يوسف ، وأنه استحسان ، وأن رأى محمد هو القياس .

وقد اتفق الفقهاء على أن كل شرط يضر بمصلحة الوقف مع عدم منافاته للزومه

يقع فاسداً ، وينعقد الوقف صحيحاً ، فلو قال الواقف في إسهاد وقفه : وقفت هذه العين على جهة كذا ، وشرطت كذلك ألا أعزل إذا خنت ، أو شرط تقديم صرف ريع هذه العين الموقوفة للمستحقين على الغلة ، وهو عكس ما عليه العمل شرعاً ، وقع الوقف صحيحاً ، ووقع الشرط باطلاً ، فإن الوقف لا يبطل بالشرط الفاسد اتفاقاً بين الفقهاء .

ومن الشروط المتعلقة بصيغة الوقف أن يكون الوقف مؤبداً ، فقد نقل صاحب ملتقى الأبحر أن ليس بين محمد وأبي يوسف خلاف على تأييد الوقف في معناه ، وإنما الخلاف بينهما قائم على اشتراط النص على التأبيد أو ما يجري مجراه وعدم اشتراط ذلك ، فالنص على تأييد الموقوف فيما لو قال الواقف : أرضى هذه موقوفة أبداً ، أو أرضى صدقة موقوفة ، أو هي موقوفة على الفقراء ، فعلى الأول يكون التأييد بلفظه قائماً في الصيغة ، وعلى الثاني ما يقوم مقامه ، لأن الصدقة لا تكون إلا للفقراء وهم لا ينقطعون في كل عصر وجيل ، وهذه قرينة على نية التأييد عند الواقف في الحالة الثانية . وقصارى القسول على ما حققه السكّال بن الهمام في فتح القدير ، أن الإمام محمد ذهب إلى أنه يجب لصحة الوقف أن ينص الواقف على التأييد أو ما يقوم مقامه ، على شريطة ألا يذكر بعده مصرف يحتمل الانقطاع والإبادة ، كأن يقول : أرضى هذه صدقة موقوفة ، أو أن يقول موقوفة على الفقراء ، أو موقوفة لله أو لوجه الله ، فإن ما لله في الحقيقة للفقراء لأنهم عيال على الله . أو يقول : أرضى هذه موقوفة في بناء المساجد أو الحصون أو ترميمها أو الجهاد في سبيل الله ، أو ما إلى ذلك من جهات البر التي لا تنقطع .

ولنا عودة إلى هذا البحث في العدد القادم حبا في استقصاء ما ورد فيه من نظريات

طريفة وقضايا علمية ليس للعالم غنى عنها ، فإلى الغد القريب م عباس ط
المحامى الشرعى

تاريخ العلوم الدينية والتشريعية

في الادب العربي (١)

انتهت بانتهاء العصر الأول من تاريخ الأدب العربي مجهودات العلماء في فن قراءة القرآن ، وأخذت بعد ذلك في النقصان تدريجياً الى أن انعدمت فيها أو كادت الروح الفكرية والفاحية العلمية ، فاقصرت أغاب محاولاتهم الأدبية على بحث ما جمعه للمتقدمون من مواد ، وإخراجها في أبسط الأشكال وأسماها ، بنير اهتمام للروح العلمية التي امتاز بها القدماء ، وأشهر المؤلفات التي ظهرت في هذا الفن لهذا العصر هو كتاب عثمان الداني المتوفى بمدينة «دانيه» من أعمال الأندلس عام ٤٤٤ هـ وقد نظمه باختصار مواطنه الفاسم الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ .

أما المجهود الأدبي الذي بذله العلماء في علم التفسير فقد ظل حافظاً لنشاطه الأول ، فقد ظهرت مؤلفات عديدة عامة في هذا المضمار ، هذا الى جانب العدد الكبير من المؤلفات الخاصة بتفسير بعض أجزاء القرآن ، وأول المؤلفين المعروفين في هذا العصر هو علي الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ هـ وكان تلميذاً للعالم اللغوي الفارسي الشهير الثعالبي ، وقد وضع ثلاثة مؤلفات كاملة في التفسير ، كما وضع سفرًا جليلاً بأسباب نزول الآيات ومناسبات الوحي ، واهتم من بعده العالم الأندلسي عبد الرحمن السهيلي ، المتوفى بمراكش سنة ٥٨١ هـ بجمع وتعريف ما أبيهم في القرآن من الأسماء والأعلام . ولقد كانت أشهر المؤلفات في هذا العصر وأكثرها ذيوماً للتفسير الذي وضعه الزمخشري الذي سبق لنا ذكره في الحديث عن العلماء اللغويين ، فلما أثار كتابه في التفسير معارضة قوية بين العلماء المتأخرين بسبب منحاه الديني الخاص ، رأى عبد الله

(١) تسكملة المنشور في الجزء السابع (شهر رجب سنة ١٣٥٥) من هذه المجلة مترجماً من الألمانية نقلًا

عن كتاب « تاريخ الادب العربي » للمستشرق الألماني الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلمان » .

البيضاوى المتوفى بتبريز عام ٦٨٥هـ ضرورة مراجعته واستكمال من المصادر الأخرى ، وسرعان ما اكتسب رضاء الجميع وبقي حائزا لثقة السنيين حتى العصر الحاضر ، وذلك بالرغم مما رماه به احمد النوبى عام ١٠٢٧هـ من أنه لم ينجح فى التخاص من إلحاد المعتزلة .
وأما من ناحية القيمة العلمية فامتاز التفسير الذى وضعه نخر الدين الرازى المتوفى بهراة عام ٦٠٦هـ عن كل ما سواه ، وربما كان عدم ذبوعه بين العامة واقتصاره على دوائر العلم والعلماء يرجع الى حجمه ، ولقد وضع نخر الدين الرازى علاوة عن هذا السفر العظيم فى التفسير عدة مؤلفات أخرى فى علوم الديانة والتشريع والفلسفة والتنجم بعضها كُتِبَ بالفارسية .

وظهر فى بدء هذا العصر عالم كبير تدين له علوم العقائد بكثير من الأبحاث الخطيرة استقرت بفضلها منازعات القرون الأولى الى قرار نهائى هو الحل الوحيد الذى اتخذه الاسلام من بعد ذلك ، هذا العالم البارز المبتكر هو محمد الغزالى ، ولد بطوس فى خراسان عام ٤٥١هـ ، طلب العلم ناشئا بنيسابور وانضم الى بطانة الوزير الساجوقى نظام الملك ، واستكمل فى رعايته علوم الدين والفلسفة ، وفى عام ٤٨٤هـ احترف التدريس فى الديانة بالمدرسة العالية التى أسسها ببغداد وليه المعجب به ، ولكنه ما لبث أن تنازل بعد أربعة أعوام لأخيه أحمد عن منصبه ، وذلك رغبة منه فى التفرغ الى الأبحاث العلمية بعيدا عن المشاغل ، خصوصا أن الشك فى صحة التعاليم السنية كان قد قام بنفسه منذ اشتغاله بالتدريس ، فظهرت له من المشاكل ما يتطلب الحل السريع والتفسير الشافى ، وكانت رغبته هذه فى البحث والتنقيب تضطره الى زيارة العواصم الاسلامية ، فاتجه أولا الى مكة فدمشق ثم الى الاسكندرية ، واتفق له أثناء سنى ترحاله أن يوفق الى إيجاد ما يسد به ثغرة الخلاف بين العقيدة والعلم بواسطة الذشكك الجدلى ، ولو أنه لم يشعر براحة ضميره وخلود نفسه إلا بالتصوف ، فارتضى بكلياته فى أحضانه ، وبلغه وهو بالاسكندرية خبر المرابطين فى أقصى البلاد الاسلامية غربا ، وكانوا يعتقدون أنهم وفقوا فى إعادة بناء

الدين بما تقتضيه الروح الاسلامية الحققة الاصلية ، فكان لهذا النبأ وقع عظيم عليه فلاه غبطة وحماسا ، واعتزم العمل معهم في خدمة أميرهم يوسف بن تاشفين ، ولكن المنية عاجلت هذا الأمير فتوفي عام ٥٠٠ هـ قبل أن يقوم الغزالي بتنفيذ ما استقر عليه عزمه ، وبذا أراح نفسه ألم خيبة الأمل التي كان لابد ملاقيها ، فان المرابطين كانوا أبعد من أن يرضوا بعبادته أو يعطفوا عليها ، فما كاد يتولى على الخلافة بعد أبيه يوسف حتى أصر باحراق جميع مؤلفات الغزالي علنا بمراكش ، وعلى أثر ذلك عاد الغزالي الى موطنه طوس ، وقضى بها بقية حياته مؤثرا العزلة ، الى أن دعاه السلطان محمد بن ملكشاه الى التدريس بنيسابور ، فأجاب رغبته لمدة قصيرة ، وتوفي عام ٥٠٥ هـ .

كانت قريحة الغزالي على غاية عظيمة من الخصوبة ، فجادت بروائع التأليف الممتاز ، وضربت بسهم وافر في جميع نواحي العلوم الفلسفية والدينية والتشريعة وعلوم العقائد والأخلاق والتصوف .

وكان في مؤلفاته في العقائد ملأ بجميع نواحي هذا العلم المتشعب ، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وهكذا كان دأبه في المؤلفات التشريعية ، فهو الواضع لأهم الكتب القانونية في المذهب الشافعي ، وأخيرا وضع في الصوفية مؤلفا جليلا في إحياء العلوم الدينية هو عماد الصوفية السنية . ولم يهمل قط حاجات الشعب ، فكتب عدة رسائل في الأخلاق صادف بعضها رواجا كبيرا في البلاد الأجنبية .

فإذا ظهر لنا من مؤلفات الغزالي الكفاح المستمر في الاسلام بين العقيدة والفلسفة ، فقد استقرت من بعده العلاقة ، وبواسطته بدأ ظهور تلك الطريقة الثابتة التي دوّنها عمر الذنبي المتوفى سنة ٥٣٧ هـ في رسالة العقائد .

إلا أنه رغمًا عن ذلك بقيت أخبار هذا الكفاح الفكرى في القرون الأولى من الاسلام زمنًا طويلا موضع اهتمام الناس وحديثهم في الشرق ولومن الناحية التاريخية ، فوضع في ذلك محمد الشهرستاني المتوفى بخراسان عام ٥٤٨ هـ كتاب الملل والنحل عن بيان الفرق الدينية والمذاهب الفلسفية المختلفة في الاسلام .

وكان حب علماء المسلمين في الدفاع هو السبب القوي لعدم تركهم سلاح الجدل ، وكانت تسنح لهم أيضا بين الآونة والأخرى فرصة مهاجمة المسيحية ، ولو أن ذلك كان نادر الوقوع . ومن المؤلفات المعروفة في هذا الصدد الكتاب الذي وضعه سليمان الباجي المتوفى بمدينة المرية من أعمال الأندلس عام ٤٧٤ هـ في تفنيد الدفاع عن المسيحية ، وكان قد وجهه أحد رهبان مقاطعة (فرانكن) الى المقتدر بالله وكان أميراً على سرقسطه في منتصف القرن الخامس الهجري ، وربما كانت كذلك الرسالة التي وضعها قيصر بيزنطة وقدمها الى الملك الكامل سلطان مصر في بدء القرن السابع الهجري هي السبب المباشر الذي من أجله تصدى صالح الجعفري عام ٦١٨ هـ الى وضع رد مفصل لتفنيد المسيحية واليهودية .

ولقد ظهر بين العلماء المسلمين في هذا العصر مؤلفون عديدون في النواحي العملية المختلفة من الديانة والتشريع ، فكانوا يضعون مؤلفاتهم إما رسائل خاصة « فتاوى » وإما على صورة كتب دراسية ، وامتازت بعض هذه الرسائل والكتب بقيمتها العلمية ، فذاعت ذيوها واسعا ، وكثرت تداولها واستعمالها .

وأهم من ظهر من علماء هذا المضمار الأدبي بين الحنفيين هو على المرغيناني المتوفى سنة ٥٩٣ هـ ووضع كتابا في الشريعة امتاز بفائدته العملية ، وانتشر انتشارا واسعا ، ويعد من أهم المراجع الموثوق بها .

واشتهر من بعده من علماء المذهب الحنفي سراج الدين السجاوندي في أواخر القرن السادس الهجري ، فوضع كتابا هاما عالجه فيه ناحية خاصة من الشريعة وهي قانون الميراث ، يرجع اليه في كثير من الأحكام .

وأما من بين المالكيين فاشتهر من علماء التشريع محمد بن رشد القاضي وإمام الجامع الكبير بقرطبة المتوفى سنة ٥٢٠ هـ فوضع عدة رسائل ومؤلفا كاملا في التشريع .

وظهر بين علماء الشافعية عدد كبير من المؤلفين الممتازين ، وصادفت مؤلفاتهم

رواجا كبيرا، وأقدمهم ابراهيم الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦ هـ وكان أول عميد للمدرسة النظامية ببغداد .

واشتهر من بعده فى أواخر القرن السادس الهجرى أبوشجاع الأصفهانى ، فوضع كتابا دراسيا ، قام بتفسيره محمد الغزى ، واليه يرجع الفضل فى ذبوعه ، ولا يزال مرجعا هاما فى التدريس بالقاهرة حتى الآن .

وآخر علماء الشافعيين الذين ظهروا فى هذا العصر هو يحيى النواوى المتوفى بموطنه نوا بالقرب من دمشق عام ٦٧٦ هـ ، تولى التدريس بمدرسة الحديث الأثرية بدمشق عقب وفاة أبى شامة ، وكتب عدة رسائل صغيرة فى العلوم الدينية ، ووضع مؤلفا هاما فى التشرىع ، قام بتفسيره فى القرن العاشر الهجرى كل من ابن حجر والرملى ، فصادف بذلك انتشارا كبيرا وتداولوا واسع النطاق حتى أصبح عماد الكتب القانونية فى هذا المذهب .

وأما المؤلفات التى اشتهرت بين علماء الشافعية فى النواحي الخاصة العلمية فأهمها كتاب المواريث لابن الحسين الرجبى بن المتقنة المتوفى سنة ٥٧٩ هـ وكتاب الأحكام العامة الذى وضعه الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ فى حقوق الخلفاء وواجباتهم .

وأما مذهب الحنابلة فإنه صادف فى القرن السادس من الهجرة بين علماء هذا العصر من يرفع لواءه ويعلى شأنه بمؤلفات عديدة امتازت عما كتبه زملاؤه من علماء هذا المذهب فى كثير من النواحي العلمية والأدبية كان لها أثر ظاهر فى نهضة الأدب وتطوره فى هذا العصر ، وهذا العالم الجليل هو أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، ولد ببغداد عام ٥١٠ هـ من سلالة ترجع فى الأصل الى الخليفة أبى بكر ، وكان أبوه من الأثرياء ، فكفل له حياة دراسية ممتازة ، واهتم بالدراسات العلمية والأبحاث الدينية ، فكرس لها حياته مشتغلا بالوعظ والارشاد ، فكان له فى هذا المضمار شأن بعيد ، وكان شديد التعصب لسنية مذهبه مغاليا فى الذود عن تعاليمها ،

فدفعه نظرفه الى الوقوف في وجه كل من أدخل على الحديث تمويرا بدون مراعاة لمصدره ، حتى إنه تصدى لمناقشة كتاب الغزالي (إحياء علوم الدين) ومراجعته مستبعدا من الأحاديث كل ما تشوبه ريبة أو يمسسه الشك من قريب أو بعيد ، ولقد كانت مجهوداته الأدبية وافرة المحصول متعددة الفروع ، فشملت التاريخ وعلم الحديث وإيضاح القرآن خاصة في الوعظ والخطابة ، وله مؤلفات أخرى في الجغرافيا والعلوم الطبية لم تعد المحاولات البسيطة .

وأما مذهب الظاهرية الذي شيد بناءه داود بن علي في القرن الثالث الهجري فانه وجد في علي بن حزم من يمثله بالأندلس في هذا العصر ، وكان في وقت من الأوقات وزيرا بقرطبة ، وتوفي عام ٤٥٦هـ ، وأشهر مؤلفاته كتابان : الأول في تاريخ الفرق الدينية ، والثاني في مناقشة المذاهب التشريعية ، ولقد قام العالم الصوفي ابن العربي بتنقيحه وإخراجه على الصورة المعروفة الآن ، وكان ابن حزم ميالا بطبيعته للهدم أكثر من البناء ، فلم ينفع مبادئه بقدر ما أضربها ، فعاش بقية حياته في عزلة عن الناس ، يرميه أعداؤه بالاحاد والخروج على الدين ، وهكذا كانت نهاية هذا المذهب الذي لم تقم له قائمة بعد وفاته ، اللهم إلا ما بقي من بعض تلك التعاليم في العلوم الصوفية .

وقامت في غضون هذا العصر في غرب البلاد الاسلامية فرقتان بقصد الإصلاح الديني ، لم تترك أولاهما (المرابطون) أثرا أدبيا بين المؤلفات العربية الاسلامية ، وأما الفرقة الثانية (الموحدون) ، وهي التي حلت محل الفرقة الأولى بعد تشتيتها ، فإن مجهودها الفكري قد بقي لحسن الحظ ممثلا في مؤلفات مؤسسها محمد بن تومرت ، وهو من البربر من قبيلة مصموده ، وكان يعيش بالجنوب الغربي لجبال الأطلس في أواخر القرن الخامس من الهجرة ، وطلب العلم بقرطبة عام ٥٠١هـ ثم ببغداد ، وعلى الأخص علم العقائد متبعاً لتعاليم أبي الحسن الأشعري ، فلما عاد الى موطنه حاول نشر هذه التعاليم التي سماها التوحيد ، مخالفاً بذلك التشبيه في السنية المالكية ، وبذلك ارتبطت بعقيدة

الشيعة بأحقية آل علي بالإمامة ، ولما طرد من البلاد الساحلية ذهب الى قبيلته الجبلية ، ونجح في اكتساب أتباع مخلصين ، وفي عام ٥١٥ هـ أعلن عن نفسه بأنه المهدي ، وبدأ كفاحه ضد المرابطين ، وهاجم مرأکش سنة ٥٢٤ هـ ولم تفلح حملته ، وتوفي عقب ذلك بقليل ، وكان قد وضع كتاباً بتعاليمه ومبادئه التي ما لبثت بعد وفاته أن انتشرت على يد أتباعه انتشاراً واسعاً ، خضعت لها شمال إفريقيا ، بل ودانت لها بلاد الأندلس بأجمعها .

وأما فرقة الشيعة فقد نشطت حركتها الأدبية وكثرت مؤلفاتها بين جماعة الزيديين بجنوب بلاد العرب ، وبرجع ذلك الى تمتعهم في هذه البقاع بحياة فكرية هادئة في ظل رعاية حكومة منظمة ، فكان كل إمام يشعر بواجبه نحو شعبه في الوعظ والإرشاد وأشهر علماء الشيعة في الشرق محمد الطوسي المتوفى بالنجف سنة ٤٥٩ هـ ووضع عدة مؤلفات تشريعية ، كما عني بوضع قائمة جمع فيها كل مؤلفات العلماء الشيعيين السائدة في هذا العصر ، وتدلنا هذه القائمة الضخمة على المجهود الأدبي العظيم الذي بذله علماء هذه الفرقة ومؤلفوها ، كما يتضح منها أن ما بقي حتى هذا العصر من المؤلفات لا يقاس بجانب ما أضاعته الأيام .

وأما فرقة الاسماعيلية التي سادت مصر وشمال إفريقيا بواسطة الفاطميين ، فقد خلّدت ذكرى عقيدتهم في القصيدة الدينية التي وضعها الوزير طلائع بن رزيك ، صديق عمارة الحكمي ، وكذلك في المحاضرات الدينية التي ألقى ببلاط الفاطميين بالقاهرة عام ٥٤٣ هـ .

وأما علم الحديث فلم يشمر في هذا العصر ثمراً جديداً ، فلم تظهر في ميدان التأليف موضوعات جديدة أو مجهودات مبتكرة ، على الرغم من كثرة من اشترك في هذا المضمار من العلماء ، ولم يكن غير ذلك منتظراً ، فإن النهضة التي صادفها هذا العلم في غضون القرن الثالث الهجري كانت قد توجت بمجهوداتها وختمت بالمجموعات الصحيحة المعروفة ، ولو أن مصادر الحديث لم تكن لتغلق أبوابها حتى هذا العصر ،

فنشأت قصص دينية مختلفة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم تعوز أمثال ابن الجوزي من المجتهدين المتعصبين الحيلة في إثبات صلاحها ، ولو أن ذلك كله لم يكن لينع على وجه العموم وقف هذا العلم عند حدود بحث المتقدمين من علماء الحديث ، وبذلك لم تعتمد جهود علماء هذا العصر تنظيم المواد الموجودة في أبواب جديدة وتقسيمها الى فروع مختلفة . والى جانب ذلك نشأ فرع جديد من الأبحاث الدينية كان له نصيب كبير في الحياة العلمية ، وهذا الفرع هو علم مصطلح الحديث الذى يبحث في الثقة من الرواة ، ولو أنه لم يكن ليسترعى اهتماما عاما ، اللهم إلا بين طبقة العلماء ، وذلك لما كانت عليه أعمال البخارى ومسلم من الثقة النهائية .

ومن مجموعات الحديث التى ظهرت فى هذا العصر واحدة تستحق الذكر الى جانب مجموعات القرن الثالث من الهجرة ، وهذه المجموعة هى التى وضعها حسن البغوى المتوفى بروذ عام ٥١٦ هـ ، وهى مكونة من سبعة أجزاء ، روعى فى تقسيم الحديث فيها نظام ثابت : صحيحة إذا كان مصدرها البخارى أو مسلم ، وحسنة إذا رجعت الى السنن ، وضعيفة إذا كانت ترجع الى مصادر أخرى ، ولقد قام محمد الخطيب التبريزى فى عام ٧٣٧ هـ بتنقيح هذا السفر الجليل وإخراجه بصورته الجديدة ، فانتشر انتشارا واسعا بسبب محتوياته الفنية وفائدته العلمية ، فكان هذا الكتاب للمسلمين من أنصاف المتعلمين عوضا وافيا عن المجموعات الأخرى خلوه من الأثقال العلمية .

وقد لا يستحق الذكر فى هذا المقام من المؤلفات العلمية الأخرى التى ظهرت فى هذا العصر إلا الكتاب الذى وضعه القاضى عياض المتوفى بمرآ كش عام ٥٤٤ هـ مبيّنًا فيه واجبات المسلمين نحو النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ولا تزال الأيدى تتداول هذا الكتاب فى دور العلم بين طلابه حتى هذا الوقت ، وقد تصدى لتفسيره وإيضاحه الكثير من العلماء من بعده

poured over his head three scoops of water with his hands. Finally he let the water flow over the whole of his skin.

2. We are informed by Muhammad b. Yûsuf, who had it from Sufyân, through Al-A'mash, through Sâlim b. Abu-l-Ja'd, through Kuraib, through Ibn 'Abbâs, through Maimûnah the wife of the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said :

“The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) used to perform his wudû' as for prayer, excepting his feet. He then washed his member and any part sullied by seminal discharge. Next he let the water flow over himself. Finally he shifted his feet and washed them. Such was his ghusl in consequence of pollution through sexual intercourse.”

CHAPTER 2.

On a man performing his ghusl from the same vessel as his wife.

We are informed by Adam b. Abu Iyâs, who had it from Ibn Abu Dhi'b, through Az-Zuhri, through 'Urwah, through 'A'ishah, who said :

“I and the Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to perform our ghusl from the same vessel. This vessel was called a faraq. (1)”

غَرَفٍ يَسِدِّينِهِ، ثُمَّ يُفِيضُ الْمَاءَ عَلَى جِلْدِهِ كُلِّهِ.

٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا

سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ كُرَيْبٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ :

« تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضُوهُهُ لِلصَّلَاةِ غَيْرَ رِجْلَيْهِ وَغَسَلَ فَرْجَهُ وَمَا أَصَابَهُ مِنْ الْأَذَى ثُمَّ أَفَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ثُمَّ نَحَّيَ رِجْلَيْهِ فَغَسَلَهُمَا ، هَذِهِ غُسْلُهُ مِنَ الْجَنَابَةِ . »

— ٢ —

بَابُ غُسْلِ الرَّجُلِ مَعَ امْرَأَتِهِ :

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ قَالَ حَدَّثَنَا

ابْنُ أَبِي ذَيْبٍ عَنْ الزَّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

« كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ مِنْ قَدَحٍ يَقَالُ لَهُ الْفَرَقُ . »

(1) A faraq is a measure of capacity equal to two sâ's or sixteen rotls.

sexual intercourse — except ye be wayfaring -- until ye take a ritual bath; and if ye be sick or travelling, or if any of you cometh from the draught, or if ye have had contact with women, and fail to find water, then perform a dry ablution using clean surface earth, wiping your faces and hands with it. Truly Allāh is gracious and forgiving". (1)

CHAPTER I.

On performing the wudū^s before the ghusl.

1. We are informed by ʿAbdullāh b. Yūsuf, who had it from Mālik, through Hishām, through his father, through ʿAʾishah the wife of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) that:

When the Prophet (Allāh bless him and give him peace) used to perform the ghusl in consequence of ritual uncleanness through sexual intercourse, he began by washing his hands, after which he performed his wudū^s as for prayer. He then immersed his fingers in the water, and having passed them through the roots of his hair, he

سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا.

— 1 —

بَابُ الْوُضُوءِ قَبْلَ الْغُسْلِ:

١ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ بَدَأَ فغَسَلَ يَدَيْهِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ يَدْخُلُ أَصَابِعَهُ فِي الْمَاءِ فَيَخْلِلُ بِهَا أُصُولَ شَعْرِهِ، ثُمَّ يَصْبُ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ

(1) Surāh 4: 43. This Book is prefaced by these two verses from the Qurʾān in order to stress the fact that the practice of ghusl is ordained in the Holy Book.

In The Name Of Allāh The All-Loving
The Most Merciful.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

BOOK V.

الكتاب الخامس

On Ghusl ; (1)

(كِتَابُ الْغُسْلِ)

and the word of Allāh (be He exalted): “ and if ye be ritually unclean through sexual intercourse, then take a ritual bath; and if ye be sick or travelling, or if any of you cometh from the draught, or if ye have had contact with women, (2) and fail to find water, then perform a dry ablution using clean surface earth, wiping your faces and hands with it; Allāh desireth not to make it burdensome to you, but desireth to purify you and fulfil his blessing upon you, that haply ye may be thankful” ; (3)

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : وَإِنْ كُنْتُمْ
جُنُبًا فَاطْبُئُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى
أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ
مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ
فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا
طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ
وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ، مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ
عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ
يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ،

and on His word (glorified be His name): “O ye that believe! Draw not nigh unto prayer while ye are drunken, until ye know what ye are saying; nor yet while ye are ritually unclean through

وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ
وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا
مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي

(1) Ghusl = a ritual bath as a consequence of having been in a state of ritual uncleanness consisting in the menses, coitus, childbirth, nocturnal emissions or contact with the dead.

(2) — either mere touch as according to Ash-Shāfiʿ, or in particular, sexual contact as according to Abu Hanifah.

(3) Surah 5: 6.

from Thee save in Thee. O Allāh, I believe in Thy Book which Thou hast revealed, and in Thy Prophet whom Thou hast sent.' Then if thou diest that night, thou diest in the true Faith. Let these words be the last that thou utterest."

Al-Barā^s added: "When I was rehearsing this supplication to the Prophet (Allāh bless him and give him peace) and reached the words; 'O Allāh, I believe in Thy Book which Thou hast revealed,' I said: 'and Thy Messenger.' 'No', said the Prophet, 'say — and Thy Prophet whom Thou hast sent. —'" (1)

إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا
مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ
آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ
وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مِتُّ
مَنْ لَيْسَتْكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفَيْطْرَةِ ،
وَأَجْعَلْنِي مِنْ آخِرِ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ ،
قَالَ فَرَدَّدَ مِنْهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا بَلَغَتْ «اللَّهُمَّ
آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ»
قُلْتُ ، «وَرَسُولِكَ» قَالَ «لَا ،
وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» .

The End of the Book of Wudū^s.

انتهى كتاب الوضوء

(1) Ibn Hajar states that the Prophet wished to stress that the function of prophet is of a higher order than that of messenger, the latter being shared by angels, who are sent to prophets without being prophets themselves. He also supposes that the Prophet wished to combine the idea of prophethood and message, since he was a prophet before he was a messenger. Al-Qastallāni suggests that the Prophet wished to avoid the alliteration of رسول وأرسل, since the question of style is not without its importance; and besides, the Prophet's own words may not be changed, as being not only inspired, but the final appeal in rhetoric.

It is noteworthy that Al-Bukhāri has chosen this hadith to conclude the Book of Wudū^s, in order that it may end on a beautiful and devotional note. The fact that the wudū^s before sleep is the last of the day, and that death may come during sleep, lends special charm to its due performance — the passage on the last wudū^s coinciding with the last hadith of the Book.

“ I saw myself in a vision using a tooth-stick when two men came to me, one of them being older than the other. When I handed the tooth-stick to the younger of them, it was said to me by Gabriel : ‘Serve the elder first’ so I offered it to the elder of the two.”

Al-Bukhâri stated that this hadith was given in an abridged form by Nu‘aim, through Ibn-ul-Mubâarak, through Usâmah, through Nâfi‘, through Ibn ‘Umar.

CHAPTER 77.

On the merit of one who goeth to sleep at night in a state of wudû‘.

We are informed by Muhammad b. Muqâtil, who had it from ‘Abdullâh, who was told it by Sufyân, through Mansûr, through Sa‘d b. ‘Ubaidah, through Al-Barâs b. ‘Azib, who stated that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said to him :

“ When thou goest to thy couch, perform thy wudû‘ as for prayer, and then lie upon thy right side. After that say : ‘O Allâh to Thee I commit myself, to Thee I resign my being, and upon Thee do I rely in hope and fear of Thee; there is no refuge and no escape

وَأَرَانِي أَتَسَبَّوْكَ بِسِوَاكَ
جَاءَنِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ
مِنَ الْآخَرِ ، فَذَاوَلْتُ السَّوَاكَ
الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا فَقِيلَ لِي : كَبِّرْ
فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ مِنْهُمَا .
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : اخْتَصَرَهُ
نُعَيْنِمُ عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ أَسَامَةَ عَنْ
نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو .

- ٧٧ -

بَابُ فَضْلِ مَنْ بَاتَ عَلَى
الْوُضُوءِ :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِقَاتٍ قَالَ أَخْبَرَنَا
عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا سَفْيَانُ عَنْ مَنْصُورٍ
عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ
قَالَ قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ
وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ
عَلَى شِقِّكَ الْيَمِينِ ثُمَّ قُلْ :
اللَّهُمَّ أَسْكَنْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ،
وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ
ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً

1. We are informed by Abu-n-Nu'mân, who had it from Hammâd b. Zaid, through Ghailân b. Jarîr, through Abu Burdah, through his father, who said :

"I once visited the Prophet (Allâh bless him and give him peace), and found him rubbing his teeth with a tooth-stick in his hand and making guttural sounds ⁽¹⁾ while the tooth-stick was in his mouth, as if he was vomiting."

2. We are informed by 'Uthmân, who had it from Jarîr, through Mansûr, through Abu Wâsil, through Hudhaifah, who said:

"When the Prophet (Allâh bless him and give him peace) rose in the night to pray, he used to cleanse his mouth with a tooth-stick."

CHAPTER 76.

On offering the tooth-stick to the elder *first*.

'Affân stated that he was informed by Sakhr b. Juwairiyah, through Nâfi', through Ibn 'Umar that the Prophet (Allâh bless him and give peace) said:

١ - حدثنا أبو النعمان قال حدثنا حماد

ابن زيد عن غيلان بن جرير عن
عن أبي بردة عن أبيه قال :

« أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَوَجَدْتَهُ يَسْتَسْنِئُ بِسِوَاكٍ يَسِدُّهُ
يَقُولُ : أَعْغُ ، أَعْغُ ، وَالسَّوَاكُ فِي فِيهِ
كَأَنَّهُ يَتَهَوَّعُ » .

٢ - حدثنا عثمان قال حدثنا جرير

عن منصور عن أبي وائل عن حذيفة
قال :

« كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ
فَاهُ بِالسَّوَاكِ » .

— ٦٧ —

بابُ دَفْعِ السَّوَاكِ إِلَى
الْأَكْبَرِ ،

وَقَالَ عَفَّانُ حَدَّثَنَا صَخْرُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ
عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(1) أَعْغُ ° أَعْغُ ° — the vomiting sound produced on the contact of an object with the back of the palate.

and on Abu-l-^cAliyah having said :

“Pass your wet hands over my foot, for it is sore.” (1)

We are informed by Muhammad, who had it from Sufyân b. ^cUyainah, through Abu Hâzim, who heard Sahl b. Sa'd As-Sa'idi say (there being no one intervening between him and Abu Hâzim) in answer to a question put to him by some people as to the remedy used for the Prophet's wound (Allâh bless him and give him peace):

“There is no one living that knoweth the matter better than I do, 'Ali had brought his shield full of water, and Fâtimah washed the blood off the Prophet's face. A straw mat was then taken and burnt, and his wound was stanchèd with the ashes.” (2)

CHAPTER 75.

On rubbing the teeth with the tooth-stick;

and on Ibn ^cAbbâs having said : “I spent a night in the Prophet's house (Allâh bless him and give him peace), when he used the tooth-stick.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : اامْسَحُوا عَلَى رِجْلِي فَإِنَّهَا مَرِيضَةٌ :

حدثنا محمد قال أخبرنا سفيان بن عيينة عن أبي حازم سمع سهل بن سعد الساعديّ وسأله النَّاسُ وَمَا يَدِينِي وَبَيْنَهُ أَحَدٌ : بَأَى شَيْءٌ دُووِيَّ جُرْحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ :

« مَا بَقِيَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي : كَسَانَا عَلِيٌّ يَجْمَعُ بُتْرُسَهُ فِيهِ مَاءٌ وَفَاطِمَةُ تَغْسِلُ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ فَأُخَذَ حَصِيرٌ فَأُحْرِقَ فَخُشِيَ بِهِ جُرْحُهُ » .

- ٧٥ -

بابُ السَّوَاكِ ،

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « بَتُّ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَنْ » :

(1) i. e. both cases show that help may be sought in removing defilement for the purpose of the wudûs.

(2) This incident took place at the Battle of Uhud, when the Prophet's face was cut and a tooth injured.

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للمؤلف ابراهيم مسه المومى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

CHAPTER 73.

The wudû* is not permissible with wine or any intoxicant ;

and it was reproved by Al-Hasan and Abu-l-°Aliyah ;

and °Atâ* declared : "I prefer the dry ablution to that performed with wine or milk."

We are informed by °Ali b. °Abdullâh, who was told it by Sufyân, who had it from Az-Zuhri, through Abu Salamah, through °A°ishah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said :

"Any drink that intoxicateth is forbidden."

CHAPTER 74.

On a woman washing blood from her father's face ;

— ٧٣ —

بَابُ : لَا يَحُوزُ الْوُضُوءُ
بِالنَّبِيدِ وَلَا بِالْمُسْكِرِ ،
وَكَرِهَهُ الْحَسَنُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ ،
وَقَالَ عَطَاءٌ : « التَّيْمُمُ أَحَبُّ
إِلَى مِنَ الْوُضُوءِ بِالنَّبِيدِ وَاللَّبَنِ :

حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان
قال حدثنا الزهري عن أبي سلمة عن
عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ
حَرَامٌ » .

— ٧٤ —

بَابُ غَسَلِ الْمَرْأَةِ أَبَاهَا الدَّمَ
عَنْ وَجْهِهِ ،

المجلة الأزهرية

مجلة الأزهر

حضرات المشتركين

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فانه نظرا لوشك انتهاء السنة السابعة لمجلة
الأزهر ، نرجو حضرتكم النفضل بارسال بدل الاشتراك المتأخر ، لاننا عاملون
على تسوية حسابها ، ومثلكم يسره معاونة الادارة على القيام بمهمتها .
فنرجوكم تقديرا لهذه المجلة التي تخدم الثقافة الاسلامية أن تلبوا
طلبها ، ولكم الشكر الجزيل .

مدير مجلة الأزهر

تفضلوا بقبول احترامى الفائق

محمد فريد وجرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشؤون الاجتماعية والمذاهب الفقهية

كلية جامعة لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام

الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر

لقد أطلق الاسلام حرية البحث والنظر لكل مفكر من أهله، ولم يقيد به إلا بما تقيد به الفطرة السليمة أهاها، من توخى الحق، وتجرى العدل، والاستهداء بالأعلام التي نصبها الله للوصول الى اللباب البحث، من كل ما يعرض للنظر، أو تدفع الحاجة اليه. أول ما عرض للمسلمين بعد تألفهم جماعة، أن يقيموا لهم حكومة، وأن تكون لهم شريعة، فكانت شريعتهم الكتاب وما ثبت من سنة نبينهم صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا لم يجدوا الحكم في الكتاب بحثوا عنه في السنة، فإن عز عليهم فيها عمدوا الى الراى مستأنسين بالأشياء والنظائر، ومعتمدين على الأصول الاسلامية الأولية من إقامة العدل، وإثبات الحق، مع مراعاة المساواة المطلقة بين الأقوياء والضعفاء.

فلما استقرت للاسلام الدولة، وتشعبت مصالحها، واتسعت معاملاتها، اقتضت أن ينقطع رجال من أصحاب العقول الكبيرة الى العمل على بناء صرح الشريعة، فنظروا في الكتاب ثم في السنة، ثم فيما جرى عليه العمل في المسائل المختلفة، وأعملوا آراهم فيما لم يهتدوا الى نص عنه، أو حكم سبق فيه أو في مثله، فكانوا يجلسون في مساجد حلقات حلقات يتفهمون هذه المسائل الشرعية، ويتباحثون فيها، غير مقيدون بغير

ما قدمناه من الأصول الإسلامية المقررة ، فحدثت في المسألة الواحدة مذاهب عدة ، لكل مذهب منها معتمد يعتمد عليه ، ودليل يستند اليه .

فلما تتابعت الأيام ، وجاء القرن الثاني ثم الثالث ، حدث انتخاب طبيعي في جميع هذه المذاهب ، وأمكن إدماج أكثر الآراء الفقهية في أربعة مذاهب رئيسية ، وما بقي منها خارج هذه الأربعة لم يهمل أمره ، ولكنّه دون في كتبها وأشار اليه في أثناء عرض الآراء المختلفة ، واستؤنس به في تفهم بعض الأحكام الغامضة ، بل وأخذ به عند الضرورة ، لأن الفقهاء الإسلاميين لم يقرروا إقفال باب التجديد الفقهي في أي زمن من الأزمان الى يومنا هذا . وقضوا بأن كل رأى يثبت أنه أقرب الآراء لمقصد الشارع ، ويستند في الوقت نفسه الى الأصول الأولية التي جعلها الاسلام أساسا لكل قانون عادل ، يجب الأخذ به وإن لم يقل به أحد من المتقدمين ، كما أخذ بأقوال الأئمة الأربعة سواء بسواء .

هذا الأسلوب التشريعي ليس له نظير في أية ملة من الملل ، فإذا كان أصحاب القوانين الوضعية يقومون عليه منذ عدة قرون ، فإن الاسلام قد سبقهم اليه قبل نحو ألف سنة ، ولم ينكره أحد من أهله حتى في أشد أجيالهم جمودا على القديم . ولست بحاجة أن أنبه أن هذا الأسلوب يضمن للشرعية الإسلامية البقاء والتفوق حتى تقوم الساعة . ولا يعقل أن يأتي عهد يقال للمسلمين فيه : إن قانونكم أصبح متعجراً فاذا أردتم النهوض وجب عليكم أن تأخذوا بغيره من القوانين الوضعية . فإذا كان قد حدث مثل ذلك فلأن العالم الإسلامي كان يخلو من رءوس كبيرة تحمي حمى شريعته ، بمثل هذه الحجج البينة ، وتعمل على إثبات ذلك بالفعل .

كيف يعقل أن يتطرق الجود الى الشرع الإسلامي ، أو يضيق عن حاجات الاجتماع ، وهو إنما يقوم على الحقوق الطبيعية ، والعدل المطلق ، والمساواة التي لا تشوبها شائبة ؟ ولم يقل أحد من الذين تولوا أمره من أول عهد الاسلام الى اليوم إنه يجب على المسلمين

أن يقفوا حيث هم جامدين حيال الضرورات الاجتماعية التي تطالبهم بما يسد ثلثها، وأن يأخذوا بالقوانين الوضعية أولى لهم من أن يرجعوا إلى رأى من آراء الصحابة والتابعين بحجة أنها لم ترد في واحد من المذاهب الأربعة .

وهذه أقوال أصحاب المذاهب الأربعة تنمى على هؤلاء الجامدين موقفهم هذا وتعمده من الخروج على الدين .

كان أبو حنيفة إذا أفتى يقول : « هذا رأى أبى حنيفة وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب » .

وكان مالك يقول لأصحابه كلما استنبط حكماً : « انظروا فيه فإنه دين ، وما من أحد إلا وماخوذ من كلامه ، ومردود عليه إلا صاحب هذه الروضة » يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الشافعى لتلميذه الربيع : « يا أبا إسحق لا تقلدنى فى كل ما أقول وانظر فى ذلك لنفسك فإنه دين » .

وقال أحمد بن حنبل : « انظروا فى أمر دينكم فإن التقليد لغير المعصوم مذموم وفيه عىى للبصيرة » .

كان الإمام الجليل الشيخ محمد عبده أول رأس كبيرة ظهرت فى العالم الاسلامى عقب دور طال أمده فى الفتور ، فعمل جهده على إقامة حجة الدين ، وسعى سعياً متواصلاً لتحسين موقف المسلمين حيال هذه الشبهة الخطيرة ، ولكن العقبات على عهده كانت مما لا يمكن تذليلها بفعل الأفراد ، فبقيت أقواله تنبى الغافلين ، وتهيب بالجامدين ، وخلفه على طريقته تلميذه الأول الإمام الجليل صاحب الفضيلة الشيخ المراغى ، فكان أول ما وجه همته إليه إصلاح قانون الأحوال الشخصية قبل نحو عشر سنين ، بغير تقييد بالمذاهب الأربعة ، ولكن أخذاً من جميع الآراء الاسلامية فى العهد الذهبى الذى

سبق هذه المذاهب ، خالات الحوائل دون نفاذ ذلك القانون ، بسبب بقية جمود كانت لا تزال موجودة تعرقل أعمال المصلحين .

فلما تسنى لفهصيلته اليوم أن يرأس اللجنة التي عهد إليها أن تصالح قانون الأحوال الشخصية ، الذي أثبتت الحوادث عدم كفايته ، تناوله بتلك الروح العالية التي تناوله بها أول مرة ، مؤاليا على نفسه أن يخرج للناس بمعونة الله ، ومساعدة الأعضاء الكرام الذين ندبوا للعمل تحت إشرافه ، نظاما إسلاميا للأحوال الشخصية تتجلى فيه سماحة الاسلام وسمو نظره في الشئون الاجتماعية ، مما يكون له أبعد الآثار في إصلاح الأسرة وحفظ كيان الجماعة في هذا العصر الحافل بالفتن والزعازع .

وها نحن نعرض على القارئ نص الخطبة الجليلة التي ألقاها فضيلة الأستاذ الامام المراغي ، وهي على قصرها فاتحة عهد الحياة الاسلامية الصحيحة ، تستقبله الأمة في مشارق الأرض ومغاربها بما يستحقه من الاحتفاء والتكريم .

كلمة فضيلة الاستاذ الاكبر

في اجتماع اللجنة الشرعية العليا

مضرات السادة :

حددت وزارة الحفانية في مذكرتها التي استصدرت بها قرار تأليف هذه اللجنة مهمتها ، وبينت الدواعي التي دعت الى تأليفها ، وقد منحت الحرية لهذه اللجنة في تخير الأحكام من مذاهب فقهاء الاسلام . وقد يظن أن في هذا العمل ابتداعا ، وأن سلف هذه الأمة لم يعملوا مثله ، وأنا أدفع لكم هذا الظن بما أطلعكم عليه مما هو مذکور في كتاب الولاية والقضاة للسكندی ، فقد جاء فيه في مواضع متفرقة ما يأتي :

« وكان أبو عبيد يذهب مذهب أبي ثور ثم صار يختار، لجميع أحكامه بمصر باختياره، وحكم بما لو حكم به غيره ماسكتوا عنه، فلم ينكر عليه أحد، لأن أبا عبيد كان لا يطمئن عليه في علم، ولا تلحقه تهمة في رشوة، ولا يحيف في حكم، وهو آخر قاض ركب إليه الأمراء في مصر، وكتبت بمصر ألفاظه، وجمعت توقيعاته، وكانت محشوة فقه، وابلغة. قال الطحاوي: وكان أبو عبيد إذا كرنى بالمسائل، فأجبتة يوماً في مسألة، فقال لي: ما هذا رأي أبي حنيفة، فقلت له: أيها القاضي أو كلما قال أبو حنيفة أقول به؟ قال: ظننتك مقلداً، فقلت له: وهل يقلد إلا عصبى؟ فقال: أو غبي. فطارت هذه الكلمة بمصر حتى صارت مثلاً. »

وأبو عبيد هذا هو القاضي علي بن الحسين بن حرب، ولي القضاء بمصر سنة ٢٩٣ هجرية وصرف عنه سنة ٣١١

هذا أيها السادة كان حال أبي عبيد وحال الامام الكبير العالماوى : يريان أن التقليد ثمرة الغباوة أو العصبية . وأبو عبيد القاضى يتخير الأحكام دون إنكار منكر ومنازعة منازع ، وهذا الى ما هو معلوم لكم من قواعد المذاهب فى إعمال العرف ومراعاة الضرورة والخرج ومراعاة المصالح العامة ، ومن روح الشريعة الاسلامية فى اليسر ومراعاة قواعد العدل ، يدفع عنكم كل شبهة تخطر ببال الجامدين والأغبياء المتعصبين . نعم إنه وإن كان تخير الأحكام حسنا وعمل به من قبل ، إلا أن ترك الحرية للقضاة يختارون يعدد فى الحقيقة قوانين الدولة الواحدة والأمة الواحدة ، ويجعل الناس حيارى لا يدرون على التحديد أو التقريب القانون الذى يطبق على أفضيتهم عند التنازع . وقد شعر الناس قديما بضرر ذلك ، وبوجوب اتباع قانون واحد يسرى على المملكة الواحدة ، فن الواجب أن يتخير القانون ، وأن يحمل القضية على اتباعه ، وهذا هو العمل الذى كلفتم به ، والذى أرجو أن تقوموا به وتؤدوه ابتغاء إسماع هذه الأمة وتحقيق الخير لها وإقامة العدل بينها .

وفى كتب الفقه الاسلامى من الآراء والمذاهب ما فيه شفاء للناس إذا أحسن التخيير وصدقت النية وصحت العزيمة ، وأعتقد أنه لا يكاد يخطر رأى بالبال فى حادثة عرضت للفقهاء من قبل إلا وهذا رأى موجود يمكن العثور عليه للباحث المجد .

وقد وضعت الحكومة ثقها فيكم ، وأنتم من خيرة الفقهاء وخيرة العلماء القادرين على البحث والترجيح والاستنباط ، ومنكم كثيرون لا بسوا الحياة العملية ، وقبضوا على ميزان العدل والقسطاس بين الناس ، وأدركوا مقدار الحرج والضيق الذى يستولى على القاضى عند ما يكون الحكم الملتزم باتباعه غير محقق للعدل وغير ملائم للعادة التى يريد الفصل فيها .

غير أنه لا يصح أن يفوتنى ، وقد كنت قاضيا من قبل ، أن إصلاح قانون الموضوع إصلاح لنصف القضاء فحسب ، أما النصف الآخر فهو بيد القاضى نفسه ، لأن عليه أن يفهم الوقائع أولا كما هى بعد تلمس أدلتها ونقدها ، وبعد الموازنة بينها ، وعليه أن يبذل الجهد لئلا يطول الوقت والحق يفلت من يد صاحبه ، وعليه أن يشعر الناس جميعهم بالاطمئنان اليه ، وأن يحملهم على الرضاء بحكمه ولو كان عليهم ، بسيرته الطاهرة وبعده عن الشبهات . وإذا صح التغاضى عن تخيير الرجال فى بعض أعمال الدولة فلا يجوز بحال التغاضى عن تخيير القضاة من أفاضل العلماء علما وخلقا وأدبا وفهما وصبرا واستقامة واستمساكا بالدين والفضيلة والمروءة . وهذا ما أرجو أن تجعله وزارة الحقانية موضع عنايتها .

والله يتولى هدايتنا ، ويبصرنا مواضع الحق ، ويجنبنا مواضع الزلل ، إنه نعم السميع المجيب .

وهنا نهض سعادة مصطفى حنفي بك وكيل وزارة الحقانية وألقى الخطبة التالية :

خطبة سعادة حنفى بك

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر - سادنى :
 كلفنى حضرة صاحب المعالي وزير الحقانية أن أقدم لحضراتكم أحسن تمنياته
 وأطيب تمنياته ، كما كلفنى أن أقدم لكم باسم الحكومة شكرها الجزيل على تفضلكم
 بتلبية نداءها ، بل نداء الأمة بأسرها للقيام بهذا العمل الجليل أثره ، العظيم خطره .
 ولا شك أنكم ستبدلون فيه من وقتكم وجهدكم ما أنتم فى حاجة اليه فى مهامكم الأخرى
 التى تقومون بها ، غير أنى أشعر أنكم إذ تبدلون هذه التضحية تشعرون معها بفبطة
 وراحة تدسيكم عظيم ما تبدلون ، ذلك لأنكم وأنتم من أكبر رجال الشرع والقانون
 تقدرون أثر ما أنتم قادمون عليه .

ألسنا نطلب منكم أن تعملوا على إصلاح حال الأسرة ، وبالتالى الأمة المصرية ؟
 وما الأمة إلا أسر مجتمعة ، وستضعون لها قانونا تستمدونه من الشرع الشريف يساعدكم
 عليه ما لكم من خبرة وتجربة ، آخذين فى هذا كله بأرفق المذاهب ، لتسهلوا على الناس
 حياتهم العائلية ، وتضمنوا لهم السعادة الأبدية ، فنحن نطلب اليكم أن تعهدوا الناس
 من مهديم الى لخدم ، فتضعوا القواعد لرعاية الطفل ، وإثبات نسبه ، وضمانه حضائته ،
 والمحافظة على أمواله ، فإذا أصبح رجلا تعهدتم أهليته وحفظتم أمواله ، فإذا مات كفلتهم
 وورثته فأعطيتم كل ذى حق حقه ، ثم قتم على ما أوصى به من خير ، فوصاتم البر الى ذويه ،
 وما أظن أن شيئاً أعظم من هذا يعرض علينا فى حياتنا العملية .

سادنى :

هل لى بعد ذلك أن أتحديث اليكم بفضل الله علينا وحسن توفيقه ؟ فرئيسنا بل
 وشيخنا الأستاذ المراغى العالم الكبير كان من أوائل الذين فكروا فى هذا الإصلاح
 وعملوا له ، ومنذ ما يقرب من عشرين عاما كان الاستاذ المراغى رئيس التفتيش الشرعى

بوزارة الحقانية عاكفا في غرفته هنا يفكر فيما تفكر فيه الآن، ويبحث آراءه هنا وهناك، وكان يسمى سعيًا حثيثًا مدى عشرة أعوام ناشدا فيها الإصلاح، حتى أخرجت الحكومة بعض القوانين الشرعية التي أخذت فيها بأرفق الأقوال من مذهب الامام الأعظم، وكان في ذلك رحمة بالناس .

والآن يأسده أراد الله أن يتم على الرجل نعمته، فشأت حكمته أن تتيح له هذه الفرصة السعيدة، وأن يضع الأمر كله بين يديه على منوال أوسع يمكن من تحقيق جميع الآمال . وليس أشهى إلى النفس الكريمة من تحقيق أغراضها الكريمة، والشيخ المراغى إذ يوفق في هذا الأمر — وهو موفق فيه بإذن الله — لا يحقق غرضاً يسعى إليه طوال حياته فحسب، بل يشيد بيميناه ذكرى خالدة ستحدث بها الأجيال ما بقيت الدنيا، وسيقيم صرحاً يكون سجلاً خالداً يشهد لحضراتكم جميعاً بما قتم به للأمة من جليل الأعمال، وشاركتم فيه من نبيل الإصلاح .

فإليك أيها الصديق العزيز أرفع تهنئتي الخاصة، وأدعو الله أن يطيل حياتك ويمدك بروح من عنده، واليكم أكرر شكرى جميعاً، وأدعو الله لكم بالتوفيق .

سأدى :

مما يزيد سرورى أن نبدأ أعمالنا في عهد جديد، أسأل الله أن يكون عهداً سعيداً، وأن يحقق آمال هذه الأمة في ظل جلالة الملك ورعاية حكومته :

الروح الاسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

— ٧ —

مقومات العاطفة الاعتقادية في الاسلام

الانسان محمول بفطرته الى اتخاذ عقائد دينية له ، وهذه العقائد يتناولها أكثر المتدينين من آباؤهم ، وقادة أديانهم ، من طريق التقليد بدون نقد ولا تمحيص . ولكن الاسلام حرم على أهله هذا الضرب من توارث العقائد ، فشرط أن يكون أساسها العقل ، وسنادها الدليل . وهذا مالا عهد للانسانية به إلا في العلوم السكونية بعد الاصلاح الخطير الذي أحدثه فيها العلامة الانجليزى الكبير . سيكون من لدن القرن السابع عشر ، نخرت المعارف الانسانية بهذه الوسيلة من حيز الظنيات الى حيز اليقينيّات . فما أحدثه هذا العبقرى الانجليزى من التمحيص في مجال المعارف المادية ، سبقه الاسلام اليه بأكثر من ألف سنة في عالم المعتقدات الدينية .

فليس على مسلم بموجب هذا الأصل الاسلامى أن يتناول عقيدة من كائن من كان دون أن يعقلها ، وأن يستطيع أن يدلل عليها ، حتى ساغ لأهل الأصول من المسلمين أن يقرروا أن إيمان المقلد لا يقبل منه .

هذا حدث جليل لم يكن يخطر لأحد على بال من أهل الأجيال السالفة ، ولا يزال يحمله غير المسلمين ويظنون أن الاسلام دين كالأديان المعروفة .

لقد أشبعنا هذا الأصل الاسلامى بحثاً في مقالاتنا السابقة تحت عنوان (مهمة الدين الاسلامى في العالم) ، فإن كنا نعود اليه الآن فذلك لبيان مقوماته ، فإن له مقومات تحفظ كيانه ، وتكفل ترقيه وكماله .

لأن العقل في ذاته وإن كان خاصّة طبيعية من صفاته التميز بين الحق والباطل ،

والحسن والقبیح، ولكنّه في حاجة الى نور يستمدّه من الخارج، تظهر له به الأمر على ما هي عليه في الواقع، فما كل ما ظهر لأول وهلة أنه حق حقا، ولا كل ما تبادر الى الذهن أنه باطل باطلا، ولا كل ما لاح أنه حسن حسنا، ولا كل ما أومّ مظهره أنه قبيح قبيحا. ولو كانت هذه الخاصة تدرك الأشياء على حقائقها دون حاجة الى ما يقومها وبكملها، لما شجر بين الناس خلاف على معقول قط، بل لما تنازعوا على شيء أصلا، ولا كان هنالك تفاوت بين ذوق وذوق، ولا بين نظر ونظر.

فالعين خاصتها الميزة رؤية الأشياء على ما هي عليه في ظاهرها، ولكنّها في حاجة الى نور خارجي يبين لها الأشياء في مواضعها، ويظهر تفصيلاتها، ويشترط أن يكون ذلك الضوء خاليا من الشوائب، وكافيا لا يظهر جميع الدقائق. فما كل ما يلوح في الغبش أنه حسن حسنا، ولا أنه قبيح قبيحا.

وهناك ما هو أدق من هذا تأثيرا في تقدير الحسن والقبیح، وهي الخصائص الذاتية والمزايا التبعية، فالمرارة تعتبر قبيحا، ولكنّها في العلاجات المفيدة بمرارتها تعتبر حسنا، وإذا اشتدت صارت غاية في الحسن. والحلاوة تحسب حسنا، ولكنّها إذا اشتدت حتى أحدثت غثيانا وقيئا عدت قبيحا، وإذا أفرطت اعتبرت نهاية في القبيح.

نخاضة العقل بحكم وظيفتها في التفرقة بين الأمور الفاضلة والردلة، والشتون النافعة والضارة، في حاجة ماسة الى المقومات الذاتية، والمقومات الخارجية. فالمقومات الذاتية المعارف على جميع ضروبها، والتجارب على اختلاف مواضعها، فان العقل الخاوي من العلم والمجرد من التجارب، يتعقل الأشياء تعقلا ساذجا، ويميز بين الحسن والقبیح تمييزا سطحيّا، ولكن أيستطيع أن يفرق بين حق وباطل، أو بين حسن وقبيح تفرقة صحيحة؟

إذا كان ذلك ممكنا لما اختلف الناس في عقائدهم وشرائعهم ومبادئهم على النحو الذي هم عليه اليوم.

لذلك عنى الاسلام بأمر المقومات العقلية بنوعها كل العناية ، بقدر ما عنى بنصب العقل حكما بين ما هو حق وباطل ، وحسن وقبيح ، وخير وشر .

فأما من ناحية المقومات الذاتية فقد حث على وجوب طلب العلم ، فقال تعالى : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » ، ولعل هذه العناية منه بوجوب طلب العلم بأن العلم يوجد لأهله مزايا يتجرد منها المحرّمون منه ، وهو يريد أن يكون للأخدين به جميع المزايا التي يمكن أن يتمتع البشر بها ، فقال تعالى : « هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟ » ، وصرح بأن بين المؤمن الجاهل والمؤمن العالم درجات ، فقال تعالى : « يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » قال البيضاوي : « يرفع الله الذين آمنوا منكم ، بالنصر وحسن الذكر في الدنيا ، وإيوائهم غرف الجنان في الآخرة . » والذين أوتوا العلم درجات « ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل . فإن العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة . ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره . وفي الحديث : فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » نقول : وقد قدر ابن عباس رضى الله عنه هذه الدرجات بسبعين درجة .

وقد حض الاسلام ذويه أيضا على إجلالة الفكر في الأمور ، وتناولها بالبحث والتقدير ، وحرصهم على النظر في الكون والكائنات وتنوّر أسرارها ، واستكناه مسانيرها ، واعتبر ذلك أفضل من العبادة بالجوارح ، فقال تعالى : « وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » : وقال « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » . و « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى » . وكرر ذلك في عشرات من الآيات .

وورد في الأحاديث النبوية تحضيض شديد على التفكير ، حتى جملة النبي صلى الله عليه وسلم خير ضروب العبادة ، فقال : « فِكْرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ »

وقد شفع الاسلام هذا التحضيض على التفكير ببيان النواحي التي يجب توجيه الفكر إليها ، وهي : (١) الوجود في جلته ، فقال تعالى : « قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ

والأرض»، وقال: «وَكَايْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ»، وقال: «أَفَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ».

(٢) الكائنات الأرضية من جمادية ونباتية وحيوانية، والتأمل في صورها وأشكالها، وطبائعها وأسرار وجودها. قال الله تعالى: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَعَنْبًا وَقَضْبًّا (أى رطباً)، وزيتوناً ونخلاً، وحدائق غاباً (أى ذات أشجار غليظة) وفاكهة وأباً، متاعاً لكم ولأنعامكم». وقال: «وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء، فأخرجنا منه خضيراً نخرج منه حبا متراكباً، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب، والزيتون والمان مشتبها وغير متشابه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه، إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون»: وقال: «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت» الخ (٣) الإنسان، تكوُّنه في الرحم وميلاده وأطواره وأحواله ونفسه، قال تعالى: «وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم، أفلا تبصرون» وقال: «وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون». وقال: «فلينظر الإنسانُ ممِّمَّ خلق، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب». وقال: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين».

فهذا ومثلات من أمثاله في الكتاب الكريم يوقظ في النفس غريزة النظر فيما بين يديها وما خلفها، ويشير فيها رغبة ملحة لكشف المساتير واستجلاء غوامض الخليقة، فتجد فيها مادة العقل غذاء لها يبلغها غاية ما تحصل إليه من قوة التحليل والتركيب المعقولات، فلا تؤخذ بظاهر خلاب، ولا عرض فتن، فإذا أرادت الحكم

على الأشياء ردها عن الانخداع بالظواهر ما تمرست به من النفوذ الى السرائر،
والفوص لاستخراج الحقائق .

ولم يكتف الاسلام بهذا من مقومات العقل، فدفع بالآخذين به الى مخالطة الأمم،
ومعاملة الشعوب، وحفزهم الى التجوال في الأرض، والضرب في أكنافها، ودراسة
أحوال الجماعات البشرية، والنظر في شئونها، من قوة وضعف، وعزة وذلة، وارتقاء
وجود، والبحث عن أسباب ذلك وعمله، من أمورها الراهنة، وتاريخها الماضي، وتقدير
ذلك بالمعايير العلمية، وقياسها بالمقاييس الحكمية، قال تعالى: « أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ
وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ، وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » . وقال: « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ » ، وصرح جل وعز بأن ثمرة هذه السياحات كشط ما على القلوب من ظلمات
الجهالة، وما على العقول من غاشيات الغباوة، وإزالة ما علق بالنفس من ران العماية،
قال تعالى: « أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ، أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ
بِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » .

لم يدع الاسلام هدفا من أهداف النظر، ولا موضعا من مواضع الاستبصار،
ولا عاملا مما يوقظ غريزة التأمل، وينبه خاصة التفهم، إلا دعا اليها واستنهض المحم
للتنافس فيها، كل ذلك منه ليطوف بالعقل في جميع أدوار التربية والنمو، فيبلغه النضج
الذي يصبح معه قادرا على الحكم على ما هو حق وما هو باطل، وما هو حسن وما هو
قبيح، حكما يكون هو الصواب كله أو قريبا منه .

والذي يتتبع وصايا الاسلام وتعاليمه يجده لم يهمل وجها من وجوه تربية الانسان
هذه التربية الأدبية إلا نبه ذويه اليه، وحضهم عليه، حتى ما يتوهم بعض الناس أنه
لا علاقة له بها، كالرياضة البدنية، من المصارعة، والمصاربة بالسيف، والسباحة، والمسابقة

على الخليل ، مما قد يدفع بعض خصوم الاسلام أن يقولوا : ما لهذه الألاعيب والدين الذى يستدعى الوقار وحسن السمعة والخشوع ؟ ويغيب عنهم أن هذه الرياضات التى يسمونها الألاعيب لا تنافى الوقار والسمعة الحسن والخشوع ولا أرقى مظاهر التقوى ، ولكنها تعين عليها بفهم وتعقل وحنين صادق ، بما توجده للجسم من الصحة الكاملة ، وما تقتضيه من مراس عقلى وتدير فكرى ، وخروج عن عوامل التحجر الجسدى والأدبى ، التى تعترى الذين يكرهون الحركات الجسمية ، ويألفون تمضية حياتهم بين جدران دورهم ومعابدهم . فإذا كان القصد من الدين تكميل الانسان حسا ومعنى ، فهذه سبيل هذا التكميل ، وهذه أساليبه ، هدى اليها البشر من طريق العمل ، ونزل بها الوحي الالهى قبل عصر العلم على خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم .

يقول خصوم الاسلام : إن الاسلام دين مادى يحض على العمل ، وعلى الضرب فى الأرض ، وعلى كسب المال ، وعلى الفتوح والتوسع فى الأرض ، وغاب عنهم أن الاسلام دين أوحى ليعتقد ويعمل به ، لا ليعتقد ويلقى به فى زاوية باعتبار أنه لا يمكن القيام عليه .

وما رقى الاسلام من كل ذلك إلا لتحتك الناحية الأدبية من الانسان بكل ما يمكن أن يصقلها ، ويستصفي جوهرها ، بتورطها فى مضائق الحياة وما زماها ، وتمرسها بأحداثها وجوانحها ، فإذا اجتازت كل هذه القواطع خرجت منها مستكملة جميع الشرائط الصحية ، حاصلة على جميع خصائصها الطبيعية ، ناضجة نضوجا يؤهلها لبلوغ جميع غاياتها الروحية .

محمد فريد ومهدى

التفسير

سورة لقمان

- ٢ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : (اَلَمْ تَلِكْ اَآيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ . هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ .
اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . اُولَٰئِكَ عَلٰى هُدًى
مِّن رَّبِّهِمْ . وَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) :

قدمنا الكلام في المقال السابق على حروف الفواخ، وعلى قوله جل شأنه : « تلك
آيات الكتاب الحكيم » والآن نعرض لتفسير باقى الآيات :
قوله تعالى : « هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ » :

الهدى كالهداية : مصدر هداه يهديه ، وقد جاءت مصادر على هذا الوزن كاللقى
والسرى ، وقيل : هو اسم مصدر . ويستعمل فى التعدى كما هنا ، وفى اللازم كقوله
تعالى : « أولئك على هدى من ربهم » .

وهو اسم للدلالة الموصلة بالفعل كما هنا ، وكما فى قوله تعالى : « اهـدنا الصراط
المستقيم » أى دلنا عليها دلالة مقترنة بالتوفيق لها والوصول اليها ، وإلا فالدلالة المطلقة
التي هى أعم من الموصلة وغيرها متحققة بدون هذا الدعاء ، وأيضا فان الذى يقصده
العاقل فى دعائه هو الدلالة المقرونة بالتوفيق والتوصيل .

ومن استعمالها فى الموصلة أيضا قوله عز من قائل : « إنك لا تهدى من أحببت »

فإن معناه: ليس الأمر في الوصول الى المبتغى اليك يا محمد، وإنما هو منوط بمن بيده ملكوت كل شيء، وهو مقلب القلوب والأبصار. وكذلك قوله تعالى: «أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون».

ومن استعمالها في الدلالة المطلقة قوله عز وجل: «وإنك تهدي الى صراط مستقيم».

وعلى الجملة فما من شك في أن اللفظ يستعمل في المعنيين كما ترى.

ولقد تناول الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة، وأقيمت الأدلة من كلا الطرفين على ما يؤيد مذهبه، ففريق يقول: إن الهدى الدلالة مطلقا، ويستدل بما جاء دالا على هذا المعنى، وفريق يقول: إن الهداية هي الدلالة الموصلة، ويستدل بما جاء دالا على ذلك، وقد رأيت أن اللفظ ورد في كل منهما، والمشارك مستفيض في اللغة، فليت شعري لم لا نقول بكل من المعنيين واستعمال اللفظ فيهما! ولعل الولوع بالخلاف وضيق صدر الطوائف بعضها من ناحية بعض من أكبر العوامل في إثارة الخلاف لكل مناسبة.

ولفظ هدى هنا بمعنى هاد، وعبر بهدى بدل هاد الدلالة على أنه قد تمكن من وصف الهداية حتى صار هو نفس الهدى، على حد قولهم: محمد عدل، أي أنه زاد في العدالة حتى صار كأنه العدل بعينه، وكما يقولون: فلان علم مجسم، وفضل محض، وأشباه ذلك، وهو مستفيض في بليغ الكلام.

والرحمة في الأصل: صفة في النفس ينشأ عنها الإحسان والعطف والتفضل والمواساة، وقد تطلق على الإحسان نفسه. والمراد هنا بالرحمة أنه منشأ لها، أو مظهر من مظاهرها. فعلى الأول يكون المعنى أن هذا الكتاب تعريض للمرء أن ينال من رحمة ربه وإحسانه ما يستحقه بالعمل بموجبه وأحكامه. وعلى الثاني يكون المعنى أن أنزل هذا الكتاب مظهراً من مظاهر الرحمة الإلهية، فإن الإنقاذ من الحيرة، والإرشاد الى سبيل الخير والسعادة، رحمة من الله تجلت في هذا الكتاب. فعلى الأول يكون

المعنى هو سبب الرحمة ، ولما كان سببها لها مؤديا إليها أ كمل أداء ، عبر عنه بأنه الرحمة نفسها ، وعلى الثاني يكون هو رحمة ، والأمر فيها ظاهر .

والإحسان يأتي تارة بمعنى إيصال الخير الى الغير ، تقول : أحسنت الى فلان أى أوصلت اليه إحسانا ، وليس هو المراد هنا ، وتارة بمعنى أتى بعمل حسن ، كما في قوله تعالى : « إن الله لا يُضيع أجر مَنْ أَحْسَنَ عملا » ، وإحسان العمل لغة معروف ، وهو الإتيان به على أ كمل وجوهه وأجل صفاته . وأما الإحسان شرعا فقد جاء تفسيره في الحديث الشريف : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . ولا شك أن من أدى مراسم العبادة بين يدي ربه ، مستحضرا لجلاله ، ممتلئ القلب بعظمته ، مستنير اللب بنوره ، كأنه لعظم استحضاره له يشاهده ، فهو مقبل عليه كأنه يشاهده ، فقد أدى حقوق العبودية ، وقام بواجب التعميم ، وهو مقام لا يعرفه حق المعرفة إلا من ذاقه ، وهو المسمى في لسان الصوفية بمقام الشهود ، ويليه استيقان المرء بأنه على صراطى من ربه ، وملاحظة أنه مطلع على خفي سره وجللى أمره ، لا تخفى عليه منه خافية ، فيستولى عليه الحياء ، من ربه ، وتحيط به الخشية فلا يصدر منه ما يوجب غضبه أو يعرضه لسخطه . ويوضح هذا المعنى ما ورد في الأثر « نعم المرء ضهيى لو لم يخف الله لم يعصه » أى أنه ممتلئ القلب باستحضار أن الله مطلع عليه ، وأنه برأى منه ، فلو فرض أنه لا يخاف سطوته فهو ألبتة يستحي من هيئته . وهذا المعنى هو ما أشير اليه بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » أى أنه لو لاحظ مقتضى إيمانه واستحضر ما هو كامن في عقيدته ، من اطلاع المولى على سره وجهره ، وعلمه بجميع أمره ، لكان إن لم يمنعه الخوف منعه الحياء . وانظر إن شئت الى قول الحريرى : « وتستحي من مملوكك ، وأنت برأى مملكك » . أأنت ترى أن المرء يتوارى حين يقارف منكرا من أخس الناس عنده ، فلو شعر أن طفلا خادما عنده اطلع عليه لذهبت عنه نشوته وتدهورت نفسه ، فهل يظن أن

الله غير مطلع عليه ؟ كلا إنما هي الغفلة والابتعاد عن مغزى قوله عيله السلام :
 « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وإلا فلو زعم أن الله لا يطلع عليه ولا يعلم أمره لكفر ،
 وكذلك لو تحقق بمقام ملاحظة أن الله يراه وإن كان لا يراه لاستحال أن يقارف
 ما يقارف .

وقد يقال : لم خص المحسنين مع أنه هاد للجميع ؟ فإذا فسرت الهدى بالدلالة
 الموصلة زال هذا السؤال ، ولكن يبقى سؤال آخر ، وهو أن المحسنين قد اهتموا
 بالفعل ولولم يهتموا ما سموا محسنين ، فما معنى أنه هدى لهم ؟ والجواب أن المحسنين
 هم الذين استعدت نفوسهم لقبول الإرشاد والهداية ، واستشرفوا اليهما ، فإذا ورد
 الكتاب على هذا الاستعداد فقد استفادوا واهتدوا به ، بخلاف غيرهم فلم يهتموا به
 إذ ليس لديهم استعداد له . فإحسان معناه التهيؤ لتلقيه ، والاستشرف له انتظارا لمولاه ،
 أو هو من قبيل قوله تعالى : « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقوا » إذ المعنى أن
 مام فيه من إحسان منشؤه اهتداؤهم به . وإذا قلنا إن الهدى معناه الدلالة مطلقا
 كان قصر الهداية على المحسنين ، مع أنه هدى للجميع ، أن الهداية بالنسبة الى غير
 المحسنين لما لم تؤت ثمرتها نزلت منزلة مام يحصل .

بقى أنه قرئ هدى ورحمة بالنصب على أنهما حالان من « آيات الكتاب » الذي هو
 خبر اسم الإشارة ، وبالرفع على أنه خبر بعد خبر لتلك .

« الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون » :

فيه تبين لمعنى المحسنين ، ويشبه هذا الصنع من بعض الوجوه قول الشاعر :

الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

فقد سئل بعض علماء اللغة : ما معنى الألمى ؟ فقال : الذى يظن بك الظن كأن قد
 رأى وقد سمع . فيكون على هذا القياس أمارة المحسنين وعلامتهم التى بها يمتازون عن
 غيرهم ، أنهم يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويوقنون بالآخرة ، والجزاء يوم المعاد .

وترى في التعبير يقيمون الصلاة دون يصلون مثلاً ، الدلالة على أن الصلاة إنما تكون صلاة بالمعنى المقصود للشارع إذا أدبت على الوجه الذي هو أقوم : بأن يقف خاشعاً حاضراً القلب ، مستحضراً جلال من وقف بين يديه يؤدي له حق العبودية ، فإذا ركع أو سجد كان مراعيًا في ذلك خضوعه لعظمة مولاه ، وذلتة أمام عليائه وعزته ، فإذا ما تلا كلامه القديم يناجيه به كان مستحضراً بقلبه معاني ما يتلو له لسانه ، لا مجرد حركات يجوارحه أو لسانه ، وهو شارد القلب ساه عن صلاته ، وإلا كان داخلاً في وعيد قوله عز من قائل : «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون». وأى امرئ أحق بالويل ممن شرفه الله تبارك وتعالى بالوقوف بين يديه يخاطبه بكلامه القديم وهو يسمعه ويراها ، ثم يندب بقلبه عن هذا المقام الشريف ، مع أن الله تبارك وتعالى محصٍ عليه كل شئ ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ؟

انظر الى ما يجري بين الناس حتى المتكاثفين في المنزلة ، ونصور رجلاً يكلم زميله وهو مقبل عليه مصنع اليه ، وإذا بالتكلم يبدو عليه ما يدل على أنه لم يبق بالاً لما يقول ، وأن لسانه يجري بالكلمات وحاله يدل على أنه مشغول البال بشئ آخر ، ألا يدل هذا على عدم اهتمام المتكلم بسماعه ، ويوجب امتعاض المخاطب منه ، ونفرته ، واعتباره متهاوناً به وهو يخاطبه ، وربما نهره إن قدر ، أو اشمأز من هذا التهاون وانصرفت عنه نفسه ساخطاً عليه ، فكيف بالوقوف أمام رب العالمين الذي يعلم السر وأخفى ؟ !

أما إنك لو تأملت لوجدت أن الصلاة مع انصراف صاحبها عنها جديرة بأن صاحبها يستحق الويل حقيقة ، وإذا قال قائل : إنك لو لم تصل لكان أهون ، لكان كقول القائل للمتكلم في الصورة الأولى : إذا كان الموضوع الذي تكلمنا فيه من الهوان عليك بحيث تكلمنا فيه وأنت شارد الفكر منصرف عنا بقلبك فأرحنا من حديثك وأرح نفسك مما لا فائدة منه .

وإنك حين تتأمل في الصلاة على الوجه الذي شرحناه نجدها جديرة بما وصفها

الله عز وجل في قوله : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » إذ كيف يمر على قلبه مرات كثيرة في اليوم الواحد الثناء على الله بأنه رب العالمين خلقهم وكلهم ، وأنه المحسن اليهم إحساناً متوالياً ، وأنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء ، ثم يقبل عليه بتخصيصه بالعبادة وطلب المعونة ، ثم يطلب منه الهداية الى أقوم صراط الخ ، ثم يخضع لعظمته ، ثم يضع جبهته على الأرض اعترافاً بعليانته وذلاً أمام عزته ، يتكرر منه ذلك مرات كثيرة كل يوم ، ثم يجاهره بالمعصية والفحشاء والمنكر ؟ إن هذا بعيد كل البعد ، ومن صدرت منه الفحشاء وقد أدى الصلاة ، فهو إنما أتى بصورة الصلاة وهو عنها ساء ، وإذا فرض أن قارف المصلّي شيئاً من ذلك فلا بد أن صلاته ستنتهأ ، هذا سر التعبير بيقومون الصلاة بدل يصلون .

وقوله : « ويؤتون الزكاة » أى لمستحقها :

عبر كذلك بلفظ يؤتون الزكاة الذى معناه يوصلونها لمستحقها ، للتخصيص على سرّ المقصود من الزكاة تتبادل بين الأغنياء والفقراء ، وهو أنهم يوصلونها اليهم ، فيصلون ما بينهم ويبنهم برباط محكم ، لأن المقصود مجرد إخراج المال ، بل توصيله الى مستحقه ، ليكمل الارتباط بين المؤمنين ، ويكونوا فى نوادهم وتراحيمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحى ، فهل يأتى هذا إلا بمراعاة الإيتاء ؟ وقد جبلت النفوس على حب من أحسن اليها .

وقوله تعالى : « وهم بالآخرة هم يوقنون » :

اليقين : هو علم الشيء بلا ملاسة شك ولا ريب ، وإنما يطلق على ما طرأ من العلم بعد الشك أو الإنكار ، فلا يقال : تيقنت بوجود نفسى أو بأن الأرض تحتى ، إلا إذا كان يشير أنه أصابته حال ذهول فيها عن المعلومات الضرورية ، واعتراه من الشك ما يشبه الغيبوبة . والمراد بالآخرة : هى وما احتوت عليه من جزاء ثواب أو عقاب . والمدح باليقين بالآخرة لأنه مدعاة للعمل على ما ينبجى من هولها ، وبعد

النفس لا يحراز الكرامة والسعادة فيها . وتجد في تكرار الضمير في قوله : « وهم بالآخرة هم يوقنون » لتقوية الإخبار ، تنويعها بشأن هذا اليقين ، وإبرازها في صورة من العظمة تدعو للانصاف به .

« أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » :

قد يكون المشار اليه المذكوراً بصفات متعددة صورته وشخصته وجملته ماثلاً في الذهن تتجلى فيه هذه الصفات ، فاذا ذكر بلفظ الضمير فإنما يحضر ذاته دون التنبيه على صفاته ، وأما إذا عبر عنه باسم الإشارة فكأنه حضر ماثلاً أمام الذهن بمشخصاته التي تجلّى بها ، فيستحضر السامع ذاته متحلية بصفاته المذكورة ، وهي مناط الإخبار ، وقد استحق الحكم المحمول عليه بسبب تلك الصفات . فهذا سر التعبير عنه باسم الإشارة بدل الضمير . وأما تكراره في قوله : « وأولئك هم المفلحون » فليدل على أن كل واحد من الخبرين مقصود بالإفادة لذاته . والخبران هما : على هدى ، والمفلحون . والضمير الذي قبل « المفلحون » يسمى عند النحويين ضمير الفصل ، لأنه يفصل بين الصفة والخبر ، أي يبين أن المذكور بعده خبر لا صفة ، فإنه إذا قيل : « وأولئك المفلحون » قد يقوم أن المفلحون بيان لأولئك والخبر لم يأت بعد .

والتعبير بقوله : « على هدى » لبيان أنهم تمكنوا من الهدى واستقروا عليه فهم غير متزعزعين عنه .

نسأل الله تعالى أن يمكننا من الهدى حتى نطمئن نفوسنا ، وأن يرزقنا الفلاح في الدنيا والآخرة ، إنه سميع مجيب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ابراهيم الجبالي

خطبة الجمعة في الاسلام

شرع الاسلام خطبة الجمعة ليلقيها أمراء المؤمنين في دار الخلافة ، والولاية في عواصم الأقاليم ، ومن يليهم من العمال كل في دائرة عمله ، تحقيقاً لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإحياء لروح النكافل بين الحاكين والمحكومين ، لتقوم الجماعة على أقوم أساليب الحياة العامة ، وتستكمل شرائط الاتجاه الاجتماعي الصحيح لنيل الأغراض العالية التي عينها الدين . فخطبة الجمعة رباط روحاني يجمع بين المؤمنين حاكمهم ومحكومهم ، يتعهد القائمون بأمر الجماعة كل أسبوع ، حيطة لها من أن تتسرب اليها بدعة تفسد من كيانه ، أو عادة سيئة تخط من كرامتها ، أو تنبئها لها الى خطر يهددها ، أو الى فرصة سنحت يجب أن تنتهزها .

فالخطبة بهذا الاعتبار تيار من الحياة يوجهه حفظة هذا الدين الى الناس في صورة عبادة ، والله يعبد بكل ما هو حق وكل ما هو خير للفرد وللجماعة وللناس كافة .

فلما اعتري المسلمين فتور في بعض أدوار تاريخهم ، تأثرت به جميع حواظ وجودهم الادبي والمادي ، فاسندت الخطابة الى رجال غير مسؤولين منهم ، فاصبحت هذه الوظيفة صورية يقوم بها كل متصد لها ، سواء أحسن القيام بها أم لم يحسنه ، فبطل تأثيرها في الناس ، وآلت الى مظهر شكلي متم لصلاة الجمعة لا أقل ولا أكثر .

لم يفت هذا الامر العلامة الامام الشيخ محمد عبده ، فعمل على إحداث إصلاح أولى فيه بالاتفاق مع وزارة الاوقاف على عدم إسناد هذه الوظيفة إلا الى العلماء المتخرجين في العلوم الاسلامية بالازهر ، ونشط المسلمون من ناحيتهم لحث أولى الامر على العناية بخطبة الجمعة ، فحدث ترق محسوس في موضوعها وفي لغتها وفي إلقامها ، ولكن الحاجة لاتزال ماسة الى المزيد من إصلاحها ، والمأمول بلوغها الى المستوى المرجو لها بهمة الساعين في ترقيتها .

ولما ولي الأزهر خليفة الاستاذ الامام وتلميذه الأول حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ الامام محمد مصطفى المراغي ، أيقن الناس بأن روح التجديد الذي يرفع لواءها عالياً خفاً ستسري في هذه الناحية من الإصلاح الديني أيضاً ، فاعتموا أن حقق الله ظنهم ، ورأوا فضيلته يضع الأساس العملي بنفسه لهذا الإصلاح المنتظر ، بما قام به من تولى خطبة الجمعة بنفسه بالجامع الأزهر يوم أن شرفه حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول بالصلاة فيه ، في اليوم الحادي عشر من شهر شوال الراهن . فكان هذا الأمر منه إيذاناً للناس بأن هذه الخطبة الشرعية قد عادت اليها كرامتها ، ورجعت اليها مهبتها . ومن الذي يضن بنفسه بعد فضيلته من القيام بمنثل هذه المهمة في الحى الذي هو فيه ، أو في بلدته ، أو في أى مسجد من مساجد المسلمين ؟ لا جرم أن فضيلة الامام المراغي قد رفع بما فعله من شان الخطابة والامامة الى الراجح

الذى هو من حقهما في الواقع ، وأعاد سيرة السلف الصالح حيالها بأفضل ما يمكن ان يفعله مصلح مثله في هذا العصر .

لقد كان المسلمون يقرءون ما يروى لهم من خطب بابا روما ورئيسى أساقفة كنتربرى وبرايفورد وغيرهم من رؤوس أحبار الملة النصرانية ، ويأسفون من ترفع كبار شيوخ المسلمين عن مثل ذلك ، وأسلافهم آباء مجديتها ، فاليوم يسرى عنهم هذا الأسف بما فعله إمامهم المجدد ، وفق الله من يلونه من أئمة الدين لان يحذوا حذوه ، ويقتاسوا به .

أما الخطبة التى ألقاها فضيلة الاستاذ الامام بين يدي حضرة صاحب الجلالة فتعتبر قبسا من نور الاسلام ، وروحا من صميم حكمته ، في موضوع أحوج ما كان الناس اليه في عهدهم الحاضر ، وإنا لمسجلوها في صفحات مجلة الأزهر لتقوم بجانب ما سجلناه لفضيلته من نواين الكلم في شئون متعددة .

وهذا هو نص الخطبة التى ألقاها صاحب الفضيلة شيخ الأزهر :

الخطبة :

أحمدك اللهم حمد من اخلص النية لوجهك الكريم ، وأشكرك شكر من أطاعك لذاتك وابتغاء رضوانك العليم . وأشهد أن لا إله إلا الله تفرد بالعزة والسلطان ، واشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بعثه الله رحمة للانسان . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الاطهار وصحبه الطيبين الاخيار .

قال الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » هذا وعد الله الصادق ، ولن يخلف الله وعده .

أمور ثلاثة أيها المؤمنون ، هى أسمى ما يتصوره الانسان ، جعلها الله جزاء العمل الصالح المنبثق عن الايمان : استخلاف العاملين في الأرض ، وتمكين دينهم الذى ارتضاه لهم ، وتبديلهم بعد الخوف أمنا وطمأنينة .

والاستخلاف في الأرض خلافة عن الله في همارة كونه ، وتوزيع العدل والاحسان بين عباده ، وهو يعتمد على القوة وشمول السلطان ونفاذ الكلمة ، وهو مطلب تنفانى الامم في سبيله ، وتضحي بآبنائها وأموالها ابتغاء الوصول اليه .

وما استقامت عقيدة ولا استقر سلطان ، ولا وجد مجد وسؤدد ، ولا شمرت أمة بالعزة إلا إذا حتمتها القوة وبسطت عليها أجنحتها ، وهذه المثل قائمة ، وشواهد الماضى حاضرة في ذهن مائنة .

وتمكين الدين والعقيدة نعمة عظيمة ، ومقصد رفيع ، يتبعه استقرار النفوس ، وراحة الضائر ، والشعور بالعزة والكرامة . ليس أشهى الى النفس ولا أمتع للقلب ولا أهنأ لروح من أن يرى الانسان أن عقيدته صاحبة السلطان والنفوذ في نفوس الناس أجمعين .

والآمن بعبد الخوف أعز مطلب للفرد والجماعة . وللخوف آثار تفسد العقل ، وتذهب بالتفكير ، وتجعل العيش مريراً ، والحياة مضطربة .

وما أحلى الا من يستقر بعد الفرق ، وما أعذبه يتدفق بعد القلق ! عندئذ يندفع الانسان نحو العمل صافي القلب ، متجها الى الله ، ملتصقا خير العباد .

وليس الايمان أيها المؤمنون تصورات تتخيلها العقول وتجري عباراتها على اللسان ، وإنما هو عقيدة تملأ القلب وتتبعها آثارها .

« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » .

ومن آثار العقيدة الدفاع عنها بالنفس ، والاستهانة في سبيل نشرها بالمال . ومن آثارها العمل الصالح . وليس العمل الصالح مجرد صلاة تؤدي بالحركات ، أو صيام يؤدي بالحرمان من اللذات ، أو ذكر يجري على اللسان ألفاظاً ميتة خالية من الخشية والرهبة .

إنما العمل الصالح ما اشتمل على روح الاسعاد : من إخلاص لله ، ومحبة خير الفرد والجماعة ، واداء للحقوق كاملة : لله ، ولعباد الله .

« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة »

إن أعلى العمل الصالح منزلة عند الله فضائل الأخلاق : من الوفاء بالعهد ، والصدق في القول ، والشجاعة في الحق ، والصبر على احتمال المسكاره ، والعدل مع الأفراد : بأداء حقوقهم ، وحب السعادة لهم ، وإرشادهم الى الخير ، ومعاونتهم فيه .

ومن العمل الصالح إطاعة الفرد لما تفرضه الجماعة ، وما يفرضه الحاكم ، مما ليس فيه معصية للخالق .

ومن العمل الصالح للحاكم توفيره الخير للرعية ، والدأب والسهر على مصالحها ، وحياظتها من الانزلاق في الشرور والتهاون في الدين

وإن قوام العمل الصالح مهما تعددت شعبه ، العدل ، وهو مطلوب من الحكام ، ومطلوب من الرعية ، والعدل هو اتباع السنن الالهية ، والأوامر الدينية ، والنواميس الوضعية التي لا تتنافى والدين .

إن الأمة الصالحة التي تستحق الخلافة أيها المؤمنون ، كما يجب أن تقوم على العدل ، يجب

أيضا أن تؤدي الارض حقها من عمران ، وأن تستخرج ما فيها وما حولها من قوى ومنافع ، لتحقيق الارادة الالهية من خلق تلك القوى وتسخيرها لمنفعة الانسان .

« الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . »

عباد الله :

لا تسعد أمة تتفرق أهواؤها وتصبح شيعة وأحزابا رائدها الهدوى وقائدها المصالح الخاصة .

لا تسعد أمة لا تعصم بحبل الله المتين ، ولا تعتبر بسير الذاهبين الأولين .
لا تسعد أمة تحتكم الى الشهوات ، وتنعامى عن الايات ، وتدع النذر ، وتعمى عن العبر .
لا تسعد أمة تنبذ تعاليم الدين وراءها ظهريا ، وتزدرى بالأخلاق الفاضلة حبا فى الاستمتاع بالشهوات وما فى الحياة من لذات .

لا تسعد أمة ينغمس أمرؤها وأغنياؤها فى الترف ، ويستعذبون الراحة ، ويأنفون العمل « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . »
أيها المؤمنون :

نحن بين أمرين : إما أن نستضىء بنور العقل ونهتدى بهدى الشرع ، فنصير فى الدنيا الى عزة نصلو بها فى أجواز الفضاء ونحترق بها أطباق الأرض ، ثم فى الآخرة الى جنة عرضها السموات والأرض ، الى مغفرة الله ورضوانه .

وإما أن نعمى عن هدى الله ، ونغمض عما حل بالأمة السابقة أعيننا ، ونغلى مراحل الشهوات فيما بيننا ، فنأكل نيران الأحقاد قلوبنا ، فنصير فى الدنيا الى ذلة وضعة ، ثم فى الآخرة الى نار وقودها الناس والحجارة ، الى خزي من الله وخذلان .

« من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . »
وقانا الله عذاب النار وسوء المصير ، وقادنا الى الخير وحسن العاقبة ، وهدانا الى ما يرضيه ويقربنا من عفوه ورحمته !

روى البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار . »

هل يجوز الدعاء على المسلم بالكفر

ما رأيكم ادام الله فضلكم في رجل يدعى العلم ، وقد أذنب أحد أصحابه ذنبا على زعم ذلك المدعى ، فصار يدعو على هذا المذنب قائلا ما نصه : « اللهم أعم بصرك يا فلان . اللهم اسلب إيمانك يا فلان . اللهم أمتك على الكفر يا فلان » في جمع من المسلمين ، فغضب أحدهم وامتنع عن مصاحبته ، فعلم ذلك المدعى بسبب امتناعه ، وهو الدعاء ، فخطأه وأفتى بجواز ذلك الدعاء ، وأصر عليه ؟ فترجواكم بالحاح الاجابة على ذلك ، ولكم من الله الثواب ، ومن المسلمين الشكر ؟

أحمد عبد المنعم اللقاني

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

اطلعنا على خطابكم وما ذكرتموه عن ذلك المفتي الذي ياتي المنكرات الصريحة زاعما أنها من الدين ، وأنه من خير المسلمين الغيورين . والجواب أنه إن صح عنه ذلك كان من أ كذب الكاذبين وأجهل الجاهلين . ولو كان على شيء من العلم لافتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » ، أو براهيم عليه السلام حيث يقول : « ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » ، أو بالمؤمنين الأولين حيث يقولون : « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » .

ولنرو لك حديثا هو نص في الموضوع ، وسنذكر لك أحاديث كثيرة بعد :

عن عمر رضى الله عنه أنه قد أتى برجل شرب الخمر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلده في الخمر قبل ذلك ، فقال رجل من القوم بحضرته صلى الله عليه وسلم : اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ! فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله » أخرجه البخارى . وفي رواية لأبي داود عن أبي هريرة « لا تقولوا هذا ولكن قولوا : اللهم ارحمه ، اللهم تب عليه » .

فهذا هو أدب الاسلام ، لا ما فعله هذا المفتي . وقد كان صلى الله عليه وسلم يلاطف من سبق عليه القضاء فوقع في حد من حدود الله تعالى ، ويقول : « ادرءوا الحدود بالشبهات » علما منه صلى الله عليه وسلم بالضعف البشرى الذى كثيرا ما يغلب صاحبه المؤمن إيمانا قلبيا صحيحا ، علما أنه سيرده إيمانه وقتنا من الأوقات ، وستناه صلاته يوما

من الايام ، ناظرا الى سعة الرحمة الالهية ، والى كرم الله الذى ينظر الى القلوب لا الى الصور ، مبينا لنا أن الندم توبة ، وأن التوبة تجب ما قبلها ، وأن الحسنات يذهبن السيئات .

وقد عرف صلى الله عليه وسلم أن الانسان بمقتضى البشرية لابد أن يكون له هنات وهفوات ، فأرشدنا الى الحمية ما استطعنا . فاذا وقعنا فى مرض الذنب لم يؤنسنا ولم يقنطنا ، بل أرشدنا الى الدواء الذى يخلصنا مما وقعنا فيه ، فقال : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

فانظر الى هذا التعليم النبوى الوحيد الذى اشتمل على مجامع السعادات الدنيوية والاخرية . فجزاه الله عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته . وقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل اعتذار المعتذر ، ويرشده ، ولا يؤنبه ، ويكتفى من الناس بظواهرهم ، علما منه أن صلاح الظواهر قد يجر الى صلاح البواطن ، ولا يطلب من الناس الكمال فى الأشياء ، ولا يكلفهم غاية واحدة ، نظرا الى ما بينهم من التفاوت فى الاستعداد ، وأن كلا ياخذ ما قدر له ولا يتجاوز مرتبته ، فكان يسيرهم جميعا فى طريق الخير ، وينير لهم طريق الهدى ، ثم يدعهم لله تعالى ، ولا يدق هذا التدقيق الذى يفعله الآن أولئك المتفهمون . وقد غضب على أسامة غضبا شديدا عند ما قتل الرجل الذى قال : لا إله إلا الله ، ولم يقبل منه أنه قالها تقية ، وصار يقول له : أقتلته ؟ ! بعد أن قالها ، حتى تمنى أسامة أنه لم يكن أسلم قبل . مع أن الظاهر أن الرجل ما قالها إلا تقية ، ولكنه صلى الله عليه وسلم لا يجب أن يفتح باب الاحتمال وسوء الظن ، علما منه بما يترتب على ذلك من الشرور والمفاسد ، واتباع الاهواء والأغراض والاوهام والجهالات . ولذلك زجر أسامة وقال له : هلا شققت عن قلبه !

وسر هذا أن إصلاح الظواهر كثيرا ما يجر الى إصلاح البواطن كما قلنا ، خصوصا فى بيئات الهدى ، وأوساط الدين والصلاح .

هذا وقد قالوا « إن الرضا بالكفر كفر » . فهل يعتبر الدماء بالكفر رضاء به ، أو فوق الرضاء كما هو ظاهر ؟ وقد ورد فى الصحيح أن من رمى غيره بالكفر باء به أحدهما ، الى غير ذلك مما لا نريد أن نتوسع فيه . فانظر الى تغليظ الشارع فى هذا الباب الضيق الذى يجب أن يتعد عنه المسلمون كل الابتعاد . ولولا أننا نعلم أن الشيخ الداعى بالكفر من المناولين لا غاظنا عليه القول ، ولكننا لا نفعل ، وإن كان تأويلا فاسدا ، وتهورا شديدا .

غلطة فاحشة :

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن ننبه على أن قوله الذى ساقه السائل بنصه « اللهم أمتك على الكفر يافلان » غلط فاحش ، فانه جمع بين خطابين لمخاطبين فى جملة واحدة ، وهو مما نص علماء العربية على امتناعه .

وبعد : فقد رأينا أن نسوق الى القارئ الكريم بعض ماورد من الأحاديث التي تبين حقوق المسلم على المسلم ، وتحت على الرحمة والشفقة حتى بالحيوان الأنجم ، ليعتبر بها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فنقول :

عن واثلة بن الاسقع قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المسلم على المسلم حرام : دمه ، وعرضه ، وماله . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، التقوى هاهنا ، وأوماً بيده الى القلب ، وحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » . رواه الامام أحمد وغيره وإسناده جيد .

وعن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ذب عن عرض أخيه بالغيث كان حقا على الله أن يعنتقه من النار » رواه أحمد والطبراني .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول هذه الأمة خيارهم ، وآخرها شرارهم مختلفين متفرقين ، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليتأته منيته وهو يأتي الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه » . رواه الطبراني . وعن عائشة رضی الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فان كان له مخرج فخلوا سبيله ، فلا أن يخطئ الإمام في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة » أخرجه الترمذی .

وعن جرير رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » أخرجه الشيخان والترمذی . وفي أخرى لأبي داود والترمذی عن أبي هريرة رضی الله عنه قال صلى الله عليه وسلم : « لا تنزع الرحمة إلا من شقي » . وعن أبي هريرة رضی الله عنه « من لا يرحم لا يرحم » . أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذی .

وعن أبي هريرة رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فتزل فيها فشرب ، ثم خرج وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان مني ، فتزل البئر فلأخفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب ، فشكر الله تعالى له فغفر له . قالوا : يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا ؟ قال : في كل كبد رطبة أجر » . أخرجه الشيخان وأبو داود . وقد ورد مثل ذلك في مومس رحمت كلبا مثل ذلك .

وعن عائشة رضی الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه » . أخرجه مسلم وأبو داود .

وعن جرير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » أخرجه مسلم وأبو داود .

وعن أبي موسى رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدا في بعض أمره قال : « بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا » . أخرجه أبو داود ، الى آخر ما جاء في السنة وهو كثير .

وبعد : فلا غرابة في مثل تلك الفتاوى الضالة ، فقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن الناس سيتخذون رؤساء جهالا فإذا سألوهم أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا . وقد أخبرني من أثق به أن بعض العلماء المفتونين قال أمامه : إن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان أشد من أكبر الكبائر حتى القتل « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » مع ملاحظة أن علماء المذاهب الأربعة يرون أن الاتيان بها مستحسن . ويصرح الشافعية بسنيتها . وقد ذكرنا وجه ذلك في بعض ما كتبناه .

فانظر الى أى مدى وصل التبجح وقلة الحياء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مع أئمة المسلمين وعلمائهم :

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

ليس هذا شأن المسلم الذي يحتاط لدينه أو يعرف قدر نفسه . ولعل ذلك يقع منك موقع الغرابة والدهشة ، ولكن لا محل للغرابة بعد ما قال صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

ولندكر لك ما استند اليه ذلك الجاهل في فتواه الحقاء ، تخفيفا الدهشك ، وتقريبا لبعض ما كنت تظن أنه لا يقع من مسلم فضلا عن عالم : ذلك أنه يقول : إنه تشريع جديد من عند من قال به ولا تشريع إلا لله ورسوله . وأما صاحب المعصية فلم يشرع شيئا من عند نفسه لأنه يعتقد أن المعصية حرام كما في شرع الله ورسوله . وقد فات هذا الجاهل الغبي أن من قال ذلك من أئمة المسلمين لم يقله على أنه شرع من عند نفسه ، بل قاله على أنه شرع الله في اعتقاده ، فليس عليه شيء ولو كان مخطئا في الواقع ، لأن المجتهد له أجران إذا أصاب ، وأجر إذا أخطأ ، كما في الحديث الصحيح . ويجب على كل مجتهد أن يعمل بجتهاده ، ولا يجوز له أن يخالف ظنه ، كما بين ذلك في علم الأصول ، خصوصا على رأى المصوبة ، ولكن ما للجهول ولهذه المباحث ؟ وأنى له بعد ذلك بمدارك الأئمة الذين عرفوا من روح الشريعة ما لم يذق له طعما ، واستنبطوا من منطوقها ومفهومها وإشاراتهما وعلل أحكامها وأسرار تشريعها ما لم يشم له رائحة ؟ وكأن ذلك المسكين فهم أنهم ادعوا الرسالة حتى قال ما قال .

والإنسان يجمع العجائب والغرائب ، ومظهر المتضادات والمتناقضات ، فرحم الله امرأ عرف قدره ، ولم يتعد طوره ، فسلم لائمة الهدى ما قالوا ، ولم ينازعهم فيما لم يدر سره ولم يسبر غوره
 خسبك تسليم العالم لا هلهيا وحقق فيها أن تكون متابعا
 أسأل الله أن يقينا شر فتنة العقل الناقص ، والعلم الأبر ، وأن يخلصنا من ضلالات هذا
 العصر الذي تسابقت فيه عرج الخير ، بمنه وكرمه ؟

يوسف الدهوي
 من جماعة كبار العلماء

من حكم علي بن أبي طالب

قال علي رضي الله عنه : لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل ، ويقول في الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل فيها بعمل الراغبين ، إن أعطى منها لم يشبع ، وإن منع لم يقنع ، يعجز عن شكر ما أوتي ، ويبغى الزيادة فيما بقي ، ينهى ولا ينتهى ويأمر بما لا يأتي ، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ، ويبغض المسيئين وهو منهم ، يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ويقم على ما يكره الموت له ، إن سقم ظل نادما ، وإن صح أمن لاهيا ، يعجب بنفسه إذا عوفى ، ويقنط إذا ابتلى ، تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن ، ولا يثق بالرزق بما ضمن له ، ولا يعمل من العمل بما فرض عليه ، إن استغنى بطر وفتن ، وإن افتقر قنط وحزن ، فهو من الذنب والنعمة موفر ، يبتغى الزيادة ولا يشكر ، ويتكلف من الناس ما لم يؤمر ، ويضيع من نفسه ما هو أكثر ، ويبالغ إذا سأل ، ويقصر إذا عمل ، يخشى الموت ولا يبادر الفوت ، يستكثر من معصية غيره ، ما يستقله من نفسه ، ويستكثر من طاعته ، ما يستقله من غيره ، فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مداهن ، اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره ، وهو يطاع ويعصى ، ويستوفى ولا يوفى .

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

في الميراث

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاءات الآتية :

رجل توفي عن أختين شقيقتين ، وأم ، وجد لأب ، فها هو الحكم في هذه المسألة
على مذهب المالكية ؟
عبد الله محمد بيوى الاسنوى

الجواب :

توزع التركة على الوجه الآتي :

سدسها للأم ، والباقي بعد ذلك يقسم نصفين ، فأحد النصفين للجد لأب ،
والنصف الآخر للأختين الشقيقتين ، يقسم بينهما بالسوية ، وهذا على مذهب
المالكية والشافعية وبعض الحنفية ، والله أعلم .

* *

امراة توفيت عن زوجها ، وشقيقتها ، وابن أخيها من المصعب ، فن يرث ،
ومن لا يرث ؟
محمد محمد الحسيني

الجواب :

تقسم هذه التركة بين زوج المتوفاة وأخيها الشقيق ، لكل منهما النصف ،
ولا شيء لابن أخيها ، والله أعلم .

منافع المسجد لا تأخذ حكمه

دورة مياه (مطهرة) لمسجد عليها مبان قديمة مضى عليها مائة سنة تقريبا . ويريد

مالك هذه المباني هدم مبانيه وإعادتها على هذه الدورة . فهل يمنع مانع شرعى من ذلك ؟
وهل الدورة حكمها فى ذلك حكم المسجد شرعا ؟ الدكتور أحمد نشأت

الجواب :

المتنمى للأحكام التى اختص بها المسجد عند الحنفية لا يرى أن واحدا منها يثبت للمطهرة والمراحيض . وإذا لا تكون جزءا من المسجد ، فلا تأخذ حكمه فى منع البناء عليه . ولم يبق إلا أنها موقوفة للمنافع العامة التى يفتنع بها كل الناس ولا يختص بها أحد دون آخر . وهى من هذه الجهة يجوز البناء عليها ، إذ لا مانع شرعا من أن مكانا موقوفا للمصالح العامة يكون علوه مملوكا ملكا خاصا ، أو موقوفا على جهة خاصة .

وبناء على هذا نقول : متى كانت المباني القديمة المقامة على المطهرة والمراحيض مملوكة شرعا لشخص فلا مانع شرعا من هدمها وإعادتها الى ما كانت عليه مـ

رئيس لجنة الفتوى

محمد الفحام

هل يفسد الزمان

حدث أبو جعفر الشيبانى قال : أتانا يوما أبو مياس الشاعر ونحن فى جماعة فقال : ما أنتم وما تنذاكرون ؟
قلنا : نذم الزمان وفساده .

قال : كلا ، إنما الزمان وعاء ، وما ألقى فيه من خير أو شر كان على حاله ، ثم أنشأ يقول :
أرى حللا تصان على أناس وأخلاقا تداس فما تصان
يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

نقول : يريد بالأخلاق الشياى البالية من قولهم : خلق الثوب يخلق أى بلى ، ومراده أن الأفعال كالحلل منها الجيد الذى يصان ، والأسمال التى تبتذل وتهان . أما الزمان فهو من يوم أن كان .

جلالة الملك يكرم العلم في شخص امامه

لقد جمع الله في حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول جميع الخلال الشريفة التي امتازت بها الأسرة العلوية الكريمة ، وزاد عليها ما يقتضيه هذا العصر من ملك يقود شعبا منعطشا للديموقراطية الصحيحة . فكان كل ما أثر عن جلالته من الأقوال والأعمال مؤيدا للتفاؤل الكبير الذي قوبل به تبوؤه عرش أسلافه العظام في هذه الآونة التي تعتبر فاتحة عهد جديد لهذه البلاد .

ومما كان له أكبر أثر في نفس الشعب المصرى ، بل في نفوس الشعوب الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها ، ما تفضل به جلالته من تكريم العلم في شخص إمامه الجليل حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى ، بتشريفه داره بالمراغة ، في أثناء رحلته جلالته الأخيرة في الوجه القبلى . فجاء هذا العمل العظيم من جلالته دليلا عمليا على إكباره للعلم في شخص أكبر ممثليه ، وعلى ما ينتظر منه في مستقبل الأيام من حمايته له وحماية أهله على طريقة كبار الملوك ، ممن كانت أيامهم عهودا ذهبية لا مهمم سجلتها لهم أجمل صحائف التاريخ .

لقد وفق جلالته بتفضله بهذه الزيارة لامام الدين أعظم التوفيق ، فإن الأعباء التي يضطلع بها فضيلته ، والاصلاح الخطير الذى أخذ على عاتقه القيام به مما ينتظره منه مساعوا الأرض قاطبة ، وببذل فيه كل قوى عبقريته العالية ، تقتضى من جلالته كل تأييد ، وليس من ضروبه ما هو أعظم أثرا من تكريمه بهذه الزيارة التي تشف بدليل محسوس عن رعايته الملكية .

وقد وفق الله فضيلة الامام الى إلقاء كلمتين إحداهما في حضرة جلالة الملك ، والثانية في السراى القمخ الذى أقامه أمام داره ، جاءتا على إيجازها أبلغ ما ينتظر من خطيب عليم في مثل هذا الموقف التاريخى العظيم .

كلمة الدار

مولدى يا صاحب الجلالة :

لقد غمرتني بفضلك ، وأحطتني برعايتك وعطفك ، وصيرتني بما حبوتني به وغمرتني من الاحسان ، عاجزاً عن الشكران .

خلدت ذكرى هذه القرية ، وأعليت قدر هذه الدار ، وهى وإن كانت في ذاتها لا تذكر بين الدور ، فقد جلت وارتفعت بعطفكم عن الصروح والقصور ، أدام الله لك المجد رفيعا ، والملك موطداً خالدا ، والنعمة سابعة موفورة ، والتوفيق رفيقا وقرينا !

كلية السراشق

مضمرات السادة : هذا يوم القرى لايوم المدائن ، فقد أراد جلاله الملك أعزه الله ألا تحرم القرى من التيمن بطلعته المباركة ، فاختار هذه القرية السعيدة لمقدمه ، وخصها بزيارته ، وعملا برأى أبي العلاء المعري القائل :

فلا هطلت على ولا بارضى سحائب ليس تنتظم البلادا

أعتبر هذا العطف الملكي السامى موجها إلى جميع القرى ، لا إلى هذه القرية وحدها ، والقرى تستحق هذا العطف ، فهي وطن الفلاح والزارع المنتج ، ووطن الثروة والخير والنعمة ، ولولاها ما كان في مصر مدينة ، ولولاها ما استطاع أهل المدينة أن يعيشوا في البلد ، ولولاها ما قامت القصور الشامخة ، ولولاها ما نعم أهل المدن بالترف الذي هم فيه .

والقرية شريكة المدينة في إقامة صرح المدينة ، وإيجاد جميع العناصر التي تتألف منها من علم وأدب وفن ، فأبناء القرى أولاد الفلاحين نبغ منهم علماء وفنانون وأساطين الأدب ، ونبغ منهم رجال قبضوا على أزمة الحكم ، وصرفوا وجوه السياسة ، وأكثر رجال الجيش حارس الدولة وحامى حماها منهم ، ولو لا الخوف أن تزهو القرية وتختال على المدينة ، لكان لى متسع في القول ، وقد يكون من حق القرية أن تعتب على أبنائها ، فقد هجروها وهي لا تستحق الهجر ، وعابوها وهي لا تستحق العيب .

ولكن جلالة الملك فاروق نبه الناس بهذه الزيارة المباركة الى حقوق القرية ، والأمل بعد ذلك عظيم في أنها ستأخذ حظها كاملا ونصيبها وافرا .

وقد أستأذن القرية وأهل القرية فأنتزع من هذه الزيارة معنى آخر له قدره وخطره من السمو والرفعة ، فأعتبر اختصاص هذه القرية بالزيارة ، لأن هذا العاجز الضعيف الذي ينسب الى خدمة العلم والدين من أهل هذه القرية ، فقصد جلاله الملك أعزه الله باكرامه إكرام جميع العلماء والمنتسبين الى خدمة العلم والدين ، وليس هذا من الفاروق بعجيب .

فقد فطره الله على حب العلم وحب الدين ، وعلى إعزاز شأن العلم والعلماء .

مضمرات السادة : قد أكون من أحق الناس بالحديث عن جلاله الملك ، والتحدث عما خصه

الله به من المزايا الخلقية والمسكات النفسية الفاضلة ، ففيه من سرعة الخاطر ودقة الملاحظة ، وفيه من حفظ ما يرد عليه مما يسمع ويقرأ ، وفيه من عاطفة الخير والبر والرحمة ، وفيه من حبه شعبه حبا فياضا ، وفيه من حب العدل ما هو كفيلا بأن يديم سعادة شعبه وسعادته بشعبه .

أسأل الله أن ينير له طريق الخير والحق ، وأن يديم رايته ، وأن يبارك له في صمره بالصحة

الوافرة والهناء الدائم !

معنى الحياة وقيمتها

المذاهب القديمة للحياة

المذهب الدينى (١)

لا يوجد بين المذاهب المختلفة التى تتنازع السيادة على الانسان الراهن فى الحياة ، ما هو أقوى سلطانا عليه من المذهب المستمد من الدين . هذا المذهب يجعل أساس الحياة قائما على صلة بين الانسان وبين روح علوى هو مصرف الوجود ، والحاكم المطلق فيه .

(بعد ما تقدم ذكر المؤلف الديانة المسيحية فى بضعة أسطر ، فنهمل ترجمتها جريا على عادتنا من عدم التعرض للأديان مدحا ولاذما إلا ما تقتضيه مصلحة البحث ، ولا مقتضى فى هذا الموطن ، فلنتابع الترجمة التى نحن بصدددها) :

المذهب الدينى يعتبر الديانة مركزا للحياة ، وموجدة لعالم روحانى خاص . وقد نشأ هذا الاعتبار من رؤية الوجود الانسانى مزعزع الأركان ، متداعى البنيان ، فى أحوال أثبتت للانسان بوضوح عظيم وهن العالم الأرضى وأنه ظل سريع الزوال ، وملأته برغبة ملحة فى الحصول على حياة أكمل حالا ، وأفضل مآلا . هذا هو الذى حدث لدينا فى أثناء القرون الحافلة بالاضطرابات التى خرجت منها المسيحية منتصرة . وهذا الميل الشديد للترامى على الدين خفت حدته فيما بعد وصار أكثر تبصرا . وأخذ يتألف يسيرا يسيرا مذهب دينى كان له تأثير قوى على العقول طوال القرون الماضية ، ولا يزال له السلطان القاهر على العقول الى اليوم .

الحياة على موجب هذا المذهب تدور حول أمر واحد هو الاتصال بالروح المطلق الكامل . وكل عمل لا تكون له قيمة إلا إذا كانت له علاقة بهذا الاتصال ، وبالخدم التى يمكن أن تؤدى له ، يضاف الى هذا وجوب ترقية الخصائص النفسية المستقلة عن غيرها استقلال تاما ، بحيث تعلق على جميع الارتباعات الدنيوية . هذه الخصائص النفسية عنها تحرر الانسان من مسؤولات العالم الخارجى ، وتعين له من ذاتها العمل الذى يجب عليه أن يؤديه ، وتؤسس بينه وبين أمثاله ارتباطا ووحدة تامة فى الشعور والحياة . وبواسطة وحدة هذه القاعدة التى تعتبر أبعد القواعد غورا ، تأسس اجتماع قوى بين الناس لم يتأت لعامل آخر أن يحدثه . وهذه الحياة الدينية تقوم على الاعتقاد بحب الله للناس حبا لا حد له . وهذا الحب إذا أضيف اليه طهر الأخلاق اكتسبت الحياة به صفة خاصة ، وصحبها وقار لا غاية بعده .

(١) بقلم الاستاذ رودولف أوكن المدرس بجامعة فيينا بالمانيا مترجمة عن النسخة الفرنسية .

هذه الأحوال سمحت للإنسان أن يكون له عن نفسه وعن حياته اسمى الآراء . فباعثه أنه مخلوق على صورة الله وضع نفسه في مركز عالم الشهادة ، وخول نفسه حق التحكم بسيرته وأعماله في حالة المجموع الذى حوله الى الابد . فالإنسان في هذا المذهب يعتبر نفسه عضوا من الملا الاعلى نزل الى الأرض ، وقد رسم له أن يتشبه بماتهديه اليه محاولاته فيه ، ولكنه قد كتب عليه أن يخطط لنفسه دائرة خاصة لا يتعداها ، معتبرا وجوده الغاية الأخيرة للخلقة . أما من ناحية تكميل المجموع المحيط به من الكائنات مما لا يجوز أن تضع منه ذرة سدى فقد اعتقد أنه من اختصاصه أيضا .

هذه الحياة ليست مجردة من المشاغل والكوارث والآلام ، فإن سمو المطالب ، وشدة التنافس في الدائرة الانسانية ، تمنع الشعور بآية متعة وسعادة بالمعنى العرفى لهذه الكلمات ، بل قد تكون فداحة الألم والخطيئة لأول وهلة اشد مع وجود هذه الحالة النفسية لا أخف . ولكن محاولة الإنسان القيام بحقوق الدين ، والعمل على إنقاذ العالم من ضلال آخذ بمخنقه ، بإيجاد حياة جديدة له ، يرفع نفسه فوق مجالات الكفاح والنوازل . والاتصال بالله من طريق الحب والنفوس يسمح له أن يستمد تكلا من الكمال الالهى ، وأن يتمتع بسعادة لا حد لها . فاذا قاوم العالم الخارجى محاولات الإنسان ، وأشعرته الحياة الجديدة التى أوجدها بقوة هذه المقاومة ، فلا هذا ولا أى شئ آخر يستطيع أن يدفع به فى تيهور الشكوك ، أو أن يشل من حركاته نحو الغرض المطلوب . فاذا اعتبرنا قيمة الواجبات التى تفرضها هذه الحال على صاحبها ، علمنا أن حياته لا تكون حياة ترف ومنع غصب ، ولكنها تكون حياة حافلة بالحركة ، وقائمة على علاقات متينة ، فهى ليست حياة عاطلة .

على هذه الحال ساد المذهب الدينى فى مدى سلسلة طويلة من القرون على مناطق واسعة من الانسانية ، فقرب بين الآحاد والشعوب ، وأيقظ عددا لا يحصى من الأرواح من سباتها العميق ، موجدا لها سلاما صميقا وسكينة . فبينما تسرى روح إلهية فى الحياة الانسانية وتبنى عالما جديدا مكان الحياة القديمة ، تظهر أحوال مناقضة لها تسلب من الحياة المتوسطة بينهما كل طمأنينة .

فى هذا المذهب العنصر الالهى مع سموه على كل شئ قريب جدا من الروح الانسانية . والإنسان على صفه المنهاهى مدعو للاتصال بالله اتصالا جوهريا . والحب والاحترام ، والوداعة والوقار ، مرتبط كل واحد منها بالآخر ارتباطا وثيقا ، والغيايب الخالكة والانوار الساطعة ، والمصائب الفادحة والسعادات المطلقة بتقوى إحداها بالأخرى وإنتاجها توترا شديدا ، وعلا متواصلا ، توحى الى النفس سيرة صحيحة ، وتجعل من هذه السيرة مركزا السكل حقيقة . فى خلال كل هذه الأحوال قامت رغبة بعيدة المدى متشعبة بالحب والخلود ، بل حياة غنية بمقائدها وآمالها ، وترك وراءها وبعبدا عنها الزمن الحاضر كله ، ولكنها من ناحية

اصلها الذى تعتقده رفيعا تأوى الى ركن أمين فى عالم الحقيقة الابدية . فالحياة الانسانية فى أى مذهب غير هذا المذهب الدينى لم تصل الى مثل هذا الغور البعيد ، ولم تبلغ الى مثل هذا المستوى الرفيع من معناها الصميم .

مع هذا تتوجه اعتراضات على هذا الضرب من الحياة ، وبخاصة على ما يتعلق بمناقضاتها لحياة الكافة . وقد نتجت هذه الاعتراضات من مناقضتها للعالم المباشر ، ومن قطعها علاقتها به . ذلك أن الانسانية فى أخريات العهد القديم بعد محاولات باء بالفشل ، كانت قد فقدت الثقة بنفسها وبقدرتها ، ولم تجد غرضا شريفا تتجه اليه فى عالم الشهادة ، غير التوجه بالقلب نحو عالم آخر ظهر لها أنه يستطيع أن يحفظها من الغم ومن التلاشى ، وعلى ذلك استولى الانسان على العالم الآخر باندفاع استعان فيه بكل ما أوتى من قوة روحية ، وكان أثر ذلك عليه أن انقلب وجوده ظهرا لبطن . فاصبح الايمان ملجاء الرئيسى من متاعب الحياة . أما العالم المرئى فقد قذف به ظهريا . هذه الحالة لا يستطاع البقاء عليها إلا مادامت الرغبة فى العالم الآخر حافظة لسلطانها القاهر .

ولكن هذه الرغبة بدأت تتزعزع حين أخذت الانسانية تسترد ثقتها بقوتها الذاتية ، وفى الوقت ذاته جددت جواذب فى العالم الخارجى تدعوها اليه . عند ذاك اتجهت الجهود والمحاولات الى العالم المحيط بالانسان ، وهنا هذبت الحياة لاسمى عمل كتب عليها أن تقوم به ، وهو إخضاع هذا العالم لسلطانها ، وإضافة القوى الناتجة منه الى قوتها . فآخذ بذلك عالم الشهادة يتدرج لان يكون وطنا روحيا للانسان ، وبينما كانت المحاولات المادية فى تنوعها ونجاحها الفاتن تنسى الانسان العناية بنجاة روحه ، كان موقف الدين يتغير تغيرا ذريعا ، فبعد أن كان مركزا للحياة فى دائرة محدودة ، أخذ محيط هذه الدائرة يتسع يسيرا يسيرا ، ثم اضطر الدين بعد ذلك أن يكافح حركة آخذة فى الاشتداد فى اتجاه معاكس ، مما لا يستطيع أن يعلمه بتغلب الأهواء وضعف الايمان إلا ضرب من هزيل التفكير . فاما من الظاهر فكانت الشكوك التى تتوجه الى العقائد الدينية وتعتبر فى الدرجة الاولى من الخطورة . وهى تستمد قوتها من التحول الذريع الذى طرأ على فهم الطبيعة والتاريخ بتأثير الروح العصرية الجديدة . ولكن كان من السهل احتمال هذه الشكوك أو دحضها إذا كانت الحياة ظلت محافظة على مركزها القديم وإيمانها الاول ، دون أن تكابد ضعفا ، بل كانت كوارث العالم الخارجى المحيط بالانسان تستطيع فى هذه الحالة تقوية إيمانها فيصبح الدين ثابتا لا يتزعزع .

ولكن الذى جعل هذه الضربات خطيرة هو ضعف الدين نفسه عن الكفاح ، وإحماه تجاربه الاساسية احماء تدريجيا ، وتطور الشعور بالحياة الانسانية . فى مثل هذه الحالة ثار على الدين من الشبهات ما كان يثور عليه من أقدم اليهود ، كما ثار عليه أيضا كل ما هاجته الثقافة الحديثة ، وجدت جميع هذه الشبهات والشكوك اذانا مصغية . فكان هجوم هذه الشبهات على الدين منحصر

في نقط منزلة أو في بعض الأمور التفصيلية للدين ، ولمذهبه في تنظيم الحياة ، ولكنها لم تلبث أن اتجهت الى الدين نفسه ، والى إمكان تنظيم الحياة على أساسه في آن واحد . فقد اعتبر النظام الذي أوجده حرجا للغاية ، وعورض في الوقت نفسه بسعة هذه المدنية العامة . ورئى أن الدين لم يعول عليه في تقدير حقيقة أو ترقية معنى إلا باعتبار أنه جزء من حياة أعم منه . وقد اتضح للناس في العهود الأخيرة أن الآراء التي أتى بها مبنية كلها على مذهب التجسيد والتشبيه ، وأن فكرته الأساسية في إيجاد اتصال بين الله والانسان ، قد هجرت باعتبار أنها مستحيلة ، وأن تقسيم الخليقة الى عالمين ، عدت ضلالا ، كما عدت كذلك محاولته جمل الغرض الرئيسى للحياة ليس بلوغ الكمال في الحياة الراهنة ، ولكن الاستعداد والتأهب لحياة مستقبلية . كان أثر تعرض الدين لسكل هذه الشبهات أن اعتبر أخيرا أنه ثمرة الخيال ، وعد كل ما أتى به نسيجا من الآوهام في دولة الظلمات والاحلام .

لقد قوبل هذا الاتحاد ، والحق يقال ، بمقاومة شديدة ، ودافع عن حقوق الدين نفسه ، إن لم يكن عن حقوق نظمه أيضا ، بكل شجاعة من جانب أنصاره العديدين ، ولكن الذبوع المستمر لهذا الاتحاد يدل دلالة قاطعة على أن آفاقا واسعة في العصر الحاضر لا تستطيع أن تخضع لعوامل الحركة الدينية ، وأن هذه العوامل وعالمها قد أصبحت أجنب بالنسبة لهذه الآفاق ، بل غير مفهومة عندها . ولا يمكننا أن ننكر أنه رغم ما يبذله الدين من المشاورة على العمل والغيرة عليه ، فلا ثبت إلا القليل من أعماله المنتجة . وقد ضعف شعورنا اليوم بوجود قوة دينية ثمرتها رفع قيمة الانسان وترسيخ قدمه في الوجود وإيصاله الى الله . فيجب على الدين والحالة هذه أن يخضع للأغراض التي يستهدفها الانسان وهي نقية وبسيطة ، وأن ينتزل الى مستواها . وهذا يكون مستطاعا لو طواع طبيعته في الاستيلاء ، أو عمل على حفظ العواطف النفسية النقية الساذجة في حالة يقظة وتنبه . ولكن الدين في مثل هذه الحالة من التزعزع وفي وسط هذه الشكوك لا يتأتى له أن يكون سندا قويا للانسان ، ولا أن يقود الحياة ، ولا أن يحدد معناه وقيمه . فكيف يؤمل أن ينال جواب صحيح على المسألة التي نحن بصددنا من مصدر هو نفسه قد أصبح مسألة تحتاج الى حل ؟



ملاحظتنا على هذا المقال :

أحسن الاستاذ أوكن في صدر مقاله في وصف السلطان الذي للدين على النفس البشرية وبيان وجه لجئها اليه ، وتعويلها عليه ، ولكنه عاد فقلب له ظهر المجن ، وحمل عليه حملات منكرة فهمنا منها أن يستهدف ديننا معينا أو أديانا معروفة لديه ، لا الدين من حيث هو . وإننا لمخضون اعتراضاته ، ثم لمبدون ملاحظتنا عليها ، قال :

« يتوجه اعتراض على الحياة الدينية لقطعها علائقها بالعالم المادى عقب فقدتها للثقة بنفسها وجوئها الى العالم الروحانى ، فقد ظهر لها أنه يستطيع أن يحفظها من الغم ومن التلاشى .
« ولكن هذه الحالة بدأت تنقلب الى عكسها حين ساء للانسانية أن تسترد ثقتها بنفسها وأن تتخذ لها غرضا ساميا للحياة ، وهو إخضاع هذا العالم لسلطانها ، فاصبح عالم الشهادة يتدرج لأن يكون وطننا روحيا للانسان دون غيره .

« وبينما كان نجاح الانسان فى فتوحاته المادية يفسيه حياته الروحية ، ظهرت حركة جديدة ضد الدين ماثلة فى الشكوك التى تتوجه على عقائده .

« كان أمر هذه الشكوك يهون بواسطة دحضها ، ولكن الذى جعل هذه الحملات خطيرة هو ضعف الدين فى ذاته عن تحملها ، واحياء تجاربه الرئيسية احياء تدريجيا ، وتطور الشعور بالحياة الانسانية .

« كانت هذه الشبهات تتوجه الى نقطة منعزلة من الدين أو الى بعض أموره التفصيلية ، ولكنها لم تلبث أن اتجهت للدين نفسه ، فقد اعتبر أسلوبه فى الحياة حرجا لا يمكن القيام عليه ، إذا قورن بأسلوب المدنية ، ورئى أن الآراء التى أتى بها كلها مبنية على مذهب التجسيد والتشبيه ، وأن غرضه من إيجاد صلة بين الله والانسان من المحالات العقلية ، وأن تقسيمه الخليفة الى عالمين متميزين من الضلالات الوهمية ، وأن دعواه بأن غاية الحياة هى الاستعداد لحياة مستقبلية لا بلوغ الكمال فى هذه الحياة ، من الأحلام الخرافية » .

هذه خلاصة الفصل الاول من كتاب الفيلسوف أوكن ، والقارى يتبين منه لا ول وهلة أن الغرض منه هدم حالة تقليدية عامة بين البشر ، وهى الانضواء تحت لواء الدين ، واعتبار كل ما عداه أمورا ثانوية لا يصح الاعتداد بها ، وهى دعوة قام بها أهل العلم منذ نال العلم حرية قبل نحو ثلاثة قرون ، ولا تزال تترد فى أوروبا تحت ألوان شتى لازالة البقية العالقة فى بعض النفوس من هذه الزعة .

ولو كان غرض الأستاذ أوكن غير هذا لوجب عليه أن ينظر فى الاديان البشرية كافة ليرى هل ما ذكره من الأصول الأولية عنها ، ووجوه الضعف التى أحصاها ، تنطبق عليها جميعا أم يسلم بعضها منها ؟

ولا يكفى هذا وحده ، فانه ذكر أن الانسان العصرى قد أخذ الى الارض ، واكتفى بما يحصله من خيراتها ، وما يتسلط عليه من قواها ، وأنه قد نسى فى سبيل ذلك كل ما تطالبه به فطرته من العلم بما وراء هذه الحجب الكشيفة ، ولم يأبه بما ينتظره من الفناء والتلاشى عقب حياة قصيرة . وهذا التأكيد منه يحتاج لتحصيل ، ولو صح لكان نتيجة تطور نفساني ذريع لم يحدث مثله للنفسية البشرية منذ خلق الله العالم الى اليوم . وهو ما يكذبه الواقع المحسوس

فإن في أوروبا وأمريكا اليوم حركة لم يسجل مثلها تاريخ الإنسانية ، ترمى الى كشف الحجاب عن الروح ، لا من ناحية إدراك ماهيتها ، ولكن من ناحية إثبات وجودها ، ومعرفة علاقاتها بعالم أرقى من هذا العالم . والذي يقوم بهذه الحركة رجال من أقطاب العلم في كل بلد متمدن ، حتى ليستطاع أن يقال إن العناية بالبحث عن عالم الغيب لم تصل الى مثل ما بلغت في هذا العصر ، في أى عهد من عهود البشرية . وقد مضى على هذه الحركة العلمية الروحية اليوم نحو تسعين سنة ولم تزد إلا قوة . وقد نشأت احتجاجا على العقيدة المادية التي تطوع لنشرها في العهد الاخير وأمثاله من الماديين الفيلسوف الألماني أوكن .

ليس غرضي من هذا أن أدافع عن المبادئ المعيبة التي احصاها الفيلسوف وجعلها من أسباب ضعف الدين . فانا أعتبرها مثله عيوب لا يمكن أن تخضع لها الإنسانية في أى عهد من عهودها العلمية ، ولكنني أخالفه في أنها عيوب ذاتية في الدين ، وأقول إنها من وضع الذين تولوه ، ونصبوا أنفسهم حراسا عليه ، وإنها مما يتبرأ منه الاسلام ، ولا تقول به طائفة من طوائفه .

فالاسلام لم يقطع علاقاته بالعالم المادى ، بل أمر باحترامها في حدود الحكمة . والدليل العملى على ذلك ما بلغه أهله الاولون من سعة الملك وبسطة العلم ، وذهابهم في الابداع المادى كل مذهب ، مع محافظتهم على سمو روحاني ليس للعنقطين في الصوامع مثله .

وأسلوب الاسلام في الحياة ليس بمرج ، بل هو أوسع مما توجده أعظم مدنية ، فانه أباح لأهله كل ما يمكن ان يبيحه العلم من تحصيل الماديات ، واستثمار الارض ، والابداع في الصناعات ، وزاد عليها وجوب إحكام الصلة بين الانسان وعالم الروح ، وهو ما تقوم عليه الإنسانية اليوم (١) . فانه بعد أن تخمدت النفوس من الجسدانيات ، أنست نفسها في العهد الاخير أشد ما تكون حيننا

(١) يرجع لمعرفة تفصيل مذهب الاسلام في الاتصال بالعالم الخارجى والتسلط عليه وتسخيرها الى ما كتبناه في مقالتنا الافتتاحية في الجزء السابق تحت عنوان (مقومات علاقات الانسان بالعالم الخارجى) ، فقد ذكرنا هناك من الآيات القرآنية والادلة التاريخية ما لا يدع شكا في ان الاسلام هو أول من كشف للانسان عن سر روحه من ناحية استعدادها لتسخير الكون والتسلط على قواه . وهل بعد قوله تعالى : « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه » مرمى يمكن أن يبلغه أو يزيد عليه أى مذهب من المذاهب المادية ؟ فإذا كان الفيلسوف اوكن يعد في الارض اديانا تكره الانسان في العمل المادى وتقطع له الحياة الروحية ، فلا يستطيع ان يعد الاسلام منها ، وقد اوجد لاهله ملكا لا تقرب عنه الشمس ، ومدنية جمعت كل ما في المدينيات التي كانت معروفة من خصائص ومميزات ، حتى شهد مؤرخو الفرنجة انفسهم أنها كانت اجمع مدنية سمح بها الزمان لاهله في عهد لم يكن الناس يفكرون في تجديده شيء رث ، او إيجاد ما ليس موجود من قبل .

إن سوق الكلام على الاسلوب الذى فعله الفيلسوف اوكن ليس مما يمكن إساغته في عصر من اخص صفات علماء التمهيس والتحليل وعدم المجازفة بالتعميم في الاحكام ، وبخاصة إذا كان الكلام يريد ان يضع مبداء جديدا او قاعدة لم يقم عليها الناس من قبل ، كما هو المتبادر من مقدمات الاستاذ اوكن .

الى ضرب من المعرفة يصلها بعالمها الروحاني ، فاكبت عليه بحثا وتنقيبا على أسلوبها العلمي المقرر ، كما أسلفنا ذلك ، مع حفظ كيائها المادى على ما كان عليه .

والاسلام بعيد عن التجسيد والتشبيه بحيث لا يصح أن توجه اليه مثل هذه الشبهة .

أما قول الأستاذ أوكن بأن صلة الانسان بالله قد اتضح أنها من المحالات العقلية ، وأن اعتبار الخليفة عالمين متميزين من الضلالات الوهمية ، فهو من أغرب ما قرأناه من الآراء الفلسفية . فهل يغيب عن مثله أن المراد من هذه الصلة أن تكون روحية لا مادية ، وأن ثمرتها أن توجه الانسان الى الناحية التي تنجيه اليها الارادة الالهية من عمارية الكون ، والهيمنة عليه ، واتباع سيرته في مخلوقاته ، من العدل والنظام والحكمة وسعة العلم والابداع والترقى ؟

وأى ضرر في أن يستعد الانسان في حياته هذه الحياة أرفع منها في عالم وراء هذا العالم ؟ ألا يكون في نزعه هذه أرفع نفسا ، وأكرم حالا ، واضن بنفسه عن مواطن الدنيا ، مما لو اعتقد أن هذه الحياة غايته ، وأنه متى مات انتهى الى ما تنتهى اليه الجمادات من الضياع والتلاشي ؟

اللهم إني لم أجد في كل ماذكره الفيلسوف أوكن ما يشرف الفلسفة ، وإن كنت اعتقد أن من الناس من تطوف برأسه مثل هذه الأوهام ، لذلك لم أر بأسا من إيرادها ودحضا تنويرا للاذهان ؟

محمد فريد وجدي

في الشدائد يعرف الاخوان

قيل : خير الاخوان من أقبل عليك إذا أدير الزمان .

وقيل لبعض الولاة : كم صديقا لك ؟ .

قال : لا أدري ، الدنيا مقبلة على ، والناس كلهم أصدقاى ، وإنما أعرف ذلك إذا أدبرت عنى .
وقال شاعر :

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة ولدى الشدائد تعرف الاخوان

وقال غيره :

فان أولى الموالى من تواليه عند السرور لمن واساك فى الحزن
إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يالفهم فى المنزل الخشن

الاسلام والطب الحديث

« وأرسلنا الرياحَ لَوَاحِشَ فَأَتَرْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْتَفَيْنَا كُومَهُ وَمَا أَتَمَّ لَهُ بِخَازِنِينَ » :
لقاح الأزهار والنباتات على العموم يحصل من شجرة الى شجرة بواسطة
الهواء أو الحشرات ، أو بواسطة الانسان ، وأهها الهواء . والقرآن يتكلم عن فائدة
من فوائد الهواء الذى ينقل نطفة الذكر الى الأنثى ، وذلك قبل أن يتقدم علم تشرح
النباتات ، وقبل أن يعرف شيء عن ذلك بمدة طويلة ، فأصدق القرآن وما أعظم إعجازه :

* *

« إِنَّمَا أَمْرُنَا لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » :

هذه الآية الكريمة تعلمنا طريقة إنجاز إرادة الخالق ، وهى تختلف عن إنجاز إرادة
كل المخلوقات ، فالإنسان يستخدم السنن الطبيعية المادية بازدياد العلوم وتقدمها ، فهو
يعرف مثلاً أن بذرة القطن لا يمكن أن تنتج قحها ، وأنها لا تنتج غير القطن ، وأنها تموت
بدون الماء ، وهكذا تجرى السنن التى لا تتبدل أبداً ، ويستخدم المخلوق أيضاً بعض
سنن غير مادية أمرنا الله بها ، مثل « ادعوني أستجب لكم » ومثل « وليخش الذين
لو تركوا من خلفهم ذرية ضغافاً خافوا عليهم ، فليتقوا الله وأطيعوا أئمة الله وأطيعوا أئمة الله » ومثل
« لئن شكرتم لأزيدنكم » ، فهذه أيضاً سنن ثابتة لا تبدل فيها ، مثلاً مثل الأولى تماماً ،
ولو أن من الصعب علينا تطبيقها ، بخلاف السنن المادية ، والأنباء عليهم السلام يعلمون
كثيراً من النوع الثانى « وإنه لَدُوْ علم لما علمناه » فى قصة يعقوب .

أما الخالق جل وعلا لإرادته ليست مقيدة بسنة أبداً ، ولا نعلم من طرق إنجازها
إلا « كن فيكون » . وهذا هو الفرق الأساسى بين المعجزة التى من صنع الله مباشرة
وبين أفعالنا المقيدة بالسنن الإلهية .

« ثم كلّى من كل الثمرات فانسلكى سُبُلَ ربك ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » :
 ما أُصْدِقَ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ « فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ » عِنْدَ ذِكْرِ عَسَلِ الذَّهْلِ وَتَرْكِيبِهِ
 الْكِيمَاوِي ، وَهُوَ :

٢٥ - ٤٠ ٪ / دِكْستروز (جُلوكوز)

٣٠ - ٤٥ ٪ / لِيْفِيلوز

١٥ - ٢٥ ٪ / ماء

(والجُلوكوز) الموجود فيه نسبة أكثر من أى غذاء آخر هو سلاح الطبيب
 فى أغلب الأمراض ، واستعماله فى ازدياد مستمر بتقدم الطب ، فيعطى بالفم ، وبالحقن
 الشرجية ، وتحت الجلد ، وفى الوريد ، ويعطى بصفته مقويا ومغذيا ، وضد التسمم الناشئ
 من مواد خارجية مثل الزرنيخ والزرنيق والذهب والكلورفورم والمورفين الخ ، وضد
 التسمم الناشئ من أمراض أعضاء فى الجسم مثل التسمم البولى ، والناشئ من أمراض
 الكبد والاضطرابات المعدية المعوية ، وضد التسمم فى الحُميات مثل التيفويد والالتهاب
 الرئوى والسحائى المخى والحصبه ، وفى حالات ضعف القلب وحالات الذبحة الصدرية ،
 وبطريقة خاصة فى الارتشاحات العمومية الناشئة من التهابات السكلى الحادة ، وفى احتقان
 المخ ، وفى الأورام الخبيثة الخ .

وقد يقال : وما أهمية هذه الآية مع أن كل أنواع الغذاء لها فوائد ، وقد ذكر العسل
 لأنه غذاء لذيق الطعم ، وبطريق المصادفة ؟ فالحقيقة هى أن أنواع الغذاء الأخرى
 لا تستعمل كعلاج إلا فيما ندر من الأمراض الناشئة عن نقصها فى الغذاء فقط ،
 وهذه الفواكه التى تشبه العسل فى الطعم ، فإن السكر الذى فيها هو سكر القصب أو أنواع
 أخرى ، ولكن ليس فيها إلا نسبة ضئيلة من « الجُلوكوز » الذى هو أهم عناصر العسل .

وإذا علمنا أن (الجلوكوز) يستعمل مع (الانسولين) حتى في حالة التسمم الناتج عن مرض البول السكري ، علمنا مقدار فوائده ، وأن القرآن الكريم لم يذكره بطريق المصادفة ، ولكنه تنزيل ممن خلق الانسان والنحل ، وعلم كلا منهما علاقته بالآخر .

دكتور عبد العزيز اسماعيل

التحجب إلى الناس

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد بن أبي وقاص : إن الله إذا أحب عبدا حبه الى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للناس عندك .

وقال أبو دهمان لسعيد بن مسلم وقد وقف ببابه يطلب الاذن في الدخول فحجبه حينئذ أذن له ، فلما مثل بين يديه قال : إن هذا الامر الذى صار اليك ، وفى يدك ، قد كان فى يدى غيرك فامسى والله حديثا إن خيرا خيرا ، وإن شرا فشر ، فتحجب الى عباد الله بحسن البشر ، وتسهيل الحجاب ، ولين الجانب ، فإن حب عباد الله موصول بحب الله ، وبغضهم موصول ببغض الله ، لأنهم شهداء الله على خلقه ، ورقبائه على من اعوج عن سبيله .

وقيل لمعاوية : من أحب الناس اليك ؟ قال : من كانت له عندى يد صالحة . قيل له : ثم من قال : من كانت لى عنده يد صالحة .

وقال محمد بن يزيد النحوى : أتيت الخليل فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة ، فوسع لى ، وكرهت أن أضيق عليه ، فانقبضت ، فأخذ بعضدى وقربنى الى نفسه ، وقال : إنه لا يضيق سم الخياط بمنحايين ، ولا تسمع الدنيا متباغضين .

وقال ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد :

صل من هويت وإن أبدى معاتبة فاطيب العيش وصل بين إلفين
واقطع حبال خدن لا تلاعه فرمما ضاقت الدنيا باثنين
وقال حكيم : لا يكن حبك كفا ، ولا بغضك سرفا .

الاسلام والفلسفة

- ٧ -

ابن سينا

نسيه :

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا . وكان أبوه ، فيما يحدثنا هو ، رجلا من أهل بلخ ، وقد انتقل منها الى بخارى في أيام نوح بن منصور ، واشتغل فيها بالتصرف في أمور الدولة ، وتولى العمل أثناء أيامه بقرية يقال لها « خرمين » وهي من أمهات قرى بخارى ، وبقربها قرية يقال لها « أفشنة » تزوج منها أبوه بوالدته ، وولد بها في سنة ٩٨٠ ميلادية .

حياته العلمية :

أتم ابن سينا حفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة ، وأخذ يتثقف بمنظوم الادب ومنثوره بعد أن درس قواعد اللغة وأسرار اشتقاقاتها دراسة قوية متينة ، ثم أنشأ يدرس المنطق والفلسفة والطب والرياضة والطبيعة والموسيقى وكل ما كان يعرفه أهل عصره من علوم وفنون . وقد حدثنا هو عن نفسه — ولا أحسبه إلا صادقا — أنه وهو في طليعة شبابه فاق أستاذه في المنطق ، واكتشف من أسرار هذا العلم وعلم من خفايا قواعده وقضاياه ما لم يتنبه اليه ذلك الأستاذ على طول عهده بعلم المنطق وعلوكبه فيه ، غير أن « ما وراء الطبيعة » لأرسطو ظل أمامه مظلمة غامضا حتى كاد يئسه من الفلسفة لولا كتاب من كتب الفارابي كذب به الله اليه على يد « دلال » بسيط ، فاشتره بثلاثة دراهم بعد إباء ، فلما استوعبه أدرك منه أسرار « ما وراء الطبيعة » ووقف به على معضلات الفلسفة ، فعاد اليه حبه إياها وشغفه بها بعد أن كان قد انصرف عنها بسبب ما قاساه في غير كتب الفارابي من الظلمة والتعقيد . وإذا ، فالفارابي يعتبر أستاذ ابن سينا من هذه الناحية ، لأنه هو الذي أنار له سبيل الحكمة التي كانت أمام عينيه قائمة الى درجة إيقاعه في الياس والقنوط .

وفي هذه الاثناء مرض أمير بخارى وطالجه ابن سينا وشفى على يديه ، فكان مما كافاه به أن فتح له باب مكتبته الفخمة على مصراعيه ، فاخذ هذا الشاب الذكي النشيط الصبور المتعطش الى العلم يلتهم كل قيم ونفيس في هذه المكتبة مما لم يطلع عليه أحد في عصره ، حتى حوى رأسه أقصى ما يمكن أن يحويه رأس إنسان ممتاز . وهاك ما يرويه في وصفه البستاني في دائرة معارفه :

« كان من أشهر الحكماء والأطباء العرب ، فهو «أبقراط» الطب ، و «أرسطو» الحكمة عند العرب والافرنج ، وقد جمع في فسيح صدره كتابات أرسطو ، ووعى في خزانة معارفه حكمه وقواعده . وقد نقل الافرنج عنه أكثر ما عندهم من كتابات « جالينوس » وأبقراط ، ونشروا أشهر تأليفه في اللغة العربية ، وترجموا أكثرها الى لغاتهم . وكان هو المعول عليه شرقا وغربا في قواعد الحكمة والطب . وقد اعترف له الجميع بالحكمة والفضل ، فافتخر به الشرق ، وأخذ عنه ، ومدحه الغرب وانتفع بتصانيفه . »

مؤلفاته :

وفي السنة العشرين من عمره بدأ ابن سينا يكتب ويؤلف في المنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة ، والرياضة ، ونخص بالذكر من هذه المؤلفات كتابه « الشفاء » الذي لم يكد يظهر حتى ترجم الى اللغة اللاتينية ، وكان له عند قرائه فيها شأن عظيم ، وكذلك كتاب « النجاة » الذي هو مختصر كتاب « الشفاء » و كتابه الجليل « الاشارات » وغير ذلك من المؤلفات النافعة المفيدة . وأخص ما يمتاز به كتب ابن سينا الفلسفية أنها تكاد تكون مقصورة على تفصيل « ما وراء الطبيعة » وبسطة الاسهاب في شرح نظرية المعرفة .

فلسفته :

لم يزد ابن سينا في مذهبه « الماوراء الطبيعي » على ما قرره الفارابي شيئا يستحق الذكر ، لأنه — كما أسلفنا — كان أستاذه وملهمه ، فقد صدر في فلسفته مثله عن إله واحد عظيم قادر نشأ عنه كل شيء بطريق العلية والمعلولية ، وإن كانت عبارة الخلق والايجاد كثيرا ما ترد في كتبهما . وقد أسلفنا في فلسفة الفارابي مناقشة الامام الغزالي لهذا التعبير ، أي الخلق والايجاد ، تلك المناقشة التي أوضحت أنه تعبير موه زائف ، وأبنا رأينا في هذه النقطة . وعلى أي الأحوال فقد رتب ابن سينا نشوء العقول والأفلاك عن الموجود الأول على النحو الذي قدمناه عند الفارابي . وقد علل نظرية العقول والأفلاك وصدورها عن المبدع الاول بتلك القاعدة اليونانية القديمة القائلة بأن الواحد من كل جهة لا يمكن أن يصدر عنه إلا واحد ، وإلا لتعددت جهات ذلك الواحد بتعدد الاعتبارات التي عن كل منها صدر واحد من تلك السكتة . ولهذا فقد صدر عن الله الواحد من جميع الوجوه العقل الاول ، وهو وإن كان واحدا إلا أن وحدانيته ليست من كل وجه ، ولهذا فلا مانع من أن يصدر عنه أكثر من واحد ، وقد حدث ذلك بالفعل ، فصدر عن كل عقل عقل وفلك الى أن اتهمنا الى العقل العاشر ، وهو الذي صدرت عنه الموجودات الدنيا . وليس في هذا الترتيب ما يناقض تلك القاعدة اليونانية التي أوضح ابن سينا مرماها وجلاغموضها في « إشارات » حيث قال في بيانها مانصه :

« تنبيه : مفهوم أن علة ما بحيث يجب عنها (أ) غير مفهوم أن علة ما بحيث يجب عنها (ب) وإذا كان الواحد يجب عنه شيان فن حثيتين مختلفتي المفهوم ، مختلفتي الحقيقة ، فاما أن تكونا من مقوماته أو من لوازمه ، فإن فرضنا من لوازمه عاد الطلب جذبا فينتهى الى حثيتين من مقومات العلة مختلفتين ، إما للماهية ، وإما لأنه موجود ، وإما بالتفريق ، فكل ما يلزم عنه اثنان معا ليس أحدهما بتوسط الآخر فهو منقسم الحقيقة » (١)

أما الموجود عند ابن سينا ، فهو يختلف عن الموجود عند الفارابي : بأن قسمه الى ثلاثة أقسام (١) واجب الوجود لذاته وهو الباري . (٢) ممكن الوجود بذاته ، ولكنه واجب الوجود لغيره ، وهو العقول العشرة . (٣) ممكن الوجود بذاته كجميع العوالم الأرضية . وهاك ما وضح به هذه النظرية المبتدعة في إشاراته :

« تنبيه : كل موجود إذا التفت اليه من حيث ذاته من غير التفات الى غيره ، فاما أن يكون بحيث يجب له الوجود في نفسه أو لا يكون ، فإن وجب فهو الحق بذاته الواجب وجوده من ذاته وهو القيوم ، وإن لم يجب لم يجز أن يقال : إنه ممتنع بذاته بعد ما فرض موجودا ، بل إن قرن باعتبار ذاته شرط مثل شرط عدم صار ممتنعا ، أو مثل شرط وجود علة صار واجبا ، وإما أن يقرن بها شرط لا حصول علة ولا عدمها بقى له في ذاته الأمر الثالث وهو الامكان ، فيكون باعتبار ذاته الشيء الذي لا يجب ولا يمتنع ، فكل موجود إما واجب الوجود بذاته ، وإما ممكن الوجود بحسب ذاته » (٢)

وقد خطأ ابن رشد الرئيس ابن سينا في هذه النظرية ، واعترض عليه بأن واجب الوجود بغيره لا يمكن أن يكون ممكن الوجود إلا إذا انعدمت علته ، والعلة الأولى عند ابن سينا لا تنعدم . وإذا ، فليس هناك قسم يسمى ممكن الوجود لذاته ، وواجب الوجود بغيره في نفس الوقت .

ويرى ابن سينا أن المتكلمين الذين يرون أن الوجود صفة زائدة على الذات مخطئون ، وأن الحق هو فيما ذهب اليه الفلاسفة من إثبات وحدانية الذات والوجود ، أو من اعتبار الوجود عين الذات ، وصرح بأن مذهب المتكلمين يؤدي الى تطرق النقص اليه ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، واليك رأيه في هذه النظرية :

« إشارة : لولتأتم ذات واجب الوجود من شيئين أو أشياء تنجمع ، لوجب بها ، ولكان الواحد منها أو كل واحد منها قبل الواجب الوجود ومقوما لواجب الوجود ، فواجب الوجود لا ينقسم في المعنى ولا في الحكم . »

(١) راجع المسألة التاسعة من النقط الخامس من كتاب الاشارات . (٢) راجع المسألة الثالثة من النقط الرابع من الكتاب المذكور .

« إشارة : كل ما لا يدخل الوجود في مفهوم ذاته على ما اعتبرنا قبل ، فالوجود غير مقوم له لماهيته ، ولا يجوز أن يكون لازما لذاته على ما بان ، فبقى أن يكون عن غيره » (١)

وعند ابن سينا : المتفرد بالوحدة هو واجب الوجود لذاته وحده ، أما القسمان الآخران أى الواجب لغيره والممكن ، فلا تطلق الوحدة على الواحد منهما إلا مجازا ، لأنها طارئة عليهما . وقد خطاه ابن رشد في هذه النقطة أيضا ، ورماه بأنه خلط بين الوحدة المطلقة التى هى روح الوجود والتي لا يتصف بها الا البارى ، وبين الوحدة العددية الحادثة التى يكون المتصف بها مع غيره عددا . وقرر ابن رشد أن الشيخ الرئيس لوتنبه الى ذلك الفرق الهائل الموجود بين الوجودتين : المطلقة والعددية ، لما كبا هذه الكبوة .

هذا ، وسنتم لك الحديث عن بقية نواحي فلسفة هذا الحكيم في الفصول المقبلة ، مناقشين من نظرياتها ما يستدعى المناقشة ، فالى الملتقى .

الكتور محمد غلوب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

رب أخ لك لم تلده أمك

هذه حكمة قالها حكيم ، وصدقها تجارب الحياة ، فرب أخ لك لا بيك وأمك ، لم يعد لك يدا في نازلة ، ولم يسعفك في كارثة ، ورب صديق لم تجمعك به وشيجة من نسب ولا صهر ، حافظك في شدتك بمعونته ، وعمل على تفريج كربتك بكل ما وصلت اليه يده . فكان كما قال حكيم : رب بعيد أقرب من قريب .

وسئل بعض فلاسفة اليونانيين : أتحب أخاك أم صديقك ؟

قال : أحب أخى إن كان صديقى .

وقال شاعر :

أخو ثقة يسر ببعض شأني وإن لم تدنه منى قرابه
أحب الى من ألقى قريب تبیت صدورهم لى مسترابه

عوامل فقدان أدب الحضارة العربية^(١)

العامل الثاني — الطبيعة العربية:

تحدثنا في المقال السابق عن العامل الأول من العوامل التي كان لها في رأينا أعظم الأثر في فقدان أدب الحضارة العربية ، وهو اتجاه الحضارة ، وذكرنا فرقا عمليا بين الحضارة المادية الجافة المحدودة ، والحضارة الفكرية الروحية التي لا تقف في رقبها عند حد أو نهاية . والآن نريد أن نتحدث عن عوامل أخرى تنضاف الى ذلك العامل ، ولكل منها أثره ، فإذا اجتمعت كان لها ذلك الأثر القوي الفعال في إذهاب أدب الحضارة العربية بين طيات الإهمال والضياع ، وسنعمل الكلام إجمالا ننهي به هذا البحث لننتقل الى غيره .

أول ما ينبذه الباحث في حياة العرب على عهد بداوتهم في الرحلة التي أدركهم عليها الاسلام ، طبيعة التفرد التي — وإن تعددت مظاهرها — ترجع الى حقيقة واحدة ، فهي تبدأ بالفرد الذي يرى لنفسه تمام الحرية في حياته الشخصية الى جانب غيره من الأشخاص ، وهذا بطبيعة الدفاع عن النفس وحب البقاء ، يدعو الى أن يعقصر في بعض الأحوال بأسرته ، ويندغم فيها حماية لتفرد ، وخشية أن يغلب على أمره ، أو تمس حريته .

وإذا لحنا في الأسرة البدوية شيئا من التماسك بالنسبة الى الفرد ، فهذا التماسك نفسه يكون تفردا في مقابلة تماسك أسرة أخرى أعظم منها ، ولا تزال هذه الظاهرة تصعب أطوار التكوين في الجماعات البدوية مبتدئة بالفرد ، وتنتهي بالقبيلة والشعب ، تصويرا لأقصى حدود التفرد في الجماعة .

سيطرت هذه الطبيعة على حياة عرب البداوة ، فلم تترك سبيلا لظهور القومية

العامة تبدو فيه الأمة كلها ذات شخصية واحدة متحدة ، وكانت مظاهر هذا التفرد قوية غامرة تتردد في صدى المفاخرة الموضعية . فالضربة ، والقرشية ، والهاشمية ، والنيمية ، والبكرية ، والتغلبية ، والقيسية ، والرابعة ، هي الصيحات التي كانت تتجاوب في أرجاء البداوة العربية فتثير النخوة ، وتحرك الإباء عند البدوى ، ويعز أن يسمع صوت في تلك البداوة يهتف بالعروبة ويعتز بها كقومية عامة ، حتى في حوادثهم وأيامهم مع الأمم الأخرى ، لا تجد نخرا للشعراء والخطباء إلا بقبائلهم ، فهذا العديل ابن الفرج العجلي يقول :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة إلا اصطلينا وكنا موقدى النارى
وما يعمدون من يوم سمعت به للناس أفضل من يوم بذى قار
جئنا بأسلابهم والخييل عابسة لما استلبنا لكسرى كل أسوار

فهو يفخر بقومه ، وما كان لهم في يوم ذى قار من مواقف محمود ، وهذا اليوم كان يوما من أيام العرب التي وقفت فيها العرب كأمة لها وحدة تقابل وحدة العجم . وقد أقام الاسلام بناء الدولة الاسلامية الشاوخ على دعامة العزة العربية ، فرى الأمم بالعرب كلها بعد أن حزمها بالوحدة القومية ، وأشعرها بوجودها كاملا الى جانب سواها من الأمم الأخرى .

وإذا كانت طبيعة التفرد خصيصة أهل البداوة من العرب ، فوجود شئ من الحضارة عند فريق منهم يزيد فصل ما بينهم ، ويقوى التفرد الجماعى في كل فريق بالنسبة الى الآخر . على أن اختلاط المتحضرين من العرب بالأمم المصاحبة لهم كالفرس والرومان يجعل نظرة عرب البداوة إليهم شذراء ملتوية ، لأن البدوى بطبيعته التفردية يزدري تلك الأمم الأجنبية . ويرى أنه أعز منها نفسا ، وأحى أنفا ، وأكرم عنصرا . قال الدكتور « دوزى » المستشرق الهولندى : « و صلف البدوى يؤكد له أنه يتجسم فيه أكل وأنتم نموذج للمخلوقات السكائنة ، فهو يحقر غيره من الأمم لجرد أنها ليست

مثله ، وهو يعتقد اعتقادا راسخا لا كفاء له بأنه أسعد حالا من الرجل المتحضر .
ولهذا الإحساس أثره بالنسبة لإخوانه المتحضرين ، لانصالحهم بتلك الأمم اتصال تبعية
وخضوع .

ومن خواص الأدب أنه ينمو ويخصب في ظل الانتقام والوحدة الاجتماعية في أي
شكل من أشكالها ، لأنها تزيد طبيعة التفرد قوة ، فإن الأدب هو الصلة الفكرية
الظاهرة بين الجماعات المتجانسة ، فإذا لم يكن بينها من القرب النفسى ، والاتحاد العاطفى ،
والائتلاف القوى ما يكفل لهذه الصلة الحياة الطليقة بعيدة عن الزمالة والتقبض
في مدار واحد ، أخذت سبيلها الى السقم والاضمحلال ، ثم التناسى والزوال .

وآداب الحضارة العربية التي تتحدث عنها لم تجد الى قلب البادية طريقا بالرغم
من أن أدب البداوة وجد الى حواضر الممالك العربية ومعاهد حضارتها طرقا على السنة
رواد القصور من فطاحل شعراء البادية ، وخطبائها ، وكان أولوا أن لا تجد الى الممالك
الأجنبية المجاورة كالفرس والرومان سببا ، لعدم المجانسة الطبيعية والبيئية مجانسة
قوية ، ولأن نظام الحياة يقضى بتقليد التابع للقبوع وأنفة المتبوع عن أن يأخذ
من التابع حكمة ، أو يروى له أدبا كما هو مشاهد محسوس ، وللفرق في روح الأدب
القيمة في ذاتها ، ومن ثم بقيت تلك الآداب في حواضر العرب منحصرة في ههنا التي
نشأت فيها ، ولم يتح لها الذبوع في جو غير جوها الضيق الذى ظلت محبوسة فيه ، وقد
توالت على هذه الدويلات العربية في أخريات عهودها حوادث مدلهمة زعزعت أركانها ،
فليس ببعيد أن يكون ذلك من أسباب ضياع تلك الآداب وذهابها بذهاب مناسبتها .

العامل الثالث — الانقلاب الإسلامى :

سطعت شمس الاسلام فى بطحاء الحجاز من الجزيرة العربية ، وعربُ البداوة
يومئذ يحيون حياة أدبية حافلة ، ولا سيما الشعر ، فإنه — كما يقول ابن خلدون —
فن من الكلام كان شريفا عند العرب ، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم ، وشاهد

صوابهم وخطئهم ، وأصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم ، وكانت ملكته مستعكمة فيهم ، وكان له أرفع مكانة في نفوسهم ، يهزها الى السكارم هذا ، ويثير فيها الحمية حتى ليجبب الى الجبان احتضان الناياباسم . قال ابن رشيق في كتاب العمدة : « كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الأطمعة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس ، وتباشر الرجال والولدان ، لأنه حماية لأعراضهم ، وذبح عن أحسابهم ، وتخليد لما ترم ، وإشادة بذكركم » .

كان الى جانب هذه الحياة الأدبية الزاخرة تيار من الفوضى الاجتماعية والدينية وجه الاسلام عنايته لا جتثاأ أصولها ، ووضع نظام اجتماعي راسخ يقوم عليه بناء الدولة العربية التي نيط بها تبليغ دعوة الحق الى الأحمر والأسود ، وكان من أساس ذلك النظام إصلاح شامل بتوجيه الأدب العربي وجهة الخير والحق والإصلاح الخلقى ، والقضاء على تلك الفوضى الاجتماعية الدينية ، وما يمت إليها من الأدب بسبب ، وكان طبعيا أن يستقر هذا الإصلاح شيئا ما في العرب الذين ظهر النبي صلى الله عليه وسلم من بينهم ، ومع عرب الحجاز وحاملو لواء البداوة يومئذ قبل غيرهم من عرب الأطراف المتحضرين ، الذين كانت حالهم على العكس من عرب البداوة حيث كانت الحياة الاجتماعية ظاهرة منظمة الأوضاع ، والحياة الأدبية راكدة ضعيفة للأسباب التي سلفت عند الحديث عن طبيعة الحضارة .

بيد أن ذلك النظام الاجتماعي كان أشد ضررا على الانسانية ، وأفتك بكيان الأمة من فوضى البداوة ، لأن تلك الفوضى أساسها الحرية الجالحة ، وكبح هذا الجوح يسير سهل إذا وجد حزما صادقا وسياسة حكيمة كالذي توافر في تشريع الاسلام ، أما ذلك النظام فإنه يقوم على دعائم الاستبداد الفردي الممثل في نوع الحكم إذ ذاك ، وهو أخطر ما يكون على النفوس الانسانية ، لأنه يفسد الفطرة ، ويقتل الكرامة ، وينشئ

الأمة على الذلة والخنوع ، ومن هنا يمكن تحليل ما لقيه الاسلام في طريقه من محن قاسية ، وشر مستطير من الأمم المتحضرة الأجنبية مما لم يلق القليل منه من عرب البداوة على شدة عنادهم ، وقد كان للفرس والرومان تأثير كبير في توجيه سياسة دويلات العرب الثلاث في اليمن والشام والعراق .

والأدب في مثل تلك البيئات إنما يردد صدى الحياة الاجتماعية بمساوئها وأوزارها ، والاسلام من أول مبادئه وأهمها إنقاذ الفطرة الانسانية من بلايا الاستعباد الفكري ، وبعث الشعور في الأفراد والجماعات بحقوقهم في الحياة الطليقة في حدود الحق والخير ، فكان قويا عنيفا في محاربة هذا اللون من الاستبداد والظلم ، ونشر مبادئ الحرية الفاضلة .

اشتد الصراع بين تعاليم الاسلام الحكيمة العادلة ، وما كان هناك من نظم وأخلاق وعادات موروثية تنجس في أكثرها الى العبث والفساد في الحياة ، حتى قضى عليها ، وأبدلهم بها إصلاحا شاملا في اللغة والدين والآداب ونظام الحكم والمعارف والأخلاق والعادات . قال أحمد بن فارس : « كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائلكهم وقرايينهم ، فلما جاء الله جل ثناؤه بالاسلام حالت أحوال ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع الى مواضع أخرى ، بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فعفى الآخر الأول ، وشغل القوم بعد المغاورات والتجارات وتطلب الأرباح والكدح للعاش في رحلة الشتاء والصيف ، وبعد الإغرام بالصيد والمعافرة والمياسرة ، بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وبالتفقه في دين الله عز وجل ، وحفظ سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع اجتهدهم في مجاهدة أعداء الاسلام ، فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشؤوا عليه كأن لم يكن » .

قد يقال إن عامل الطبيعة العربية وما فيها من حرص على الذات والتفرد ، وعامل

الانقلاب الاسلامي موجودان بإزاء أدب البداوة، فلم يكن لهما هذا الأثر الذي كان لهما على أدب الحضارة؟ فنقول: نعم، وقد كان لهما من الأثر شيء كثير مما يدخل في حيزهما من أدب البداوة، قال صاحب العمدة: « ماتكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشرة، ولا ضاع من الموزون عشرة » غير أن عاملا قويا من عوامل الحياة تولد من الانقلاب الاسلامي فساعد على حفظ هذا التقدر الذي وصلنا من أدب العرب.

ذلك أن العرب ظلوا في البادية محتفظين أشد الاحتفاظ بلغتهم، عاملين على حمايتها من الدخيل واللحن، بتجافهم عن الاختلاط بمن جاورهم من الأمم الأعجمية، فلما استقرت معالم الاسلام في نفوس العرب، وابتدأت الفتوحات الاسلامية، وأقبلت حمائر الأعاجم على الجزيرة العربية، وجاس العرب خلال ديارهم، شعر العلماء بالحاجة الى الاستشهاد بكلام العرب الخالص على معاني القرآن الكريم والحديث النبوي لتبينها للناس، لجؤا الى أدب البداوة لثقتهم به ثقة تامة، وتشككهم في آداب الأطراف العربية لكثرة الدخيل فيها، وتطرق المعجمة اليها، بوساطة الاختلاط بالأمم غير العربية، وأبوا شعر كثير من الشعراء الذين تأثروا بهذا الاختلاط. قال ابن قتيبة في عدي بن زيد الشاعر: « وكان عدي يسكن الحيرة ويدخل الأرياف، فتقل لسانه واحتمل عنه شيء كثير جدا، وعلمناؤنا لا يرون شعره حجة ». وكذلك تحامى بعض العلماء عن كثرة الاستشهاد بشعر الأعشى، لأنه كان يفد على ملوك فارس، وتكلم في شعره بكلمات فارسية.

وإنما كان اعتماد العلماء على الشعر في هذه السبيل أكثر من النثر، لأن الشعر له من أوزانه الخاصة وطبيعته ما يجعل التلاعب فيه بما لا يتفق مع أوضاع اللغة وقواعدها عسيرا، ولأن عناية العرب أنفسهم كانت بالشعر أشد، وذبوعه في أرجاء الجزيرة أكثر، لما فيه « من التغنى بمكارم أخلاقها، وطيب أعرافها، وذكر أيامها

الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمحائها الأجواد، تهز نفسها الى الكرم، وتدل أبنائها على محاسن الشيم .

أما النشر فمع ما يعتوره من إمكان التحلل عن أصوله التي صدر بها في الخطب والمحاورات والوصايا وما إليها، فالذي قضى عليه بضيايع الكثير منه، على ما يظهر لي، سببان : الأول : ما فيه من معان ضيقة لا قيمة لها تدور حول مفاخرات جاهلية أمتها الاسلام وقضى على روحها، والثاني : أسلوب القرآن الكريم، لأنه من واديه في ألفاظه وعدم تقيده بأوزان خاصة كالشعر، ولكن الفرق بينهما فرق ما بين الحياة والموت، فما كادت آيات القرآن تتلى في أندية العرب حتى ازوروا عن ذلك اللون من الكلام المنشور الذي تراءى لهم يومئذ الى جانب القرآن أجوف، لا يحمل من معاني الحياة السامية التي فتح القرآن إليها أعينهم ما يكفل له الخلود والبقاء، كما بقي الشعر وبعض الحكم والأمثال، وهذا أمر معهود، نشاهده فيما نقرأ من بحوث ورسائل أدبية وعلمية، فإن حلاوة بعض الكلام وبلاغته تعني على كل أثر لغيره من الكلام الذي دونه بلاغةً وحلاوةً وجمالاً

صادق إبراهيم عربهود

صديق ينجي صديقاً

يا من فدت نفسه نفسى ومن جعلت	له وقاء لما يخشى وأخشاه
أبلغ أخاك وإن شط المزار به	أنى وإن كنت لا ألقاه ألقاه
وأن طرفى موصول برؤيته	وإن تباعد عن مثرأى مثواه
الله يعلم أنى لست أذكره	وكيف يذكره من ليس ينساه
عدوا فهل حسن لم يحوه حسن	وهل فتى عدلت جدواه جدواه
فالدهر يفتنى ولا تفتنى مكارمه	والقطر يحصى ولا تحصى عطائاه

محمد صلى الله عليه وسلم

كما يقدره قادة الافكار في أوروبا

تابع بحث مدام انى بيزنت رئيسة جمعيات التيو صوفية

لنرجع الى ذكر النبي الذي تركناه وليس له من الاتباع إلا امرأته ، وقد آمن به بعدها أقاربه الأذنون . وهذه حادثة ذات مغزى كبير بالنسبة لمؤسس دين . فإنه من السهل أن تحصل أتباعا من جمهور لا يعرفونك ولم يروك إلا على منبر الخطابة ، ولم يسمعوك إلا في محاضرة متقنة ، أو في أجوبة على مسائل موضوعية ، ولكن أن يصير الانسان نبيا في نظر امرأته ، وبنته ، وصهره ، وأقاربه الأذنين ، فهذه هي النبوة حقا . وهو انتصار لمحمد لم يحصل على مثله عيسى نفسه . هؤلاء هم أتباعه الأولون . ولكن معه أبا طالب الذي كان حاميا له طوال حياته لم يرد أن يعد نبيا رجلا كان بالأمس غلاما صغيرا يتعلق بركبته ، واكتفى بأن قال له حين دعاه للإيمان : « يا بن أخى إني لا أستطيع أن أرتد عن دين آبائى ، ولكن والله لن يصل اليك أحد منهم مادمت حيا » . ثم التفت الى ولده على ، وهو الحبر المحترم ، وقال له : ما دينك ؟ فأجابه على قائلا : « يا أبتي إني أؤمن بالله ورسوله ، وسأطيع هذا » . فقال له أبوه : « لا بأس من ذلك يا بنى ، فإنه لن يدعوك لعمل غير صالح ، فأنت حر فى التعلق به » . مكث محمد يعمل ثلاث سنين فى هدوء ، فلم يزد أتباعه بعد انقضائها على الثلاثين ، فاضطر أن يعلن الدعوة لأول مرة ، فتسكلم عن وحدة الله ، ونهى على عادة القربان البشرى ، وعلى الانهماك على الشهوات ، وتماطى المسكرات ، وعلى إفساد الحياة . فاجتمع اليه عدد آخر من الأشياع مأخوذون فى تيار الكلمات التى تنبعث من بين شفثيه . ولكن بقدر ما أصبح كثير الأنصار أخذ الاضطهاد يشتد عليه ، وشرعوا فى تعذيب أصحابه بقسوة يكاد يكون من المحال أن يتحملها الجسم البشرى ، فكانوا يزقون أجسامهم ويطعنونهم

بالرماح ، ويلقون بهم على الرمضاء المحرقة ، وجوهم معرضة الى الشمس ، وعلى صدورهم قطع من صخور ثقيلة ، ثم يأمرونهم وهم على تلك الحالة أن يكفروا بالله ورسوله ، فيأبون ، ويموتون وهم يقولون : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

أعبروني أسماءكم : كان يوجد بين هؤلاء المضطهدين رجل قطعوا لحمه قطعة قطعة ، فسأله الذين يتولون تعذيبه وهم يضحكون قائلين : « ألا تحب أن يكون محمد مكانك وأن تكون أنت في دارك آمنًا ؟ »

فأجابهم قائلا : « الله شهيد على ما أقول : أنا لا أحب أن أكون في بيتي قريبا من امرأتى وأولادى وأموالى إذا كان ذلك لا يتأتى إلا بأن يشاك محمد بشوكة ! » . هذا مثال من الحب الذى كان يبثه محمد فى قلوب الذين يموتون من أجله .

فلما أعت أتباعه الحيل ، قرروا الهجرة الى بلد يحتمون فيه من هذه الاضطهادات ، فتأمل فيما يقوله الذين أتقدم هذا النبي من الشر ، فى صفته ، وفيما سببه لهم من الخير ، لأن شهادة التلميذ هى أصدق شهادة فى معلمه . ومن هنا تدرك كيف استطاع هذا الرجل أن يستولى على قلوب أشياعه . قال أحدهم لملك الحبشة وهو يتكلم باعتباره على رأس وفد حضر ليبعث فى تلك المملكة عن ملجأ يحى المهاجرين اليها من اضطهاد المشركين ، قال : « أيها الملك : لقد كنا غرقى فى أبعاد غوار الجهالة والوحشية ، نعبد الأوثان ، ونعيش فى الأرجاس ، ونأكل الميتة ، ونخوض فى الرفث ، ونحرق كل عاطفة إنسانية ، ولا نقوم بحقوق الضيافة والجوار ، ولا نعرف قانونا غير ما تقتضيه القوة ، حتى أرسل الله إلينا رجلا نعرف تاريخه وإخلاصه وشرفه وطهره ، فدعانا الى توحيد الله ، ونهانا أن نشرك به شيئا ، وصرفنا عن عبادة الأوثان ، وأمرنا أن نقول الحق ، وأن نبر فى أيماننا ، وأن نكون رحما مراعين لحقوق جيراننا ، وحرمانا أن نقذف النساء ، وأن نأكل أموال اليتامى ، وأمرنا أن نتجنب الفواحش ، وأن نمتنع عن الشرور والآثام ، وأن نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ، فصصدقناه واتبعنا وصاياه »

هذه هي شهادة أتباع محمد للدين الذي أنعم به ، وهذه أقوال الذين باعوا حياتهم في مرضاته .

أى صنف من صنوف الرجال كان محمد حين يجلس فيحتف به نلاميذه ؟ كان يكلم رجلا من السراة يوما رجاء أن يدخله في دينه (لأن في كسب هوى الأغنياء والكبراء تأمينا لحياة الذين اتبعوه) ، فر به رجل مكفوف البصر وقال له : « يا محمد : دلني على طريق النجاة » ، فلم يأبه به محمد ، واستمر يتحدث الى ذلك السرى ، ولم يعرف ذلك الكفيف أن النبي مشغول بالحديث الى غيره ، صاح به ثانية : « يا رسول الله : دلني على طريق النجاة » . فقطب النبي بين حاجبيه وأشاح عنه . فلما كان اليوم التالي أوحى اليه بما أصبح مدونا الى الأبد في القرآن ليتذكر به من يتذكر ، وهو : « عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى ، أَوْ يَذْكُرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى . أَمَا مِنْ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ، وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى ؟ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ، كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ » . فكان النبي كلما لقي ذلك الرجل بعد ذلك يعامله باحترام عظيم ، قائلا : مرحبا بالذى لا منى الله من أجله . وجعله واليا على المدينة مرتين .

هكذا كان محمد نبي البلاد العربية ، هذا الرجل العظيم الذى كان يلوم نفسه كما يلوم أتباعه . هذا هو محمد رسول الله .

ولكن الاضطهادات كانت تزداد وتشتد يوما فيوما ، حتى أن أتباع محمد هاجروا مكة متفرقين في كل وجه ، الى أن لم يبق معه إلا رجل واحد لم يرد أن يهاجر ، وعمه أبو طالب الذى لم يرد أن ينضم الى شيعته ، ولقى أبو طالب النبي وقال له : « يا ابن أخى دعك مما أنت فيه ، وارك هذا الأمر الذى لا يرجى له نجيح » .

فأجابه النبي قائلا : « لا ياعم ، فاذا استطاع أعدائى أن يضعوا الشمس في بدى اليمنى ، والقمر في بدى اليسرى ليحملوني على التخلي عن هذا الأمر ، فلا أتخلى عنه قبل أن يقضى الله فيه بأمر أو أن أموت دونه » . عند ذلك تأثر قلبه البشرى من رؤية عمه

وحاميه ومحبه يتحول عنه ، فألقى بردائه على وجهه ليخفي آلامه ، وانصرف . فناداه عمه صائحاً به « قف قف ، قل يا محمد كل ماتريد أن تقول للناس ، فوالله لن أتركك أبداً ! » . ولكن اتفق أن مات عمه ، وكان تلك السنة كانت سنة أحزان ، فقد حدثت مصيبة تفوق التي مضت ألف مرة ، وتلك أن خديجة لحقت بربها أيضاً ، وهي زوجته المحبوبة ، وسكنه الوحيد في الحياة . فبقى وحيداً بعد أن قضى ستاً وعشرين سنة في سعادة زوجية كاملة .

كان النبي يحاول هداية التجار الذين كانوا يترددون على مكة ، فتعاقد معه ستة منهم وكتبوا صورة العقد على تل العقبة تحت اسم بيعة العقبة ، وهي : « بايعنا محمداً على أن لا نشرك بالله شيئاً ، وأن لا نسرق ، وأن لا نقتل أولادنا ، وأن نتجنب النجاسة والآنم ، وأن نطيع الرسول في كل ما يأمرنا به من خير ، وأن نخلص له في اليسر والعسر » فلما تمت هجرة أصحابه ولم يبق معه بمكة إلا شيخ مخلص هو أبو بكر وعلي ، قرر الهجرة ، فحاول أعداؤه محاصرته في داره ، فأقلت منهم من النافذة ، ودعيت هذه السنة بسنة الهجرة ، ذكرى لخروج النبي من مكة ، واعتبرت مبدأ للتاريخ الاسلامي . فتعقب الكفرة النبي ومن معه ، وجعلوا لمن يأتي برأسه قدراً من المال ، وأدرك أبا بكر الذعر ، فقال لمحمد : « لسننا إلا اثنين » ، فأجابه محمد قائلاً : « لا ، نحن ثلاثة ، فان الله معنا » .

محمد فريير وميرى

الرجال أربعة صنوف

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة ، فرجل يدرى ويدرى أنه يدرى ، فذلك عالم فساموه ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى ، فذلك الناسي فذكروه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى ، فذلك الجاهل فعملوه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى ، فذلك الاحمق فافرضوه .

أليس من البلى بأنك جاهل وأنك لا تدري بأنك لا تدري !

القواعد العامة لتفسير القرآن الكريم

لما قررت مشيخة الأزهر بالاتفاق مع وزارة المعارف ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، نذبت لجنة على رأسها صاحب الفضيلة مفتي مصر لوضع تفسير موجز للكتاب الكريم يستهدى به المترجمون، فاجتمعت هذه اللجنة مرات قررت فيها قواعد عامة تسير على موجهها في وضع ذلك التفسير، ورأت أن ترسل بها إلى كبار العلماء وإلى الجماعات الإسلامية في الاقطار لتبدي آراءها فيها ليحيى عملها إجماعيا من جميع المسلمين. وإنا لموردون هذه القواعد العامة ليطلع عليها القارئون :

١ - أن يكون التفسير خاليا ما أمكن من المصطلحات والمباحث العلمية إلا ما استدعاه فهم الآية .

٢ - ألا يتعرض فيه للنظريات العلمية، فلا يذكر مثلا التفسير العلمي للرمح والبرق عند آية فيها رعد وبرق، ولا رأى الفلاسكيين في السماء والنجوم عند آية فيها سماء ونجوم، إنما تفسر الآية بما يدل عليه اللفظ العربي، وتوضع مواضع العبرة والهداية فيها.

٣ - إذا مست الحاجة إلى التوسع في تحقيق بعض المسائل وضاعته اللجنة في حاشية التفسير .

٤ - ألا تخضع اللجنة إلا لما تدل عليه الآية الكريمة، فلا تنقيد بمذهب معين من المذاهب الفقهية، ولا مذهب معين من المذاهب الكلامية وغيرها، ولا تتمسك في تأويل آيات المعجزات وأمور الآخرة ونحو ذلك .

٥ - أن يفسر القرآن بقراءة حفص، ولا يتعرض لتفسير قراءات أخرى إلا عند الحاجة إليها .

٦ - أن يجتنب التكلف في ربط الآيات والسور بعضها ببعض .

٧ - أن يذكر من أسباب النزول ما صح بعد البحث، وأعان على فهم الآية .

٨ - عند التفسير تذكر الآية كاملة أو الآيات إذا كانت كلها مرتبطة بموضوع

- واحد، ثم تحرر معاني الكلمات في دقة، ثم تفسر معاني الآية أو الآيات مسلسلّة في عبارة واضحة قوية، ويوضع سبب النزول والربط وما يؤخذ من الآيات في الموضع المناسب .
- ٩ - ألاّ يهصار الى النسخ إلا عند تعذر الجمع بين الآيات .
- ١٠ - يوضع في أول كل سورة ما تصل اليه اللجنة من بحثها في السورة : أمكية هي أم مدنية ، وماذا في السورة المكية من آيات مدنية ، والعكس .
- ١١ - توضع للتفسير مقدمة في التعريف بالقرآن وبيان مسلكه في كل من فنونه ، كال دعوة الى الله ، وكالتشريع ، والفصص ، والجدل ، ونحو ذلك . كما يذكر فيها منهج اللجنة في تفسيرها .

طريقة التفسير :

- ورأت اللجنة بعد ذلك أن تضع قواعد عامة خاصة بالطريقة التي تتبعها في تفسير معاني القرآن الكريم ننشرها فيما يأتي :
- ١ - تبحث أسباب النزول والتفسير بالمأثور ، فتفحص مروياتها وتنقد ، ويفسر الصحيح منها بالتدوين ، مع بيان وجه قوة القوى ، وضعف الضعيف من ذلك
- ٢ - تبحث مفردات القرآن الكريم بحثاً لغوياً ، وخصائص الترا كيب القرآنية بحثاً بلاغياً وتدون .
- ٣ - تبحث آراء المفسرين بالرأى والتفسير بالمأثور ، ويختار ما تفسر الآية به من بيان وجه رد الردود وقبول المقبول ، وبعد ذلك كله :
- ٤ - يصاغ التفسير مستوفياً مانص على استيفائه في الفقرة الثانية من القواعد السابقة ، وتكون هذه الصياغة بأسلوب مناسب لأفهام جمهرة المتعلمين ، خال من الإغراب والصنعة .

النصرانية والاسلام فى السودان

نشرت جريدة المصرى يوم ٣٠ ديسمبر خبرا نقلته عن جريدة السودان مؤداه أن المبشرين يلقون تاييدا من الحكومة هناك ، وأن المسلمين فى جنوب السودان يكابدون تضيقا فى حريتهم وإقامة شعائرهم ، فاستاء الناس هنا من حدوث هذا الامر ، وكان أشدهم استياء علماء الأزهر وطلاب ، فقصده وفد منهم الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر ورفعوا اليه هذا الامر واستنزلوا عونته فى إزالة العنت الذى يلقاه المسلمون فى جنوب السودان . فوجدوا من فضيلته كل عناية بهذا الموضوع ، وأرسل الى كل من حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء وحضرة صاحب المعالي حاكم السودان كتابا يبلغه فيه استياء المسلمين مما بلغهم عن إخوانهم فى جنوب السودان ، ويرجوه العمل على رفع الحيف عنهم . وهذا نص ما كتبه فضيلته الى كل منهما :

الى رئيس الوزراء

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء .

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد جاء فى عدد جريدة السودان الصادر بتاريخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٦ ما ملخصه أن المبشرين فى جنوب السودان يتمتعون بحماية الحكومة لهم ، وبالسلطة التى تخولهم إبعاد من يريدون إبعاده من التجار او الموظفين الذين يرونهم غير مرغوب فيهم من وجهتهم التبشيرية ، وأن المسلمين الموجودين هناك يلقون غبنا وضيقا فى سبيل إقامة شعائر دينهم ، وقد وضعت الحكومة القواعد الآتية :

١ - حرمان المتزوج من الجنوب من أخذ زوجته وأولاده عند مغادرته جنوب السودان .

٢ - منع المسلمين من الاذان للصلوات الخمس .

٣ - جعل بطلاة عيدى الفطر والأضحى يوما واحدا ، وبطلاة العيد المسيحى أربعة أيام .

٤ - مساعدة المبشرين بالمال الذى يدفعه المسلمون للحكومة .

وقد نقلت جريدة المصرى فى عددها الصادر بتاريخ ٣٠ الجارى مانشرته جريدة السودان ، وقد أثار هذا موجة من السخط العام من علماء الأزهر وتلاميذ الكليات والمعاهد ، وترتب على ذلك أن اضطرت الدراسة وخرج التلاميذ فى مظاهرة الى إدارة الأزهر .

وإذا صح هذا فانه مدعاة للعجب والاستغراب ، لأنه إذا لم يكن للدين الاسلامى حق التفضيل لاعتبارات كثيرة فلا أقل من أن يكون أهله على قدم المساواة مع أهل الأديان الأخرى يتمتعون بحق إقامة الشعائر جهارا ، وبحق الدعوة اليه ، ويتمتعون بالاقامة والسفر بمصاحبة أولادهم وزوجاتهم عند رحيلهم . وإذا صح أن الضرائب التى تجبى من الرعية وأكثرم مسلمون يعطى منها المبشرون شيئا للمساعدة على نشر دينهم ، كان ذلك موضوعا للتأمل الطويل والتفكير العميق . وإنى لا رجو من دولتكم إعطاء هذا الموضوع حقه من العناية والبحث الجديرين به ، وأرجو أن تصلوا الى حل يحقق الآمال ويزيل هذا القلق المستولى على النفوس . والله يتولى توفيقكم وعونكم .

ومع هذا عدد من جريدة السودان المشار اليه .
والسلام عليكم ورحمة الله .

من الأستاذ الأكرم الى الحاكم العام :

حضرة صاحب المعالي حاكم السودان العام بالخرطوم .

نشرت جريدة السودان بتاريخ ٢٥ الجارى أخبارا مزعجة خاصة بالمبشرين جنوب السودان وبالتعليم . وقد استاء الازهر علماءه وطلابه استياء تاما حتى اضطربت الدراسة بسبب ذلك . وإذا صح هذا فأتى أحتج باسم الازهر ، وأرجو وقف هذه الاعمال ، وجعل الاسلام فى جميع بلاد السودان يتمتع أهله بالحرية فى السفر والاقامة ، وباقامة الشعائر الدينية حتى تهدأ الغواطر وتستقر الامور .

من رئيس الوزراء الى الحاكم العام :

وقد أرسل حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة الى حاكم السودان العام البرقية الآتية نصها :

نشرت جريدة السودان بتاريخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٦ ونقلت عنها الجرائد المصرية عبارة تلخص فى أن المبشرين يتمتعون فى جنوب السودان بحماية الحكومة السودانية ، والسلطة فى إبعاد من يرون إبعاده من التجار أو الموظفين غير المرغوب فيهم من وجهتهم التبشيرية ، وأن المسلمين هناك يلقون عننا وتضييقا فى سبيل إقامة شعائر دينهم ، وأن الحكومة وضعت لهم القواعد الآتية :

١ - حرمان المتزوج من جنوب السودان من أخذ زوجته وأولاده عند مغادرته جنوب السودان .

- ٢ — منع المسلمين من الأذان للصلوات الخمس .
- ٣ — جعل بطلانة عيدي الفطر والأضحى يوماً واحداً وبطلانة العيد المسيحي أربعة أيام .
- ٤ — مساعدة المبشرين بالمال الذي يدفعه المسامون للحكومة .
- وقد أثارت هذه الأنباء نائرة الرأي العام المصري ، وعلى الخصوص علماء الأزهر وطلابه وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر . فارجو إفاذتي عن حقيقة الامر فيما نشر ، وما اتخذتموه معاليكم بشأنه من الاجراءات .

رد الحاكم العام .

وقد تلقى مقامه الرفيع من معالي الحاكم العام الرد الآتي :

ردا على بريقة مقامكم الرفيع بتاريخ أمس يسرني أن أكون قادرا على أن أقرر لكم أن البيانات التي نشرتها الصحف وأشرتم اليها بيانات خاطئة ومضللة للغاية ، وأنه ليس صحيحا على الخصوص الادعاء بأن أفرادا قد حرموا في أى جزء من أجزاء السودان حرية القيام بشعائرهم الدينية ، وكذلك الادعاء بأن بعض الهيئات الخاصة أو الدينية قد خولت مباشرة سلطة إدارية .

أما ما فرض في جنوب السودان من القيود المحلية على صغار التجار وأمثالهم فقد قصد به منع استغلال الاهالى الذين هم في أبسط حالات الفطرة استغلالا غير مشروع . وهذه القيود تتناقض بالتدرج .

سالمس حاكم عام

السودان في الجاهلية والاسلام

حدث ابن السكبي قال : قال لى خالد القسرى : ما تعدون السود ؟ قلت : أما في الجاهلية فالرياسة ، وأما في الاسلام فالولاية ، وخير من ذا وذلك التقوى .

قال خالد : صدقت ، كان أبى يقول : لم يدرك الأول الشرف إلا بالعقل ، ولم يدرك الآخر إلا بما أدرك به الأول .

قلت له : صدق أبوك ، إنما ساد الأحنف بن قيس بحلمه ، ومالك بن مسمع بحب المشيرة له ، وقتيبة بن مسلم بدعائه ، وساد المهلب بهذه الخلال كلها .

قال الاصمعي : قيل لأعرابي يقال له منتجع بن نهان : ما السميدع ؟ قال : السيد الموطأ الا كفاف .

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

نظام الوقف فى الاسلام أيضا

عرضنا فى البحث السابق لما يجب توفره فى انعقاد تصرف الوقف صحيحا من الشرائط المصححة لصيغته التى يتأدى بها المعنى المراد من الواقف لتكون هذه الشرائط منضمة الى شرائط الأركان التى اشترطها علماء الفروع لتحقيق إسهاد الوقف مستوفية جميع أركانه .

والآن نعرض للكشف عما يجب توفره من شرائط فى الجهة الموقوف عليها ، ليتسق البحث على وتيرة واحدة ، وليجرى على سنن لا لبس فيه ولا إبهام : فملا أمراء فيه أن علماء الفروع اشترطوا لصحة الجهة الموقوف عليها شروطا كثيرة ، غير أن فريقا من الفقهاء المتقدمين عنى بحصرها فى خمسة شروط حتى اعتبر ما عداها راجعا اليها فى حقيقة أمره ، فاشترطوا فى الجهة الموقوف عليها : أن يكون صرف غلة الوقف اليها قرابة فى ذاته ، وأن يكون الواقف قصد بها كذلك .

ومعنى أنه قرابة فى ذاته ، أن يكون من حيث مظهره وصورته راجعا الى مرد من الشريعة وموئل من قواعد الفقه الاسلامى ، فلا بد إذن من اعتبار القرابة الى الله أساسا لصرف غلة الوقف . وقد فرغ صاحب البحر الرائق على هذا الشرط ، أن الوقف على الأغنياء دون الفقراء لا يقع صحيحا . وظاهر من عدم وقوعه صحيحا أن ليس فيه الى الله قرابة ظاهرة من جهة الواقف ، وكل ما هنالك أن يعتبر صرف الغلة اليهم جاريا مجرى الهبة ، فالمفروض فى الوقف أن يكون قد قصد به الواقف سد عوز فريق من المحتاجين ، وصونهم عن ذل الفاقة والمسألة ، والأغنياء ليسوا كذلك فى هذا الاعتبار . فلو قال الواقف فى هذه الصورة : أرضى صدقة على بنى فلان أو أسرة فلان وكانوا أغنياء أو أكثرتهم كذلك ، ثم ثبت عجز الواقف عن إحصائهم عددا لحصول

الجهالة بكمية أفرادهم وسائر الجهات التي يقيمون فيها ، لا ينعقد الوقف ، ووقع باطلا لعدم تحقق القرية ، أما إذا أحصاهم الواقف حال قيام اليسار بهم أو بأكثرتهم ، وقع الوقف صحيحا ، لأنه يعتبر مسميا لهم بأعيانهم ، ودالا عليهم بوصفهم العنوانى ، وفي هذه الحالة المقابلة يصرف من بعدم الفقراء .

وقد وضع علماء الفروع لهذه الصورة ومقابلها ضابطا ، فقالوا : الواقف حين يريد ضبط إشهاد بوقفه إما أن يمين لوقفه مصرفا تصرف فيه غلته أولا ، فإن حبس الواقف الموقوف مرسلا عن الجهة الموقوف عليها ، كان مصرفه للفقراء إطلاقا ، إلا إذا قضى العرف بالتسوية بينهم وبين الأغنياء في الانتفاع بالموقوف ، كأن يكون الموقوف من المنافع العامة ، كوقف المدارس وكتب العلم والمصاحف والطواحين والآبار والملاجئ والمستشفيات والمقابر والسقايات على الظاهر ، فإن الأغنياء والفقراء متساوون في الحاجة بالانتفاع بهذه المرافق عرفا ، كما تدل عليه كتب القوم ، ولا يوجد في أوضاعهم ما ينفيه ؛ وإما أن يذكر الواقف لوقفه مصرفا ، فإن كان محتملا للانقطاع بأن كان المصرف من حيث أفراد لا يحصى عددا فلا بد أن يذكر في إشهاد وقفه ما يدل على حاجة الموقوف عليهم الى صدقته ، دلالة لفظية كالفقراء والمساكين ، أو استعمالا بحسب العرف كاليتامى والزمنى وأبناء السبيل وطلبة العلم ، فإن هذه الألفاظ وإن كانت مشتركة بين الغنى والفقير غير أن عرف الواقفين بنوع خاص قد قيدها بالفقراء لشيوع الفقر في هؤلاء بعجزهم عن الكسب ، وفي هذه الحالة تصرف الغلة الى الفقراء دون سواهم . ونقل صاحب الأشباه والنظائر خلافا بين أئمة المذاهب في حد ما لا يحصى عددا في الجهة الموقوف عليها ، فمن حمد رحمه الله تقدير ما لا يحصى بعشرة ، وعن أبي يوسف رحمه الله أنه مائة ، وقيل أربعون ، وقيل ثمانون ، وحقق صاحب البدائع أن الأحوط أن يفوز في حده الى تقدير الحاكم .

أما إذا تجرد إشهاد الوقف عن التخصيص على الحاجة لا حقيقة ولا استعمالا ، كأن وقف الواقف عينا على الرجال أو النساء أو على المسلمين في فلسطين أو شبه جزيرة

العرب ، وقع الوقف باطلا ، لأن المفظ فى هذه الصورة مشترك بين الغنى والفقر ، وليس بسائل أن يصرف الى أحدهما دون الآخر لأنه ترجيح بلا مرجح ، ولا الى الصنفين معا لأنه يلزم عنه أن يكون الصرف اليهما هبة وصدقة . وقد أسلفنا وجوب أن يكون الصرف قربة ، هذا خلف .

فإن احتمل المصرف الانقطاع ، صح الوقف ، وإن لم يكن فيه ما يشعر بحاجة الموقوف عليهم الى الانتفاع بغلته يستوفيه الغنى والفقر ، وذلك كما إذا وقف على أولاده من بعده ، فإنه يصرف اليهم ، فإذا انقضوا صرفت غلته الى الفقراء .

ثم إن علماء الفروع رتبوا على عدم وقوع الوقف صحيحا فى حالة ما إذا كان الموقوف عليه غير منقطع ، أن الواقف لو قال : وقفت أرضى هذه على الأغنياء من طلبة العلم ثم للفقراء من بعدهم ، لم يقع الوقف صحيحا ، ضرورة أن أغنياء طلبة العلم لا ينقطعون فى زمن من الأزمان ، فكأنه وقف عليهم أرضه دون سواهم ، وهو غير جائز شرعا .

وقد حكى صاحب كتاب أنفع الوسائل أن من تفاريع اشتراط القرية الى الله لتحقيق معنى الخير المقصود من الوقف ، صحة وقف المسلم على فقراء أهل الذمة ، ووقف الذى على فقراء المسلمين أو فقراء أهل الذمة من غير دينه ، لتحقيق الشرط فى هذه الصور . فما هو جائز للمسلم شرعا أن يتصدق على فقراء أهل الذمة ، كما يجوز لأهل الذمة أن يتصدقوا على فقراء المسلمين ، لاعتقاد أهل الذمة أن فى التصدق قرية الى الله .

وقصارى القول فى وقف الذى أن ما كان وقفه أو الجهة الموقوفة عليه فيه قرية ، يصح وقفه ، والوقف عليه عندنا وعندهم . وما كان قرية عندنا فقط أو عندهم فقط ، لا يصح وقفه ولا الوقف عليه .

ويترب على ذلك الضابط أن الذى لو جعل داره بيعة أو كنيسة ثم بعد ذلك وقفها أو وقف أرضه على البيع والكنائس أو على فقراء أهل الحرب أو على الفساوسة والرهبان الذين فى كنيسة كذا أو على القائلين بشئون الكنيسة ، لم يقع هذا الوقف صحيحا ، لأن هذا التصرف وإن كان فى اعتقاده قرية لكننه ليس قرية عندنا .

ونقل العلامة صاحب المجموع من أثبات فقهاء المالكية أن الإمام مالكاً رضي الله عنه يرى بطلان وقف الذي إذا وقف على البيع والكسائس وأهل الحرب والقساوسة والرهبان وموظفي الكنيسة ، ونقل عن الإمام ابن رشد أنه لا يرى انعقاد وقف الذي في حالة ما إذا وقف على فقراء أهل الكنيسة . وتابعه في ذلك عياض من بعض الوجوه ، وإذاً يكون له حق التصرف فيما وقفه بالبيع والشراء وسائر التصرفات النافذة للملكية ، وإذا مات يورث عنه .

أما إذا وقف الذي أرضه أو داره على فقراء أهل الكنيسة فإن الوقف في هذه الحالة يقع صحيحاً لأنه قصد الصدقة في وقفه ، ولم يدر بخلده أنه قصد بهذا التصرف إعلاء شأن دينه والغرض من الأديان الأخرى ، على ما حققه صاحب الاسعاف .

وكذلك إذا وقف الذي داره على كنيسة ثم إذا خربت في مستقبل الزمن تكون للفقراء أو لجهة بر أخرى ، فإن الوقف في هذه الحالة يقع صحيحاً ، غير أن الريع يصرف ابتداء إلى الفقراء أو إلى جهة البر التي عينها في كتاب وقفه .

ويستنبط من كلام أبي يوسف منقولاً عن البحر أنه لا فرق عنده بين أن يقول الذي في كتاب وقفه : أرضى هذه صدقة موقوفة على البيع أو الكسائس ثم يسكت ، وبين أن يقول : موقوفة على البيع أو الكسائس ثم من بعدها للفقراء لوقوع الوقف صحيحاً في الصورتين ، ضرورة أن المرعى في الوقف هو الصدقة ، وخلو الصيغة من الفقراء لا يفوت هذا القصد ، فهم المعنيون في نوايا الواقفين ، وهم المقصودون عند رواد الخير وطلاب الجزاء .

أما الكشف عن بقية هذا البحث الطريف وآراء الفقهاء فيه على اختلاف مذاهبهم وما هو الحق من كل هذه الخلافات ، فوعدنا به العدد التالي ، إن شاء الله .

لماذا اعتنقت الاسلام ؟

(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِذْ أَنْ يَضِلَّهُ يُجْعَلْ
صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ)

هذا ملخص فصل مقتبس من كتاب عنوانه (في طريقى الى الاسلام) وضعه
حضرة النابه الدكتور احمد نسيم سوسه الذى كان إسرائيليا عراقيا وأسلم عن
اقتناع وبحث . فرأينا أن نختار من كتابه ما ذكره عن سبب إسلامه ، وهو دكتور
في الفلسفة من جامعات الولايات المتحدة بأمريكا . قال :

يرجع ميلى الى الاسلام الى ما قبل ثلاث عشرة سنة حينما شرعت فى مطالعة
القرآن الكريم للمرة الأولى فى عهد دراستى فى الجامعة الأميركية البيروتية ،
فولمت به ولعاً شديداً ، وانصرفت الى تلاوته مستعينا بالكتب المزودة بمحاشى
التفسير لفهم معناه حتى أهملت البعض من دروسى المدرسية الأخرى ، وكنت أطرب
لتلاوة آيات القرآن ، وكثيراً ما كنت أنزوى فى مصيفى تحت ظل الأشجار وعلى سفح
جبال لبنان فأمكث هناك ساعات طوالاً أترنم بقرائه بأعلى صوتى . إلا أنى لم أفكر
فى أمر اعتناق الاسلام إلا بعد أن قضيت فى أميركا بضع سنوات ، ودرست فلسفات
الأديان ، وتوغلت فى المواضيع التاريخية الاجتماعية حتى أدركت كثيراً من الأمور
الغامضة التى كان يصعب علىّ حلها ، وفى الوقت نفسه إنى أعتقد بأن محيط أميركا
الذى تتجلى فيه الحياة الديمقراطية بأجلى بيان قد يستميل المرء الذى فطر على حب
الحرية والسذاجة الى الانقياد الى تعاليم الدين الاسلامى المشبع بروح الديمقراطية الحقة
والحرية والبساطة ، فاستطيع أن أقول بدون تردد بأنى مسلم شعوراً وموطناً منذ نعومة
أظفارى ، وقد يكون لتأثير ذلك النصيب الأكبر فيما دفعنى لأن أنفض عنى غبار
الميراث من الدين والعنصر ، وأن أسبر أغوار الحقيقة لأهتدى بأنوارها الى المذهب
الصحيح الحنيف ؛ إلا أنى يجب أن أعترف فى الوقت نفسه بأن الميل الفطرى لم يكن

مستندا على ما يقره الاستقراء العلمى والتحصيل الفكرى والتجارب الشخصية ، وما أعظم سرورى الآن حين جاء الاستدلال العلمى الصحيح مؤيدا للميل الفطرى ، فانتفيت الى الدين الاسلامى بدافع طبيعى غريزى ، وبتأييد علمى تعميمى ، فأصبحت بذلك مسلما شعورا وموطنا ودينا .

ومن الغريب أن العقيدة السائدة بأن كل من تعلم تعليما راقيا أصبح ماحدا بطبيعة الحال قد تمكنت فى إذهان شبابنا المثقفين بحيث أصبح الكثير يستغربون ويدهشون إذا أظهر أحد التلمذيين ظاهرة دينية أو تطرق الى البحث فى هذا الموضوع ، وأرى لزاما علىّ أن أبحث فى مقدمتى هذه ولو بصورة مقتضبة فيما أورده بهذا الصدد أحد أصدقائى بعد أن أعلنت له رغبتى فى اعتناق الاسلام إذ قال فى كتابه : « إنى لأشعر بخطورة رغبتك هذه لاسيما أنها جاءت فى القرن العشرين ، فى القرن الذى طغت فيه المادة وسادت فيه الملموسات ، وهى بنت فكر شخص عاش فى بيئة أمريكية ، وأنه من حملة الدكتوراه » .

وكأنى بصاحبى قد يخيل له أن من اكتسب علما حديثا وجب عليه طرح ناحية الدين جانباً والانصراف الى ما فى الحياة الدنيا من أعمال مثمرة ملموسة . وما أخطأ هذا الظن وأخطره على مصير مجتمعتنا : ما هو العلم ؟ : أو هل يقتصر على تدريبنا لإنشاء المشاريع العمرانية فحسب ؟ أنا لا أنكر أن العلم قد نستفيد منه ونستعين به فى مشاريعنا الفنية ، ولكن أهى هذه الغاية من العلم ؟ : أليست هذه المشاريع واسطة لا غاية ؟ : إذن للعلم غاية سامية يرمى اليها صاحبه هى غير الأعمال الميكانيكية المادية ، وما هى هذه الغاية ؟ إن الغاية المهمة من العلم الراقى هى بنظرى تنبيه حس الطموح فى صاحبه الى استكشاف الحقائق والتدقيق والتحصيل ، سواء فى مجالات التفكير الروحى المعنوى أو فى منطقة الأعمال الملموسة لإدراك هذه الحقائق وإذاعتها ، فيستفيد منها المجتمع فى سبيل التعاون والتعاقد للنهوض بالإنسانية الى أسنى درجات الكمال .

احمد نسيم سوسة
(دكتور فى الفلسفة)

لحضرات المشتركين

رغبة منا في تنظيم علاقات وكلاء مجلة الازهر بقلم حساباتها ، رأينا أن نجعل بدل الايصالات المؤقتة التي يسلمونها للمشتركين إيصالات نهائية مذيبة بخاتم لنا خاص بالمجلة ، على الصورة التي يرونها في نهاية هذا الاعلان . وكل إيصال ليس عليه هذا الخاتم لا تعتمد به إدارة المجلة بعد تاريخ هذا الاعلان . فزجو حضرات المشتركين ملاحظة ذلك بكل دقة ، ولهم منا الشكر الجزيل ؟

مدير مجلة الازهر

محمد رفيع

كتب جديدة

فاروق الاول :

أصدرت مجلة الهلال القيمة ماحقها لهذه السنة جعلت عنوانه اسم حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الاول ، وموضوعه سيرة جلالته مدبجة بقلم حضرة الاستاذ الالمى الاديب طاهر افندى الطناحى سكرتير تحريرها ، وقد تناول سيرة جلالته العطرة من يوم ميلاده السعيد الى يومنا هذا ، فلم يدع صغيرة ولا كبيرة من هذا الموضوع الشائق الممتع إلا ذكرها بحلاة بالصور الأنيقة المعجبة .

لأنشك في أن هذه السيرة الجليلة ستحدث أبلغ الآثار في الشبيبة المصرية من جهة القدوة الحسنة ، والمثل الأعلى ، فاذا كنا نكسد عقولنا وأفلامنا لتجلية هذا المثل الأعلى ، فإن جلاله الملك يمثل للامة بالقيام عليه ، والعمل بأبلغ تأثيرا من القول ، فلجلالته الفضل الاول فيه ، لا زال يحسدو جلالته التوفيق ، وتسكؤد العناية الالهية ، حتى يبلغ أمنه قمة المجد ، وغاية السودد .

خلاصة الكلام في أركان الاسلام :

هذا كتاب ألفه الاستاذ النابه على فكرى افندى ، الامين الاول بدار الكتب المصرية سابقا ، في أركان الاسلام وعباداته على المذاهب الأربعة . وقد أحصى جميع مايجب على الانسان أن يعرفه منها في عبارة طلية خالية من التعقيد ، كسكل ماوضعه من المؤلفات القيمة . وقد وقع في نحو ثلاثمائة صفحة ، مرتبة ترتيبا يكفل سهولة الرجوع الى كل مسألة منه عند الحاجة . فنشكر لحضرة المؤلف المجتهد هذه الخدمة ، ونزجو له التوفيق للزيد منها .

وقد عنيت بطبعه مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده طبعا متقنا على ورق جيد .

ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث :

هذا كتاب صنفه العالم الجليل عبد الغنى النابلسى المتوفى بدمشق سنة ١١٤٣ لتسهيل

الكشف عن الاحاديث في الكتب الستة : (البخارى ومسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه) وموطأ مالك .

قال رحمه الله : « إن أردت الاستخراج منه فتأمل في معنى الحديث الذى تريده في أى شئ هو ، ولا تعتبر خصوص ألفاظه ، ثم تأمل الصحابى الذى عنه رواية ذلك الحديث ، فقد يكون في السند عن عمر أو أنس مثلاً ، والرواية عن صحابى آخر مذكور في ذلك الحديث ، فصحيح الصحابى المروى عنه ، ثم اكشف عنه في محله تجده إن شاء الله » .

هذا الكتاب يقع في أربعة أجزاء ، أحضر فضيلة الأستاذ الشيخ احمد شاكر نسخته من الحجاز ، وقامت بطبعه جمعية النشر والتأليف الأزهرية ، وهو أثر جليل من آثارها نرجو أن يجد مكانه من كل مكتبة يعنى صاحبها بالبحث في الأحاديث النبوية .

التشريع الاسلامى :

مصادره ، قواعد العامة ، مزاياه ، الفقه الاسلامى والقانون الرومانى ، الخ . هذه موضوعات بحثت في هذا الكتاب بحثاً مدققاً مستفيضاً ، ولا غرو فوضعه الأستاذ الجليل المدقق حسن أحمد الخطيب مدرسها بدار العلوم ، وقد رتبته ترتيباً جيلاً بحيث تتادى فيه المباحث لطلابها كأنها تتطلبه وهو يتطلبها . فنثنى على همته ، ونرجو لكتابه الذبوع الذى يستحقه .

تهذيب الكفاية في علم الفقه على مذهب الشافعى :

هذا كتاب وضعه فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد كامل الخضرى المدرس بمعهد دمياط ، وقد أهدها لحضرة صاحب الفضيلة الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر ، وهو جدير بأن يهدى لمثله .

أما موضوعه فهو تهذيب كتاب كفاية الأخيار ، لتقى الدين أبى بكر بن محمد الحصنى ، وقد وكل اليه تدريسه ، فوجد أن تحصيله شاق على الطلاب لتشتت مسائله ، وصعوبة عباراته ، قال : « فرأيت أن أجمع كتاباً موجزاً يشتمل على ما في الكفاية بعبارة سهلة مع ذكر أحاديث الاحكام واستيفائها وتنميم بعض المسائل وزيادة كثير من الفوائد » الخ

وقد وفى الأستاذ بما وعد ، فجاء كتابه منهلأ عذبا للواردين . ولوحذا حذوه كل مدرس في المعاهد فأعاد صياغة الكتب القديمة وتهذيبها على هذا النحو ، لثم لنا إحداث انقلاب خطير في التعليم الدينى ، بتقريبها من النظام الذى ألفه المعاصرون ، وأمكن الكفاية تناول العلم الأزهرى من مصادره الاولى دون تكلف لا تقاوت وقت طويل في تفهم أساليبها . وبذلك يتم لنا نقل كتب أئمتنا الاولين دون التعرض لدور انتقال قد يكون شاقا وطويلا على الكثيرين .

CHAPTER 9

May one polluted by sexual intercourse immerse his hand in the ghusl-vessel before washing it, when it hath no dirt upon it apart from the ritual pollution of sexual intercourse ?

Ibn 'Umar and Al-Barâ' b. 'Azib immersed their hand in the purification-water without *first* washing it, and then performed their wudû' ;

Ibn 'Umar and Ibn 'Abbâs saw no harm in water used *by one* for his ghusl after sexual intercourse, splashing back into the vessel.

1. We are informed by 'Abdullâh b Maslamah, who had it from Aflah, through Al-Qâsim, through 'A'ishah, who said :

"I used to perform my ghusl (1) together with the Prophet (Allâh bless him and give him peace) from the same vessel, in which we took turns in immersing our hands."

2. We are informed by Musaddad, who had it from Hammâd, through Hishâm, through his father, through 'A'ishah, who said :

"When the Prophet (Allâh bless him and give him peace) was about to perform the ghusl required after sexual intercourse, he used to wash his hand *first* (2) "

- ٩ -

بَابُ : هَلْ يَدْخُلُ الْجُنُبُ
يَدَهُ فِي الْأَيْتَاءِ قَبْلَ أَنْ يَغْسِلَهَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى يَدِهِ قَذَرٌ غَيْرُ
الْجَنَابَةِ ؟

وَأَدْخَلَ ابْنُ عُمَرَ وَالْبَرَاءُ بْنُ
عَازِبٍ يَدَهُ فِي الطَّهْوَرِ وَلَمْ
يَغْسِلْهَا ثُمَّ تَوَضَّأَ .
وَلَمْ يَرَ ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ
بِأَسَا بِمَا يَنْتَضِعُ مِنْ غَسَلِ
الْجَنَابَةِ :

١ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ أَخْبَرَنَا
أَفْلَحُ بْنُ الْقَاسِمِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :
« كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ
تَخْلِفُ أَيْدِينَا فِيهِ » .

٢ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ
هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ غَسَلَ
يَدَهُ » .

(1) — required after sexual intercourse — according to Muslim.

(2) i.e. before immersing it into the vessel, in case it is soiled.

poured it from his right hand on to his left, and then washed them both. He next washed his member, after which he struck the ground with his hand, rubbed it on the earth and then washed it. Rinsing his mouth, and cleansing his nostrils, he proceeded to wash his face. Then pouring water over his head, he shifted his position and washed his feet. He was finally brought a towel, but he did not dry himself with it.”(1)

CHAPTER 8.

On rubbing the hand on the dust *during the ghusl* in order that it may be cleaner.

We are informed by Al-Humaidi, who had it from Sufyân, who received it from Al-A‘mash, through Sâlim b. Abu-l-Ja‘d, through Kuraib, through Ibn ‘Abbâs, through Maimûnah that:

When the Prophet (Allâh bless him and give him peace) performed the ghusl required after sexual intercourse, he washed his member with his hand, which he then rubbed against the wall and washed. After that he performed his wudûs as for prayer, and when he had completed his ghusl he washed his feet.

قَالَ يَسِدِ الْأَرْضَ فَسَحَبَهَا
بِالْتُّرَابِ، ثُمَّ غَسَلَهَا، ثُمَّ تَمَضَّضَ
وَأَمْسَتَنَشَقَّ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ
وَأَفَاضَ عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ تَنَحَّى
فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ، ثُمَّ أَتَى بِمِنْدِيلٍ
فَلَمْ يَنْفُضْ بِهَِا.

- ٨ -

بَابُ مَسْحِ الْيَدِ بِالتُّرَابِ
لِتَسْكُونِ أَنْفَقَى :

حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان قال
حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن
كريب عن ابن عباس عن ميمونة :

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ فَغَسَلَ
فَرْجَهُ يَدِهِ، ثُمَّ دَلَكَ بِهَا الْحَائِطَ،
ثُمَّ غَسَلَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوءَهُ
لِلصَّلَاةِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ
غَسَلَ رِجْلَيْهِ ».

(1) Either because the towel was not clean, or because wudûs - water has an element of sacredness. Other hadiths show that the Prophet was in the habit of using a towel.

“When the Prophet (Allāh bless him and give him peace) was about to perform the ghusl required after sexual intercourse, he called for a vessel of water equivalent to a milking-pail. He then took a handful of water from it, and began with the right side of his head, proceeding likewise with the left. Next he took a *third scoop of water* with both hands and poured (1) it over his head.”

CHAPTER 7.

On rinsing the mouth and cleansing the nostrils in performing the ghusl required after sexual intercourse. (2)

We are informed by ‘Umar b. Hafs b. Ghiyāth, who had it from his father, who received it from Al-A‘mash who was told it by Sālim, through Kuraib, through Ibn ‘Abbās, to whom it was related by Maimūnah, who said :

“I once poured out ghusl-water for the Prophet (Allāh bless him and give him peace). He first

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا
اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ دَعَا بِشَيْءٍ
نَحْوِ الْحِلَابِ فَأَخَذَ بِكَفِّهِ
فَبَدَأَ بِشِقِّ رَأْسِهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ
الْأَيْسَرِ فَقَالَ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ .

- ٧ -

بَابُ الْمَضْمَضَةِ
وَالِاسْتِنْشَاقِ فِي الْجَنَابَةِ :

حدثنا عمر بن حفص بن غياث قال
حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال حدثني سالم
عن كريب عن ابن عباس قال حدثنا
ميمونة قالت :

وَصَبَبْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
غُسْلًا فَأَفْرَغَ يَمِينِهِ عَلَى يَسَارِهِ
فَغَسَلَهُمَا ثُمَّ غَسَلَ فَرْجَهُ ثُمَّ

(1) The word قَالَ is often used figuratively to denote actions other than speaking, as قَالَ يَدَهُ (he took), قَالَ بِرَجْلِهِ (he walked). Houdas and Marçais appear to have mistaken this idiom.

(2) Al-Bukhārī's purpose in giving this chapter is to draw the inference that the cleansing of the mouth and nostrils in performing the ghusl is optional and not obligatory.

We are informed by Mûsa, who received it from ‘Abd-ul-Wâhid, through Al-A‘mash, through Sâlim b. Abu-l-Ja‘d, through Kuraib, through Ibn ‘Abbâs, who stated that Maimûnah said :

“ I placed water before the Prophet (Allâh bless him and give him peace) for his ghusl. He washed his hands two or three ⁽¹⁾ times, after which he poured water into the hollow of his left hand and washed his parts. Then after rubbing his hand on the ground, he rinsed his mouth, cleansed his nostrils, and washed his face and hands. Next he let water flow over his body, and then shifting his place, washed his feet.”

CHAPTER 6.

On one who beginneth his ghusl by using water from a milking-pail ⁽²⁾ or by using perfume.

We are informed by Muhammad b. Al-Muthannâ, who had it from Abu ‘Asim, through Hanzalah, through Al-Qâsim, through ‘A‘ishah, who said :

حدثنا موسى قال حدثنا عبد الواحد
عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن
كريب عن ابن عباس قال : قالت
ميمونة :

« وَضَعْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَاءَ لِلْغُسْلِ. فَغَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ
أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى شِمَالِهِ
فَغَسَلَ مَذَاكِرَهُ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ
بِالْأَرْضِ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ
وَعَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ أَفَاضَ
عَلَى جَسَدِهِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ مِنْ مَكَانِهِ
فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ. »

- ٦ -

بَابُ مَنْ بَدَأَ بِالْحِلَابِ أَوْ
الطِّيبِ عِنْدَ الْغُسْلِ :
حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا
أبو عاصم عن حنظلة عن القاسم عن
عائشة قالت :

(1) The narrator is doubtful as to which.

(2) The word حِلَاب (milking-pail) has given rise to some controversy. The *hilâb* is literally a measure of capacity equal to eight rotls, or one milking of a she-camel. Some commentators prefer to read حَلَاب a word of Persian origin meaning rose-water, which is more in conformity with other hadiths of ‘A‘ishah, which show the Prophet using perfume before the ghusl. But since the text of the hadith makes no reference to perfume, other commentators prefer to take حَلَاب to mean water-vessel and الطيب as cleanliness or sweetness in general.

“The Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to pour three scoops of water over his head.” (1)

3. We are informed by Abu Nu'aim, who had it from Ma'mar b. Yahyâ b Sâm, who received it from Abu Ja'far, who stated that Jâbir said to him :

“Thy paternal cousin (2) — alluding to Al-Hasan b. Muhammad b. Al-Hanafsiyyah — came to me and asked how the ghusl required after sexual intercourse should be performed. I replied : ‘The Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to take three scoops of water in his hands and let them flow over his head, and then pour *more* water all over his body.’

‘I am a man,’ said Al-Hasan to me, ‘with abundant hair !’ ‘The Prophet (Allâh bless him and give him peace),’ replied I, ‘had more abundant hair than thou.’”

CHAPTER 5.

On performing the ghusl once only. (3)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يفسرخ على رأسه ثلاثاً.

٣ - حدثنا أبو نعيم قال حدثنا معمر
ابن يحيى بن سام حدثني أبو جعفر قال :
قال لي جابر :

وأتاني ابن عمك - يعرض
بالحسن بن محمد بن الحنفية - قال :
كيف الغسل من الجنابة ؟
فقلت : كان النبي صلى الله عليه وسلم
يأخذ ثلاثاً أكف ويفيضها
على رأسه ، ثم يفيض على سائر
جسده ،

فقال لي الحسن : إن رجلاً
كثير الشعر ، فقلت : كان النبي
صلى الله عليه وسلم أكثر منك
شعراً .

- 5 -

باب الغسل مرة واحدة :

(1) For purification after sexual intercourse — according to Al-Isma'ili's narration.

(2) Cousin here is not meant literally, Al-Hasan being in fact the cousin of Abu Ja'far's uncle.

(3) The key of this title is to be found in the last sentence of the hadith — *فاض على جسده* (he let water flow over his body).

The number of times not being specified, it is taken to imply once only. (Ibn Hajar)

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) and Maimûnah used to perform their ghusl from the same vessel.

(Yazîd b. Hârûn, Bahz and Al-Juddî—the three relating through Shu‘bah – add قدر صاع measuring the equivalent of a sâ‘.)

Al-Bukhârî states that Ibn ‘Uyainah used to relate this hadith at the end of his life “through Ibn ‘Abbâs and through him from Maimûnah.” The more authentic of the two narrations, however, is that related to us by Abu Nu‘aim.

CHAPTER 4.

On one who let water flow over his head thrice.

1. “We are informed by Abu Nu‘aim, who had it from Zuhair, through Abu Ishâq, who received it from Sulaimân b. Surad, who was told it by Jubair b. Mut‘im, who stated that the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

“For my own part, I let the water flow over my head three times.” So saying he went through the action with both his hands.

2. We are informed by Muhammad b. Bashshâr, who had it from Ghundar, who received it from Shu‘bah, through Mikhwal b. Râshid, through Muhammad b. ‘Ali, through Jâbir b. ‘Abdullâh, who said :

«انَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَيْمُونَةُ كَانَا يَغْتَسِلَانِ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ»

(وقال يزيد بن هارون وبهر والجدى عن شعبة «قدر صاع»)

قال أبو عبد الله : كَانَ ابْنُ عَيْنَةَ يَقُولُ أَخِيرًا «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ وَالصَّحِيحُ مَا رَوَى أَبُو نَعِيمٍ»

- ٤ -

بَابُ مَنْ أَفَاضَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثًا :

١ - حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ قَالَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ قَالَ حَدَّثَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

«أَمَّا أَنَا فَأُفِضُ عَلَى رَأْسِي ثَلَاثًا وَأُشَارُ بِيَدَيْهِ كُلَّتَيْنِ مِمَّا»

٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مَخْنُولِ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ :

Between us and her there was a screen.” (1)

Al-Bukhârî states that Yazid b. Hârûn, Bahz and Al-Juddî — the three relating this hadith through Shu‘bah — use the variant قدر صاع (instead of نحواً من صاع).

2. We are informed by ‘Abdullâh b. Muhammad, who had it from Yahyâ b. Adam, who received it from Zuhair, through Abu Ishâq, who said:

“Abu Ja‘far informed me that he was once at the house of Jâbir b. ‘Abdullâh, together with his father, there being certain other people present. On being questioned (2) about the ghusl, Jâbir replied: ‘A sâ‘ is enough for thee’. ‘No,’ replied another man, ‘it is not enough for me’. ‘It was enough,’ said Jâbir, ‘for one who had more abundant hair than thou, and was nobler than thou.’

Jâbir then led us in prayer clad in a single garment.”

3. We are informed by Abu Nu‘aim, who had it from Ibn ‘Uyainah, through ‘Amr, through Jâbir b. Zaid, through Ibn ‘Abbâs that:

وَيَنْتَنَسَا وَيَنْتَنَسَا حِجَابًا .

قال أبو عبد الله قال يزيد بن هارون
وبهشز والجدي عن شعبة «قدر صاع»

٢ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا
يحيى بن آدم قال حدثنا زهير عن أبي
اسحاق قال :

«حدثنا أبو جعفر أنه كان عنده
جابر بن عبد الله هو وأبوه وعنده
قوم فسألوه عن الغسل، فقال :
يكفيك صاع ، فقال رجل :
ما يكفيني ، فقال جابر : كان
يكفي من هو أوفى منك شعراً
وأخبر منك ،

ثم أمنا في ثوبٍ .

٣ - حدثنا أبو نعيم قال حدثنا ابن
عينة عن عمرو عن جابر بن زيد عن
ابن عباس :

(1) Both witnesses were of a prohibited degree of affinity, Abu Salamah being ‘Asishah’s sister’s son and the other her foster-brother, and therefore there was no breach of decorum. The screen allowed only the upper part of her body to be seen, the sight of the lower part being forbidden even to relatives of prohibited degrees of affinity.

(2) — by Abu Ja‘far.

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للمؤلف ابراهيم مسهر الرمى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

ON GHUSL

(continued)

CHAPTER 3.

On performing the ghusl with a sâ° of water, or its equivalent.

1. We are informed by Abdullâh b. Muhammad, who had it from °Abd-us-Samad, who was told it by Shu°bah, who received it from Abu Bakr b. Hafs, who heard Abu Salamah say :

“ I and °A°ishah's brother (1) once entered °A°ishah's apartments, when he questioned her on the manner in which the Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to perform the ghusl. So she called for a vessel containing the equivalent of a sâ° of water, and performed the ghusl letting the water flow over her head.

كتاب الغسل (تابع ما قبله)

- ٣ -

باب الغسل بالصاع ونحوه :

١ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثني عبد الصمد قال حدثني شعبة قال حدثني أبو بكر بن حفص قال سمعت أبا سلمة يقول :

« دَخَلْتُ أَنَا وَأَخُو عَائِشَةَ عَلَى عَائِشَةَ ، فَسَأَلَهَا أَخُوهَا عَنْ غَسْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَعَتْ بِإِنَاءٍ نَحْنُوْا مِنْ صَاعٍ ، فَاغْتَسَلَتْ وَأَقَاضَتْ عَلَى رَأْسِهَا ،

(1) Foster-brother, namely °Abdullâh b. Yazîd Al-Basri, according to Muslim.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الروح الإسلامية ومدى تأثيرها

في النفس البشرية

- ٨ -

المقومات الخلقية

خلق الله الكائنات الحيوانية وطبع كل جنس منها على ما به تصان حياته الشخصية والنوعية ، وما عليه تقوم سعادته النفسية والمادية ، فهو يجري من محاولاته على قانون لا يتعداه ، وسنة لا يستطيع عنها حولا ، إلا الانسان فانه لقيام أمره على التعقل والاسترشاد ، ولارتباط كماله بتحرى الأصلاح والأفضل من الأمور ، أطلقت له حرية النظر والاستدلال والاختيار . وما خلقه الله على هذا النحو إلا لأنه قد بنى وجوده على الارتقاء والسمو الى درجات لا يصل اليها الخيال ، في كل ضرب من ضروب الكمالات الصورية والمعنوية ، حتى إن أبعد المتأملين خيالا عجزا عن معرفة الحد الذي يقف عنده في تدرجه الى الكمال .

وكيف يصلون الى معرفة هذا الحد ، وقد منح قوى عقلية وروحانية لا يمكن تقديرها بحال من الأحوال . فهو كلما وصل الى غاية تراءت له غايات أبعد منها ، وتيقظت فيه عوامل جديدة للوصول اليها ، ما كان يتخيل وجودها في نفسه . حتى قيل إن كل ما يروى عن الخوارق التي تحدث على أيدي أفراد من الممتازين ، ستصبح أمورا عادية لأهل الأزمان المستقبلية ، فيقرأ بعضهم ما يحول في ضمائر بعض ، ويعرف أحدهم ما يفعله صاحبه وهو على بعد آلاف من الأميال ، ويأمر القوى الطبيعية فتطيعه صاغرة ، ويرى بقلبه ما وراء الحوائل الكشيفة الخ الخ ، ويكون وهو في هذه الحالة قد بلغ من السمو الروحاني الى درجة لا يفترق بها عن سكان الملأ الأعلى في شيء .

ونحن لا نتعرض لهذه التخيلات بتصديق ولا تكذيب ، ولكننا نلفت القارئ الى ما تشير اليه من توقع الدرجات العلى للانسان ، من جراء ما تبين للباحثين من سمو القوى التى منعها ، وكان من أثرها فى آماذ قصيرة الوصول من الناحية المادية الى الدرجة التى وصل اليها الآن ، ومن الناحية الروحية الى ما يروى عن الآحاد الذين عنوا بترية أنفسهم على الأساليب الدينية الصحيحة .

هذا كله أثر الأخلاق والآداب التى يتبعها الانسان فى تدبير القوى المودعة صميم معناه . أقول فى تدبير القوى ، لأن الأخلاق والآداب المجردة من هذا التدبير لا تثمر شيئاً أكثر من حسن السمات ، ولطف المعاشرة ، وهذا ليس بكبير الخطر فى حياة الأمم ، ولا هو ما يغنى عنها شيئاً فى مواقفها حيال الطبيعة ، وحيال الجماعات التى تنازعها الوجود والغلب . فالانسان كما يطلب منه أن يكون على ضرب من الأخلاق إزاء معاشريه ومواطنيه ، كذلك يطلب منه أن يقوم على ضرب آخر منها أمام الجوائح الطبيعية المساورة له ، وحذاء الجماعات التى تزارحه فى مضمار الحياة . وهو إن انقاد لمجرد ميوله الفطرية فى هذه الأمور ، فلا يتأدى الى أكثر مما تأدت اليه الطوائف الساذجة فى أول وجودها على الأرض ، من تأليه القوى الطبيعية والاستخذاء لأفاعيلها ، وبذل الجهد كله فى مكافحة الجماعات المعادية لها ، والعمل المتواصل على إبادةها أو الفناء فيها .

هذا كل ما تعطيه الميول الفطرية غير المقوّمة تقويتاً علمياً ، وقد استمر الانسان على هذه الحال قروناً لا تحصى حتى ولد العلم ، فعين موقف الانسان من الطبيعة ومن الجماعات الانسانية ، كما عينه من المجتمع الذى يعيش فيه ، وألزمه فى كل موقف من هذه المواقف أخلاقاً وآداباً تناسب القوى العليا المودعة صميم معناه الانسانى .

هذا ما يفهمه العلم من كلتى أخلاق وآداب ، أما ما يفهمه البعض منهما وهو ما يقتصر على المخالطة والمعاملة ، فهو ناحية صغيرة من نواحيها ، وليست بذات أثر كبير فى وجودها وترقيها . فلو قامت أمة من أخلاقها وآدابها على مثل ما عليه الكلمة الأظهار ،

ولم توسع من دائرة هذه الأخلاق والآداب حتى تشمل سيرتها مع الكون الذي تعيش فيه ، والجماعات التي تنازعها العيش ، هان أمرها على أصغر أمة تعنى بهذه الناحية الثانية من الأخلاق ، وليست من الناحية الأولى على شيء .

فكم قبيل على مثل ما عليه الوحوش الضاربة من الخشونة والتجرد عن الأخلاق ، داهوا قبيل آخر في أسمى درجات الآداب ، فأذاقوهم صنوف الويل ، ومزقوهم شر ممزق ، وجعلوهم أحاديث .

وكم أمة لا يراعى آحادها الأصول الأدبية المثلى ، ولكنهم على أصول قوية حيال الوجود والأُم ، قد وصلوا إلى قمة المدنية المادية ، ومدوا سلطانهم على مساحات واسعة من الأرض ، ويجوارم أُم لا م لها إلا تدارس الآداب وتطبيقها وهي لا تغنى عن أنفسها فتبلا .

من هذا التناقض نشأت شبهات قوية على الحكم الأدبية ، وعلى الأديان معا ، ونجمت مذاهب سقيمة على معنى الحياة ، حتى لقد ذهب المتطرفون منهم إلى أن التقيد بالأخلاق الفاضلة ، والآداب العالية ، يعطل من نهوض الأُم ويمرقل حركاتها إلى الغايات القاصية من المدنية المادية . فزعموا أن إطلاق العنان للشهوات يدفع بالنفوس لطلب المزيد من المتع الجسدية ، وهذا الإطلاق يحفز إلى التوسع في استغلال المادة ، وإلى التفكير في وجوه تسخير قوى الكون للإرادة البشرية ، وهذا لا يكون إلا بدراسة العلوم وتطبيقها على العمل ، والتنقيب عن المساطر وحل معيانتها ، فجملة هذه الحركات النفسية والعلمية يدفع بالمدنية إلى الارتقاء ، والتحاق في أرفع آفاق الإبداع .

هذه شبهات يظنها هؤلاء الإباحيون حججا لتبرير مذهبهم ، والحقيقة أن المدنية ليست مدينة لواحد من هؤلاء الشهبانيين بشيء ، وما دعم قواعدها وأقام صروحها من علم وعمل وفن ، غير أفراد من خيار هذا النوع كانوا على جانب كبير من الاستقامة والنزاهة ، واصلوا أبحاثهم غير مدخرين مالا ولا صحة ، وكثير منهم ذهبوا ضحايا

لإخلاصهم لتجارهم . وأمثال هؤلاء يوجدون في كل مجتمع تتوافر لهم فيه شروط الحياة وحرية العمل . وإذا كان لثمرات قرائحهم خطر يهددها بالاجتياح ، فهو من ناحية أمثال هذه المذاهب الإباحية . فقد تسلطت على مدينتي اليونان والرومان وغيرهم فأبادتها ، وجعلتها أقاليم .

وإذا كان لا يمكن تقدم مادي بدون حافظ شهواني ، فكيف نشأت المدنية الاسلامية الباهرة في بيئة كلها أخلاق وآداب وسمو روحاني ، حتى صارت أساسا للمدنية الأوروبية الحاضرة ؟ وهذه المدنية الحاضرة هل يتوقع علماء الاجتماع تطرق الخراب اليها إلا من تفافق شر الشهوات فيها ، كما صرح به كبار قادتها ونقلناه عنهم في هذه المجلة ؟ فالأخلاق لأجل أن تكون كاملة ، وحاصلة على جميع مقوماتها الضرورية ، يجب أن تكون شاملة لكل ضروب المعاملات ، والانسان لم يطلب منه أن يعامل معاشيه ومواطنيه بحسب ، ولكن يطلب منه أن يعامل من يتصدى لمعاملته من الناس كافة ، بل ما يعرض له من الكائنات كافة ، فهو قبل أن يدعى لمعاملة مواطنيه دُعي لمعاملة نفسه وجسمه ، وما يحيط به من الموجودات ، ولما تعلق حاجاته بمخالطة الأمم ، والنظر في الأجرام السماوية ، والعناصر الأرضية ، تبينت له الحاجة الى نظام عام شامل من الأخلاق والآداب يستهدى به في كل هذه الضروب من المعاملات التي تدعوه اليها حياته وارتقاؤه .

وقد كفل الاسلام إقامة صرح هذا النظام الخلق العام على أقوى أساس من العلم والعمل ، حتى لا يتطرق الوهن الى بنية جماعته من أية ناحية من النواحي ، وحتى يصلح شطره المادي لحماية شطره الروحاني ، فلا يكون عرضة في كل دور من أدوار الاجتماع لأفاعيل الانقلابات الفكرية ، والتطورات النفسية . فقرر للانسان حيال كل ما يعرض له أخلاقا وآدابا . فجعله له منها مع نفسه ، أن لا يهينها ولا يعرضها للأمراض النفسانية ، وأن يعمل على السمو بها الى أعلى درجات الطهر والنبيل ؛ وبما سنه له منها

مع عقله ، أن يغذيه بالمعارف الحقّة ، وأن يوسع من دائرة تجاربه الى أقصى حد يمكنه الوصول اليه ؛ ومما فرضه عليه منها مع جسده أن يكرمه بالنظافة ، وأن لا يرهقه في عمل ، سواء أكان دنيوياً أم دينياً ، وأن يلتزم له الصحة من كل مظاهرها ؛ ومما أوجبه عليه مع الكون أن يتدبر آياته ، ويكشف عن مسائره ؛ ومع بني ملته أن يعتبرهم إخواناً ، وأن ينصفهم من نفسه ، وأن يعمل خيراً لهم جهده ؛ ومع بني نوعه أن يحسن اليهم ويبرهم ، وأن يعدل فيهم الخ الخ ، حتى لم يستثن من كل ما هداه اليه من أخلاق ، ما يجب عليه نحو الحيوانات العجم ، والجمادات الصم .

فهذه المجموعة من الأخلاق يقوم بعضها بعضاً ، وهي في ترابطها وتساندها يتألف منها سياق أدبي يسمح للأمة التي تأخذ به أن تدخل في جميع ضروب التطورات الاجتماعية والأدبية آمنة من الانحلال والتلاشي . وقد دل تاريخ المسلمين على صدق هذا النظر ، فإن المسلمين في جميع أدوار قوتهم لم يعترفوا ما عتري الأمم من التراخي في كياناتهم ، وإنك لتراهم وهم في أشد حالات ضعفهم يستعصون على جميع عوامل الانحلال . وهذا الأثر قد أدهش علماء الاجتماع ، فلافتن المدنية ، ولا غلبة الاستعمار الأجنبي ، ولا انتشار الجهالة في بعض بيئاتهم ، بصالحه لأن تحل رابطتهم الاجتماعية ، أو تعدو على حالاتهم النفسية . بل تجد أضعف جماعة فيهم عظيمة الثقة بالمستقبل ، قوية الإيمان بصلاحياتها لأن تسترد في يوم من الأيام مجدها الضائع على أكمل وجه . فهذه القوى المعنوية الضخمة في أشد الحالات الموجبة لليأس ، هي أثر ذلك السياق الخلقى المتين ، الذي برهن في كل عهد من عهود الانقلابات التاريخية ، على أنه من قوة الاحتمال بحيث تصطدم به أقوى عوامل التحليل فترتد عنه خاسرة .

لا جرم أن هذا أقوى بناء اجتماعي عرفه البشر منذ أن خلق الله العالم الى اليوم

محمد فريد ومدي

التفسير

سورة لقمان

- ٣ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ اِيْضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ . وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلى مُّسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَافٌ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ أَلْوَمٌ . خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) :

تضمنت فاتحة السورة الكريمة التنويه بآيات الكتاب تجأت عليهم بنورها وهداها ، حتى صارت كالحسوس يشار اليه ، ويشاهد ما فيه من مزايا تملأ القلب وتبهر اللب ، حتى صارت هي الجذيرة بأن تسمى الآيات حقا ، وانحصرت فيها الآيات لا تتجاوزها الى سواها . وأردف ذلك ببيان أنها هدى من الله العليم الحكيم ، ورحمة بالخلق من قبل الرحمن الرحيم ، فن حقا أن يتسارع الى اقتنائها والتحلي بحلالها . واستدرج الى بيان شأن من وهبه الله الاتفاف بهديها ، وأنه هو الحسن في عمله الذي ظهرت آثار الهداية على جوارحه ، فهو الذى يقيم الصلاة خاشعا لله ، متشرفا بعبوديته له ، وهو الذى فاضت الرحمة الالهية على قلبه فرزق العطف على الفقراء والمساكين ، فهو يعطيهم من مال الله الذى آتاه ، فيجمع القلوب على محبته ، ويبادهم حبا بحب ،

وإخلاصاً بإخلاص . ثم هو الذى امتلأ قلبه يقيناً بالآخرة ويوم الجزاء ، تيقن من ملاقاته ذلك اليوم العظيم ، يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، فهو على هذا اليقين دائم العناية بهذيب نفسه وتنمية حسناته وتنحية سيئاته ، وهو لهذا اليقين دائماً فى كمال روحى يتزايد ، وتهذيب نفسى وتطهير خلقى .

انظر هذا مع نظرك الى أولئك الذين طمس الله على قلوبهم فأعرضوا عن رحمة الله تهدى اليهم بلا أجر ولا ثمن ، وأقبلوا على لهو الحديث يشترونه ويبذلون فى طريق تحصيله ما يملكون :

هذا هو وجه ارتباط الآية الكريمة بسابقتها ، وهو ربط فى منتهى الإحكام ، ويشبهه قولهم : وبضدها تتميز الأشياء ، أو قولهم : إن الضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده . وعلى كل حال فإبراز طرفى الهدى والضلال ، وتطهير النفوس وتدنيسها والإقبال على النافع ، أكبر نفع يهدى الى الانسان بلا ثمن . وضده المعرض عن ذلك ، يتسكف الشاق ليحصل ما فيه ضرره وهلاكه ، ثم يبذل فيه من الثمن ما هو بحاجة اليه . وما أجل التعبير عنهم بعبارة « من الناس ! » كأن فى ذلك عجباً أى عجب أن يكون مثل هؤلاء من الناس .

روى فى سبب نزول هذه الآية أن النضر بن الحارث اشترى قينة مغنية ، وكان يرصد من يريد الاسلام فيدعوه الى قينته تطعمه وتسقيه وتغنيه ، ويقول له : هذا خير مما بدعوك اليه محمد صلى الله عليه وسلم من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه .

وروى أنه كان يخرج تاجراً الى فارس فيشتري أخبار الأعاجم وكتبها ، فيروها ويحدث بها قريشاً ، ويقول : إن محمداً صلى الله عليه وسلم يحدثكم بأخبار عاد وثمود وأنا أحدثكم بمحدث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة ، فيقبلون عليه ويستمعون للهوى . وروى غير ذلك ، ولا مانع من تعدد السبب .

والتعبير يشتري هو الحديث : إن حمل اللهو على كتب الأعاجم وأخبارهم فالأمر ظاهر ، وإن حمل على مشتري الجارية المغنية فوجهه أنه لما كان اشتراؤه لها لا سبب له إلا الاستمتاع بصوتها وغنائها ، فكان المشتري واقع على حديثها لا على ذاتها . وإذا فسرت يشتري بيجتلب ويحصل وأمثال ذلك فالأمر ظاهر ، والتعبير عنه بالاشتراء لأنه لما اتجهت رغبته اليه وبذل في سبيل الحصول عليه ما يملك ، سمي ذلك اشتراء ، وإلا فالحديث نفسه لا يشتري ، وإنما الشراء يتعلق بالذوات والأعيان .

ويؤخذ من الآية الكريمة النعى على من يقبل على هو الحديث ، سواء في ذلك القمص الخرافية التي لا يقصد منها سوى التسلية وقطع الوقت بلا فائدة ، أو الغناء المبهج لقوى الشهوات والمؤدي الى الوقوع في الرعونات . وكلما يخلو الغناء في زماننا هذا عن ذلك .

أما الغناء الذي يقصد منه فائدة مباحة كتغني الحداة لأبصارهم لتنشط في السير ، أو تغني أرباب المهن الشاقة تعاوناً على عملهم ، أو تغني النساء لترضية أطفالهن ، فأمثال هذه لا شك في حلها متى أمنت الفتنة من ورائها . ومثل ذلك التغني في الأعراس إشهاراً لها ، والتغني في الأعياد إظهار السرور بها ، فقد روى أن أبا بكر رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في حجرة عائشة ، وعندها جارتان تغنيان بالأشعار التي كانت قيلت يوم بعث — وهو أحد أيام الأوس والخزرج في الجاهلية ، وأصله اسم لموضع قرب المدينة ، وسمى به اليوم الذي حصلت فيه الموقعة — فانهز عائشة رضي الله عنها وقال : أمر مارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عليه الصلاة والسلام قد التف بكسائه واضطجع وولى وجهه نحو الحائط ، فقال عليه السلام : دعمهما فإنه يوم عيد . قالت عائشة : فلما غفل غمزتهما فخرجتا . ومعلوم أن الفتنة في هذه الحال مأمونة ، ولذلك قال عليه السلام : دعمهما ، مبيناً الحكمة بأنه يوم عيد .

أما الغناء تلهياً وتشهياً فلا شك أنه من هو الحديث الذي وقع التشنيع في الآية

على من يشتره ، ذلك أنه مظنة تهيج الشهوات ، وموقع في الرعونات ، وخارق للمروءات ، فكم يبدو على السامع الوقور من مظاهر الرعونة والخفة والطيش والخروج على حدود الوفاق ما لو رآه ذلك السامع من غيره لأنكره أتم إنكار ، وقد سئل بعضهم عن الغناء فأجاب هكذا : لو رأيت أن الله قد ماز الحق من الباطل في أى قسم يضع الغناء ؟

ويرى بعضهم أنه في ذاته لاحرمة فيه ، فإذا عرض له حرمة فليغريه ، كما يعرض له الكراهة لغيره ، بل كما يعرض له التذب أو الإباحة ، ذلك أنه يقول في نفس الغناء : هل خرج عن أنه كلام حسن حسنه حسن وقييحه قبيح ؟ كما قالوه في الشعر ، فلو أن المتكلم به قد معطى في ألفاظه ومدها ووزنها ورفع صوته به تارة وخفضه أخرى ما خرج بذلك الى الحرمة في شيء ، فلو أن القائل له كان حسن الصوت شجيها ما عرض له بحسن صوته حكم جديد ، فلا يختلف الحكم بين حسن الصوت وقبيحه ، ولكن إذا عرض له أنه هيج شهوة أو دعا الى فسوق أو نبه نفسا للشهر ، فالحرمة تعرض له من جهة ما عرض عليه من حالات .

فإذا كان لتسلية نفس حتى تهض بعملها ، وكان مساعدا على تنمية قوى النفس وتربية نشاطها ، اعتراه حكم ذلك العمل .

فلو كان لمعونة في سفر حرج أو سير لطاعة أو نحو ذلك كان مسنوناً . ومثله إذا كان الشخص من أرباب الأحوال التي تنشط فيها النفوس بالطاعة ، ويكمل لها الاتجاهات الشريفة حتى تصفو نفسه ويزداد تأمله ، فلا مانع من القول بسننيته حينئذ ، وإن كان ينبغى الاحتراس من أهل الدعاوى الكاذبة ممن احترفوا التصوف واعتبروه صناعة يرتزقون منها ، مستعملين التمويه والتدجيل على الناس ، وملحين في استنزاف ما بأيديهم ولو فقراء معدمين ليتمتعوا بلذات الطعوم ، فليحذر كل الحذر من هؤلاء وأمثالهم ، وليضرب على أيديهم لتخليص الناس من ترهاتهم وخزعبلاتهم ، فما كانوا إلا دجالين

ممخرقين ، يبرأ منهم الدين وأهل الدين ورب الدين . فالحال التي شرحتها إنما هي حال المرء في خويصة نفسه ، لا أن يتخذها صناعة يرتزق بها .
وقد يكون مباحا كما إذا تغنى متغزلا في حلال : من زوجة أو أمة ، أو متشوقا إلى صديق غائب ، مما لا يثير نزعة خبيثة .

وعلى كل حال فهو في ذاته من المباحات ، ويعرض له النهي بحسب ما اشتمل عليه من المفاسد والمحظورات ، فإذا ما تجرد عن ذلك كله فأقل أمره أنه هو لا يجدر بالثؤمن الذي ينبغى أن تكون الخشية أغلب أحواله والوقار سياج كماله أن يقارفه أو أن يولع به . فإذا كان في مركز يقتدى به فيه كان من المؤكد له الابتعاد عنه كل الابتعاد مهما كان لونه ، فربما رآه امرؤ وهو يسمع الغناء المباح فيأخذ منه أنه يستمتع الغناء وكفى ، فيتوسع من عند نفسه حسبما تقضى به شهوته ، فسد الذرائع يقتضى الامتناع لمثله على الإطلاق .

وقوله تعالى : « ليضل عن سبيل الله بغير علم » يلوح أن المشتغل باللهو على إطلاقه صاعد عن سبيل الله مهما كانت حاله ، وباستغراقه في ذلك تراه يدعو إلى مشاركتة في حاله ، لما في النفوس من استلذاذ المألوف والتعلق بها ، فتصرف نفسه عن العمل لآخرته كما يطلب منه ، ويدعو الناس إلى نبذها وطرح الاشتغال بها ، فيكون مضلا عن سبيل الله وهو لا يخطر له ببال أنه مضل ، فيكون « بغير علم » أي بغير شعور ، أو يصرف الناس عن سبيل الله إلى غيره بدون أن يكون عنده علم بتقدير ما صرف عنه وما صرف إليه ، مع أن السكياسة أنه ليس للماقل أن يصرف عن شيء إلا إذا علم أن في غيره خيرا منه ، فلمّا نزلت الآية على سبب النزول كان معنى « بغير علم » أي بدون أن يكون عنده علم يحسن به الاختيار ، ولا يكون الاختيار في محله إلا إذا صادفه العلم . ويجوز أن يكون « بغير علم » متعلقا بيضل ، أي أنه يضل بما يفعل عن سبيل الله وهو لا يعلم أنه يضل ، أو لا يعلم أن الذي يضل عنه هو سبيل الله .

وأياً ما كان فإن المتبادر من الآية أن النعم والتشنيع هو على من اشترى اللهو يقصد به الإضلال عن سبيل الله ، حتى يستحق هذا الوعيد والتشنيع ، وإلا فجرد اللهو قد يكون في المباحات ولا يستحق عليه العذاب المهين . أما إذا كان يقصد بلهو صد الناس عن سبيل الله ، أو صرف أفكارهم عن الاهتداء بهدى الله ، كما كان يفعل النضر ابن الحارث الذي تقدم الخبر في حقه ، فلا شك في استحقاقه العذاب المهين ، ولا سيما إذا لوحظ اقتراحها بقوله : « ويتخذها هزوا » فأى موجب لاستحقاق العذاب والهوان أكثر من الإضلال عن سبيل الله باللهو ، واتخاذها هزوا وسخرية ؟! وبذلك ترى أن الآية ليست صريحة في تحريم اللهو على إطلاقه .

ثم ضمير يتخذها عائد على سبيل الله لأن السبيل يذكر ويؤنث . وجوز بعضهم أن يكون الضمير راجعاً للآيات المذكورة في أول الآية ، وهو بعيد . وقد قرئ ويتخذها بالرفع عطفاً على يشتري .

هذا وإنما اختار وصف العذاب بالمهين ، لأنهم لما أعرضوا عن الآيات واستهزؤا بها وأضلوا عن سبيل الله ، فقد أهانوا الحق بالاستهزاء به وتقديم اللهو عليه ، فقد حقت عليهم كلمة الهوان ليكون الجزاء من جنس العمل . وقد سبق لنا القول مراراً بأن التعبير باسم الإشارة بعد ذكر المشار اليه بأوصاف ليكون اسم الإشارة محضراً له بالصفات التي اتصف بها كأنه مائل أمام السامع يشاهده بصفاته التي هي علة استحقاقه الحكم الذي بعد اسم الإشارة .

قال تعالى : « وإذا تتلى عليه آياتنا ولئى مستكبراً كأن لم يسمعهما كأن فى أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم » :

هذه حال لذلك المشتري فى بيان إعراضه عما فيه خيره بعد ما يئى اشتغاله بما فيه ضرره . وقوله : « تتلى عليه آياتنا » فيه تشنيع عليه من عدة وجوه : فقد جعل الآيات تتلى عليه أى تقرأ متوالية ، وقصد إسماعه إياها أخذاً من قوله : عليه ، وعبر

عنها بالآيات لبيان أن كل جملة منها آية دالة على صدق الرسول وحقية المنزل ، ثم أضيفت الآيات لضمير الحق جل جلاله ، مع بيان العظمة ، كل هذا ليصور حاله التعميس أبلغ تصوير ، ثم ماذا كان منه : أعارضها ، أطمعن فيها ، أعترض عليها ؟ كلا كلا لم يكن شيء من ذلك ، وإنما ولي منهزما أمامها ، إذ لا سبيل له الى مقاومتها ، ثم ليس ثوب الكبرياء وبالغ في التكبر ، ولا يبالغ المرء في التكبر إلا حيث يشعر بالصغار في قرارة نفسه ، فإن علة التكبر بالحقبة شعور النفس بالنقص والصغار ، فيتكلف الشخص مداراته ، فينفخ نفسه بمنفاخ الكبرياء ليوارى ذلك النقص الذي يحسه عن الناس ، ولذا قال الشاعر :

لا تجمع النفس بين الكبر والكبر .

وقوله : « كأن لم يسمعها » أى أنه في إعراضه وسده على نفسه طريق الانتفاع بها يشبه حال من لم يسمعها ، وإن كان هو قد سمعها وملأت قلبه ، حتى أخذ نفسه بمقاومتها ، وتكلف إحضار القيان ومشتري الأخبار ليصرف الناس عنها ، علما منه أنهم إذا سمعوها انطاعوا لها لا محالة .

وقوله : « كأن في أذنيه وقرا » أى صمما . وأصل الوقر الجمل الثقيل ، استعمل في الصمم ، ثم غلب فيه حتى صار كالحقيقة .

وقوله : « فبشره بعذاب أليم » : التبشير هنا مستعمل في ضده وهو الإنذار ، وحسنه من جهة أنه حين التعبير بلفظ بشره تتجه النفس الى ما به البشارة وتستشرف له الأذن ، حين يقرع سمعه ذلك العذاب الأليم يحز في نفسه حز لا مناص له منه . وكأن الإتيان بوصف أليم في هذا المقام لأنه لما تلذذ بما صرف الناس وتلهى بالأغاني والقصص الخرافية ، كان مستحقا في مقابلة تلك اللذائذ الباطلة أن يستوفي جزاءه من الآلام التي لا قبل له بها .

ومن الملاحظات اللطيفة في الآية الكريمة أنه أفرد الضمير في قوله : « يشتري

لهو الحديث « مراعاة للفظ مَنْ ، وجمع اسم الإشارة في قوله : « أولئك لهم عذاب مهين » نظرا للمعنى ، ثم عاد الى مراعاة اللفظ في قوله : « وإذا تتلى عليه آياتنا » . والسبب أن مبتدع هذا المسلك قد يكون واحدا ثم يشاركه غيره فيستحقون الجزاء معه . ومن السر في ذلك أن الألف يحسه كل واحد واحد في نفسه ، وأما الهوان فتشعر به المجموعة في مجموعها .

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم . خالدين فيها وعبد الله حقا وهو العزيز الحكيم » :

جرت عادة القرآن الكريم أن يردف آيات الوعيد والترهيب بآيات الوعد والترغيب ، حتى يكون العبد بين الرغبة والرغبة ، وحتى تستوفي الدعوة عواملها المؤثرة ، فإن من الناس من يؤثر فيه الإرهاب ، ومنهم من تعمل فيه عوامل الكرامة . وقوله : « لهم جنات النعيم » يمتاز عن قوله : نعيم الجنات ، بأمرين : (الأول) أنهم مالكون للجنات ونعيمها ، وقد يكون المرء متمتعا بنعيم شيء هو مملوك لغيره ، فإذا ملكه أيضا كان أكل في النعيم . (والثاني) الدلالة على أن النعيم قد عرف وظهر حتى عرفت الجنات بإضافتها اليه . وقوله : « وعد الله حقا » بالنصب على أنه مفعول مطلق أى وعدم الله وعدا حقا لا تخلف فيه . وقوله : « وهو العزيز الحكيم » أى فلا معقب لحكمه ، ويضع الأمر في نصابه .

نسأله تعالى أن يجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات حتى يكون لنا جنات النعيم !
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأئمة وعلى آله وصحبه وسلم
ابراهيم الجبالي

محمد صلى الله عليه وسلم

فى تقدير المنصفين من قادة الأفكار فى أوربا (١)

لجأ محمد الى المدينة فاستقبل فيها بالترحاب ، وبدأ تلاميذه يحتفون به ، فاصبح رأسا لمملكة ، ولكن أعداءه المكيين أجمعوا على تعقبه حيث ذهب ، وهم الذين كانوا يضطهدون ويعذبون أشياعه الأولين . فتقصده فى كنائب كثيرة العدد وهو فى قلة من الجنود ، فكانت وقعة بدر ، فلجأ الرسول الى مولاة وهو يقول : « رب إذا كنت قدرت أن تهلك هذه الطائفة القليلة من الرجال فلا يبق من يعبدك حق عبادتك »

كانت المعركة حامية الوطيس ، وهبت عاصفة هوجاء من الرمال والحصباء كانها جاءت تقاتل مع المسلمين ، فآتاهم الله النصر بفضل القوى التى أمدهم الله بها ، فكان هذا النصر دليلا لأصحابه بأن محمدا رسول الله حقا . كانت هذه أول مرة سمح فيها محمد باراقة الدماء دفعا لغارة شنت عليه . وكان أعداؤه يدعون به بالتأثب لشدة رحمته وفرط شفقتة . ولكنه كان من هذه الحادثة يقوم بمهمة رئيس لمملكة ، وقائد لجيش ، يدرك ما عليه من التبعات لأصحابه المؤمنين به ، ولم يكن فردا غير مسئول ، يحسن به أن يصفح عن الأذى الذى يوجه اليه . فقد حان الوقت الذى أصبح فيه باعتبار أنه حاكم لأمة مضطرا لأن يعاقب على الجرائم التى طالما صفع عنها وهو رجل بسيط ، ذلك لأنه لم يكن كما تخيلوه رجلا ضعيفا مسخرا لعاطفة نفسية . بعد انتهاء معركة بدر لم ينفذ حكم القتل إلا فى رجلين ، أما من بقى من الأسرى فقد عوملوا بأمر النبي بكل إحسان ، على الرغم من عادة العرب إذذاك ، فكان المسلمون يؤثرونهم بالخبز ويكتفون هم أنفسهم بالتمر .

ثم عقب هذه الحرب سنوات من المكاشفات والاضطرابات ، وصعوبات أخرى حدثت فيها منازعات بين أصحاب النبي ، وزاد فيها عدد الأعداء المحيطين به . هنا مجال لذكر مظهر جميل أحب أن أقف أمامه هنيئة ، فقد كانت حدثت موقعة انتهت بانتصار النبي ووزعت مغانمها ولم يصب الذين طال عهد محبتهم للنبي شىء منها ، فاستاءوا من حرمانهم ، فخاطبهم النبي قائلا : « أخبرت يا معشر الانصار بما دار بينكم من حديث . إني عند ما جئت إليكم وجدتمكم هائمين فى ظلمات الجهالة ، فهداكم الله بي الى سواء السبيل . وكنتم فى شقاء فأسعدكم بي ، وكانت الأحقاد تتأجج نيرانها فى قلوبكم فلاها حبا أخويا ووفق بينكم . اليس هذا حقا ؟ أجيبونى . »

(١) هذا المقال نابع لما قبله مما كتبه زعيمة الصوفية العالمية السيدة (انى بيزانت) راجع العديدين

فقالوا : نعم كل ما قلته حق لا مربة فيه ، ونحن نعترف بفضل الله علينا ورسوله .

فقال لهم النبي : « لا والله ، فقد كان في وسعكم أن تحيوني بغير هذا ، وكان جوابكم يجيء صحيحا لأنني أشهد أنا نفسي بصحته .

« كان في وسعكم أن تحيوني بقولكم : لقد جئت البنا طريدا كما يفعل بالكذبة والخراصين فأمننا بك ، وأقبلت إلينا إقبال المتنجي الذي لا مناعة له ، ففرزناك ونصرناك ، وأتينا فقيرا مضطهدا فأويناك ، ووافيتنا كاسف البال لا صاحب لك فواسيناك . لا أدري لماذا تتكدر قلوبكم من فوت حطام هذه الدنيا ؟ ألم يرضكم أن ينال غيركم الشياه والابل ، ويكون حظكم أن تعودوا بي الى بيوتكم ؟ فوالذي نفسي بيده إنى لا أترككم . وإذا سارت الانسانية كلها في طريق ، وسارت الانصار في طريق آخر لاتبعتمهم ، رضى الله عنهم وبارك فيهم ، هم وأبنائهم وأبناء أبنائهم . »

قال ناقل هذا التاريخ : فبكي هؤلاء المحاربون البواسل ، وسالت مدامعهم حتى بلت لحام وصاحوا قائلين :

« نعم يا نبي الله إتنا راضون بنصيبنا » (١) .

فيا إخواني الهنود الذين لا يعرفون شيئا عن النبي العربي العظيم ، ألا تشعرون ببيانه الساحر ، وبالقدرة العظيمة التي كانت له في قيادة الرجال وسوقهم لتحمل الألام ومواجهة الموت الزؤام حبا فيه ، وفي استبقائه هذا الحب في قلوبهم في خلال القرون ؟ ومع كل هذا فقد كان محمد يتشدد في تنبيههم الى أنه بشر مثلهم ، وأنه واحد منهم ، حتى أن الحب العظيم الذي تأثروا نحوه به لم يتطور الى تأليهه .

استمرت الحال على ما رأيت مدة عشر سنين ، وبعدها حانت نهاية هذا الدور . فلما تمت الصلاة وكانت تؤدي من قيام في المسجد ، كان النبي ضعيفا الى حد أنه لم يستطع أن يقف على قدميه ، فأقبل على والفضل فسنده من جانبيه ، ورفع صوته الضعيف وقال : « أيها المسلمون إن كنت قد أسأت الى أحد منكم فهأنذا مستعد لاصلاح إساءتي إياه ، وإن كنت مدينا لواحد منكم بشيء مهما حقر قدره فكل ما أملكه فهو لكم » .

فقال أحد الحاضرين : إنه دائن له في ثلاثة دراهم ، فدفعت له . وهذا آخر دين يؤديه محمد في هذه الأرض ، وهذا أيضا كان آخر حضور له الى المسجد ، فقد طلب ليعود الى مقره ، فان مهمته كانت قد تمت . فأخذ يدعو الله وهو ممدد على فراشه ، وأخذ صوته يضعف يسيرا

يسيرا حتى لم يبق منه إلا خمس خافت . وفي السادس من شهر يونيو سنة ٦٣٢ ترك النبي جسده الأرضى وذهب يراقب من عالم أعلى من هذا العالم الديانة التي أسسها وقام على الدفاع عنها . فما أكرم هذه الحياة وأنبلها ! حياة عجيبة هي حياة رسول الله حقا . وكانت في الوقت نفسه حياة بسيطة زاهدة مخبئة . كان هذا الرجل يرفع يده ثيابه البالية ، ويضع المسامير في لعليه بنفسه ، بينما كان ألوف من الرجال يحنون رؤوسهم أمامه باعتبار أنه نبي ، وكان هو يعامل باللطف والاحسان كل الذين يحتفون به . ولقد صرح خادمه أنس بأنه التحق بخدمته عشر سنين فما قال له « أف » قط .

هنالك تهمتان خطيرتان توجهان الى النبي : أولاها أنه تزوج وهو في سن متقدمة بتسع نسوة . هذا صحيح ، ولكن أيسوغ لك أن تدعى ، مستندا الى هذا وحده ، بأن الرجل الذي تزوج وهو في عنقوان الشببية ، ولم يكن له من العمر أكثر من أربع وعشرين سنة ، بامرأة تكبره في السن الى مدى بعيد ، وبقي وفيها لها مدة ست وعشرين سنة ، ينقلب وهو في الخمسين ، حيث تحمد سورة الشهوات ، شهوانيا ، فيتزوج منقادا لعوامل الرغبات البهيمية والنزغات الجسدانية ؟ كلا ! لا يجوز أن يحكم بهذا الأسلوب على حياة الرجال ، لأنك إن تعرفت حال النساء المختلفات اللاتي تزوج بهن ، وجدت أنه قصد بواسطة الارتباط بكل واحدة منهن أن يوجد رابطة بينه وبين قومها ، أو أن يحصل خيرا لا تبعاه من ورائها ، أو أن تكون تلك المرأة في حاجة ماسة الى الحماية .

ثانية التهمتين : قولهم : إن محمدا كان يدعو الى الجهاد ، وإبادة الكافرين ، وإراقة دماهم ، على طريقة وحشية . ويغيب عن هؤلاء الناقدين ، أن الاصوليين من المسلمين قرروا أنه إذا وجد أمران في موضوع واحد ، أحدهما مطلق مثل « اقتلوا الكافرين » ، والآخر مقيد مثل « اقتلوا الكافر إذا هاجمكم » ، ولم يرد أن يترككم أحرارا لأداء شعائركم الدينية » ، فإن هذا التقييد يسرى على الامر المطلق . وهذه القاعدة قد جرى عليها العمل في فهم القرآن ، وأيدتها السنة العملية للنبي نفسه . وإني لا أقول ذلك من تلقاء نفسي حتى لا تظنوا أنني أتكلم على طريقة المحامين . ولذلك فاني ساردة عليكم نصوص المذهب الذي نشره محمد في حياته . فقد رأيناه يصرح في حق الكافرين بما يأتي :

« قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين . وقتلواهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير . وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم ، نعم المولى ونعم النصير » (السورة الثامنة الايات ٣٩ و ٤٠ و ٤١) وفي موضع آخر من القرآن : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . وإن عاقبتهم فعاقبوا

بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهُو خير للصّابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ، ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» (السورة السادسة عشرة الآيات من ١٢٥ الى ١٢٨) وفي موضع آخر أيضا : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » (السورة الثانية الآية ٢٥٦) . « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فانما هم في شقاق » (السورة الثانية الآية ١٣٧) .

وقد جاء في الكتاب تعريف جليل القدر لمن يعتبر كافرا : جاء فيه « والكافرون هم الظالمون » (السورة الثانية الآية ٢٥٤) .

هؤلاء هم أهل سوء ، ولا يراد بهم البعيدون عن الديانة الاسلامية ، لأننا سنرى أن الاسلام في عرف النبي لا ينحصر في أتباعه وحدهم ، فقد جاء في الكتاب : « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم ، وألقوا اليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » .

فهل من العدل أن تتناسى كل هذه القواعد التي بنيت في معمعان الحروب والمكائلات والاضطهادات ، وأن تقتصر على التنويه بالعبارات التي قيلت لثفت روح الشجاعة والاقدام في طائفة قليلة العدد ، وهي عبارات يفوه بمثلها كل قائد وهو يسير الى المعركة قدما ؟ هذا هو تعليل ما فاه به النبي من الأوامر المطلقة .

فلننظر الآن كيف جاءت سيرته الشخصية مطابقة لتعاليمه القولية : إنه لم يسيء اليه أحد قط إلا قابله بالعمو والمغفرة ، ولم توجه اليه إهانة إلا لاقاها بالصفح الجميل .

فيأياها الاخوان (تخاطب من يصغون الى محاضرتها) أحذركم أن تنظروا الى رجل من هذا الطراز من خلال حجاب من الآراء الموروثة . لا تتخلو ديانة قط من أخطاء ، ولا تنتزه سيرة ما لاى رجل من انحرافات (١) . فان المشايخين الجهال كثيرا ما يخطئون في فهم أمور يكون رسولهم قد فاه بالحقيقة فيها . فاحكوا على الاديان بالنظر الى سيرة أرقى منبليها ، لا الى انحرافات أحط الآخذين بها . إن جربنا على هذا عرفنا كيف يجب بعضنا بعضا كاخوان ، وكيف لا يبغض بعضنا بعضا على طريقة الغلاة المتعصبين . (يتبع)

محمد فريد وجرى

(١) مجلة الأزهري : هذه العبارة ترجمناها حرفيا من بحث الدكتور المحاضرة وهي تتحمل تبعه اطلاقها .

هل يقع الطلاق في الحيض

استفتاء موجه لحفزة صاحب الفضيلة الشيخ الدجوى وجوابه عليه

زعم بعض أن الطلاق لا يقع في الحيض ، فرد عليه بحديث عبد الله بن عمر المروى في موطأ الامام مالك ، فأجاب بأن هذا الحديث لا يصح الاستدلال به للطعن في بعض رجاله ، والامام مالك لسلامة ضميره لم يفتن لذلك .

فارجو من فضيلة مولاي القول الفصل في هذا الموضوع ؟

عبد الحكيم عبد الرحيم

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

أما بعد : فهذا الرجل من أجهل الجاهلين بالامام مالك ، وفيما قاله أغلاط فاحشة كما سيتضح لك ، فإن الحديث لم يروه مالك فقط ، بل رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم ، فهو حديث متفق عليه .

ومن العجب العاجب قوله : « إن هذا الحديث لا يصح الاستدلال به للطعن في بعض رجاله » فكأنه أعرف بالرجال من مالك ومن البخارى ومسلم وغيرهم . وليت شعري من ذلك المطمعون فيه الذى لم يعرفه مالك ، مع أنه لم يذكر في هذا الحديث بعد مالك إلا نافع وعبد الله ابن عمر وعمر بن الخطاب ؟ !

أما عمر فهو الذى وافق ربه في مسائل كثيرة معروفة ، وقد كان من المحدثين (١) وإذا سلك نجا سلك الشيطان نجا آخر ، كما في الاحاديث الصحيحة ، فاندع الاسهاب والاطناب .

وأما عبد الله بن عمر فهو صحابى جليل من أكابر الصحابة وعلمائهم وأهل الفتوى فيهم ، وقد شهد له صلى الله عليه وسلم بالصلاح ، كما في الحديث الصحيح .

وأما نافع فهو من أجل التابعين ، حتى قال البخارى : « إن أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر » . وصرح كثير من المحدثين أن هذه السلسلة هي سلسلة الذهب .

وأما مالك فهو مالك وكفى .

ولندكر لك ما قيل في أصح الاسانيد :

قال أبو داود : « أصح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك عن نافع عن ابن عمر ، ثم مالك عن الزهري عن سالم عن أبيه ، ثم مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . فأنت تراه قد ذكر مالكاً في كل ما قال إنه أصح الأسانيد ، وبدأ بروايته عن نافع ، فإذا تقول لذلك الجاهل بعد هذا ؟ »

ولنذكر لك رواية الموطأ لتكون على بصيرة منها ، فانها لم تذكر بنصها في السؤال : « حدثني يحيى عن مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مره فليراجعها فليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء أمسكها بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء . »

ولا نطيل بذكر الروايات الأخرى التي جاءت في البخاري وغيره . وقد رأينا أن نذكر لك شيئاً عن مالك وما قاله أئمة هذا الشأن فيه لتعرف الى أى حد وصل جهل هذا القائل . ولكن لا عجب ، فقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن من علامات الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها . وقد قال في آخر هذا الحديث الذى أخرجه الترمذى وغيره : « فليترقبوا عند ذلك رجلاً حمراء وخسفاً أو مسخاً وقذفاً . وماذا ننتظر من ذوى الجهل المركب الذين حرموا العلم الذى يقفهم على الحقائق وينأى بهم عن الترهات ، والعقل الذى يرشدهم الى أن ذلك يضرهم ولا ينفعهم .

وسر تلك المجازفات أنهم توهموا أنهم يذكرون بذلك بين الناس ، وقد غفلوا عن أنهم إذاذكروا فأنما يذكرون على نحو ما ذكر الاعراب في قوله تعالى : « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم . » وما أجدنا أن تتمثل بقول القائل :

إن العصافير لما قام قاعها توهمت أنها صارت شواهينا

وقد جاء في بعض الآثار : لا تقوم الساعة حتى يتكلم الرويبضة (والرويبضة الرجل النافه الحقيير) .

ألا إنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

وقد قالوا قديماً « لو سكت من لا يعرف لارتفع النزاع . »

وهاك نموذجاً من احتياط الامام مالك وتحريره :

قال ابن القاسم وهو من اجل أصحابه : كان مالك يقول : « ربما وردت على المسألة فأسهر فيها

عامة ليلتي ». وقال ابن عبد الحكم : كان مالك إذا سئل عن المسألة قال للسائل : انصرف حتى أنظر ، فينصرف ويتردد فيها ، فقلنا له في ذلك ، فبكي وقال : إني أخاف أن يكون لي من المسائل يوم وأى يوم ! وقال ابن وهب : قال مالك : سمعت من ابن شهاب أحاديث كثيرة ما حدثت بها قط ولا أحدث بها . وقال الشافعي : كان مالك إذا شك في الحديث طرده كله .

أما شهادة العلماء له فشيء كثير لا يسعه هذا المقام ، وهاك قليلا منها ، ولنبدأ بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له على ما رآه أجلة العلماء :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تضرب الناس أكباد الابل في طلب العلم . وفي رواية : يلتمسون العلم ، فلا يجدون عالما أعلم ، وفي رواية : أفقه من عالم المدينة » . وفي بعضها : آباط الابل مكان أكباد الابل . وقد رواه البخاري عن ابن جريج موقوفا على أبي هريرة رضى الله عنهم ، ومحمد بن عبد الله الانصاري عن ابن جريج أيضا مسندا ، وهو ثقة مأمون . وخرجه أيضا النسائي في مصنفه مرفوعا الى أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يضربون أكباد الابل ويطلبون العلم ولا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة . ورواه أيضا أبو موسى الاشعري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال سفيان : نرى أن المراد بهذا الحديث مالك بن أنس . وفي رواية عنه كنت أقول هو ابن المسيب حتى قلت كان في زمان ابن المسيب سليمان وسالم وغيرهما ثم أصبحت اليوم أقول إنه مالك . وقال ابن جريج وعبد الرزاق : نرى أن المراد به مالك ، إنه لم يوجد لغيره من علماء المدينة من تقدمه أو جاء بعده من الرواة والآخذين عنه مثل مالك ، وقد أبلغ بعضهم الرواة عنه أني راو . وليعلم أن طلبة العلم لم يضربوا أكباد الابل من مشرق الأرض ومغربها الى عالم ولا رحلوا اليه من الآفاق رحلتهم الى مالك .

فالناس أكيس من أن يمدحوا رجلا من غير أن يجدوا آثار إحصان

وقال سفيان بن عيينة لما بلغته وفاته : ماترك على الأرض مثله . وكان يقول : مالك سراج الامة ، ومالك حجة الله ، وإنما كنا نتبع آثار مالك . وقال الشافعي : مالك أستاذي وعنه أخذت العلم . وكان يقول : جعلت مالكا حجة بيني وبين الله ، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب . وقال بقية بن الوليد : ما بقي على وجه الأرض أعلم بسنة ماضية ولا باقية من مالك . وقدمه أحمد بن حنبل على الاوزاعي والثوري والليث وحماد والحكم في العلم ، وقال : هو إمام في الحديث والفقه .

وقال ابن مهدي وهو من كبار الحفاظ الذين كان يعظمهم الشافعي كل التعظيم : ما بقي على وجه الأرض آمن على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك .

وقال العقبي : ما أحسب مالكا بلغ ما بلغ إلا بسريرة بينه وبين الله تعالى . وقال أبو زرعة وهو من كبار رجال الحديث : لو حلف رجل بالطلاق على أحاديث مالك التي في الموطأ أنها صحاح كلها لم يحنث . وقال بعضهم من أبيات كثيرة :

تفرق شمل العلم في كل تابع فكل امرئ منهم له فيه مذهب
 فخلصه بالسبك للناس مالك ومنه صحيح في المجس واجرب
 فبادر موطأ مالك واستجل ما به فما بعده إن فات للحق مطلب
 ودع الموطأ كل علم تريده فان الموطأ الشمس والغير كوكب
 جزى الله عنا في موطاه مالكا بأفضل ما يجزى اللبيب المهذب
 لقد فاق أهل العلم حيا وميتا فصارت به الأمثال في الناس تضرب
 ولا بأس أن نذكر لك شيئا مما امتاز به مذهب مالك ولا نكاد نراه في غيره :

ذلك أن الامام مالكا يتوسط في الأمور ، كسألة اللبس : توسط فيها بين الشافعي والحنفي ؛ وكذلك مسألة السجود القبلي والبعدي ؛ وكذلك قراءة المأموم في السرية دون الجهرية ؛ وكذلك عدد الجمعة ، مع ماله من الانظار البعيدة ، كالصالح المرسلة التي يطول الكلام فيها .

ولنختم هذا المقال بشيء وجيز من كلامه رضي الله عنه :

كان يقول : « لا خير فيمن يرى نفسه بحالة لا يراه الناس لها أهلا » وكان يقول : « ما جالست سفها قط » وكان يقول : « لم أجد في الناس أقل من الانصاف فأردت المداومة عليه » . وكان يقول « كتبت بيدي مائة ألف حديث » . وكان يقول : « لقد ذهب حفظ الناس ، ما استودعت قلبي شيئا قط فسينته » . وكان يقول : « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه ، لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين (وأشار الى المسجد) فما أخذت عنهم شيئا ، وإن أحدهم لو أوتعن على بيت مال لكان أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن » . وكان يقول : « لا يكون إماما من حدث بكل ما سمع » . وكان يقول إذا جاءه أحد من أهل الأهواء : « أما أنا فعلى بينة من ربي ، وأما أنت فشاك فاذهب الى شاك مثلك فخاصمه » . ثم يقرأ « هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » .

أما توقيره لحديث رسول الله فما سارت به الركبان ، قال عبد الله بن المبارك : كنت عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلدغته عقرب ست عشرة مرة ، ومالك يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس ، قلت : يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا ، فقال : نعم إنما صبرت لإجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم !

ومما يلتحق بذلك انه دخل يوما على الرشيد فحنه على مصالح المؤمنين وقال له : لقد بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان في فضله وقدمه ينفخ لهم عام الرمادة بالنار تحت القدور حتى يخرج الدخان من تحت لحيته رضى الله عنه ، وقد رضى الناس منك بدون هذا .

هذا قليل من كثير ، فالى الله المشتكى من زمان اختلط فيه الحابل بالنابل ، ولم فيه الجهل ، وبخس فيه الفضل ، واضطر كثير من العلماء الى السكوت وملازمة البيوت لأسا من الاصلاح ، طالين أننا في آخر الوقت الذى يصير فيه المنكر معروفا والمعروف منكرا كما في الحديث . ولا بأس أن ننشد في هذا المقام قول الشاطبي ، وزماننا أصعب من زمانه ، وأقل أعوانا ، والمصلحون فيه أخرج مكانا ، ومع ذلك يقول :

بليت يا قوم والبلوى متنوعة بمن أداريه حتى كاد يردني
دفع المضرة لا جلب لمصلحة خسبي الله في عقلى وفي ديني
أسأل الله أن يصلح حال الأمة المحمدية ، وأن يعلى كلمة الحق ويكثر أنصاره ، ويعرفنا
قدر أسلافنا الماضين بمنه وكرمه ؟

يوسف الدهوي
من جماعة كبار العلماء

بلاغه الخلفاء في العفو

روى أنه لما حج المنصور مر بالمدينة فقال لحاجبه الربيع : على بجعفر بن محمد ، فأحضره ، فلما مثل بين يديه سلم عليه .

فقال أمير المؤمنين : لا سلم الله عليك يا عدو الله ! تعمل على الغوائل في ملكي !
قال جعفر : يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف ظلم فغفر ، وأنت على إرث منهم ، وأحق من تأسى بهم .

فنكس المنصور رأسه مليا ، وجعفر واقف ، ثم رفع رأسه فقال له : الى أبا عبد الله ، فانت القريب القرابة ، وذو الرحم الواشجة ، السليم الناحية ، القليل الغائلة ، ثم صاخه بيمينه وطاقه بشماله وأجلسه معه على فراشه ، وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسأله ، ثم قال يا ربيع عجل لأبي عبد الله كسوته وجأزته ، وأذنه .

من أحسن ما قبل في الاعتذار من الذنب قول صريع الغواني :

إن كان ذنبي قد أحاط بحرمتي فاحط بذنبي غفوك المأمولا

الاخلاق النظرية

- ١ -

مقدمة تمهيدية

لما كانت الأخلاق هي روح الحياة ، وضوء عين الانسانية ، وقبس النور في هذا الوجود المظلم ، وسر المبدع الأول الذى قذف به في قلوب بنى البشر منذ اللحظة الأولى لوجودهم ، فقد سار الانسان الأول على ضوئها ، واهتدى بهداها ، وأخذ يبتذلها ، وينقش فوائدها في رهوس أبنائه وأحفاده الذين خلقوا على أتم استعداد لقبول هذه النصائح ، لأن البارئ جل وعلا قد منحهم من السر التوراني مثل ما منح أبويهم الأولين . غير أن هذا الأب الأول أمر بنصحهم ليحفظهم مما عساه أن يحول تيار إرادتهم الى ناحية الشر ، لاسيما وأنه قد علم أن النفس البشرية متأثرة بموامل مختلفة تخضع لأحدها تارة وللثاني تارة أخرى .

وما زالت الانسانية سائرة على هذا النهج يلبى بعض أفرادها صوت الضمير الأعلى فيسلك سبيل الهدى والرشاد ، ويدعن البعض الآخر لقوة الشهوة أو التوحش فيهوى في حضيض التماسه والشقاء .

وما انفك الأبناء يرثون عن الآباء ويقلدون الاخوة والرفاق في خيرهم وشرم ، وينسجون على منوالهم المختلفة التي هي مزيج من حسن الحياة وقبحها ، وخليط من بياض الفضيلة وسواد الرذيلة ، والتي لا يصلح نظام الوجود إلا بتسييرها على هذا النسق المعتدل الحكيم .

هذا كله بالنسبة الى الأخلاق أو التخلق ، أما علم الأخلاق فلم يأخذ مكانه تحت الشمس ، فيما نعلم الى الآن ، إلا في عهد الفلسفة اليونانية التي انتهى بها الأمر

في عهد «سقراط» الى احتضان الأخلاق واعتبارها غصنا من أم أغصان دوحها . وما زال هذا الوليد يدرج ويتزعم في حضن أمه الروم (الفلسفة) ويلاق من سقراط وتلاميذه وغيرهم منذ القرن الخامس قبل المسيح الى اليوم رعاية تختلف كثرة وقلة باختلاف العقليات والبيئات والعصور . وهذه هي الدورة التي سأطوف معكم بها في سرعة لتقفوا على تطورات هذا العلم منذ نشأته الى العصر الذي نعيش فيه الآن ، ولكني أريد أن أذكر لكم تعريف علم الأخلاق وموضوعه وغايته قبل أن نعرض لهذه السلسلة التاريخية لعلم الأخلاق ، ليكون سيرنا طبيعيا ، ولتكونوا في تتبعكم هذه الدورة الموجزة على بينة من هذا العلم المتشعب المسالك والطرق .

تعريف علم الاخلاق وموضوعه وغايته :

قرأت تعريفات كثيرة لعلم الأخلاق ، بعضها لفلاسفة الفرنجة من يونانيين وألمانين وفرنسيين وإنجليز ، والبعض الآخر لمن كتبوا مؤلفات في علم الأخلاق من محدثي المصريين والسوريين . ولكني رأيت أن كل هذه التعاريف غير دافعة للحاجة ولا وافية بالنرض المراد ، إذ ألفت بعضها ناقصا ، والبعض الآخر مظلما أو هادفا للنقد والاعتراض .

والىكم نموذجا من هذه التعريفات الأوربية :

عرف بعضهم علم الأخلاق بأنه : « علم الخير » لأنه يفرق بين الخير والشر ، ويميز بينهما تميزا يحمل الانسان على اعتناق الأول والنفور من الثاني .

وعرفه آخر بأنه : « علم الواجب » لأنه يهديننا الى ما يجب علينا عمله ، ويشتمل دائما بوضع زمام الحياة البشرية في يدي الواجب .

وحده ثالث بأنه : « علم فن الحياة السعيدة » لأنه يقود الى السعادة الناشئة من استراحة الضمير .

وعذر هؤلاء الأخلاقيين في نقص تعريفاتهم وظلمتها واضح ، لأن هذا العلم ليس من العلوم المادية التي يسهل حدها ، بل هو علم نظري يحوى في داخله مسائله ميداناً فسيحاً للجدل والنقاش ، ويحتمل الأخذ والرد كبقية أغصان شجرة الفلسفة ، غير أنى اعتزمت ، بالرغم من هذه الصعوبة ، وبعد الاطلاع على أكثر ما كتبوه في هذا الشأن ، أن أنقب جهد طاقى عن تعريف يبرأ — بقدر المستطاع — مما دار بخلدى أو جاء في كتب النقاد من الاعتراضات والإشكالات . وأخيراً قر رأيت على أن أضع لـعلم الأخلاق هذا التعريف وهو : « علم نظري أومعيارى يبحث بواسطة قانون داخلى عما بين أعمال بنى الإنسان الإرادية من خير أو شر ، وعن نواياهم العامة » . ونعنى بقولنا : إنه علم ، أنه ليس بفن ، وإن كان تطبيقه فى الخارج يعد من الدخول فى باب الفنون . والعلم هو مجموعة مسائل مرتبة منظمة تنفى عن المحيط بها جهلاً نسبياً . ولما كانت قوانين الأخلاق كذلك فقد سميناها علماً . ونعنى بقولنا : إنه نظري أومعيارى ، أنه ليس وصفيًا ولا تجريبياً أو وضعياً وإن كان تطبيقه فى الخارج يقربه نوعاً من فصيلة العلوم التجريبية . ونقصد بقولنا : إنه يبحث بواسطة قانون داخلى ، أنه لا يستمد عناصر نظرياته من ظواهر الطبيعة المادية ، ولا يخضع لأوامر وضعية ، وإنما هو يتلقى مبادئه ومواده من ذلك الضمير الداخلى أو الصوت الروحى الأسمى .

ومعنى قولنا : إنه يبحث عن أعمال بنى الإنسان الإرادية ونواياهم العامة ، أنه لا يهتم إلا بالأعمال المقصودة للفاعل أى التى سبقها نية حرة شاعرة بالإذعان للواجب بصرف النظر عن النتائج الناشئة من هذا العمل .

من هذا التعريف يتضح جلياً موضوع علم الأخلاق وغايته القصوى ، إذ نستطيع أن نقول : إن موضوع هذا العلم هو أعمال بنى الإنسان الإرادية ونواياهم العامة من حيث خيريتها وشرتها الأديتان ، أو استبطان هذه الأعمال الإرادية واكتناها دواخلها ومعرفة حظ الإذعان للواجب منها .

أما غاية هذا العلم فهي الخير الأسمى ، والوصول عن طريق الفضائل الى المثل الأعلى والكمال الانساني .

يظهر مما قدمنا لعلم الأخلاق من تعريف وموضوع وغاية ، ما بينه وبين علمي النفس والاجتماع من روابط واتفاقات ، ومن فوارق واختلافات سنوضحها هنا ، ولكن بعد أن نفرق بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية ، ونبين الدور الذي يمثله كل من القسمين على مسرح الحياة البشرية ، وبعد أن نلقى نظرة عاجلة على تاريخ الأخلاق منذ نشأتها (كعلم منظم) الى اليوم .

دكتور محمد غنوب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

البلاغة في الاعتراف والاستعطاف

لما سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داود ، قال له : يا يعقوب .

قال : لبيك يا أمير المؤمنين تلبية مكروب لموجدتك .

قال : ألم أرفع من قدرك إذ كنت ضيعا ، وأبعد من ذكرك إذ كنت خاملا ، وألبسك من نعمتي ما لم أجد لك بها يدين من الشكر ؟ فكيف رأيت الله أظهر عليك ، ورد اليك منك ؟

قال يعقوب : إن كان ذلك بعلبك يا أمير المؤمنين فتصديق معترف منيب ، وإن كان مما استخرجته دقائق الباغين فعائد بفضلك .

فقال أمير المؤمنين : والله لولا الحث في دمك بما تقدم لك لألبستك منه قميصا لا تشد عليه زرا . ثم أمر به الى الحبس .

فتولى يعقوب وهو يقول : الوفاء يا أمير المؤمنين كرم ، والمودة ترحم ، وأنت بهما جدير . ولما رضى الرشيد عن يزيد بن مزبد أذن له في الدخول عليه ، فلما مثل بين يديه قال : الحمد لله الذي سهل لي سبيل الكرامة بلقائك ، ورد علي النعمة بوجه الرضاء منك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين في حال سخطك جزاء المحسنين المراقبين ، وفي حال رضائك جزاء المنعمين المتطولين ، فقد جعلك الله ، وله الحمد ، تثبت تخرجنا عند الغضب ، وتمتن تطولا بالنعم ، وتستبقى المعروف عند الصنائع تفضلا بالعفو .

الادب بين الفن والفضيلة

خصومة قديمة بين الفن والفضيلة تنازعت الادب فأثرت فيه أثرا كان يبدو حيناً في جانب الفن، وحيناً آخر في جانب الاخلاق والفضائل، وكأن هذه الخصومة ضرورة قداقتضتها طبيعة الادب باعتباره المعبر عن الأغراض، الواصف للحقائق، واقتضتها طبيعة الفن باعتباره المصور لظواهر الوجود كما هي في غير خداع أو تزوير، واقتضتها طبيعة الفضيلة باعتبارها غاية من غايات الخير الذي تدعو إليه الاديان السماوية، والاخلاق الكريمة.

وقد كان الادب العربي ميدانا لهذا النضال الممتع، لأن الفن أراد أن يكون الادب ريشته الفنية المصورة ليخرج بها صورا من أفانين الحياة كما خلقها الله من الحسن والقبح، والخير والشر، وهدفه الذي يرمى إليه في هذا التصوير هو الصدق في وصف الحقائق أيًا كانت عاقبتها، ولكن الفضيلة أثبت على الفن موقفه هذا من الادب كل الابداء، وأنكرت أن يكون الادب وسيلة من وسائل تحبيب الشر للناس تحت ستار الفنية، بل يجب أن يكون الادب سبيل إصلاح، وداعية خير وتهذيب.

نلمح هذا الاثر أولا في الادب الجاهلي، فالشعراء الذين لم يتصلوا كثيرا بالحياة الحضرية التي فيها من نظام الاجتماع والاوضاع الدينية ما يسمو بالفضيلة الى مكان التقديس بل عاشوا في حياة طليقة من قيود الاجتماع والدين والاخلاق، كانوا الى جانب الفن أميل. والشعراء الذين عاشوا في حياة تعرف للدين قداسته، وللأخلاق حرمتها، كانوا الى جانب الفضيلة أقرب، فامرؤ القيس حينما يقول في إحدى قصائده:

محموت إليها بعد ما نام أهلها ستمو حجاب الماء حالا على حال
وصرنا الى الحسى ورق كلامنا ورضت فذلت صعبة أى إذلال

إنما ينجح الى الفن يحكمه في شاعريته التي أبرزت هذه الصورة في قالبها الفني البديع، وليس للفضيلة وجود في ثنايا هذا الكلام الدعر الخليع. وعدي بن زيد حينما يقول:

وتبين رب الخورنق إذ أشرف ف يوما وللهدى تفكير
سره حـاله وكثرة ما يـملك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبـطة حى الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والامـة وارتم هناك القـبور
ثم أضـحوا كأنهم ورق جـف فالوت به الصبا والدبور

إنما يستوحى الفضيلة الماثلة في نصرانيته التي كان يدين بها ، والتي من أسسها الدعاية الى الزهد في الدنيا ولذاتها . ولو راح إنسان يوازن بين الاسلوبين في الصياغة لوجد مجال الفرق واسعا بين الشاعرين ، فصاحب الفن سما الى ذروة البراعة في الأسلوب الشعري الجميل ، وصاحب الفضيلة استطاع أن يكون واعظا في أسلوبه ، يجمع الى العبرة باللغة ، العظة النافعة في صياغة هي الى الكلام أقرب منها الى الشعر ، وهذا النحو تجده كثيرا في الشعر الجاهلي ، وهو في أغلبه أميل الى الفن منه الى الفضيلة . ولو قرأت شعر الأعشى في خمرياته ، وشعر النابغة في اعتذارياته ، ثم قرأت شعر أمية بن أبي الصلت في دينياته لرأيت أن الاعشى والنابغة كانا فنيين ، وأن أمية كان داعية دين وشاعر فضيلة حتى أفسد عليه الحسد فطرته المتدينة ، فأعاده الى فنية حائقة مغيبة لم يستقم لها الأداء الشعري كما استقام لغيره من الشعراء الفنيين .

ونلج هذا الأثر — ثانيا — في الأدب الاسلامي ، لحسان بن ثابت شاعر فني حينما كان يقول الشعر طليقا من قيود الدين والاجتماع ، وهو شاعر الفضيلة والخلق الكريم حينما كان ينساجع عن الدين ، ويتحدث عن فضائله ، روى صاحب الموشح عن الأصمعي أنه قال : « طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والاسلام ، فلما دخل شعره في باب الخير من مرثي النبي صلى الله عليه وسلم وحمة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم ، لان شعره ، وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس ، وزهير ، والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمدح والتشبيب ... وصفة الحر والخيل والحروب والافتخار ، فاذا أدخلته في باب الخير لان » . وهذا الخطيئة أدرك الاسلام ، ولكن بشاشة الايمان لم تخالط قلبه ، فبقى على جاهليته في شعره ، وكان من أجزل شعراء عصره عبارة ، وأصفاهم ديباجة ، حتى إن الأصمعي يقول فيه : ليس من شعر تريد له عيبا إلا وجدته ، خلا شعر الخطيئة ، وليس له في ميدان الفضيلة خطوة إلا فلتة لسان كقوله :

من يصنع الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وله في الهجاء أعاجيب ، فقد هجا من أحسن اليه ، ومن أساء ، وهجا أباه وأمه ، وزوجه ونفسه ، وهو في كل ذلك شاعر فني يبلغ الغاية في تصوير ما يريد .

ونلج أيضا هذا الأثر — ثالثا — في الأدب العباسي ، ذلك العصر الذي تذبذبت فيه الروح الادبية ، فطورا تطلق لها الحرية إطلاقا ، تذهب في فنون القول كل مذهب ، لا يزعجها دين ، ولا يصدها خلق ، ولا يمنعها سلطان ، وفي ظلال تلك الحرية الجارحة نشأ بشار بن برد وأبو نواس ، ووالبة بن الحباب ، ومسلم بن الوليد ، وأضرابهم ، وأنشأوا فنههم المرذول خلقيا ، وطورا تتحرك عوامل السياسة ، وقيود النظام الاجتماعي ، ودوافع الدين في نفوس الحاكمين فيقفون دون هذه الحرية الجارحة ليردوها الى ساحة الفضيلة فتأتي إلا أن تتحاي

فى سبيل الرجوع الى طبيعتها الفنية فى شىء من الاف والدوران ، كما يقول أبو نواس ، وهو معروف المذهب :

أيها الرأخان بالأموم لوما لا أذوق المدام إلا شميا
نالى بالسلام فيها إمام لا أرى لى خلافة مستقيا
فاصرفاها الى سواى فاقى لست إلا على الحديث نديما
كبر حظى منها إذا هى دارت أن أراها وأن أشم النسيما
فكأنى وما أزين منها قعدى يزين التحكيميا
كل عن حمله السلاح الى الحـرب فأوصى المطيق ألا يقيا

وإذا لم ترض الفضيلة منه بهذه الروح المتأرجحة فى غوايتها ، وثب وثبا الى مقام التقى والبر فقال :

أخى ما بال قلبك ليس ينقى كأنك لا تظن الموت حقا
ألا يا بن الذين فنوا وبادوا أما والله ما ذهبوا لتبـقى
وما أحد بزادك منك أحظى وما أحد بزادك منك أشقى
ولا لك غير تقوى الله زاد إذا جعلت الى اللهوات ترقى

هذا مذهب المتقين الأبرار ، أو العتاهيين الدهاة ، وأبو نواس رجل لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وإنما هى الرهبة قادتة الى سلوك هذا الطريق ، والذى يلحق بنظرة موازنة بين أسلوبه فى هذه الأبيات الوعظية الدينية التى تمثل جانبا من الفضيلة ، وبين أسلوبه فى شعر إحساسه ومذهبه المعروف يدرك أن هذه الأبيات الوعظية ليس فيها من حرارة الصدق فى الاحساس والشعور شىء .

وهذا الحد من الحرية ضرورى فى كل زمان لحماية الدين والاخلاق من عبث الاباحية ، ولكنك خسارة على الادب وفنونه ، لانه يفقده الاحساس الصادق والوضوح فى العواطف والتزمات النفسية . قال القاضى أبو بكر الباقلانى فى كتاب إنجاز القرآن : « وشبهوا الخط والنطق بالتصوير ، وقد أجمعوا على أن من أحذق المصورين من صور لك الباكي المتضاحك ، والباكي الحزين ، والمتضاحك المتباكى ، والمتضاحك المستبشر »

والاديب الذى يتحدث للرغبة أو للرغبة من العسير عليه أن يكون أمينا لفنه ، وإن استطاع أن يكون ماهرا ، والمثل الأعلى للأديب أن يكون ماهرا وأمينا معا ، والتعبير عن الفضيلة إحساس بالحياة من جانب الخير والنقاء والحق والنور والجمال النفسى ، والأدب قد يكون تعبيرا عن الفضيلة ، وليس هو الفضيلة ، وفرق بين الأمرين ، والتمييز بينهما مهمة المصلحين ، فاذا رأوا أدبا يعبر عن فضيلة قالوا عن صاحبه : هذا أديب فاضل حكيم يحب الفضيلة

ويجربى على سننها ، وإذا رأوا شرا قالوا : هذا أديب شرير ماجن ، أو مقذع فاجر ، يهوى الرذيلة ويحبذها . قال قدامة بن جعفر فى كتاب نقد الشعر : « وعلى الشاعر إذا شرع فى أى معنى كان من الرفعة ، والضعفة ، والرفث ، والزهادة ، والبذخ ، والقناعة ، والمدح ، وغير ذلك من المعانى الحميدة أو الذميمة ، أن يتوخى البلوغ من التجويد فى ذلك الى الغاية المطلوبة . وأحسب أنه اختلط على كثير من الناس وصف الشعر بوصف الشاعر ، فلم يكادوا يفرقون بينهما »

وخلاصة الرأى أن الفضيلة شرعة الاخلاق والديانات ، والحرية الكاملة شرعة الادب الكامل ، وقد يتلاقيان فى روح الادب الممتاز بسمو شعوره ونقاء عبقريته إذا صادف بيئة فاضلة .

صادق ابراهيم عرجون

فضيلة التواضع

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من تواضع لله رفعه » فالتواضع المشروع لله لا للخلق ، وليس معنى هذا ان يتواضع المرء لله ويتكبر على الخلق تحت ستار حفظ الكرامة ، أو إظهار الاستغناء عنهم ، فلكل مقام حال يجب أن يراعى .

وقال عبد الملك بن مروان ، ورفعته الى النبى صلى الله عليه وسلم : « أفضل الرجال من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة » .

وقال ابن السماك لعيسى بن موسى : تواضعك فى شرفك أكبر من شرفك .

وقالت الحكماء : كل نعمة يحسد عليها صاحبها إلا التواضع .

وخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويده على المعلى بن الجارود العبدى ، فلقينته امرأة من قريش ، فقالت له : يا عمر ! فوقف لها . فقالت له كنا نعرفك مدة صميرا ، ثم صرت من بعد صمير عمر ، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين ، فاتق الله يا ابن الخطاب وانظر فى أمور الناس ، فانه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشى الفوت .

فقال المعلى : إيه يا أمة الله ، فقد أبكيت أمير المؤمنين !

فقال له عمر : أسكت أتدرى من هذه ؟ هذه خولة بنت حكيم التى مع الله قولها من سمائه ،

فعمر أخرى أن يسمع قولها ويقتدى به .

وقال أبو عبيد : ما جلس الى رجل قط إلا خيل الى أنى أنا جالس اليه .

وسئل الحسن عن التواضع فقال : هو أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيت له

الفضل عليك .

الاسلام والطب الحديث

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّفْثَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُّخْلَقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَتُقَرَّفُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلاً ، ثُمَّ لْتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ، وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتُوفَى ، وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعَمَلِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمِ شَيْئٍ » . (سورة الحج الآية ٥)

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي قَرَارٍ مُّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ » . (سورة المؤمنون الآيات ١٢ — ١٤)

« أَمِنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ » . (سورة النمل الآية ٦٤)

« أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ، ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » . (سورة العنكبوت الآيتان ١٩ و ٢٠)

« اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ » . (سورة الروم الآية ٥٤)

« مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعْنَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » . (سورة لقمان الآية ٢٨)

« الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » . (سورة المجدة الآيات ٧ — ٩)

« إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ » (سورة يس الآية ١٢)

« سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَنْبَتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ » . (سورة يس الآية ٣٦)

« يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثَ ، ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ » (سورة الزمر الآية ٦)

« أنذا متنا وكنا ترابا ، ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ » .
(سورة ق الآية ٣ و ٤)

« وقد خلقكم أطوارا » « والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا » .
(سورة نوح الايات ١٤ و ١٧ و ١٨)

« ألم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه في قرار مكين ، الى قدر معلوم ، فقد رنا فنعم القادرون » .
(سورة المرسلات الايات ٢٠ — ٢٣)

« اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق » .
(سورة العلق)

« يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم » .
(سورة الزلزلة)

« وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » .
(سورة الاسراء الآية ١٣ و ١٤)

« ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .
(سورة الاسراء الآية ٣٦)

« ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما مصلوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا » .
(سورة الكهف الآية ٤٩)

« حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء » . (سورة فصلت ٢٠ و ٢١)

« وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه » .
(سورة الروم ٢٧)

هذه الايات الكريمة يفسر بعضها بعضا ، وبعضها لا بد أنه كان صعب الفهم على العرب وقت نزوله ، وهو ما زال كذلك ، إلا إذا نظر اليه على ضوء العلم الحديث ، وسيزداد وضوحا بلا شك كلما تقدمت العلوم .

إن العالم الكبير إذا دعى لمخاطبة أطفال أو جهلاء فإنه يخاطبهم على قدر عقولهم ، ولكن لا يقول إلا حقا ، وعند الضرورة يقول الحق كله ، ولذا قد يسمعون بعض ما لا يفهمونه ، فإن تكلم عن تعريف القاهرة مثلا ، فقد يقول : إنها عاصمة القطر المصري أحد ممالك إفريقيا ، مع أنهم قد لا يعرفون معنى « لإفريقيا » ولكنهم يفهمونها بعد أن يزيد رشحهم . ويرى العالم أن التعريف بدون لفظة إفريقيا ناقص ، وسيظهر نقصه لهم في المستقبل .

كذلك الحال في بعض آيات الكتاب الكريم ، فالقرآن ليس كتاب طب أو هندسة أو أى علم من العلوم ، ولكنه ، وقد رد على أسئلة المشركين ، كان يجيبهم على قدر عقولهم ،

على أنه لا يقول لإحقا ، فالأمة العربية التي كانت في أعلى درجات الفصاحة آمنت به وبما أمكنها فهمه من آياته ، وما لم يمكنها فهمه ردت الى المجاز ، أو آمنت به إجمالا ، ولو لم تفهم تفصيله ، لوئوقها أن كل ما جاء في القرآن هو من عند الله تعالى .

أما من خلفوا الأمة العربية بعد ذلك فقد قلت فصاحتهم وزاد إدراكهم ، فهم يحكون علمهم ، ولا يصدقون ما لا ينطبق عليه ، وقد كشف العلم الحديث عن معنى بعض الآيات ، وسينكشف الباقي منها كلما تقدمت العلوم ، ثم يأتي وقت يكون فيه العلماء الماديون أقرب الناس الى الدين .

وفي الآيات القرآنية المتقدمة كثير من الحقائق التي لم يعلمها العلماء إلا بعد مرور ألف سنة على الدين الاسلامي « سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . هذه الآيات تجيب بصراحة على أربعة أسئلة مافتى الانسان ، الجاهل والفيلسوف ، يبحثان عنها كل منهما على قدر عقله :

١ — كيف بدى الخلق أى كيف خلق أول إنسان ، وكيف يخلق باقى المخلوقات .

٢ — تطورات الجنين .

٣ — حياة الانسان على الأرض وبعد الموت .

٤ — النشأة الثانية أو البعث والحساب .

١ — بدأ الله الخلق من طين ، ولم تتقدم العلوم لتثبت ذلك ، وسيأتى الوقت الذى يثبت فيه هذا حتما « قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » وكل ما يقال عن مذهب النشوء والاتقاء ومذهب « دارون » الخ ، لا يزال فى دور التجربة ، ولم يثبت منه شئ بصفة قاطعة أبدا ، وبما يسهل فهمه أن خلق أول المخلوقات هو من نفس المادة التى يخلق الله منها جميع المخلوقات ، وقد أخبرنا القرآن أنها من ثلاثة أشياء :

(ا) مما تفتت الأرض .

(ب) من أنفسهم .

(ج) مما لا يعلمون .

(ا) فالجسم الحى ينمو بأن يحول ما يأكله الى جزء حى من جسمه ، وهذه هى أهم مميزات الحى ، وما يأكله الطفل حتى يصير رجلا لا يخرج عن كونه مأخوذا من الحيوان أو النبات . والحيوان أصله من النبات ، فالشكل مأخوذ من النبات الذى ينمو من مواد الأرض والهواء . وهكذا يكون جسم الانسان كله من الطين الذى يتحول بقوة الحياة فيه كما يتحول الماء الى بخار بقوة الحرارة .

(ب) « من أنفسهم » أى من النطفة التى تمنى .

(ج) « مما لا يعلمون » تفسرها سورة السجدة « ثم سواء ونفخ فيه من روحه » فهناك شئ آخر هو « الروح » وهو خارج عن الطين ، وقد تقدمت علوم المادة حتى ظن العلماء أن المخ والغدد ذات الافرازات الداخلية تقصر كل أفعال الانسان ، ولكن كثيرا منهم أخذ يعترف بأن هذا لا يكفى ، وذهب فريق الى أن بعض الاشعة الكونية النائية قد يكون له تأثير فى المادة الخفية « وما زلنا لا نعلم » كثيرا مما يقع بين علماء المادة ، وعلماء المادة والروح من سوء تفاهم ، فيقول الأولون : إن المخ إذا أصيب بمرض تأثرت القوى العقلية بل الاخلاق وغيرها الخ . وهذا دليل على أن المادة هى كل شئ ، ومن المدهش أن من أكبر العلماء من يحتاج بذلك على أنه لا وجود للروح ، مثل « كيث وسمث » وغيرها ، والحقيقة أن المادة ضرورية لظهور شئ خفى عنا ، ومثلها مثل عدة المسرة « التليفون » فانها ضرورية لسماع صوت من يتكلم ، وإذا أصيبت المسرة بضرر اختل الكلام ووقف ، ولكن المسرة ليست منشأ الكلام مطلقا ، وقد أقنع شرلوك هولمز كثيرين من معارضيه بذلك . وهذا لا يثبت طبعا وجود الروح ، ولكن يجعله ممكنا ، وهذه هى آخر درجة معرفتنا أو بالأحرى « جهلنا » والمهم أنه لم يظهر شئ للآن يتناقى مع هذه الآيات .

والله جلت قدرته يخاطبنا على قدر عقولنا ، ويتكلم عن النشأة الأولى وعن بدء الخلق ، كانه تعالى قد اختص بيده الخالق فقط مع أن الله بدأ الخلق وسن السنن الالهية الطبيعية ، (ومنها خلق الكون كله) التى لا تبدل فيها أبدا لى تكفل وجود النوع الانسانى مادامت السموات والارض . وهكذا يكون معنى خلق آدم عليه السلام بعد خلق السموات والارض والسنن الالهية ، خلق العالم كله الى النهاية التى أرادها الخالق وقت بدئها ، وإذا كان صانع « الاوتوموبيل » عند ما يأتى بالمواد الخام التى يستعملها يتصور فى مخيلته شكل الاوتوموبيل النهائى وسرعته الخ مع أنه لا يتحكم فى الحوادث التى قد تطرأ عليه ، ويجهل كثيرا منها ، أفلا يعلم الخالق الأول كل ما سيكون عند بدء الخلق مع أنه واضع السنن كلها ، وهذه السنن لا تتغير أبدا ، فالحقيقة أن الله بدأ الخلق ، والله خلق كل شئ ، وهذا هو معنى الآيات « ما خلقكم ولا بعنكم إلا كنفس واحدة » و « يخلقكم فى بطون أمهاتكم » الآية .

٢ — تطورات الجنين : يقول تعالى : إنه يكون أولا نطفة ثم يصير علقة . وصحيح أن شكله يكون مستطيلا مثل العلقة تماما ، ويستمر كذلك فى الأربعة الأسابيع الأولى تقريبا ، وإذا عرفنا أن طوله حينئذ لا يزيد على خمس السنتيمتر الواحد ، وأنه لا يميز بالعين المجردة تماما ، وأن أول ميكروسكوب عملت فى سنة ١٦٨٣ أى بعد ألف سنة من نزول القرآن ، عرفنا أنه كلام الله تعالى .

على أن الجنين يصير بعد ذلك مستديرا بغير انتظام ومكورا ، ويبقى كذلك بضعة أسابيع

وقد سماه الخالق مضغة لكثرة الشبه بينه وبين قطعة اللحم الممضوغة ، وبعدها تظهر العظام واللحم (العضلات) التي تتصل بها كما وصفت تماما .

ويعلمنا القرآن أن الجنين له ثلاثة أغشية سماها ظلمات ، هي الغشاء المنباري ، والخوروبون ، والغشاء اللفائقي (الترجمة من قاموس الدكتور شرف) مع أنها لا تظهر إلا بالتشريح الدقيق ، وتظهر كأنها غشاء واحد بالعين المجردة .

وقد ظهر للعلماء أن تاريخ الانسان الجنيني هو تاريخ للحياة منذ بدئت على ظهر الأرض ، فهو أولا يشبه الحيوان ذا الخلية الواحدة ، ثم ذا الخليات المتعددة ، ثم يشبه الحيوانات المائية والحيوانات ذات الثديين الخ ، وتاريخه مذهب النشوء والارتقاء ، وقد لخص القرآن ذلك في قوله : « وقد خلقكم أطوارا »

٣ — حياة الانسان والموت .

٤ — بعثه وحسابه .

أدوار حياة الانسان كما وصفها الكتاب الكريم :

لقد وفي هذه المسائل حقها من البحث الدكتور محمد عبد الحميد بك في مقالاته ، وأما الموت فقد شبهه الله بالنوم ، وما أعظم الشبه بينهما ، والنوم هو موت جزئي للأعضاء ، وكما أن النائم يستيقظ كما يشاهد ، كذلك الميت أيضا يستيقظ ولو لم يشاهد ، إلا بإذن الله وعلى أيدي الأنبياء ، ومن لم يشاهد ذلك يجادل ويقل : كيف نبعث ثانية بعد أن نكون عظاما وترابا ؟ والله يجيب على ذلك بقوله : إن الانسان خلق من طين ، وإنه يعلم ما يدخل في تركيبه علما تاما « ألا يعلم من خلق » « قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ » وبهذا يمكنه أن يعيده سيرته الأولى . وتحول المادة من شكل الى شكل ، ولكنها في صندوق الكون لا تفنى أبدا ، وكما أن الماء لا يفنى بتحويله الى ثلج أو بخار كذلك يتحول الطين الى نبات وحيوان ثم الى جسم إنسان ، ثم الى التراب ثانيا ، ثم يعيده الله كما كان .

وقد علمتنا العلوم أن معنى « كتاب حفيظ » ليس بالمعنى المعروف ، ولكنه سجل أدق وأوفى . والانسان الضعيف قد صنع آلات تسجل من نفسها ، والله صنع هذا الكون كله كآلة عظيمة تسجل كل شيء . « كتاب حفيظ » فالانسان إذا تكلم انتشر صوته في الفضاء كله دون أن يشعر ، بل قد أمكن الانسان أن يسجله ويستعيده عند الحاجة بعد زمن طويل (الراديو والفونوغراف) .

وكما أن الصوت يسجل تسجيلا ، أفلا يكون ذلك بالنسبة لكل حركاته وسكناته ، بل قد يتقدم العلم ، ونعرف أن أفكار الانسان يمكن قراءتها على بعد كبير بل يمكن تسجيلها ، فالانسان جسم صغير في آلة كبيرة دقيقة حساسة تتأثر وتسجل كل حركات هذا الجسم وما يطرأ عليه لتستعيده عند الحاجة .

وقد شبه الله هذا التسجيل بأثر القدمين التي يعرفها العرب جيداً ، فقال « إنا نحن نحى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » وهذا هو كتاب الكون الذى يقول الله فيه : « لا يضل ربى ولا يندى » و« شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون » . ويقولون : « لم شهدتم علينا ؟ » فتقول : « أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون » ويقولون « يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً » . وسيرى الانسان أعماله نفسها فى المرآة ، ويرى صورة دقيقة لكل أفعاله وأفكاره كما كانت تماماً ، فهو نفس المتكلم ونفس الفاعل « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » .

والسنن الطبيعية علمتنا أنه لا يوجد شيء فى هذا الكون بلا فائدة ، فالانسان مع ضعفه قد استخدم السنن الطبيعية وأمكنه أن يسجل الصوت ويستعيده بعد زمن طويل ، أفلا يكون هذا دليلاً على أن التسجيل لا بد أن يكون لمهمة كبرى ، وأن الطبيعة لا تسرف أبداً « إنا كل شيء خلقناه بقدر » فالله يسجل كل حياة الانسان ليستعيدها يوم البعث ، وهذا أهون من بدء خلق الانسان ، فالنشأة الثانية إعادة وهى أهون من الأولى ، وهما بالاضافة الى قدرة الله تعالى سيان ، كما قال الله تعالى : « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » . وهكذا نرى القرآن لا يبالغ أبداً كما نفهم من معنى المبالغة فى كلامنا حتى فيما لا ندركه تماماً .

وقد يقال إن إحياء الموتى قد يكون فى المستقبل على يد أطباء مع أن الله يقول « إنا نحن نحى الموتى » وذلك لما يقرؤه الناس أحياناً فى الجرائد عن إحياء الميت ورجوع الحياة اليه بعد وقوف علامات مثل التنفس والنبض . والحقيقة هى أن هناك فرقاً كبيراً بين الموت العادى كما يفهم الناس من وقف الاعضاء عن العمل كعدم اشتغال المخ أو وقوف القلب ، وبين الموت العلمى الحقيقى ، وهو لا يكون بوقوف عمل الأعضاء فقط ، ولكنه يكون بموتها ، ولو أخذ القلب من ميت عادى بعد وقوف ضرباته ووضع فى محلول مخصوص لاستأنف ضرباته كما كان فى جسم الانسان من بضعة ساعات ثم يموت ، ولا يمكن أن يضرب بعد ذلك مهما عمل فيه ، وهذا هو الموت الحقيقى الذى يتحلل بعده الانسان الى عناصره الأولى . وقد يتوصل الطبيب ، وقد توصل أحياناً ، الى إعادة الحياة فى الميت العادى ، أى أن القلب يعود فيضرب مدة قصيرة بعد وقوفه ، وقبل أن يكون قد بدأ فى التحلل أى قبل موته الحقيقى . وأما أن العلم يصل الى إعادة الحياة بعد التحلل فهذا مستحيل لانه لا فرق بين إعادة الحياة الى جسم ميت تماماً ، وبين إيجاد حياة فى الجماد مثل الطين .

دحض شبهات عن الاسلام

مضت فترة من الزمان لم نتعقب فيها ما نشره الكاتب الفرنسي أندريه هرفيه من شبهات على الاسلام ، وقد وصلنا الى شبهته السادسة ، فنذكرها ملخصة ، ونكر باردا عليها على نحو ما فعلناه بسابقاتها . قال :

الشبهة السادسة :

إن نجاح العرب في فتوحاتهم العظيمة لا يعلى من قيمتهم ، فإن الفاتحين من أمثال أتتلا وجانكيز خان قد أخضعوا شعوبا كثيرة ، ولكنها ليست مدينة لهم بمدنية .

رد هذه الشبهة :

يريد المسيو أندريه هرفيه أن يقول إن مثل العرب في توسعهم في الفتوحات ، وبسط سلطانهم على الأمم ، كان كبطل الهونيين والتتار الذين قادم أتتلا وجانكيز خان لمجرد الفتح والتسلط . ولما كان هذان الفاتحان قد أتيا على كل عامر فأخرباه ، وكل أهل فأفقراه ، ولم يكن مهمهم من الفتوح إلا سفك الدماء ، وسلب الأموال ، فنحن نسأل المسيو أندريه : هل هو بالقياس الذي أتى به يريد أن العرب كانوا على هذه السنة في تحطيم العمران ، ونشر الذعر في كل مكان ؟

إنه لم يشر الى هذا الأمر لأنه لا يقوى على مناهضة الحقائق التاريخية الى هذا الحد ، ولكنه أراد أن يقلل من عظمة هذه الفتوحات المحيرة للعقل ، حتى لا يستنتج منها الناظرون أنها تدل على فضائل نفسية ، أو على عبقرية حربية ، ومحاولة منه أن يجرد العرب المسلمين من كل مزينة إنسانية ، فإن نهضتهم الفجائية تحت تأثير تعاليم الاسلام ، بعد أن كانوا قبائل ممزقة الأوصال ، وأوزاعا لا تجمعها رابطة ، ولا تؤلف بينها أسرة ، غير أهل لأن يعيشوا في عقر دارهم أحرار آمنين ، حتى وقعت أخصب بقاعهم تحت سلطان الفرس والأحباش والرومانيين ، قلنا فإن نهضتهم الفجائية هذه لا لأن يساوا الأمم في تألفها وتكافلها لغضب ، ولكن لكي ينقلبوا فاتحين متغلبين ، قد أدھشت جمهرة المؤرخين ، وحيرت عقولهم أجمعين . ومما زاد في دهشهم وحيرتهم أن هذه الطائفة التي نهضت هذه النهضة الباهرة ، لم تنن أمام أية قوة ضخمة بليت بها من لدن الفرس والرومانيين ، الذين حارب في صفوفهم حتى العرب الذين كانوا لسلطانهم خاضعين .

فهذه الفتوحات قد اعتبرت أطروفة التاريخ الانساني لأنها حدثت على غير السنن المعروفة ، وقامت بمهام عالمية في سنين معدودة ، لم تأت بمثلها الأمم العريقة في الوحدة الاجتماعية ، والنظم الحربية . فقد جمعت في أقل من ثمانين سنة بين أقطار كان يحجب بعضها وجود البعض الآخر ،

في القارات الثلاث الكبرى ، آسيا وأوروبا وأفريقيا ، وانتظمت في سلك امبراطورية موحدة ، لا تزال أحكامهم فيها مضرب الامثال الى يومنا هذا ، حتى قال أقرب المؤرخين الينا وهو جوستاف لوبون في كتابه تمدن العرب : « لم ترزق الارض بفاتحين أكثر رحمة بالمقهورين من العرب المسلمين » . وقال المؤرخ المشهور (سديو) الفرنسي : « لقد نشر المسلمون العلم والمدنية حيث وطئت أقدامهم » .

ومما لم يمهّد في تاريخ الفتوح الانسانية ، وأصبح أمجوبة العلم الاجتماعي ، أن شعوبا دعت المسلمين لفتح بلادها ، والحلول محل المتغلبين عليها ، لما آتسوه فيهم من العطف على المقهورين والبر بهم .

فهل يصح أن يقارن المسيو أندريه هذه الفتوحات التي كانت خيرا وبركة على الشعوب ، بتلك الغارات المحرقة التي شنّها أتيلّا وجانكيزخان على الامم التي بليت بمجاورتها ؟

لا يمكن أن يقول قائل بأن ذلك يصح لا من ناحية سعة الفتوحات ، ولا من ناحية آثارها على المغلوبين . ففتوحات المسلمين كانت سلسلة انقلابات اجتماعية ، أوجبت تطورا أدبيا عاما بين شعوب كانت قد أصيبت بتحجر عقلي وتقصى لا ينقذها منه إلا حركة انقلاب عامة ، كالتى بعث الله خاتم النبيين لاجدائها ، وقد أدت ما أريد منها ، ودخل العالم لسببها في طور جديد ، أجمع المؤرخون كلهم على أن ما فيه الناس اليوم من نعمة الديمقراطية والفتوحات العلمية من آثارها وعمراتها . فأين هذه الفتوحات العمرانية من تلك الغارات التلصصية التي انتهكت حرمت الاجتماع ، وديست فيها العواطف الانسانية بالاقدام ؟

يمثل المسيو أندريه هذه النفحات من الرحمة الالهية بفتوحات أتيلّا وجانكيزخان ، أفككف نفسه أن يعرف قبل أن ينوه باسميهما من هما أتيلّا وجنكيزخان ؟

فأما أتيلّا فقد كان رئيسا لقوم يدعون بالهونيين ، هاجروا تحت قيادته من مقرهم الاول على سواحل بحر قزوين ، في نحو منتصف القرن الخامس للميلاد ، واجتازوا اسيا الى أوروبا في عهد كانت مهاجرات القبائل فيها مباحة ، ومازوا سائرين حتى نزّلوا على حدود بلاد الغول وهي فرنسا الحالية ، ولما استقربهم المقيم قاموا بما جيلوا عليه من الغارات والسلب ، فخرّبوا مدنا كثيرة من تلك البلاد ، وكان رئيسهم يلقب نفسه بلاء الله ، ويفخر بما يأتيه من أعمال التخريب . ومما يؤثّر عنه قوله : « إن العشب لا ينبت حيث تخطأ قدمي » ومازال قومه يزاولون أعمالهم التخريبية حتى اتفق عليهم القائد الروماني أيتيوس Aetius وتيودوريك theodoric ملك اليزيغوتيين ، وميروفيه Merovée ملك الفرنكيين ، فقاتلهم قتلا طاحنا في كاتالونيك Catalaunique حتى هزمهم شر هزيمة ، وأجلّهم عن بلاد الغول ، فغادروها مذءومين مدحورين ، الى أن استقربهم النوى على شواطئ نهر الدانوب . ومات أتيلّا سنة ٤٥٣ .

هذا أتيل الذي يضرب المسيو أندريه بفتوحاته مثلاً ، ويقارن بها فتوحات المسلمين ! أما جنكيز خان فهو ابن يسوكاي بهادور رئيس قبائل ييكا مغول التتارية . تولى الرئاسة بعده أبيه ، وأخذ يحارب قبائل المغول التي حوله ، ووقع مرات عديدة أسيراً في أيدي أعدائه ، حتى كانت سنة (١٢٠١) ميلادية فانتصر عليهم . فنالوا عليه ثانية فدهرهم . ولما هزم جيوش بويورك رئيس قبائل الرايمان وقتله ، اعتبر نفسه من ذلك اليوم رئيساً لجميع المغوليين ، وأعلن نفسه ملكاً عليهم . وعقب ذلك أعلن الحرب على الصين ، فكانت حروب طويلة انتهت بدخوله بكين سنة ١٢١٤ . ثم أغار على مملكة خوارزم شاه وأخضعها ، وعلى سمرقند فسلبت له . ثم عاد إلى بلاده ، وتوفي سنة (١٢٢٧) .

لامشاحة في أن هذه الحركات تعتبر فتوحاً بالمعنى الاجتماعي ، ولكنها كانت موضعية جنسية ، لأن ثمرتها كانت جمع القبائل المغولية تحت حكومة واحدة ، وكانت قبل جنكيز خان تحت حكومات متعددة ، ثم لم تلبث هذه الوحدة أن انقسم عراها بفعل جنكيز نفسه ، فإنه قبل أن يموت قسم ملكه بين أولاده ، وفي هذا إيذان بأن هذه الفتوح كلها كان الغرض منها مصلحة أسرة مالكة ، لا إيجاد وحدة بين جنس واحد لغرض اجتماعي سام .

والفرق بينهما وبين الفتوح الإسلامية يظهر من ناحيتين : (أولاهما) أن تلك الفتوح كانت في بقعة من الأرض محدودة ولم يك واحد منها ضد دولة لها شأن في تاريخ المالم . (ثانيتها) أنها لم تكن لغرض اجتماعي ابتنت عليه انقلابات جغرافية وأدبية .

فن الناحية الأولى رأينا الفتوح الإسلامية لم تقتصر على توحيد الجنس العربي ، ولكنها كانت ذات صبغة عالمية ، فامتدت من جزيرة العرب إلى سورية فالفرس فأ وراء النهر إلى الصين شرقاً ، ومنها إلى مصر وجميع شمال أفريقيا غرباً ، ومنها أيضاً إلى أوروبا وجزائر البحر الأبيض المتوسط شمالاً .

وأعجب ما في هذا أن الجيوش الإسلامية ، وهي قليلة العدد ، استطاعت أن تحفظ خطوط مواصلاتها في أقطار شاسعة على مسافات لا تقل عن أربعة آلاف كيلومتر ، وكانت مواجهة ضد دولتين ائتردتا بالسلطان في الأرض إذ ذاك ، وهما دولتا الفرس والرومان . ولم يكن على سطح الأرض من يستطيع أن يقف في وجههما ، وكانتا مالكتين لجميع البقاع التي تجاورها من بلاد العرب .

فهذه الفتوحات الإسلامية لا يمكن أن تقارن بها فتوحات جنكيز خان المحلية ، فالمقارنة على هذا النحو عبث بالمقول ، وتضليل يراد به الخط من الاسلام .

أما من الناحية الثانية فإن الفتوحات الإسلامية لم يكن الغرض منها زيادة سلطان أسرة مالكة ، أو تغليب جنس على جنس ؛ ولكن كان القصد منها إعلاء كلمة الله في الأرض ، وتأسيس

دولة تقوم على الحق والمصلحة العالمية ، لا على القوة والمصلحة الجنسية .

تتبين هذه الاغراض العالية من السياسة التي اتبعها أولئك الفاتحون في هذا الملك العظيم ، فقد كانوا يرسلون الى الأقطار أعقل رجالاتهم وأرفعهم تقوسا ، وأطهرهم قلوبا ، ويوصونهم بالعدل المطلق ، والمساواة التامة بين القاهرين والمقهورين ، والاحسان الى المخالفين لهم في الدين .

ولما حضرت الخليفة الأول الوفاة ، طلب اليه رجال دولته أن يختار لهم من يخلفه فامتنع ، فلما ألحوا عليه لم يقع اختياره على واحد من أولاده ، وما فيهم إلا من يصلح للخلافة ، ولكنه اختار لهم صهر .

فلما حضرت صهر الوفاة ألح عليه كبار أصحابه أن يعهد بالأمر الى ابنه عبد الله ، وكان من أجدر الناس بهذا الأمر الجليل ، فلم يقبل ، ونهاه عن قبوله ، ولقت نظرهم الى اختيار رجل من ستة رجال من خيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

فالفارق كما ترى ظاهر بين الفتحين .

وإذا تأملت في نتائجهما ألفت فتوحات جنكيز خان كانت كفقاعة الصابون تضخمت ثم انفجرت ، ولم يبق منها عين ولا أثر ، ولكن فتوحات المسلمين ترتبت عليها نتائج عالمية خطيرة أدبية ومادية ، لا تزال باقية الى عصرنا هذا ، وستبقى بفضل الله الى آخر الزمان .

فهل ماوقع فيه المسيو أندريه هرفيه من هذه المقارنة مما يصح أن يقع فيه كاتب في القرن العشرين عصر البحوث المدققة ، والمقارنات الموفقة ؟ وهل مثل هذه السذاجة الكتابية تصلح أن تهدم صرحا مشمخرا من المآثر النادرة ، والمناقب الخالدة ، والاعمال الضخمة المجادة ؟ !

نترك الجواب للقارئ ؟

محمد فريد ومهرى

البلاغة في الإيجاز

قال نقدة الكلام : خير الكلام ما لم يجتج بعده الى كلام :

وقد وصف حسان بن ثابت عبد الله بن عباس من هذه الناحية فقال :

إذا قال لم يترك مقالا لقائل بملنقطات لا ترى بينها فصلا
كفى وشئ ما في النفوس ولم يدع لذي إربة في القول جدا ولا هزلا

ومن الأقوال الوجيزة الدالة على المعاني الكثيرة ما قاله الفرزدق للحسين بن علي رضي الله عنهما في مسيره الى العراق ، وقد سأله عن الناس : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر في السماء .

الاسلام والفلسفة

فلسفة ابن سينا

يرى ابن سينا ، عدا الذي أسلفناه في المقال السابق ، أن العالم أزلي ، لأنه معلول للعلة الأزلية ، ومعلول العلة الأزلية واجب الوجود بغيره ، وإن كان حقه في ذاته الامكان ، وهذه الأزلية الثابتة عنده للعالم لا تختلف عن أزلية الباري إلا بالرتبة المدركة في العقل وهي أن أزلية الباري ذاتية ، وأزلية العالم تابعة معلولة . ولا ريب أن ابن سينا في هذه النظرية متأثر بالقاعدة الاغريقية الثالثة : « إن العدم لا ينتج وجودا » . وهو يبرهن على صحة ما ذهب إليه بأنه لو كان العالم قد وجد بعد أن لم يكن ، لزم أن تكون العلة قد وجدت وتحققت شروطها كلها ثم تأخر وجود المعلول عنها زمنا ما ثم وجد بعد هذا الزمن ، وهذا الوجود لا يمكن أن يكون إلا بمرجح تجدد قبيل هذا الوجود ، وهذا المرجح المتجدد لا يمكن أن يقوم بالباري ، لأن الباري لا تقوم به المتجددات ، ولا يمكن أن يكون قد قام بالمعلول ، لأن المعلول لم يوجد بعد ، ولا أن يكون هذا المرجح علة مستقلة بذاتها ، وإلا لتمددت العلل على معلول واحد من الجهة عينها ، وهو جلي الاستحالة باجماع الفلاسفة . وإذا فالعالم عنده معلول أزلي بأزلية علته ، وهو موجود منذ وجودها ، ولا يمكن أن يتأخر عنها مطلقا . ولو أننا فرضنا هذا الامكان لتخلف المعلول عن العلة المستوفية للشروط ، وهذا محال كما أسلفنا ، ولزم نشوء هذا المعلول عن علة أخرى تحتل مكان الأولى ويكون لها فضل ترجيح كفة الوجود على كفة العدم . وهذه العلة الثانية التي فرضناها إما أن تكون ممكنة الوجود أو واجبة ، فإن كانت ممكنة ، فهي ناشئة عن غيرها ، والكلام فيها يكون كالكلام في كل ناشئ عن غيره . وإن كانت واجبة لزم أن يتعدد واجب الوجود ، وهو محال . وبناء على هذا كله وجب الجزم بأن العالم معلول للعلة الأولى الأزلية الواجبة الوجود ، وكل ما كان كذلك فهو أزلي واجب الوجود لغيره ومن غيره .

ويوضح ابن سينا هذا الرأي في إشاراته فيقول : « تنبيه وإشارة : كل شيء لم يكن ثم كان ، فتبين في العقل أن ترجيح أحد طرفي إمكانه صار أولى بشيء أو بسبب ، وإن كان قد يمكن العقل أن يذهل عن هذا البين ويفرغ الى ضروب من البيان ، وهذا الترجيح والتخصيص عن ذلك الشيء إما أن يقع وقد وجب عن السبب أو بعد لم يجب ، بل هو في حد الامكان عنه إذ لا وجه للامتناع عنه ، فيعود الحال في طلب سبب الترجيح جذعا ولا يقف ، فالحق أنه يجب عنه (١) » .

لم يكتف ابن سينا في هذا المقام بذكر رأيه ، بل شرع يسرد مذاهب خصومه من المنكلمين وغيرهم ، ليكون الرد عليها واضحا مستقيا ، فقال : « ومنهم من وافق على أن واجب الوجود واحد ، ثم افترقوا فقال فريق منهم إنه لم يزل ولا وجود لشيء عنه ثم ابتدأ أو أراد وجود شيء عنه ، ولولا هذا لكانت أحوال متحددة من أصناف شتى في الماضي لا نهاية لها موجودة بالفعل ، لأن كل واحد منها وجد ، فالكل وجد ، فيكون لما لا نهاية له من أمور متعاقبة كلية منحصرة في الوجود . قالوا وذلك محال ؛ وإن لم تكن كلية حاصرة لأجزائها معا ، فانها في حكم ذلك ، وكيف يمكن أن تكون حال من هذه الأحوال توصف بأنها لا تكون إلا بعد ما لا نهاية له فتكون موقوفة على ما لا نهاية له فيقطع البها ما لا نهاية له ، ثم كل وقت يتجدد يزداد عدد تلك الاحوال ، وكيف يزداد عدد ما لا نهاية له ؟ ومن هؤلاء من قال : إن العالم وجد حين كان أصلح لوجوده . ومنهم من قال : لا يمكن وجوده إلا حين وجد . ومنهم من قال : لا يتعلق وجوده بحين ولا بشيء آخر بل بالفاعل ، ولا يسأل عن لم » (١) الخ لا ريب أن هذه الآراء القائلة بأن الباري لم يزل ، وكان ولا شيء معه ولا موجود سواء ثم ابتدأ فأوجد العالم ، أو الداهية الى أن العالم لم يكن وجوده ممكنا إلا حين وجد ، أو المائلة الى أن وجود العالم لا يتعلق إلا بالفاعل وهو لا يسأل عما يفعل : لم فعل ؟ ولا عما يترك : لم ترك ؟ كلها مذاهب فرق إسلامية تخالف القاعدة اليونانية الداهية الى أن معلول العلة الأزلية يجب أن يكون أزليا .

ولما كان أبلغ الردود القديمة التي صوبت سهامها الى هذا الرأي هورد الامام الغزالي ، فقد رأيت أن من المفيد أن نلم هنا بطرف من هذا الرد المفهم المدعم بالحجة والبرهان بعد أن رددنا نحن فيما مضى من الفصول على نظرية العلية والمعلولية بما يقوضها من أسامها ، لتأدية القول بها الى الاعتقاد بعدم وجود الارادة والحكمة الالهيتين اللتين عليهما تأسس هذا النظام الكوني الفائق .

وهاك شيئا من مناقشة الامام الغزالي لهذه النظرية : « ولهذا الفن من الادلة ثلاثة : الاول قرلهم : يستحيل صدور حادث من قديم مطلقا ، لا نا إذا فرضنا القديم ولم يصدر منه العالم مثلا فانما لم يصدر لانه لم يكن للوجود مرجح بل كان وجود العالم ممكنا إمكنا صرفا ، فاذا حدث بعد ذلك لم يخل : إما أن يتجدد مرجح أو لم يتجدد ، فان لم يتجدد مرجح ، بقي العالم على الامكان الصرف كما كان قبل ذلك ، وإن تجدد مرجح ، فن محدث ذلك المرجح ؟ ولم حدث الآن ولم يحدث من قبل ؟ فالسؤال في حدوث المرجح قام . وبالجمله فاحوال القديم إذا كانت متشابهة ، فاما أن لا يوجد عنه شيء قط ، وإما أن يوجد على الدوام ، فأما أن يتميز حال الترك

عن حال الشرع فهو محال . وتحقيقه أن يقال : لم لم يحدث العالم قبل حدوثه ؟ لا يمكن أن يحال على عجزه عن الاحداث ولا على استحالة الحدوث ، فان ذلك يؤدي الى أن ينقلب القديم من العجز الى القدرة ، والعالم من الاستحالة الى الامكان ، وكلاهما محالان . ولا يمكن ان يقال : لم يكن قبله غرض ثم تجدد غرض ، ولا يمكن أن يحال على فقد آله ثم على وجودها ، بل أقرب ما يتخيل أن يقال : لم يرد وجوده قبل ذلك ، فيلزم أن يقال : حصل على وجوده لأنه صار مريدا لوجوده بعد أن لم يكن مريدا ، فيكون قد حدثت الارادة ، وحدوثها في ذاته محال ، لأنه ليس محل الحوادث ، وحدوثها في ذاته لا يجمله مريدا . ولنترك النظر في محل حدوثه البين ، فانما الاشكال في أصل حدوثه . وأنه من أين حدث ؟ ولم حدث الآن ولم يحدث قبله ؟ أحدث الآن لا من جهة الله ؟ فان جاز حدوث حادث من غير محدث ، فليكن العالم حادثا لا صانع له ، وإلا فأى فرق بين حادث وحادث ؟ وإن حدث باحداث الله ، فلم حدث الآن ولم يحدث قبل ؟ أعدم آله أو قدرة أو غرض أو طبيعة ؟ فلماذا تبدل ذلك بالوجود وحديث ؟ وعاد الاشكال بعينه ، أو لعدم الارادة الاولى ويتسلسل الى غير نهاية . فاذا قد تحقق بالقول المطلق أن صدور الحادث من القديم من غير تغيير أمر من القديم من قدرة أو آله أو وقت أو غرض أو طبع ، محال ، وتقدير تغيير القديم محال ، لان الكلام في ذلك التغيير الحادث كالكلام في غيره ، والكل محال . ومهما كان العالم موجودا واستحال حدوثه ثبت قدمه لا محالة . فهذا أخيل أدلتهم .

« وبالجملة كلامهم في سائر مسائل الاهليات أنزل من كلامهم في هذه المسألة ، إذ يقدرون ها هنا على فنون من التخيل لا يتمكنون منه في غيرها ، فلذلك قدمنا هذه المسألة وقدمنا أقوى أدلتهم . والاعتراض من وجهين : أحدهما أن يقال : لم تنكروا على من يقول : إن العالم حدث ، إرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ، وأن يستمر العدم الى الغاية التي استمر اليها ، وأن يبتدأ الوجود من حيث ابتدئ ، وأن الوجود قبله لم يكن مرادا فلم يحدث لذلك ، وأنه في وقته الذي حدث فيه مراد بالارادة القديمة لحدث لذلك . فما المانع لهذا الاعتقاد ؟ وما المحيل له ؟ فان قيل : هذا محال بين الاحالة ، لان الحادث موجب ومسبب وكما يستحيل حادث بغير سبب وموجب ، يستحيل أيضا وجود موجب قد تم بشرائط إيجابه وأركانه ، وأسبابه حاصلة حتى لم يبق شيء منتظر البتة ثم يتاخر عنه الموجب ، بل وجود الموجب عند تحقق الموجب بتمام شروطه ضروري ، وتاخره محال حسب استحالة وجود الحادث الموجب ، فقبل وجود العالم كان المرید موجودا ، والارادة موجودة ، ونسبتها الى المراد موجودة ، ولم يتجدد مرید ، ولم تتجدد إرادة ، ولا تتجدد للارادة نسبة لم تكن قبل ، فان كل ذلك تغيير ، فكيف تجدد المراد ، وما المانع من التجدد قبل ذلك وحال التجدد لم يتميز عن الحال السابق في شيء من الأشياء وأمر من الأمور وحال من الاحوال ونسبة من النسب ، بل الأمور كما كانت بعينها ، ثم لم يكن وجد المراد وبقيت هي بعينها كما كانت فوجد المراد ، ماهذا

إلا غاية الاحالة، وليس استحالة هذا الجنس في الموجب والموجب الضروري الذاتي، بل وفي العرضي والوضعي، فإن الرجل لو تلفظ بطلاق زوجته ولم تحصل البينة في الحال لم يتصور أن تحصل بعده، لانه جعل اللفظ علة للحكم بالوضع والاصطلاح لم يعقل تأخير المعلول إلا أن يعلق الطلاق لمجيء الغد أو بدخول الدار فلا يقع في الحال، ولكن يقع عند مجيء الغد أو عند دخول الدار، فإن جعله علة بالاضافة الى شيء منتظر، فلما لم يكن حاضرا في الوقت وهو الغد والدخول، توقف حصول الموجب على حضور ما ليس بحاضر، فما حصل الموجب إلا وقد تجدد أمر وهو الدخول وحضور الغد لو أراد أن يؤخر الموجب عن اللفظ، غير منوط بحصول ما ليس بمحصل، لم يعقل مع أنه الواضع وأنه المختار في تفصيل الوضع، فاذا لم يمكننا وضع هذا بشهوتنا ولم نعلمه فكيف نعلمه في الايجابات الذاتية العقلية الضرورية؟

«وأما في العادات، فما يحصل بقصدنا لا يتأخر عن القصد مع وجود القصد اليه إلا لما منع، فإن لحقت القصد القدرة وارتفعت الموانع لم يعقل تأخر المقصود، وإنما يتصور ذلك في العزم لأن العزم غير كاف في وجود الفعل، بل العزم على الكتابة لا يوقع الكتابة ما لم يتجدد قصد هوانبعات في الانسان متجدد حال الفعل، فإن كانت الارادة القديمة في حكم قصدنا الى الفعل، فلا يتصور تأخر المقصود إلا لما منع، ولا يتصور تقدم القصد، فلا يعقل قصد في اليوم الى قيام في الغد إلا بطريق العزم. وإن كانت الارادة القديمة في حكم عزمنا، فليس ذلك كافيا في وقوع المعزوم، بل لا بد من تجدد انبعاث قصدي عند اليجاد. وفيه قول بتغير القديم، ثم يبقى عين الاشكال في أن ذلك الانبعاث أو القصد أو الارادة أو ما شئت سمه لم يحدث الآن ولم يحدث قبل ذلك؟ فاما أن يبقى حادث بلا سبب أو يتسلسل الى غير نهاية، فراجع حاصل الكلام الى أنه وجد الموجب لتام شروطه ولم يبق أمر منتظر، ومع ذلك تأخر الموجب ولم يوجد في مدة لا يرتقى الوهم الى أولها، بل آلاف سنين ولا ينقص شيء منها، ثم انقلب الموجب موجودا بغتة من غير أمر تجدد وشرط تحقق، وهو محال في نفسه. والجواب أن يقال: استحالة إرادة قديمة متعلقة باحداث شيء أي شيء كان يعرفونه لصورة العقل أو نظره. وعلى لغتكم في المنطق أنعرفون الالتقاء بين هذين الحدين بحد أوسط؟ فإن ادعيتم حدا أوسط، وهو الطريق النظري فلا بد من إظهاره، وإن ادعيتم معرفة ذلك ضرورة، فكيف لم يشارككم في معرفته مخالفوكم؟

«والفرقة المعتقدة لحديث العالم بإرادة قديمة لا يحصرها بلد، ولا يحصيها عدد، ولا شك في أنهم لا يكابرون العقول عنادا مع المعرفة، فلا بد من إقامة برهان على شرط المنطق يدل على استحالة ذلك، إذ ليس في جميع ما ذكرتموه إلا الاستعداد المجرد والتمسك بعزمنا وإرادتنا، وهو فاسد، فلا تضاهي الارادة القديمة القصد الحادثة. وأما الاستعداد المجرد فلا يكفي

من غير برهان (١) « الى أن يقول : » بهم تنكرون على خصوصكم إذ قالوا : قدم العالم محال ، لأنه يؤدي الى إثبات دورات للفلك لا نهاية لأعدادها ، ولا حصر لأحاديها مع أن لها سدسا ورعبا ونصفا ، فإن فلك الشمس يدور في سنة ، وفلك زحل في ثلاثين سنة ، فتكون أدوار زحل ثلث عشر أدوار الشمس ، وأدوار المشتري نصف سدس أدوار الشمس ، فانه يدور في اثنتي عشرة سنة ؛ ثم إنه كما لا نهاية لأعداد دورات زحل ، لا نهاية لأعداد دورات الشمس مع أنه ثلث عشر ، بل لا نهاية لأدوار فلك الكواكب الذي يدور في ستة وثلاثين ألف سنة مرة واحدة ، فلو قال قائل : هذا مما يعلم استحالة ضرورة ، فبماذا تنفصلون عن قوله ؟ بل لو قال قائل : أعداد هذه الدورات شفع أو وتر أو شفع ووتر جميعا ، أو لا شفع ولا وتر . فإن قلتم : شفع ووتر جميعا أو لا شفع ولا وتر ، فيعلم بطلانه ضرورة . وإن قلتم : شفع ، فالشفع يصير وترا بواحد فكيف أعوز ما لا نهاية له واحد ؟

وإن قلتم : وتر ، فالوتر يصير بواحد شفعا ، فكيف أعوزه ذلك الواحد الذي به يصير شفعا فيلزمكم القول بأنه ليس بشفع ولا وتر . فإن قيل : إنما يوصف بالشفع والوتر المتناهي ، وما لا يتناهي لا يوصف به . قلنا : جملة مركبة من آحاد لها سدس وعشر كما سبق ثم لا يوصف بشفع ولا وتر يعلم بطلانه ضرورة من غير نظر . فبماذا تنفصلون عن هذا ؟ فإن قيل : محل الغلط في قولكم : إنه جملة مركبة من آحاد ، فإن هذه الدورات معدومة ، أما الماضي فقد انقرض ، وأما المستقبل فلم يوجد ، والجملة إشارة الى موجودات حاضرة ، ولا موجود هاهنا . قلنا : العدد ينقسم الى الشفع والوتر ، ويستحيل أن يخرج عنه سواء كان المعدود موجودا باقيا أو فانيا ، فإذا فرضنا عددا من الأفراس لزمنا أن نعتمد أنه لا يخلو من كونه شفعا أو وترا سواء قدرناها موجودة أو معدومة ، فإن انعدمت بعد الوجود لم تتغير هذه القضية » . (٢)

هذا نموذج قيم من جسد الامام الغزالي مع فلاسفة المسلمين الذين استهوتهم الفلسفة الأغريقية فأذهلتهم عن كل شيء حتى عن المنطق والتحقيق . هذا ، وسنكتفي الآن بما أوردناه من مناقشة الامام الغزالي لهذه الآراء ، وسنعود في الأعداد التالية الى تتميم هذه البحوث معتمدين على أدلتنا الخاصة بعد أن استأنسنا بأدلة هذا المفكر الجليل ، فالى اللقاء .

الدكتور محمد غريب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

(١) انظر صفحتي ٧ و ٨ من كتاب « تهاوت الفلاسفة » للغزالي .

(٢) انظر صفحة ٩ من الكتاب المذكور .

فيوضات النفس الناطقة

مضينا بالفارسي في شيء غير قليل من التحدث عن النفس الناطقة في أوضاع الفلاسفة المتقدمين منهم والمتأخرين في بحوث سابقة. والآن نحاول في شيء من التبسيط تقسيع له المجلة أن نعرض لبعض البحوث التحليلية التي أجعلها الفلاسفة والمتكلمون في النفس الناطقة، فما انعمد عليه إجماع المتقدمين من الفلاسفة أن النفس الناطقة هي كمال أول لجسم طبيعي آلى من جهة ما تدرك الكليات والمجردات وتعمل الأفعال العكسية وتستنبط ماتجه إليه بالرأى والروية. وقد اتفقت كلهم على أن النفس الانسانية بديهية الظهور والجلال، فلا يرتاب أحد في وجودها ولا في أنها مدركة، ضرورة أن كل إنسان لا يرقى الشك الى فرد من أفراد نوعه في أن له شيئا يشير اليه (بأنا) وأنه مدرك لذاته. لكنهم بعد ذلك اختلفوا فيما هو ذلك الشيء اختلافا عظيما في تعريفه والكشف عنه بالقدر الذي حملوا منه قسطا من الحجة والدليل وملازمة الواقع والاستهداء بهدى المشاهدات. والمختار على ما حققه الامام العضد وارتضته جمهرة من المشتغلين بعلوم النفس الناطقة، ما عليه أهل التحقيق من أئمة علماء الكلام، وهو أنه جوهر مجرد ليس جسما ولا جسمانيا، وهو متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف لا تعلق الجزء بالكل ولا تعلق الحال بالحل، وأنه حادث باق بعد خراب البدن مدرك للكليات والجزئيات.

ثم إن في النفس الناطقة مذاهب شتى في تكييفها وحقيقة جوهرها وفي مدى تصرفها وفي الآثار الصادرة عنها، وقد تبلغ هذه المذاهب الثلاثين عدداً، غير أن المشهور منها ثلاثة عشر مذهبا.

ولأن الأخلاق في صدورهما عن النفس الناطقة وثيقة الاتصال بها وآثارها فلا بد أن نتكلم ولو لماسا عن أهم المذاهب ليكون الفارسي على بينة مما قيل في النفس الناطقة

التي هي مصدر الفضائل ومناط هذا المجتمع بما فيه من أنماط صالحة وغير صالحة :
ذهب جالينوس وعامة الأطباء وكثير من الفلاسفة في تعريف النفس الناطقة
الى أنها عبارة عن ثلاث قوى ، وتلك القوى هي مباد للأفعال (إحداها) الحيوانية التي بها
الحس والحركة الإرادية ، ومسكنها القلب ، على معنى أنه يوجد في القلب قوة تدبر أمر
الروح الذي هو مركب الحس والحركة ، وتعدده لقبوله إياها إذا حصل في الدماغ ، وتجعله
بحيث يخلم على ذلك المعضو الذي يفشو فيه الحياة ، فرياسة الدماغ موقوفة على الحواس
الظاهرة والباطنة لاشتراط صدور الحس والحركة عن القوة القائمة بالروح بكونه
حاصلا في الدماغ ، لا لأن تلك القوة قائمة بالدماغ . و (الثانية) هي البنائية التي هي مبدأ
للأفعال الطبيعية المغذية بالقياس الى سائر الأعضاء ، وبواسطتها تحصل قوة التغذية
في سائر الأعضاء ، ومسكنها الكبد .

و (الثالثة) في الدماغ وهي النفسانية ، فإن الدماغ إما بنفسه وإما بمعونة القلب مبدأ
للأفَاعِيل النفسانية بالقياس الى سائر الأعضاء ، على معنى أنه مصدر لتلك الأفَاعِيل
بحيث لا تصدر إلا عنه ولا تنظم في سمت واحد وعلى سنن واحد إلا بالقياس الى مبلغ
استعداده وقوة تهيئته .

وذهب بعض المحققين من علماء الكلام الى أنها الهيكل المحسوس والبنية المشاهدة
ذات الأثر المشاهد التي تصدر عنها المشاهدات الكونية الخاضعة لناموس هذا الوجود .
وذهب بعض الفلاسفة الى أنها عبارة عن الأَخْلَاط التي يتولد عنها هذا البدن
والمعتدلة كما وكيفا ، ضرورة أن بقاءها بكيفياتها وكومها سبب لبقاء الحياة بالدوران .
وذهب بعض الأطباء من التأخرين الى أنها الدم المعتدل ، إذ بكثرتة واعتداله
تبقى الحياة ، وبقلته وعدم اعتداله تضعف الحياة . ويذهب الفيلسوف الكبير ديو جانس
الى أنها اعتدال المزاج النوعي ، فتبقى الحياة ما بقي الاعتدال النوعي ، وتزول إذا زال ، وأنها
هي النفس المتردد المنبعث عن تلك البنية وذلك المزاج ، فبانقطاعه تنقطع الحياة ، وببقائه
مترددا تبقى الحياة .

ويذهب طاليس المملطي الى أنها عبارة عن عنصر الماء ، لأن الماء سبب النشوء والنمو ،
والنفس من حيث إذكاء الفضائل أو إنباء الرذائل ومن حيث إفاضتها تلك الآثار في الانسان
قوة وضعفا وقلة وكثرة إنما تستمد نماءها وقوتها وحياتها من الماء . لكن يأتي افلاطون وس
فيخالف صاحب هذا المذهب ، ويذهب الى أن النفس الناطقة هي النار ، لأن خاصية
النار الإشتراق والحركة ، وخاصية النفس الحركة والإدراك الذي هو إشتراق .

ويرى بعض علماء النفس من المتقدمين أنها قوة في الدماغ تصعد إليه من القلب
ويكنون عنها بالروح ، وتتكيف تلك القوة بالكيفية الصالحة لقبول الحس والحركة ،
والحفظ والفكر والذكر ، ينفذ في الأعصاب الى جميع البدن . ويتابع صاحب هذا المذهب
العلامة ابن الراوندي فيذهب الى أنها جزء لا يتجزأ من القلب وليس جسما ولا جسمانيا
منقسما . ثم إن النظام نحاول آخر في تعريف النفس الناطقة ، فذهب الى أنها أجسام
لطيفة لذواتها مخالفة بالماهية للجسم الذي تتولد عنه الأعضاء ، وهي نورانية علوية خفيفة
حية لذواتها متحركة بأنفسها سارية في جواهر الأعضاء سريان الماء في الورد والدهن
في السمسمة والنار في الفحم لا يتطرق إليها انحلال ولا تبديل ، إذ كل أحد يعلم أنه باق غير
متبديل ، ولا يلزم من ذوبان البدن وتحلله ذوبان النفس وتحللها ، فما دامت الأعضاء صالحة
لقبول الآثار الفائضة عليها وهي قوة الاحساس والحركة الارادية ، بقيت في هذه
الأعضاء وأفادتها هذه الآثار ، وبقاءها فيها هو حياتها ، وإذا فسدت هذه الأعضاء
وخرجت عن قبول هذه الآثار انفصلت عنها ، وانفصلها عنها هو موتها وفسادها .
وجلي أن هذا المذهب فيه كثير من التعسف ، ولذلك وردت عليه تعقيبات لا يتسع لها
هذا البحث . أما بيان الصحيح من تلك المذاهب وغيره فوعده سوانح مقبلة .

تاريخ الادب العربي

في العصر الأموي (١)

استقرت السيادة الدينية التي شيدها النبي (صلى الله عليه وسلم) وأحكم بناءها ، وحافظ عليها رجال الاسلام الاولون من الخلفاء الراشدين ، وأحاطوها بسياسات منيع من الحكمة والعدل في أول عهد الاسلام ، فلم يتسرب اليها الضعف ولم تقو على مغالبتها الامور الدنيوية ، ولكنها ما لبثت بعد ذلك أن أفسحت مجالا للتطور الطبيعي الذي كانت تحتمه تغيرات الزمان وتقلبات الحوادث ، خصوصا أن رجلا مثل عمر وأبي بكر يندر أن يجود التاريخ بأمثالهما .

تغلبت العواطف البشرية على الخلفاء من بعدهم ، فهدت الطريق الطبيعي للسيادة الدنيوية التي بدأت آثارها تظهر شيئا فشيئا في مرافق الحياة العامة ومظاهر الحكم ، فعادت أعلام قريش ورجالها الى الظهور بعد ازوائهم الطويل وزوال سلطانهم على العرب ، فاكثبوا بعض السلطة في خلافة عثمان ، وحكموا بعض الولايات ، وأخذت سطوتهم في ازدياد ، وحكمهم في اتساع ، الى أن تمكن معاوية الأموي من الفوز في أمر الخلافة على المسلمين ضد مزاحمه على بن أبي طالب ابن عم النبي (صلى الله عليه وسلم) وتمت له السيادة المطلقة على جميع المسلمين . ولم ينس خلفاء الأسرة الأموية أن الفضل في انتصارهم لا يرجع الى الاسلام ، وإنما الى مقاومتهم للنتائج المباشرة المترتبة عليه ، ولذلك فانا نجد رجال الدين من أهل المدينة كانوا دائما يعتبرون سيادة الامويين ملكا وليست خلافة بالمعنى الاسلامي الصحيح .

لم يحاول الأمويون أن يعبنوا بالحياة العربية في البدو ، فاننا نجد أن المنازعات في صحراء الشام في عصر عبد الملك ، وهو أقوى خلفاء بني أمية ، كما نعلم أنه لم ينشئ حكومات نظامية إلا في البلاد ذات الحضارة القديمة مثل بابل والشام ، وذلك لأنه رأى أن الحرية وعدم التقيد وهما الخصلتان اللتان طبع عليهما العرب منذ القدم ، تصحان خطرا مهددا لكيان أسرته لوأنهما التقيا بوسائل القوة السكينة التي امتازت بها تلك البلاد المتحضرة ؛ وبقيت كذلك الأحوال القديمة في بلاد العرب الأصلية على حالها فلم يدخلها تغيير بعد أن كسرت شوكة الداعين الى الاستقلال من رجال الدين من أهل الحجاز .

ولما كان تطور الحركة الفكرية يتدرج مع الحياة السياسية ، فقد بقيت الحياة الادبية

(١) مترجمة من الألمانية نقلًا عن كتاب (تاريخ الادب العربي) للمشرق الألماني الكبير الاستاذ

الدكتور « بروكلمان »

على وتيرتها القديمة ، ولم يكن للاسلام أثر كبير على فنون الشعر ، وقلما امتدح أحد من الأبطال بالمضائل الخلقية التي عرفت عن طريق الدين الجديد ، وبقي كذلك الشعر على شكله القديم فلم يدخله تغيير ، كما بقيت العوامل الشعرية محدودة بعامل التقليد ، إلا فيما يختص بأبواب الغزل ، فقد ظهر فيه من الشعراء ما جعله يحيا حياة مستقلة في هذا العصر بعد أن كان لا يعرف منه إلا ما افتتحت به القصائد القديمة .

وكانت بلاد العرب الأصلية مهد أشعار الغزل وموطن ربايتها ، ويرجع السبب في ذلك الى أن الغزوات الاسلامية الكبيرة كانت تغرى الرجال من ذوى الهمم العالية والنشاط الكبير الى خوض غمارها ، كما كانت تستهويهم قواعد الحكم ومراكز السلطة في الشام حيث يجدون في الحياة السياسية غذاء كافيا لمطامعهم الكبيرة ، فافقرت منهم بلاد العرب موطنهم الأصلي القديم ، ولم يبق بها إلا من كان يستعذب ملاذ الحياة ، خصوصا في مركزى الاسلام مكة والمدينة ، حيث لم يوجد بهما إلا حمة السنة الاسلامية القديمة من رجال الدين والى جانبهم عدد كبير من الشباب المستهترين . وكانت الحياة بمكة مدعاة للتسلية بسبب وفود الحجاج والحاجات اليها من جميع أنحاء الممالك الاسلامية ، ولا زالت هذه المدينة حتى الآن ترتزق من زيارة الاجانب بانجم وسائل الترفيه ، ولم تقل المدينة عنها استعدادا لملاذ الحياة ، ويستدل على ذلك من الغرفة التي أعدها هناك عبد الحكم بن عمر الجحى للعب والقراءة .

وأظهر شعراء الغزل في هذا العصر هو عمر بن أبى ربيعة من قبيلة مخزوم المكية ، وقد ولد حوالى عام ٢٣ هـ وكانت أمه إحدى الاسرى الخمريين اتخذها أبوه عبد الله سرية له عندما ولاه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحكم على ولاية في جنوب بلاد العرب ، ولم يكن ميلاده هذا عاتبا عليه شيئا عند الرأى الاسلامى ، ولذلك فأثنا نجد أنه كان يعيش عيشة الوارث الغنى منذ أول أمره ، وكان يعيش منذ شبابه بمكة ، ولما لم يكن له مطامع سياسية ، وكان يعيش على ثروة أبيه ، فانه لم يجد سببا يجعله يتزلف الى الخلفاء ، بل إنه لم يكن في وقت من الاوقات محبوبا عندهم ، لأنه كثيرا ما كان يشيب بأمرات بنى أمية بأشعاره المنتشرة انتشارا واسعا درى أن يخشى في ذلك لائمة ، لشعوره بأنهم لا يعلو عنه مرتبة .

وكان أخوه يخشى عليه من تورطه في مغامراته ، فزاد له من النصح ، ولكنه تهادى فيها فكانت مدعاة لأشعاره الغنائية ، وبقي كذلك على نشاطه وجهه للغزل وحياة العشق حتى سنه المتقدم ، الى أن جاء الى منصة الحكم عمر بن عبد العزيز ، وهو ربيب رجال الدين الثقات من أهل المدينة ، فأراد أن يعيد الى السيادة الدينية سطوتها في الحياة السياسية ، فأوقف عمر بن أبى ربيعة عند حدود الدين ، واستدعاه مع الاحوص الى دمشق وجعلهما يقسمان ألا يعودا الى ما كانا عليه من الحياة الماجنة ، ولكنه لم يدم على هذه الحال طويلا إذ وافته المنية بعد ذلك بقليل حوالى سنة ١٠١ هـ

امتازت أشعار عمر بن أبي ربيعة بأنها كانت وليدة مغامراته الشخصية ، فانشدها عن هوى دفين وغرام لجوج ، ولو أن دائرة العوامل الشعرية لم تتسع كثيرا بواسطته مما كانت عليه في الشعر القديم ، إلا أنه عرف كيف يقتطف ثمارا يانعة من هذا الحقل المغروس ، وكانت عبارته في منتهى الرشاقة منسجمة في أجلى المظاهر مع رقيق الشعور ، فلا عجب أن نرى أن أشعاره كانت غذاء شهيا للاغاني الشعبية التي كانت قد وصلت في هذا العصر الى أعلى درجاتها بفضل ما أدخل عليها من الحضارة الاغريقية والفارسية .

ولم يكن عمر بن أبي ربيعة الوحيد في هذه الناحية من فنون الشعر ، فأثنا نعرف من قومه الحارث بن خالد الذي كان حاكما على مكة في عصر عبد الملك ، والاموي عبد الله بن عمر العرجي ممن جروا على وتيرته في هذا المضمار .

وأما في المدنية فكان فن القصائد الغزلية ممثلا في الاحوص عبد الله بن محمد الانصاري ، إلا أن هذا الضرب من الشعر لم يجد رواجاً في مهد الاسلام ومعدل الدين ، فلم ينبج الاحوص بسببه من المتاعب والمنازعات مع ولاية الامور ، فعاقبه كل من الوليد وسليمان بن عبد الملك بالسجن ، واستدعاه عمر بن عبد العزيز الى دمشق مع عمر بن أبي ربيعة ، ثم نفي الى جهة ثانية على البحر الاحمر الى أن صفع عنه الخليفة يزيد الثاني ، فعاش بدمشق حتى وفاته حوالي عام ١١٠ هـ لم يكن فن الانشودة الغرامية باى حال من الاحوال وقفا على الطبقات الثرية ، بل إنه كان الى حد بعيد أيضا من الفنون الشعبية التي بقيت آثارها حتى الآن ماثلة في عدد كبير من القصائد القصيرة تتفق في لونها ومعناها مع روح أغاني الغزل الشعبية ، بالرغم من صياغتها في عبارة قديمة أعلى من لغة العامة ، كالتي نجد بينها قصص ألف ليلة وليلة ، أو كالتى ينشدها العامة حتى الآن في البلاد العربية بالشرق . وكان العرب يمزون اجتهدا هذه القصائد الى بعض الشعراء الذين عرفوا بأشعارهم الغرامية ، جريا على عادتهم القديمة من إيجاد نسبة لسكل شيء ، لنفورهم من كل ما ليس له أصل يرجع إليه ، وكانت أهم الشخصيات التاريخية المعروفة التي ألصقت بها أغلب هذه الأشعار ثلاثة : الأول قيس بن ذريح المتوفى سنة ٦٨ هجرية من قبيلة بكر بن عبد مناة وهو أخو الحسين سبط النبي (صلى الله عليه وسلم) من الرضاعة ، والثاني جميل بن عبد الله من قبيلة غذرة بمجنوب بلاد العرب المتوفى حوالي عام ٨٢ هـ

والثالث قيس بن الملوح (مجنون بنى حامر) المتوفى حوالي عام ٧٠ هـ ولو أن الاخيرين لم تثبت بشكل حاسم شخصياتهما التاريخية . ففسبوا الى الاول كل القصائد حيث تنشده لبنى ، والثاني حيث تنشده بئينة ، وللثالث حيث تنشده ليلي ، وقد انتشرت هذه القصائد انتشارا كبيرا خصوصا ما نسب الى الاخير منهم ، فانها وجدت رواجاً عظيماً ، وتقلت الى الادب الفارسي ، ولقيت شخصيته مجالا واسعا في القصص حتى العصور المتأخرة .

واشتهر كذلك في هذا الميدان راوية جميل ، ويدعى كثير من قبيلة خزاعة بن ربيعة في جنوب بلاد العرب ، فأنشد قصائد الغزل في عزة من قبيلة ضمرة ، ولكنه عرف كيف يضع فنه في خدمة مبادئه الدينية السياسية ، وكان يتبع فرقة الكيسانية من الشيعة ، وكان يعتقد بتناسخ الارواح ، فكان بسبب ذلك معاديا للحكومة الاموية ، إلا أنه لم يبخل عليهم بقصائد مديحه التي قربته من دار الخلافة بدمشق ، وتوفي كثير عام ١٠٥ هـ وامتازت أشعاره برجلتها عن أشعار مواطنيه مما جعلته يسمو الى مرتبة معاصريه من شعراء الشام والعراق .

وأما النثر العربي فكان قد اتخذ صياغته منذ العصور الجاهلية الاولى ، إلا أنه بالرغم من ذلك كان في العصر الأموي موضع عناية بعض الأدباء الذين يرجع اليهم الفضل في إعداده للتطور العظيم الذي صادفه بعد ذلك عند العباسيين .

وكان أول الادباء اهتماما بصياغة العبارة الانشائية عبد الحميد الاصغر المتوفى بمصر عام ١٣٢ هـ ولا زالت بعض مؤلفاته في الانشاء باقية للآن ، ومن بعده أصبح هذا الفن مضمارا يتنافس فيه رجال النثر الى أن وصل الى أعلى مراتب الكمال .

وأما المؤلفات التاريخية فانها بدأت ببحث القصص الدينية ، وعلى الاخص التي جاء ذكرها في القرآن أو التي ذاعت على ألسنة أهالي جنوب بلاد العرب . وأشهر من عرف من الادباء في هذا الميدان عبيد بن شريه ووهب بن منبه ، ولو أنه لم يصلنا من مؤلفاتهما شيء مستقل ، بل كان أغلب ما عرف عنهما ما ظهر أثره في المؤلفات المتأخرة ، وكانت بداية هذه الابحاث التاريخية عبارة عن رسائل مقصورة على أحد الأشخاص أو إحدى الحوادث ، واشتهر في هذا المضمار الادبي أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الذي ذاع صيته بعد ذلك الى أن صار المؤرخون يستشهدون باسمه تصديقا لرواياتهم .

وكانت بداية جمع الاحاديث النبوية كذلك في العصر الاموي . ولا زالت بعض المجهودات الادبية باقية حتى الآن . وأشهرها ما جمعه أسد بن موسى بن ابراهيم الملقب بأسد السنة ، ولو أنه قصر مجهوده على الاحاديث الخاصة بيوم القيامة وبعبذاب الجحيم .

وأما دراسات العلوم الطبيعية وعلى الاخص الفلك والطب وكيمياء الذهب فأخذها العرب عن المصادر الاغريقية ، ويرجع أغلب الفضل في ذلك الى أحد أمراء الامويين خالد بن يزيد المتوفى سنة ٨٥ هـ ، فعالج هذه الموضوعات في عدة رسائل ثرية ومنظومة .

حياة أبي الطيب المتنبي

دينه - أخلاقه - تنبؤه - منازعته مع النحاة

كلمة فضيلة مندوب الازهر في المهرجان الذي أقيم لاهياء ذكره في دمشق

في ٥ أغسطس الى ١٢ منه سنة ١٩٣٦

تحية :

أيها السادة : أحبيكم أطيب تحية ، وابلغكم ما أرسلت به من تحيات الأزهرين كافة أساتذة وطلابا ، وفي طليعتهم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الاسلام والمسلمين وزعيم المصلحين وقائد النهضة المباركة في هذا العصر ، المنتصر بالله تعالى الشيخ محمد بن مصطفى المراغي .

موضوعات هذا البحث :

وبعد : فلقد فكرت طويلا فيما عسى ان يكون موضوع كلمتي التي أنشرف بالقائها بين يديكم من مناحي المتنبي ، وعرضت مسائل البحث على خاطري ، فكنت كلما فكرت في أمر وجدت له ما يبرر التوجه اليه ، ووجدت مع ذلك من الشبهات ما يذودني عنه ويقطعني عن الاسترسال فيه ؛ ولكنني استطعت في آخر الامر أن أقنع نفسي بانني وافد الازهر اليكم ، وبأن الازهر هو المعهد الذي يقوم على حراسة الدين : أصوله وفروعه ، وعلى حيطة العربية وآدابها ؛ وبأن بحث من يمثل الازهر يجب أن يكون متصلا بما يؤديه الازهر للعالم من أمانة ، وما يضطلع به من الاعباء ؛ فاستقام عندي بعد هذه المقدمات أن يدور بحثي حول « دين المتنبي وأخلاقه ، وتنبؤه ، وموقفه من النحاة » . وما كدت انتهى من ذلك الامر وأخلص من التفكير بهذه النتيجة حتى عرض لي أمر آخر ألقى له بالي كله ، وذلك الامر هو المقصود بهذا المهرجان : أهو تقرير المتنبي والثناء عليه ، إما باطرائه وكيل المديح له إن حقا وإن باطلا ؛ وإما بآثاره الجليل من أخباره وشعره والاعراض عما عسى أن يغض من شأنه ، أم هو بحث المتنبي من جميع وجوه لوجه الحق من غير تعنت ولا تحيز ؟ ولم ازل أفكر واقدر للامر حتى أيقنت أن هذا الحفل الذي يجمع أقطاب الادباء والعلماء من كل قطر لا يمكن أن يستوى عنده الأمران ، فإن فرق ما بينهما أوضح من أن يدل عليه ، وأي إنسان يستطيع أن ينسى الفرق بين حفل يجتمع لتكريم رجل وبين حفل يجتمع فيه صفوة الادباء لدراسة رجل من رجال الادب كان له أشياع وأعداء ، وكان أشياعه ينشرون مدامحه ويذيعون فضائله ويتناولون له ، وكان أعداؤه

بملاؤن الأرض حوله عجيبا ويرمونه بكل نقائص الانسانية ، وهم لا يتورعون عن الكذب فيما يحدثون به من أخبار ؛ أليس من أول ما يلزم الباحثين أن يعرضوا مقالات أعدائه وشيعته جميعا على موازين البحث الصحيحة ليخلصوا بنتيجة ترضى العقل وتسد حاجة التفكير غير مباليين أن تكون هذه النتيجة مما يتمدح به أو مما يمدح الناس نقصا ؟ فإن أنا عرضت عليكم شيئا من هذا ، فهذه معذرتي وهذا رأيي ، ولعل لا أكون قد أبعدت أو جانببت الصواب فيما ذهبت اليه .

دين المتنبي :

أيها السادة : لقد منى أبو الطيب بصنفين من الناس كان لكل واحد منهما من الاثر في حياته وفي أخباره التي تنوارثها الى اليوم أقبح الاثر ، ولولاها لماش الرجل عيشة هادئة ، ولولاها لكانت صحيفته في تاريخ الشعر والشعراء غير الصحيفة التي نقرؤها اليوم ، ولولاها لما وجد الباحث عنه هذا الغموض وهذا التناقض اللذين يعاينهما الآن ؛ أما أحدها فجماعة من ذوى المكانة بين الناس وأصحاب الجاه ، خافوه على أنفسهم ورهبوا أن تمتد مطامعهم الى مكاتبتهم وجاههم ، أو طمعوا منه في أن يملقهم ويراثيهم فيرد حضرتهم كما كان غيره يردوها وكما كان هو يرد حضرة غيرهم من الملوك والامراء فلم ينالوا ذلك منه ، أو دفعت أبا الطيب نوازع نفسية فنال من أعراضهم ؛ فكانوا لأحد هذه الاسباب أو لها كلها مجتمعة يحنقون عليه ويعضون من شأنه ، وكانوا مع ذلك يؤلبون عليه الشعراء والعلماء لينالوا منه ويؤذوه في نفسه وفي شعره ، وكان أبو الطيب يحنشهم ويرهب سلطانهم ، بل لم يكن يحنشهم على نفسه خسب ، وإنما خشيتهم على بعض أصدقائه ومن يشفق عليه ؛ فقد حدث أبو إسحاق الصابي قال : « راسلت أبا الطيب رحمه الله في أن يمدحني بقصيدتين وأعطيه خمسة آلاف درهم ، ووسطت بيني وبينه رجلا من وجوه التجار ؛ فقال : قل له : والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ، ولا أوجب على في هذه البلاد أحد من الحق ما أوجبت ، وإن أنا مدحتك تنكر لك الوزير (يعني أبا محمد المهدي) وتغير عليك ؛ لاني لم أمدحه ؛ فإن كنت لا تبالي هذه الحال فانا أجيبك الى ما التمت ، وما أريد منك مالا ولا عن شعري عوضا . فتذهبت على موضع الغلط ، وعلمت أنه نصح ، فلم أعاوده » اه . وأما الصنف الآخر فجماعة ممن كانوا يأملون أن تكون لهم المنزلة التي أدركها من الخطوة عند الملوك وحرص كل واحد منهم على أن يكون أبو الطيب من بطاقته وتنافسهم في ذلك ، فلما لم يبلغ هؤلاء المؤملون هذه الامنية أكل الحقد عليه قلوبهم واشتعلت جذوة الحسد بين جوانحهم ، فتفننوا في القول عليه والدس له ، ونشروا عنه من المقايح ما لم يكن يعلم من أمر أكثره شيئا ، ولم يكتفوا بأن يعملوا على إبعاده عن الملوك الذين كان التقرب اليهم منتهى آمالهم ، بل حاولوا التفريق بينه وبين الجمهور ، فجاءوه

من ناحية الدين ؛ ثقة منهم أن للدين في نظر جمهرة الناس وماتهم المنزلة الاولى ، فاذا أتى الرجل من جهته فقد سقط وإن بقي له كل شيء .

رموه بانه كان رقيق الدين تاركا لأركان الاسلام ، ورموه بانه كان يستخف بالأنبياء ويستصغر شأنهم ، ورموه بانه ذهب في الفلسفة مذهبا بعيدا عما يعتقده المسلمون ، وقد نسوا حين رموا أبا الطيب بذلك كله أن دين الاسلام شديد الصرامة في حكم هذه المسألة ، وأنه لا يحل لمن يعتنقه أن يرمى أخاه بأمثال هذه التهم لارضاء حفيظة نفسه حتى يكون بين يديه دليل لا يقبل التاويل .

ولسنا حين نتشكك في أخبار هؤلاء الناس أو نسكر استنتاجهم ندعى لأبي الطيب أنه كان رجلا صالحا ورعا يقوم الليل ويصوم النهار ويطيل العبادة وقراءة القرآن ، ولكننا نفعل ذلك لنقرر أن حياة أبي الطيب قد أحاطها أعدؤه بكثير من الغموض ، وأحاطوها مع هذا الغموض بكثير من الأكاذيب والمفتريات ، كان من شأنها أن تريك حياته سلسلة من المتناقضات .

حكى علي بن حمزة البصري قال : « بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة ، وتلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال ذميمة ، وتلك أنه ماصم ولا صلى ولا قرأ القرآن » . وهذا خبر لم يذكر قائله معه وجها يقربه من الصدق . وهل يستطيع إنسان في الدنيا أن ينفي عن آخر فعل شيء حتى يزعم أنه لزمه طول حياته فلم يفارقه ، وأنه ما رآه يفعله قط ؟ ! نعم إن أمر الصوم في حديث علي بن حمزة أهون من أمر الصلاة وقراءة القرآن ، فهو يستطيع أن يدعى مرة أخرى أنه رأى أبا الطيب كل عام في شهر رمضان في حلب ومصر والعراق وشيراز وسائر البلاد التي وطنتها قدما أبي الطيب ، وأنه رآه مع ذلك يا كل أو يشرب نهارا ، يستطيع أن يدعى هذا كله وحينئذ يتم له ما أراد من أنه بلا من أبي الطيب حلة ذميمة وهي أنه ماصم ، ولكن أتى له أن يدعى ذلك ! فاما أمر الصلاة وقراءة القرآن فنحن نسأله : أكان قد لزم أبا الطيب في مغداه ومراحه ومتيقظه ومنامه حتى يستطيع أن يزعم أنه ماصى ؟ وشيء آخر : ذلك أنه بلا منه حلة محمودة وهي أنه ما كذب ، فهل سأل عن صلاته وقراءته القرآن لخدمته وصدقه الحديث أنه ماصى ولا قرأ القرآن ؟ والحق أن علي بن حمزة البصري رجل أراد أن يرمى أبا الطيب بما رمى به أمثاله أمثال أبي الطيب من قبل ، وبما لا يزال أمثاله يرمون به أمثال أبي الطيب الى اليوم ، يريد بذلك أن يرضى خصوم أبي الطيب أو يشبع شهوة الانتقام منه ، وأراد أن يعمى على الناس ويحملهم على تصديقه فذكر في صدر حديثه أنه بلا منه ثلاث خلال محمودة ، وهذه العبارة فيما نعلم من أمر الناس إحدى الدلائل على اختلاق الحديث . هذا وقد ذكر أبو العلاء في شأن صلاة أبي الطيب قل : « وحدثت ان أبا الطيب

أيام كان إقطاعه بصف (١) رثى يصلى بموضع بمجرة النعمان يقال له كنيسة الاعراب ، وانه صلى العصر ركعتين ، فيجوز أن يكون رأى أنه على سفر وأن القصر له جائز « فهل يمكن أن يكون خبر على بن حمزة بعد ذلك موثوقا به ؟ فاما تأول المتنبي وأنه رأى أن القصر له جائز فأمر آخر ليس بحجة من شأننا الآن ، وقراءة القرآن التي زعم على بن حمزة أن أبا الطيب لم يفعلها ، افي الناس من يعقل أن رجلا نشأ على حفظ اللغة واستظهار غريبها والتنقل في البوادي ليلتقطها من أفواه الاعراب يمجّد القرآن بين يديه وهو كتاب لغة وأسلوب وفكر فوق أنه كتاب هداية وخلق وآداب ثم لا يقرؤه ليتأسى به ويتقبل أساليبه ويتخذ من اطراد منطقته وإحكام الحجة فيه منهجا لنفسه ؟ ١ ونحن نذكر لعلى بن حمزة أن أبا الطيب قد قرأ القرآن وفهمه ، ونذكر له مما يشير إلى ذلك قوله من قصيدة يمدح فيها كافورا :

كان كل سؤال في مسامعه قيس يوسف في أجفان يعقوب
وقوله من قصيدة يمدح فيها محمد بن زريق الطرسوسي :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى

فاما ما ذكره من استخفافه بالا نبياء واستصغاره شأنهم وعدم مبالاته بأصول العقيدة فقد رأينا فيما جمعناه من كلام أبي الطيب مما هو متصل بهذه المسألة أن بعض ما ذكره اهون من أن يؤبه له ، كقوله :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ك مقام المسيح بين اليهود
وكقوله :

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في عمود

وأى شيء في أن يشبه نفسه وهو يقيم بين قوم يعتقد أنهم أعداؤه بالمسيح عليه السلام حين أقام بين اليهود ؟ وأى شيء في أن يدل على أن بقاءه بين قوم لا تجانس بينه وبينهم غربة تشبه اغتراب صالح عليه السلام إذ كان يعيش في وسط لا يرون رأيه ؟ وبعض ما أخذوه عليه تجده له محملا في الكلام لو أنت حملته عليه لم يكن به بأس ، وذلك كقوله في قصيدة مدح بها الحسين بن إسحاق التبوخني :

فما ترزق الأقدار من أنت حارم وما تحرم الأقدار من أنت رازق

فانه يمكن أن يكون قد أراد أن الحسين بن إسحاق رجل موفق الى السداد وإصابة

(١) قال ياقوت : « صف : ضيعة بالمرّة كانت إقطاعا للتنبي من سيف الدولة ، ومنها هرب الى دمشق

المقادير ، فهي تجري دأما موافقة لما اهتدى اليه ، ولا شيء في ذلك فيما نطن ، واما بقية ما أخذوه عليه فداخل في باب المبالغة التي تجري على ألسنة الشعراء وهي لم تتخالط قلوبهم ، وأبو الطيب كثير المبالغة في شعره ، فنحن نأخذها عليه من الناحية الادبية ولا نستدل بها على فساد عقيدته ؛ فن ذلك قوله في مدح محمد بن زريق :

لو كان للنيران ضوء جبينه عبت فصار العالمون مجوسا
ومن ذلك قوله من قصيدة يقولها في صباه :

عمرك الله هل رايت بدورا طلعت في براقع وعقود
راميات باسمهم ريشها الهد ب تشق القلوب قبل الجلود
يترشفن من في رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

وقد اعتذر الناس عن قوله : « هن فيه أحلى من التوحيد » بوجوه : أحدها قاله ابن جني وملخصه إنكار هذه الرواية ، والرواية عنده « هن فيه حلاوة التوحيد » وقد سرى الى ابن جني داء النحاة في تحريف الشواهد وتغييرها على ما يوافقهم . والوجه الثاني : تفسير التوحيد بأنه نمر من ثمار العراق حلو المذاق ، والوجه الثالث قاله العكبري ، وملخصه أنه ليس المراد تفضيل حلاوة الرشقات على حلاوة التوحيد ، وإنما المراد تقريب حلاوتها من حلاوته ؛ لأن حلاوته ثابتة غير مشكوك فيها وحلاوتها غير معروفة ، وذلك الوجهان من باب التفحلات البعيدة كما ترون ، وليس لنا إلا أن نعتز بأن هذا غلو أفرط فيه أبو الطيب فتجاوز الحد . ومن ذلك قوله من قصيدة مدح بها أبا شجاع عضد الدولة :

الناس كالعابدين آلهة وعبدته كالموحد الله
وقوله من قصيدة مدح بها بدر بن عمار :

لو كان علمك بالاله مقما في الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهم ما أنزل القرآن والتوراة والانجيل

وكل هذا من الغلو البعيد كما قدمنا ، ونحن نعتب عليه أنه قد أسلس العنان لفساده حتى جال في هذا الميدان ؛ فلا بدع ان يعتلى من غباره وتصيبه إحدى قذائفه .

فاما ما اتهموه به من الذهاب في فلسفته مذهبا لا يقره الاسلام فاني أبادر بإنكار ذلك عليهم ، وأعرض عليكم شيئا مما ذكروه لتبينوا بأنفسكم أنهم لم يكونوا منصفين حين نسبوه الى ما نسبوه اليه ؛ زعموا أنه أنكر المعاد لقوله :

تمتع من سهاد أوركاد ولا تأمل كرى تحت الرجام
فان لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

وأى دليل فى هذا الكلام على إنكار المعاد ؟ وأى شىء فى أن تقول : إن للموت معنى غير معنى النوم واليقظة ؟ ومن ذا الذى يزعم أن معنى الموت هو معنى النوم واليقظة ، أو أن حال الإنسان فيه كحاله فيها ؟ وزعموا أنه يرى رأى السوفسطائية الذين ينكرون ثبوت حقائق الأشياء لقوله :

هون على بصر ما شق منظره فانما يقظات العين كالحلم

ولو كان ذلك من مذهب السوفسطائية لما جاز لأحد أن يشبه شيئاً بضده إذا اشتراكا فى أمر من الأمور . ونحن ما زال نسمع الناس يقولون : إن نوم فلان ويقظته سواء ، إذا كان لا يستفاد من يقظته أو كان لا يجرد الراحة فى نومه كما لا يجدها فى يقظته ، وما زال نسمعهم يشبهون الموجود بالمعدوم ، والمنير بالمظلم ، وهكذا مما يجرى على اللسان من غير أن يلتفت أحد إلى هذا الذى زعموه . ونسبوه إلى القول بقدم العالم مستنتجين ذلك من قوله فى قصيدة رثى فيها أخت سيف الدولة :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب ، والخلف فى الشجب
فقليل : تخلص نفس المرء سائلة وقيل : تشرك جسم المرء فى العطب

وهذا استنتاج لا يقضى العجب منه ، بل أنا أصارحكم — ولا ضير على فى ذلك — باننى لم أعرف وجه هذا الاستنتاج ، ولو استنتجوا من هذين البيتين أنه ينكر المعاد لكان لاستنتاجهم وجه ، على أنه إذا صح أن يكفر رجل بهذا الكلام لوجب أن نحكم على علماء المسلمين عامة بالكفر ، ونحكم بذلك بادية الأمر على المشتغلين بعلم الكلام والرد على فرق الملاحدة ؛ ذلك بأنهم يحكون لنا أقوال الكفار كما حكاهما أبو الطيب فى هذين البيتين ، بل إن علماء المسلمين أولى بهذا الحكم منه ، لأنهم يذكرون مع ما يحكونه من الآراء شبهة أهل هذه الآراء ، وقد يصورون شبهاتهم فى صورة الأدلة . يجب عند خصوم أبى الطيب أن يكون علماء المسلمين كفارا وإن لم يعتقدوا ما يحكونه من آراء ، وإن كان عندهم من الأدلة على بطلانها ما لا يدخل فى حساب أحد . وفى الحق أن أعداء أبى الطيب لم يكونوا موفقين فيما رموه به ، وأن أبى الطيب نفسه لم يسعفه التوفيق فى كل ما جرى على لسانه .

ومما يتصل بالكلام على دين أبى الطيب أنه لم يشرب الخمر إلا فى القليل النادر ؛ فليس هو من المدمنين الماجنين ، ولذلك لا تجدد فى شعره شيئاً من الجون إلا أن يهجو فيقذع فى هجائه ، وما لأبى الطيب والخمر وهى إنما يشربها الغواة وذوو البطالة ومن لا مطمع لهم فى الحياة يسعون لتحقيقه ، فأما الرجل الذى يفكر فى المجد ، ويأمل أن يصل إلى ذروته فليس ممن يفكرون فى الخمر . حدثوا أن صديقاً لأبى الطيب كنيته أبو ضبيس سأله يوماً أن يشرب معه فأجابه بقوله :

ألد من المدام الخندريس واحلى من معاطاة الكؤوس
 معاطاة الصفائح والمـوالى وإقحامى خميسا فى خميس
 فـوتى فى الوغى اربى لآنى رايت الموت فى أرب النفوس
 ولو سقينها بـيدى كريم أـمر به لكان أباً ضبيس
 وهو ينادم إخوانه إذا شربوا الخمر فيشرب كأساً من الماء ؛ فقد قال له بعض بنى كلاب :
 أشرب هذه الكأس سرورا بك ، فأجابه بقوله :

إذا ما شربت الخمر صرفاً منها شربنا الذى من مثله شرب الكرم
 ألا حبذا قوم نداهم القنا يسقونها ربا وساقيم المـزم
 ومد إنسان له بده بكأس من الخمر وحلف بالطلاق ليشربنها ، فقال :
 وأخ لنا بعت الطلاق ألية لأعلن بهذه الخـرطوم
 فجعلت ردى عرسه كفارة عن شربها وشربت غير أئيم
 وهذه إحدى المرات التى شرب فيها الخمر ، ولم يصب حكم الشريعة فى قوله « وشربت
 غير أئيم » ولكنها إحدى نظرات الشعراء . ولعلها مع ذلك تدل على أن امتناعه عن الشرب
 فى غير هذه المرة لمخافة الائم .

أخلاق أبي الطيب :

سنتكلم فى هذه المجالة على أربع خلال كان لها أثر ظاهر فى حياة أبي الطيب وأخباره
 وشعره ، وهى : الشجاعة ، والكبر ، والبخل ، والغدر . فأما شجاعته فهى أظهر من أن
 تلتمس لها الشواهد ، فهو شجاع يحن شوقا الى لقاء العدا ، ويستصغر المخاطر فى هذه السبيل ،
 ويستهن بما يكابد فيه من أهوال ، ولقد كان مسوقا الى اقتحام الردى ، تدفعه اليه نفسه
 المتوثبة الطامحة ، وتفريه به آماله الجسام التى يحرص على إدراكها الحرص كله ، والذى يعتقد
 أن الوسيلة إليها هى التضحية وبذل النفس ، وقد كانت فيه مع ذلك عجلة نشبه الرعونة نبتت فيه
 من تلهفه على بلوغ الغاية التى يصبو إليها ، حتى كان يخشى أن يجعل اليه الموت قبل بلوغها ،
 انظر اليه وهو يتحدث عن المجد الذى يتطلع اليه ، ويشير الى أن الحياة أضيق من أن تتسع
 لانتظاره :

ذر النفس تاخذ وسمها قبل بينها ففترق جاران دارها العمر
 ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيف والفكة البكر
 وتضرب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر الجبر
 وتركك فى الدنيا دويا كأنما تداول مع المرء أتمله العشر

ثم انظر اليه وهو يحدثك عن مطلبه ويصف لك أن إدراكه بعيد، ومحضك على الاتبالي بما تلقاه في حياتك من الشدائد والمحن :

أريد من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يدركه من نفسه الزمن
لا تلق دهرك إلا غير مكترث مادام يصحب فيه روحك البدن
فما يدوم سرور ما سررت به ولا يرد عليك الفائق الحزن

ثم انظر اليه وهو يذكرك على أن هناءة العيش وسعته وطيب الحياة وسائر ما في الدنيا من متاع أمور لا تدرك إلا بحمد السيف :

وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي أرتك احمرار الموت في مدرج النمل

وتراه لا يترك الحديث عن آماله وشجاعته حتى في المواقف التي لا يحسن فيها الفخر . ولقد كان مما اشتهر به شعره أنه يتحدث عن نفسه في أثناء المدح والثناء ، استمع اليه وهو يقول لكافور :

فأرم بي حينما أردت فاني أسدد القلب ادمى الرواء
وفؤادى من الملوكة وإن كا ن لسانى يرى من الشعراء

وهو مفتون بذلك منذ صباه ، ولا عجب في ذلك فإن كثيرا من الناس تولد معهم الآمال في طراءة السن وميعة الشباب . وعصر أبي الطيب صاحب الملىء بحوادث الانقلاب خليف بأن يثير في نفسه لواعج الآمال . قيل له وهو صبي : ما أحسن وفرتك ! فأجاب :

لا تحسن الوفرة حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال
على فتى معتقل صعد يعلمها من كل وافي السبال

فأما الكبر فقد كان أبو الطيب متكبرا تياها صلفا ، يرى أن لا أحد مثله ، وأن أعلم أهل زمانه قدس وأحزمهم وغد ، وأن كل ما خلق وما لم يخلق حقير الى جانب عظمته كشجرة في مفرقه . ولقد كان من آثار كبره أن ترفع عن مدح الوزير المهلبى والصاحب بن عباد ، وحدثته نفسه أن يتأبى على عضد الدولة ، ولولا أن ابن العميد زين له الذهاب اليه وأغراه بما سيناله لديه من التكرمة والمال لكان قد امتنع ؛ ولقد جر على نفسه بهذا الترفع عداوة الوزير والصاحب ، وعداوة أشياهما من الشعراء والكتاب والعلماء ؛ فأما الوزير فقد أغرى به شعراء العراق يزدرونه وينالون من عرضه ويبالغون في هجائه ، وأغرى به جماعة من العلماء ، منهم أبو الفرج صاحب كتاب الأغاني ، يتعقبونه ويشهرون به ، وأما الصاحب فلم يسكت عنه علمه بحاسنه وكثرة ما كان ينتفع بجماعه ، بل أخذ يتبع هفواته ، ويعمد عليه سقطاته ، ويفرى به المترددين عليه الطامعين في عطايه ، وما أكثر هؤلاء .

ونحب أن ندل هنا على أمرين : الأول : أن آثار كبر أبي الطيب وترفعه لم تظهر جليلة واضحة

إلا بعد أن اتصل بسيف الدولة ونبه شانه ؛ فانت تراه قبل ذلك يمدح قوما لا نباهة لهم ولا ذكر ، وتراه يمدح على أتفه العطايا ، وقد تنبه الى ذلك أبو منصور الثعالبي ، فهو يقول : « وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ، ويصطاد ما بين الكركي والعنديل » اه . وأبو الطيب معذور في ذلك ؛ فان سيف الدولة قد غمره بعطاياه حتى درت له أخلاف الدنيا ، ولقى في جواره من الكرامة ماشجا حاسديه ؛ فكان خليقا أن يقول فيه :

تركت السرى خلفي لمن قل ماله وأنصت أفراسى بنعماء عسجدا
وقيدت نفسي في هواك محبة ومن وجد الاحسان قيда تقيدا

الامر الثاني : أنه قد اختلط على بعض الناس كثير من مواقف أبي الطيب فاعتبروها كبرا أو تكبرا ، وليست هي من الكبر في شيء ، وإنما هي عزة النفس والاحتفاظ بالكرامة ؛ وتقدير المرء نفسه وإكرامه إياها من الكبر بالمكان النائي البعيد ؛ فليس لأحد أن يزعم أن من الكبر إنشاد أبي الطيب سيف الدولة وهو جالس واشترطه عليه ألا يقبل الأرض بين يديه ؛ إلا أن يكون ممن تختلط الاخلاق في أنظارهم فيرونها بغير المنظار الذي يراها به الناس ، وعسيت أن تسأل بعد ذلك أين ذهبت عزة نفسه حين أنشد كافورا وهو واقف ؟ والجواب على ذلك أن ننبهك الى أنه فارق سيف الدولة حانقا متبرما ؛ فلعل وقوفه بين يدي كافور وهو من اعداء سيف الدولة ليثير غيظه ، أولعله أراد به مصانعة كافور لينال منه الذي وفده عليه من أجله ، على أنه — وإن كان قد ترك معه ما جرت به عادته مع سيف الدولة — قد اتخذ لعزته لونا آخر ؛ فقد كان يقف بين يديه وفي رجله خفان وفي وسطه سيفه ومنطقته .

فأما البخل فقد رماه الناس به ، وحكوا في ذلك عنه أنه أحضر مالا من صلات سيف الدولة وصب بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن وأعيد في الكيس ، وإذا قطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تمخلت الحصير ؛ فأكب عليها ينقرها ويعالج استنقاذا ، ويشغل بذلك عن جلسائه ، حتى إذا ظهر له بعضها تمثل بقول قيس بن الخطيم :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ولم يزل كذلك حتى استخرجها وأمر بإعادتها الى مكانها من الكيس . وعجيب أن يكون بخيلا ذلك الذي يقول :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي صنع الفقير

ولكنهم يروون عنه أنه قال : « إني وجدت الناس لا يكرمون أحدا إكرامهم من يعتقدون أنه يملك مائة ألف دينار ، فاعتمدت أن يكون عندي مثلها ؛ فأنا أجسد في ذلك حتى يقول الناس : إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار » اه . وإن يكن القوم صادقين وكان لأبي الطيب

عذر في حرصه على المال وفي ضنه أن تضع منه قطعة كأصغر ما يكون ، فليس هو هذا المذر الذي نسبوه إليه ؛ وإنما عذره أن المجد الذي كانت نفسه تحذنه به في حاجة الى المال ؛ وهذه إشارة نجتزئ بها في هذا الموضوع .

فاما الغدر فأيته أنك تراه كل يوم بين يدي ملك أو وزير ، وتراه كلما وقف بين يدي واحد منهم بمدحه بأنه أكرم الناس وأشجع الناس وخير الناس ، وقد يتجاوز ذلك الى التعريض بمن مدحه من قبل ، وقد يتجاوز التعريض والتلويح الى التصريح ، ثم قد يتجاوز ذلك كله الى الهجاء ، اسمع اليه يقول لسيف الدولة :

وحاشا لارتياحك أن يبارى وللكرم الذي لك أن يباقي
ولكننا نداعب منك قرما تراجت القـروم له حقاقا
فانه لم يكتف بأن جعل ارتياحه للبلذل لا يباريه ارتياح ، وكرمه لا يطاوله في البقاء كرم حتى جملة سيدا خلا وجمل الناس في موازته حقاقا ؛ فما وفد على كافور كان في أول قصيدة قالها له قوله :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
ثم يقول بعد ذلك في شان سيف الدولة :

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدر على مرماكم اللبن
جزاء كل قريب منكم مال وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفسكم حتى يماقبه التنغيص والمتن
فغادر الهجر ما بيني وبينكم بهما تكذب فيها الدين والأذن

وكان كلما نازعته نفسه الى سيف الدولة واستشمر شيئا من الأسف على فراقه يعمل نفسه بأنه لقي أهلا بأهل ؛ فيقول :

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه وإن لم أشأ تمل على فأكتب
إذا ترك الانسان أهلا وراءه ويم كافورا فما يتغرب

ولكنه ما عثم أن اجتوى كافورا وتبرم به ويئس مما كان أوله فيه ، فلما اعتزم أن يتركه أسف على غدره ونارعتة نفسه الى ممدوحه الأول فقال وهو يهجو كافورا :

وفارقت خير الناس قاصد شرم وأكرمهم طرا لا لا مهم طرا
فعاقبني المخصى بالغدر جازيا لأن رحيلي كان عن حلب غدرا
وما كنت إلا فائل الرأي لم أعن بحزم ولا استصحب في وجهتي حجرا

ومع أنه يعترف بالغدر فقد حانت له فرصة أن يعود الى الوفاء فلم يهتبلها ، تلك أن سيف الدولة حين علم رجوعه من مصر أرسل اليه ابنه بهدية ، فأكتفى بأن يرسل اليه قصيدة يقول فيها :

كلما رحبت بنا الروض قلنا حلب قصدنا وأنت السبيل
فيك مرعى جبادنا ، والمطايا واليهما وجيفنا والذميل
والمسمون بالامير كثير والامير الذي بها المامول
الذي زلت عنه شرقا وغربا ونداء مقابلي ما يزول
ومعى أينما سلكت كآني كل وجه له بوجهي كفيل

ويعر بعد ذلك طامان وبضعة أشهر فيرسل اليه سيف الدولة كتابا بخطه يساله فيه المسير اليه فيعتذر له بقوله :

وما عاقني غير خوف الوشاة وأن الوشايات طرق الكذب
وتكثير قوم وتقليلهم وتقرير بهم ينفنا والخب
وقد عارده طبعه الذي دللنا عليه حين ورد على عضد الدولة ، فقد قال له في أول لقاء :
وقد رأيت الملوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاهما
ثم يقول له بعد ذلك :

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار الى الطعان
أبوكم آدم سن المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان
فقلت : إذا رأيت أبا شجاع سلوت عن العباد وذا المكان
فإن الناس والدنيا طريق الى من ماله في الناس ثان
لقد علمت تقسى القول فيهم كتعليم الطراد بلا سنان

وانظر الى هذا البيت الأخير فإنه يعتذر فيه عن كل مدائح التي قالها من قبل عضد الدولة ، بأنه كان يقولها ليروض نفسه ويعلمها حتى إذا اعتادت لم يحسن منه القول إلا فيه .

محمد محي الدين عبد الحميد

« يتبع »

المدرس بكلية اللغة العربية

فريضة الحج

« وأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ »
 صدق الله العظيم ، لقد مضى على نزول هذه الآية نحو ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن
 ولا تزال تتجاوب بإصدائها أقطار الأرض الى اليوم . وقد امتد مداها بتوالي الأحقاب
 حتى اجتازت السهوب والافيانوسات وأصبحت عالمية عامة ، ليس لها في العالم شبيهه
 كما ترى .

أثر واضح شديد الوقع في النفس لقوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
 أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

يَعِدُّ قِيَوْمَ الوجود الآخذين بهذا الدين بأن الناس سيرون آياته على توالي الأيام
 في آفاق العالم ، وفي أنفسهم حتى يتبينوا أنه الدين الحق . وعدٌ غير مكذوب ، ظهرت
 تباشيره في كل مكان ، حتى اضطر مثل الكاتب الفيلسوف الأشهر برناردشو أن يقول :
 إن المستقبل كله للإسلام ، وإن مصير العالم اليه على أكبر تقدير بعد قرنين .

لا تجيل بصرك في أى بقعة من بقاع الأرض حتى ترى الدعوة اليه تسود
 كل دعوة ، وهل بعد أن يجد هذا الدين من الفلاسفة ورجال العلم معضدا له شك في أنه
 سيكون دين العالم كله بعد قرنين أو بعد عدة قرون ؟

دين يدعو الى الأخذ بكل حسن مما هو معروف وما سيعرف الى آخر الزمان ،
 والى التعويل على ما عُرِفَ أنه حق ، وما يثبت أنه كذلك في خلال العصور ، والى
 الخضوع لسلطان العقل والميل معه حيث مال ، ولو بتأويل النصوص التي يوم ظاهرها
 غير ما يقره هذا العقل المستنير بالعلم والحكمة . دين كهذا لا يعقل أن يقف حيث هو
 أو يضمحل ، ولا يتصور أن لا يكون دين العالم كله متى زالت الجهالة ، وانحس أثر
 التقليد ، وبطل سلطان الوراثات .

ألا ترى أن جميع الأديان قد تراجعت الى الوراء إلا الاسلام؟ وهى لم تتراجع لأنها من توليدات الأوهام، ولكن لأنها قد حُثمت آصارا من آراء قادتها، ونجمرت حتى لم تعد سائفة في عقول الآخذين بها، وخلفها الاسلام، لا لأنه شئ جديد، ولكن لأنه هو هي خالصة لا تشوبها شائبة من هوى، كما نزل بها الروح الأمين، على قلوب الأنبياء والمرسلين: «أفلم يدبروا القول، أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين؟».

هذه كلمة نسوقها بين يدي ماسند كره عن الحج، وقد رأينا أفواجهم تستقل الفلك ميممة البلاد المقدسة، ملبين داعي الله الى بيته المحرم. مظهرٌ يلفت النظر، ويستدعى التفكير، لا لأنه طريف، فالسفر الى الحج مألوف في جميع بلاد المسلمين، ولكن لأن الحجيج في هذه السنين الأخيرة، يكثر بينهم من كان لا يخطر لهم على بال من المترفين والسرعة، وقد كان في الفترة التي تقدمت هذا العهد يكاد يكون مقصورا على طبقة معينة من الأمة.

ظاهرة دينية تستدعى التأمل، ولقد تأملنا فيها فرأيناها ترجع الى ثلاثة أسباب: أولها: الأمن على النفس، وثانيها: تحسن وسائل الانتقال، وثالثها: يقظة العاطفة الدينية في القلوب.

فأما الأمن على النفس فيرجع الفضل فيه للحكومة الحجازية، فإن جلالة الملك ابن السعود لم يأل جهدا في الأخذ على أيدي العابثين بحياة الحجيج وأموالهم، حتى طهرت الطرق من مناسرم، وخلصت الصحارى من غوائلهم.

وأما تحسين وسائل النقل، فهو من مآثر رجال بنك مصر وعلى رأسهم المالى العظيم محمد طلعت حرب باشا، فانه لا يفتأ يبذل في هذا السبيل جهدا محمودا، فن سفن مستكملة ووسائل الراحة، الى أوتوموبيلات تنقل الناس لمكة وعرفة ومنى والمدينة، الى دور ورياش يأوى اليها الحجاج، يؤتون فيها بما تعودوه من مأكل ومشرب وأماكن للنوم. أما يقظة العاطفة الدينية فهي ذات التأثير الغالب في حمل عليّة القوم ومتعلميهم على

أداء هذه الفريضة ، وهي تستمد عواملها من البحوث القيمة التي كتبت في التدليل على صحة الدين ، وعلى سلامة أصوله من الوهن ، وعلى تأديته لسعادتي الحياتين معا . ولا يحسن بنا في هذا الموطن أن نغمط حق العلم ، فانه بفضل المستكشفات التي هدى إليها العلماء في المادة ، حتى انتهى الأمر الى تحليلها الى قوة ، وفي النفس البشرية من الناحية التجريبية حتى ثبت علميا استقلال الروح عن الجسد وإمكان قيامها بدونه ، مما أفضى الى القول بخلودها في عالم روحاني ، وقد شوهدت آثار هذا العالم بما لا يمكن التشكك فيه ، بفضل هذه المستكشفات كلها قام الدليل العملي على صدق الأديان فيما أتت به من العقائد الغيبية . كل هذا كان له تأثير عظيم في إيقاظ العاطفة الدينية ، وصرف الانسان عن التعاليم اللاحادية ، التي بذل أنصارها نحو ثلاثة قرون في بثها في العقول ، وحملها على منابذة الأديان ، والتفصى من علائقها .

وبما أن ما حصله العالم في هذا المجال يعتبر من العلوم اليقينية ، فينتظر أن تزداد أصول الدين قوة على قوتها ، وتجد من النفس ميلا الى تقوية الارتباط بها . فعلى هذا النحو زالت أكبر عقبة كانت قائمة باسم العلم أمام الأديان ، بل أمام الاسلام ، وأصبحت الطريق مفتوحة حياله ليصل بالناس الى السمو الروحاني والخلقي الذي خلقهم الله ليصلوا اليه ، واعتبر الحياة بدونه لهوا ولعبا ، ليست من شأن الانسانية في شيء .

يختلف الحج في الاسلام عن الحج في جميع الأديان ، فإن الحج فيها كان الغرض منه التبرك بقبور القديسين ، وما تركوه من الآثار والمباني ، وأفضله عندها ما تحل الانسان نفسه في سبيله المشاق والمهالك . وكان الكهنة والرهبنة يفتنون لهم في تعيين ضروب المرهقات البدنية . فكان منهم من يثقل كاهله بالسلاسل والأغلال ، ومنهم يمشى على قدميه المسافات الشاسعة ، ومنهم من يمشى داخل كيس يتعثر فيه في كل خطوة ، ومنهم من كانوا يطوفون حول معابد زحفا على بطونهم . ولكن الاسلام كره كل ذلك

فشرط أن لا يبيع إلا من كان قادراً على الحج، ونهى أن يحمل الإنسان نفسه ما يرهقها، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى هرماً يمشى بين ولديه، فسأل عن شأنه فقيل له: إنه نذر أن يبيع ما شياً، فكره ذلك، وقال: إن الله غنى عن تعذيب هذا نفسه. وأمر أن يحمل على بعير. وكان هذا منه صلى الله عليه وسلم عملاً بقوله تعالى: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر».

ذلك لأن الاسلام قد رى في كل ما شرع الى إبلاغ الانسان كماله الذى خلق له، ومنح القوى الادبية التى توصله اليه، وهذا الكمال كما قرره الاسلام لا ينال إلا بالعلم الصحيح، وتطهير العقل من الوسوس، والقلب من طبع الصفات البهيمية. وهذا عينه ما تراه الفلسفة ويؤيده العلم الطبيعى. وقد جرى الاسلام فى كل أوامره ونواهيها على هذه السنة قبل أن يكون للعالم فى هذا الشأن علم قائم بنفسه.

نعم إن الفلاسفة القدماء من اليونانيين، قد كتبوا كتابات قيمة فى هذا الشأن، ولكنهم لم يصلوا فى كثير من مقومات العقل والقلب الى المدى الذى وصل اليه الاسلام. ونحن نضرب لذلك أمثلة:

اعتبرت الفلسفة اليونانية الجنس الاغريقى خيراً الأجناس البشرية، ولكن الاسلام لم يجعل الجنس مقياساً للتفاضل بين الناس، فقد ساوى بين جميع الأجناس، وجعل معيار التفاضل التقوى. وهذا أصل أقره العلم فى القرون الأخيرة، ولا يزال يوجد فى الفلسفات الحديثة ما لا يقره ذهاباً منها الى أن الجنس الأبيض خيراً الأجناس كلها، وأقبل من سائرهما للكمال الأدبى، وهذا خطأ فاحش.

وحسبت الفلسفة اليونانية أن للأرقاء منزلة أمام العدالة أدنى من منزلة الأحرار، ولا يرى الاسلام ذلك، ويحسب جميع الناس سواء أمام الشريعة، أما الرق فى نفسه فعرض اقتضته شئون لا دخل لها فى أصل المساواة العامة، التى هى نصيب الكافة على السواء.

وعدّت الفلسفة اليونانية المهن المختلفة سببا للتفاوت بين الناس في الحقوق الوطنية ، فسلبت المال كل هذه الحقوق ، وجعلتها وقفا على الأشراف وأهل اليسار ، والإسلام عد الناس كلهم سواء في التمتع بهذه الحقوق لا فرق بين عامل ماهن ، وسرى كبير ، ولا بين فقير مدقع ، وثرى خطير .

فهذا وأمثاله يعتبر نقصا عظيما في الفلسفة الأدبية ، والأخذ بها لا يوصل الانسان الى السمو الخالص من الشوائب ، الجدير بالقلب الانساني الذي يعكر صفاءه أن يكون فيه أثر من أمثال هذه الأخطاء الفاحشة في تقدير العدالة والمساواة والحقوق الطبيعية . فلم يصل الناس الى تذوق الديموقراطية الصحيحة إلا في هذا العهد ، بعد أن رسم الاسلام دائرتها بنحو ألف ومائتي سنة .

فلا عجب بعد هذا أن يشرع الاسلام الحج للآخذين به ، وينص على أنه شرع لمحض مصلحتهم يقومون به قادرين عليه ، أصحاب الجسوم والعقول ، بأكل الوسائل وأوقفها لراحتهم الجسدية والعقلية ، ولو استطاعوا أن يقطعوا المسافة الشاسعة بين بلادهم والأماكن المقدسة في ساعة من زمان ، فاذا توجهم بعضهم أن يعدل عن هذه الوسيلة المريحة الى ما هو أشق على نفسه منها ، فإن الاسلام يكره منه ذلك ولا يعتبره موصلا الى الكمال الذي ينشده ، وقد دله على أن ذلك الكمال لا يتأتى إلا من طريقه العلمى والتطهيرى ، لا من تعذيب النفس وإرهاقها بالمشاق وتعريضها للأمراض والقواطع ، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم ، جريا على هذه القاعدة ، أمر من يؤم الناس أن يخفف في صلاته ، لأنه قد يكون فيمن يأتمون به المريض وذو الحاجة .

فسقيا للرجال الذين يعملون على تسهيل الحج على المسلمين ، فانهم إنما يعملون لخدمة الاسلام من أخص النواحي ، وأعودها بالخير على أهله ، محمد فريبر ومجدي

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْوَى

رسم المصحف الكريم

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الازهر اقتراح خاص بطبع المصحف الكريم على الكيفية الآتية :

(أولاً) أن يكون بالرسم الكتابي العادى المتبع الآن بالأزهر الشريف وفروعه وجميع المعاهد العلمية بمصر والبلاد العربية إسلامية وغير إسلامية .

(ثانياً) أن يراعى وضع علامات الترقيم وسط الجمل لا فوقها كما هو متبع الآن .

(ثالثاً) أن يوضع تفسير عصرى مختصر بهامش هذه الطبعة بمعرفة هيئة من كبار العلماء . وقد جاء فى تقرير مرافق لهذا الاقتراح ما خلاصته : أن الغرض هو تيسير تناول كتاب الله الكريم ، وسهولة تلاوته كما أنزل مع فهم ما غمض من معانيه ، لأن كثيراً من المتعلمين فى المدارس مع نبوغهم فى اللغة العربية لا يستطيعون تلاوة القرآن فى المصحف بطبعته الحالية ، لا اختلاف هجائه عن الهجاء الذى ألفوه ودرسوه فى معاهدهم ، فحرصاً على أن تكون تلاوة هؤلاء وأمثالهم ممن لا يحفظون القرآن ولم يتلقوه عن القراء صحيحة ، يجب طبعه بالهجاء العادى المعروف لهم ؛ وحرصاً على فهم معانى القرآن لمن يقرؤه فى المصحف ، يجب وضع تفسير مختصر مفيد على هامش هذه الطبعة .

محمود عفيفي

المحامى بالقاهرة

رأى اللجنة فى هذا الاقتراح :

توافق اللجنة على وضع تفسير مختصر مفيد على هامش المصحف ، وترجو ان يوفق الله جماعة من العلماء لوضع هذا التفسير ، حتى يعم الانتفاع بالقرآن الكريم .

أما وضع علامات الترقيم وسط الجمل لا فوقها ، فاللجنة ترى أن المصحف الكريم قد وضعت فيه قديماً وحديثاً علامات على بعض الحروف ، وبعض الكلمات ، وفى وسط الجمل ، للدلالة على كفيات هذه الحروف ، كالادغام والاختفاء ، وللدلالة على معان تتعلق بالتلاوة كحسن الوقف ولزومه وامتناعه ، وغير ذلك ، وهذه العلامات لا ترى اللجنة حاجة لاحداث تعديل فى وضعها ، لأنها وضعت فى أماكنها للدلالة على أغراض خاصة ، وقد أدت بوضعها فى أماكنها

هذه الاغراض بوضوح لا لبس فيه ، وبين كل ذلك في التعريف الشامل بالمصحف الذي وضع في ذيل الطبعة التي أمر بها حضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الاول سنة ١٣٤٧ هجرية .

واما إنشاء علامات ترقيم أخرى للدلالة على ان الجملة استفهامية مثلاً ، أو مقولة لقول سابق أو محذوف ، فلا ترى اللجنة مانعاً منه بشرط أن توضع بشكل لا يوجد لبساً على القارئ ، فقد كان المصحف الكريم مجرداً عن « التعشير » و « الاعجام » و « النقط » و « رموز الوقف » ثم أحدث كل ذلك ، واستحسنه كثير من العلماء ، حفظاً للآي ، وضبطاً للاعراب ، خصوصاً للاعاجم وغيرهم ممن لا يحسنون العربية . قال الزيلعي من علماء الحنفية : « هو وإن كان محدثاً فستحسن ، وكلم من شيء يختلف باختلاف الزمان والمكان » اهـ

وأما طبع المصحف الكريم على قواعد الرسم الكتابي العادي المتبع الآن ، فاللجنة ترى لزوم الوقوف عند المأثور من كتابة المصحف وهجائه ، وذلك لان القرآن الكريم كتب وقت نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومضى عهده صلى الله عليه وسلم حمل عثمان رضي الله عنه ، ولم يكتبه ، لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل ، وقد كتبت به مصاحف عثمان ، ووزعت على الامصار لتكون إماماً للمسلمين ، وأقر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حمل عثمان رضي الله عنه ، ولم يخالفه أحد فيما فعل ، واستمر المصحف مكتوباً بهذا الرسم في عهد بقية الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة المجتهدين في عصورهم المختلفة ، ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعاً أنه رأى تغيير هجاء المصحف عما رسم به اولا الى تلك القواعد التي حدثت في عهد ازدهار التأليف والتدوين في البصرة والكوفة ، بل ظل مصطلح القرآن قائماً مستقلاً بنفسه ، بعيداً عن التأثير بتلك القواعد .

ولاريد أنه وجد في تلك العصور المختلفة أناس يقرءون القرآن ولا يحفظونه ، وهم في الوقت نفسه لا يعرفون من الرسم إلا ما وضعت قواعده في عصر التأليف والتدوين ، وشاع استعمالها بين الناس في كتابة غير القرآن ، ولم يكن وجود هؤلاء مما يبعث الأئمة على تغيير رسم المصحف بما تقضى به تلك القواعد .

قال العلامة نظام الدين النيسابوري في كتابه « غرائب القرآن و رغائب الفرقان » ما نصه : « وقال جماعة من الأئمة : إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف ، فانه رسم زيد بن ثابت ، وكان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاتب وحيه » اهـ

وجاء في الاتقان للامام السيوطي ما نصه :

« وقال أشهب : سئل مالك : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا إلا على الكتابة الأولى ، رواه الداني في المقنع ، ثم قال : ولا يخالف له من علماء الأمة .

وقال في موضع آخر : سئل مالك عن الحروف في القراءة ، مثل الواو والالف : أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك ؟ قال : لا ، قال ابو عمرو : يعنى الواو والالف المزيدين في الرسم ، المعدومتين في اللفظ ، نحو (أولوا) »

وقال الامام احمد : « يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو الف او غير ذلك » وقال البيهقي في شعب اليمان : « من يكتب مصحفا ينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوه شيئا ، فانهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منا ، فلا ينبغي أن نطعن بأنفسنا استدراكا عليهم » اهـ

وقد جاء في فقه الحنابلة ما يؤيد نقل السيوطي في الاقتان عن الامام احمد بن حنبل . وجاء في حواشي المنهج في فقه الشافعية : أن كلمة « الربا » تكتب بالواو والالف ، كما جاء في الرسم العثماني ، ولا تكتب في القرآن بالياء أو الالف ، لأن رسمه سنة متبعة . وجاء في المحيط البرهاني في فقه الحنفية : أنه ينبغي ألا يكتب المصحف بغير الرسم العثماني . على أن قواعد الاملاء التي حدثت في عهد التأليف والتدوين لم يتفق عليها واضعوها ، بل اختلفوا في رسم كثير من الكلمات كما هو مدون في مواضعه ، وهي بعد ذلك عرضة للتغيير والتبديل ، وقد صارت اليوم موضع شكوى وتفكير نظراً لما فيها من كتابة أحرف لا وجود لها في النطق ، وترك أحرف منطوق بها ، فلا ينبغي والحالة هذه أن يخضع القرآن في رسمه لهذه القواعد المختلف فيها ، والتي هي عرضة للتغيير والتبديل .

وأما ما يراه أبو بكر الباقلاني من أن الرسم العثماني لا يلزم ان يتبع في كتابة المصحف ، فهو رأى ضعيف ، لأن الامة في جميع العصور المختلفة درجوا على التزامه في كتابة المصاحف ، ولأن سد ذرائع الفساد مهما كانت بعيدة ، أصل من أصول الشريعة الاسلامية التي تبني الاحكام عليها ، وما كان موقف الائمة من الرسم العثماني إلا بدافع هذا الاصل العظيم ، مبالغة في حفظ القراءة وصونه .

وأما ما ذكره صاحب الاقتراح من أن كثيرا من المتعلمين لا يحفظون القراءة ، ولا يحسنون قراءته في المصحف ، لعدم معرفتهم الرسم العثماني ، فالجنة ترى تسهيلا للقراءة على هؤلاء أن ينه في ذيل كل صفحة على ما يكون فيها من الكلمات المخالفة للرسم المعروف .

على أن الامر أهون مما يتصوره المقترحون للتغيير ، لأن رسم المصحف العثماني لا يخالف قواعد الاملاء المعروفة إلا في كلمات قليلة معدودة . ومع ذلك ، فليست هذه المخالفة مما تحدث شيئا من اللبس على القارئ المتأمل ، لأنها إما بحذف حرف ، كحذف الالف

في « بسم الله الرحمن الرحيم » أو زيادة حرف ، كزيادة الواو والالف في « أولوا » أو إبدال حرف من حرف ، كرم « الصلوة » بالواو بدلا من الالف ، أو وصل ما حقه الفصل ، مثل وصل « إن » بما الموصولة ، كما في قوله تعالى : « إنما توعدون لآت » أو فصل ما حقه الوصل ، كفصل « في » الجارة من « ما » الموصولة ، مثل « في ما فعلن في أنفسهن » . وواضح أن مثل هذا لا يشتبه على أحد أن ينطق به صحيحا .

وإن من يطلع على التعريف بالمصحف الذي أشير اليه فيما سبق ، يستطيع أن يعرف تلك الكلمات بسهولة ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

لحضرات المشتركين

رغبة منا في تنظيم علاقات وكلاء مجلة الازهر بقلم حساباتها ، رأينا أن نجعل بدل الايصالات المؤقتة التي يسلّمونها للمشاركين إيصالات نهائية مذيّلة بخاتم لنا خاص بالمجلة ، على الصورة التي يرونها في نهاية هذا الاعلان . وكل إيصال ليس عليه هذا الخاتم لا تعتمد به إدارة المجلة بعد تاريخ هذا الاعلان . فنرجو حضرات المشتركين ملاحظة ذلك بكل دقة ، ولهم منا الشكر الجزيل ؟

مدير مجلة الازهر

محمد خير محمد

ترجمة صحيح البخاري :

تاخرت تجربة ملزمة الترجمة لدى الاستاذ الموجي بلندن فلم تلحق هذا العدد .

الفرس العام

للسنة السابعة (١٣٥٥ هـ) من مجلد الزهر

المقالات

الموضوع	بقلم	صفحة
(١)		
أبو الطيب المتنبي — حياته	فضيلة الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد	٧١٣
إثبات وجود الروح بالأدلة العلمية	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٢٠٥
أثر البيئة في أسلوب الادب	فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	٣٦١
أثر النظام الاجتماعي في الادب	» » » »	٤٩٦
الاثرة والاينار	قلم الترجمة	٢٩٦
الاخلاق النظرية	الدكتور محمد غلاب	٦٨٣
الادب بين الحضارة والبداءة	فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	٢٥٤
الادب بين الفن والفضيلة	» » » »	٦٨٧
الاسراء	» » محمود شلتوت	٤٧٢
أسرار التشريع الاسلامى	» » عباس طه	١٤٦٠٧١
الاسطورة الداوونية	قلم الترجمة	٢٨٨
الاسلام والطب الحديث	الدكتور عبد العزيز اسماعيل بك	١٥١٠٤٧
		٢٧٩٠٢٠٠
		٤٨٩٠٣٨٤
		٦٣٠٠٥٦١
		٦٩١

صفحة	بقلم	الموضوع
٤٧٦، ٥١		الاسلام والفلسفة
٦٣٣، ٥٥٢	الدكتور محمد غلاب	...
٧٠١		...
٥٨	فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	الاسلام والمباحث النفسية
٢٤٠، ٢١٩	الاستاذين على اسماعيل فورونوفتش	الاسلام في بولونيا — تاريخه
٣٨٨، ٣٣٢	ومحمد سيد الحوى	...
٤٤٥	حضرة الاستاذ مدير المجلة	أصول الاسلام المقربة بين الامم
		(ب)
١٨٨	بعثة فؤاد الاول - كلمة فضيلة الاستاذ الاكبر
		(ت)
٧٧	فضيلة الاستاذ الاكبر	ترجمة القرآن الكريم وأحكامها - بحث ...
١٢٣	فضيلة الاستاذ الشيخ محمود شلتوت	ترجمة القرآن الكريم ونصوص العلماء فيها
١٩٠	» السيد محمد بن الحسن الحجوى	ترجمة القرآن الكريم
٧٤	» الشيخ محمد على القاضى الطماوى	تصحيح خطأ تاريخى
١١٦، ٢٠		
٢٤٨، ١٧٢	» الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	تفسير سورة الرعد
٤٠٥، ٣١٨		
٤٥١		
٦٠٣، ٥٢٣	» » » »	تفسير سورة لقمان
٦٦٦		
٦٤٨	تفسير القرآن الكريم - القواعد العامة ...
٥٦٨	فضيلة الاستاذ سيد احمد متولى الشيخ	التيسير روح الاسلام
		(ج)
٢٧٤	فضيلة الاستاذ سيد احمد متولى الشيخ	جعفر بن أبى طالب

صفحة	بقلم	الموضوع
		(ح)
٧٢٤	حضرة الاستاذ مدير المجلة	الحج — فريضته
٥٧٢	قلم الترجمة	الحكمة في خلق الحشرات
١٤١	فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	الحياة الأدبية عند العرب
		(خ)
٦١٠	فضيلة الأستاذ الاكبر	خطبة الجمعة في الاسلام
		(د)
٢٦٧، ٢٦٦	حضرة الأستاذ مدير المجلة	دحض شبهات عن الاسلام
٦٩٧		
٤٦٠	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	الدين أنفع لل عمران من كل القوانين
		(ر)
١١٣، ١٤		
٢٢٩، ١٦٥	حضرة الاستاذ مدير المجلة	الروح الاسلامية ومدى تاثيرها في النفس البشرية
٥١٧، ٣٧٣		
٦٦١، ٥٩٧		
		(س)
١٧٧	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	سوانح ونصائح
٣٧٩	» » »	سوانح ومقتبسات
		(ش)
٥٨٩	فضيلة الاستاذ الاكبر	الشئون الاجتماعية والمذاهب الفقهية
٤٨٣	حضرة الاستاذ مدير المجلة	شهر الصيام
		(ع)
٦	حضرة الاستاذ مدير المجلة	العام الهجرى الجديد

الموضوع	بقلم	صفحة
العلاقة بين المادة المخية والعقل	قلم الترجمة	٣٩٩
العلوم اللغوية — تاريخها في الأدب العربي	»	٢٨١/٢١٠
العلوم الدينية — تاريخها في الادب العربي	»	٤٣٣
العلوم الدينية والتشريعية — تاريخها... ..	»	٥٨١/٥٠٦
علم الطبيعة	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٥٥٧
عوامل فقدان أدب الحضارة العربية ...	فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	٦٣٧/٥٤٨
(ف)		
فاتحة السنة السابعة	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٣
فتنة العلم الطبيعي	»	٥٠١
الفكرة والاسلوب في أدب البداوة	فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	٤١٧
فلسفة الاخلاق	»	١٤٩/٦٣
	عباس طه	٢٨٦/٢٢٤
		٤٢٩/٣٦٧
		٥١٤
(ك)		
كلمة مع مقدسى النواميس الطبيعية	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	١٣٨
كلية أصول الدين — افتتاح الدراسة	٥١١
(ل)		
لجنة الفتوى ورئيسها الراحل	لجنة الفتوى	٧٣
اللغة الادبية واختلاف اللهجات العربية ...	فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	١٨٣
لماذا يصادف أكثر الشاكين في المتعلمين ...	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٣١٢
لماذا اعتنقت الاسلام	الدكتور احمد نسيم سوسة	٦٥٧

الموضوع	بقلم	صفحة
(م)		
المؤتمر العالمى للاديان — رسالة فضيلة الاستاذ الاكبر	٣٠١
محمد صلى الله عليه وسلم — تاريخ حياته ...	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٣٩٢، ٣٥١ ٥٣٢
محمد صلى الله عليه وسلم	» » »	٦٤٤، ٥٤٣ ٦٧٤
معنى الحياة وقيمتها	» » »	٥٦٤، ٤٩٤ ٦٢٣
الملك الراحل — نعى جلالاته	رياسة التحرير	١
الملك فاروق — جلالاته يكرم العلم	» »	٦٢١
— « المنبوذون » :		
— المنبوذون فى الهند	السير محمد إقبال	٣٣٧
— المنبوذون فى الهند	السيد عبد العزيز الثعالبي	٤٢٢
— المنبوذون والدين الاسلامى	الاستاذ خالد لطيف جابا	٣٤٠
— ثلاثة زعماء هندوكيون يعلنون إسلامهم	٤٠٣
الحجاب والختان فى الاسلام	مشيخة الازهر	٣٤٧
زعيم المنبوذين والاسلام	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٤٦٨
المولود النبوى — احتفال مشيخة الازهر	١٥٧
ن		
النصرانية والاسلام	٦٥٠
النفس الناطقة — فيوضاتها	فضيلة الاستاذ الشيخ عباس طه	٧٠٦

الفتاوى

الموضوع	بقلم	صفحة
(أ)		
إسعاف المريض بالخر	لجنة الفتوى	٢٦٠
(ت)		
تشریح الميت	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٣١
تصرف الابن	لجنة الفتوى	٢٦٥
التيمم	» »	١٨٠
(ح)		
حريم الدار والبئر والشجرة	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٢٣٦
الحلف بالمصحف	لجنة الفتوى	٤٣
حلق اللحية	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٣٢٨
(د)		
الدعاء على المسلم بالكفر هل - يجوز	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٦١٤
الدية	لجنة الفتوى	١٣٧
(ذ)		
ذكاة الصيد	لجنة الفتوى	٢٦٣
(ر)		
رسم المصحف	لجنة الفتوى	٧٢٩
الرشد - حده	» »	١٨٠
الرضاع	» »	١٨١، ٤٤٤
		٤٨٧، ٢٦٣

صفحة	بقلم	الموضوع
١٩٩	فضيلة الاستاذ محمد عبد السلام القباني	الرضاع — الجواب الجامع
٢٦٥	لجنة الفتوى	الرهن
٣٢٨	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	رمضان — ثبوته بالراديو
		(ز)
١٣٦	لجنة الفتوى	الزكاة والخراج
		(ص)
٢٦٢	لجنة الفتوى	صلاة الجمعة
٢٣٧	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	صلاة الوتر جماعة عقب التراويح
٣٢٧	» » » »	الصلاة خلف مرتكب الكبيرة
٢٣٨	» » » »	الصلاة — ارتفاع الامام على المأمومين والعكس
٣٢٧	» » » »	الصور الفوتوغرافية — حكمها
		(ط)
١٨١، ٤٤٤	لجنة الفتوى	الطلاق
٣٥٨		
٥٤١	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	الطلاق — مسألة
٦٧٨	» » » »	الطلاق في الحيض — هل يقع
		(ق)
٤٥	لجنة الفتوى	القرءان — كتابته بالحروف اللاتينية ...
٤٥	» »	القنوت بعد الركوع
		(م)
٦٢٠	لجنة الفتوى	منافع المسجد

الموضوع	بقلم	صفحة
الميراث	لجنة الفتوى	١٣٥٠٤٢ ٢٦٠٠١٨٢ ٤٨٧٠٣٦٠ ٦١٩
هـ		
هبة الثواب والاثابة عليها	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٢٣٦
و		
الوصية	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٥٣٨

